

الرسالة الأولى العالم الإسلامي المعاصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل

كان العالم الإسلامي وحدة لا تتجزأ قبل الغزو الاستعماري الغربي فلما تنوهت حكوماته وهولته فقد كانت تجمعه وحدة فكر ووحدة شعور واقد من العالم الإسلامي بمرحلة ضعف وتخلف ، شأنه في ذلك شأن كل أمة ، كل حضارة حين تمر بمرحلة بعد مرحلة ، قوة بعد ضعف وضعف بعد قوة ، سنة الوجود وناموس الحياة ، ولكن العالم الإسلامي لم يلبث أن استيقظ بقوة الثانية ، استيقظ من داخل أمماته ، وبعامل أساسي قائم في كيانه ، فادر على إعطائه حامل القوة بعد الضعف ، مستنداً إياه من مقومات فكره الأساسية ، ولقد كانت تلك اليقظة سابقة لما حاول الغربيون أن يدهو أنه مصدر لذلك ، سابقا الثورة الفرنسية بسنوات طويلة ومتقدما على الحملة الفرنسية أيضا ، فقد انبثق من قلب الجزيرة العربية منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريبا ثم هم الآفاق إلى غير ما حد ، مضت هذه اليقظة إليه وإلى كل طريق مضى فيه الاستعمار إلى ظاينه في السيطرة على العالم الإسلامي وتمزيق وحدة هذه الكتلة الجامعة التي يربطها فكر عميق المدى وشعور دقيق الأثر وكلامها عميق الجذور يمتد إلى إلى يوم بزوغ ضوء الإسلام في القرن السابع الميلادي ومنذ ذلك الوقت وإلى اليوم ، لم يقع أمر في تاريخ أو يحدث حدث في حركة الإنسانية إلا وكان وثيق الاتصال بالإسلام والعالم الإسلامي ، مؤثر فيه أو متأثر به ، فقد فرض الإسلام كقوة عقائدية وسياسية واجتماعية مكانه على هذا السكوكب فرضا ولذلك فقد كان ذلك الصدام بين العالم الإسلامي والاستعمار أمراً خطيراً بعيد المدى في تاريخ الانسانية وتاريخ الاسلام نفسه ، يحتاج إلى دراسة واسعة عميقة مستوعبة .

ولقد كان من الضروري أن يتصدى كثير من الباحثين لهذا العمل وأن يحشد له الجهود وأماننا دراسات كثيرة ، لعل أكثرها استيعاباً وأعماقها « حاضر العالم الإسلامي » الذي تمثل مجموعة من الدراسات الاسلامية الواسعة التي قام بها الأمير شكيب أرسلان وألقاها على هواش كتاب « لوثروب ستوارد » الذي ترجمه هجاج لويض في أوائل الثلاثينات .

ومنذ صدر ذلك الكتاب وإلى اليوم لم نجد من كتابنا الذين يكتبون بالعربية من أولى العالم الإسلامي اهتماماً واسعاً ، فقد شغل الكتاب بالدراسات المتخصصة في مجالات كثيرة ، كان أهمها دراسات العالم العربي التي استغذت جهوداً ضخمة في السنوات العشرين الأخيرة ، فقد صدرت مؤلفات متعددة متخصصة عن واحد من الأقطار الإسلامية ، أو آخر . ولكن دراسة شاملة تربط بين تحديات الاستعمار وبين رد الفعل في العالم الإسلامي لم تحظ باهتمام خاص ، وربما كتب بعض الباحثين دراسات قصيرة استعرضوا فيها أحوال العالم الإسلامي الجغرافية والتاريخية وبالرغم من أن بعض هذه الدراسات قد حملت وجهة نظر الغربيين والمشرقين ، واعتمدت اعتماداً كبيراً على مصادرهم وآرائهم فإن هذه الدراسات لم تستوف الغرض الذي يحقق ظهور دراسة شاملة عن « الإسلام والاستعمار » . وكثير من الكتاب الذين يتصدون للكتابة عن تاريخ الإسلام السياسي أو خريطة الإسلام في العصر الحديث يعتمدون اعتماداً كبيراً على المصادر الغربية وهم مندورون في ذلك حيث أنها متوفرة على نحو كبير ، وهي قادرة على منحهم كل ما يريدون من معلومات بدراساتها الواسعة ، ولكن هذه المصادر لها أوجهات نظر مستمدة من علاقة الاستعمار والتغريب بالعالم الإسلامي وتاريخه وهؤلاء الكتاب يتفادون مع الأسف وراء دقائق خطيرة بحسن نية أو عن تصور أنها نظرات علمية بينما هي في أحق أمحاقها تحمل معنى التوجيه الاستعماري وتبطنها الكراهية والحقد ويغلفها الصراع القائم بين الإسلام والغرب من قديم ، والمعروف سلفاً أن الدراسات الغربية عن الإسلام (فكرياً أو تاريخياً أو سياسية أو جغرافياً) إنما تقوم على أساس خطة أساسية هي اقناع المسلمين أنفسهم بأمر هام ورئيسي تحول دون وحدتهم أو قوتهم ، لتثير أسباب الخلاف والصراع بينهم دوماً وتجدها كلها هدأت هذه الأسباب ، رغبة في أن يظل هذا العالم ممزقاً ، فلا تقوم له وحدة فكر من شأنها أن تؤدي إلى وحدة جامعة يمكنه من تكوين جبهة صامدة في وجه الغزو الاستعماري .

ومن الحق أن للمسلمين والعرب في مواجهة الغزو الاستعماري الجديد : اقتصادياً وثقافياً ومواجهة التغريب للتركز ، هم في حاجة إلى عناصر الملائمة والالتقاء وفي حاجة إلى عوامل الترابط والامتزاج والاختصاص من الخلافات القديمة والمعارك للماضي التي قامت بين المذاهب السياسية ثم كادت أن تموت لولا أن الاستعمار جعل يبعثها من جديد ، وأيقظها ، ودفعها لتثير الخلاف مستأنفاً حتى لا يلتقي أصحاب الفكر الإسلامي الذي يستمد أصوله من التوحيد على الوحدة ، وهم من ناحية أخرى في حاجة إلى النظرة العلمية التي تستمد جوهرها من الإيمان بوجودهم وشخصيتهم وكيانهم وقيسم الأساسية ، وهي نظرة يجب أن تختلف أساساً عن نظرة الغرب إليهم . فالمعروف أساساً أن الغرب كان يحصل

حققت الحروب الصليبية في أمراقه لم يتخل عنه ، وكان يخاضم الدولة العثمانية التي مدت نفوذها إلى قلب أوروبا وسيطرت عليها خمسة قرون ، وإن هذه الاحقاد والخصومات قد جرت في دماهم جيلا بعد جيل ، ولذلك فن غير المعقول أنهم ينصفون الاسلام والمسلمين والعرب والدولة العثمانية أو يصدرون فيها من رأى مجرد من الهوى ، أو عقل وضمير منحرر عن الاحساس القادى العميق الذى قلما يتفصل عن شخصية المؤرخ أو الباحث الغربى .

ومن هنا فهم لا يستطيعون أن يمرضوا تاريخ الاسلام عرضاً بريئاً خالصاً لوجه الحق ، وحيث هم يرون أن « العالم الاسلامى » هو التجسيد المائل للاسلام فهم يرون للمسلمين قوة أو نهضة يمكنهم من القوة والعزة ، فهم مازالوا يمثلون الخطر الذى يمتص ثرواته ومقدراته ، ولقد كان هدف الاستعمار الاساسى من السيطرة على العالم الإسلامى القضاء هو : على هذه القوة المعنوية العقلية والروحية التى تدفع المسلمين إلى اليقظة ، وإملاك ناصية أمورهم ، والسيطرة على مقدراتهم ، وكان القضاء على هذه القوة — ولا يزال — هو أهم فى أهداف الاستعمار بحسبان أنه العامل الوحيد الذى يمارض استعمارهم ويقاوم وجوده ، ولكن القيم الاسلامية الحيوية هى دائماً قادرة على التجدد والنمو والتفاعل كلما مرت بالعالم الاسلامى فترة من الضعف أزمة من أزمات التخلف ، لتدفعه إلى الأمام مرة أخرى ، ومن أجل هذا فإن الأفلام الغربية فى كتاباتها عن العالم الاسلامى ، ومن خلال عشرات المؤلفات والدراسات والموسوعات إنما تحاول أن تصور العالم الاسلامى تصويراً يبيداً عن حقيقته ، ولهذا فإن أنجاء بعض كتابتنا إلى ترديد هذه النظرات ، موالاة للفكر الغربى ، أو هجران فهم جوهر أممتهم وقيمها ومقدرتها إنما يترك آثاراً بعيدة المدى فى تأخير النهضة والقضاء على روح اليقظة . فالغربيون يحاولون إثارة الشبهات المختلفة رغبة فى تمزيق وحدة العالم الاسلامى الفكرية وإحلال ثقافات الأقليزية والقومية محلها ، ولكن هذه الثقافات ما تزال تستمد مقوماتها من الفكر الاسلامى أساساً ، ولذلك فهم يدهونها إلى احياء تراث قديم جداً سابق للإسلام كالفرونية والبربرية والفينيقية وحضارات سالفة فى أندونيسيا والهند وإيران وتركيا ، ولكن هذه الدهوات القديمة ما تزال تنهاوى حيث لا أدب لها ولا تراث ولا مقومات تربط الأمم بها بعد أن قضى عليها الاسلام خلال أربعة عشر قرناً ، وما تزال الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى هى أعرق عوامل الترابط بين حاضر الأمم الاسلامية وماضيها ، ويحاول الغربيون أن يصوروا الاسلام على أنه (دين) وأنه لاهوت ويشبهونه فى هذا بأديان أخرى هو يختلف عنها لأنه ليس ديناً فحسب ولكنه دين ومجتمع وحضارة وهو فى هذا مخالف للصورة التى عرفتها أوروبا للدين والكنيسة ومناهضتها للنهضة أما الاسلام فهو يتميز فى موقفه من الحضارة والنهضة بأنه ملقى « المنهج العلمى التجريبي » الذى بنت عليه أوروبا الحضارة المعاصرة .

ونحاول مقررات التقريب أن تفرض على القيم الاجتهادية والإنسانية مفاهيم تختلف عن مفاهيمنا المستمدة من فكرنا الإسلامى ، كما نحاول إثارة الشبهات نحو تاريخنا ولغتنا ورسولنا وتراثنا لتفقد مفهومه في نظر الأجيال الجديدة ، ومن هنا فإن اعتماد كتابنا على مصادر الغرب عمل خطير يحمل طابع الهدم لقيمنا ومفوماتنا ، وهو خطر لا يعرف كتابنا مدى أثر للثابتة له ، ولذلك فقد كان من الضروري إعادة النظر في هذه الآراء جميعا محاولة لمرض (حاضر العالم الإسلامى) على نحو أكثر اتصالا بقيمنا ، وأكثر إيماننا بكياننا وأكثر تحرراً من نظرة الغير الخاطئة للعادية لوجودنا وتاريخنا وأمتنا وكياننا .

ونحن في الحق لا ننادى النظرات للنصفة والآراء الخاطئة لوجه الحق والعلم ، بل نرحب بها ولكننا نصصح المفاهيم الخاطئة للفرضة التي يدفع بها النفوذ الاستعماري كعاسلوب من أساليب استئداء وجوده بشده وجودنا والعالم الإسلامى حقيقة واقعة تلعب دوراً أساسيا في سياسة العالم بين الكتلتين الشرقية والغربية لها نفلا في ميزان التاريخ ، والسياسة الدولية ، والوجود البشرى . لهذه القوة ميزتان (أولاها) أنها حامل مؤثر وما من حدث وقع في العالم كله منذ ظهور الإسلام إلى اليوم إلا كان له به صلة ما (والثانى) : أن العالم الإسلامى هو موضع الحساب والتقدير من مختلف سياسات الدول الأوروبية الكبرى فلم يكن قط في أى مرحلة من مراحل التاريخ قوة مهمة أو أثر منكورا . وهو إلى ذلك حقيقة فكرية تتمثل في رباط العقيدة الإسلامية والفكر والثقافة وهو إلى ذلك نظام اجتهادى كامل يقوم على هذه العقيدة ، وهو منهج إنسانى شامل للعلاقات بين الأفراد والجماعات وبين الشعوب والمجتمعات والدول ، فهو يضم ألف مليون من المسلمين يمثلون ربع سكان العالم (الذى يضم ٤٠٠٠ مليون نسمة) والعرب منهم مائة مليون وللسلمون موزعون على أكثر من ٦٧ دولة يوجدون فيها بنسبة أو بأخرى من بينها عدد من الدول أكثر من نصف سكانها مسلمين ، وهم منشرون في أوروبا وأفريقيا وآسيا وأستراليا منها ٧٣ دولة مستقلة في أفريقيا و١٤ دولة مستقلة في آسيا ، حتى لممكن أن يقال إن واحدا من كل سنة أشخاص في العالم اليوم يدينون بالإسلام . وحتى لبوشك أن لا تكون هناك دولة واحدة في عالم اليوم لا يتمثل فيها الإسلام ولو بوضع عشرات من الآلاف كما في أستراليا أو اليابان . ويكاد يكون الإسلام هو الدين القومى في مجموعة ضخمة من هذه الدول . نعم هو عدد ضخم من البشر يتحد في العقيدة والفكر والشعور لا مثيل له في العالم كله ، يتميز بأكثر من حامل قوة ، أهمها المجاورة في للسكان والتركيز في قلب العالم في منطقة تمتد دون حواجز أو فواصل من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلسى ، من روسيا في الشمال المحيط الهندى ، وجنوبا ما وراء

خط الاستواء وبذلك احتياطي العالم كله من اللواد الخام والبتروول وما يزال العالم العربي هو قلب العالم الإسلامي ، مقر العقيدة ومركز الأماكن للقدسة والأزهر ، وما زال العرب يمثلون القيادة الفكرية والروحية ، على مذهب الجماعة والسنة . وقد انتشر الإسلام في هذه المناطق الواسعة بعمل الأفراد دون أن يكون له نفوذ سياسي أو قوة تعتمد على المؤسسات والدول والاهتدات في إفريقيا وآسيا وفي أوروبا وأمريكا ، وما زال الإسلام في توسع دائم في منطقتين من أخطر مناطق العالم هما : قلب إفريقيا وجنوب شرق آسيا بالإضافة إلى العالم الجديد . والإسلام دين المستقبل وإفريقيا للإسلام هي قارة المستقبل والحقيقة التي يعترف بها الباحثون المنصفون هي أن الإسلام ينتشر كل يوم وإن عدد المسلمين يزداد يوما بعد يوم في جميع الأوساط والمجتمعات حيث لم يعرف الإسلام دون الأديان جميعا ، أي أرتداد عنه أو تحول إلى غيره ، فهو دين وزيادة وإذا كان الدين علاقة بين الإنسان والله فإن الإسلام يزيد إلى هذا علاقة بين الإنسان والمجتمع .

هذا الوجود الإسلامي له أهمية وخطره ، فهو يسيطر على قارة وسطى في قلب آسيا وإفريقيا هي من أخطر المواقع العالمية حيث يتكلم عالم الإسلام ثمانى لغات في مقدمتها اللغة العربية العالمية ولغات متعددة تكتب بالحروف العربية ويسيطر على موانئ البحور الثلاث الأحمر والأبيض والأسود ، ويطل على محيطين هما المحيط الهادى والمحيط الأطلسى ، ومن هنا كانت خطورة الصراع بينه وبين الغرب ، وبينه وبين الاستعمار بتياراته المختلفة وقواه المتعددة المتلاقية عليه أصلا وإن اختلفت فيما بينها ، هذا الصراع المتجدد الذى لم يتوقف منذ فجر الإسلام حتى اليوم ولعل من أخطر ما واجه الإسلام في العالم المعاصر والتاريخ الحديث ، تلك الفزوة الخطيرة : فزوة الاستعمار الحديث التى تمثل فى رأى كثير من المؤرخين حلقة جديدة من الحملات الصليبية أو كما صورها أحد قادتهم « نهاية الحروب الصليبية » التى انحصرت من العالم الإسلامى منذ ثمانية قرون مهزومة ، منسحرة ، وقد هادت مسيطرة هذه المرة ، وهذا هو موضوع هذا البحث . ذلك أن العالم الإسلامى فى العصر الحديث ما كاد يستيقظ (من أحماقه ومن داخله) ليحدد حياته وليعيد تجميع قواه وانعاش واقعه حتى يواجه الفزوة الاستعمارية بحركة تطويق ضخمة ، لم تلبث أن اندفعت إلى أحماقه ، فكانت مهمته مزدوجة : هى مهمة اليقظة ومهمة المناوئة وكان ضعف الدولة العثمانية مقدمة لحركة الاستعمار الذى طمع فى أن يمزقها ويسيطر على مقدراتها ، ومن ثم واجه العالم الإسلامى معركة طويلة بين المحافظة على وجوده وقيمه وبين الاستعمار الفاسد ، قدم فيها الشهداء والضحايا والدماء ، وقاوم بكل ما يملك أهله ، حتى بالأجساد المتراصة أحيانا أمام قوات حديثة الأسلحة ، مليئة بالسكر والفنر ودخل معارك حاسمة لم ينهزم فيها عن طريق

الاسلح ونهم قلة العدد والعدد ولكن هزم بالمؤامرة والخذاع ، ولم تستسلم فقة منه إلا بعد أن خسر بها أو فقدت كل ما تستطيع أن تقاوم به من هتاد . وغلب طابع المساومة على مختلف طبوايع المجتمع الاسلامى : واستطاع العالم الاسلامى أن يواجه التحدى ، تحدى الحضارة الأوربية الاستعمارية بصمود عظيم واستطاع أن يرد بقوة وصلابة جيشا من الطامحين الغزاة ، وقاوم فى سبيل التحرر من النفوذ السياسى والاقتصادى والعسكرى الغربى وخطا المسلمون خطوات واسعة فى سبيل التحرر وأفسدوا حلم الاستعمار فى البقاء الطويل واستمرت مقاومة العالم الاسلامى وامتدت ولم تتوقف : فاندلست ثورات الهند واندونيسيا ومصر والجزائر والمغرب والسودان والتركستان والقوقاز . ولم يتوقف المسلمون جيلا بعد جيل ، فى نطاق الدهوات الاسلامية أو الدهوات الوطنية ، أو الدهوات القومية من مقاومة الاستعمار . ولم يقبلوا أبدا أن تلتهم مناطق النفوذ ، قارموا الاستعمار والتبشير والصهيونية ومناهب الاتحاد والأباحة .

وعمد الاستعمار إلى مخططات خطيرة حاول بها الفصل بين العرب والمسلمين وبين الترك والعرب وبين المسلمين والنصارى ، وبين المسلمين والهندوس ، وأثار انخلاطات للقديمة بين السنة والشيعة والبربر والعرب ، ووجد الاستعمار المجتمعات البدوية وجد القبليات وحرص على هدم إنصهارها فى المجتمعات الكبرى حتى لا تسود الأمة وحدة شاملة ، وحال دون مقبرة الوحدات الصحراوية على التمدن لنظل هناك طبقات متخلفة وقوى متنافوة وخلق المشكلة الطائفية ، وغذاها وفرضا لتكون أداة سياسية له ، فقد كان التمايش قائما وآمنا على شريعة الله بين الأغلبية المسلمة والطوائف المختلفة قبل الاستعمار ، غير أن الاستعمار حرص على أن يؤلب ويوقع بين الطوائف وبأخذ كنفه الأفليات ليدفنها إلى الانقضاء الدائم وقت ما يريد وألب الاستعمار وأثار انخلاط بين الدولة العمانية والدولة الفارسية وعمق خلافتها وألب الاستعمار انخلاط بين العرب والترك وأوقع النار بينهما وألب الخصومات بين الفرق الاسلامية . وفتح الاستعمار باب التبشير للإرساليات وساندها ضمن لها حرية الحركة والتمويل وسهل الاستعمار استيراد أقليات دينية غريبة من الأرمن والأشوريين والنساطرة فى المشرق العربى وقدم أجناسا أخرى من المالبيين ويونانيين ويهود . واحتضن الاستعمار الفرنسى الماروف واحتضن الاستعمار البريطانى الدرروز فأوقع بينهما وحمل على تمزيق الدولة العمانية إلى عرب وترك ، وتمزيق سوريا إلى علويين وهروز ، وإلى دمشق وحلب . وعمد إلى تحويل لبنان الصغير إلى لبنان الكبير وحشد أكبر أقلية مسيحية فى رقعة واحدة . وأفسد الاستعمار نمو الاسلام وتوسعه ووقف فى وجه زحفه السلمى وقاومه ووقف فى وجه اللغة العربية ووجد انتشارها بحسبانها لغة القرآن ونشر لفته . وعمد

الاستعمار إلى تمزيق الروابط التاريخية والفكرية بين قوميات المسلمين من عرب وترك وفارس وحق هذه الخلقات بينها حرصا على الانفصالية والحيولة دون الوحدة الفكرية أو الأخوة الروحية وانبثقت الفكرة الاستعمارية من الحركة الصهيونية الطامعة في الوصول إلى (القدس) في قلب فلسطين طامعا في إقامة هيكل سليمان مكان بيت المقدس . ونجمت مطاعم روسيا القيصرية وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وهولندا كلها لتجتاح العالم الإسلامي وكانت الصهيونية من وراء هذه القوى ثم أسفرت من هدف واضح وإذا كان للاستعمار أثره البعيد في تمزيق وحدة العالم الإسلامي وإقامة الكيانات الإقليمية فإن أخطر تبعات الاستعمار هي تبعات الفزو النفاقي في سبيل إبقاء الوجود الاستعماري ودعمه بما يحقق للاستعمار استمرار استنزاف المواد الغلام من العالم الإسلامي وامتناع ماله و اقتصاده بالتخاذه سوا تجارية لمتجانه، ولذلك فقد كانت حركة اليقظة والمقاومة عميقة المستولية، فقد حملت على تصحيح مفاهيم الإسلام والناس جوهره وقيمه ومفاهيمه الأساسية باعتبارها الوسيلة الأولى للمواجهة والمقاومة ، وإيماننا بأن انفصال المسلمين عن جوهر فكرهم هو الذي أصاب وجودهم بالهزيمة والضعف .

وقد أبرزت حركة اليقظة والمقاومة مجموعة ضخمة من الاعلام والقادة والأبطال الأفاض الذين قادوا النضال ، كبراً بعد كبر ، بحيث لم تسقط الراية أبداً من أيدي قادة النضال الذين يقتابمون على العالم الإسلامي ، وكانت حركاتهم متوالية بكل بعضها بعضاً ، فهي قد اتصلت فلم تنفصل وتوالت فلم تتوقف وتوزعت على مختلف وحدات العالم الإسلامي وماتزال تدفع بالأفذاذ والقادة في مواجهة التحديات وعلى قدرها صلابة وصموداً . وما يزال الاسلام ينمو ذاتياً رغم كل العقبات التي توضع في طريقه ، وقد ارتبط بمحركات النضال التحرر ورفع مستوى أتباعه في كل مكان وعلمهم الكرامة والعزة والايان والأخلاق . وبعد فذاذ فعل العالم الاسلامي ازاء الاستعمار ؟ هل تقبله راضياً وذاب فيه وفق في بواقته وانصهر وجوده والمعنى كياناً ؟ الحق أن لا ! ولن يكون ذلك ولو طال صراجه مع الاستعمار فإن الجذور المميقة للإسلام لا تزال حية واظلا لا تزال نفاذه وقادره على المقاومة طويلاً وبالرغم من الخلقات التي يجدها الاستعمار بين السنة والشيعة والمروية والاسلام ، فإن هناك أرضية هريضة الالتقاء موجودة ويمكن أن تنمي ، والمسلمون والعرب ، والسنة والشيعة قادرون جميعاً على أن يفهموا الهدف من تفريقهم وتمزيقهم والقاء الفرقة بينهم ، فيزيلوا العوامل المصطنعة التي وضعها الاستعمار ونماها وهم يعرفون أن كل الشيع والفرق والطوائف بدأت أساساً كعصارات على السلطة والحكم وقد انتهت بانتهاء مصورها . هذه الأرضية تتمثل في وحدة الفكر التي يفرضها الاسلام

وتدعمها القيم الأساسية الكبرى المشتركة بين المسلمين جميعاً استناداً من ثقافتهم وتراثهم وجذورهم الممتدة إلى أربعة عشر قرناً . والعالم الاسلامي يضم هديداً من القوميات وليست القوميات معارضة للاخاء الاسلامي وليست ضد مفهوم الاسلام ، وليس الاسلام في مواجهة القوميات وإنما يتقبل الاسلام القوميات كعامل قوة ويدفع عنها التعصب والعنصرية ويجعلها مفتوحة للالتقاء مع وحدة الفكر التي تربط القوميات على صعيد الاسلام . ولن يحول اختلاف المسلمين في المذاهب من الوحدة والأخوة ولن تفقد هجبات باسم العروبة والاسلام أو السنة والشيعة من التضامن والتلاحم . ولن يتخلى المسلمون عن مقومات فكرهم ازاء غزو الفكر الغربي لهم وفي مواجهة نظريات القومية والديمقراطية والاشتراكية والحرية التي تتميز جميعها بأنها ذات جذور أصيلة في الفكر الاسلامي وهي قيم لها مفاهيم واضحة عندهم منذ أجيال . ولن يكون تقبل المسلمون للحضارة الغربية عاملاً على انصهارهم في بوتقة الاممية أو العالمية ولن تدفعهم دراسة فكر الغرب والانتفاع به إلى التخلي عن مناهجهم وفكرهم ومقوماتهم . إن تجربة تركيا التي عطل لها الغرب وحاول أن يفرضا على المسلمين قد نفقت وعادت تركيا إلى جوهر مزاجها النفسي الأصيل الذي انفصلت عنه بقوة القانون العسكري والحكم الاستعماري المتسلط . ولن تكون القومية بمفهوم الغرب ولكنها ستكون مستمدة من جذور فكرنا : وحدة فكر ووحدة شعور ووحدة ثقافة . ذلك إن الخطر الذي يواجه الأمة العربية والعالم الاسلامي ازاء الصهيونية العالمية وسيطرة اسرائيل على فلسطين ، إنما يعض المسلمين والعرب جميعاً أمام تجربة ضخمة أشبه بالتجربة التي خاضوها من قبل في مواجهة الغزو الصليبي وحملات التتار ومعارك الفرنجة وقد واجه العرب المسلمون هذه الغزوات في قوة وبسالة وصمود وحققوا في «حطين» و « عين جالوت » و « الزلاقة » نصراً مؤزراً رد الأعداء ودك حصونهم . وسيكتب العرب والمسلمون معهم صفحة جديدة من صفحات الجهاد والاستشهاد والنصر ستكون من المواقع الحاسمة التي يذكرها تاريخ العالم الاسلامي المعاصر ويضعها بين أنصع صفحاته . فقد تعلم العرب والمسلمون من دروس التاريخ كيف كان النزاع والخلاف مصدراً لما أصابهم من كوارث . وتلقب المسلمون إلى أنهم يشتركون في تاريخ واحد وتقاليد واحدة وثقافة جامعة وعرفوا أن أزمة العالم الاسلامي المعاصر إنما تصدر من حيث هو واقع تحت النفوذ الاستعماري ، وما يزال العالم الاسلامي يتخضع من أوضاع جديدة تقدمية في الاقتصاد والسياسة والاجتماع قوامها الوحدة والتحرر والقوة والمعدل الاجتماعي .

وما يزال عوامل الوحدة والأخوة تزداد وتنسج حتى يعود العالم الاسلامي مره أخرى إلى أصلاته فكرياً ومجتمعا ، وحدة لا تنجزاً ، هي وحدة فكر ووحدة شعور . وبعد فهذه هي المحاولة التي يجري

القلم لتصويرها في هذه الصفحات ، في دراسة العالم الإسلامي والاستعمار الشياطي والاجتاهي والثفاقي منذ أوائل البقطة حتى أواخر الحرب العالمية الثانية . على أن نتابعها بدراسة أخرى عن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية .

الباب الأول

الإسلام وعالم الإسلام

(١)

الإسلام والإمة العربية

هناك حقيقة أساسية هي أن د الأمة العربية هي التي حملت لواء الاسلام إلى العالم كله . ونشرته من خلال دوله الكبرى التي امتدت من حدود الصين إلى حدود فرنسا . ومن ثم فقد ارتبطت الأمة العربية بالاسلام ارتباطاً عضوياً لا مزيل إلى فصامه ، وقد كانت اللغة العربية بحسبانها أكبر عوامل الوحدة العربية هي لغة القرآن والصلاة ووسيلة أداء الاسلام ونشره . وقد ارتبطت الأمة العربية بالدولة الاسلامية في مجال القيادة السياسية قرون طويلة ، حتى إذا ما سقطت الخلافة العباسية عام ٦٥٦ قبل العرب الوحدة السياسية التي أصبحت قيادتها للدولة العثمانية دون أن تكون العلاقة بين العرب والعثمانيين علاقة احتلال أو استعمار أو ما يوصف في هذه الأيام بالسيادة . ذلك أن المفهوم الأساسي للوحدة الاسلامية إنما كان يقوم على أساس واضح هو أنه يحمل لواء القيادة أقدر الأمم الاسلامية هليها ، فحيث ضعف النفوذ السياسي في بغداد بعد أن اجتاحت العالم الاسلامي الغزو التتاري وبعد الحروب الصليبية التي استمرت أكثر من قرنين لم تلبث قوة الأتراك العثمانيين أن برزت وسيطرت وتقبلتها الأمة العربية وانضوت إليها بوصفها قيادة إسلامية ليست فيها فوارق بين جلس وجنس ، هذه الفوارق التي لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر وفي مجال التأثير والتأثير بين العالم الاسلامي في مرحلة الضعف وبين العالم الغربي في مرحلة القوة ، حيث رجعت كفة أوروبا وأخذت محتاج عالم الاسلام بالغزو والتطويق . فالأمة العربية كانت إلى قريب من نهاية الحرب العالمية الأولى ، شطراً من الدولة العثمانية

التي كانت تجمع الأتراك والعرب ، حيث استطاع النفوذ الاستعماري الزاحف أن يضرب هذه الوحدة وأن يثير بين العنصرين خصومة عنيفة في ظل دعوة « القومية » التي اجتاحت أوروبا وتقلها النفوذ الاستعماري إلى العالم الإسلامي كاحدى أسلحة الحادة العنيفة في تمزيق هذه الوحدة الإسلامية القائمة باسم الدولة العثمانية والتي تضم الترك والعرب وترسم من طريق الخلافة قيادة للعالم الإسلامي كله ، ولما كان الاستعمار حريصا على أن يمزق هذه الوحدة ويسيطر على هذه الأجزاء ويقتسمها ، فقد كان تركيزه قويا على كيان هذه الدولة وذلك بإثارة العناصر المختلفة فيه ، وقد حملت لواء هذا العمل فئة الاتحاديين الذي كانوا يصعدون من دعوة الوحدة الطورانية ويعمدون إلى تحويل الدولة العثمانية إلى قومية واحدة بتفريك العرب . وكان لابد للعرب أن يقاموا عوامل الفناء وخاصة حين امتدت إلى اللغة العربية والكيان العربي ، ومن هنا وقع الصدام الذي انتهى إلى الانفصال عسكريا وحربيا عن طريق ثورة الشريف حسين التي قاتل فيها العرب للمسلمون الترك المسلمون وأجلاهم من شبه الجزيرة وعن الشام كله ، وبذلك أتاحوا الفرصة للقوات الفرنسية والبريطانية بالسيطرة على المناطق التي أجلاها العثمانيون .

وحيث كان على « الدولة العثمانية » التي مرت بعوامل الضعف والفناء فترة طويلة ، كعامل قوة أن لها تركيز وحدتها على نظام لامركزي يضمن للعرب مثل نصيب الأتراك مع بقاء القيادة التركية في مركز الخلافة ، وحيث كان على العثمانيين أن يأخذوا بكثير مما عرض عليهم من وسائل تدعيم الوحدة الإسلامية الممثلة في الدولة العثمانية ، وذلك بأخذ اللغة العربية كلسان للدولة الإسلامية أو قيام نظام الخديويات الذي اقترحه جمال الدين الأفغاني على السلطان عبد الحميد كقدمة لانضمام الهند وپارس وأفغانستان إلى دولة الخلافة ، حيث كان على العثمانيين كل هذا ، فإن قوى النفوذ الاستعماري المضاعفة على حزب الاتحاد والترقي الذي بدأ في أول أمره كحركة عثمانية إيجابية ثم سيطرت عليه عناصر الدعوة واليهود والماسونية والقوى الاستعمارية البريطانية والفرنسية لتحويله إلى أداة لتجزئته ، استطاعت هذه القوى أن تنضم العروة الوثقى وأن تحول تركيا تحويلا خطيرا إلى دولة غربية خالصة إنقلب من النقيض إلى النقيض ومن قيادة العالم الإسلامي إلى إلغاء الإسلام وحميا واجتاهبا وانتهاج نهج غربي خالص .

هنا كان دور الأمة العربية قد تجدد ، لتحمل لواء الإسلام والإصلاح الإسلامي ، وأن تقاوم الغزو الغربي العنيف الذي يعمل على نحو مقوماتها الأساسية ، ولقد كانت اليقظة في قلب الأمة قد اندلعت بريقها فعلا في منتصف القرن الثامن عشر ، وحيث خبت شعلة القيادة الإسلامية العثمانية ، بدعوة

التوحيد من قلب الجزيرة العربية ونبتتها دهوات من الأزهر في مصر ومن اليمن واتقدت من جديد
شعلة التجديد والإصلاح قبل وصول الحملة الفرنسية بأكثر من ستمين عاماً، وكان ذلك مع امتداده
إليها بأن تحمل الأمة العربية من جديد لواء حركة التجديد والإصلاح والبعث الإسلامي في مختلف
مجالاته، وقد كان على هذه الحركة أن تجد مفاهيم الإسلام وتنفض عنه غبار الجود والتقليد، وأن
تقاوم في نفس الوقت قوى النفوذ الغربي الرأسمالي واجتاهبها وثقافيا، وهي مهمة شاقة اضطلمت
بها الأمة العربية — وشاركتها فيها حركات إسلامية متعددة في الهند وأندونيسيا، غير أنه كان للأمة
العربية ولمصر بالذات أثرها الواضح في تأصيل حركة اليقظة ودفعها إلى الأمام في المغرب العربي وفي
أفريقيا وفي مختلف أنحاء عالم الإسلام بما أتتج لها من منجز قوى قام عليه جمال الدين الأفغاني ومحمد
عبده ومدرسة المنار.

ومن ههنا أن الاستعمار حين زحف بنفوذه السياسي والثقافي والعسكري إلى العالم الإسلامي لم
يضعف بشدة، ولم يركز تركيزاً عالياً على أمة بقدر ما ركز على الأمة العربية بحسبان أنها حاملة للشعل
وقائدة الحركة التجديدية الإسلامية. وقد تمثلت حركة التحدي وللقاومة في عدة عوامل هامة: أبرزها
الطائفية والأقليات فقد أتهم الاستعمار بخلق الخلافات بين أتباع البلد الواحد وإثارة الخصومات القديمة
بينهم هادفاً من ذلك إلى خلق الطائفة وتكريسها وإنشأ الصراع بين الفرق المختلفة. وكذلك
خلق ولاداً خاصاً له مرتبطاً بالأقليات إذا كانت غير مسلمة، فهو قد والى الأقليات المسيحية في لبنان
ومصر وبيننا والى الأقلية الهندوكية في الهند، والمشكلة الطائفية قصة طويلة انشأ عليها الاستعمار
وجعلها عاملاً من العوامل الهامة في تنفيذ سياسته كما جعل منها وسيلة للقضاء على القيم الأساسية التي
يقوم عليها المجتمع الإسلامي. « والمشكلة الطائفية لم تنفصل في أي مرحلة من مراحلها عن الاستعمار
فهو الذي خذها إن لم يكن خلقها وهو الذي اتخذ منها أداة سياسية يدهم بها وجوده ». والمعروف
أن أهل القيمة والأقليات في عصور التاريخ الإسلامي المختلفة كانوا يعيشون في ظل نظام يسمح بوفر
لهم الأمن والسلام ويكفل لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية ويحافظ على كنفائهم ويضمن لهم مكاناً
هادلاً في مختلف مجالات المجتمع. غير أن النفوذ الاستعماري قد عمد منذ اللحظة الأولى لوجوده إلى
دعم الطائفية وتنفيذها وشهرها كسلاح في وجه المجتمعات المختلفة، وجعلها أداة، كوسيلة من وسائل
دهم بقائه على أساس التفرقة الدائمة. وفي ظل هذه الهدوة « فتح الاستعمار الباب لتبشير والإرساليات
والمندارس الأجنبية كما سهل إستيراد أقليات أخرى دينية عربية، كالآرمن والأشوريين والنساطرة في
المشرق والمالطيين والقبازمة واليونانيين والهنود، بالإضافة إلى جاليات الاستعمار نفسها ». وقد

هرف منذ همد بعميد أن الاستعمار الفرنسي يمتحن المارون وأن الاستعمار البريطاني يمتحن الدرور ، وكانت روسيا كانت تمتحن السكينة الأرثوذكسية ، أما أمريكا فهي ربة السكينة البروتستانتية . وأن صراع الإرساليات الأمريكية والفرنسية كان بالغ العنف على الأرض العربية . في الشام ومصر ، وكانت له آثاره الخطيرة في تشقة جيل جديد أسلمه الاستعمار لواء القيادة السياسية في أغلب أجزاء العالم العربي .

وقد كان للتبشير دوره في تمزيق وحدة الأمة الدولة كما حدث في السودان حيث قصد به (تعميق الهوة بين الجنوب والشمال) وصولاً إلى الفصل السياسي بينهما . وكذلك جرت المحاولات لتقسيم « الشام » إلى سوريا ولبنان وفلسطين والأردن . وتقسيم سوريا إلى دولة علوية شيعية ودولة للدرور ، وتحويل لبنان الصغير إلى لبنان الكبير على نحو روهى فيه حشد أكبر أقلية مسيحية ممكنة في رقعة واحدة وإقامة مشروعات سوريا الكبرى والحلال الخصب . وكذلك الدعوة إلى إقامة كيان قوبر في المغرب وإيجاد عناصر الخلاف بين المسلمين والمسيحيين في مصر . ثم بين الشيعة والسنة في العراق وسوريا . وتمزيق وحدة وأدى النيل بين مصر والسودان إلى عشرات المحاولات الخطيرة منذ جرى تمزيق الوحدة الإسلامية الجامعة للعرب والترك إلى تقسيم العرب أنفسهم إلى دول ، وتقسيم الدول إلى أحزاب وفرق ومذاهب . وفي خلال مرحلة الاحتلال البريطاني والفرنسي للعالم العربي تضخمت هذه الفروق المذهبية والطوائف والأقليات ودعمت ، حيث حرص الاستعمار على الإبقاء على الكيانات القبلية والطائفية حتى لا تنصهر الأمة العربية في وحدة واحدة ، وما تزال هذه الكيانات قائمة ومازال لها أثرها الكبير في دهم الأقليات وزيادة الخلافات . وتأخير الانصهار والوحدة . والاسلام هو الدين القومى للأمة العربية . وقد نص عليه في دساتير أغلب الاقطار العربية وفي دستور سوريا أن الاسلام هو المصدر الرئيسى للتشريع .

ومن قلب الأمة ظهرت الدعوات : الوهابية والسنوسية والمهدية وحركات الإصلاح الاسلامى بقيادة جمال الدين ومحمد عبده وتابعهم في ذلك مدرسة في الشام تتمثل في (طاهر الجزائري والبيطار والقاسمى) ومدرسة في المغرب أطلق عليها اسم الحركة السلفية تمهدت في تونس والجزائر والمغرب . وابنتت منها جمعية العلماء بقيادة عبد الحميد بن باديس ثم تجددت الحركة الوهابية مرة أخرى في العقد الثالث من هذا القرن ، وارتبط ظهورها بسقوط الخلافة في الدولة العثمانية كما كانت بدلا عنها وكان الأظهر في دوره الخطير ، بالإضافة إلى دور الزنوية والنجف والقرويين وغيرها من جامعات الثقافة الاسلامية . ولا ينكر فضل الطرق الصوفية في نشر الاسلام هرضياً بينما كانت الحركة السلفية

تعمل على تصحيح هفائده وتنقيته من التقليد والبدع . ولعل أخطر ماواجه الأمة العربية في ممر كته مع الاستعمار الغربى هو فرض نفوذ صهيونى على فلسطين تحول من بعد إلى دولة يهودية طاردت أهل البلاد الأصليين وأقامت في مكانهم جسا غريبا هو « إسرائيل » التى أصبحت من بعد هاملا خطيرا فى الحيلولة دون إلتقاء الأجزاء العربية فى أفريقيا وآسيا ، وخطرا بعيد الأثر فى فرض النفوذ الأجنبى وتعويق قيام وطن كامل . ومانع خطير دون قدرة الأمة العربية على الحركة فى مجال مقاومة الاستعمار أو بناء كيانها السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، وقد بلغت الحركة الصهيونية قمتها باحتلال القدس سنة ١٩٤٧ .

وكان لنفوذ الاستعمارى فى العالم العربى خلال فترة ما بين الحربين : « مرحلة الاحتلال » أبعد الأثر فى إقامة البناء السياسى العربى على التقليد الغربى الذى أثبت عدم قدرته على التجاوب مع النفس العربية . وقد قام فى خلال فترة ما بين الحرب حكم كانوا أولياء للمستعمر وقتئذ حاولوا دون قيام تربية إسلامية أو بناء ثنائى مؤصل يستند مفاهيمه من الفكر الإسلامى . وسمح فى هذه المرحلة للنفوذ الأجنبى أن يسيطر على برامج التعليم وأن يفصلها عن أرضيتها العربية الإسلامية . وأن يؤكده اللغة الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية) ويجعلها مصدر التفوق فى مجال العمل فى المعارف والدوائر المختلفة ، وبذلك تأخرت اللغة العربية عن أن تنشئ طريقها وتنمو ، كما تخلف التاريخ العربى الإسلامى وتختلف فنون الثقافة العربية حيث سيطرت دواست الفكر العربى وأبطاله وتاريخه وجغرافيته وفى جزء من الوطن العربى كالجزائر قضى نهائيا على اللغة العربية لولا ما استنفذته حركة جمعية العلماء التى قام بها الإمام عبد الحميد بن باديس ، كذلك كان للبعثات التبشيرية والصحف السكبرية التى يسيطر عليها النفوذ الاستعمارى أثرها فى خلق مفاهيم جديدة للفكر العربى منفصلة أو متعارضة مع القيم الأساسية الإسلامية . ولذلك فقد انتفضت فى العالم العربى القوى الوطنية فسكونت جمعيات إسلامية فى مقدمتها جمعية الشبان والأخوان التى نشأت فى مصر فى مواجهة تحديات أعمال التبشير والظلمة التى استغللت فى مصر والسودان خلال الثلاثينات وكان من أبرز ما استهدفت هذه الحركة « تصحيح مفاهيم الإسلام فى مجال الاجتماع والسياسة والاقتصاد » وقد كان لهذا النفوذ الثنائى الشعبى أثره البعيد فى دوائر الجامعات والمدارس وكان لها صوتها للسموع عن طريق صحفها ومجلاتنا وعلى منابر البرلمان .

وقد كان للأحزاب السياسية التى ظهرت فى العالم العربى أثرها فى تأكيد مفاهيم الاستعمار على الصعيد الاجتماعى بالرغم من عملها السياسى الظاهر فى مواجهة الاحتلال والدعوة إلى الاستقلال

ويبدو ثلاثة رجال من كبار الزعماء في مصر والعراق كتواييع للفكر الغربي في تأكيد مفاهيمه من خلف الحركة الوطنية السياسية : وم لطفي السيد وسعد زغلول ونوري السعيد . قاومت الأمة العربية النفوذ الأجنبي والغزو الاستعماري الذي هاجمها في أشد فترات حياتها ضعفاً وتفككاً ، قاومته بالسلاح والقنال ولم يحقق الاستعمار وجوده إلا بالخدبة والتآمر ، وفي مصر والجزائر وهما من أولى الدول المحتلة قامت ثورة عبد القادر وثورة هراي ، وقد وضعت الحرب العالمية الأولى خاتمة هذا الزحف حيث سيطر النفوذ الاستعماري على مختلف أجزاء العالم العربي بالاحتلال العسكري فيها هذا أجزاء من الجزيرة العربية اكتفى الاستعمار بوضعها في منطقة نفوذه السيامي بالمعاهدات . وفي خلال ما بين الحربين اتهم العالم العربي كله بالثورات وأعمال للقاومة التي لم تتوقف في ثورات مصر والسودان والعراق وسوريا وفلسطين ، وقد جرت في هذه الفترة مفاوضات متعددة هدفها توقيع معاهدات عسكرية تعترف فيها هذه الأقطار بالاحتلال الذي كان موجوداً فعلاً وسيطراً على كل للقدرات وافند للفعول في توجيه الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية في البلاد العربية . وإذا كان الاستعمار الغربي قد خدع الأمة العربية حين أعطاها وعوده إبان الحرب العالمية الأولى بإقامة دولة عربية . وحين أوقع بينها وبين الدولة العثمانية ، وحين فرق هذه الأمة العربية إلى دول متعددة جعل لكل منها نظامها الخاص وحدودها الخاصة وحال دون التقائها في وحدة ، فإن الجذور العميقة للفكر الإسلامي والثقافة العربية ، بل الإسلام والثقافة العربية كانت جميعها من العوامل الهامة التي حققت الالتقاء والتقارب بين الشعوب بينا ظلت الحكومة خاضعة للنفوذ الأجنبي الذي كان يفرض عليها السدود والقيود .

بل لقد امتدت هري الروابط بين الأمة العربية والعالم الإسلامي وهفتت عديد من للثورات على للسنيين العربي والإسلامي كان لها أثرها في التثام الوحدة الفكرية ، واستمرار الدعوة إلى الأخوة الإسلامية الشاملة . وإذا كان سقوط الخلافة (١٩٢٤) قد هد من أخطر العوامل التي واجبت العالم الإسلامي والتي هفت فيه هولم الاقليمية والفرق والالتصال العربي والإسلامي جميعاً ، فإن « فريضة الحج » التي حتمت على المسلمين الالتقاء في مكة وهرفت خلال موسم سنوي عديد ، قد جدت الصلة بين المسلمين بالإضافة إلى استمرار استقبال الأزهر لعدد من شباب العالم الإسلامي مما جعل الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والرابطة الإسلامية والجامعة الإسلامية لا يتوقف للنظر فيها وإن لم تكن بعد مبسورة التحقيق للعوامل الاستعمارية الضاغطة . وكان قيام النهضة الوهاية الأولى ، هاملاً هاماً في هذا الصدد ، بالإضافة إلى الجماعات الإسلامية للتمددة التي قامت أجزاء مختلفة من

العالم العربي ، وخاصة جمعية العلماء في الجزائر ، والحركة السلفية في المغرب التي تحولت إلى مجال العمل الوطني السياسي . وفي هذه الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية استنطاعت الاقطار المغربية بعد كفاح شاق أن تحقق استقلالها وأن تقوم في ليبيا ولغرب حكومات وطنية ، وكان لشورة الجزائر العتيدة الخطبة أثرها البعيد في دهم القيم الإسلامية الأساسية في المقاومة والجهاد ونضال الفاصب ، وفي تأكيد الطابع العربي الإسلامي الذي لا يسقط أمام الزحف الاستعماري الغربي فإن استطاع هذا النفوذ أن يقضي على اللغة فقد هجر أن يقضي على الإسلام . ولم يعد هناك من خطر واضح للواجهة إلا الاحتلال الصهيوني لفلسطين ونتائجه وآثاره المستمرة التي كانت تزداد على الأيام قوة بعد الحرب العالمية الأولى عندما أعلن عهد بلفور وبعد الحرب العالمية الثانية حيث قامت دولة اسرائيل في قلب الوطن العربي .

ولا شك كان للاحتلال الصهيوني أثر بعيد وعميق ومخالف لأثر الاستعمار الفرنسي والبريطاني في البلاد العربية ، فقد كان الاحتلال الإسرائيلي رافياً إلى الإقامة والتوسم ، مستنداً لللايين من اليهود من أنحاء العالم وهو احتلال له طابع مخالف للاستعمار الغربي الذي كان يقوم على أساس للماهدات العسكرية ولا يفرض نفوذه بالإقامة والتهجير والتملك وطرد أهالي البلاد الأصليين طرداً نهائياً . ولا شك كانت الأزمة الاسرائيلية من أخطر العوامل التي واجهت العالم الإسلامي والأمة العربية على مختلف المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكان لها أثر ودوى أيقظ النفس العربية للثاقلة وحركا في مواجهة خطر طامع يمكن أن يتمدد ويتسع نطاقه فيقضي على العروبة والإسلام جميعاً ويفرض في الأرض العربية والعالم الإسلامي قوة أشد خطراً من الاستعمار الغربي نفسه . ومن هنا فإن الآثار التي ترتبت على قيام اسرائيل في قلب الأمة العربية كانت بعيدة المدى ، تجلت بصور فواضحة في الثمر والنثر والفن وفي مجال البحث العلمي وفي المجالات العسكرية والسياسية والاجتماعية للأمة العربية ، ولقد زادت هذه الاعتبارات أهمية مع تضاعف الخطر الانرائيلي في مواجهاته العسكرية المتعددة ، مع الأمة العربية بحيث يمكن أن يقال أن هذا الخطر يمثل تحدياً خطيراً يحسب له كل حساب في حلاقات العالم الإسلامي بالغرب وفي مواجهة النفوذ الاستعماري الذي يتعرض له العالم الإسلامي منذ أوائل العصر الحديث ، وإذا كانت الأمة العربية قد استنطاعت بعد الحرب العالمية الثانية أن تخطو خطوات واسعة إلى التحرر من النفوذ الأجنبي وبناء قوتها الذاتية الداخلية ومحقق قدر كبير من التقدم العلمي والثقافي والاجتماعي فإن النفوذ الاستعماري الذي سحب قوات العسكرية ومظاهر نفوذه السياسي قد اختفى الآن من وراء الاقتصاد والثقافة . وعن

طريق الاقتصاد لمازال موارد الأمة العربية تحت سيطرة النفودالأجنبي والمحصلة منها قليلة، ومازال خاضعة لنفوذ الأسواق الأجنبية ومزماراتها .

أما من الناحية الثقافية فإن النفوذ الاستعماري ، قد وجد في هذا المجال سلاحاً خطيراً يقاوم به الانتماء العربي إلى الفكر الإسلامي والقرآن والإسلام والغة العربية والقيم الأساسية التي أقام بناءه الفكري عليها ، وقد اتخذ النفوذ الاستعماري من التبشير والتغريب والشعوبية والغزو الثقافي وسائل جديدة خطيرة خفية في سبيل تقويض هذه الروابط الأساسية بين الأمة العربية وتراثها الفكري وإثارة شبهات متعددة ومتصلة حول هذا الفكر الإسلامي العربي ، بالإضافة إلى تأريث الخلافات بين المذاهب وللذل وتعميق الفوارق للتصلة بالقوميات والأجناس والطوائف ، والحيلولة دون إذابة الطائفية والقبلية وتجميعها حتى لا يتم انصهار الأمة العربية في بوتقة فكرها الإسلامي الأصيل مع فرض تيارات فكرية غريبة متعددة . (وجودية وماركسية ورأسمالية) بحيث تظل الثقافة العربية مضطربة تعيش في متاهات ومصراعات ولا تنتهي ، وبحيث لا نجد ذاتها ولا طوابعها ولا مزاجها النفسي الأصيل وتنتهي إلى دوامة « الأمية » التي تقضي على شخصيتها وكيانها جميعاً . وهذا الغزو هو أخطر جوانب النفوذ الاستعماري في العصر الحديث وأشد حاجة إلى التنبه والاهتمام . ويضاف إلى هذا التحدي معضلة أخرى سياسية هي : —

هل فهم العرب الإسلام فهماً صحيحاً أم هناك عوامل كثيرة اليوم تحاول أن تحول بينهم وبين فهم الإسلام كما فهمه المسلمون الأولون وكما أنزل فعلاً . وأخطر ما في هذا الشأن تلك المحاولة الخطيرة من الاستعمار والتبشير والتغريب والشعوبية ولستشرقين جميعاً وهي محاولة تصوير الإسلام على أنه « دين » فحسب ، والأعضاء على دوره كنظام مجتمع ومنهج حياة ، ومحاولة وصفه بالروحانية ، وبأنه حلقة بين الإنسان والله وذلك لإقصائه عن مكان الحركة في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية . وهذا المفهوم في حقيقته مفهوم أوروبي أو غربي خالص ، وهو أبرز معالم الخلاف بين الفكر الإسلامي وبين الفكر الغربي ، ويترتب على هذا الفهم القاصر كثير من النتائج التي تعزل الإسلام كثقافة ومنهج حياة عن التربية والمدرسة والمجتمع . كما يؤثر هذا الفهم الخاطيء في كثير من القضايا الهامة كقضية الشريعة والقانون ، والربا والاقتصاد ، والدين والمجتمع ، والتربية والأخلاق والعلم والدين ، والعروبة والإسلام . وحقيقة الأمر أن الإسلام ثقافة شاملة كاملة متصلة تربط أجزاء

الفكر الاسلامي في وحدة كاملة ومركب جامع وحيث تقع السيادة والاجتماع والاقتصاد منه مكان
الأجزاء من الكل أو العناصر من المركب . لقد فصل الغربيون بين الدين الدولة وبين الدين والمجتمع
لعوامل كثيرة مختلفة أهمها أن الدين إنما جاءهم من خارج مجتمعهم فكان دخيلاً عليهم ولم يكن عنصراً
أساسياً في تكوين جذور فكرهم الوثني والأفريقي . وثانياً : لأن الدين توقف هندم وجد في مواجهة
حركة اليقظة ولم يتجاوب مع تقدم العلوم ، وحال دون نموها بالإضافة إلى أثره كؤسسة في تأكيد الانقطاع
وسلطة الكهنة والأمراء . أما اسلام فقد كان مصدر الدعوة إلى العلم والحضارة ، ومن خلال مفاهيم
القرآن بنى المسلمون « المنهج العلمي التجريبي » أساس الحضارة الحديثة وكان الاسلام ولا يزال
بمفاهيمه للبرهنة الحجة قادراً على التجاوب مع الحضارات والأمم والبيئات المختلفة ، والفكر الاسلامي في
أساسه الطبيعي يشمل على عنصر الدين مرتبطاً ومركباً مع مختلف عناصر الاجتماع والاقتصاد
والسياسة والتربية ، ولذلك فإن محاولة فصله عن المجتمع هي محاولة هزيمة ، فضلاً عن أن الاسلام ليس
ديناً لا هو تياً فقط وإنما هو دين ومجتمع وحضارة . « وما تزال الأمة العربية هي النواة الأساسية
للاسلام ، وهي القطب المغناطيسي للمؤمنين ، وإذا وصف بأنه قلب فإنه أيضاً رأس مؤثرة » وذلك
على حد تعبير أحد الباحثين الذي يرى « أن الاسلام يختلف في تاريخه وتوسعه عن بعض الأديان
الأخرى حيث أن معظم الأديان قد صدرت في موطن ثم هاجرت منه وهجرته كلية أو تقريباً حيث
انتشرت خارجه كالبوذية بالنسبة إلى الهند واليهودية والمسيحية بالنسبة لفلسطين ولكن الاسلام وحده
ينفرد أو يمتاز بأنه رغم أن انتشاره الأكبر يقع اليوم خارج وطنه الأصلي فازال وطنه الأصلي هو
أخصب حقوله » .

وهندنا أن ارتباط المسلمين بقبلة واحدة هي الكعبة منحه أرواحهم ما تزال هي نقطة الالتقاء
الروحي والنفسي والاجتماعي وسنظل منائر الأزهرو والقرويين من أهم مرصدا الأمة العربية الأساسية .
ولقد كان ظهور الجامعة الاسلامية كؤسسة سياسية على مستوى الحكومات في أواخر الحرب
العالمية الثانية عاملاً من عوامل التوحيد والالتقاء بالإضافة إلى أن الدعوة إلى الوحدة العربية قد لاسم
نطاقها بعد الحربين وأصبح لها مرتبطة بالجامعة العربية أثرها في مجال الفكر والثقافة والتعليم ، هذا
في جانب الدائرة العربية التي تقوم من خلال قاعدة الفكر الاسلامي والثقافة العربية ذات الجذور الوثيقة
بالقرآن والاسلام واللغة العربية والتراث والتاريخ الاسلامي العربي المشترك ، والذي لا يتبيل إلى
الانفصال عنه إلى دعوة قومية علمانية كما تحاول بعض الآراء وللذاهب — ولقد طغت موجة
الافليمية والانفصالية فترة طويلة على أقطار الأمة العربية وكان لها دوافعها وتحدياتها التي فرضتها

ظروف الاحتلال الذي مرت به وقد حاول كثير من الباحثين ، تكريس فلسفة للأقلية والانفصالية متصلة بالفرهونية والفينيقية والآشورية والبابلية وجرت محاولات لفلسفة أخرى قوامها وحدة البحر الأبيض ولكن هذه الدهوات جميعاً لم تلبث أن فشلت في تحقيق شيء ، فقد كانت التخليق والاصطناع واضحاً فيها جميعاً ولم تلبث الأمة العربية أن إنتقت على مفهومها الأصل القائم على الفة العربية والاسلام كأرضية طبيعية وكأساس ثقافي وفكري وكقدمة للقاءات واسعة على صعيد الفكر الاسلامي . وفي قائمة العالم الاسلامي إنتقت الأمة للعربية والدول الاسلامية في مؤتمرات متعددة عقدت في القدس ومكة وباكستان وأندونيسيا وغيرها وهي في مجموعها مقدمات هامة لازالة الفواصل بين الثقافات العربية والتركية والفارسية والهندية التي تلبع جميعاً من مصدر واحد هو (الاسلام والقرآن) ولذلك فهي مهما إنتست طوابعها القومية والاقلية فإعما ستمو في جو الوحدة والتجمع والالتقاء وستكون تعديبات الاستعمار والغزو الثقافي ومؤتمرات التغريب والشموبية دافعاً قوياً وحيثاً يصل الدائرة العربية بالدائرة الأفريقية في أفريقيا وآسيا . وتواجه الأمة العربية والثقافية العربية تعديبات واضحة نتيجة إفتتاحها على الفكر الديمقراطي الغربي والفكر الاشتراكي الماركسي ، وفي الأنصال بمختلف التيارات التي تحمل لواءها فلسفات الوجودية والعلمانية واللاذينية والإلحاد والأبادة وخاصة دعوة الثقافة الأمية بالاضافة إلى الخطر اللاتل في الصهيونية وآثارها في الفكر الغربي جميعاً ومحاولاتها التي أقومها بروتوكولات صهيون لتدمير المدينة وتحطيم البشرية وتحويلها جميعاً إلى خدسه قيادة فكرة يهودية تستعبد الانسان جميعاً .

كل هذه التيارات تواجه الثقافة العربية ، وتصارعها على نحو أشد مما كان ذلك في مرحلة الترجمة والنقل من الفلسفات اليونانية في القرن الثالث الهجري ، فقد كانت تلك حركة حرة إختيارها المسلمون وأتيحت لهم فيها فرصة الأخذ والرفض ، بينما تنال الثقافات الغربية المختلفة والمتصارعة اليوم في ظل النفوذ الأجنبي ومهما يكن من أمر فإنها ستمصهر في بوتقة الفكر الإسلامي والثقافة العربية لتندوب وتتشكل ويتحول الجيد منها إلى كياناتنا بينما تنقى مالا حاجة إليه خارجها كما هي دائماً طبيعة الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الإنساني والتعامل معه . خير أن ودوع الأمة العربية والعالم الإسلامي ، في هذه المرحلة تحت سلطان النفوذ الاستعماري والتغريب الثقافي سيظل مرحلة الصراع وسيشكل صورة غير صحيحة عن الفكر الإسلامي في هذه المرحلة تتطلب الجهاد بتصحيح المفاهيم حتى استطاعت أن تبلور فيما بعد عن الفكر الإسلامي بأصوله الأساسية وقيمه الأصيلة وهي منشعبة بما استطاعت أن تجده صالحاً من التراث الثقافي الغربي في مختلف فروعه وفنونه ومذاهبه . وستظل الأمة العربية هي

صاحبة القيادة الفكرية والتحديد الاسلامي ممثلة في حركته ومصلحيه من حيث أنها تنظر إلا الاسلام
نظرة أصيلة صليبية مستعمدة من القرآن نفسه ومن واقع الاسلام وجوهره الاصيل .

(٢)

تركيا : مقاومة الغزو الغربي

ولاشك كانت حركة مصطفى كمال نتيجة طبيعية للحركة التي بدأت بزعامه مدحت في
أوائل حكم السلطان عبد الحميد وخاتمة للدور الذي عاشته تركيا بين الدهوتين : الجامعة الإسلامية
الجامعة والطورانية . ذلك أن الدولة العثمانية كانت قد تعرضت في هذه للرحلة من حياتها الطويلة إلى
أخطار الشيخوخة في مواجهة أوروبا خصمها الأول الذي سيطرت عليه أكثر من أربعمئة عام . وكانت
دول أوروبا قد أجرت عشرات المحاولات للسيطرة على تركيا وتجزئتها ضمها الوزير دوجوفا في
كتاب له باسم « مائة مشروع لتقسيم تركيا » قال فيه إنه في خلال ستة قرون متتابعة كانت الشعوب
الأوربية تهاجم الدولة العثمانية وكان الوزراء ورجال السياسة وأصحاب الأفلام يهيشون برامج تقسيم هذه
السلطة « وقد أخذ هذا العداء بين الدولة العثمانية والدول الأوربية — بحق أو بغير حق — طابع
عداء بين الإسلام والمسيحية ، حتى كان الأوربيون يرددون دائما للطلابة يعمل مشترك لدحر الإسلام
على حد تعبير دوجوفا ، وبينما استطاع العالم الإسلامي أن يمتنع الجماعات المختلفة من أصحاب الأديان
والنحل والفرق والمذلل ، قاومت أوروبا المسلمين والعرب عن طريق الأندلس (أسبانيا للسلمة) وعن طريق
البلقان (تركيا الإسلامية) وقد شهد الأوربيون شهادة صريحة بالتسامح الديني العظيم الذي أولاه
الأتراك للمسيحيين والحرية الدينية التامة وكذلك الحرية للدرسية التي أتاحت لهم النمو والرفق . ولقد
ظلت بريطانيا وفرنسا وروسيا سنوات طويلة تعمل للقضاء على دولة الرجل للريض ، ونحو ذلك دون
قيام نهضة أو قوة في العالم الإسلامي من شأنها أن نجدد شباب الامبراطورية أن تبني دولة جديدة ،
ولذلك فقد عمدت إلى القضاء على الحركة الوهابية حركة محمد علي — وقد قاما في وقت واحد أو
متقارب في أوائل القرن الثامن عشر — وذلك رغبة في تمزيق كيان الدولة العثمانية والقضاء عليه .
وتفتتت أجزائها إلى دول صغيرة تقع تحت نفوذها ، وقد عمدت منذ وقت باكر إلى استقطاع الجزائر
ونولس ومصر وإقامة حكم خاص في لبنان — بعد أن أشارت بريطانيا وفرنسا (الموارنة والدروز)
إلى معركة دامية ١٨٦٠ كحلقة من حلقات هذا التمزيق للدولة الإسلامية الكبرى . وكانت أكبر

أل التزيق هي الواقعة بين الأتراك والعرب باعتبارهما العنصران الأساسيان الكبيران في هذه الوحدة، وكان الأقليات دور كبير في هذه المعركة الخطيرة من طريق الصحافة والمؤامرة وإثارة الخصومات، وكان الهدف الذي ترمي إليه القوى التي كانت تهاجم الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد وتدهوا إلى انفصال العناصر، إنها تهدف أساساً إلى تمزيق وحدة ذات طابع إسلامي تمتد عبر منطقة واسعة في سبيل مقاومة الغزو الأوروبي الزاحف، فلما ضعفت الدولة العثمانية استنطاعت القوى الأجنبية أن تسيطر في مختلف أجزاء الامبراطورية وأن تمهد لتحطيمها، أما في الدولة العثمانية فقد قادت جماعة «الدعوة» (اليهودية التي اسلمت تقية) في سالونيك قيادة هذه المعركة تحت أسماء مختلفة أهمها حركة حزب الاتحاد والترقي التي اتخذت من مفار الحافل الماسونية مراكز لها للعمل، وخلفت في فترة طويلة يزيد عن أربعين عاماً حركة ضخمة سداها ولحمتها الحلة على السلطان عبد الحميد واتهامه بالاستبداد. وقد حملت هذه الحركة الشموية الضخمة — التي كانت مصر أكبر مراكزها حيث كان البريطانيون يفتحون الأبواب لجماعات مختلفة من الدعاة وأصحاب الصحف من مختلف الأجناس والأديان ممن يجمعهم المراءى للإسلام والدولة العثمانية — لواء العمل لتحقيق أشياء كثيرة تحققت فعلاً بعد الحرب العالمية الأولى :

(أولاً) تمزيق الدولة العثمانية التي تمثل قوة إسلامية كبرى ونجدة لها في مسلمي الهند واندونيسيا ومختلف أنحاء العالم الإسلامي صدى وتأثيراً. (ثانياً) السيطرة على الأجزاء العربية من الدولة ووضعها تحت سلطان الاحتلال البريطاني والفرنسي. (ثالثاً) إقامة إسرائيل في فلسطين قلب العالم الإسلامي. ومن هنا فقد كانت خطة القضاء على الدولة العثمانية هدفاً أساسياً للقوى الاستعمارية والأقليات المختلفة الموالية لتنفيذ الاستعماري وهدفاً أساسياً أيضاً للحركة الصهيونية الوليدة التي عمدت إلى الاتصال بالدولة العثمانية وبالسلطان عبد الحميد بعد أن عقدت مؤتمرها الأول في بال ١٨٩٧ وحاولت أن تحصل على إذن بالمهجرة إلى فلسطين من طريق الاغراء بقرض قدره خمسون مليوناً من الجنيهات لتزينة الدولة العثمانية وهبة قدرها خمسة ملايين من الجنيهات لتزينة السلطان الخاصة. وقد كان موقف السلطان عبد الحميد مشرفاً بالغ القدر في الجرأة والصدق، فقد رفض ذلك العرض رفضاً تاماً وأعلن في كلمة خالدة له استحالة تحقيق هذا الهدف طالما هو على قيد الحياة. وقد تسكف للسلطان من بعد حين أسقط عام ١٩٠٩ أن واحداً من الذين أعلنوا إقصائه عن السلطة كان هو نفسه الذي جاء يعرض عليه ذلك العرض الصهيوني. وكان إسقاط عبد الحميد سنة ١٩٠٩ نهاية لنظام الجامعة الإسلامية الذي دها إليه السلطان عبد الحميد ونفذه في محاولة لتجميع الدول

الإسلامية خارج الدولة العثمانية في تجمع باسم الخلافة لمواجهة النفوذ الاستعماري الغربي الزاحف . وقد تحقق فعلاً في عام ١٩٠٨ د إعلان الدستور العثماني ، وظن المسلمون أن الدولة العثمانية تواجه عصرًا جديدًا يتحقق فيه مزيد من الحرية والمعادلة ، بيد أن النظام الذي قاوم وتوطد بعد عزل عبد الحميد إنما كان يمثل أنجحها مخالفاً للتيار الإسلامي ومعارضاً له فقد استهدف حزب الاتحاد والترقي الذي تولى السلطة منذ ذلك التاريخ إلى نهاية الحرب العالمية الأولى تنفيذ مخطط الجامعة العثمانية في محاولة لتتريك عناصر الدولة العثمانية ، ومن هنا فقد وقع الصدام بين المنصرين الكبيرين في المملكة وهم الأتراك حكاماً والعرب محكومين ، وتأججت حركة الدعوة إلى العروبة الجامعة في مواجهة محاولة إلغاء الوجود العربي عن طريق فرض اللغة التركية في الحاكم والمدارس في نفس الوقت الذي استشرت فيه الدعوة إلى إهلاك تاريخ طوران والاتفاص من تاريخ العرب والإسلام ، ولقد كانت هذه الفترة (١٩٠٩ - ١٩١٨) فترة حرجية حقا ، فقد غلب فيها الاتحاديون وأوجدوا بينهم وبين العرب ثغرة واسعة وحين أنجبه المانيون إلى ألمانيا وانضموا إليها في الحرب أنجبه العرب إلى بريطانيا وابعدوا إليها وبذلك تمزقت الوحدة العثمانية العربية وانتهت الحرب بهزيمة تركيا واستيلاء بريطانيا وحلفائها على الأجزاء العربية من الأمبراطورية والتنكر لعهود المعقودة بإقامة دولة عربية مستقلة . وقد كان من الطبيعي أن يمسك النظام كله بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية واحتلال الحلفاء واليونان لأجزاء منها ولما كانت الدول الأوروبية قد حققت بذلك القضاء على الدولة العثمانية وتمزيق أوصالها فقد بلغت من ذلك نهاية الشوط وهي تحويلها من دولة الخلافة إلى دولة علمانية لا دينية تنكر أسكل قيم الإسلام ومفاهيمه وأنظمت ، وذلك عن طريق الانقلاب العسكري الذي ظم به مصطفى كمال وسيطرة على كل مقدرات تركيا وصفى به جميع النظم القديمة .

ويمكن اعتبار الانقلاب الكيالي هو التطور الطبيعي لحركة الاتحاديين استمراراً للمخطط الذي جرى تنفيذه بعد سقوط السلطان عبد الحميد في تحويل الدولة العثمانية تحويلًا تدريجياً من دولة الخلافة والسلطنة الجامعة الإسلامية ورايطة العالم الإسلامي كله إلى دولة إقليمية ذات طابع عربي خالص ، فقد صارت الدعوة الإقليمية باسم الجامعة العثمانية اتجاه الوحدة الإسلامية الذي حمل لوائه السلطان عبد الحميد وانحذه سبيلاً إلى تجميع المسلمين في حركة واحدة لمقاومة النفوذ الغربي الزاحف . غير أن النفوذ الاستعماري كان قادراً — والدولة العثمانية في مرحلة الضعف — إلى القضاء على هذه الحركة وتمزيق هذه الوحدة .

كان دخول الدولة العثمانية الحرب في صف ألمانيا من العوامل التي عجلت بالقضاء عليها ، وتمزيقها

كوحدة مقاومة جامعة بين العرب والترك ، وكانت الخطوة التالية لذلك هي إلغاء الخلافة العثمانية التي كان يدين المسلمون بالولاء لها من خارج الدولة العثمانية . ومن حق أن يقال إن هذه الخطوة الحاسمة لم تتم طرفة وإتمامت على مراحل طويلة خلال فترة لا تقل عن خمسة عشر عاماً ١٩٠٩ - ١٩٢٤ وأن النفوذ الأجنبي قد أحكم العمل بالوقعية بين عنصرى الدولة العثمانية (العرب والترك) ودفع الانهاديين إلى مواجهة العرب مواجهة حادة بالمشاق والقتل مما فتح ثغرة لم يكن هناك من سبيل إلى أن نلتئم وبذلك تحققت خطوة أشد عنفاً حينما حارب العرب المسلمون والأتراك المسلمون في معارك متعددة على خط ممتد من مكة إلى دمشق ، وكانت الحرب لحساب الخلفاء الذين حلوا محل الأتراك في المناطق التي هزم العرب فيها ، وبذلك أسلم العرب أرضهم إلى بريطانيا وفرنسا بعد أن استخلصوها من الدولة العثمانية وذلك مؤامرة النفوذ الأجنبي البالغة الخطر . وقد كانت هناك آراء لها وزنها ترى أن الدولة العثمانية على ما هي عليه من الضعف ما تزال تمثل قوة وكياناً ضخماً قائماً في مواجهة النفوذ الاستعماري وأن من واجب العرب والترك أن يحفظوا هذا الكيان . حتى لا يسهل لإزدرادم فرادى ، ولكن الانهاديين ومن وراءهم قوى النفوذ الاستعماري وقوى القضاء على فكرة الجامعة الإسلامية والوحدة المشقة في الدولة العثمانية كانوا هم أداة تمزيق الرابطة بين العرب والترك . وإسلام هذه المنطقة إلى النفوذ الأجنبي كلية .

ومن هنا فقد كان من السهل وقد تحقّق هذا الجزء الهام من المخطط أن تحول تركيا العثمانية - دولة الخلافة ومقر قيادة الجامعة الإسلامية - في فترة قليلة - إلى دولة عدائية تشجب الإسلام وتتخلى عنه تجلياً تاماً في مجال القوانين ونظم المجتمع والحكم ، وتفتح أبوابها للتغريب والعلمانية في كافة صورها ، مخالفة بذلك أبسط قوانين التطور ونواميس التحول ، حقاً ، لم يكن هذا الانحطاط طبعياً ولم يكن العمل لتغريب تركيا قائماً على مراحل ، وإنما كان يتم تحت سلطة النفوذ العسكري للصارم والقوانين الاستثنائية المفروضة ، في محاولة قوامها الطفرة والعنف إلى تحويل أمة من النقيض إلى النقيض . حقاً ، لقد مرت الدولة العثمانية بفترة جهود وتخلف في مجال الثقافة والمجتمع كان مصدرها متصل بالجبرية التي سادت باسم الدين ، ولكن هل كان الإسلام في حقيقة مصدر للتخلف والضعف والهزيمة ، أم كان التخلف من مفهوم الإسلام الأصل القادر على الحركة والقوة والحياة هو سبب الهزيمة . لقد هزى إلى الإسلام ما أصاب تركيا من هزيمة وتخلف وضعف ، ومن الحق أن يقال إن تركيا تخلفت عن مفاهيم الإسلام في القوة والعدل والحرية ، منذ سنوات طويلة ، يوم تجذرت في حركة التقليد

والجبرية ، وهجرت عن مجارة الغرب في تقدمه العلمى ، هذا التقدم الذى كان مصدره العالم الإسلامى أساساً وكان قاذمه المسلمون أنفسهم أولاً . ولكن الأتهام وجه إلى الإسلام ، رغبة في تشويهه والقضاء عليه ، وخلق جو عام مسمم ضده فى العالم الإسلامى والبلاد العربية . وقد كانت الخطوات التى خطتها تركيا بعيدة الأثر فى مصر وأفغانستان وإيران والهند الإسلامية وفى كل مكان . فقد أتاحت الفرصة لدعاة التغريب وخدام الثقافة الغربية الاستعمار أن ينفذوا إلى مكان الصدارة وأن يضربوا المثل بتركيا فى مجال التقدم والنهضة . ولقد كان المفكرون المسلمون المخلصون فى أول الأمر يؤيدون النهضة التركية بحسبان أنها ستجمع بين قوة الغرب وطابع الإسلام ، وأنها ستشكل أولى مراحل اليقظة فى العالم الإسلامى وفق مفهوم النهضة من طريق نقل جوانب القوة الإيجابية فى الحضارة الغربية ، ولكن الأمر كان على عكس ذلك تماماً ، فإن تركيا لم تلتفت إلى جوانب القوة فى الحضارة الغربية ولكنها عمدت إلى نقل جوانب التحلل من الحضارة وحدها وكان أبلغ مظاهرها : تطبيق قوانين الأحوال الشخصية السويسرى وفتح أبواب المراقص وزواج المسلمة بغير الحلم ، وإلغاء المظاهر الإسلامية كلها ، وإلغاء الحروف العربية لغة التركية واستبدالها بالحروف اللاتينية وكتاباتها من الشال . وقد تأكد من عدد من المصادر الموثوقة أن تركيا قد نفذت فعلاً مخططاً كان مرسوماً لها فى المعاهدات التى عقدها مع الدول الغربية . والمعروف أن تركيا قبلت شروط الصلح الذى عقده الحلفاء معها فى لوزان عام ١٩٢٣ والمعروفة بشروط كرزى الأوبى وهى : (١) تقطع كل صلة بالإسلام . (٢) إلغاء الخلافة . (٣) إخراج انصار الخلافة والإسلام من البلاد . (٤) اتخاذ دستور مدنى بدلاً من دستور تركيا القديم . وقد استجاب مصطفى كمال لهذه الشروط ونفذها تنفيذاً أميناً ودقيقاً ، وكان فى تنفيذها أكثر من حاسة من الذين فرضوها عليه ، وكان هدف النفوذ الاستعمارى أن يتخلص نخلصاً نهائياً من أى بؤرة أو نواة لطابع الإسلامى أو للوحدة الإسلامية . ولكن هل من حق أن الانقلاب المفروض بقوة النفوذ العسكرية والقانون العرفى ووسائل الإرهاب والأهدام ، قد استطاع أن يحقق تحولاً جذرياً فى الأمة التركية بحيث نصى فيها على الإسلام . أن وقائع التاريخ كله منذ قام مصطفى كمال إلى اليوم لتدل على أنه كان نظاماً ملحوظاً مهزوماً قد واجه المعارضة من مختلف الطبقات منذ اللحظات الأولى وإلى آخر أيامه وكشف عن تهديدات خطيرة أبان عنها الأتراك المسلمون بمختلف الوسائل ، أولاً : بالتورات المتوالية عليه وثانياً : بالصمت وبالتصميم الجاهى الكامل على أداء فرائض الإسلام والتمسك بها ، فلما منحت الفرصة بمد وفاة أتاتورك تكشف الشعب التركى عن إيمان حقيق بالإسلام لم تزد هذه الحقنة إلا قوة وصلابة .

(٢)

حركة الانقضااض على الإسلام

كانت الدولة العثمانية قبلة المسلمين في العالم الإسلامي كله بعد مكة ، ولذلك فقد كانت هزيمتها في الحرب الأولى مصدراً من مصادر القلق في الهند وهر وأندونيسيا . ومن هنا فإن حركة مصطفى كمال لمحاربة اليونان الذي احتلوا تركيا وجدت من المسلمين تقديراً ومتابعة . وكان السكاليون قبل جلاء اليونان يتمسكون بالطابع الإسلامي ويستميلون المسلمين لتأييدهم بالمظاهر الإسلامية فقد اجتمعوا بالسيد أحمد السنوسي ومنعوا الحور والفجور ووقفوا المصاحف علامة على الدفاع عن الإسلام ، فلما بلغوا ساحل الأمان وانتصروا بإجلاء اليونان كشفوا خبيثتهم وهي السياسية اللاتسكية القائمة على التنكر الكامل للدين عامة والإسلام خاصة والأخذ السكالي بمظاهر الحضارة الغربية وإلغاء كل مؤسسات الإسلام ، وقد كان المسلمون خلال المرحلة الأولى يحسنون الظن بهم بحسبان أن حركة التمدن التركي إنما هي الحركة التي تعلم إليها المصلحون المسلمون وهي تقبل الحضارة الغربية على أساس من القيم الأساسية للفكر الإسلامي ، وقد مضى أتاتورك في خطواته على طريقة المراحل قبله بإلغاء الخلافة الرمنية وإنهتى بإلغاء الخلافة كليا .

وفيما بين ذلك أجرى هديداً من التغييرات التي كشفت عن معارضة كاملة للنظام الإسلامي ومن هنا تبين أن الأمر لم يكن حركة إصلاح وتطور من خلال إطار الإسلام وإنما هي عملية لإتقلاب شامل كامل وإنجاء إلى الغرب على النحو الذي كان يدهو إليه في تركيا أحمد غايك وزملائه حيث كانوا يدهون إلى تقبل الوجود الغربي تقبلاً كاملاً ترتبط فيه الحضارة والثقافة معا ، أي أن تصبح تركيا دولة أوربية في مختلف مناهجها وأنظمتها وقوانينها وتخرج خروجاً كاملاً من مجتمع العالم الإسلامي . وقد نفذ مصطفى كمال هذا المخطط كاملاً .

- (١) إعتاد القانون للدني السويسري وقانون العقوبات الإيطالي والقانون التجاري الألفي بدلا للشريعة الإسلامية (فصل الدين عن الدولة) . (٢) إلغاء الحروف العربية وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية ونصفية اللغة من السكليات العربية . (٣) الأذان باللغة التركية وترجمة القرآن إلى التركية . (٤) الأحد عطلة أسبوعية بدلا من الجمعة . (٥) إلغاء الطربوش وحجاب للمرأة . (٦) إلغاء وزارة الأوقاف والمدارس الدينية وحل منظمات الدراويش وغاق

مكايام . (٧) إحلال التقويم الأوربي محل التقويم الإسلامي . (٨) قبول نظم الحضارة بلا تحفظ . (٩) الانحياز نحو أوروبا والانفصال كلية عن العالم الإسلامي والعرب وآسيا . (١٠) إلغاء الخلافة . وقد كانت هذه الخطوات عنيفة عاصفة تحمل طابع الاستفزاز ويظهرها النفوذ العسكري الحاكم ، ولم تسكن تصدر عن تطور حقيقي أو تفاؤل أصيل ، وإنما كانت طغرية طاغية تهدف إلى الإسراع في تغريب تركيا . ومن هنا وقف العالم الإسلامي كله مذهولاً إزاء تحول الدولة التي قادت للمسلمين ستة قرون مرة واحدة إلى دولة غربية الطابع وكان لهذا التحول أثر بعيد المدى ، فقد إرغى العالم الإسلامي رجة عنيفة لالغاء الخلافة وقطع أوصال الرباط الذي كان يربط للمسلمين وقامت في الهند حركة عاصفة لتأييد الخلافة وعقدت مؤتمرات كبرى في الهند ومصر الحجاز . واتاحت فرصة هذه التصرفات لدهاء التغريب في مصر والعالم العربي فرصة إسباح التقدير والاهجاب على خطوات مصطفي كمال وتأييدها والدهوة إلى تقليدها غير أن الطريقة التي اتخذها مصطفي كمال أوجدت رد فعل عنيف بين المسلمين في تركيا الذين رفضوا هذا التحول رفضاً صامتاً . كما واجه المسلمون والعرب خارج تركيا هذه الخطوات بالنقد . فقد خلق أناتوك جواً من الاحتقار للعرب واعتبر الإسلام هرباً والنبي محمد عربياً ومن هنا حملت صحفه على العرب والإسلام ومحمد . فانتقلب ذلك التقدير والاهجاب الذي أسبقه للمسلمين والعرب على أناتوك أولاً نقمة وتقدراً . ومهما قيل عن أن مصطفي كمال كان مضطراً إلى ذلك اضطراراً في مواجهة إحسانه بأن العالم الإسلامي الذي عاشته تركيا العثمانية في سنواتها الأخيرة كان مصدر هزيمتها — مهما قيل في ذلك وهو بعض الحق فإن ما اندفع إليه لم يكن من عمل للمصلح وإنما هو عمل عميل التغريب الذي وكل إلى قوته العسكرية والدكتاتورية للفروضة أن تنقل دولة الخلافة إلى دولة أوربية خالصة حتى تعاد إلى أوروبا إلى أن على حدودها دولة لا تحمل من طابع الإسلام شيئاً . وبعد أن كانت الامبراطورية العثمانية هي الحصن الزماني التي تقف عند أسواره موجه التوسع الغربي للسبحي . أصبحت هي للعبر الأكبر لهذا التوسع . ولقد حلول بعض للمصلحين أن يردوا مصطفي كمال عن أنحيائه المصمم بإلغاء الخلافة وعن التحول وجهة الغرب كلية ، على أساس القول بأن الخطأ ليس في النظام ولكن في التطبيق ولكن الغاوي كان منصرفاً انصرفاً كاملاً عن الاستماع لأي وجهة نظر أخرى . وكان حريصاً على أن يقدم للغرب أعظم هدية وهي (إلغاء الخلافة) التي كانت في اعتبار المسلمين والعرب عقدة العلة والرابطة الوثيقة بحسبانها قوة حامية لهم في مواجهة الغزو الغربي .

ولقد أدت مختلف المصادر بأن مصطفي كمال كان يهدف إلى قيام دولة أوربية بكل معنى

الكلمة لا تسترشد في قوانينها وسائر أعمالها إلا بما يؤدي بالبلاذ إلى هذا الغرض . وقد جاء في بيان للغازى أنه تحقيقاً لذلك واقتداء بالأمم الغربية ولا سيما الجمهورية الفرنسية فقد تقرر فصل الدين عن الحكومة فصلاً تاماً وإلغاء الخلافة الإسلامية وإلغاء وزارة الأوقاف ومشيخة الإسلام والمحاكم الشرعية وإقرار قانون استعمال التقويم الغريغورى وعدم تغيير مواعيد العمل مدة شهر رمضان في مصالح الحكومة أو المدارس : مع اعتبار العطلة الرسمية يوم الأحد . « أونه لى يكون الترك أمة أوربية بمعنى الكلمة فقد تقرر أن يكون لأفراد الشعب التركى كلهم ثقافة واحدة هى الثقافة الغربية حتى لا تسكون هناك طوائف ذات هغليات مختلفة . وتوحيد الثقافة مبنى قبل كل شىء على توحيد التعليم فتقرر سياسة إلغاء التعليم الدينى وجعل التعليم كله علمانياً . وإلغاء جميع الطوائف والفرق الصوفية الإسلامية والكشائيب المدنية الإسلامية بدون استثناء وحصر تدريس العلوم الدينية في كلية اللاهيات بجامعة الآستانة دون غيرها » . وقد صاحب هذه الخطوات حملات عنيفة في الصحف التركية اتجهت أولاً إلى رسول الإسلام نفسه وجرت عادة توجيه خطابات مفتوحة إلى النبي ﷺ تحت عنوان (إلى حضرة محمد) .

وهذا نموذج مما نشرته جريدة (كنج دوشونجه ل) أى (الأفكار الفنية) بقلم قومندان أوغلى توفيق . أو نوفمبر سنة ١٩٢٨ و ٨ و ١٤ و ٢٢ : قال في ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨ ما يأتى : « رأيت يا رسول الله كيف كنت لا تمنعرج عن الاختصاص ببعض النسوة الأسيرات في كل غزوة تغزوها وأقررت المشايخ والخطباء على هذه الرذيلة بل كنت مصداقاً لقول أنكمهم يتواضع عاقد الأنكحة ، كيف لا ، وقد كنت إمامهم والقادة التى يتبعونه ، فهذا الرجل الذى لا يملك قوت يومه يتزوج لعدة نساء لأنك قلت له إن هذه سنة وصاحبه مأجور عليه فكنت بذلك سبب نكبة ملايين المائلات وانتشار ملايين الأطفال في الشوارع . وأنت أنت وحدك (والخطاب للنبي) سبب تحولهم إلى جناة وأشقياء وأراذل ونزاريين ، فهل ترتجف الكعبة كما ترتجف روحك من هول هذا . فلا قيمة للكعبة هندی إلا من حيث أنها ركام من أحجار وتراب يتآلف منها بناء عتيق ذو سقف أخنى عليه الدهر ولا أعتقد أنها ترتجف إلا برزلة أرضية » . وكان ختام الخطاب . . . « لقد خلصنا منك » . وقد أمضت هذه الصحيفة خمسة شهور في هذه الحملة . حتى أبريل سنة ١٩٢٩ ، وتناولت موضوعات واتخذت عبارات أشد عنفاً . ومن ههنا أن هذا الحامى المدافع عن الانقلاب التركى لم يلبث أن ضبط متلبساً بخريطة حربية أجنبية .

ويروى العلامة محمد هرة دروزه في كتابه تركيا الحديثة وكان قد أمضى هذه السنوات في تركيا

أنهم كانوا يلقنون الطالب بأن الثقافة والتقاليد الإسلامية هامن أسباب تأخر التركي وجوده . وما أصابه من كوارث وتعرضه من دسائس . وأشار إلى شعور المرأة التركية وبروزها إنما هم بدعوة ملحة تولاهما الزعيم وشجع عليها بكل وسيلة وكل مناسبة وكانت الدعوة عامة لم تقتصر على شعور المرأة التركية وبروزها بل شملت اندماجها في المجتمع واختلاطها على أوسع معاني الاندماج والاختلاط . وقد أشار مؤرخ الغازي (محمد محمد توفيق) أنه كان يقيم حفلات الرقص ويدفع الضباط دعماً إلى محاضرة الفتيات فإذا تراجعن قال لهم إنما هي أوامر عسكرية (يراجع النص) . وقد أدى ذلك - حسبما أورده دروزه - إلى تفسكك غير يسير في البليان العالي وخاصة في المدن الكبرى « وكان لمقتضيات البروز في اشتداد رغبة المرأة في التأنق والتبرج ولم يكن أثر هذا أقل في الرجل أيضاً . فقد كثرت حوادث السقوط والاندحور فإن المرأة التي ظلت سنين طويلة جداً محرومة من حريتها منطوية على نفسها قابعة في عزلتها والتي نالت حريتها فجأة قد دهشت ولا ريب وصارت في حالة ذهول ، ومن هنا فإن مئات الآلاف من الفتيات فقدن الاتزان وسرن في الطريق الخطأ واندفعن بدفعة السقوط . وأصبحت قلوبهن المتفتحة قبل أوانها كالنمرة التي فصدت ولم يأت وقت نضوجها : وقد كانت كانت للنشرات الفلسفية الوضيعة دوراً خطيراً في تقوية هذا التيار الجارف . فكلم صدر من مجلات وكتب وترجم من قصص لعبت فيها السموم ، وكلم اشترت الصحف من رسائل وكتابات ، وما نشرته من أحاديث في الصحف عن الرقصات وبنات الحانات ومن أخبار البغايا في حياتهن الخاصة من خفايا وأسرار بأسلوب مفر فاجر ودرع غرام وهش لفتياتنا » .

أما لبس القبعة فإن الجميع مجبرون على اكتساء القبعة . أما اتخاذ القانون المدني فقد كان له خطورته لاتصاله بحياة المجتمع التركي الاجتهادية والعائلية والشخصية والاقتصادية فقد هز الحياة هزاً عنيفاً لقيامه على أسس مغايرة للأسس التي تقوم على أن الحياة الاجتهادية . وقد مضى منهاج حزب الشعب الذي ألفه الغازي عام ١٩٣٧ على أن العلمانية (اللائكية) هي ركن من أركان مبادئه الحزبية ، ثم نص هذا الركن في صلب الدستور وفي عام ١٩٣٨ حذفت المادة التي كانت تنص على أن الاسلام دين الدولة . وقد فسر معنى « العلمانية » على أن تقوم قوانين الدولة وأنظمتها على أساس ما يقرره العلم والفن وينسق مع أصول الحضارة الحديثة ومقتضياتها . واهتبر « الدين » أمراً وجدانياً خاصاً بالأفراد . وأن فصل الدين عن أمور الدنيا والسياسة أمراً أساسياً . كما دها إلى صيانة الله القومية أي التركية عن تأثير اللغة والثقافة الأجنبية (أي اللغة العربية والفكر الاسلامي والثقافة العربية) .

وقد أشار واصف بك وزير المعارف إلى أن الإسلام كان عقبة في سبيل اندفاعهم نحو الحياة الجديدة وأنهم ساروا شوطاً ابتدأوه لهدم المدينة الإسلامية التي استعبدت وطنهم وحالت بينهم وبين ترقيته ، والإسلام في عبارة الغازي والحكومة التركية ووزير المعارف ليست إلا الصورة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية . أما الإسلام نفسه فقد كان بعيداً عن تقدير هؤلاء جميعاً ولم يكن هو مصدر الضعف والتخلف ولو كانوا هم جادين حقاً في خلق نظام اجتماعي إيجابي سليم في إطار الإسلام لمسا أعوزتهم الوسائل ولوجدوا من المجددين والمصلحين من يحقق إهداد هذا النظام . ولكن الكمالين في الحق كانوا قد قرروا قراراً لا رجعة فيه بشجب الإسلام أصلاً والدين بصفة عامة كأساس لنظامهم الجديد . وافترضوا اقتناهاً كاملاً بأخذ النظام الغربي . وكانت هذه في تقديرنا تجربة ضرورية بالنسبة للعالم الإسلامي وذلك حتى تنكشف التجربة عن فهم مدى النجاس والفشل الذي ساورها . ولمعرفة ما إذا كان العالم الإسلامي قادر فعلاً على الانسلاخ كلية من أنظمتها ومفاهيمه . أي من جلده ، لينصهر انصهاراً كاملاً في المجتمع الأوربي عقلاراً وروحاً . بعد تغيير أنظمتها وقوانينها وأساليب التعليم والتربية والتكوين الاجتماعي . ولقد أمضى مصطفى كمال (١٩٢٢ — ١٩٣٧) ، خمسة عشر عاماً كاملة يقود هذا النظام في حماسة خطيرة وينتقل به من مرحلة إلى مرحلة ، فهل حقاً تقبلت تركيا المسألة . « الأمة التركية » هذا النظام . أم أنه بقي أسير للعاصمة ودوائر الحكم والطبقات العالية التي تدور في فلك الحاكم الديكتاتور وتذهب له . الواقع الذي كشفت عنه التجربة أن ضمير الشعب التركي لم يستجيب لهذه الحركة المفتعلة التي خالفت المقومات الأساسية للأمة والقيم الأصيلة أفكارها .

وقد تبين تماماً أن هذا المنهج غير صالح للتطبيق . وأن طموح النفوذ الغربي في أن يجد من كل بلاد العالم الإسلامي تركيا أخرى قد باء بالخسران . بل إن الدولة التي طمرت حركة مصطفى كمال : كمصر وإيران وأفغانستان قد أخذت التطور والنقل من الغرب بشيء كثير من الخسر . بل إن مستشرقاً بعيد النظر هو « هاملتون جب » قد قرر في صراحة أن العرب لن يكرروا تجربة تركيا وأن لهم من حق إيمانهم بالإسلام ما يعصمهم من الجري وراء هذه الخطوة . ومن حق أن يقال إن نفوذاً هائلاً باسم الدين كان مصدراً من مصادر الضعف والتخلف ذلك هو عنصر الزوايا والتكليات والطرق والدرابيش وما اتصل بها من خطط خلقت جواً من الجبرية . وكان لها نفوذها في الحياة الاجتماعية والحياة السياسية جميعاً وهو ما هناك الكاليون بالغاه الطرق الصوفية وإلغاء وحظر كل أنواع الطرق ومشايعها وسلك وألقاب الدراويش والمرید والاسناد والسيد والعرافة والسحر والتحكيم وكنسابة النماويذ والأحجية والنظام وأعمال كشف الغيب وأخبار المستقبل . كل هذه الأشياء التي عناها

السكاليون بالإلغاء : لم تكن من الإسلام وإنما دخلت عليه ، وكان إلّاؤها عمل إيجابى حقاً . وهنا يكون الأمر هو أمر هؤلاء الذين تصدروا وتسموا باسم رجال الدين وليس أمر الدين نفسه . ليس الإسلام إذن هو الذى أخر تركيا ولكن المفاهيم التى فرضتها مرحلة الضعف . والمعروف أنه خلال هذه المرحلة جلب نفوذ الدراويش والصوفية على العلماء والقضاة والأئمة وآزروا السلاطين وحملوا لواء نرضية الشعب إلى نصراتهم . دون أن يحملوا لواء مناصحة الأمراء والحكام . وبذلك سيطرت مفاهيم « الجبرية » . مما أدى بالدولة إلى الضعف والتخلف . وذلك فى نفس الوقت الذى تخلفت فيه الدولة من ميادين القوة العسكرية بينما أخذت نظم الحرب ووسائل الدفاع تتقدم فى الغرب . وقد نشأ عن هذا التخلف الثنائى والانحراف فى مفاهيم الفكر الإسلامى موقفاً خطيراً . ذلك أن النفوذ الاستعمارى هاجم هذا الانحياز ونسبه جملة إلى الإسلام فى سبيل شجب مفاهيم الإسلام فى المجتمع والسياسة وكاملة وإحلال مفاهيم غربية خالصة وكان « للدعوة » دخل كبير فى الحركة الإصلاحية التركية التى حمل لواءها أدياء تركيا ومصلحوها أمثال : عاكف ونامق مما أدى إلى الانحياز كلية إلى المفاهيم الغربية . لقد كانت المحاولة أول الأمر تحمل طابع المقاومة للنفوذ الغربى عن طريق اقتباس بعض الأنظمة الغربية . غير أن الثقافة التى سيطرت على المدرسة العسكرية بالذات لم تلبث أن انجذبت بعيداً عن فهم الإسلام . وثبتت فكرة القومية بمفهومها الغربى فكانت نزعة طورانية تحولت إلى نزعة تركية خالصة على يد مصطفى كمال . وبالنسبة لمصطفى كمال بالذات فقد كان واحداً من أبناء المدرسة العسكرية التى كانت ثقافتها غربية خالصة . وكان الغاوى مقتنماً بضرورة الانحياز نحو الغرب والاقتباس منه فى التشريع والإدارة والثقافة والحياة دون تأثر بالدين واعتباراته وأحكامه . ولم يكن مصطفى كمال فى حياته الخاصة مستقيم السلوك فقد عرفت منه حياة مضطربة صارخة . وهوى بالسهرات الصاخبة الحافلة بالخمير والقمار . ولذلك فقد كان مندفعاً إلى هذا الانحياز . بمزاج نفسى بالإضافة إلى الظروف السياسية التى فرضت عليه بتوقيع شروط كرزى فى معاهدة لوزان .

وقد حاول الفرد كانتول سميت الدفاع عن مصطفى كمال ووصفه بأنه أراد أن يتخلص من قيود علماء الدين وأنه ظل مسلماً ، وكل الوقائع تكذب هذا القول . سواء فى حياة المجتمع العامة أو فى حياته الخاصة : وأن دفعه الفتيات إلى المراقص ومخاصرة الرجال وتحريرهن على الفسق لا يمكن أن يكون هادفاً إلى التخلص من وجود العلماء وليس ما تخلصت منه تركيا هو (الخرافة والجود) على حد تعبير سميت ، وإنما هو التخلص من جوهر الإسلام نفسه : وليس صحيحاً ما ذهب إليه سميت من أن الأتراك فى عهد أتاتورك « لم يكونوا مجرد مقلدين بشكل سطحي بل مساهمين فى هذه المدينة الغربية الحديثة وخاصة فى إعادة تشكيل بينهم »

والواقع أنهم لم ينتخنا أسلوباً تطورياً في النهضة بل تقلوا كل ما في أوروبا من فساد المجتمعات أو القوانين التي لا تنطبق على البيئات الإسلامية . ولكنهم لم يستطعوا أن يحققوا خطوة واحدة إلى الأمام في أي عمل حضاري أو علمي أو تكنولوجي يشاركون به الغرب في مجال الحضارة والعلم الحقيقيين . فهم لم يصبحوا سادة مصيرهم بل أصبحوا عبيد تقليد آخر . خاصوا من تقليد إلى تقليد وخرجوا من نظام مجتمهم ، ليس إلى تطور بل إلى تفهيد انقلابي خطير . نعم — كانت هناك — خصومة واضحة . وحقد دفين . ونحن باهظ في مقابل هذا الإجراء . ويرى ليريس ف توماس : أن القومية التركية هي نزعة عاطفية أكثر منها حقيقة علمية . وأنها ليست في الواقع سوى تقليد للقومية الغربية في كثير من وجوها .

ويعلق (هاجاج نوبس) على انتفاض تركيا على الإسلام ويربط بينها وبين إيران وأفغانستان ، ويتساءل هل هناك شعبية على الثقافة الإسلامية ويقول : الإصلاحات في تركيا تقع موقع التبول في طهران كما تأثر بها أمان الله خان في أفغان وأن لكل شعب من الشعوب التركية والبرانية والأفغانية مزاجاً من أقوى مقوماته : العناصر المستمدة من طبيعة الاقليم وشكل الحياة المساءة . وأن الثقافة في القرون الإسلامية الثلاثة الأخيرة كانت قد اكتسحتها العوامل العنصرية وأضعفت آثار الروح الإسلامية . ويتساءل هل العوامل العنصرية الآرية واللغوية هي المسكونة لمزاج هذه الشعوب . لأن الروح الإسلامية التي غمرت قلوب الأمم الإسلامية منذ ثلاثة عشر قرناً لم تنزل إلى اليوم روحاً أصيلة بأوسع المعاني مما قيل من أن الإسلام لم يتغلب على الروح العنصرية في كل من هذه الأمم . مهما قيل إن هذه الأمم ذات خصائص نفسية يختلف بعضها عن بعض . ومما قيل من أن الفرس منحدرين من الأصل الآري والترك من الأصل للغولي فإن أوروبا على اختلاف عناصرها ولغاتها لا تزال مستقلة بظل ثقافة واحدة هي الثقافة للسيحية . ويقول : إن الترك الواقع (إذ ذاك) بين السلطات والقوة العسكرية في أنقرة وطهران وكابل ، إنما هو هراك بين أفراد قلائل يريدون انتزاع شيء من قرارة نفسية الأمة ، أي من النواميس الاجتماعية التي لا تحارب ولا تعاند ولا تحول قهراً وأن هذه المحاولة تهدف إلى خلق روح المباحدة من أصول الثقافة الإسلامية والانفصال عن العرب فكرياً . ويصل السكائب إلى القول بأن برنامج « أنقرة — طهران — كابل » هو برنامج التنقيح عن الثقافة العربية الإسلامية . فهم يودون إحياء نفسية جديدة في الأمة بانتزاع نفسياتها الراهنة — ١٠٥ هـ . ومن حق أن مصطفي كمال كان واحداً من جيل استطاع النفوذ الغربي تسويته في العالم الإسلامي فخلد لواء الدعوة إلى التماس طوائمه ومناهجه وحاول أن يتخلص من نفوذ أوروبا السياسي بالخضوع لنفوذها الثقافي

والاجتماعى . واستأستطيع أن فوجد ما قام به أتاتورك في سبيل تحرير بلاده من اليونان . ولكن من الحق أن يقال إنه لم يستطيع تحريرها من العبودية للنفوذ الأجنبي فقد أصبحت به تركيا تابعة تبعية كاملة لأوربا كأنما هي ربيبتها ، وقد كانت بذلك أن تفقد كيانها القادى كامة مسلة لها طبيعتها التى لا تستطيع أن تفصل بين الدين والمجتمع . وقد بلغ الأمر بمصطفى كمال في اتجاهه هذا أن يقول : ليس لتركيا الجديدة علاقة بالدين . أو يقال عنه في الصحف المصرية التى كانت تنهيج بنصره بحاته مثل جريدة السياسة : أنه — أى مصطفى كمال — ألقى القرآن ذات يوم في يده ، فقال : إن إرتقاء الشعوب لا يصلح أن تنقيد بقواعد وقوانين سنت في العصور الاليرة . أو ينقل عنه قوله «إن حكومة الجمهورية أراحت أن يكون محور النفوذ الدينى من الشئون الصاملة كاملا» . ويمكن أن يقارن هذا بموقف مصطفى كمال في أول الحرب الأناضولية عندما أمسك بالقرآن وحرص الناس على الجهاد في سبيل إقراره . وقد هلى الغرب لخطوات مصطفى كمال وأيدها وألقت عنه عشرات الكتب بل مثاتها تعجد جرائته وخطواته القوية في سبيل القضاء على الإسلام حتى لنقول جريدة الطان (نقلا عن السياسة الأسبوعية في ١٥/١/١٩٣٧) :

« لقد لبنت تركيا الاسلام كنظام اجتماعى وكأس للسياسية والعدالة ونظم التربية ذلك لأن الاسلام الجمهورى — إذا أمكن وصف الاسلام كذلك — لم يبق بعد مذهب الدولة العثمانية . فقد حل محل الدين القديم . إن أول أثر للثورة السكالية في الدين هو حمل الناس على كسر أصفاد هذه الضلالات والأساطير . فقد اختفت الصلوات من المعاهد العامة وقلما تنص المساجد اليوم إلا أيام الأعياد أو في رمضان وقد طلبت بعض الصحف أن توضع في المساجد مقاعد كما هو الشأن في غيرها من المعابد الحديثة . وانتقدت بعضها عدم وجود موسيقى دلبية تحمل محل القرآن والآذان . إن الاسلام الجمهورى ليس إلا تقليدا ظاهرا للمغلية والمناهج الأوربية . والحق أن مصطفى كمال قد بلغ أقصى الشوط في مواجهة الماضى . واتخذ اتجاهها مأكسا ومضادا عاما لمفهوم الاسلام نفسه . ولو كان قد توقف عند مهاجمة الدولة العثمانية أو الخطأ الذى ارتكبه الخلفاء في فهم الاسلام لكان من حق ذلك . ولكنه انتفض لا على الخلافة أو الدولة العثمانية بل على الاسلام نفسه . فندد رجاله بالقرآن وسفوا القيم الأساسية للإسلام وفي مقدمتها: الرابطة الجدوية بين الاسلام والمجتمع . أو الدين والدولة وقد وجد النفوذ الأوروبى في هذه الحركة قوة له ونجربة وضعها أمام مختلف دول العالم الاسلامى غلنا منه أن كل هذه الدول ستجرى في نفس الشوط .

ولكن هذه التجربة نفسها كانت هاملاً هاماً في شجب هذا الانجاء أساماً ، ولم تلبث أن كشفت ، بل لقد كشفت في حياة أتاتورك نفسه — هن فشلها لولا أساليب القمع الشديد والإعدام بالجملة ، والنفوذ الذي كانت توري المؤيد بالقوانين العسكرية ، ولم تسكد نهض سنوات قليلة حتى حطم الأتراك نمائيله في كل مكان وهاجوا أنجاءه وانبعث الإسلام من قلب تركيا واضطرت الحكومة والأحزاب إلى الاعتراف بالدين وبالأحرى بالإسلام كقوة أساسية لها قيمتها ومكانها وفعاليتها في المجتمع التركي المسلم .

(٢)

التحول

هل صمدت تجربة مصطفى كمال لبقاء وهل استطاعت أن تدمر الإسلام في أعماق الأمة التركية والعالم الإسلامي ؟ من حق أن يقال أن الغازي ظل ساهراً على تجربته خسة هشر عاماً بقوة السلطة وسلاح الديكتاتور العسكري للمستبد ، غير أن نتائج التجربة في حركة مضادة لم تنتظر هذه الفترة لتكشف عن نفسها — بل أنها حاولت ذلك مرات متعددة في حياة الغازي وحكمه ، وهي تعرف مدى الخطر الذي يواجهها أو النتائج المترتبة عليها ، ولكنها كان لابد أن تعبر عن مقاومتها للنظام الذي وقع فرض واقعاً ضد طبيعة الأشياء مخافاً لمختلف القيم التاريخية والأوضاع الاجتماعية لأن لهذا النظام الذي لا يقوم على الجذور أو التطور الطبيعي أن يراجعه انتفاضاً عليه مرة ومرة . ومنذ اليوم وإلى اليوم الآخر فإن الإجراءات التي حاول مصطفى كمال فرضها لم تجد قبلاً صديقا من الشعب التركي ، ولم تجد صدى طيباً في العالم الإسلامي ، بل قوبلت هذه الإجراءات بالانتقاد الشديد والاستياء المر من أغلب الزمر والمجاط في تركيا .

وقبل مرور عام على إلغاء الخلافة وقعت الثورة الكردية (شباط ١٩٢٥) مطالبة بإعادة الإسلام يقول كرافتوفسكي : « اتهم النقاد مصطفى كمال بأنه كان عملاً بخمرة الحكم ، ونددوا بالأوباش الحفيريون الذين أحاط بهم نفسه واستنكروا حلقات السكر التي كانت تعقد في منزله السكائن في خفايا من أرض أنقرة ، كما طالبوا بالحد من سلطته ، وقد عمد إلى القضاء على المعارضة فأعلنت وزارة في صيف سنة ١٩٢٦ اكتشاف مؤامرة لاغتياله وبأشرت إلى اعتقال عدد لا يستهان به من شبان الأتراك السياسيين ومؤيدي السلطان الخلع وبعض المارقين من حزب مصطفى كمال نفسه وحكم على ١٨ من

الذين اعتقلوا بالإعدام وفرضت عقوبة النفي على الجنرال كاظم قره بكير (وهو الرجل الذي كان له الدور الفعلي في انتصار تركيا في معركة سقاريا مع اليونان) .. وسحق مصطفى كمال المعارضة وأصبح وحزبه سادة البلاد بلا منازع . ولم تتوقف المعارضة وظهرت حركات أخرى تعلن رفض الشعب التركن لنظام مصطفى كمال وإجراءاته . وكانت هذه المعارضة تقابل بالقمع العنيف ، وفي عام ١٩٣٢ قضى على مجموعة كبرى بلغت أكثر من ١٥٠ من أعلام الفكر ورجال الدولة في تركيا بالإعدام بحجة مقاومة الثورة الكمالية . وكان الغازي قد ظن أنه ثبت دعائم حركته فسمح بإنشاء حزب جديد ، فلم يلبث هذا الحزب أن ضم كل خصوم النظام القائم وبدأت معارضة واضحة لآرائه واتجاهاته حمل لواءها حزب النقشبندية وأدت إلى صدام مسلح دفعه إلى إعادة ضم قبضته مرة أخرى . ولم يقف أمام الغازي رجال الصوفية أو علماء الإسلام وحدهم ، بل لقد كشف المثقفون أيضاً عن موقفهم وعلى رأسهم دكتور فؤاد كوبرلي زاده مدير جامعة القسطنطينية الذي كتب في جريدة (حيات) التركية عام ١٩٢٨ وكان ذلك على أثر توغل حركات التبشير في المدن التركية . قال : ليس معنى حادث مدينة بروصة الخاص بانسلاخ الفتيات التركيات الأربع عن الجامعة الإسلامية والتحاقهن بالجامعة النصرانية بتأثير النصرانية التي تقوم بها المدارس الأمريكية في بلادنا وحدها ، ولكن الذي أعان على تنصيرهن عامل آخر عظيم الخطر وإن كان خطره غير ظاهر للابصار هو انحلال رابطتنا القومية منذ حين ، وبلوغنا في ذلك إلى غاية أصبحت في حكم الواقع ، أن من مظاهر انحلال قوميتنا سواء اعتقادنا بثقافتنا والدعاية التي تقوم بها للانسلاخ منها والتنازل عنها للذوب في ثقافة الغرب متجربين من شخصيتنا القومية وتقاليدنا الأهلية ، ومن المؤسف أن القائلين بتنقوص الشخصية الأفرنجية يدعون إلى ذلك باسم القومية ويلبسون لباسها المزيف . إن تركيا تعاني الآن أزمة يصح أن نسميها (أزمة الثقافة) إن إختلال التوازن بين ما نحن في حاجة إليه من التجديد وبين ما يدعونا إليه المجددون من نظريات فكرية قد نشأ عنه مرض في التجديد . ومن أعراض هذا المرض تهافت أنصار التفرنج على الدعوة إلى التجديد الظاهري في الأشكال والانخداع بالتغير المقصور على القشور ، ومن أبرع مظاهر هذا الانخداع بالظواهر ما يحاوله القائمون بالدعوة إلى ترك الكتابة بالحروف العربية والاستعاضة عنها بالحروف اللاتينية ، إننا ننسلخ الآن من المدنية الإسلامية لنذوب في المدنية الأوروبية فتواجه بهذا العمل خطراً عظيماً ، وأظهر سجية نشاهدها في أدياء التجديد

استخفافهم بثقافتهم القومية وإنكارهم ماضى أمتهم ، وقيامهم بالدعاية لثقافة أجنبية عنا من شأنها أن تجعلنا فى حكم الأمم المغلوبة على أمرها الخاضعة لأنظمة الاستعمار ، بينما الأمة التى تريد أن تكون أمة عصرية حقاً تحتفظ قبل كل شئ بثقافتها وكيانها ليكون لها بين الأمم شخصية قوية ، فعلى أمتنا أن تربية بنفسها أن تذوب فى المدنية الأوروبية ، إننا لم نأخذ من حضارة أوربا إلا القشور بل أخذنا القشور المخدرة التى انسلخنا بها من سجاياتنا وخصائصنا ، فنحن على خطر أن نذوب فى الأفرنج فتصبح أمة ممسوخة كهذه الأمم التى أصيبت بمرض الاستعمار وستفقد شخصيتها القومية ثم لا نظفر من حضارة أوربا إلا بسفاسفها « ١.هـ. وقد وجدت هذه المعارضة الوسيلة إلى إزالتها بالقمع ومواصلة الدعوة إلى « الأمجاد » التى حققتها حركة الغازى . وقد رافقت هذا الموقف مؤازرة كاملة من الصحف الغربية وتأييد شامل لإجراءات مصطفى كمال ، وكان ذلك طبيعياً من ناحيتين ، من ناحية تأييد هذه الخطة لما كان لنجاحها من أثر بعيد فى تركيز ودعم النفوذ الأجنبى ، والتغريب ، فى العالم الإسلامى والبلاد العربية بحسبان أن كبرى دول الإسلام ومعقل الخلافة والباب العالى ، ودار السعادة التى كانت متجه المسلمين ومصادر التوجيه لهم سياسياً واجتماعياً طوال القرون الماضية ، هى نفسها اليوم التى تحاول أن تفقد حركة التغريب . وكانت الصحف المصرية التى تتصل بحركة التغريب وفى مقدمتها الأهرام والسياسة والمقطم تؤازر الحركة وتحاول أن تفسر للناس هذه الإجراءات على أنها ليست هجوماً على الدين ولكنها تنحية له عن التفاعل فى المجتمع : تقول السياسة ١٩٣٦-١٠-٣ : « إن الجنوح عن المعتقدات والتقاليد القديمة هى أهم ما يميز الثورة الاجتماعية التركية والصبغة المدنية الحرة من كل أثر للدين ، هى أهم ما يقصد به قادة الإصلاح فى أنقره ، هم لا يريدون أن يمسوا الدين فى شئ ، غير أنهم يريدون أن يحرروا نظم الحياة الاجتماعية من المؤثرات الدينية » وكان التباهى عظيمًا بأنه « لآل مرة تعدل دولة إسلامية عن تطبيق الشريعة الإسلامية فى مسائل الزواج والميراث فتتقضى بإلغاء تعدد الزوجات وبالتسوية فى الميراث بين الذكر والأنثى واعتبار الزواج عقدًا مدنيًا محضاً » وترى جريدة الطان الفرنسية ١٩٢٦-٣-٢٣ : « إن أنساناً لم يجرو حتى يومنا هذا أن يناقش الشريعة فى مسألة : زواج مسلمة من غير مسلم » وهى حين تؤيد ما جاء بالذانون التركى الجديد من أنه يعجز زواج مسلمة من غير مسلم ، لا تلبث أن ترى مدى الأثر العكسى لذلك فى محيط الأمة التركية والعالم الإسلامى كله فتقول

ولا ريب أن أخلاق البلاد لا تجيزه حتى اليوم ، ذلك لأنه برغم الجمهورية ومبادئها ما زالت سريرة المسلم تأتي تمتع كافر بابنته أو بأخته ، والظاهر أن سواد الأمة التركية ما زال متشدداً في تلك المسألة ، فإذا كان التشريع الجديد بالنسبة للزواج المختلط خروجاً تاماً على الماضي ، فإن هذا التغيير لا يشمل سوى النص ولا يصل إلى القلوب . ولا ريب أن القانون الأخلاقي لأمة من الأمم يؤثر في مصائرهما بأشد مما يؤثر القانون الشرعي . وهكذا منحت تركيا العالم الإسلامي تجربة مفتوحة لتطبيق القانون الأوربي الغربي وإحلاله محل الشريعة الإسلامية وأتاحت فرصة الكشف عن النتائج المترتبة على ذلك ، والذي تؤكد كل المصادر والأبحاث أن قوانين الغازي لم تكن في الحقيقة إلا حبراً على ورق وأنها لم تفعل أكثر مما يفعله صاحب السلطان القوى في محاولة رسم صورة غير منبثقة من أعماق الإيمان الأصيل . وقد وجدت الحركة التركية تأييداً من بعض الصحف في مصر - إذ ذاك - ولكنه تأييد معروف المصدر ، فالصحف في هذه الفترة كانت أجيرة لأكثر من نفوذ ولكن كلمة حق كانت تتردد أحياناً فتكشف الحقائق كاملة . فإذا جاءت من كاتب - أتيح له أن يسافر إلى تركيا وأن يؤيد خطواتها فإن الأمريكيون جديراً بالاعتبار ، ويكشف الأستاذ محمد عبدالله عنان عام ١٩٢٨ (أى في مععان الحركة) كيف صكت المعارضة الشديدة سمع الحركة التي قام بها الغازي فيقول : تناول الانقلاب أسس المجتمع القديم كله (سياسية واجتماعية وروحية واقتصادية) وظهرت بوادر المعارضة مع ذلك . ولم يتسع صدر الجمهورية التركية لصوت يرتفع بالنقد والمحاسبة وسرعان ما لجأت إلى التشريع الاستثنائي وقامت محكمة الاستقلال بحجة الاستقلال المحافظة على سلامة الجمهورية وانتشرت أحكام الموت والأشغال الشاقة والسجن المؤبد هنا وهناك حينما ظهرت بوادر المعارضة ، على أن إخماد هذه المعارضة في المهد لا يعنى بأن هذه المعارضة ليست توجد اليوم في تركيا فهي قائمة ولكن في خفاء وصمت ، والرأى العام التركي لا يقبل دائماً كل المشاريع الجديدة بنفس التأييد والحماسة وقد تناولت حكومة أنقره بالمحو والتغيير كثيراً من الشؤون الدينية ، دعت من الفصل بين الدين والدولة وإلغاء الشريعة وإلغاء ما يتعلق بدين الدولة من دستور الجمهورية . ولكن حكومة أنقره أرادت أن تقوم بنبوءة جديدة وأن تخلق من شعائر الإسلام خلقاً جديداً فعهدت إلى لجنة من العلماء مما وصف بأنه اجترار على شعائر الإسلام ، وقد أنكر الرأى العام آراء لجنة تريد أن تلقى فروض الصلاة فيؤدى المسلمون

صلواتهم كما يؤدى النصارى قدسهم بغير الركوع والسجود ، وتغذو المساجد كنائس لا أقبل ، فلما حدثت الضجة تراجعت الحكومة وحاولت إخماد الضجة ، ربما كانت هذه خطوة أولى وتمهيداً لدعوة تشهر ضد الإسلام وتعاليمه وما زالت السيادة المطلقة تستند إلى القوة القاهرة ، فالقوة هى عماد الثورة التركية ، بل إن قواعد النظم التركية الجديدة ذاتها والأساليب التى أختيرت لتنفيذ هذه النظم تجعل من الصعب علينا أن نجد لها مكاناً بين النظم البرلمانية بل النظم الحرة على الإطلاق ، حيث تمتاز السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية فى الجمعية الوطنية التى تقوم على قواعد غير تلك التى تأخذ بها كل البلاد الدستورية ، تتولى بيدها فوق سلطة التشريع سلطة التنفيذ ، فتختار الوزراء وتعينهم وفيها وإليها يرجع القضاء ، فتشقى محاكم الاستقلال متى أرادت وتنتخب رئيس الجمهورية ، حزب واحد ، هو الشعب أو حزب الغازى ، وهو كل شئ فى الجمعية وخارج الجمعية يدفع رجاله إلى جميع كراسى الجمعية ولا يسمح لسواهم بدخولها وبلغاً فى ذلك إلى كل الوسائل . وما نظام أنقره إلا دكتاتورية عسكرية مقنعة تعمل باسم الشعب التركى ، وقد استطاع دعاة التجديد ، أن يسبقوا على المجتمع التركى العتيق كل مظاهر المجتمعات الغربية : ثورة الثياب ، وتعلم الرقص وكتابة الحروف اللاتينية وما يستطيع التشريع العنيف أن تنتزع فى بضعة الأعوام طبائع كونتها ورعتها القرون ، والتاريخ يعلمنا أن للشعوب خواص جنسية وأخلاقية لا يمكن محوها بضربة واحدة ولا غيرها سوى تطور الأجيال . لقد ظهر الشعب التركى فى مهاد العقلية والتقاليد الشرقية ، وخرج من أقفاص القفار الآسيوية مزوداً بخواص الجنس الآسيوى أو بالأحرى المغولى ، وأنفق الشعب التركى عصور المجد والانحلال كلها شعباً تركيا ، متمسكاً بخواصه وتقاليده ولم يندمج فى المجتمع الغربى رغم أنه نفذ إلى أوروبا واستقر فى شرقها عصوراً فهل يستطيع سادة أنقره أن ينزعوا بتشريع الأشهر ذلك الثوب الخالد « ا. ه. » وقد تنبه الدكتور هيكىل فى أغسطس ١٩١٧ إلى مفهوم الانقلاب القائم بالحكم العسكرى الصارم وليس بإرادة أهله ولا باقتناعهم فقال : إن أمراً يلفت النظر فى هذه النهضة التركية ويدفع إلى التساؤل عن مبلغ ثباتها وعدم تعرضها لرد فعل يعود بتركيا إلى ما كانت . ذلك أن هذه النهضة تبدو كأنها ليست أثراً محتوماً لتطور طبيعى ، وأنها مصنوعة على يد مصطفى كمال وأصحابه الذين فرضوها على تركيا عن طريق التشريع وألزموها

الأخذ بها بقوة القانون وبما وراء القانون من الجندى وسيفه ومدفعه فإذا حدث لسبب من الأسباب أن جاءت حكومة غير هذه الحكومة وألغت هذه القوانين ابتهج الناس إما ابتهاج بالعودة إلى سيرتهم الأولى . « ولم يجد هذا الإصلاح من يؤيده وينصره » . ولسبب بسيط يجهل الدكتور هيكل أن الذين أقاموا هذه الحركة سوف يحمونها طويلا حتى تؤكد الغاية التي ذهبوا إليها والتي ستظل ضرورة لبقاء نفوذهم في العالم الإسلامى وقد ذهب حكام أنقره إلى القضاء على مختلف صور الإسلام في البلاد ، بل أنهم أسلموا جامع أيا صوفيا إلى بعض المهندسين الأجانب لإعادته إلى صورته الأولى ، فأزالوا ما فيه من آيات قرآنية وأحاديث وكشفوا عما ستره المسلمون من صور القديسين والملائكة والصلبان ونحوها من نقوش المسيحية . ولم يكن ذلك في نظر كثير من الباحثين والمعلقين « إلا إنفاذا للمنهاج الذى وضعوه وأنهم إنما فعلوا ذلك تقرباً إلى أوروبا النصرانية التي التزموا محاكاتها في كل شئ » . وكانت هذه الأعمال تدفع إلى مزيد من حركات المعارضة والانفجارات التي كانت تقمع بشدة ، ولكنها لم تكن تنتهى حتى كانت تعود مرة إلى الاختفاء في أعماق الأمة منتظرة فرصة أخرى لتعلن عن نفسها . وقد جرت في العالم العربى تساؤلات كثيرة في ظل الدعاية التي بثها أولياء النفوذ الغربى ودعاة التغريب حول ما إذا كان على البلاد العربية ومصر بالذات أن تقتنى أثر تركيا ، ، وكان رأى العام الإسلامى قد بدأ يتطلع إلى مصر بعد أحداث تركيا بحسبانها قلب العالم الإسلامى وليتخذ منها « مركزاً لحركة الجامعة الثنافية الإسلامية العامة » كما كان يطلق عليها حيث « لم يزل العالم العربى الآسيوى الإفريقى من أعالي الموصل إلى غربى مراكش ينظر إلى مصر نظرة المهتدى المسترشد ويهتم بها ويعطف بكل جوارحه على نهضتنا السياسية ويقرأ ثمرات مطالعها وصحفها كل هذا اعتقاداً أن مصر هي أحسن معتقل للإسلام وأحرز للشرع الحنيف » . وقد تناول في الإجابة على هذا التساؤل عدد كبير من المفكرين العرب في مصر وسوريا وتونس . أما دكتور عبد الرحمن شهنيدر فيقول : إن الأمة الحية هي كالشجرة الناضرة لها جذور في الأرض من تراث الآباء والجدود ونحن مهما كرهنا الجمود وسئمنا التعفن والركود فلا نريد بوجه من الوجوه أن نجارى القومندة العسكرية في تركيا فنقطع هذه الجذور ونعرض الشجرة كلها لليبوسة والذبول ، وإنما مع أنصار الإصلاح الاجتماعى والتجديد الصحيح على أنواعه ولكننا من أعداء قطع الاتصال بالماضى فنحن أبناء السلف وآباء الخلف وأصولنا ثابتة في الأرض وفروعنا باسقة في السماء » ويرى

فريد وجدى « أن محاولة الاقتداء بالأُم لا تنتج أثراً محموداً لأن كل مافى الأُم هو ثمرات نفسياتها فإذا ساق المجتمع الطالب للاقتداء في مظهر من مظاهرها وأراد تحقيقه أعوزته العوامل ويرى الأمير مصطفى الشهابى أنه من حيث الدين فقد غلا الترك فخلقوا قومية لا دينية ومنعوا تدريس العلوم في المدارس الرسمية وتبعوا خطأ البلاشفة تقريباً ، ومن البلى أن الشرق العربى لا يمكنه أن يسير في هذا الطريق لأن القومية العربية والدين الإسلامى يمشيان جنباً إلى جنب ، ولو اقتصر أعمال الترك في هذا الباب على إصلاح بعض التكايك والزوايا والفرق الدينية لكان في تلك الأعمال نفع لا ينكره العقلاء أما الكفر والزندقة والمناداة في المجالس الخاصة بعبادة الذئب فجهاالات يأسف لها عدد كبير من الترك أنفسهم . » ووصف عبدالعزيز الثعالى الحركة الكمالية بأنها « ليست نهضة شعبية بالمعنى الصحيح يمكن أن تستهوى أخيلة النقاد الاجتماعيين وتستغرق مقاييس الفقهاء المشترعين بل هي نزوة ديكتاتورية في أمة مستقلة أنهكتها أنواع الحروب الداخلية والخارجية » . هذا وقد صدقت توقعات الباحثين جميعاً الذين أجمعوا على أن هذه الحركة هي من صنع رجل واحد وأنها تشق طريقها ضد التيار ، وأنها لن تلبث أن تسقط بسقوطه ، ذلك أنه ما كاد الغازى يصاب بانفجار في المخ ويختفى من الواجهة عام ١٩٣٩ حتى أخذت السفينة تتحول تدريجياً عن مجراها المنحرف وتتجه شطر الإسلام بتأثير مبادئه الراسخ في قلوب الشعب . وتوالت منذ ذلك الوقت حركات التراجع عن الخطوات العصبية التي انساقَت إليها ، وإذا كانت هذه الحركة قد أمضت ربع قرن ثم لم تجد لها إحساساً بالإصالة أو الاستقرار ، فإن ذلك يعنى بحق أنها لم تكن أصيلة المجرى ولا متجهة إلى الطريق الصحيح . وقد زار محمد التابعى تركيا عام ١٩٤٦ بعد وفاة الغازى بسبع سنوات فلم يجد عبارة يصف بها المجتمع التركى الذى خلفته حركة مصطفى كمال أبليغ من هذه العبارة : « تركيا تعاني آلام المخاض » يقول ، « ما زالت تركيا وبعد ربع قرن من حكمها الجديد تعاني آلام المخاض لأنها لم تلد بعد مولودها الجديد الذى مناهى به أو منى نفسه به باعث نهضتها أتاتورك (مصطفى كمال) . لقد ألقى أتاتورك بحجرة قلم السلطنة ومن بعدها الخلافة ، وفي فجر أحد أيام ١٩٢٤ تسلل آخر خلفاء آل عثمان عبد المجيد من قصر ضوالة بغجة على ضفاف البسفور ، ومن ورائه أحد الأغوات المخلصين يحمل في يده حقيبة متوسطة الحجم ، وتوالت بعدها قوانين وأوامر الغازى أتاتورك » . والتاريخ وحده هو الذى يحكم

هل أصاب أتاتورك أو أخطأ في تقدير الحساب ، وألغيت الخلافة ، ثم فرق بين الدين والدولة ثم حوِّب أو على الأقل نوهض الدين الإسلامى فألغت الحكومة الأوقات الخيرية وصادرت أملاكها وأموالها وأموال صناديق النذور وأضرحة أولياء الله ، ثم جعلت الزواج عقداً مدنياً صرفاً لا فضل للدين فيه ولا للمأذون وجاز بعدها للتركية المسلمة أن تتزوج برجل من أى دين من الأديان ، وأصدر أتاتورك منشوراً أهاب فيه بنساء تركيا أن يخلعن الحجاب وأن يسفرن لدى العالم وجوههن وأسفرن نساء تركيا . واتجهت تركيا إلى أوروبا وسنت القوانين والنظم ما يكفل جعل تركيا الحديثة قطعة من أوروبا لا جغرافياً فقط بل معنوياً ونفسانياً، فاستبدلت الحروف التركية الأصل بالحروف اللاتينية ، وحوِّب كل شيء عربى شرق أو من أصل عربى شرقى ، ووضعت مكان بك وباشا (مسيو ومستر) إلى هذا الحد فى الإغراق فى الأوروبية أو بالحرى على سنن الغرب سار الأتراك الآن بعد نحو ربع قرن يتسائل الباحث : هل المرأة التركية سافرة أم محجبة ، لا هذا ولا ذاك . أما فى المدن فالمرأة سافرة ، أما فى الأناضول فى القرى ، فى سفوح الجبال وبطون الأدوية فلا تزال كما كانت على عهد السلاطين ، ويحيط برأسها ووجهها قناع من الشاش الأبيض أو الأسود . هل تركيا اليوم مسلمة أو مسيحية أو ملحدة ، لا هذا ولا ذاك ، وتستطيع أن تقول إن شباب اليوم فى تركيا لا دين له أما شيوخي وفلاحوه فما زالوا مسلمين . « واللغة والكتب والصحف تطبع بالحروف اللاتينية ، والمدارس تدرس بالحروف اللاتينية ، بعد أن نحيت الكلمات التركية القديمة لتحل محل الكلمات العربية الدخيلة ، أما تركيا المدنية فهل هى ديمقراطية أو أتوقراطية أو ديكتاتورية : لا هذا ولا ذاك . ثم إن هناك معارضة أخذت تنمو وتشتد ، نلمس الآن فى تركيا تبرماً ولعله نفسانى معنوى أكثر منه مادياً ، والسبب عدم الاتساق وعدم الانسجام بين الماضى والحاضر ، وبين القديم والجديد ، فتركيا بعد أربع وعشرين عاماً لا تزال تعاني آلام المخاض لأنها لم تضع بعد مولودها الجديد » . ولم تلبث أن توالى نذر التحول فى عام ١٩٥٠ تزعم التيجانيون حملة ضخمة ضد أتاتورك وأعماله وحطموا تماثيل « منشئ تركيا الحديثة » ووزعت نشرات تحض على معارضة سياسة أتاتورك ومخاضة كثير من المبادئ التى يعتنقها رجال الحكم فى تركيا ، ثم تطورت الحوادث ، وعرف المراقبون أن شدة تدين الشعب التركى ما تزال ذات فاعلية وأن جماعة التيجانية - بعد جماعة النقشبندية - التى تولت قيادة الحركة هى فرع من الطريقة الإسلامية الكبرى التى تنتظم أغلب العالم الإسلامى وعلى الأخص الجزائر . وقد حاولت

الدولة التركية أن تتمحل الأسباب لهذه الحركة المضادة ولكنها غفلت عن المصدر الأساسي لها ، وقد علق عباس محمود العقاد على هذا التحول فقال إنه يرجع إلى سبب أعمق من جميع الأسباب ، فهو مظهر من مظاهر الاحتجاج على حركة الفرنجة والاستغراب التي فرضها مصطفى كمال فرضاً على الأمة التركية ، فالإجماع على معارضة هذه الحركة كامن في الوعي الباطن من أعماق الأمة التركية ، وقد اقترن ظهور التنفّرج والاستغراب بظهور الحركة الطورانية في وقت واحد ، ولعل تفسير الحركة الطورانية بالاتجاه إلى الغرب هو أعجب تفسير عهده الناس لحركات الشعوب في العصر الحاضر ، وغير قليل منها مدسوس على الحركة عن قصد وتدبير وكانت مدينة سالونيك كعبة الدعوة الطورانية أو كعبة المدرسة الفلسفية التي تبشر بها وتلتئم لها الذرائع في العلم واللغة ، وفي سالونيك يقيم (جوك الب) فيلسوف الحركة ، وسالونيك مدينة تغلب عليها الصهيونية واتباع شبتاي زيفي الذين دخلوا في دين الإسلام وبقوا في عزلتهم الدينية باسم الدعوة ليعملوا في البيئة التركية . وقال العقاد : « إن اتباع الطريقة التيجانية جادون في إعادة الصبغة الإسلامية إلى الحكومة وأنهم يتفصّون آثار مصطفى كمال فيحطمونها ومنها تماثيله في الميادين ، وأنهم دخلوا ساحة المجلس الملى الكبير وأذنوا للصلاة باللغة العربية وقالوا إن هزيمة حزب (مصطفى كمال - عصمت آينونو) ترجع إلى جهود هذه الجماعة وتضافر دعائها على التشهير بذلك الحزب » . وليس كتاب المسلمين والعرب في مختلف أقطارهم ، هي الذين عارضوا حركة الغازي ، ولكن المراقبين الغربيين المنتصفين كانوا على ذلك الرأي وفي مقدمتهم فرنان ويلي الذي يرى « أن النفوس لم تكن مستعدة لمثل هذا الانقلاب الشامل لذلك كان مصطفى كمال كى يتمكن من فرض مشروعاته الإصلاحية مضطراً لأن يمارس حكماً ديكتاتورياً ثورياً حقيقياً طوال حياته وكان حزباً واحداً هو الحزب الجمهورى كان مسيطراً على الجمعية الوطنية ، وكانت السلطة التنفيذية تطفى على التشريعية ، وإذا نظرنا إلى مثل هذا النظام من الناحية الأخلاقية نجده مشوباً ببلطخات مثل محاكمة الديمقراطيين والقمع الوحشى لثورة الأتراك » . ويتساءل : هل خضع الديمقراطيون لحكم غابت فيه الحرية على الرغم من المحاكات التي لفظت عام ١٩٢٦ أحكاماً بالإعدام والإبعاد لعشر سنوات » . وقد كانت معارضة المفكرين المسلمين والعرب منصبة على أن الحركة التي قادها الغازي لم تكن هادفة إلى الثورة على مشايخ الطرق وحدهم ولو فعلت لما أنكر عليها أحد - على حد تعبير السيد محب

الدين الخطيب، ولكنها كانت ثائرة على «العقيدة» نفسها، تريد أن تقتلعها من الأمة التركية تدريجياً وكل حركاتها وسكناتها ترى إلى ذلك ، ومن الحق أن يقول : إن التغيير الذى أدخلته القوة فى أوضاع تركية وهدمت به ركناً من الإسلام ليس فيه أدنى ضرورة ولا يقاس بما أجازه الأوروبيون تحت قاسر الضرورة ، والواقع أن أوروبا لما أن تستن من القوانين ما تشاء وهى بهذه القوانين لا تكون مخالفة للإنجيل ، لأنه لا يضم شيئاً من أمور المعاملات المدنية ، هذا بخلاف القرآن الذى شرع للدين والدنيا معاً فلا يقاس أحدهما بالآخر . وليس ما أخذت به تركيا فإن القوانين الأوروبية وفى مقدمتها القانون السويسرى الذى أخذت به تركيا مأخوذ من القانون الرومانى ومن الاصطلاحات التى أقرتها الكنيسة وكلها قديم فى قديم ، وهذا هو وجه الخلاف ، وهذا هو ما يرضى أوروبا ويجعلها تقف موقف الدفاع والتأييد لحركة الغازى وبعد ، فإن الروح الإسلامية تجددت مرة أخرى فى تركيا وانتقل الزمام ١٩٥٠ من حزب مصطفى كمال ، وسمحت السلطات الجديدة للمسلمين الأتراك بالأذان باللغة العربية وباستعمال اللغة العربية قراءة وكتابة . ويحقق تساؤل المؤرخ « توينبى » الذى شك منذ اللحظة الأولى فى جدوى حركة الغازى حين قال : « علينا أن نسأل أنفسنا ما سيكون مآل إدخال هذا المثل السياسى الغربى ذى العاطفة الضيقة فى عالم إسلامى تقضى تقاليده السالفة باعتبار كل المسلمين إخوة بسبب دينهم المشترك رغم مرونة العنصر واللغة والمنبت » . وقد اتسعت فعلاً تلك الحرية التى تعمل على مقاومة روح التغريب السائدة فى تركيا والعود إلى تعاليم الإسلام ، ذلك أن وباء التغريب لم يصب إلا المدن الكبرى والطبقات العالية ، هذه الطبقات التى أخذت تقاوم حركة العودة إلى الإسلام وتعتبرها رجعية ، وقد أكدت هذه النقطة العجيبة على أن الحركة التى قادها مصطفى كمال كانت طفرة ، وكانت ضد طبائع الأشياء فالعالم الإسلامى متقبل ومرحب للتطور والحركة والنهضة والأخذ من الحضارة الغربية ما يدفعه إلى القوة والحياة ولكنه يلفظ كل حركة تحاول أن تخرجه عن مقوماته . لقد تحولت الصورة على نحو مشير ، كشف عنه كثير من الكتاب الذين زاروا تركيا - وهذا تقرير محمد حسنين هيكل عام ١٩٤٩ : « لم أشهد قوة الإيمان بالدين فى بلد إسلامى شرقى كما شهدت فى تركيا ، وربما كان سبب التعصب هو محاربة الحكومة التركية له بكل الطرق وليس هناك بلد شرقى إسلامى لا يذكر أهله القرآن إلا بقولهم « حضرة قرآن كريم » إذا سمعوا القرآن فى أجهزة الراديو أطفأوا السجائر وخلعوا

الأخذية وتربعوا على مقاعدهم . هذا كله برغم الحواجز والعراقيل والحرب التي أعلنت على الدين حتى فرضت الحكومة أن يردد الآذان للصلاة باللغة التركية - يقول المؤذن « الله أكبر » باللغة Tanre uludur العربية وبالحروف اللاتينية ، والخطيب يلبس القبعة ويدخل بها المسجد ثم يخلعها ويضع عمامة ، والمقاومة السلبية التي قام بها الشعب التركي لهذه السياسة مقاومة بديعة رائعة ، لا تدخل بيتاً في تركيا حتى تجد المصحف موضوعاً في أعلى مكان فيه ، ولا تتركب سيارة تاكسي يملكها مسلم أو يقودها حتى تجد آية قرآنية بخط عربي جميل ، ولا تدخل متجرأ حتى تقابل نفس الشيء ، ولا تدخل مسجداً في استانبول (وفي استانبول ألف مسجد) حتى تجد الحلقات غاصة بالمصلين . ثم بدأت المقاومة تأخذ شكلاً عملياً ، كان خطباء المساجد يصعدون إلى المنابر ويبدأ الحديث فإذا كل ما يقولونه ينصب على حكومتهم ووصفها بأنها حكومة كفار ، وبدأت روح التدمير وإذا بمشورات دينية توزع في الطرقات ، ثم رأت الحكومة أنه من الخير أن تسمح بإصدار المجلات الدينية ، فبدأت ستة عشر مجلة دينية تظهر ، وبدأ الاكتتاب لبناء مسجد ، وفي أوساط الفلاحين في الأناضول : سلطان الدين هو السلطان . معظم الناس حتى الآن لا يستعملون الحروف اللاتينية بل العربية ، بها يكتبون وبها يقرأون القرآن حتى الأطفال الذين يزيد عمرهم على خمس سنوات . وفي أنقرة تجديبوتاً كثيرة تنتظر موعد إذاعة القرآن من محطة إذاعة القاهرة ، وتجد حلقة كبيرة منعقدة حول الجهاز الذي ينبعث منه القرآن خافتاً مرتعشاً بتأثير ضعف محطة القاهرة . ونوع آخر من المقاومة : ذهب أحد المسلمين إلى المجلس الوطني يوم انعقاده وفجأة من شرفة الزوار نهض أحدهم وصاح مؤذناً باللغة العربية بأعلى صوته وهجم الحرس يلقون القبض عليه فنهض زميله ليكمل الآذان وألقى القبض عليه فاندفعت طائفة أخرى فأكملت الآذان . وفي اليوم التالي شهدت شوارع استانبول منظراً فريداً ، حيث ذهب عدد كبير من أئمة المساجد والخطباء والمؤذنين وكان كل منهم يبحث عن جندي بوليس يعثر عليه فيقف أمامه ويصيح : الله أكبر وتكرر المنظر في يوم واحد خمسين مرة . وقدمت الحكومة الذين أذنوا إلى المحاكمة والسجن أربعين يوماً ، أما هذا العدد الأكبر من الناقمين فأُحيلوا إلى مستشفى المجاذيب . ورأت الحكومة أن الحالة ستطول وتتحول إلى حركة خطيرة . فتقدم بعض النواب بمشروع لإدخال التعليم الديني اختيارياً في المدارس الابتدائية . وكانت قد طمست بعض الآيات القرآنية باللغة العربية البالية على بعض المستشفيات من عهد السلاطين فعادت ورفعت الطمس وأظهرت

الآيات وجددتها بماء الذهب ، وكانت قد أغلقت قبور الأولياء حتى نوافذها سدت بألواح عريضة من الخشب فعادت أخيراً وفتحت النوافذ . جاء هذا بعد أن ظهر جيلان أو ثلاثة أجيال على درجة مخيفة من الإلحاد. إن الهوة التي تفصل الأجيال القديمة والأجيال الجديدة الملحدة هوة سحيقة وهي من أعقد مشاكل تركيا . ومسجد آيا صوفيا في تركيا تحول إلى كنيسة .. لقد جاءت الثورة التركية وقررت الحكومة أن لا يصبح مسجداً ولا كنيسة بل يصبح متحفاً ، الصلوات لا تقام فيه ، وكانت تغطي جدرانه الآيات القرآنية بالذهب وقد تبارى السلاطين في إهدائه المنابر ، ثم تقدمت جماعة أمريكية وقالت : إن متحف آيا صوفيا يخفى تحت الآيات القرآنية وتحت نقوشه الإسلامية آثار بيزنطية نادرة قديمة وإنها على استعداد للكشف عن هذه الآثار . ووافقت حكومة تركيا فأزالوا النقوش الإسلامية والآيات القرآنية وظهرت صورة تمثل أحد الأباطرة البيزنطيين يحمل في يده الصليب وفوقه مباشرة الآيات القرآنية . وبعض أهالي تركيا المتدينين يقبلون على زيارة آيا صوفيا ليتنسوا العهد القديم وبعضهم يحلوا لهم أن يصلى الجمعة خلصة في هذا المتحف الغريب الذي يتحول إلى كنيسة ، فإن البعثة الأمريكية أزالوا نصف المعالم الإسلامية في مسجد آيا صوفيا لتظهر الآثار البيزنطية للدرجة أن مدخل المسجد القديم أزيل ما كان عليه من آيات قرآنية فظهرت تحتها صورة للعناء المقدسة فوقها مباشرة الآية الكريمة « إنما يعمر مساجد الله » ولا يحتاج الزائر إلى حدة بصر غير عادية ليرى الدموع في مآقيهم أسى وحسرة على المسجد الشهير في تاريخ الإسلام الذي يتحول إلى كنيسة في ظل حكومة تحكم شعباً كاملاً من المسلمين » ا. هـ. ويقول ناصر الدين النشاشيبي انه في عام ١٩٥٠ جرت المفاجأة فإذا بحزب أتاتورك « حزب الشعب » يكاد يذفن تحت الرماد فلا يفوز بأكثر من ٦٩ مقعداً بينما فاز الحزب الديمقراطي بأكثر من ٤٠٨ مقاعد - لقد جاء الحزب الديمقراطي إلى الحكم من باب الدين ، من أصوات المؤذنين في الجوامع . لقد سقط حزب أتاتورك بعد أن ظل يحكم منذ عام ١٩٢٢ ولكن يبدو أن النفوذ الغربي قد أزعجه هذا التحول فاتهم الحزب الديمقراطي بالتمرد على العلمانية وعلى تعاليم الجمهورية التركية ولكن رد الفعل الإسلامي استمر زمناً . يقول (كرافشكوفكي) في كتابه ، الشرق الأوسط : « كم كان رد الفعل الديني قوياً ، إن رد الفعل هذا كان يمثل من حيث النوعية نواة صلبة من أناس غير مسلمين نذروا أنفسهم للعبداء وعزموا على شن حرب لا هوادة فيها من أجل تحقيق أهدافهم مع أنهم أقلية من الناس ، لقد شهدت الخمسينات في سنى هذا القرن انتعاشاً واسعاً

النطاق في الطرق الدينية مثل الطرق التيجانية . وبديع الزمان والبكتاشية والنقشبندية والقادرية . والمنظمات المبالة للإسلام مثل الحزب الديمقراطي الإسلامي وحزب النهوض الوطني، وجماعة بينوك طوفو ، هذه الجماعات تعتنق فلسفة جريئة في ميلها إلى الإسلام وتمارس في بعض الأوقات تدمير الآثار وعلى الأخص تماثيل أتاتورك . وقد كان الإقبال على الحزب الديمقراطي في تقدير (كرافشكوفكي) أنه يرجع إلى إدخال الدين في المدارس وإذاعة القرآن في الراديو بالعربية وتكوين جناح إسلامي بين أعضائه ، وفي عام ١٩٥١ تقدم بعدة مطالب أهمها نيل الحروف اللاتينية وإعادة استعمال الأحكام الشرعية الإسلامية . غير أن محاكمة جرت لأعضاء هذا الحزب ، وصدرت قوانين صارمة تحمي ذكرى الغازي ومنع اتخاذ الدين وسيلة للأغراض السياسية وأعلن قادة الحزب أنهم يوافقون على جميع المظاهر الدالة على احترام الإسلام ولكنهم ما زالوا يعارضون الأحكام الشرعية « ١ . هـ . غير أن الخطوات التي اتخذت منذ ١٩٤٦ واتسعت فيما بعد بإعادة التربية الدينية وفتح مدارس لتخريج أئمة وخطباء للمساجد وفتح كلية أصول الدين في جامعة أنقرة لم يلبث أن حقق نتائج في خلال العشرين عاماً التالية فقد برزت الحركة الإسلامية واشتد عودها واستطاعت أن تخرج جيلاً من الدعاة إلى الإسلام وأن توجد قاعدة عريضة ضخمة من جماهير الشعب التركي المسلم المؤمن بأن الإسلام دين ونظام مجتمع ، وأنه لا يستقيم أمر تركيا إلا بالعودة إلى الإسلام من جديد ، وقد تمكنت الحركة الإسلامية من أن تبرز خلال السنوات القليلة الماضية كحركة لها وزنها ووجودها بالنسبة للمجتمع التركي . وقد وجهت جريدة بوكون (اليوم) التركية عام ١٩٦٨ نداءً تطالب فيه المسلمين أن يقيموا صلاة الصبح بصورة مجتمعة . وقد تحقق هذا عندما اتجهت جموع المسلمين التي تقدر بالآلاف في إشراقة الفجر في هدوء كامل ينسجم مع عظمة الموقف إلى أكثر جوامع اسطنبول حيث زحف ٥٠ ألف شخص ليقوموا صلاة شهادتها تركيا منذ خمسين سنة » ويقول المعلقون أن هذه الصلاة كانت جزءاً من سلاح قوى تستخدمه الحركة الإسلامية لضرب القوى الإلحادية ، والمنحرفة في تركيا . وكان لها رد فعل بين عناصر اليهود والماسون والملاحدة مما حمل بعضهم على التهديد بنسف مسجد أنقرة ، وقد انفجرت عدة قنابل فعلاً ولكنها لم تخرج أى مصل من الصلاة ، وانصرف المسلمون بدون ضجة .

٣ - العودة إلى الإسلام

صدرت في السنوات الأخيرة دراسات ضافية كشفت حقائق ثلاث (أولاً) دور مصطفي

كمال أتاتورك وتبعيته للصهيونية العالمية وللنفوذ الاستعماري (ثانياً) دور حركة المقاومة التي قادها كثيرون ضد الحركة الكمالية وفي مقدمتها حركة المجاهد المسلم بديع الزمان النورسي (٣) حقيقة دور السلطان عبد الحميد وموقفه البطولي في مقاومة المؤامرة الصهيونية الاستعمارية . وقد كشفت مذكرات السلطان عبد الحميد التي نشرت في السبعينات ومذكرات هرتزل التي نشرت في الستينات عن موقف السلطان عبد الحميد من الصهيونية بما يصحح ذلك الزيف الذي رددته الكتب المدرسية والجامعية والثقافية في البلاد العربية خلال هذه الفترة الطويلة . ولعل قضية العودة إلى الإسلام هي أبرز ملامح هذه المرحلة ، حركة الحركة التي تبلورت في حرب السلام الوطني بعبارة نجم الدين أرباكان (استاذ الميكانيكا في الجامعة التكتيكية في استانبول ، بما يوحي أن تركيا قد عادت فعلاً إلى الأصالة الإسلامية بعد أن انحرفت عنها بفعل المحاولة الخطيرة التي جرت لتغزيتها على أيدي جماعة الدوغة :الانحاديين الكماليين على طول الفترة التي امتدت خلال حكم السلطان عبد الحميد وبعد اسقاطه وخلال الفترة من ١٩٠٩ إلى الحرب العالمية الأولى حيث دخلت تركيا الحرب في صف ألمانيا وحاققت بها الهزيمة ، وحيث سلم حزب الاتحاديين الحاكم طرابلس الغرب لإيطاليا وقبل معاهده لوزان التي قضت بتسليم الشام بأجزائه الأربعة إلى فرنسا وانجلترا ، وفلسطين إلى اليهودية العالمية . كان السلطان عبد الحميد قد عرف خطة الصهيونية العالمية في الاستيلاء على بيت المقدس ، وإقامة هيكل سليمان نتيجة للمخططات التي كان يجري تنفيذها في الأمبراطورية العثمانية ، تحت ستار التنظيمات الماسونية التي نشرتها وهكذا دفع السلطان عبد الحميد ثمن موقفه الحاسم من الصهيونية العالمية ، وكان للنفوذ الأجنبي مشاركة ضخمة في هذا الأمر ، ذلك لأن اللواء الذي رفعه تحت اسم «الجامعة الإسلامية» خارج نطاق الدولة العثمانية : «يا مسلمي العالم اتحدوا» قد هز الدوائر الاستعمارية هزاً شديداً ومن ثم كانت المؤامرة ذات شقين :

١ - اسقاط السلطان عبد الحميد : وهذه كانت مهمة الاتحاديين . ٢ - اسقاط الخلافة العثمانية وهذه مهمة الكماليين . وبذلك وئدت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية بحذف صاحبها من سجل الحكام . ولم يكن الكماليون والاتحاديون إلا فرعاً من دوحه واحدة :تقاسمت العمل على مرحلتين للأجهاز على الدولة العثمانية والخلافة ، وفتح الطريق أمام الصهيونية العالمية لتصل إلى فلسطين ، ولتمزق العرب والترك ولتمكن للاستعمار البريطاني والفرنسي من إقتسام تركة ما كان يطلق عليه الرجل المريض » ولقد كان السلطان عبد الحميد يعرف

دخائل هذا المخطط كله : بفروعه وخلفياته ، فيما يتصل بالدعوة والمخالف الماسونية ومخططات الاتحاديين وتركيا الفتاة وفي مقدمتهم مدحت وأحمد رضا . ويعرف الأهداف الخطيرة التي يدور حولها تأمر الصهيونية مع بريطانيا وغيرها من دول أوروبا ، ولكنه بعد كل الوساطات التي بنىها هرتزل أرسل إليه كلمته الواضحة الحاسمة الصريحة : « أنصح الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع . اني لا أستطيع أن اتخلى عن شبر واحد من الأرض فهي ليست ملك يميني بل هي ملك شعبي . لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه فليحتفظ اليهود بملايينهم . إذا مزقت امبراطوريتي فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلائح ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولاً في جثتنا . وانى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة » . وكان هذا الرد الحاسم هو منطلق الحملة العاصفة التي شنتها الصهيونية والاستعمار على السلطان عبد الحميد عن طريق الصحف العربية التي كان يصدرها الموارنة اللبنانيون خصماء الإسلام والخلافة الإسلامية وهم الذين حملوا على السلطات تلك الحملات الضخمة (المقطم - المقتطف - افلال) أمثال : جرجي زيدان فارس نمر ، صروف مكاريوس ، سليم سركيس ، لويس صابونجي ، وما أطلق عليه من بعد اسم السلطان الأحمر ، وما ذهبوا يلفقونه من اتهامات كاذبة عن الدردنيل ومن يلقي فيه وعن والسجون والأحكام مما ثبت من بعد أنه وهم باطل حتى لقد قال أحدهم لجماعة من السوريين زاروا تركيا وركبوا في الدردنيل مركباً : قولوا لنا اسم رجل واحد ألقاه السلطان أو أمر باللقائه في الدردنيل ولكنها كانت المحاولة لتدمير السلطان وسمعته وهدم مواقفه الكريمة قبل التآمر عليه ولقد عاشت الصحف وداسات المدارس والمؤرخين تحمل هذه الأكاذيب سنوات وسنوات حتى تكشف في الأخير فساد هذه الأباطيل والادعاءات . يقول حسان حلاق في أطروحته : « في الوقت الذي كانت المؤامرة تحاك في الخارج ضد الدولة العثمانية كانت مؤامرات تحاك في الداخل تضم مجموعات تركية ويهودية بتشجيع من الدول الاستعمارية وكانت تهدف إلى قلب نظام الحكم وخلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ، ذلك لأن السلطان كان العقبة التي تقف في طريق الصهيونية إلى فلسطين ويؤكد القنصل البريطاني الجديد في القدس - بلش - عام ١٩٠٨ المصاعب التي وضعها السلطان عبد الحميد الثاني في مواجهة الاستيطان اليهودي في فلسطين ويمكن القول أن اليهود لعبوا دوراً فعالاً في انقلاب عام ١٩٠٨ ويؤكد ستبون واتسون هذه الحقيقة بقوله : « ان أصحاب العقول

الحركة لحركة الانقلاب في الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ كانوا يهوداً ومن الدونمة أما المساعدات المالية فانما كانت تصلهم عن طريق الدونمة ويهود سالونيك المتمولين ، وتقول صحيفة المشرق (ان الكل يعلم أن مركز الانقلاب إنما كان في سالونيك واليهود فيها نيف وسبعون ألفاً » وهناك معلومات تؤكد أن الحقيقة الظاهرة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير إسلامية وغير تركية فمنذ نشأتها لم يظهر من قادتها وزعمائها عضو واحد من أصل تركي خالص كان جاويد يهودياً من الدونمة وقارصوه من اليهود الأسبان وطلعت بلغاريا أما أحمد رضا فقد كان نصفه شركسياً والنصف الآخر مجرياً ، أما نسيم وسو ونسيم مازلياح فقد كانا يهوديين . ويقول : ويبرز دور اليهود ثانياً في حادثة خلع السلطان عبد الحميد الثاني عندما مارس الاتحاديون الضغوط على مفتي الإسلام محمد ضياء الدين بإصدار فتوى الخلع ثم أوفدوا هيئة مكونة من عارف حكمت وأسعد طوبتاني وغالب باشا ومن زعماء اليهود قارصوه رئيس المحفل الماسوني في سلانيك وشلمون ابران ووصلوا إلى بلدز لابلأغ السلطان نبأ الخلع وكانت مشاعر التأثير والانزعاج بادية عليه فقال بغضب : ما هو عمل هذا اليهودي (يقصد قارصوه) في مقام الخلافة . بأي قصد هذا الرجل أمأي . ويذكر النقيب التركي (ديبيرلي) بأن السلطان عبد الحميد حدثه عندما كان مسجوناً في سلانيك عن آخر اجتماع له مع الزعيم الصهيوني هرتزل ورئيس الباخامين في تركيا فقال : تصور أن هذين اليهوديين مثلاً أمأي ليقدا إلى سلطنتنا رشوة . صرخت في وجههما قائلاً : ان اخراجا من هنا . ان الوطن لا يباع بالنقود . طلبت إلى رجال القصر أن يقودهما حالا إلى خارج القصر . وبعد ذلك أصبح اليهود أعدائي فما ألقاه هنا في سلانيك من عذاب الاعتقال ليس سوى جزائي منهم حيث لم أقبل أن أقطع لهم أرضاً لدولتهم المزعومة . ويذكر السلطان نفسه في وثيقة على قدر من الأهمية موقف الاتحاديين والصهيونية من سياسته فيقول : « أن هؤلاء الاتحاديين أصروا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة - فلسطين - ووعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة انجليزية ذهباً فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية وبعد جواي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم سيعيدوني إلى سلانيك » . والمعروف أن السلطان عبد الحميد أقام إقامة جبرية في سالونيك (مقر الدونمة اليهود) منذ عزل عام ١٩٠٩ إلى عام ١٩١٦ حيث توفي رحمه الله في إقامة مجهدة سيئة ولا ريب أن مذكرات السلطان عبد الحميد التي نشرت أخيراً باللغة العربية قد كشفت كثيراً من الحقائق وأوضحت موقف هذا الرجل المسلم العظيم ، ودحضت تلك الصور الزائفة التي حشدها في تاريخه الظالمون من الدونمة واليهود

والاستعماريين والموارنة في تلك الكتب التي سبق أن ترجمت إلى العربية مثل كتاب عبد الحميد ظل الله على الأرض (أو قصة الانقلاب العثماني لجرحي زيدان وغيرها ، لقد عاشت هذه الحقائق مدفونة في الأضيال منذ خمسون عاماً حتى أذن الله لها بأن تكشف وأن توضع الحقائق في مكانها الحق وأن تصحح وقائع التاريخ . لقد كشفت المذكرات كيف كان السلطان عبد الحميد ضحية مؤامرات صهيونية واستعمارية غاشمة كانت تهدف إلى تفويض دعائم الخلافة وتفكيك أوصال الدولة امعثمانية وأن الخليفة واجه الإغراء والتأمر جميعاً باباء وشمم إسلامي وكان يعرف مصيره ، ولكنه أثر إرضاء الله على رضا اليهود ومطامع الدنيا . وقد أشار السلطان في مذكراته إلى ما ظل منشوراً أكثر من خمسين عاماً من كذب وبهتان حين قال ان الأمة تنسى بسرعة فاستميتها العذر للذين يجادلوني سياسياً دون تبصير بما يدور من وراء الستار من ألعيب وما تهيه الدول الكبرى من مؤامرات عدوانية . لقد اهتموني بالخور لأنني لم أشترك بالحركات القومية قلباً وقالباً . لعلمهم ينسون المآسى التي جابهتها » . لقد تحدث السلطان عن الدسائس الأجنبية والفساد في أجهزة الحكم والحملات الصليبية على الدولة وتحدث عن ثروته ومخصصاته وكيفية انفاقها وما ترتب عليه من التزامات وواجبات . لقد كان القضاء على السلطان عبد الحميد مقدمة للقضاء على الخلافة الاسلامية ، وكان بطل هذه المرحلة مصطفى كمال : الذي أطلق على نفسه زوراً وبهتاناً (أتاتورك) أي أبى الشعب التركي . ولقد ألفت في تمجيد أتاتورك وتكريمه مئات الكتب بلا مبالغة استهدفت خلق حالة متوهجة كاذبة لهذا الرجل الذي حطم طابع الإسلام في دولة الخلافة ونقلها من أقصى مكان في خدمة الاسلام إلى أقصى مكان في خصومة الاسلام ومعارضته ويكفى أن يراجع المثقف المسلم رموز الموضوعات التالية - ألغى الحروف العربية وفرض الحروف اللاتينية حتى في طبع المصحف الشريف . - ألغى الشريعة الاسلامية وفرض قوانين الأحوال الشخصية . - حرم تعدد الزوجات وجعل الفصل وحده هو الفصل في طلب الطلاق - عدل قوانين الموارث الاسلامية فسوى بين الابن والبنت . - أباح للمرأة الخروج والرقص والسفور ودفعها دفعاً إلى حانات الهوى والفساد . - أباح للمرأة المسلمة أن تتزوج بمن نشاء من أى دين . - قرر إلغاء الأوقاف الاسلامية . - جعل الدولة علمانيه وقرر أن الدين قضية شخصية . ألغى الخلافة الاسلامية والمحاكم الشرعية وقوانين الشريعة الاسلامية وقرر العمل بالقانون المدني السويسري والجنائي الايطالى والتجارى الألمانى . - منع التعليم الدينى ومنع الأذان بالعربية

وحطم الأساس الديني وغير وجهة الشعب التركي . ولقد خدع مصطفى كمال المسلمين في المرحلة الأولى من حياته بتعاونه مع جماعات إسلامية ولكنه ما أن يمكن من امتلاك إرادة الحكم حتى كشف القناع عن عداؤه سافر للإسلام حتى وصف بأنه واحد من ثلاثة إمامين طائفة الدوثة أو من الماسونية وقع في حيائل اليهودية العالمية أو من غلاة الطورانيه التركية والحقيقة أنه كل ذلك وقد كانت حياته الشخصية مثالا رديئاً لحاكم ينتسب اسماً إلى الاسلام فقد عرف بأسرافه في الخمر وعلاقات الفساد والاعتداء والسطو والقتل بالظنة وكشفت تصرفاته عن بغض الدين عامة وللإسلام بصفة خاصة ويرجع ذلك إلى أنه كان تلميذاً أصيلاً لتعاليم ضياء كوك الب داعية الطورانية وعودة الأتراك إلى أجدادهم القدماء . والتذكير لتاريخهم الاسلامي ولقد كان أشد قسوة بالنسبة لرجال الاسلام الذين عارضوه ودفعوا الناس إلى مقاومته والتخلص منه . وقد كشف الضابط التركي السابق في كتابه (الرجل الصم) كمال أتاتورك الذي ترجمه الأستاذ عبدالله عبد الرحمن هذه الجوانب المظلمة والغامضة والسوداء من حياة هذا الرجل على نحو واضح صريح وكانت آية الآيات في حياته هو ذلك الولاء المزدوج لبريطانيا ولروسيا الشيوعية في آن ، ولقد تكشف أن هناك معاهدة سرية أقرها مصطفى كمال وبها أعطى حق الحكم والسلطان في تركيا تتضمن عدة مبادئ أهمها : - الحكم بالنظام الفردي واسقاط الشريعة الاسلامية وتطبيق القانون الوضعي . - والقضاء على علماء الاسلام وإخراجهم من البلاد . - القضاء على الخلافة الاسلامية . - القضاء على القرآن واللغة العربية . والمراجع لحياة كمال أتاتورك يتبين له بوضوح أنه قام بتنفيذ هذه المعاهدة السرية التي قيل أنها كانت مرفقة بمعاهدة لوزان تنفيذاً صحيحاً . ان هذا الكتاب يقدم مجموعة ضخمة من الوثائق عن حياة مصطفى كمال لا يستطيع الباحث المنصف أن يتجاوزها دون أن يسجل بعض الخيوط العامة فيها . عن صلاته بالانجليز وما تحمله الوثائق تشير إلى عبارة قيامه ببيع الوطن إلى الانجليز (ص ٤٧٣) وأن البطل الحقيقي لمعارك أرمر هو (قره بكير) وليس مصطفى كمال وأنه كان يعمل ديكتاتوراً ويدير الدولة كما تدار مزرعة ، وأنه كان يقوم بفرض رأيه على كل عمل ويقول (ص ٤٨١) بعد أن حصل على منصب القائد العام بالحيل والطرق المثوية لم يدع هذا المنصب يخرج أبداً من يديه وقد قام بواسطة رجاله الفدائيين من تهديد معارضيه والقضاء عليهم ولم يظهر في الجيش العثماني عسكري ظالم وحريص على المنصب إلى هذه الدرجة مثله . استولى على مساعدات العالم الاسلامي (ص ٤٨٩) نفذ كل ما طلبه منه الانجليز : ١ - ترك الموصل ٢ - ترك الجزر لليونانيين ٣ - تنازل عن كل الحقوق

حول مصر وقبرص - ٤ - تنازل عن طلب التعويضات من اليونان ٥ - عدم تحصين المضائق أو وضع جند حولها وتجريد المنطقة الممتدة من مضيق البحر الأسود حتى مضيق (جنة قلعة) - ٦ - ألغى الخلافة - ٧ - أكد العلمانية (ص ٤٩٠) . كذلك كشفت هذه الوثائق عن أنه عضو ماسوني عامل (أورد ذلك فالح رفقي أثارى) مؤلف كتاب (جانقايا) يقول : لو لم يكن مصطفى كمال ماسونياً فمن كان يتناول إلى الانتساب إلى مثل هذه الجمعية السرية في عهده (ص ٤٩٢) كذلك أشارت الوثائق إلى موضوع الاتصال بالنساء وطالبات المدارس مما كان حديث المجالس ، ويشير الكاتب إلى أخطر موقف في حياة مصطفى كمال وهو إلغاء الخلافة يقول الكاتب إنه عندما عرض الأمر على الهيئة المكونة لبحث الأمر تردد الأعضاء فوقف يقول أن هذا أمر محتم وإني أرى أن من المستحسن أن يوافق المجتمعون هنا وأعضاء المجلس وكل واحد ولكن إذا حدث العكس فإن هذا الأمر سينفذ في إطار المجرى الطبيعي ولكن من المحتمل أن بعض الرؤوس ستقطع ولكن هذه السنوات المظلمة لم تمر دون مقاومة ، فقد ظهر كثير من دعاة الحق يكشفون زيف اتجاه مصطفى كمال وكان أبرزهم الشيخ بدیع الزمان سعيد النورسي ، الذي كان قد حضر إلى استانبول من شرق تركيا في عهد السلطان عبد الحميد يطلب فتح المدارس وإنشاء جامعة في ديار بكر ، وتطوع للقتال وأسره الروس ونفوه إلى سبيريا ولكنه تمكن من الفرار والعودة إلى تركيا ، فانضم إلى حركة مصطفى كمال التي كانت تستهدف تحرير الوطن ثم اختلف مع أتاتورك حين ظهر الانحراف فنفته السلطة إلى غرب البلاد ، فظل بين نفي وسجن وتحديد إقامة من ١٩٢٨ إلى ١٩٥٠ ألف خلالها ألف ومائة وثلاثين كتاباً سماها (رسائل النور) شرح فيها الإسلام بأسلوب استهوى الشباب ، فتناقل الناس هذه الرسائل نسخاً باليد ، وأصبح قراء هذه الرسائل يسمون طلاب رسائل النور ، أو جماعة نور جو وبلغ عددهم ثلاثة ملايين شاب تركي ، وقد أصبحت هذه الجماعة القوة الحقيقية في الجامعات التي سحقت حزب الشعب (حزب أتاتورك) وعزلت عصمت أيونو خليفة أتاتورك من الحكم . والواقع أن سعيد النورسي كما تقول مريم جميلة في كتابها عنه كان رجلاً على الإيمان مصدراً في فهم الإسلام تقول : كانت روحانيته العالية فوق المحن والامتحان » ولذلك فإنه ما كاد يدخل السجن حتى أصبح سجانوه من تلاميذه ومن أحسن الناس تدبيراً وغيره على العقيدة ، فقد تهافت زواره في عزله على استنساخ ما تنتجه عبقريته المؤمنة بحيث لم يمر وقت قصير حتى كانت عشرات الآلاف من مخطوطات هذا التفسير تتناقلها الأيدي وتدرس في المدن والقرى والمدارس وحتى الوزارات : يقول بدیع الزمان

النورسي : « لقد أتاحت لي آلام المنفى والسجن والاعتقال فترة هدوء وصفاء أتاحت لي التأمل في الحقيقة القرآنية الخالدة ». غير أن السلطات لم تدعه يعمل ، فعمدت إلى تليفق تهمة ضده وضد مائة وعشرين من أتباعه ومريديه ساقطتهم إلى محكمة الجرائم ، فأنفذتلى بدفاعة أمامها فقال : « الحق أنني لا أنوى بأى حال من الأحوال الاستيلاء على زمام الحكم ، وكل ما أسعى إليه هو أن أهدي قومي إلى الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحكيم . نحن لا ننتهى لأية نقطة من النحل ولا ندعو لعصبية ولا لفرقة ، ولكننا أنصار متحمسون للحقيقة ، الله غايتنا والرسول قائدنا ، والشرع الشريف دستورنا . إننا لا نملك أى تنظيم خاص ونحن بمعزل عن السياسة وكتابنا رسالة النور مدرسة بدون مدارس ولا مناهج ولا أموال ، أنها مدرسة روحية كتابها القرآن المنزل » ثم أضاف يقول : « لقد أكد وكيل الاتهام بأنه بلغ من مدى ذبوع (رسالة النور) أن قرأها عام ١٩٤٧ سنائة ألف شخص منتشرين عبر إقليم الأناضول من أساتذة وعمال وفلاحين وطلبة وموظفين ، وماذا فى ذلك ؟؟ هل أدت تلك القراءة بواحد منهم بتهديد الأمن العام أو خرق دستور البلاد ، إذا فكيف تبيحون لأنفسكم غلق هذه المدرسة التى تنبع أصولها من قلوب مثل هذا العدد العظيم من المواطنين الأتراك . أن البعض يأخذ باعتمادى طربوشاً على رأسى ويرى عدم خلعى له إهانة بمجلسكم الموقر . تذكروا أنهم قلة أولئك الذين استبدلوا عن طواعية ورضا عماائمهم بغطاء الرأس الأوروبى واذكروا أن الملايين من الأتراك أكرهوا على ذلك الاستبدال اكراهاً ، ويجرى ذلك فى الوقت الذى يتاح فيه للماسونيين وأشياعهم من أن يسخروا - بكل حرية وفى جرأة ووقاحة - بالإسلام وأن يمتدحوا ويمجدوا ملذات الخمور وأن يزينوا الزنى وأن يشوقوا الناس إلى الخمر فى حين يحرم على وعلى أتباعى أن نذيع وننشر رسالة القرآن المجيد وأن ندعو إلى الله ، إنكم تهملون بآئنى رجعى شريير ، وأنتم تعلمون أنني من أبطال الوطنية منذ نعومة أظفارى ، وإنى أخص النمل بجانب راتب من قوى إعجاباً منى بتنظيمها الديمقراطية ، وإنكم لتزعمون أنى أدعو إلى ضرب من التصوف وأنا أؤكد لكم أن الجنة ليست للمتصوفة وحدهم ، ولكن من المؤكد أنه من المستحيل أن يدخل الجنة من لا يؤمن بالله ، ولا يلتزم بشرعه فى ظرف عشرين سنة تعاقبت أثناءها على دست الحكم ثلاث حكومات من لدن أتاتورك حتى الآن ، وفى خلال هذه الفترة مثلت أمام محكمتين ولكن أية منهما لم يتوفر لديها أى دليل على إدانتى ، بله تلك القرية التى تزعم أنني عدو لتركيا . وإذا كان الأمر كذلك فاتركوني لأداء رسالتى » . ثم لم يلبثوا أن أحالوه مرة

أخرى إلى المحاكمة . قال افتترضون أيها الحكم إننى أعمل لغاية نفعية . ها أنذا أمامكم شيخ يحمل على كتفيه أثقال الثمانين ، رجله فى القبر ، فقير لا يملك شيئاً من متاع الدنيا لا مالا ولا عقاراً فماذا تروننى صانعاً وأنا فى هذا السن بمنح الحياة الدنيا ، لقد قضيت حياتى فوق ساحات الوغى ، كما عانيت الاعتقال فى معسكرات الأسرى ، وعشت طريداً فى المنافي والسجون لقد طاردتمونى من مكان لآخر ، وأبعدتمونى من مدينة لغيرها كأننى متشرد منبوذ من المجتمع ولم تتورعوا حتى على حرمانى من الاتصال بأهلى وأقاربى ، ولو لم يكن إيمانى واحتسابى يعصمانى من الوقوع فى وهدة اليأس ، لاستطبت الموت وفضلته على مثل هذه الحياة المنغصة ، ولكن هذه الحياة على غصصها وآلامها أتاحت لى أن أكتب « رسالة النور » التى بفضلها أتيحت السلامة من العذاب الدائم ، لما يزيد عن النصف مليون من الناس فالحمد لله ألف مرة وإياه أشكر أن وفقنى بتضحية من أجل شعبى . إن عذاب النار أو نعيم الجنان عندى سيان إذا ما جحد القرآن فى هذه الدنيا لأننى وإن أكن منعماً فى الجنة فإننى لأشعر بدبيب الألم يمشى فى أعماق نفسى إذا ما حصل ذلك ، بيد أننى لأشعر بسعادة عارمة تملأ على نفسى إذا سلمت العقيدة فى وطنى تركيا ، ولو كنت أعذب فى أعماق الجحيم . وهكذا قيض الله لتركيا رجلاً حمته رحمة الله من أن يشقى أو يقتل حتى أدى رسالته فمن سغير هذا الجحيم ، نشأ وكتب ، وحفظ الله له ما كتب فوصل إلى كل مكان وانتفعت به الملايين ، وحرر الفكر الإسلامى التركى من التبعية . وكان النورسى عالماً بكل أساليب الاتحاد والترقى والكمالين ، مؤمناً بأن دعوة القرآن هى المنطلق الوحيد للإصلاح ولإنقاذ المسلمين . « لم ينفك يدعو الشعب بحرارة وإيمان إلى التمسك بأهداب القرآن الكريم كما لم ينفك يحذر مواطنيه من الوقوع فى حبال الغرب مبيئاً لهم أن البديل الوحيد للإسلام هو العبودية للغرب وأن المسير فى ركاب الغرب يؤدى حتماً إلى فناء الذاتية وذوبان الشخصية » . ولقد كانت عبارته أمام منحاكميه مليئة بالإيمان والقوة ، ولو كنت أملك ألف روح ، لضجيت بهن الواحدة تلو الأخرى طائعاً مختاراً فى سبيل الذود عن الإسلام ، إن أى عمل يتناقض مع الإسلام ما هو إلا باطل فى اعتقادى وإننى فى هذه اللحظة لأضع قدمى على أبواب البرزخ فى انتظار الرقعة التى ستقودنى إلى العالم الآخر ، وأنا مطمئن ومستعد كل الاستعداد للرحيل إلى الدار الباقية ، لألحق ببلخوانى الذين انقذهم قرار محكماتكم الجائر من حياة الطفيان والعلو فى الأرض بغير الحق . وفى كل مكان كان يدافع عن الحق : « لو أن المسلمين أخلصوا لعقيدتهم ودافعوا عنها بكل قوة

وإيماناً لأن يمكن أن تحل الحضارة الإسلامية محل الحضارة الغربية التي ينخرها سوس الأطماع الخسيسة والشقاق بالإضافة إلى أنها خاوية من كل اتجاه روحى . وتعرض للموت أكثر من مرة ، عندما حكموا عليه بالإعدام ثم أطلقوا سراحه وعندما أسره الروس فى الحرب العالمية الثانية وحكموا عليه بالإعدام ثم عفى عنه . ولقد كان يهز الناس كلما تكلم حتى أعضاء برلمان أتاتورك حين وجه إليهم مذكرة من عشر نقاط قال فى مقدمتها : « اتقوا يوماً تقفون فيه أمام الله سبحانه ولا يغرنكم انتصاركم بالأمس على العدو لتفسدوا هذا النصر بسلوك فخر ، إنكم إن تختارون تقليد الأوروبيين فإنكم ستفقدون عطف ومؤازرة العالم الإسلامى الذى سيتحول عنكم إلى جهة أخرى .. فكان من أثرها أن التزم مائة وستون نائباً على الالتزام بشعائر الإسلام فى حياتهم وسلوكهم . وقد حاول مصطفى كمال أن يستدرجه لموالاة نظامه عن طريق الإغراء المادى فعرض عليه أن يكون الإمام الأكبر لإقليم الأناضول ، ولكن بديع الزمان كان فوق كل إغراء وفضل الانزواء والبعد عن ضجيج المدن ، حيث نصب نفسه داعية إلى الله فاجتمعت إليه هذه البذرة التى نمت من بعد وسرعان ما التفتت الفئدة الحاكمة إلى هذا النشاط وعملت على تعطيله وأبعدته إلى منطقة نائية فى أعماق تركيا ظل مبعداً بها ثمانية أعوام محروماً من الاتصال بأفراد أسرته وأهله . ومات أتاتورك عام ١٩٢٨ وعاش النورسى إلى ١٩٦٨ ثلاثين عاماً بعد أتاتورك أفسح الله فيها العمل لدعوة الحق ، ومات ليلة السابع والعشرين من رمضان ليلة القدر عن ست وثمانين سنة ، بعد أن ترك ذاك التراث وتلك الجماعة المؤمنة التى هى عماد النهضة الإسلامية فى تركيا اليوم . ومن نقطة (رسائل النور) بدأ التحول فى تركيا الإسلامية مرة أخرى عودة إلى منابع ، ويرى المؤرخون أن انتخابات عام ١٩٥٠ تعتبر نقطة التحول فى تاريخ تركيا الحديث ، كانت بدأ سقوط ذاك الفكر العلمانى الفاسد الذى سيطر على تركيا هزيمة حزب الشعب . حزب أتاتورك ، فقد كان حزب عدنان مندريس (الحزب الديمقراطى) قد قدم برنامجاً ضخماً يتضمن عودة الأذان بالعربية ، والسماح للأتراك بالحج ، وإعادة تدريس الدين بالمدارس وإعادة أيا صوفيا مسجداً ، ومن ثم فقد حصل على ثلاثمائة وثمانية عشر مقعداً وسقط حزب أتاتورك الذى حصل على (٣٢ مقعداً) وكان من طالع التحول الجديد : أن عقد عدنان مندريس أول جلسة لمجلس الوزراء فى غرة رمضان وأعاد الأذان باللغة العربية وبدأ تعمير المساجد واستعادت الحكومة المساجد التى باعها أتاتورك وقرر تدريس الدين بالمدارس ، وفتحت مدرستان للأئمة وفتح خمس وثلاثون ألف مدرسة لتحفيظ القرآن .

ومن قلب هذه الأحداث نشأ حزب السلامة الوطنى الذى اقترن اسمه باسم الدكتور نجم الدين أرباكان أستاذ الميكانيكا فى الجامعة التكنيكية فى استانبول وبذلك برز فى تركيا اتجاه إسلامى واضح وعميق من خلال التحرك السياسى : وكان حزب السلامة علامة على الفكر الوطنى الأصيل الذى يستمد جذوره من الإسلام وسطا بين حزب الفكر الحر الليبرالى (حزب العدالة) والفكر اليسارى (حزب الشعب الجمهورى) وبذلك أصبح حزب السلامة عامل الموازنة فى الحياة السياسية التركية .. وقد كانت بيانات حزب السلامة تعلن دائماً أنها تهدف بالوصول بالأمة التركية إلى أن تنهض معنوياً ومادياً . وأن الشعور الوطنى للأمة كل لا يتجزأ . والشعب التركى مرتبط بماضيه يحترم تراثه وعرقه ويحافظ عليهم وهو بعيد عن كل تقليد ، ملوك تمام الإدراك لشخصيته الأصيلة ويقرر حزب السلامة : ضرورة إلغاء الربا بكل حزم والقضاء على الإسراف . وقد أعلن برنامجاً طويلاً للتصنيع ومنها المصانع الحربية بدلا من الخضوع للدول الأجنبية ، ويقول نجم الدين : نريد أن تكون تركيا دولة رائدة ، وليست تابعة تدور فى فلك الآخرين . وقد قام الحزب خلال اشتراكه فى الحكم بتخصيص ٤٠ مليون ليرة تركية لمشروع جامع القرية ، وتخصيص ميزانية جديدة لكادر الأئمة والمؤذنين ومدارس تحفيظ القرآن ، ووجه الحزب عناية واضحة لمدارس الأئمة والخطباء . كذلك حمل الحزب على المطبوعات المخلة بالآداب ، وأقام أكاديمية للعلوم الإسلامية وأعد لها قانوناً بالفعل وضاعف عدد المعاهد الإسلامية العالية . وكشف نجم الدين عن فساد الفكر الوافد سواء الاشتراكى منه أو الرأسمالى : فقال عن الأول أنه فكر يهدر الحريات ويضر بالكيان القومى ويركز على مصادر أجنبية أما الفكر الرأسمالى فهو فكر يقوم على الربا ومصدره أجنبى أيضاً ، أما حزب السلامة فيمضى فى طريقه رافعاً راية الأخلاق والأصالة وقال أن النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى لا يقتصران على ميدان الاقتصاد وإنما تمتد تأثيرهما إلى الميدانين الاجتماعى والمعنوى ورغم اختلاف النظامين فى الظاهر فكلاهما مادى وكلاهما نفعى وكلاهما يريد ربط الأمم الأخرى به ثقافياً وكلاهما يعمل على النهوض بالجانب المادى فى مقابل انحطاط فى الأخلاق والمعنويات وكلاهما يزداد ارتفاعاً مادياً مع هبوط فى الثقافة والأخلاق . وفى مختلف ميادين السياسة الدولية قدم نجم الدين مفاهيم إسلامية أصيلة وقد لخصت جريدة انزيجر الألمانية هذا التحول الخطر بقولها إن عودة الإسلام لتركيا ومخالفتها بذلك لأسس الدولة العلمانية التى أرسى أتاتورك دعائمها لثار تفكير من قبل جهات عدة ، إن المستفيد من هذا كله حزب السلامة الذى هو ضد عضوية تركيا فى حلف شمال الأطلسى ودخول تركيا عضواً فى السوق الأوروبية

المشتركة . ولقد دعا نجم الدين إلى ضرورة تطوير علاقات تركيا بالعالم الإسلامي من جميع الوجوه وأن لا تظل هذه العلاقة صورية وإنما يجب أن تكون علاقات فعلية متطورة . حيث أن في العالم ما يقرب من خمسين دولة إسلامية يبلغ سكانها ملياراتاً وهذه الدول الإسلامية سوق طبيعية قوية لإنتاجنا . وهكذا حدث تحول كبير في تركيا بعد أن ظل حزب الشعب الذي أنشأه مصطفى كمال أتاتورك ١٩٢٢ - ١٩٥٠ حزباً علمانياً وعندما مات أتاتورك ١٩٣٨ خلفه عصمت أيونو في رئاسة الحزب ، ومنذ عام ١٩٥٠ لم يستطع هذا الحزب أن يحكم بمفرده وإن دخل أحياناً الوزارة في ائتلاف مع أحزاب أخرى ، ويعبر حزب السلامة رسمياً عن اتجاهاته بعبارات الأخلاق والمعنويات والعودة إلى التراث والمحافظة على المقدسات وقد كان من أثر ذلك أنه عندما مات خليفة أيونو رفض الشعب الاشتراك في الجنازة ، ولما حملوه إلى أحد المساجد رفض الإمام أن يصلي على جثمانه وترك المسجد وظلوا ينتقلون به من مسجد إلى آخر حتى عثروا على شيخ يقوم بهذه المهمة وما كاد الشعب يعرف ذلك حتى حاصر المسجد وهم بخطف الجثمان ولم تتم الصلاة على جثمانه إلا في حماية الجيش . ولم تكسب تركيا من التجربة شيئاً ، قال إقبال : « إنكم أيها الأتراك أخذتم جوار أوروبا وصحبتموها مع أنكم كنتم بفضل الإسلام على مقربة من النجوم والكواكب » ، ويقول ارنولد توينبي « إن تركيا عندما تغيرت أصبحت عالة على التكنولوجيا الغربية ولم تستطع أن تقدم شيئاً ، وقد ظلت تركيا حتى يومنا هذا متخلفة بمقاييس التقدم والحضارة لم يعترف بها الغرب كدولة أوروبية وما علاقتها بالغرب إلا علاقة الأحلاف والتبعية » . ولقد كان من أبرز عوامل التقارب مع العالم الإسلامي : انعقاد مؤتمر السيرة النبوية بتركيا عام ٧٧ فقد أحدث شعوراً طيباً بتعميق هذا الاتجاه الأصيل . ولقد كان من أبرز أحداث هذا المؤتمر ، أن تم بين المؤتمرين عقد اتفاق يحدد واجباتهم نحو عقيدتهم وبلادهم وقد حرر الاتفاق على صيغة تعهد التزم به المسؤولون عن الصحافة الإسلامية التي شاركت في المؤتمر وركز الميثاق على القول بأن الإسلام يدعو إلى تشييت الأخوة الإسلامية ومحاربة كل فكرة عنصرية أو سلافية ولذلك فإن الصحافة الإسلامية تلتزم بالعمل لتشبيت فكرة الأخوة بين مختلف الشعوب الإسلامية . وهكذا تزحف تركيا مرة أخرى بقوة إلى استعادة مكانتها في عالم الأصالة والقيم وحضارة الإسلام وتحطم ما عاقها خلال خمسين عاماً عن أداء دورها المرموق .

(٣)

إيران : الشيعة ومقاومة النفوذ الاجنبى

ما تزال « إيران » تمثل ثقلاً هاماً وخطيراً في خريطة العالم الإسلامى وتركيبه ، باعتبارها أحد العنصرين الكبيرين الذى تشكل منهما بناء الإسلام في مرحلته الأولى ، وأحد الأجناس الخمسة الكبرى : العرب والفرس والترك والبربر والزنوج ؛ الذين يتشكل منهم عالم الإسلام . وما تزال منذ العصر الإسلامى الأول تمثل قطاعاً له طابعه بحكم سيطرة اللغة الفارسية واستمرارها وبقائها إلى جوار اللغة العربية ودون الانصهار فيها أغلب اللغات في هذه المرحلة ، وإن كانت اللغة الفارسية الجديدة بعد الإسلام قد كتبت بالحروف العربية . والمعروف أن الإسلام قضى على نفوذ الدولة الأسبانية وقوض العرش الكسرى ، غير أن فارس ظلت تقاوم انصهارها في العرب ثم استطاعت في ظل الدولة العباسية أن تصبغ الحضارة والفكر بطابعها ، وأن تزيد نفوذها وتدعمه . فقد قامت الدعوة العباسية في خراسان بزعامة أبى مسلم الخراسانى ، وأقامت عرشها في خراسان ، ثم كان من علو أمر البرامكة في ظل الرشيد ، مما انتهى بالقضاء عليهم وكان انتصار المأمون على الأمين تركيزاً للطابع الفارسى وضعفاً للعنصر العربى ، ثم تقلص هذا النفوذ في عهد المتصم الذى استعان بالأتراك وقد أقام الفرس عديداً من الدول : الصفارية والسامانية والبويهية . وفي ظل فارس نمت الدعوة إلى آل البيت وكونت قطاعاً من المعارضة للقيادة السياسية الإسلامية ، ومنذ قتل الإمام على ، وقتل من بعده الحسين في موقعة كربلاء أخذت دعوة آل البيت تتسع وتعمق . وبرز مفهوم الشيعة المعارضين لنظام الحكم ، وانضوى تحت اسمهم عدد من الفرق الغالية ، غير أن الإمامية الإثنى عشرية ظلت أقرب إلى مفهوم الإمامة العلوية . وفي إبان عزو التتار للعالم الإسلامى سيطر المغول على إيران ثم تركوها نهياً للولاء إلى أن قامت الدولة الصفوية ١٤٩٩م ، واستمرت إلى ١٧٣٦م وكانت إحدى الدول الإسلامية الثلاث : العثمانية في تركيا والمغولية في الهند وقد وقع الصراع بين العثمانيين والصفويين عهداً طويلاً وكان هذا الصراع عاملاً من عوامل الشقاق الذى فرض نفسه على المسلمين : بين السنة والشيعة . كان الشاه إسماعيل الصفوى قد تبنى مذهب الشيعة ، وكان السلطان سليم يناصر السنة ومن هنا فقد أصبح الخلاف بين إيران وتركيا ، صراعاً بين المذهبين . وقد غزا السلطان سليم إيران ١٥١٤م وهزم الإيرانيين ودخل السلطان سليم تبريز حاضرة إيران ووالى الأتراك غزو إيران وارتدوا عنها ولكنهم تركوا في النفوس خصومة

وصراعاً بعيد المدى ، وقد أفاد النفوذ الاستعماري الغربي الزاحف على العالم الإسلامي بهذا الصراع ، فاتصل البريطانيون بالشاه عباس (١٥٨٧ - ١٦٢٩) ووسعوا نفوذهم داخل إيران ، وكان لهذه الصلات أثرها في تأريث الخلافات بين فارس وتركيا حتى لا تلتقي الجبهة الإسلامية على وحدة واحدة . ومن ثم عاود السلطان مراد الرابع ١٦٣٥ زحفه على أذربيجان وملك تبريز وقصد إلى بغداد ليسترجعها من الإيرانيين فأخذها عنوة وظلت العراق في يد العثمانيين منذ ١٦٣٨ حتى استولوا عليها مرة أخرى الإنجليز ١٩٢٠ . ثم سقطت إيران تحت حكم الأفغان وعادت مرة إلى حكم أبنائها فقامت فيها دول الافشار حتى ١٧٥٠ والدولة الزيدية إلى ١٧٤٩ والدولة القاجارية التي حكمت ١٧٩٤ إلى ١٩٢٥ حيث أحدث رضا خان انقلابه العسكري واستولى على حكم إيران . وقد وقع في هذه المرحلة التدخل المزدوج من الروس والإنجليز في شئون إيران وظل الصراع بين النفوذيين مستمراً . وقد وقع حكام إيران تحت نفوذ بريطانيا وحاول جمال الدين الأفغاني في عهد ناصر الدين شاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦) أن يصدر الدستور فرفض الشاه أن يقبل الحريات التي وضعها للشعب واختلف معه فترك البلاد ، ولقد ظل يناوئ ناصر الدين ويحرض عليه حتى قتل في أول مايو ١٨٩٦ . وكانت الحركة الوطنية في إيران قد تأججت ١٨٩٠ حين منح الشاه شركة انجليزية حق احتكار تجارة التبغ مقابل نصيب من أرباحها فأقوى العلماء بتحريم التبغ وأضرب الأهالي عن التدخين فاضطر ناصر الدين شاه إلى إلغائه بعد أن دفع نصف مليون من الجنيهات تعويضاً للشركة . ثم تأججت الثورة الفارسية ١٩٠٤ - ١٩٠٥ للمطالبة بحكومة دستورية تقيد سلطة الشاه . وكانت أول ثورة على النظام الاستبدادي في الشرق ، واضطر الشاه إلى إعطاء الشعب الحكم الدستوري ١٥ . ٨ . ١٩٠٦ وأعلن الدستور ٣٠ كانون أول ١٩٠٦ غير أن روسيا وانجلترا لم تلبثا أن اتفقتا فيما بينهما ١٩٠٧ على تقسيم إيران إلى منطقتي نفوذ تجاري حيث عقدت بريطانيا مع روسيا الاتفاق الودي الثلاثي بانقسام مناطق النفوذ في إيران حيث أصبح القسم الشمالي منها خاضعاً لنفوذ القيصر ، والقسم الجنوبي في نفوذ بريطانيا ولم يبق إلا جزء صغيراً ينحصر في طهران وما حولها . ووقعت على اثر هذا « الثورة الإيرانية ١٩٠٨ » في مواجهة الثورة الدستورية في تركيا وقررت خلع الشاه محمد علي وتولية الشاه أحمد بوضاية الأمير عضو الملك وأعيد الحكم الدستوري ، وقد استمر التنافس بين النفوذيين الروسي والإنجليزي حتى فبراير ١٩١٨ حين رحلت القوات الروسية عن شمال إيران واستطاع الانجليز الوصول إلى

بحر قزوين والسيطرة على إيران كلها وثم بدأ نفوذهم منذ ١٩١٨ يزداد قوة ، حتى استطاعت بريطانيا عقد معاهدة ١٩١٩ التي صحب البلاد بموجبها تحت الحماية البريطانية . غير أن الروس أخذوا في مراجعة بريطانيا من جديد حين توغلت قواتهم في شمال إيران . وكان ذلك مقدمة لحركة في الجيش الإيراني بزعمامة رضا خان وقيادة ضياء الدين طباطبائي أشهر كتاب إيران لإنقاذ البلاد من النفوذ الأجنبي . وقد اتسعت هذه الحركة حتى استطاعت خلع أسرة قاجار عام ١٩٢٥ وبداً بدأ عصر إيران الحديثة حيث حكم رضا خان (١٩٢٦-١٩٤١) . وقد استطاع النظام الجديد أن يقوم بكثير من أعمال الإصلاحات ، وفي مقدمتها موقفه من شركة البترول الانجليزية التي تسيطر على استغلال البلاد إذ ألغى امتيازها عام ١٩٣٢ واضطرها إلى قبول شروط جديدة ألغى الامتيازات (مايو ١٩٢٨) .

(٢)

استطاع النفوذ الأجنبي الزاحف على العالم الإسلامي أن يوسع شقة الخلاف بين الدولتين الكبيرتين في القرن التاسع الهجري (الدولة الصفوية الفارسية) و(الدولة العثمانية) . وأن تركز بريطانيا على فارس في مواجهة الدولة العثمانية ومن ثم اتسع النفوذ الأجنبي في فارس وبدأ التدخل واضحاً من كلا الجانبين : روسيا القيصرية وبريطانيا في الميدانين السياسي والاقتصادي . وفي ظل هذا النفوذ أدخلت إيران النظم العسكرية الأوروبية على جيشها وأنشأ ناصر الدين شاه أكاديمية العلوم والفنون ١٨٥٢ على أساس أوروبي وكان أساتذتها من الأوروبيين الذين يعلمون علم الغرب وثقافته وتاريخه ، وقد ترجموا إلى الفارسية كثيراً من الكتب هذه العلوم وظلت هذه الأكاديمية مركزاً لثقافة الغرب وعلومه حتى القرن العشرين . وفتح الفرنسيون والأمريكان والبريطانيون ثم الروس والألمان فيما بعد مدارس حملت مظاهر النفوذ العسكري لهذه الدول وتوزع عليها ولاء الإيرانيين . ويرى بعض المؤرخين أن بداية ظهور النفوذ الأجنبي بإيران كان أبان حكم الشاه علي شاه (١٧٩٨-١٨٣٤) ممثلاً في بريطانيا والروس . حيث كانت بريطانيا تسعى إلى بسط نفوذها على إيران خوفاً من نفاذ الخطر الروسي والفرنسي إلى الهند . ويمكن أن يقال إن البترول كان أخطر العوامل التي أحاطت فارس بهذا التزامم والصراع ، وقد بدأ ذلك عندما عقد وليم دارسي ١٩٠١ مع الشاه مظهر الدين امتياز الاستغلال البترول (٦٠ عاماً) مقابل عشرين ألف جنيه انجليزي تدفع نقداً

وحصة ضئيلة من محصول الشركة المستغلة تبلغ ١٦ في المائة من أرباحها كل عام . وقد بدأت مع هذا الامتياز قصة الصراع الكبرى بين الدول على هذا الامتياز حيث استطاع الراهب روزنيلوم أن يحصل عليه من دراسى لحساب بريطانيا عن طريق تلك المؤامرة الرهيبة ، وقد تبين هذا الراهب إنما هو جاسوس يهودى (سكرنى ريللى) كان يعمل فى دائرة المخابرات وكانت الدائرة قد عهدت إليه بالحصول على امتياز دراسى لشركة نفط بورما التى كانت تمدها إمارة البحر البريطانية بالعون والتى سميت فى نفس العام ١٩٠٨ شركة النفط الانجليزية الفارسية . ومنذ ذلك التاريخ والبتروى هو العامل الهام والخطير الذى يحرك الأحداث فى إيران فقد تدخلت بريطانيا لتحول دون وقوع صفقة البتروى الإيرانى فى أيد غير بريطانية ، حيث استطاعت تخمين الأسطول البريطانى العامل فى الباسفك وببحار الصين والمحيط الهندى والبحر الأبيض وفى عبادان : بنت أكبر مصفاة : لتكرير البتروى فى العالم بالإضافة إلى مكانتها الاستراتيجية على خطوط المواصلات بين الشرق والغرب ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فكان إنتاج مصفاة عبادان ٢٧٠ ألف طن من البتروى زادت عام ١٩١٨ إلى تسعمائة ألف طن وبعد الحرب العالمية الأولى أصبحت إيران الدولة الرابعة فى إنتاج البتروى فى العالم والدولة الثانية المصدرة للبتروى بين دول العالم . وفى عام ١٩٥١ حيث قامت أكبر ثورة من أجل تأمين البتروى كانت الآبار فى عبادان تنتج اثنين وثلاثين مليوناً من أطنان البتروى . وفى ظل نفوذ البتروى إبان الحرب العالمية الأولى وقع شاه إيران معاهدة تمثل الحماية البريطانية المقتنة حيث تعهدت بريطانيا بتنظيم الجيش الإيرانى ومنح إيران ما يلزمها من المال . غير أن الحلفاء لم يلبشوا أن احتلوها ثم اتفقوا على اقتسام أسهم شركات البتروى فى إيران والعراق بين فرنسا وأمريكا وبريطانيا بحظوظ متعادلة . وتجدد الحديث حول البتروى عندما تولى رضا خان أمر إيران وبعد أن أنهى حكم أسرة قاجار عام ١٩٢٥ حيث جرت المفاوضات لتعديل اتفاقية البتروى المجحفة بحقوق الشعب الإيرانى . حيث عقدت اتفاقية جديدة تفضل اتفاقية سنة ١٩٠١ فى بعض الوجوه تدفع الشركة فيها ٢٠ فى المائة ولكنها تجدد الاتفاق ٦٠ عاماً أخرى إلى ١٩٩٣ . ويمثل بترول إيران المركز الاستراتيجى الأول للأمبراطورية البريطانية وللأسطول البريطانى والأمريكى فى الحرب العالمية الثانية وكان الأمل معقوداً للجيش وأسلحة الطيران على مصانع التكرير فى عبادان وكانت إيران صاحبة الفضل الأول فى انتصار الحلفاء . غير أن رضا شاه لم يلبث أن استعان بالخبراء الألمان

وعقد معاهدات تجارية مع ألمانيا المتلرية فحجب نفوذ بريطانيا وروسيا وظل يحجبه حتى اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية فكان عاملاً من عوامل عزل بريطانيا والحلفاء للشاه إفساحاً لجيوشها باحتلال إيران لتأمين وصول الامدادات إلى الجبهات الروسية بعد أن رفض رضا شاه إنذارهما ، احتلت بريطانيا وروسيا البلاد في أيام معدودات ، (١٩٤١) بعد عشرين عاماً من حكم دكتاتوري حقق بعض الأعمال العظيمة . وكان الشاه في خلال أعوام حكمه العشرين قد تحول إلى مثل شاهات قاجار الذين تخلص منهم . وفي ظل الاحتلال البريطاني يقظ المتنبه إلى ما يريد عادت قوة القبائل لنفوذها بتسليحها وإفسادها وإغداق الأعطيات عليها لاستخدامها في الضغط على القوى الوطنية وقت احتمت هذه القبائل بوجود الجيوش الأجنبية المحتلة والتي كانت تقوم بتسليحها تقوم أغلب هذه القبائل قرب الحدود الإيرانية العراقية أهمها (قبائل البخاري) والقشقاى . وفي الشمال وفي الشرق على محاذاة الحدود التركية الروسية والأفغانية والباكستانية أولت القوات البريطانية اهتمامها للقبائل الكردية والتركية المختلفة بحيث أصبحت قادرة بهاعلى أن توجه الأحداث . وقد كان هذا التحدى استعداداً مسبقاً لذلك الشعور الجياش في أعماق أهل إيران الذين يملكون البترول الغزير المتدفق ويقاسون أشد حالات الفقر وسرعان ما برزت قوى ثلاث هي الحزب الإسلامى والكتلة الوطنية وحزب توده الشيوعى تتصارع والنقط هو القضية . وتصدر الدكتور محمد مصدق وآية الله كاشانى قيادة العمل في خطورة جريئة هي تأمين البترول ضد الشاه وبريطانيا . ولا شك أن معركة النفط عام ١٩٥١ هي من أحدث العالم الإسلامى الكبرى بما آلت إليه من هزيمة للقوى الوطنية وانتصار للاستعمار ونفوذه ، وهي أن انتهت هذه النهاية فقد تركت بصماتها في أحداث الشرق كله وما تزال تفعل الكثير ثم لم يلبث أن ظهر عامل جديد في الأمر فبعد أن كان الصراع بين قوى نفوذى بريطانيا وروسيا أصبح النفوذ ثلاثياً بين أمريكا وبريطانيا وروسيا . وقد كشفت معركة تأمين البترول عن أن المفاهيم والثقافة الإسلامية ما تزال عاملاً هاماً في الحركة الوطنية والسياسية ، فقد قاد زعماء الشيعة حركة تأمين البترول بزعامة كاشانى وكان رجال الكتلة الوطنية بقيادة الدكتور مصدق من أتباعهم ، وقد ظل النصر معقوداً لهم ، حتى إذا وقع خلاف بين كاشانى ومصدق بدأت كفة الاستعمار ترجح . لمعت فكرة التأمين في ٢١ أكتوبر سنة ١٩٤٧ حيث أصدر مجلس النواب الإيراني قراره برفض منح امتيازات جديدة لأي رأس مال أجنبى للبحث عن

البترول في إيران . وأضاف القرار العمل على مفاوضة شركة البترول الانجليزية - الإيرانية لرفع نصيب إيران من بترولها إلى ٣٠ في المائة غير أن لجنة البترول في مجلس النواب برئاسة الدكتور مصدق رئيس الكتلة الوطنية لم تلبث أن أصدرت قراراً مفاداً أن خير عمل هو « تأميم البترول » . . . وسقطت الوزارة وجاءت وزارة رزام آراه الذي اتفق الانجليز والأمريكان والشاه على أنه أقوى رجل في إيران المواجهة الموقف وكان من رأى مصدق أن اتفاق رضا خان الذي عقده عام ١٩٣٣ باطل لأنه وقع في عهد كملت فيه الحريات وليس للشركة سوى (اتفاق دارسي) الذي ينتهي بعد عشر سنوات . ولما كانت الشركة قد استهلكت خمس أسداس حقوقها فإنه لم يبق لها إلا السدس من العشر سنوات القادمة ويمكن تعويضها عنه . ولم يلبث رازم آراه في الحكم أكثر من أربعة شهور ثم دوت أربع رصاصات أردت رئيس الوزراء قتيلاً وقال قاتله (خليل طهمسي) : نعم قتلت رازم آراه ، ولم يكن لي شركاء في شرف قتل الخائن ، وأصدر نواب صفوى رئيس جمعية فدائيان إسلام بياناً قال فيه : إن البطل الذي قتل رازم آراه الخائن أدى واجبه . وأصدر آية الله كاشاني الزعيم الروحي بياناً قال فيه إن الرصاصات التي أردت رازم آراه قتيلاً قد أكسبتنا معركة البترول رغم أنف الخائن المضح بدمه . ووجدوا في جيب القاتل ورقة مكتوبة عليها (اللجنة تحت ظلال السيوف) ورفض جميع أئمة المساجد في طهران أن يشتركوا في جنازة رئيس الوزراء . وأعادت الأحداث صورة جمال الدين الأفغاني والشاه ناصر الدين . وقد عرف آية الله كاشاني بعدائه الشديد للإنجليز ، وكانت له سابقة في الجهاد خلال ثورة رشيد الكيلاني عام ١٩٤١ ، وكان لا يملك السيطرة على أموال الشيعة الطائفة وله ولاء على الكتلة الوطنية التي تضم عشرة نواب في البرلمان تخرج من السربون برئاسة الدكتور مصدق . وكان كاشاني يردد دائماً صيحة واضحة : الانجليز أضاعوا قرآتنا ، وكان غلادستون يقول : لا طريق للإنجليز بين الأمم الإسلامية ما دام فيها القرآن ، ليخرج الإنجليز من كل بلد إسلامي . ومضت الحركة خطوات في سبيل الهدف وحاولت بريطانيا أن توقف الثورة حين أعلنت أنها تدفع ٥٠ في المائة من الأرباح واضطرت بريطانيا أن ترحل مواضعها ، غير أن النواب الذين ناصروا مصدق في مجلس النواب سرعان ما انقلبوا عليه ، ورفضوا منحه الصلاحيات المطلقة لمدة ستة أشهر واضطر إلى الاستقالة ولم يستطع خلفه « قوام السلطنة » العمل واضطر الشاه إلى استدعاء مصدق مرة أخرى لتأليف الوزارة وانتخب آية الله كاشاني رئيساً لمجلس النواب ، غير أن الخلاف ما لبث أن

وقع بين الزعيمين الديني والسياسي . فقد كان من رأى مصدق أن لا سبيل للإصلاح إلا بتنفيذ قانون الإصلاح الزراعي وتطهير الجيش وإعطاء خمس محصول الأراضي للفلاحين المستأجرين الفقراء ، وعارض كاشاني هذا القرار ، واشتد الخلاف وبلغ درجة بعيدة من العنف والاتساع وكسب النفوذ الاستعماري الموقف ، واضطربت الوحدة الوطنية الإيرانية وضربت شركات البترول ستاراً جديداً من الحصار الاقتصادي على زيت إيران في الأسواق العالمية ورفضت أمريكا وروسيا شراء البترول أو توقيع اتفاقيات أو قروض معها . ولم يستطع الدكتور مصدق أن يفعل شيئاً بالرغم من إعلان خفض سعر البترول الإيراني إلى نصف سعره العالمي ولم تغز ثروة الذهب الأسود الإيرانية هذه البلاد شيئاً في محتتها ، بل ربما كانت عاملاً هاماً في إسقاط مصدق . وإن استطاع أن يوازن بين الصادرات والواردات على نحو مذهل .

(٣)

لا شك كانت التحديات بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية منذ القرن (العاشر) وتلك الحروب والغزوات المتصلة سبباً في توسيع شقة الانقسام بين السنة والشيعة التي ظلت آثارها حية وقائمة إلى أن استطاع الاستعمار الزاحف لتطويق عالم الإسلام الانتفاع بهذا الصراع ودعمه والتركيز عليه . فقد آذرت بريطانيا فارس مؤازرة ضخمة ، في نفس الوقت الذي كانت تعمل فيه للقضاء على الدولة العثمانية . وفي خلال هذه المعركة عمقت طوابع الخلاف واتسعت الشقة بين السنيين والشيعة ، وما زالت عقابيل هذا الخلاف باقية إلى اليوم بالرغم من المحاولات المتعددة للقضاء عليها وللإستعمار أثر لا شك في بقاء هذه الهوة للحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي والتفائه في «رابطة تامة» . وقد أكد هذا المعنى كثير من الباحثين الشيعة أنفسهم ، تقول مجلة العرفان : «إن الفارقة بين السنة والشيعة جاءت من الحكام الظلمة الذين لا يحكمون إلا إذا تعددت الكلمة وتفرق الشعب شيعاً وأحزاباً . ولما جاء الاستعمار غدى هذه الروح وعمل على تقويتها وقسم البلاد العربية وأقام بها الحدود والسدود وغذى الطوائف فإذا أردنا أن نحمل الإسلام فعلينا أن نقضى على النفوذ الخارجي وأن نعرض الإسلام عرضاً سلباً بدون سنة ولا شيعة» . ولا شك يحمل العثمانيون وزراً في تغذية هذا الخلاف . ولكن النفوذ الاستعماري كان من وراء تعميقه ولو ترك العثمانيون والفرس لأنفسهم

لالتقوا على جامعة تجمعهم هي جامعة الإسلام وكلمة لا إله إلا الله . وقد جرت في العصر الحديث محاولات لتصفية هذا الخلاف وما تزال وكان للأزهر دوراً كبيراً فيها فقد حدثت لقاءات متعددة بين علماء السنة وعلماء الشيعة في مجالات مختلفة أهمها المؤتمرات الإسلامية الكبرى . وفي طليعة من دعى إلى تصفية هذا الخلاف : جمال الدين الأفغاني ، جمال الدين القاسمي ، سليم البشري ، محمد حسين آل كاشف العطاء شيخ جامع المنجف الأشرف ، محسن الأمين ، محسن الحكيم . ومن أشهر من نبه إلى قيمة الكنوز الدفينة في مذهب الإمامية والزيدية : محمد أبو زهرة ، السهري ، شلتوت ، محمد المدني . ومن الحق أن يقال إنه ليس بين الشيعة والسنة من خلاف في الأصول العامة فهم جميعاً أهل التوحيد ، وإنما في الفروع ، وهو خلاف يشبه ما بين مذاهب السنة نفسها (الشافعية والحنفية) . فهم يدينون بأصول الدين كما وردت في القرآن والسنة المطهرة ، كما يؤمنون بكل ما يجب الإيمان به ويبطل الإسلام بالخروج منه من الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة ومن ، الحق أن السنة والشيعة هما مذهبان من مذاهب الإسلام يستمدان من كتاب الله وسنة رسوله وتتميز الشيعة بتقدير وافر لأهل البيت ولا يوجد في أهل السنة من ينكر فضل آل البيت ومصر معروفة بحب آل البيت . ويحاول الشعوبية ودعاة التغريب دوماً إثارة الخلاف بين السنة والشيعة : فيقولون للشيعة إن السنة تنكر استحقاق «علي» للخلافة قبل أبي بكر ، ويقولون للسنة إن الشيعة تفضل علياً على أبي بكر وعمر ، ويقولون للشيعة إن أبا بكر منع ميراث السيدة فاطمة من أبيها ، وقد ألف أحد المستشرقين كتاباً باسم «فدك» في محاولة لإثارة شبهة عن الضيعة التي كانت تطلب بها السيدة فاطمة والتي احتج الخليفة أبو بكر في الاعتذار عنها بأن الأنبياء لا يورثون . وقد أكد كثير من أعلام الشيعة على أن الغالبية كالباطنية وغيرها ليست من الشيعة وأن الشيعة منها براء ، وأن الشيعة لا تنهم وإنما توجه التهم إلى الفرق التي أدعت أنها باسمها وأن للشيعة أعلام عظماء خدموا الإسلام وكانوا من كبار رجاله أمثال : عمار ابن ياسر وسلمان الفارسي والأحنف بن قيس وسعيد بن المسيب وأبو الأسود الدؤلي والفرزدق والكيث وابن الرومي والبحتري ومهيار الديلمي وابن هاني والأندلسي وأبو فراس الحمداني والطبراني والشريف الرضي ولا شك أن الشيعة والعلماء والدرزي والاسماعيل والسني كلهم منضوون تحت كلمة التوحيد وخلافهم في الفروع وحدها وهو خلاف لا يفرق ، وهم متفقون في الأصول يقولون بأن لا يحكم بالكفر على أحد من

أهل القبيلة والشيعة الإمامية أكثر فرق الشيعة عدداً وانتشاراً ويسمون الاثنى عشرية ، ويبلغ الإمامية سبعون مليوناً موزعون في العراق وإيران ومنها ٣٢ في الهند وباكستان و ١٠ ملايين في روسيا وتركستان وبخارى والأفغان ولبنان وبعضهم في سوريا والحجاز واليمن ومنهم مجموعات في الصين والتبت والصومال وجاوه وتركيا والبحرين والكويت وقد بذل أعيان الشيعة جهداً واسعاً في سبيل تحرير الفقه الإسلامي من أغلاله ولهم اجتهادات دائمة لم تتوقف . وقد حاول المستشرقون وخاصة المستشرق رونلدس في كتابه (عقيدة الشيعة) إيقاع الفتنة بين المسلمين ودعم هذا الدس بشئ الأساليب ، وقد دفع الإمامية ما جاء في كتابه من إتهامهم بتحريف القرآن وإنكاره . وقد دعا كثير من مجتهدى الشيعة وفي مقدمتهم العلامة جواد مغنية إلى عدم التعصب لمذهب فقهي خاص ، فإن ذلك تعصب للسياسة التي كانت وراء المذهب ، وقال إن الشريعة لها أصول مقررة والخلاف والجدل بين المذاهب إنما حصل فيما تفرع عن تلك الأصول وما يستخرج منها . وقال : : إن في كتب الشيعة الإمامية اجتهادات لا يعرفها أهل السنة ولو أطلعوا عليها لقويت ثقتهم بالشيعة ومفكرها ، نقول وكذلك الشأن بالقياس إلى كتب السنة وعلماء الشيعة . وجملة القول إن محاولات الغزو الفكرى والاستعمار القلى والتغريب والشعوبية ما تزال تتدخل إلى حد كبير في توسيع شقة الخلاف بين أهل السنة وبين الشيعة وفي إذاعة الشبهات وترديدتها وتجديدها في مختلف كتب الباحثين عملاً على تمزيق وحدة المسلمين وتعميق الخلافات الفرعية وتحويلها إلى خلافات جنسية والحيلولة دون الالتقاء . وما يزال المذهب الجعفرى هو المذهب الأساسى للفقه الشيعى .

في هذا الضوء ينظر إلى حركة المقاومة للاستعمار التي حملت لواءها إيران فهي مرتبطة إلى حد كبير بالمفهوم الإسلامى الشعبى العنيد في مقاومة كل غزو والذى حمل دوماً لواء المقاومة للحكام المستبدين . وقد تجلت هذه المقاومة في مواقف حاسمة : (١) معركة التنباك . (٢) مقاومة الغزو البريطانى الفرنسى . (٣) مقاومة الاستبداد .. (٤) حركة تأميم البترول . ولقد استغلت القوى الأجنبية فرصة الخلاف بين تركيا وإيران فأيدت إيران تأييداً أفسح لها مجال النفوذ فقد شرعت الارساليات الانجليزية والفرنسية والأمريكية تتوافد

إلى إيران منذ أواخر حكم ناصر الدين شاه (١٨٨٠) وتفتتح مدارسها في وجوه الإيرانيين الذين يشتمون إلى الطبقات العليا والوسطى ، وكانت الشركات الأجنبية قد حصلت على امتيازات اقتصادية عظيمة الشأن ، ولم يكن في وسع ناصر الدين أن يوقف هذا السيل الجارف من الأوربيين الذين يحملون معهم الثقافة الغربية . وكان الشاه قد سحح للانجليز باحتكار صناعة التبغ فقاطع الأهالي الدخان وقام العلماء بحملة عنيفة اضطرتته إلى أن يلغى الاحتكار (١٨٩٠) . ومن حق أن يقال إن الإيرانيين اتجهوا إلى الجامعات الأوربية ١٨٦٥ تقريباً . وإن ذلك الاتجاه الباكر الذي حاول النفوذ الاستعماري تأكيده وتعميقه خلق حاجزاً ضخماً بين إيران وبين العالم الإسلامي وصبغها بصبغة التغريب من ناحية وحال بينها وبين الانصهار في المجموعة . غير أن ثبات علماء الشيعة المسلمين قد حفظ مفهوم الإسلام في مواجهة الغزو الغربي : سياسياً وعسكرياً وثقافياً - قادراً على الحياة فكان عامل المقاومة في مختلف العصور وفي جميع حركات الثورة والمقاومة إسلامي الطابع . وفي خلال العقود المتوالية من القرن العشرين جرى تحول كثير فيه مرونة والتقاء بالعالم الإسلامي بعد أن ظلت فارس تمثل شخصية مستقلة عن العالم الإسلامي ، باعلاء مفهومها العقائدي ، ولكنها كانت عرضة لخطر النفوذ الغربي شأنها شأن مختلف إجزاء العالم الإسلامي ، بل لعل موقعها الخطير قد عرضها لنفوذ مزدوج وصراع متصل بينها وبين الروس في الشمال والبريطانيين في الجنوب ويرى كتاب الغرب ودعاة التغريب أن فارس كانت دوماً ذات طابع خاص بحسبانها مجموعة شيعية وسط الأغلبية السنية في أفغان والهند والمجموعات السنية في العراق ومصر وتركيا ، وأن هذا الخلاف العقائدي قد شكل مع الزمن . شعوراً قومياً كان دائماً موضع الصراع بين العرب والفرس . وبين الفرس والترك من ناحية أخرى . ولا شك كانت خطة الاستعمار واضحة منذ عاون عباس الأكبر (١٥٨٧) لإنشاء جيش مسلح لمواجهة الأتراك . وهي تستهدف السير في مخطط توسيع الخلاف وتعميقه بين إيران وتركيا وبين إيران والعرب كخطة يسعى الاستعمار دائماً إلى ابقائها واستمرارها . غير أن المسلمين الترك والعرب قد تنبهوا إلى هدف الاستعمار وحاولوا إحباطه فقامت خطوات كثيرة في السنوات الأخيرة للتقارب والانتماء على المستوى السياسي والمستوى العسكري أيضاً . عاشت إيران في العصر الحديث مدة طويلة تحت حكم ال قاجار امتدت ١٥٠ سنة حتى اسقط حكمهم رضا خان

عام ١٩٢٠ وكان أهم آثار هذه الأسرة تقبل التدخل الأجنبي في الأمور الداخلية فقد كان الأجانب يسرون مختلف أمور إيران وكان للنفوذ الأجنبي أكبر الأثر في ترسيخ أقسام رؤساء الاقطاع وتشجيعهم على العصيان والثورة . وكان تدخل الانجليز في أمور إيران يتمثل في حجج مختلفة منها سياسة المحافظة والدفاع عن الهند ، وقد انتهز الانجليز ضعف إيران خلال حكم أسرة فاجار فوسعوا نفوذهم في أطراف خليج فارس بحسبانته باب الهند ، وكانت سياسة إيران تضطرها إلى عدم التعرض لرواد البحار والسفن التابعة للدول الكبرى وتجارتها وبعثاتها الاستكشافية ، فقد أعطت الحرية التامة لتجارة الأجانب وعلى الأخص الإنجليز الذين اكتسحوا الأسبانيين والبرتغاليين من طريقهم . وقد مكنت هذه السياسة بريطانيا من التلاعب في أمور إيران الاقتصادية والسياسية ، بفرض الامتيازات الهامة كالسكك الحديدية لجميع طرق إيران ١٨٨٩ وامتياز تأسيس المصارف ١٩٠٨ وامتياز التبغ والتبako ١٩٠٨ وكانت حكومة قاجاز كحكومة إسماعيل في مصر مدينة مرهقة يحيطها النفوذ الأجنبي من مختلف أقطارها . وقد وضع الاستعمار البريطاني الخطط لإثارة القبائل وتجهيز الطوائف المختلفة بالأسلحة وشد أزر الأمراء والشيوخ ومحاولة تقسيم إيران إلى ولايات ومناطق عشائرية وكان اتصالها بأكبر القبائل والعشائر لإثارة الخلاف والارتباط مع الأجانب وكان ذلك جرياً على القاعدة البريطانية والاستعمارية التي تقول : « إن الوظيفة الكبرى للمثليين البريطانيين البريطانيين في البلاد الشرقية هي إضعاف الحكومات في كل شيء وبث التفرقة وتشجيع تعدد المذاهب والآراء والعقائد ثم تأليب فئة على الأخرى وإشغال الحكومة والشعب على بعضها بغية التدخل وسيطرة بريطانيا العظمى عن تلك الدول » . غير أن العلماء الشيعيين المسلمين لم يتوقفوا عن العمل في سبيل مقاومة النفوذ الأجنبي ، وكان جمال الدين الأفغاني قد قاوم استبداد « ناصر الدين شاه » وحاول أن يحقق لإيران دستوراً يكفل للشعب حقوقه ازاء سلطات الشاه المطلقة فأخرج من إيران ولكن لم يكد يعلن منح حق امتياز التبناك والدخان للمستمر تالوت في ٨ مارس ١٨٩٠ وكانت مدة الامتياز خمسين سنة حتى كان هو نقطة الانتفاضة بعد أن أسرف الشاه في منح امتيازات مختلفة للشركات الأجنبية بعد أن منع البارون جولياس روتر حق إنشاء البنك الشاهاني ١٨٨٩ كما منحه حق استخراج جميع المعادن في إيران : ورأت الأمة الإيرانية إسراف الشاه في منح الامتيازات للشركات الأجنبية فثارت ثائرتها ولم تنطق بعد هذا صبراً ورأت حكومة الشاه أن تخمد اتجاه الرأي العام فألقت

القبض على زعماء الثائرين . وكان جمال الدين - الذى اقتاده جنود الشاه إلى منطقة الحدود العثمانية - يعرف ما للحاج مرزا حسن شرازى كبير العلماء والمهبيين من نفوذ عظيم فأرسل إليه خطابه المشهور : « هذا يومك يا حجة الإسلام فإن لم تسمع نداء القوم وإن لم تنهض لجمع شملهم ، وتوحد كلمتهم وتضم صفوفهم ، وتدفع عنهم بقوة الشرع الذى أنت حامية ظلم الظالمين فقل على ممالك الإسلام السلام . إن العلماء ينتظرون بفروغ صبر كلمتك وإن التاريخ ليرمق عن بعد سيرتك فماذا أنت قائل والسلام » . وقد أصدر كبير المجتهدين من مقره فى (سر من رأى) فتوى تحريم التمباك والدخان ، « تلك الفتوى التى سرت مسرى الكهرباء فى جميع البلدان فأقفلت مخازن الدخان وأبى البائعون بيعه ، والشارون مشراه ، حتى لقد هشم رئيس خدم الشاه كل مافى القصر الملكى من نراجيل ، واتلف ما فيه من دخان بدون أمر أو استئذان وعندما عنفه الشاه على فعلته قال : وهل استأذنتم قبل الإقدام على ذلك ، أجاب بشجاعة وسكون : « لقد أمر الشرع فلا بنا إلى استئذان السلطان » . وبرزت منذ تلك اللحظات حركة مقاومة للشاه تمثلت فى اتحاد شامل وجمعيات وطنية ، وحاولت الحكومة أن تخفف من ضغط الأزمة فأعلنت إنها اتفقت مع شركة الاحتكار على ألا توظف فى إدارتها أجنبياً ، ولكن إعلانها لم ينقص من حماسة الأمة ولم يزد النار إلا ضراماً « فهاجم الشعب محلات الشركة فى كل مكان ومزق إعلاناتها فأرسلت الحكومة خمسمائة فارس بقيادة سعد الدولة للقبض على السيد (كالمكبر كلاروسى) أحد زعماء الثائرين فلم يتمكن الجنود من ذلك إلا بعد معركة شديدة قتل فيها ما يزيد على مائتى نفس من الأحرار . « ونزول الشاه على إرادة الحكومة وأعلن أن الامتياز قد أصبح باطلا ، ولكن حجة الإسلام أبى أن يرفع فتوى التحريم حتى يتأكد من بطلانه تماماً وعلى ذلك استمر الشعب مقاطعاً ، فعز ذلك على ناصر الدين شاه فعمد إلى العنف وأرسل إنذاراً إلى الحاج ميرزا حسن ميرزا اشتياني أحد كبار علماء طهران يخبره فيه بين التدخين والنقى ففضل الخروج من بلدته على الخروج على أمته وزحفت الجماهير على قصر الشاه معلنة سحقها ، وفى أواخر يناير ١٨٩٢ نالت الأمة ما أرادت فألغى الامتياز ، وكانت مسألة التنباك فرصة لإعلان الثورة ، فكانت على أشد ما تكون فى عهد محمد على شاه حفيد ناصر الدين الذى حاصر نواب الأمة فى البرلمان ، ثم سلط عليهم المدافع تدكه على من فيه » . وكان من نتيجة ذلك أن أقدم ميرزا

رضاً كرماني تلميذ جمال الدين الأفغاني على اغتيال ناصر الدين شاه يوم الجمعة ١٨ ذى القعدة ١٣١٣ (١٨٩٦) في إبان الاحتفال بمرور خمسين عاماً على سلطة ناصر الدين شاه أثناء زيارته لمقام شاه عبد العظيم وما حدث عام ١٨٩٢ شبيه بما حدث بعد ذلك سنة ١٩٥٢ من موقف علماء الشيعة في إيران في حركة تأميم النفط ودفعها إلى غايتها ، هذه الحركة التي كانت ستؤدي أكلها لولا وقوع الخلاف بين الزعيمين : آية الله كاشاني ومحمد مصدق . وقد ثارت إيران مرة أخرى عام ١٩٠٧ بعد توقيع المعاهدة الإنجليزية الروسية التي اقتسمت إيران وأملت عليها شروطهما . ونظمت مخطط النفوذ الروسي الإنجليزي وتقاسمت مناطق النفوذ (شمال إيران لروسيا وجنوبها لـ إنجلترا) والمنطقة الوسطى محايدة ، وهذه المعاهدة شبيهة بالاتفاق الودي الذي عقد بين فرنسا وإنجلترا عام ١٩٠٤ باقتسام النفوذ بين بريطانيا في مصر وفرنسا في تونس . وقد أيقظ هذا التنافس الروح الوطنية في البلاد للتخلص من النفوذ الأجنبي وكانت هذه الثورة معاصرة لثورة ١٩٠٨ في تركيا التي أعلنت الدستور العثماني وقضت على حكم السلطان عبد الحميد وفتحت الطريق إلى نفوذ الاتحاديين . غير أن نذر الحرب العالمية الأولى لم تلبث أن وسعت نفوذ الروس والإنجليز معاً فقد سارع الروس إلى احتلال تبريز وأرسل البريطانيون قوتهم إلى بوشير والمجرة باسم حماية امتيازات البترول . ولا شك كان ظهور البترول في إيران - الذي حصل الراهب روز نيلوم على امتيازته عام ١٩٠١ - قد زاد من خطر النفوذ البريطاني في هذه المنطقة وكان للبترول أهميته الكبرى في الحرب العالمية الأولى مما ساعد الحلفاء على قهر ألمانيا . وقد ظلت إيران مسرحاً للقتال والفتن طوال مدة الحرب الأولى . وفي عام ١٩١٩ تم توقيع اتفاق إنجليزي إيراني معجف ، مهد للثورة على الاستعمار حتى حدث انقلاب ٢١ فبراير ١٩٢١ . بقيادة رضا شاه الذي دعا إلى طرد جميع العناصر الأجنبية من الجيش . يقول جورج ليشوفسكي : إن إيران لم تعامل مطلقاً باعتبارها منطقة من مناطق التوسع الاستعماري بل دولة فاصلة بين الهند وروسيا . وقع الانقلاب الفارسي الذي قاده رضا شاه في نفس الوقت الذي وقع فيه الانقلاب التركي بقيادة مصطفى كمال . ولقد حاول رضا شاه أن يسير مسيرة مصطفى كمال ولكنه لم يجد الطريق مهيئاً ، كانت قوة علماء المسلمين الشيعة عاملاً ضخماً في تحفظه ؟ وقد أشار جورج ليشوفسكي في كتابه : الشرق الأوسط إلى أن نفوذ رجال الدين الشيعة هو الذي أعطاه الحذر والتيقظ . وأوفاً إلى أن الدستور الإيراني ١٩٠٧ كان ينص صراحة على أن الدين الرسمي هو الإسلام على المذهب

الجعفرى وكان على شاه إيران أن يعتنق هذا المذهب ويعمل على نشره ، كما كان يحظر على المجلس أن يصدق على أى تشريع ينفى مبادئ الإسلام وينص على استشارة الفقهاء فى عملية التشريع والاستشارة ملزمة ، لذلك لم يشعر الشاه أن فى استطاعته أن يتحدى هذه النصوص كما أنه بدلا من أن يشن هجوماً أمامياً فى خططه الإصلاحية التجأ إلى طريق عدة ملتوية تحاشى فيها رجال الدين الشيعة وتجاهلهم دون أن يعمل على كبح جماحهم بصورة مباشرة . وقد أشار لنشوفسكى إلى الفارق بين رضا خان ومصطفى كمال فقال إن شاه إيران نجح فى الإصلاح والتحرر من النفوذ الأجنبى وإن كان لم يصل فى الأخذ بأسباب الغرب إلى ما بلغه أتاتورك وقال « ولا شك كانت مهمته أشق من مهمة أتاتورك لأن بلاده كانت أكثر تأخرًا ولأن ثقافته وشخصيته كانتا تختلفان عن ثقافة أتاتورك وشخصيته . ومن حق أن يقال أن رضا خان ومصطفى كمال وأمان الله كانوا فى عصر واحد هو عصر ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان مصطفى كمال هو أجراً هؤلاء جميعاً إلى الخطو نحو التغريب ، وكان عمله يلقى دهشة كبرى ، بحسبان أن تركيا التى كانت (الدولة العثمانية ودولة الخلافة) هى التى تقود فى العالم الإسلامى حركة التغريب والانفصال عن القيم الإسلامية . وقد سار الثلاثة فى خطوط مختلفة ، أما أتاتورك فقد استطاع أن يلقى كل مقومات الحياة الاجتماعية الإسلامية ويفرض نظاماً جديداً كان عرضة للانتقاص بين فترة وأخرى ولم يستقم طوال حياته ولا بعدها نظراً لخروجه عن طبيعة المجتمع الإسلامى الجذور . أما أمان الله خان فقد عجز عن فهم مدى قدرة أمته على التغيير فانفصل عنها ، أما رضا خان فقد استطاع أن يسير بخطوات بطيئة فى سبيل تحقيق إدخال الأنظمة الحديثة فادخل ١٩٢٧ النظام التشريعى الفرنسى ونظام التعليم الحديث وسار فى تحرير المرأة سيرة بطيئة . ولكنه حقق أمرين هاميين هما جعل التعليم إجبارياً وإلغاء الامتيازات الأجنبية . ولا يخلو أمر الأنظمة المستوردة فى العالم الإسلامى من أخطاء وتجاوزات وخاصة فى إلغاء رضا خان التعليم الدينى الإلزامى فى المدارس الابتدائية والثانوية ١٩٣٠ وتأكيد الناحية المدنية وحدها والتخلص من أرضية الفكر الإسلامى فى مختلف مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية .

إن أخطر ما منيت به إيران فى تاريخها المعاصر هو محاولة إعادة « الكسروية الفارسية » المتمثلة فى قورش ومثير أى إعادة ما قبل الميلاد (قورش ٥٥٩ ق.م) بينما جاء الإسلام بعد

الميلاد بستة قرون ونصف القرن (٦٥١ م) ودخلت فارس في دين الله وزال من الوجود كسرى ورسم ويزرجرر وفتحت أبواب الأهواز ونهاوند أمام المغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص والنعمان بن مقرن . هذه الردة الخطيرة التي حمل لوائها رضا خان المتسمى ببهلوى إعادة للأمجاد الجاهلية وابنه محمد رضا بهلوى ، هي الوجهة الخطيرة التي اتجهت إليها إيران المسلمة منذ خمسين عاماً مرحلة بعد مرحلة عندما استولى رجل مغرور أمى هو رضا خان على السلطة ونصب نفسه ملكاً - ولم يكن ضابطاً قد تعلم في مدرسة عسكرية بل متطوعاً في لواء القوازي الإيراني أُمياً لا يعرف القراءة والكتابة حول اسمه من خان إلى بهلوى . (الرمز الفارسي) إيماء إلى غايته وهدفه الذي سار فيه وقطع مرحلة ثم جاء ابنه محمد رضا ليكمل المسيرة ومن هنا كانت ثورة إيران ١٣٩٩ هـ علامة على العودة إلى الأصالة والتماس الانتماء الإسلامي الحقيقي الذي تعرض للخطر في تلك الاحتفالات الضخمة التي أقامها الشاه المخلوع علامة على العودة إلى الوثنية المجوسية الفارسية وقد صدقت محطة الإذاعة البريطانية حين قالت : إن الثورة الإيرانية قد انفجرت من جانب الأصالة الإسلامية ضد الجانب المظلم من التحديث بل ويمكن القول في وضوح إن سقوط الشاه ونظامه الغربي هو علامة أخرى على فشل هذا التيار الذي قاده أتاتورك رضا خان في العشرينات تحت تأثير النفوذ الأجنبي المسيطر الذي كان يرى أنه هو الأسلوب الذي يمكنه من احتواء هذه المنطقة والحيولة دون امتلاكها إرادتها الحرة في إطار طبيعتها الإسلامية وروحها المستمدة من الشريعة الإسلامية ومنهج الإسلام الاجتماعي والاقتصادي . وقد أشار مؤلف كتاب (إيران: الديكتاتورية والتطور) إلى هذا المعنى حين قال أن الثقافة الرسمية للنظام الحاكم كان يغلب عليها طابع النزعة المادية المتطرفة للحياة . وكانت هناك قلة محدودة فقط من المثقفين هي التي تنظر بصورة جدية إلى « الأساطير القومية » المختلفة التي يروج لها الحكم وسط مزيج من النزعة العسكرية والتعصب القومي وهي ترفض في نفس الوقت الثقافة الفارسية التي عاشت في الماضي بترائها الشعرى والفنى الحافل وتفضل عليها جوانب أكثر سطحية من المجتمع الغربي . وقد كان هؤلاء المثقفون الإيرانيون يشعرون أنهم في مصيدة فمن ناحية كانوا يدركون حدود التاريخ والثقافة الإيرانية ومن ناحية أخرى كانوا ثائرين على نحو قومي وجمالي بسبب ذلك الشكل المحدود من الثقافة الغربية التي كانت تستورد إلى إيران ولذا تطلع عدد محدود من هؤلاء المثقفين إلى العودة إلى الماضي : إلى القيم الإسلامية ، وكان أصحاب التطلع إلى قيم ما قبل الإسلام يعتقدون أفكاراً متعصبة مناهضة للعرب وحاول الكثيرون القفز فوق حواجز الثقافة الغربية التي تنبثق من المجتمع الاستهلاكي . وفي رأينا أن هذه النقطة هي الركيزة

الأساسية لسقوط نظام إيران الديمقراطية الغربي الذي كان يقوده الشاه المخلوع بهدف تشويه وجه إيران الإسلامى والقضاء عليه وإعادة وجه إيران الوثنى المجوسى القديم بإحياء التاريخ والحضارة بل وتغيير العام الهجرى والميلادى المعمول بهما لهذا الغرض المسموم . ولا ريب إن إعادة وجه إيران الإسلامى هو أبرز معالم حركة اليقظة التى قادها الإمام الخومينى والتى وصفت بعد أن تحققت نتائجها بأنها علامة على يقظة الإسلام ذاته وأن التجربة الغربية لم تستطع بعد خمسين عاماً إلا أن تعلن فشلها وسقوطها ، كما أعلنت التجربة الماركسية فشلها وسقوطها فى أجزاء أخرى من العالم الإسلامى منها أندونيسيا ومصر ومهما قيل من أن شاه إيران المخلوع كان يهدف إلى « تحضير إيران » أو تعديلها أو دفعها إلى أن تكون دولة عظمى بالأسلوب الغربى فإن هذا العمل مقضى عليه بالفشل تماماً لأنه معارض لطبيعة الأسلوب الإسلامى فى العيش والعمل وأن المحاولة التى حاولها الشاه كانت فاشلة تماماً بتقدير المعلقين الغربيين أنفسهم وفى ظل التقدير الحقيقى لها ذلك لأن الشاه لم يكن يصدر فيها عن أسلوب أصيل وإنما عن محاولة استعلاء ضالة خادعة ويقول روبرت جراهام فى كتابه (إيران : وهم السلطة) أن الشاه لم يكن يعرف أسلوب العمل الحقيقى وكان كالسيارة التى تنتقل فجأة من السرعة الأولى إلى السرعة الرابعة وهى تندفع إلى أسفل منحدر ، وأن الشاه إنما كان يهدف بعباراته الطنانة « الدخول إلى مرحلة الحضارة العظمى أو القوة الخامسة ، إنما يهدف بأسلوب مضلل إلى دعم النظام الامبراطورى وتشبيث سلطته الشخصية (أسرة بهلوى على عرش إيران) بصرف النظر عن أصول الاقتصاد وقدرة المجتمع الإيرانى على استيعاب أحدث مبتكرات التكنولوجيا . وقد جاء المغامرون الغربيون من كل مكان للحصول على الإثراء السريع ، وعجرت إيران عن استيعاب آلاف الملايين من الدولارات وفقاً للمشروعات الاقتصادية المرتجلة وحين قال الشاه إننا عبرنا الحدود بالفعل إلى الحضارة العظمى كانت الخطط الاقتصادية تتجاهل الأوليات ، وعندما تختلط الحابل بالنابل يبدو الازدهار شاملاً ، ولم يكن هذا الازدهار إلا مقصوراً على المحظوظين وأصحاب العلاقات الوثيقة بالقصر الذين جمعوا عشرات الملايين فى وقت قياسي ورأى غالبية الإيرانيين أن ثروة إيران القومية تنسرب إلى المغامرين الأجانب » . كان اتجاه الشاه الغربى معارضاً للأصالة والطبيعة الإيرانية التى شكلها الإسلام منذ أربعة عشر عاماً ، وكان أسلوبه مضاداً للفطرة راعياً فى إخراج هذه الأمة من وجودها الحقيقى ولذلك ووجه بمعارضة اجتماعية شاملة ، ظلت صامدة بالرغم من عوامل القسوة العنيفة فى مقاومتها وبالرغم من قتل الألوف الذين عبروا عن معارضتهم بالاحتشاد حيث لم يزد ذلك إلا إصراراً وعزماً على التحدى

والمقاومة ، ولم يكن نظام الشاه في الواقع قادراً على الصمود لأنه لم يكن عادلاً ولا مطابقاً لرغبات الشعب ولا محققاً لمطامح الأمة ولكنه كان كما يصفه الغربيون أنفسهم أمثال جيمس بيل وغيره : كان يتمثل في مؤسسات هشة مهتزة تدور جميعها حول الشاه وتقع تحت السيطرة البهلوية النامة ، وكان حكم الشاه حكماً مطلقاً لا حكماً دستورياً جمع بين الهجوم الذي لا يعرف الرحمة أو المراوغة التي تلجأ إلى المناورات فضلاً عن أن الشاه لم يكن - كما يقول جيمس بيل وغيره - يتمتع بصفات الزعامة ولم تبه الطبيعة الشخصية الجذابة وقوة التأثير وإنما فرض شخصيته فرضاً على أذهان الشعب وأحاط نفسه بهالة من القوة الغامضة ، وكان الشاه يحمي نفسه وراء نظام من المخابرات والتجسس والحرس اسبغ على رجاله مميزات هائلة جعلته من الطبقات المترفة في المجتمع الإيراني فعرفت به إيران منذ ١٩٧١ عهداً من الروع والقمع الوحشي للمعارضة وامتلات السجون ونفذت أحكام الإعدام في كثير من وهوجمت المؤسسة الدينية هجوماً مباشراً . وكانت عملية تطوير الجيش وتسليحه بأحدث المعدات العصرية لا تستهدف إلا مطامع شخصية وعرقية تقوم على السيطرة على الخليج وإعلاء الجيش الإيراني وقد تعمد الشاه إلى القضاء على المعارضة وعلى الطبقة المثقفة المسلمة المستنيرة التي كانت ترى إن خطته السياسة هذه لا تستهدف خيراً للوطن ولكنها تعمل لتحقيق مطامع فردية وأهداف لخدمة النفوذ الأجنبي فكان يعمل على تضعيف هذا الاتجاه والقضاء عليه ولقد عمق الشاه هذا الاتجاه المعادي للأصالة وللإسلام ولروح الأمة الحقيقي حين أغرق البلاد في الجنس فكان له مدينة كاملة ودائرة واسعة حافلة بالملاهي الليلية والمراقص ، والفنادق التي تقدم المشروبات الروحية للأجانب وفتيات الليل وما يتصل بهذا من ظهور مجلات مكشوفة تشجع القصص الجنسية وتقنين الفساد والإباحية وتدعو إلى الجريمة والأهواء . وكان أخطر وجوه الخطر في الوضعية الإيرانية في ظل نظام الشاه :

(أولاً) : الديكتاتورية والقضاء على الأصالة .

(ثانياً) : إعادة صورة التاريخ الوثني المجوسي قبل الإسلام .

(ثالثاً) : تحويل البلاد الإسلامية إلى تبعية كاملة للحضارة الغربية المنهارة .

(رابعاً) : موقفه من الصهيونية العالمية .

(خامساً) : الثروات الوطنية المنهوبة .

ومنذ وقت طويل تكشف هذا الانحراف الخطير في النظام الإيراني وتكشف تواطؤ الشاه مع

الصهيونية العالمية وتبعيته الواضحة للاستراتيجية الاستعمارية ، ولقد ورث الشاه عرشه عن والده الذي وصل إلى الحكم بواسطة انقلاب مشبوه في ظروف غامضة لا يخفى ما وراءها من أهداف الصهيونية العالمية وبروتوكولات صهيون فضلاً عن التسمية الواضحة للماسونية التي تعمل لإعادة هيكل سليمان وتغريب سيطرة اليهود على العالم وقد أعطى الشاه سلاحاً حاداً للتغريبين الذين انطلقوا يهاجمون الإسلام وكل ماله علاقة به ويطالبون بإبعاده عن الصراع مع الصهيونية العالمية وكانت أخطر محاولاته إثارة الشعوبية والنعرات القومية بين العرب والفرس وكانت له خطة مغامرة لإحداث فتنة في الخليج كان من شأنها أن يصبغ مياه الخليج بدماء المسلمين ولقد تركزت قوة المعارضة على أن شاه إيران لم يكن يمثل في الحقيقة شعب إيران ولا المسلمين وأنه كان يقوم بتمثيلية وهمية تحت اسم الثورة البيضاء أو الإصلاح الاجتماعي ، بينما يعاني ملايين التمساء والبؤساء في إيران حياة مريرة في نفس الوقت الذي ينعم فيه الشاه بالضياع والقصور والمعونات الأجنبية وتقوم مؤسسة بهلوى على ألوف الملايين من الثروة القومية المنهوبة وعائدات البترول السخية . وقد واجه الإمام الخميني هذه المحاولات منذ عام ١٩٥٩ فوجه إلى قادة الدول الإسلامية بيانات يدعو فيها إلى إنقاذ إيران وكشف عن أن الشاه ورث عن أبيه اللؤم والغدر والخيانة وكره العرب والمسلمين ، فقد غدر رضا شاه بهلوى بأسرة فاجار وخلع الشاه الشرعى الذى كان اغدق عليه ورقاه من منصب عسكري إلى منصب بلغ رتبة جنرال . ولقد كان رضا شاه أول من فتح هذا الطريق إلى مقاومة الأصالة وروح الإسلام في المجتمع ونظام الحكم وعمل على انتزاع إيران من ذاتيتها ، وجاء محمد رضا فأكمل الخطة وكاد أن يبلغ بها إلى غايتها ومن هنا كانت الدعوة إلى محو آثار الظلم وإعادة إيران إلى موضعها الطبيعي بين دول العالم الإسلامى وتحرير أراضها في إقامة نظام إسلامي أصيل . إن سقوط النظام الإيراني الليبرالي القائم على الاستبداد وابتعاث كوروش وقيمير وما قبل الإسلام من فهايم يذكر تماماً بسقوط التجربة التركية التي قام بها مصطفى كمال ، والتي أوحى إلى الشاه في نفس الفترة تقريباً الاتجاه بإيران بعيداً عن طابعها الإسلامى الأصيل وقد خلفت تجربة تركيا عبرة واضحة يجب أن تكون قائمة أمام المصلحين والمتقنين في البلاد الإسلامية والعربية وخاصة بعد أن سقطت تجربة أندونيسيا الماركسية وتجربة باكستان الغربية الماركسية معاً وتجربة الناصرية والبعث في العالم العربى . من شأن دراسة هذه الأوضاع أن تكشف أمام

المسلمين على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى أن لا سبيل إلى العمل الصحيح إلا من خلال قناة واحدة هي القناة الإسلامية الرحية الفسيحة السمحة الكريمة الشاء التي تستمد مفاهيمها من منهج الله تبارك وتعالى وتستهدف قيام المجتمع الرباني بالحق والعدل على شريعة الله الخالصة التي جاء بها الدين الحق. الخطأ كل الخطأ في اتخاذ أتاتورك مثلاً أعلى فإن تجربته فشلت والعرب ربما كانوا أقدر على فهم أبعاد النهضة وأساليبها من الترك فقد أشار إلى ذلك هاملتون جب فقال أن العرب لن ينقضوا المثل الأعلى الإسلامي للنهضة .

(٤) أفغانستان : مقاومة الاستبداد والاستعمار

يمثل أفغانستان طوايع الإسلام على نحو يكاد يكون أشد عمقاً من الهند وإيران وتركيا جميعاً ، ويتمثل ذلك في أمرين خطيرين : (أولاً) : مقاومة الاستعمار الغربى مقاومة حاسمة جبارة اندلحت فيها بريطانيا في ثلاث معارك كبرى امتدت على مدى ثمانين عاماً . (ثانياً) : دحض الخطة التي حمل لواءها (أمان الله) في فرض الحضارة الغربية في مواجهة حركة (مصطفى كمال) في تركيا ، و (رضا خان) في إيران . وقد أكد الباحثون والمؤرخون أن أفغانستان حين تلقت الإسلام آمنت به وتقمصته ووجدت فيه نفسها حيث عجزت المجوسية والبوذية والهندوكية أن تعطيها هذا الإحساس العميق بالله والتوحيد . يقول العلامة صلاح الدين السلجوقي « عندما دخل الإسلام إلى أفغانستان ، لم يكن نوره غريباً عن مشاعرهم وإحساساتهم ولا سياً أن هناك اختلافات فكرية عميقة بين العقيدة الاوسطائية وبين الفكرتين الفكرتين البوذية والبرهمانية ، فلما دخل العرب الديار الأفغانية مبشرين بالاسلام استقبل الأفغانيون مقدمهم وأفكارهم التي تتعلق بالحياة بعد الموت أحسن استقبال . ويلحظ السلجوقي اتهامات الغرب في فرض الاسلام على الأفغانيين يقول : يزعم الغربيون أن العرب دخلوا البلاد الأفغانية عنوة وغصباً ، وهذا إفك مفترى على الحقيقة ، فنحن معاشر الأفغانيين أحبين العرب منذ ثلاثة عشر قرناً وافنديناهم بكل ما عندنا من فكرة وعقيدة ، لأننا رأينا لديهم مبادئ قديمة لاعمّت قلوبنا وضأثرنا وتراثنا . ولذلك فنحن لم نأخذ العقيدة التي أتوا بها إلينا فحسب ، بل أخذنا لسانهم العربى المبين ، وحتى القرن الرابع للهجرة كانت اللغة العربية هي اللسان الرسمى ، ولا تزال اللغة العربية حتى يومنا هذا لساننا الدينى والعلمى ، وليس لدينا لغة علمية غير اللغة العربية ، لقد فتح جنكيز خان (أفغانستان) عنوة وغصباً ،

وبعد معارك عنيفة ومذابح دموية ، وكذلك دخل الانجليز البلاد ، وما لبث الأفغانيون أن أبادوهم عن بكرة أبيهم ، ولكن العرب « حملة لواء الإسلام » فتحوا ديارنا بمبادئهم السامية ، سواء كانت دينية أو خلقية أو ميثاقية ، وفتح لهم الأفغانيون قلوبهم وصدورهم ، متقبلين هذه التعاليم ، حتى أنه عندما ضعف مركز العرب ومركز الخلافة ، وتوقفوا عن نشر الحضارة الإسلامية ، كنا نحن معاشر الأفغانيين ، المبشرين بهذه الحضارة والناشرين لها والمجاهدين في سبيلها في أنحاء العالم » ومن حق لقد قدمت أفغانستان إلى الفكر الإسلامي والحضارة عدداً من الأئمة الأعلام البارزين : أبو حنيفة النعمان وأحمد بن حنبل ، والبخاري والترمذي ، وابن قتيبة ، والرازي ، والغزالي . ومن الفلاسفة : ابن سينا والفارابي والبيروني وجابر بن حيان والجورجاني . ومن الصوفية : البلخي والبسطامي . ومن علوم اللغة والبلاغة والأدب : الزمخشري ، والسكاكي والتفتازاني والجبلي . ومن علم الكلام : النسفي والقنندھاري . والظاهرة البارزة في أفغانستان هي أن اللغة العربية لا تزال تسيطر بحسبانها اللغة الثقافية لها . يقول السلجوقي : لا يجد الزائر للديار الأفغانية أية قرية - مهما صغرت ونأت - إلا وفيها مكتب أو اثنان على الأقل لتدريس اللغة العربية والإسلام ، ولذا فإن لغتنا العامة تحوى على اثنين في المائة من المفردات العربية بينما لغتنا الفصحى تحتوى على ستين في المائة من الكلمات العربية الصافية الخالصة مما لا يستعمل بعضها أكثر شعوب العالم فصاحة وبياناً . بل إننا نحفظ بعض كلمات عربية جميلة انقرض استعمالها في البلاد العربية . كل ذلك لأن اللغة العربية الشريفة هي لغة القرآن الكريم ، لسان الله المبين ، ولأن العرب أمة خرج منها رسول الله ولأن الإسلام والحضارة العربية الإسلامية قوتاً في قلوبنا مبادئنا السامية الخالدة التي ندين بها . وما تزال آثار هؤلاء الأعلام الذين أنجبهم أفغانستان (خراسان) تدرس في الأفغان ، كما أن التفسير الوحيد الذي يدرس هناك هو تفسير جلال الدين السيوطي . ويرجع هذا الالتقاء الكامل بين الأفغان والإسلام إلى طباع مشابهة لطباع العرب حملة رسالة الإسلام ، وبين الأمة العربية والأفغانية مئات الصفات والسجايا الخلقية والذاتية المشتركة كالشجاعة والصدق والأمانة والكرم ومثالية الأخلاق وقرى الضيف والدفاع عن الحق والخير والحرية . وقد دخلت اللغة العربية أفغانستان مع الإسلام وأصبحت تمثل نسبة لا تقل عن أربعين في المائة من اللغة الوطنية (البشتو والفارسية) والعربية تدرس في جميع مدارس أفغانستان لأعلى أنها لغة أجنبية بل على أنها جزء متمم للغتين البشتو والفارسية اللتين يتحدث بهما الأفغانيون ، وتتبع أفغانستان في معاملتها الدنيوية التاريخ المهجى

الشمسى فهى كدولة شرقية تعترف بالإسلام قد رفضت أن تأخذ التاريخ الميلادى المسيحى كتاريخ رسمى لها ، وهى فى الوقت نفسه كدولة حديثة أبست أن تكون أيام الدولة والمواسم عرضة للتغيير فاتخذت الهجرة نقطة بداية للتاريخ ولكنها اتخذت شهوراً شمسية لا قمرية ، ولا شك لهذا الطابع الإسلامى الواضح فى حياة أفغانستان صلة كبرى باللغة العربية التى تدرس فى جميع المدارس المتوسطة وفى المدارس العالية يتم تدريس مواد الشريعة الإسلامية واللغة العربية وإذا بها بصورة أكثر توسعاً وعمقاً مثل دار العلوم فى كابل وهرات وجلال آباد . استطاعت أفغانستان أن تؤكد طابعها الإسلامى العميق بموقفها القوى من النفوذ البريطانى الذى زحف نحوها بعد أن دخل البريطانيون دلهى إذ كانوا حريصين على أن يسيطروا على الأفغان بحسبانها جارة الهند ، ولكنهم فشلوا فى كل محاولات احتلالها ، كانت بريطانيا فى كل مرة تعود وهى مشحنة بالجراح فقد حارب الأفغانون الاستعمار ببسالة منقطعة النظير وخاضوا مع بريطانيا ثلاث حروب دموية طاحنة . فقد المستعمر جيشاً بأكماله فى المعركة الأولى ومنيت القوات البريطانية بخسائر فادحة ، فى حرب استمرت أربع سنوات حتى ١٨٣٨ . ثم زحف البريطانيون على كابل وقاومهم الأفغان مرة أخرى واستطاعوا أن يبيدوا جيوشاً بريطانية بأكملها فى معارك استمرت ثلاث سنوات حتى ١٨٧٨ منها جيش بريطانى بأكماله قوامه سبعة عشر ألفاً من الجنود المجهزين بأحدث الأسلحة . وعاد البريطانيون مرة أخرى إلى الأفغان بحجة تأمين حدود الهند فقاومهم الأفغان فى كل مكان وأنزلوا بهم خسائر كبيرة وظلت هذه المقاومة حتى عام ١٩١٩ حيث استطاعت أفغانستان أن تنتزع استقلالها الكامل . وقد واجهت أفغانستان بعد معركة الاستقلال ، معركة البناء الفكرى والاجتماعى لها ، وكان أمان الله خان الذى تحقق على يديه هزيمة الانجليز ، قد اتخذ منزع الحركة التى قادها مصطفى كمال فى تركيا هادفاً إلى تغليب الطابع الغربى فى الفكر والحياة تغليباً كاملاً ، ولم تتقبل الأفغان هذا الاتجاه . وقد اندفع أمان الله خان فى محاولته لتقليد المسندة الغربية دون أن يفهم روح النهضة وقد أولى اهتمامه للمظاهر الخارجية وحدها ، محاولاً مجازاة مصطفى كمال ناسياً الفوارق والخلافات بين البلدين . ومن أهم المسائل التى حاول أمان الله أن يتخذ منها موقفاً : مسألة تحرير المرأة على هدى من الخطة التى إتبعها مصطفى كمال فى تركيا . دون تقدير لأوجه الخلاف بين البلدين على نحو أشار إليه أحد المعلقين السياسيين فى تركيا حين قال : نظن أنه لا يمكن أن تكون مصر أو الهند أو إيران مثالا لبلاد

الأفغان . لا بد للأفغان أن تدير بنظائرها الاجتماعي وفاق خصوصياتها الجنسية والمحلية ، وإنما يتسنى للأفغان أن تستعير بعض المبادئ من تركيا تكميلاً لنظامها ، بل إننا نرى أن الهند وإيران ومصر لا يمكنها أن تهب الأفغان تلك المبادئ . تد ، لأن هذه البلاد لافك مرتبطة بتقاليدها . ويقول معلق آخر : لا نظن أن ما يتطلبه الأمر من أفغان هو من هذا النوع من الإصلاح اللاديني ، بل إننا نعتقد أنها ستشهدى هداية دينها المتين ، الذى رفع شأن المرأة إلى أعلى علين وساوى بينها وبين الرجل قبل أن يخطر على بال أحد من المصلحين أن يسوى بينهما . وما دام الوجدان الأفغانى الفردى والاجتماعى مرتبطاً بالعقائد والمبادئ القرآنية فحريته الوجدانية تتحرك فى تلك الدائرة ، ولا بد من أن تكون كل حركة إصلاحية مبنية على احترام هذه الحرية الوجدانية فى تلك البلاد . . إن سفور المرأة (وحده) لا يضمن لها أى رقى وإنما الرقى الحقيقى فى تربية المرأة تربية فاضلة تؤهلها لأن تعيش حرة شريفة نقيصة طاهرة ، فإذا كانت المرأة حائزة على هذه التربية فإنها أشرف وأرقى سواء كانت سافرة أم محجبة ، نود أن يكون نصيب المرأة الأفغانية من الرقى الحقيقى أعظم مبلغ ، نود أن نفتتح المدارس والمعاهد التى ترى المرأة الأفغانية تلك التربية الإسلامية التى تجعلها عامل خير ونجاح فى حياة الأفغان . . هكذا كان مفهوم الكتاب المسلمين فى النظرة إلى الحركات المستحدثة فى تركيا وأفغانستان وإيران ، أما تركيا فقد استمرت فى خطواتها تحت نفوذ الحكم الاستبدادى الدكتاتورى المعتصب ، ومع ذلك فقد قاومت تركيا مرة أخرى هذا الحكم وقدمت ضحاياها وشهادتها ، أما فى إيران فقد خطا رضا خان خطوات متحفظة وثيدة فى أعمال الإصلاح ولكنه لم يخرج عن دائرة الإسلام ، أما أمان الله خان فقد تحطم ملكه نتيجة لتهوره فى الإصلاح . وقد وصف سردار أقبال على شاه فى كتابه عن أمان الله خان كيف « ظل أمان الله يبتعد عن شعبه يوماً فيوماً وهو غافل عن الله سائر فى إصلاحاته الحديثة التى أراد أن تصل بها البلاد طفرة واحدة فى حين أن غالبية الشعب متخلفة عنه لا ترى مجاراته فى هذا الشأن فلما أن وقعت الكارثة واشتعلت الثورة استفاق الملك من غفوته والتفت حوله فلم يجد معيناً ولا نصيراً ، ذلك أن ذوى الكلمة والنفوذ - على حصد تعبير سردار أقبال شاه من الزعماء الدينين كانوا يرون فى أعماله خروجاً على الدين والتقاليد قد أحفظهم ذلك عليه وكان أعيان البلاد وزعمائها يرون أن الملك تجاهل أمرهم وكان يعمل على تقويض ما لديهم من نفوذ قائم ، أما الشعب كان فقد متردداً حائراً ، ذلك أن الإصلاحات

السريعة التي ارتأى الملك وجوب إدخالها في بلاده قد جعلت أفراد الأمة يتوجسون منها شراً كثيراً ، ذلك أن عقولهم لم تستطع أن تفهمها من جهة لسرعة وقوعها ، وكان الزعماء الدينيون وخصوصاً الملك يصورونها لهم بأبشع الصور من جهة أخرى . وقد ألفت سياسة الملك (أمان الله) الرعب في قلوبهم إذ أرهقتهم بالضرائب حتى أنه جمع منهم ضرائب ثلاث سنين دفعة واحدة لينفق منها على رحلته هو وزوجته إلى أوروبا وما كاد يعود بعد أشهر قلائل حتى أخذ في جمع ضرائب جديدة لأن ما جمعه منها كان قد أنفقه جميعه . ويرى سرادار أقبال على شاه : أنه في البلاد التي لا تقوم حكوماتها على أساس إداري متين والتي تتوقف إدارة أعمالها الإدارية والسياسية على شخصية الحاكم وقوته ونفوذه يحدث مثل هذا الاضطراب ، وعنده أن أمان الله خان لم يكن له من الثقافة والتعليم ولا من الخبرة والتجربة ما يوحى إليه الخطة المثل . وقد كان من نتائج خطة أمان الله أن تعرضت بلاده لسيطرة باجى سقا على الحكم وهو ابن سقا استطاع أن يهاجم العاصمة كابول ويستولى عليها ، غير أن هذا الحاكم بالرغم من أنه ألقى جميع ما أدخله أمان الله من خطط ، فإن علماء المسلمين رفضوا قبوله والياً على البلاد مما مهد لنادر شاه أن يقود معركة إسقاطه . وقد استطاع نادر شاه أن يعيد ميزان الأمور ، وأن يحقق إصلاحات معتدلة في إطار الإسلام وخطا خطوات عاقلة حذرة ، وبالرغم من أنه أعد قواته في أرض الهند التي تحتلها بريطانيا فقد رفض أن يكون ألعبوبة في أيدي البريطانيين وظل محافظاً على التوازن بين بريطانيا وروسيا . وتعطى هاتين الصورتين عمق طوابع الإسلام في أفغانستان ، ولعل ذلك يرجع إلى وحدة الأمة الأفغانية التي لم تعرف يوماً نزاعاً طائفيّاً أو صراعاً مذهبيّاً « فقد كان الدين الإسلامى باحتوائه على الأسس القويمة والمبادئ السامية » عاملاً فعالاً في هذا التماسك والمودة أن الشعب الأفغانى بأسره يدين بالإسلام الحنيف ويتمسك بتعاليمه السنية وأن الديانة الإسلامية مادة أساسية في المدارس والمعاهد . والقانون الأفغانى هو الشريعة الإسلامية ولا ترى في حياة افغانستان شيئاً يتنافى مع الإسلام فالخمر ممنوعة . وعلماء الإسلام لهم نفوذ روحى عظيم . ومن أفغانستان انبعث رسالة جمال الدين الأفغانى في « اليقظة » إلى مختلف أجزاء العالم الإسلامى وما زال اسمه مقترناً بحركات الكفاح والنضال المختلفة في مواجهة الاستعمار والانجليز بالذات وما تزال هزيمة بريطانيا على تراب أفغانستان من المسائل ذات الأهمية الميالغة في تقدير الأفغانيين ،

وقد أقاموا نصباً تذكاريّاً لهذه المناسبة الخطيرة ، وقد شهد «تومبي» الذى شاهد هذا النصب
للأفغانين بأنهم دفنوا قتلى الانجليز مثل ما دفنوا شهداءهم . بل إنهم أقاموا تذكارا لهؤلاء
الانجليز وقال «وهذا دليل على خلق كريم أصيل فى نفوس الأفغان» . وقد واجهت المنطقة
الإسلامية الممتدة من الملايو - باكستان - أفغانستان إيران - تركيا إلى متغيرات كثيرة فى
السنوات الأخيرة . وتعرضت أفغانستان إلى انقلاب شيوعى (١٩٧٨) الذى أطاح بحكم
الرئيس محمد داود الذى كان قد اسقط النظام الملكى يتأيّد من الشيوعيين المحليين
الذين لم يلبثوا أن انقلبوا عليه وقد جاء ذلك فى إطار الصراع السوفيّتى الصينى وتمزق باكستان
إلى دولتين ومن وقوع الانقلاب لم تتوقف عناصر المعارضة المسلمة للنظام الماركسى الحاكم
فى أفغانستان عن المقاومة ، وقد تزعمت قبائل اليبان هذه المقاومة وهى قبائل ذات شكيمة
لها تاريخها كمقاتلين أشداء فى كل الحروب التى شهدتها أفغانستان وقد اعتبروا مقاومتهم
لنظام الحاكم الماركسى فى البلاد بمثابة حرب مقدسة دفاعاً عن الإسلام وقد وجدت هذه
القوى الزاحفة تأييداً شعبياً كاسحاً ، وظلت تتقدم بقوة وتستولى على المدن واحدة بعد
أخرى ، وبالرغم من التعزيزات التى قامت بها الحكومة الشيوعية فإن قوى النضال لم تتوقف
وظلت تتقدم بقوة وخاصة بعد أن شنت القوات الشيوعية الحاكمة غارات على القرى
والمساجد فى عدد من الأقاليم وقتلت عشرات الألوف وقد أعلنت هذه المقاومة أنها تعارض
زعماء الحكومة الأفغانية فى دائرة نفوذ الاتحاد السوفيّتى ، وهم يدركون أطماع الشيوعيين
فى بلادهم منذ عهد القياصرة ، وتعتبر قبائل الباتان أضخم المجموعات الدينية الأفغانية
وهى فرع من قبيلة المحمدين التى انحدرت منها سلالة الحكام الأفغانين الذين تولوا حكم
البلاد حتى ١٩٧٣ عندما أطاح الجنرال محمد داود بابن عمه الملك محمد ظاهر شاه وأعلن
قيام الحكم الجمهورى وقد حاز الباتان احترام الجنود البريطانيين المعادين خلال الحروب
الأفغانية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالى ولا ريب أن القوى الوطنية فى
أفغانستان تتمسك تمسكاً شديداً بتعاليم الاسلام وهم يرون أن الاسلام أصبح مهدداً بخطر أجنبي
رغم إدعاءات حكام كابول . ويهدف السوفييت من السيطرة على أفغانستان إلى تحقيق أهدافهم
فى هذه المنطقة الإسلامية الموازية للبلاد العربية ولقد وجد السوفييت وأتباعهم أن فى
أفغانستان شعباً مسلماً صب المراس لا يمكن أن يقبل الماركسية بأى حال من الأحوال ،
ولا أن يدعها تستقر فى بلاده مهما كلفه ذلك من ضحايا وتضحيات وهزيمة الشيوعيين تأتى

نوازية لهزيمة الاستعمار البريطاني من قبل. يقول العلامة محمد علال الفاسي : الأفغان المسلمة الدولة الأولى التي اعترفت بروسيا وجلس رئيسها مع لينين في الوقت الذي لم يعترف أحد من الدول بثورة أكتوبر والحكم المنشق منها . هذه الجارة الهادئة للاتحاد السوفيتي تبين انتهاكات مركز استراتيجي مهم في هذه المرحلة من مراحل تطور مناطق النفوذ والتعايش والتعايش السلمي الأمريكي الروسي . ان أهميتها في سيطرتها على ممر خيبر الذي يمر من كابول العاصمة فيجتاز سهول غرب الباكستان ويصل إلى البنجاب الهندية وتغطي حدود الأفغان الشمالية الاتحاد السوفيتي باستثناء قطعة صغيرة في أقصى الشمال الشرق ، ولم يشك الملاحظون السياسيون أن الأفغان ستكون محل الضربة التالية من روسيا والهند بعد حادث انفصال البنغال ولقد قامت الثورة في الباكستان باسم إعلان الجمهورية قام بها محمد داود خان المعروف منذ ١٩٥٢-١٩٦٢ خلال مدة توليه رئاسة الحكومة بتعامله النام مع روسيا وتشده في إثارة قبائل الباتشو لفصلها عن الباكستان ويعني ذلك فصل جزء بضم عشرة ملايين من السكان عن باكستان ولا شك أن وجوده على رأس الدولة الجمهورية يضعه في المركز الذي يؤمن مصالح روسيا والهند لاقامة دولة بلوخستان المرتقبة التي تنهى وجود دولة باكستان ويقول : لقد تعاون الرئيس محمد داود مع السوفييت فتخلصوا به من الملك محمد ظاهر وسرعان ما انقلبوا عليه وأسقطوا حكمه وتلقفوا الجمهورية الأفغانية لقصة سائغة ولكن الشعب الأفغاني المسلم لم يحقق لهم هذه الأمنية وقاومهم مقاومة شديدة . لقد وقفت أفغانستان بقواها الإسلامية الصامدة مرتين أمام الأحداث والغزو الأجنبي : أمام الاستعمار البريطاني الذي سيطر على المنطقة كلها من الهند إلى الخليج إلى مصر والسودان فقد قهرته في عنفوانه وردته في قوة ، وأمام النفوذ الشيوعي كره أخرى بعد أكثر من قرن من الزمان وكان لها فيما بين من ذلك وقفات صامدة كان أبرزها موقفها عند سقوط القدس في أيدي الصهيونية فضلا عن أنها آوت من المسلمين الذين هربوا من الاستعمار الروسي في نجاري وسمر قند وازوربكستان

(٥)

باكستان ومسلمو الهند

بعد الحرب العالمية الثانية قامت دولتان اسلاميتان : هما أندونيسيا والباكستان ولكي نعرف حقيقة قيام باكستان علينا أن نرجع إلى عام ١٩٣٠ عندما كتب محمد اقبال يقول :

ليست الوحدات في المجتمع الهندي إقليمية كما هو شأنها في البلاد الأوروبية فالهند قارة تضم إليها مجموعات بشرية تعود إلى أجناس مختلفة تتكلم بلغات متباينة وتدين بأديان غير متقاربة ، وأن المبدأ الذي تحتنفه أوروبا الديمقراطية لا يمكن تطبيقه بحال على الهند دون أن يسبق ذلك اعتراف بوجود المجموعات الطائفية ، وعلى هذا فمطلب المسلمين له ما يبرره تماماً وبودى أن أرى البنجاب وإقليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوخرستان قد توحدت وأصبحت دولة ، ويبدو أنه ليس أمام المسلمين سوى هدف واحد ، هو تكوين حكومة ذاتية لهم ، إما داخل الامبراطورية البريطانية وإما خارجها : دولة إسلامية هندية تقع في شمال غربي الهند ، وحياة الإسلام كعامل ثقافي وحضاري في هذه الدولة إنما ينهض على تركيزه في حدود معينة فقط ، فإذا ما أُتيح لهذه الدولة الإسلامية الحديثة أن تقوم فإنها سيكون المدافع الأكبر عن الهند ضد أي هجوم أجنبي عليها ، وإنا لهذا نطالب بتكوين دولة إسلامية موحدة ، وقيامها هذا سيكون في صالح الهند كما هو في صالح الإسلام لأنها ستعمل على محو الطابع الاستعماري الغربي الذي أجبر على طبعها به ولأنها ستتيح للقوانين والتعاليم الإسلامية أن تسود وللتعليم والثقافة أن يعملوا جنباً إلى جنب وفي تعاون لإظهار الروح الإسلامية الحقة وإمكان تطبيقها في هذا العصر الحديث . وقد مر عشر سنوات حتى قبل حزب الرابطة الإسلامية فكرة إقبال في الدورة التاريخية التي عقدتها الرابطة في لاهور عام ١٩٤٠ وفي ١٤ أغسطس ١٩٤٧ تأسست الباكستان بقيادة محمد علي جناح الذي حمل لواء فكرة إقبال وسار بها حتى تحققت . ولا بد أن يوضع في التقدير تاريخ المسلمين في الهند أولاً ، والدور الذي قامت به بريطانيا بالنسبة لهم عند احتلالها الهند وكيف أقصتهم عن مواطن القيادة وكيف إثارت آحقاد الهندوس عليهم بعد أن عاشوا في كنفهم قروناً طويلة في محبة ووثام ، وكيف فتحت أبواب التعليم والثقافة والثروة للهندوس وفرضت على المسلمين الفقر والجهل والتأخر . حكم المسلمون الهند ما يقرب من ألف عام وكان تاريخاً حافلاً بدأه محمد بن القاسم الذي فتح السند ، وامتد بحركة محمود الغزنوي الذي أسس أسرة جعلت من مدينة (لاهور) أول مركز للحضارة الإسلامية وثقافتها في هذه الأرجاء واستطاع محمود الغزنوي أن يمد رقعة الغزو الإسلامي حتى وصل البنغال ، وجاء بعد ذلك المغول : نسل الامبراطور التتري الكبير «تيمور لنگ» ، ففي عام ١٥٢٦ م غزا (بابر) شمال الهند ، وجاء بعده (هبيون) الذي فتح الطريق أمام النفوذ الفكري الفارسي وبلغ المغول ذروتهم أيام .

الامبراطور (أكبر) وقد قامت الدولة المغولية واستمرت وظل سلطانها في الهند إلى عام ١٨٥٨ وهي الدولة التي اتسع سلطانها وتولى عرشها ستة ملوك عظام في مائتي سنة من بابر إلى محي الدين أورنگ زيب وأبرزهم جهانجير وشاه جيهان وقد حمت الدولة المغولية بحدود الاسلام الأجناس والأديان جميعاً . ثم جاء الانجليز بوصفهم تجار في الوقت الذي كانت الامبراطورية قد بلغت مرحلة الضعف والتفكك وقد حصلوا على ميثاق للتجارة عام ١٦٠٠ ثم لم يلبثوا أن سيطروا على مقدرات البلاد وحتى عام ١٨٥٧ كان المسلمون سادة البلاد ، حين اندلعت الثورة التي ألقى المسلمون منها بكل قواهم بقصد التحرر من النفوذ البريطاني . وللنفوذ الغربي في الهند قصة ، فقد بلغ فاسكودي جاما ميناء كالكوت الواقعة على شاطئ ملبار من جنوب الهند ١٤٩٨ وأقام ستة شهور على شاطئ الدكن الغربي في رحلته الأولى ، وكان العرب يحتكرون الملاحه بين موانئ الهند وموانئ الخليج الفارسي . وقد استظهر دي جاما بالهندوس في محاولة للتشكيل بالبحارة المسلمين من ناحية ومنافسة التجار المسلمين من ناحية أخرى ، وكان بعض الأمراء الهندوس قد حمل إلى ملك البرتغال رسالة يغريه فيها باحتلال الهند . وعاد دي جاما إلى بلاده ، فاستقبل الفاتحين ، ولم يلبث أن كر عائداً إلى الهند في ثلاثة عشر مركباً محملة بالجنود فاحتلوا كالكوت وتتابعت البعثات البرتغالية حتى مام ١٥٠٩ فوصل إلى الهند (البوكرك) واحتل ثغر (جوا) باسم البرتغال عام ١٥١٠ وفي ١٥١١ احتل البرتغاليون ملقا في جزر الهند الشرقية . وقد أيدت السياسة البرتغالية الهندوس في ثوراتهم على الدولة وكانت الحملات البرتغالية تحمل في ثناياها شيئاً من التبشير بالديانة المسيحية ، واستطاع ملك البرتغال أن يحصل من البابا على صك رسم فيه بأنه «سيد بحار العرب والعجم والهند والعيشة» وحاول البوكرك أن يثير الهندوس ضد المسلمين ، ثم أثار الهندوس ضد بعضهم بعضاً ، ولم يلبث البرتغاليون أن تواروا أمام أوربيون آخرون ، واقترب انهيار الدولة البرتغالية بظهور دولتي هولندا وانجلترا على مسرح السياسة الدولية والمنافسة البحرية . وفي عصر المغول بدأ موكب القراصنة والمغامرين يفد إلى شواطئ الهند من البرتغال وهولندا وفرنسا وبريطانيا حتى استقر الأمر لشركة الهند الشرقية . وكانت معركة بلاسي في البنغال عام ١٧٧٥ من الواقع الهامة في حركة المقاومة التي بدأها المسلمون في الهند منذ اليوم الأول : وقد سجلت مظاهر واضحة من البطولة والقداء . ولم ينتصر فيها البريطانيون إلا بسلاح الخيانة ، وقد حمل المسلمون وحدهم عبء المقاومة ضد الاستعمار البريطاني وتمثلت في نوعين من المقاومة ، مقاومة الأمراء المسلمين ، ومقاومة الفقهاء المسلمون الذين قاوموا على أساس

شعبي شامل ، لأنهم رأوا في الزحف الاستعماري قضاء على الاسلام « وقد بدأ هذه الحركة فقيه مسلم زار نجد واعتنق الدعوة الوهابية ونظم تلاميذه ومريديه بطول الهند وعرضها تنظيمًا شعبيًا ثوريًا ضد الاستعمار البريطاني ودعا إلى تطهير الاسلام من البدع وتطهير الهند من الغزاة ، وكان هذا أعظم تنظيم ثوري شعبي عرفته الهند قبل حرب المؤتمر واستمرت صامداً في معركة مقاومة نصف قرن كامل حتى سقط آخر قادته شهيداً في معركة دامية في شمال الهند » . وقد قام الانجليز بأعمال البطش الرهيبة التي قصروها على المسلمين في نفس الوقت الذي حرموهم فيها من التعليم والمناصب . وأفسحوا المجال والتأييد والولاء للهندوس إلى حد آذان بانفجار ثورة الهند الإسلامية الكبرى عام ١٨٥٧ فجأة « والتي بدأت كحركة تمرد بين بعض وحدات الجنود الهند في الجيش الامبراطوري ثم انقلبت إلى حرب تحريرية قادها الأمراء والفقهاء المسلمون واشترك فيها المسلمون والهندوس والشيوخ والنساء والرجال واكتسحت شمال الهند ومراكز النفوذ البريطاني ، حتى أعلن بعض قواد بريطانيا الكبار أن كل شيء قد انتهى وأن كل ما بنته بريطانيا قد ضاع ، ولم تستطع بريطانيا استعادة نفوذها إلا عن طريق الخيانة والرشوة » . وقد حمل الإنجليز المسلمين مسئولية الثورة ، فقد اعلنت الثورة باسم (امبراطور دلي) وقاد معظم معاركها قواد مسلمون ، ونادى الفقهاء المسلمون بالجهاد ، وأعلنوا الهند كلها (دار حرب) حتى يباد الغاصبون ، وصب الإنجليز كل حقدهم وانتقامهم على المسلمين وكان انتقاماً مريعاً ، أعلنوا أنه لن يقف حتى يباد المسلمون عن آخرهم وأهمل دهم وأصبح من حق كل بريطاني أو مدني أن يقتل من يشاء من الهنود وأعدمت النساء والأطفال وأبعدت أسر وعائلات بأكملها في مذابح جماعية لكي « يباد جنين الثورة في أي مكان في الهند » كما قال القائد البريطاني ولم يسبق أن عرفت الهند أو عرف المسلمون رعباً ولا هولاً كالذي عرفوه يومئذ وسميت هذه بالمحنة الكبرى ولم ينسوها أبداً . والمعروف أن البريطانيين كان قد استهلوا سياستهم في الهند باضهاد المسلمين إذ أنهم كانوا سادة البلاد الذين نظموا المقاومة التي انتهت بشورة ١٨٥٧ وهم الذين نشروا الدعاية الحارة ضد الاحتلال البريطاني لبلادهم فضلاً عن أن المسلمين كانوا ينظرون إليهم منذ البداية نظرتهم إلى مغتصبى حقوقهم المشروعة في حكم البلاد . وقد عمد البريطانيون إلى إثارة العداوة بين المسلمين والهندوس وأوغلوا في سياسة احتضان الهندوس دون المسلمين ، وعملوا على إقرار قوانين التفرقة بينهم تحت ستار من حرية الاعتقادات الدينية ، وقد قاطع المسلمون المستعمرين

في كل شيء ، ولم يقبلوا على المدارس التي أنشأوها ، بينما أقبل عليها الهندوس وبذلك رجحت كفة الهندوس على كفة المسلمين في العلم ، وأصبحت وظائف الحكومة وقفاً على الهندوس ، وفي ميدان المال والأعمال ساعدت الظروف الهندوس بعد أن تحطمت مالية المسلمين بعد ثورة ١٨٥٧ التي صادف فيها البريطانيون كثيراً من ممتلكاتهم وأوقافهم ، وطرق المسلمون أبواب الهندوس يستدبنون ، وانتهى ذلك الإقراض إلى انتقال أملاك المسلمين إليهم فلم يبق للمسلمين ما يوازي خمسة في المائة من عامة الأملاك في الهند . غير أن المسلمين لم يلبثوا أن تنبهوا إلى الخطر الذي يهددهم من سياسة التجديد ، حيث قام المسلمون بإنشاء مدارس خاصة على نفقة المسلمين حرصاً على مجاوزة خطر مدارس الإرساليات الأجنبية التي ترفض الإسلام واللغة العربية ، وتفرض مناهج معارضة للقيم الإسلامية أساساً . وقد كانت حركة السيد أحمد خان هي نقطة التحول في تاريخ المسلمين من الناحية الثقافية والاجتماعية جميعها ، فهي التي كسرت قيد التوقف والمقاضة للمؤسسات الاستعمارية في التعليم ، وذلك بإنشاء كلية عليكره التي أنشأت جيلاً جديداً يجمع بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية . وقد كان عمل أحمد خان موضع النقد وموضع التقدير في نفس الوقت فهو في نظرة إلى عصره قد ألغى الخصومة بين المسلمين والاستعمار الإنجليزي وحاول أن يحل بدلا منها تقارباً ومودة ، على صعيد الفكر ، وفي هذا الاتجاه أخصيت على أحمد خان آرائه في شجب الجهاد ضد الإنجليز ، وموالاتهم ، وما عرف من تفسيرات للقرآن نسبت إليه تحمل معنى الطاعة والإذعان كما حملت مناهج مدرسته نفس الاتجاه في إعلاء اللغة الإنجليزية والثقافة الغربية . وقد هاجم جمال الدين هذا الاتجاه وكان كتابه (الرد على الدهريين) منصباً على النتائج التي نجمت عنها محاولة أحمد خان ، غير أن النظرة اليوم تختلف ، فقد أحدث هذا العمل تحولاً بعيد الأثر كانت له نتائجه الهامة التي جاءت من بعد في صورة النهضة التي حمل شيلي النعماني وتلاميذه ثم محمد إقبال ومدرسته . ويشبه أحمد خان في هذا الاتجاه موقف الشيخ محمد عبده بعد هزيمة الثورة العربية وسيطرة بريطانيا على مقاليد الأمور في مصر ، وهي خطة اضطارية احتاج إليها المسلمون خلال الأزمان التي واجهتهم ليتحركوا بدلا من أن يتوقفوا ثم جاءت بعد ذلك مرحلة التصحيح للمفاهيم التي حرفت أو حيل بينها وبين الاستقلال الكامل . وفي الهند اضطروا مفكرو المسلمون - ويبدو أن ذلك استمر إلى وقت طويل - إلى مثل هذا الموقف الذي فرض عليهم تفسير آيات الجهاد في القرآن على نحو كان نفوذ الاستعمار واضحا عليه في حجب مفاهيمه الصحيحة . أما بالنسبة لكلية عليكره فإنها قد

استطاعت من بعد أن صححت طريقها أن تعاود تنفيذ الخطة الصحيحة بالنسبة لمفاهيم الإسلام والفكر الإسلامى ، غير أن هذه الحركة التى قام بها أحمد خان كانت قد ركزت مفهوماً للإسلام يشجب الجهاد ويفصل بين الإسلام والمجتمع على النحو الذى يحرص الاستعمار على أن يصنع به وذلك فى مختلف أنحاء البلاد التى احتلتها فى محاولة الخلق جيل يؤمن بهذه المفاهيم وتكون له الصدارة فى تولى مقاليد الأمور ، فقد كان أثر هذه المفاهيم بعيد الأثر فى أغلب قادة الفكر أو السياسة الذين جاءوا من بعد ، وكان هذا تحولا عن الطريق الأصيل الذى مضت عليه حركة البقطة التى كانت والحق يقال إنها ركدت ولم تستطع مواجهة التحول الخطير الذى أحدثه الاستعمار البريطانى فى الهند . وغير أن عمل أحمد خان فى إنشاء كلية عليكرة التى كان يطلق عليها (الكلية الإسلامية الانجليزية الشرقية) قد دفع تيار الإصلاح الإسلامى القديم بالتحدى إلى تجديد أساليبه فنشأت (ديوبند) على الأساليب التقليدية ثم لم يلبث أن قام تيار وسط حاول أن يجمع بين دراسات عليكرة ودراسات ديوبند تمثل فى (ندوة العلماء) ودار العلوم فى لكنو (١٣١١هـ) . ولم يلبث المسلمون فى الهند أن وسعوا نطاق الثقافة والتعليم فقامت جامعات إسلامية فى دكا ودلهى والكلية الإسلامية فى لاهور وبشاور ثم أنشأت مدرسة كلكتا وكلية الشيعة فى لكنو والجامعات العثمانية فى حيدر آباد والجامع العباسى فى دلهور . وقد خرجت هذه الجامعات عدداً ضخماً من أعلام الفكر الإسلامى فى الهند الإسلامى : من أمثال شبلى النعمانى وأمير على ومحمد على جناح ونذير ومحمد والظاف حسين وكثيرون .

منذ انبعثت دعوة التوحيد من قلب الجزيرة العربية فى منتصف القرن الثامن عشر فقد تأثر بها العالم الإسلامى كله وقد جاء هذا التأثير الواضح نتيجة ورود المسلمين إلى مكة فى موسم الحج واستماعهم إلى هذا الصوت الجهير الذى يحمل لواء فكرة متعددة الجوانب قوامها التحرر الفكرى فى مجال العقيدة والتحرر السياسى فى مجال مقاومة النفوذ المسيطر والراحف . وقد كان شاه ولي الله (أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى) (١١١٤-١١٧٦م) معاصراً للامام محمد بن عبد الوهاب غير أن الهند المسلمة امتازت بآئها قدمت مجدداً ومصلحاً سبق ذلك هو أحمد السرهندى (٩٧٧-١٠٣٤) والذى عاصر أيام حكم الامبراطور المغولى «أكبر» وكان له دوره فى تصحيح كثير من المفاهيم ويوصف بأنه مجدداً لألف الثانى . ويعد الدهلوى

واحداً من نوابغ المفكرين الإسلاميين : ، وكانت دعوته إلى التوحيد واضحة الأثر وأبرز آثاره كتابية : « حجة الله البالغة » و « وإزالة الخفا في خلافة الخلفاء » وقد تابعه ابنه عبد العزيز الدهلوي ١٣٢٩ فدرس وألف ووالى عمل أبيه في الدعوة الحق . ولم يلبث الإمام أحمد بن عرفان أن دعا بها إلى التوحيد الخالص ، وقام بجولات في الهند كون بها جيلاً من المخلصين ، ثم لم يلبث أن اتجه إلى تأسيس دولة إسلامية تمتد من الهند إلى حدود أفغانستان قاعدتها « بشاور » طبق نظام الاسلام المالي والإداري تطبيقاً دقيقاً ، وجمع بين العبادة والجهاد ، وقد عرضه موقفه الحاسم إلى خصومه رؤساء القبائل الأفغانية فثاروا على حكومته ، وكان هذا مقدمة للثورة الهندية الكبرى التي ثارها المسلمون في مواجهة الإنجليز . ولم توقف الطريقة العنيفة التي قادت بها بريطانيا ثورة ١٨٥٧ كفاح المسلمين إلا قليلاً ، إذ لم يلبث أن تجدد مرة أخرى على هيئة جماعات ومدارس ومعاهد . فقد هب المسلمون لمقاومة التبشير المسيحي والتبشير الهندوكي معاً . وكان واضحاً من أسماء جماعاتهم وتشكيلاتهم الإحساس بالمقاومة والدفاع ، أمثال جمعية حماية الإسلام ، وجمعية الدفاع عن الإسلام . يقول لك. برج : « كانت كلمة الدفاع هي الصيحة التي ينفر لها مسلمو الهند جميعاً » . الدفاع عن الجماعة أو عن الإسلام الذي يواجه ويحلق به خصمان خطران هما النفوذ الهندوسي والنفوذ البريطاني الحاكم . فقد انبعث المبشرون والمرسلون يدعون إلى آديانهم علناً ويهاجمون العقيدة الإسلامية ويعلمون أن دولة الإسلام قد زالت ، وأن الهند قد أدخلت في الحكم الغربي المسيحي ، وأن هذا هو دين الحكومة ، وقد بدأ ذلك واضحاً في مختلف المدارس والمعاهد التي أنشأها الاستعمار البريطاني . ولم يكن أمام المسلمين إلا خططهم التي طبقتها في كل مصر ، وهي إنشاء مدارس إسلامية خاصة يستطيعون من خلالها تدريس الإسلام واللغة العربية (وقد فعلت ذلك الجمعية الخيرية التي أنشأها محمد عبده وآخرين في مصر ، وفعل ذلك الإمام بن باديس في الجزائر وقد بدأ هذا العمل حين أسس مولانا محمد قاسم النانوتوي مدرسة (ديوبند) عام ١٢٨٣ هو أسس مولانا سعادت علي مدرسة مظاهر العلوم في سهار بنور في نفس ذلك العام ، وتعددت المدارس المدنية في أنحاء الهند وكان لها أثرها الواضح في نشر الدين والدعوة الإسلامية ، لم تكن هذه المدارس تنال مساعدة ما من الحكومة وكانت قائمة أساساً جهد المسلمين واعتماداتهم الخاصة . مما أثار المقاومة والجهاد . ولم يكن لأبنائنا

المتخرجين منها أقل أمل في وظائف الحكومة ومن ثم فقد اتجه أكثرهم إلى الانقطاع للعمل في تربية الشعب وتعليمه والخدمة بعيداً عن المناصب والرواتب . وبذلك نشأ جيل من الدعاة المتجربين المحتسبين الذين يقنعون بالكفاف (وهذا شبيه تماماً بما حدث في الجزائر) وقد نبه المفكرون المسلمون إلى أن المدارس الدينية القرآنية الخالصة لا تكفي ، فأنشأوا مدارس تجمع بين الدراسات الإسلامية والمدنية . فأسست ندوة العلماء في لكهنؤ ثم مدرسة دار العلوم على نمط دار العلوم المصرية ، وقد أبرزت علماء ومؤلفين في مقدمتهم : شبلى النعماني . وسليمان الندوى . وهما أكبر مؤلفين في السيرة النبوية وتعاليم الإسلام . وإذا كان شبلى النعماني قد ساعد أحمد خان في إنشاء عليكرة فإنه كان أشد حرصاً منه في الحفاظ على التراث الفكرى الإسلامى وأشد إيماناً بأهمية هذا التراث . وكان يؤمن بالتحديد في إطار الإسلام ، ولذلك فقد على عمل بحث تاريخ الإسلام فكتب عن عمر والمأمون . وناقش بعض القضايا التى أوغل فيها المستشرقون ، وكشف عن الرأى الصحيح كمسألة الجزية وإحراق مكتبه الاسكندرية وعارض الكثير من خلفاء المبشرين والمستشرقين وشن هجوماً ضخماً على جرجى زيدان وكشف عن أخطائه في كتابه (تاريخ التمدن الإسلامى) وكان شبلى النعماني علامة على التيار الوسط بين مدرستى المحافظة التقليدية وبين مدرسة التحديد المدفع إلى الاعجاب الكامل بالإنجليز والموالات لمفاهيمهم الفكرية والداعى إلى إخضاع الإسلام لها. فقد دعا شبلى النعماني إلى مخطط جديد للتربية والتعليم بين مسلمى الهند وحاول تنفيذه في دار العلوم ، ويرى هذا المنهج إلى إصلاح مناهج التعليم وتغيير الكتب القديمة كما دعا إلى تدريس اللغة العربية كلغة حية قرآنية كما كانت تدرس في العصر العباسى وأضاف بالضرورة مواد علوم الاجتماع والاقتصاد والشريعة الإسلامية والثقافة العربية . وكان قد زار مصر عام ١٨٩١ وشاهد خطة على مبارك في إنشاء دار العلوم وقد نجحت فكرة المدرسة الوسطى في الهند ، كما نجحت في مصر وحقت نتائجاً هاماً وتخرج منها كثير من المفكرين مثل : أبو الكلام إزاد وسليمان الندوى وعبد الماجد الديريبادى وعبد البارى الندوى ممن قادوا فكر المسلمين في الهند وقد اتجه المسلمون إلى هذا العمل الخصب البناء في ميدان التربية والتعليم في مواجهة حركتين قام بهما الاستعمار البريطانى : الأولى هى تغريب مناهج الدراسة في المدارس التى أنشأها حيث خلت من علوم الإسلام واللغة العربية وفي مواجهة حملة التبشير الضخمة التى شنها الاستعمار في مختلف أنحاء الهند ، وقد لفت هذا نظر الذين زاروا الهند من أمثال

دكتور عمر فروح الذى يقول : إن المستعمر لا يريد أن يعلم أبناء البلاد الخاضعة له وإذا اضطُر أن يعلمهم ، علمهم ما يضرهم أكثر مما ينفعهم ، من أجل ذلك لا يستغرب إذا علمنا أن الانجليز لما غادروا الهند كان عدد الأميين فيها قد أصبح ثمان وثمانين من المائة من مجموع أربعمائة مليون نفس ، أما الذين يستطيعون قراءة شيء من لغاتهم المحلية فكانوا نحو اثني عشر بالمائة والذين تعلموا شيئاً من الانجليزية اثنين بالمائة فقط ، ويستطرد فيقول : فالجهل هو أحد أوجه التراث الذى يخلفه الاستعمار فى كل بلد ، هذا إذا اضطُر إلى أن يغادر ذلك البلد على أن الأمية كانت أكثر تفشياً بين المسلمين منها بين غير المسلمين ، ولما استولى الانجليز نهائياً على الهند أخذوا يقضون على عناصر القوة وعلى مظاهر القوة فى الهند ، ثم حاولوا أن يخضعوهم لمناحى حياتهم تماماً كما يفعل كل مستعمر ، وقضوا ما استطاعوا على الحركة الثقافية وفرضوا على المواليين لهم من أهل البلاد تعلماً إنجليزياً استعماريّاً ، قد ابتعد المسلمون فى الهند عن التعليم بعاملين أولهما : أن الانجليز أخذوا يزودونهم عن العلم حتى يغمرهم الجهل فيغفلوا عن ماضيهم ويفقدوا إدراكهم بقيم الحياة الحرة ، والمسلمون فى الهند كانوا أشد سكانها مقاومة للانجليز . ثانياً : كان كره المسلمين أنفسهم للعلم الذى جاء به الانجليز لأنه علم غربي أجنبي ولقد كان لهذه السلبية أسوأ الأثر فى المسلمين فقد غرقوا فى جهل بعيد القعر وخسروا الجزء الأوفر من نفوذهم السياسى ولكن سلبية المسلمين لم يكن مقدراً لها أن تطول وأشار إلى ذلك أحمد خان الذى أدرك أن انبعاث المسلمين عن العلم مضر بهم فحثهم على طلب العلم الغربى وإلى تعلم اللغة الانجليزية ثم أسس جامعة عليكرة ... الخ ومع ذلك فقد ظل المسلمون متخلفون فى مضمار العلوم نحواً من خمسين سنة عن الهندوس وكان تأخرهم فى الحياة السياسية على مقدار ذلك . وقد عمد أحمد خان فى تنمية كلية عليكرة إلى جمع التبرعات من المسلمين من مختلف الأنحاء « ولم يكن ليترك باباً من أبواب سراة المسلمين بل أبواب فتراثهم إلا طرقه مستندباً الأكف لهذه الجامعة » . وكان أحمد خان قد أعلن أن أسباب ما حل بالمسلمين من ضعف وتخلف إنما يرجع إلى أنهم لم يتعلموا العلوم الحديثة واللغة الانجليزية « لغة الغزاة » ، وقد استجاب له كثير من المسلمين وأطلق عليه اسم المنقذ الأعظم وقدر البعض أنه لولاه لانقرض المسلمون نهائياً . وإن عارضه جمال الدين الأفغانى وعدد من الفقهاء والعلماء ، عارضوه فى آرائه لا فى عمله التعليمى لما عرف عن آرائه ومنحاه فى تفسير القرآن ويرى العلامة محمد اسماعيل الندوى (الذى انتفعنا بأبحاثه المتعددة فى هذه الدراسة) أن جمال الدين الذى ألف كتاب (الرد على الدهريين) فى مواجهة

ما أذيع عن أحمد خان ، لم تتح له فرصة طيبة ليطلع على الدعوة التي قام بها « وأن أحمد خان كمصلح ديني يزود عن كيان الدين تلك الحملات الفكرية الصليبية ولم ترقه الكتب التي وضعها المستشرقون مثل وليم موير وغيره من الذين طعنوا في الإسلام وصاحب الشريعة وتعاليمه ، وقد صنف في الرد عليهم بالأردية ، وقد أنكر الندوى ما تردد من أن هناك صلة ما بين دعوة أحمد خان وبين دعوة القاديانية ، وكل ما وجه إلى أحمد خان أنه خالف دعوة الجهاد ضد الانجليز وكان هذا رد فعل لنزعة العلماء الذين أفتوا بأن الهند دار كفر وعند الندوى أن مسألته للانجليز كانت لمصلحة المسلمين وترقية أحوالهم وهو يشبه في ذلك الشيخ محمد عبده » ، ويذكر في هذا الصدد أن أحمد خان رد على كتاب مسلمي الهند الذي ألفه أحمد المستشرقين بكتاب (أسباب العصيان الهندي) وضح فيه للبريطانيين فداحة الأخطاء التي ارتكبوها في الهند وأبان عن مسؤولياتهم وانعدام الاختلاط الاجتماعي بين الحكام والمحكومين وتدخل الحكومة في الشؤون الدينية تدخلا غير مرغوب فيه . ويرى بعض الباحثين أن الانجليز قد استطاعوا أن يكسبوا إلى صفهم طائفة ممن يتسمون بسمة الإسلام وقد أتاحوا لهم من الشهرة ما يجعل لآرائهم مكانة وأن هؤلاء قد حرفوا مفاهيم الإسلام الأصلية بما تخدم مصالح بريطانية ، وأن هؤلاء قد حملوا لواء الدعوة إلى الدهرية والطبيعية فكانوا أعواناً للانجليز في إفساد العقيدة الإسلامية وأن دور الدهريين كان أخطر من دور المبشرين الذين هاجمهم الناس وأنكروهم . ويصل هؤلاء الباحثين أحمد خان بهذه الفئة وقد جعلوا من إنشاء جامعة «عليكرة» وسيلة إلى بث هذه الآراء . وأحصوا عليه ما رددته في تفسيره للقرآن من أمور أهمها تهوينه من فرض القتال على المسلمين والتقليل من شأنه تحت ستار التسامح الإنساني والتعاون العالمي وكذلك ما يتصل برأيه في نفي المعجزات . ومن هنا كانت حملة جمال الدين عليه وكان ما قيل من أن آرائه كانت تمهيد لظهور المذهب القادياني ، ولابد أن يكون لما ورد من ذلك أثر ما ، غير أنه لابد من الاحتياط في تقدير اختلاف النظرة الجندرية في موقف جمال الدين من الانجليز وموقف أحمد خان منهم . فالأفغانى رجل ثائر وخصم عنيد لبريطانيا وحامل دعوة تنكيس أعلام بريطانيا في كل مكان يذهب إليه ، أما أحمد خان فهو مصلح قد اقتنع بأن مصلحة المسلمين الهنود اتخاذ خطة مسالمة مع البريطانيين حتى يستطيعون البقاء والنهوض ، ولا شك أن ماصنعه أحمد خان كان بعيد الأثر وإن كان ذلك لا يمنع من المؤاخذه على تطرفه في بعض الآراء ، وإن كانت كليمة عليكرة قد

صححت بعد ذلك مناهجها حتى لا تصادم القيم الأساسية للفكر الإسلامى . ويبدو أن اليقظة الإسلامية في الهند كانت مضطرة إلى أن تأخذ طابعاً معيناً يختلف شيئاً ما عن طابع اليقظة الإسلامية العربية وفي ذلك سبيل السباح لها أن تنطلق من تحت مدافع البريطانيين . ذلك أن بريطانيا والاستعمار جملة كان حريصاً على أن يقوض روح الإسلام في المسلمين الهنود ويحل محلها طابع الذلة والفقر والجهل جميعاً ، في شذاتة وحقد بالغين ، وقد أشار إلى هذا (ك. ك. . برج) في كتاب وجهه الإسلام حين قال : « وأخذ المسلمون يتقهرون بانتظام حتى ألقوا أنفسهم في منزلة من الانحطاط والمهانة ، ذاقوا ذل الحقيقة المرة وهى أنهم بعد أن كانوا سادة الهندوك منذ ستمائة سنة أصبحوا كالهنود رعية (للالانجليز) » . وقد تمثلت هذه الضربات في جعل اللغة الانجليزية لغة التعليم ، وإبطال قانون العقوبات وإلغاء القضاة الذين كانوا يطبقون الشريعة . ووجد المسلمون أن جاههم ولى وأن قوانينهم زحزت عن مكانها وأن لغتهم أهملت جانباً وأن تعليمهم فقد قيمته . ثم وقعت ضربات أقوى انتهت بمحو آخر ما بقي من مظاهر حكم المغول وبمصادرة أملاك المسلمين بمصادرة واسعة النطاق ، هذه النكبة الأخيرة أنزلت المسلمين إلى أسفل درك من الكبرياء المثلوم واليأس القائم مما لاح أنهم لا يقدررون على الخلاص منه » . نعم بهذه اللهجة الحاقدة السيئة يتحدث مستشرق عن صورة الاحتلال البريطانى للهند ثم هو لا يتوقف عند هذا الحد بل يهاجم علماء المسلمين ويصفهم بالتعصب لأنهم أنشأوا جماعة «الرجوع إلى القرآن» ورفضوا - ما أساءه - القرص التي أتاحها لهم الانجليز لتحصيل العلم الأوربى . . ولكن (ك. ك. : برج) لم يكن متصفاً وتحمل شعاراً واحداً هو : لم يثقل كل الحق ، فقد واجه المسلمون الاحتلال البريطانى بارادة صلبة وقوة وكرامة . ولم تتوقف حركات المقاومة منذ يوم الاحتلال ، واستمرت برغم كل ما فعلته بريطانيا من مجازر ومن وقعة بينهم وبين الهندوس ، ومن تسييد الهندوس عليهم رغبة في إذلالهم بحسبان أنهم كانوا هم الحكام والأمراء ، وكانت كل الحركات والجماعات والجهود التي قامت على أثر انقضااض بريطانيا تحمل شعاراً واحداً هو «الرجوع إلى القرآن» . وإن المسلمين حين رفضوا العلم في مدارس الإرساليات التبشيرية البريطانية كانوا كراماً على أنفسهم لأنهم أنشأوا مدارسهم بنقودهم القليلة ، ولم يقفوا عند المدارس وحدها بل أنشأوا الكليات ثم برزت جمعياتهم من تحت حراب الاحتلال . فكانت جمعية علماء الهند في امبالا وفي البنجاب ولها فروع في مختلف البقاع مهمتها المزدوجة هي (١) ، مكافحة حركة (اريا سماج) التي شجعها البريطانيون بالدعوة إلى تخليص الجنس الأرى وهى حركة

تدعو إلى الوثنية القديمة وهي شبيهة بالدعوات التي أثارها الاستعمار في مصر بالفرعونية . وفي لبنان بالفينيقية وفي المغرب بالبربرية (٢) إرسال مبشرين يعلمون المسلمين المتأخرين . وبرزت أيضاً جمعية (حماية الاسلام) في كل مدينة تعنى بتعليم المسلمين (ومركزها في لاهور) وتعمل على دحض الافتراءات والشبهات الموجهة للإسلام والعناية بآيتام المسلمين . وعدا هذا عشرات من الجماعات والمدارس والمعاهد (الجامعة العثمانية ، الجامعة المليية ، دار العلوم ، ندوة العلماء ، مدرسة ديوبند) ولم يكن أحمد خان وحده ولا كلية عليكره وحدها هي مصدر اليقظة ولكنها كانت عملا مشاركا لأعمال أخرى كثيرة وكان إيمان زعماء الجماعة الإسلامية في الهند في مواجهة الاستعمار البريطاني منصباً على قاعدة أن (التعليم أول ما يلزم كل إنسان) وهي نفس القاعدة التي دعا إليها محمد عبده في مصر بعد الاحتلال البريطاني . ولقد كانت بريطانيا حريصة على أن تقضى على الاسلام كأساس إبقاء لنفوذها في الهند ، وذلك بالقضاء على علماء المسلمين أو تحويلهم عن القيم الأساسية لمفاهيم الاسلام الجوهرية وخاصة مفهوم الجهاد وترابط الدين والمجتمع ، ويحفظ المسلمون الهنود في هذا قول لورد النبرو : «إن العنصر الاسلامي علو أصل العداوة لنا وأن سياستنا الحقبة ينبغي أن تتجه إلى تقريب الهندوس» ومن هنا فلما بدأت اليقظة الإسلامية واستشرت عمد الاستعمار البريطاني إلى أن يحول بينها وبين كمال دورتها وانطلاقها ، واستطاع أن يحجب قادة المسلمين الذين فهموا الاسلام فهماً صحيحاً ، عن مكان الصدارة والقيادة . وكان من أهم الظواهر في هذا الشأن أن الذين حملوا لواء الرابطة الاسلامية «كانوا ممن تخرجوا من الكليات العصرية ولم يكن لهم سابق علم ولا معرفة بالاسلام ومبادئه ونظمه الخالدة» . ومن هنا لم يتصدر للقيادة السياسية أصحاب المفاهيم الاسلامية ، وشأن الهند في هذا شأن جميع السياسيين الذين تصدروا بعد الحرب العالمية الأولى في أندونيسيا وفارس وتركيا وأفغانستان والعالم العربي . والمعروف أن الاستعمار في الهند - كما في مصر وغيرها قد حرص على الفصل بين التعليم الديني والتعليم المدني وحال دون اندماجهما وبذلك خلق «ثنائية ثقافية» أدت إلى الصراع الفكري والنزاع التربوي وقد أتاح لأصحاب العلم المدني الوصول إلى المناصب القيادية بينما جمد الآخرين . غير أنه فيما عدا قطاع السياسة فقد ظل المجتمع الاسلامي مؤمناً بمفهوم الاسلام متكاملاً قوياً في أخص خصائص جوهره . وقد تبلور هذا التيار واتسع في الحركة الثقافية التي تمثل المدرسة الوسطى والتي فهمت الاسلام متكاملاً

بقيادة شبلى النعماني وحافظ نظير ومحمد حسن ازاد وأمير على وسيد الطاف حسين وكانت كتاباتهم (شعراً ونثراً) دعوة إلى انبهاض الاسلام والكشف عن سر الأزمة التي أخرجت المسلمين . وتوصف قصيدة (مد الاسلام وجزره) التي نظمها سيد الطاف بأنها من قمم هذه الدعوة إلى التحرر والمقاومة من مفهوم الإسلام : فقد دعت المسلمين إلى اطراح الاستسلام والإيمان بأن إرادة الله تدفع المسلم إلى العمل والمقاومة ، ورددت مفهوم القرآن في دعوة المسلمين إلى الحرية والكبرياء والكرامة . وهذا هو الخط الذي نناه أمير على في كتابه المشهور « روح الإسلام » وتابعه (خدا بخش) ثم بلغ قمته في أعمال « محمد إقبال » . ويدور مفهوم النهضة عند هذه المدرسة حول « تنقية » الإسلام من الشوائب والناس « أساسيات الإسلام كما أوحاه الله في القرآن ، فالإسلام ليس جامداً ولكنه قادر على مساهرة العصور والحضارة ، وعلى المسلمين أن يحتفظوا بقيمهم الأساسية ثم يحصلوا علم أوربا » وكان لجمعية أهل الحديث دورها في هذه الحركة ، فقد عملت عن طريق مدارسها ووعاظها وصحفها على تطهير الإسلام في الهند من المفاهيم الوثنية ، وكانت جماعة « أهل القرآن » تدعو إلى تأكيد قيمة القرآن أساساً ، وقد دحض هؤلاء جميعاً الآراء الخاطئة التي رددتها خصوم الإسلام بغية القضاء على مقومات العزة والقوة في نفوس المسلمين ، ومن رأى « أمير على » أن الإصلاح يجب أن يسبقه التعليم وتحرير العقل من القيود وهو من المؤمنين بأن للإسلام قدرة على صنع ما عدها بنسبته . أما العلامة « خدا بخش » فيرى أن الإسلام يجب أن يدافع عن نفسه أمام الغرب بنفس الأسلحة التي صاغها الغربيون وعلى المسلمين أن يستفيدوا من أساليب التعليم والثقافة وطرق الغرب في البحث ليجعلوا ذلك في خدمة تقدمهم وهو من المؤمنين بأن روح الإسلام الحقيقي قادر على الوفاء بمقتضيات الزمان والمكان ومفتاحه وحدانية الله وشعاره الأخوة الإنسانية

وقد بلغ محمد إقبال غاية القوة والعمق في الدعوة إلى إيقاظ المسلم وشجب نزعة (الجبرية التي سادت من خلال استئراء فهم خاطئ للتصرف ، ويعد « إقبال » رمزاً على المثقف المسلم الذي أتاحت له فرصة إحراز أرقى الدرجات ، والرحلة إلى الغرب والإقامة فيه ، دون أن يقضى ذلك على روحه المسلمة العميقة الإيمان بالله وبالإسلام . ويرى إقبال في الإسلام « المثل الأعلى » الذي لو تحقق تماماً لأوفى بكل مطالب الإنسان في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى . وإذا كان (أمير على) قد حقق بمحاولته الضخمة في كتاب (روح الإسلام) أن يكشف عن جوهر الإسلام على نحو يبني المجتمع المسلم ، فإن (إقبال) قد عنى ببناء الفرد المسلم كأحد

لبناء المجتمع وعنده أن الفكرة الأساسية الإسلامية هي إقامة أخوة شاملة بين الناس ، غير أن انتصار الغرب السياسي الذي لم يكن متوقعا وأن ما طبعه من طابع امبراطوري ، قد عاق تحقيق فكرة الأخوة الشاملة بين الناس ، ويرى إقبال أن الخطر العظيم الذي يهدد الإسلام هو روح العصبية في الشعوب ، تلك الروح التي لها دلائل كبيرة في معظم البلاد الإسلامية ، « فالفرس الذين دعيتهم عصبيتهم إلى الانحراف عن جمهور المسلمين ظلما فتخروا بما كان لهم من تاريخ قبل الإسلام ، كما اشتد الشعور الجنسي في تركيا ومصر حيث أخذ الناس يفخرون بتاريخهم الوثني القديم بخرافيته وفراعنته . ويرى إقبال « أنه ليس في الإسلام قوميات ولا هو نزعة امبراطورية بل هو « جمعية أمم » تعترف بالحدود الصناعية والفروق الجنسية لسهولة الإشارة فحسب لا لتضييق الأفق الاجتماعي » . وقد طفق إقبال منذ عام ١٩٠٨ حتى وفاته يردد في شعره أن تعاليم الإسلام المستمدة من القرآن هي وحدها التي في استطاعتها إعادة الحياة إلى المسلمين ، كما دعا إلى العمل والحركة في بناء الحياة والارتفاع بالإنسان ، والإخاء الإنساني والتوحيد والإيمان بالذات . وقد حملت دعوته أساس مقاومة الجبرية التي تأثر الإسلام بها حين اتصل بفلسفة البراهمة وبالمذاهب الفلسفية المنحرفة كوحدة الوجود والحلول والاتحاد مما كان سبيلا إلى ضعف المسلمين وهزيمتهم وتواكلهم . وسيطرة الاستعمار الغربي عليهم . وعنده أن العمل واليقظة والقوة هي من مقومات الإسلام أساسا قبل أن تكون من أدوات الحضارة المدنية . ومذهب « الذاتية » في فلسفة إقبال يعني : « الروح المنشئ الذي أودعه الله الإنسان وجعل العمل والدأب أساسه وقد دعا إلى نحو الذات بالسعى والعمل الذي لا ينقطع في سبيل تجديد الحياة والقوة والقدرة على التحرر من تعجزكم الغير . كما دعا إلى أخوة الإسلام . ومن أبرز القضايا التي حمل لوائها : الدعوة إلى إنشاء باكستان ، إيمانا بأن أساس الحياة في المجتمع الإسلامي يختلف عن أساس الحياة في المجتمع الهندوكي . ومما يضع العلاقات الأساسية لاتجاه « إقبال » العبارة التي صكت أذنه حين قال له والده : « اقرأ القرآن كأنما أنزل عليك » فهو يرى في القرآن أعمالا وحقائق ، ويعتقد أن كل آية تنطوي على حركة وحياة تدفع المسلمين إلى الأمام ، وأن الإسلام كشف القناع عن أسرار الكون ، ولذلك فلا ضير أن يأخذ المسلمون الحضارة الحديثة « فإنها ليست سوى ازدهار لبعض الجوانب الهامة في الفكر الإسلامي . هذا الفكر الإسلامي الذي حمله الأوربي ونماه حتى يشبهر على الطبيعة بينما تخلى عنه المسلم وعاد إلى الاستكانة مع تصوف البوذية

رجعية البرهمية » ويقول إقبال : إن النبي محمد هو روح الثقافة الإسلامية ، هذا النبي العظيم يبدو أنه يقوم بين العالم القديم والعالم الحديث فهو من العالم القديم باعتبار مصدر رسالته ، وهو من العالم الحديث باعتبار الروح التي انطوت عليها ، وأن مولد الإسلام هو مولد الاستدلال العقل القائم على الاستقراء . وقد وقف إقبال ضد نظريات الحلاج وابن عربي وهاجم الرياضيات الصوفية وقال : إن قصد الرسول هو إنشاء أمة صاحبة ، ويؤكد أن الأمة الإسلامية لم تتأخر ولم تتراجع إلى السلبية القاتلة إلا بعد انهيار سلطانها السياسي ودخول التيارات القرمطية والفارسية بمختلف أقطاها الداعية إلى الحرب من الحياة والداعية إلى قتل الذات وإفنائها ، وكل أمة يصيبها ضعف كالأمة الإسلامية تتبدل أنظارتها وتحمل الاستكانة في أعينها وتركن إلى ترك الدنيا وفي ترك الدنيا تخفى ضعفها وهزيمتها في تنازع البقاء . وعنده أن النظرات التشاؤمية قد استمدت زادها من الفلسفات اليهودية والمسيحية ، وأن هذه الفلسفات كانت مصدر كل تشاؤمية جبرية قاتلة لكل مفاهيم الحرية والإرادة والإيمان الصحيح بالله والحياة » فإذا درسنا القرآن نجد أنه صرح المفاهيم التي أخطأ النظر فيها قارئو العهد القديم والجديد حين أوضح أن الله سبحانه جعل الأرض مستقراً ومتاعاً ومكاناً للسعى وتمكيناً للمعاش ولم يجعلها لعنة أو ساحة تعذيب سحنت فيها البشرية الشريرة العنصر بسبب ارتكابها الخطيئة ، فإن الغصية الأولى للإنسان تدل قياً تدل على أنها أول فعل تتمثل فيه حرية الاختيار والإرادة ، ومن هنا كانت المسؤولية ، لهذا تاب الله على آدم وغفر له . ومن هنا كانت نظرية إقبال هي توكيد الذات في هدم نظرية وحدة الوجود بكل مفاهيمها المنفصلة عن روح التوحيد .

بدأت الحركة الوطنية لتحرير الهند في أحضان الحركة الإسلامية ، وقد أزعجت الاستعمار البريطاني هذه الخطوة فعمد إلى القضاء عليها بأسلوب غابة في المكر والبراعة نحاً بها المسلمين عن قيادة الحركة الوطنية وأسلمها إلى الهندوس وأجراها على الأسلوب الذي أراده . فالاستعمار البريطاني الذي سيطر على الهند بعد ثورة ١٨٥٧ التي قادها المسلمون كان حريصاً ألا يتحقق للمسلمين السيطرة على الهند التي ظلت تحكم الهند أكثر من خمسين عاماً مرة أخرى بعد أن أسقط دولتهم والمعروف أن المسلمين قاطعوا مدارس الاحتلال وعزفوا عنها حتى أتيح لهم إقامة نهضة تعليمية داخل إطار دينهم وثقافتهم وذلك بإنشاء عدد من المعاهد جاءت في مقدمتها

الكلية المحمدية الإنجليزية التي أقامها أحمد خان وأطلق عليها من بعد كلية عليكره . ثم تعددت الجامعات والمعاهد في لاهور ولكنو ولم تلبث أن حققت تقدماً واضحاً في هذا المجال ثم اتجه إلى العمل لتحرير الهند فألفت الجمعية الإسلامية العامة في لكنو (بومباي) وكان يشرف على أعمالها أكابر المسلمين في الهند : (أغا خان وفاصل حسن ومظهر لحق الهادي) . مطالبين بحقوق المسلمين الهند كوطنيين ، بدأ ذلك عام ١٩٠٧ واتسع وتعمق بإنشاء جمعية عامة تشرف على أعمال الأحزاب السياسية بقيادة شيخ المسلمين في الهند مولانا محمود الحسن . وقد استمرت تعمل في الخفاء عشر سنين وإليها يعود الفضل في يقظة المسلمين السياسية في الهند . وكان الهندوك قد أعلنوا إنشاء المؤتمر الوطني العام ، وسموه المجلس المللي الوطني الهندي العام وكانت غايته كما أشار تقرير (عبد العزيز الثعالبي) (١) أن ينالوا حقوقاً سياسية تخولهم السيادة على الأقليات (وهم لا يريدون من كلمة الأقليات غير المسلمين) وفي عام ١٩١٦ تنبّهت حكومة الاحتلال إلى حركة الجمعية الإسلامية فأوعزت إلى محمود الحسيني أن يغادر الهند وقبض على أعوانه : أبو الكلام آزاد ، حسرت مهاني ، ظفر الله خان ، محمد علي ، شوكت . ولما عقدت الهدنة في ١١ نوفمبر ١٩١٨ أعلنت الحكومة البريطانية استعدادها لإجراء إصلاحات في قانون الهند فاتفق الفريقان (المسلمون والهندوس) على عقد مؤتمر في لكنو يجتمع فيه زعماء الفريقين وفي عام ١٩١٩ أطلقت الحكومة من المسجونين السياسيين المسلمين فاجتمع زعمائهم في لكنو بدعوة مولاي عبد الباري . رئيس علماء افرنجي محل ، فتداولوا في تأسيس جمعية إسلامية لتنظيم مطالب الاستقلال ، وكان قد ظهر في هذا الوقت تأمر الدول الكبرى مع تمزيق شمل الدولة العثمانية ، فأطلق على هذه الجماعة (جمعية انقاذ الخلافة من مخالف الأعداء الظالمين) . وتأسست جمعية الخلافة في بومباي (١٨ فبراير ١٩٢٠) برئاسة غلام محمد فتو ، ميان محمد حاجي خان ، ودخل في عضويتها الزعماء المسلمون المعروفون في الهند ، ودعت اللجنة المسلمين إلى جمع الإعانات للدفاع عن حوزة الخلافة فأقبل بسخاء وجمع مالا يقل عن سبعة عشر مليون روبية إلى أضعاف ذلك . يقول : عبد العزيز الثعالبي في تقريره : كان (غاندي) إلى تلك الآونة غير معروف في الهيئات السياسية في الهند وكان متطوعاً في فرقة تمرير الجنود ، ولما انتهت الحرب وانفصل عنها ، كانت جمعية الخلافة في بدء تأليفها فأقبل عليها . . . وكان اسمه غير معروف إلا بين الأفراد القلائل الذين عرفوه في الناطل وجنوب أفريقيا فتيامن به زعماء المسلمين رغم تحذير المللوى

(خو جندى) وكان على صلة به من قبل ويعلم من أمره مالا يعلمون وبالأخص من ناحية تعصبه للهنادكة مع المسلمين . وشاعت الغفلة أن تنطوى هذه الحركة العظيمة على يديه ، ففقد في جمعية الخلافة مقعد الناصح الأمين وجعل يشير عليها باستئلاف الهنادكة فقبل الأعضاء نصحه عن حسن نية وندبوه للسعى إلى ذلك . فقام وطاف الهند على حساب الجمعية يدعو إلى الوفاق . ويقول المطلعون على خفايا الأمور أنه كان يتصل بالهنادكة ويتآمر معهم على شل الحركة الإسلامية ، ولما عاد من الرحلة سعى في اقناع جمعية الخلافة بالانضمام إلى الكونجرس (المؤتمر الوطنى) الذى تأسس للاحققة المسلمين وانتزاع حقوقهم في الهند ، فانضمت إليه جمعية الخلافة وتبعتها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة ارتكاناً على الثقة بغاندى ، وعقد الكونجرس اجتماعاً فوق العادة بعد انضمام المسلمين إليه في مارس ١٩٢٠ في بلدة باكبور حضره ٢٥ ألف مندوب أكثرهم من المسلمين ولما تلى عليهم القانون الأساسى اقترحوا تعديل المادة التى تقول بإصلاح حالة الهند إلى عبارة (استقلال الهند) فوافق على ذلك المؤتمر ، وشرعت الأحزاب الهندوكية منذ ذلك اليوم تطالب بالاستقلال التام طبق رغبة المسلمين وكانوا قبل ذلك لا يطالبون إلا بإجراء اصلاحات ، فارتفعت الحكومة (البريطانية) لهذا التغيير وعدته فاجعة في سياسة البلاد وعلى أثره ألفت القبض على الزعماء وزجرتهم في السجون . (واجتمع قادة الحركة) وعرض أبو الكلام آزاد اقتراحاً باسم الأعضاء المسلمين يتضمن إعلان الأمة الهندية بأن الحكومة الحاضرة غير مشروعة ، مع دعوة البلاد إلى مقاطعتها فوافقت الجمعية وانعقد على أثره (مؤتمر جمعية الخلافة) فأعلن موافقته أيضاً بالإجماع ، وبعد أن جرى تصديق المؤتمر على قرار المقاطعة قام غاندى خطيباً وقال : إن اتحاد الهنادكة يبقى متيناً ما لم يشرع المسلمون في مناوئة الحكومة ويشهروا السلاح في وجهها ، ورد عليه أبو الكلام آزاد فقال : إن كان غاندى يتصور أن أعمال المسلمين في الهند لا تقوم إلا على مساعدة الهنادكة فقد آن أن يخرج هذه الفكرة من دماغه وليعلم أن المسلمين لم يعتمدوا قط على أحد إلا على الله وعلى أنفسهم .. وشرعت الأمة الهندية عقب ذلك في مقاطعة الحكومة وإظهار العصيان المذنب فامتنعت عن دفع الضرائب والرسوم وتخلّى المحامون عن الدفاع أمام المحاكم ، وأعاد أصحاب الرتب النياشين والبراءات للحكومة ، وأحرق التجار المسلمون جميع ما في مخازنهم من البضائع الإنجليزية ، وترك المسلمون الموظفون مناصبهم في الحكومة فحل الهنادكة محلهم ، وهاجر عدد كبير من أكابر المسلمين إلى الأفغان بعد أن تركوا

أملأهم وأرضهم في الهند واشتدت المقاطعة في البنغال اشتداداً عظيماً ليس له مثيل فقد امتلأت سجونها بالمقاطعين من المسلمين ، حتى إذا أعياى الحكومة أمرهم صارت تقبض كل يوم على ألف شخص في الصباح وتطلقهم في المساء ، لأن السجون لم تعد تسع المعتقلين . وخطب اللورد ريدنج (الحاكم العام) في كلكتا فقال : إننى شديد الحيرة من جراء هذه الحركة ولست أدري ماذا أصنع فيها . ومن هذا السياق تستطيع أن تتصور قوة المسلمين في الحركة الوطنية وضعفها في الهندوكية ولا شك أن الهندوكى بالغ ما بالغ من النشاط السياسى لا يستطيع أن يجابه الحكومة كما لا يستطيع أن يحارب المسلمين إلا بسلاح الدس . وقد اجتمع الزعماء عام ١٩٢١ وأعلنوا استقلال الهند استقلالاً فعلياً وعينوا ولاية الولايات وحكام المقاطعات وقضاة المحاكم في جميع المدن ، فكان الوطنيون يرفعون قضاياهم أمامهم ويتجاهلون محاكم الحكومة . وبسبب ذلك تعطلت أعمال الحكومة والبوليس وحدث ارتباك شديد في الدوائر العالية بالهند ، غير أنها بدلا من أن تستعمل القوة القاهرة لكفاح الشعب الأعزل لجأت إلى المناورات السياسية وهى أشد خطراً وكان يظل هذه الحركة المهاتما غاندى زعيم الهند . فقد اتفق اللورد ريدنج مع غاندى على حل الوفاق القومى بين المسلمين والهندوك . وقد أذيع الحديث بواسطة المصادر البريطانية عقب ستة أشهر ، فقد نقل أن اللورد قال لغاندى : إن مصدر الحركة الاستقلالية في الهند المسلمون ، وأهدافها بأيدي زعمائهم فلو أسرعنا وأجبناكم إلى طلباتكم وسلمنا لكم مقاليد الأحكام ، ألا ترى أن مصائر البلاد آيلة للمسلمين ، فماذا يكون حال الهنداكة بعد ذلك . هل تريدون الرجوع إلى ما كانوا عليه قبل الاحتلال البريطانى . وهل تفيدكم يومئذ كثرتم وأنتم محاطون بالأأم الإسلامية من كل جانب وهم يستمدون قوتهم منها عليكم .. إذا كنتم تريدون أن تحتفظوا لأنفسكم باستقلال الهند فعليكم أن تسعوا أولاً لكسر شوكة المسلمين وهذا لا يمكنكم بغير التعاون مع الحكومة ، وينبغى لكم أيضاً تنشيط الحركات الهندوكية للتفوق على المسلمين في جميع الأعمال الحيوية وفى بلوغكم الدرجة المطلوبة فإنى أؤكد لكم أن حكومة بريطانيا لا تتمهل فى الاعتراف لكم بالاستقلال . وقبل انصراف غاندى أوعز اللورد إليه أن يشير على (مولانا محمد على) كتابة تعليق على خطاب كان ألقاه فى مؤتمر الخلافة وحمل فيه على الحكومة حملة عنيفة ، بقول فيه : « إن ما فهمته الحكومة كان مخالفاً لمرادى » فصعد غاندى بالأمر ودعا محمد محمد على لكتابة هذا البيان بعد أن أفهمه أن الكتاب سيكون سرياً لا يطلع عليه أحد غير

اللورد ، فكتب البيان تحت التأثير السحري الذي كان لغاندى عليه وما كاد الخطاب يصل إلى اللورد حتى أذيع في جميع أقطار الهند بعد أن صدرته الحكومة بمقدمة قالت فيها : « إن محمد علي تقدم إلى الحكومة يطلب منها العفو عن المفضة التي ارتكبتها » واتهم محمد علي من المسلمين بالتراجع وري بالخور والضعف ، غير أنه لم يحاول أن يصحح موقفه إلا حين عقد مؤتمر الخلافة في كراتشي (أغسطس ١٩٢٠) حين أعلن سياسة المناوأة للحكومة لا موالاتها فتلقى منه الهنادكة والمسلمون هذا التصريح بالارتياح التام ، ولكن عقب انفضاض المؤتمر أمرت الحكومة باعتقاله مع ستة آخرين منهم : شوكت علي ، حسين أحمد ، كثار أحمد ، بير غلام محمد ، الدكتور سيف الدين كمثلو ، وساقطتهم جميعاً إلى المحكمة الخصوصية للمحاكمة فرفضوا الاعتراف بالحكومة وهيبة المحكمة عملاً بقرار المؤتمر السابق وامتنعوا عن الدفاع عن التهم ، ولكن المحكمة أدانتهم بمجرد الاتهام وحكمت عليهم بالحبس عامين مع الأشغال الموجهة إليهم ، وبعد الحكم أصدر محمد علي وسيف الدين كمثلو منشوراً بتوقيعيهما يخاطبان فيه الشعب وينصحانه بعدم الاهتمام بما حصل ويعدان بأن الزعماء المعتقلين سيحضرون اجتماع الكونجرس القادم في ديسمبر بمدينة أحمد آباد سواء رضىت الحكومة أم كرهت ، لاعتقدهما أن الكونجرس سيعلم بصقة رسمية استقلال الهند وتأليف حكومة وطنية هي التي ستقرر الإفراج عنهم ، ولكن الحكومة لم تأبه لهذا المنشور لأنها كانت واثقة أن الكونجرس لن يفعل . ولما عقد اجتماع الكونجرس (ديسمبر ١٩٢٠) حضر غاندى وقال بما أن الزعماء معتقلون ولا سبيل للمداولة معهم في منهاج أعمال المؤتمر ، فأقترح عليكم تعييني ديكتاتوراً للمؤتمر وتخويلي السلطة المطلقة لتنفيذ ما أراه صالحاً من الإجراءات فوافقته اللجنة على ذلك دون أن تنتبه إلى ما كان يضمرة هو من المقاصد التي قد لا تتفق مع خطة المؤتمر ، وتقرر فيها أيضاً اسناد رئاسة مؤتمر الخلافة إلى أجمل خان ، ومؤتمر مسلم ليك لحسره مهاتى ، وقبل اجتماع مؤتمر الخلافة قال غاندى للحكيم أجمل خان أن إعلان الاستقلال في الظروف الراهنة غير مناسب وما زال حتى أقنعه بالعدول عن إعلان ذلك مع أن الزعماء المسجونين كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر ، وكانت الحكومة تتوقع صدوره من أحزاب المسلمين بقلق شديد وماذا عساها تصنع لو تخلف غاندى عن الوفاء لما بوعدته. وفي أغسطس ١٩٢١ اجتمع الكونجرس تحت رئاسة غاندى في أحمد آباد فأعلن أن الوقت الذي يصرح فيه المؤتمر

باستقلال الهند لم يحن بعد ، فهاج الأعضاء وماجوا وعقب انتهاء جلسات المؤتمر انعقد مؤتمر الخلافة وتيسب الحكيم أجمل خان أن يشير عاصفة من قبل المسلمين ، فأمسك عن اعلان الاستقلال ، أما حسرت مهاتى فقد أعلن في مؤتمر مسلم ليك أن الهند تريد أن تعرب بواسطتهم عن إرادتها في الاستقلال ، فعلى الهنود أن يشعروا اليوم بأنهم مستقلون وألا يعترفوا بقوانين الحكومة الملغاة فأمرت الحكومة بالقبض عليه وأودع السجن عشر سنين مع الأشغال، وأجمعت الصحف الهندية على نقده ووصفه بالشدة ، وخفضت العقوبة إلى سنتين وعقب ظهور هذا الفضل العظيم في سياسة البلاد اعترت المسلمين شكوك في تصرفات غاندى واستيقنوا « بأن زعماء الهنادكة متفقون على ذلك فدب الانشقاق بين الطرفين » . هذا هو النص الذى أورده العلامة (عبد العزيز الثعالبي) عن دور المسلمين في الحركة الوطنية الهندية وكيف قضى عليه وانهار مخطط الاستقلال ، ومن المعتقد أن هذا العمل كان أكبر مقدمات الدعوة إلى مطالبة المسلمين بكيان خاص لم فقد بدأت من خلال ذلك حركة مقاومة خطيرة للكيان الإسلامى ، مرتبطة بحركة تبشير هندوكى وتبشير غربى بريطانى في محاولة لاقتلاع الإسلام والقضاء على دعائمه .

وقد أشار عبد العزيز الثعالبي إلى ضخامة مخطط التبشير في الهند عام ١٩٣٧ حيث توجد ٣٧٧ ارسالية تضم (٣٦٣٤) مبشر ، بإضافة إلى ٥٠ كلية و ٣١٨ مدرسة ثانوية و ٤٢١ مدرسة ابتدائية و ٢٧٠ مدرسة متنوعة أخرى بالإضافة إلى ١٧٠ جريدة وصحيفة ونشرة تدار كلها لحساب الإرساليات التبشيرية الغربية . وقد بلغ حجم النفقات السنوية للإرساليات بالهند ٣٣١ و ٢٢٧ مليون روبية . وقد واجه المسلمون هذه الغزوات بإنشاء جمعيات التبليغ بفروعها المختلفة الإسلامية في أنحاء الهند وذلك لصيانة عقائد الضعفاء من المسلمين والدعوة إلى الإسلام . وفي أعقاب هذه الحركات أخذت الدعوة إلى القومية الهندوكية طريقاً متطرفاً أحس المسلمون معه إلى حاجتهم الشديدة إلى تعميق مفهوم الرابطة الإسلامية .

يقول سعيد الندوى : « إنه في الثلاثينات ظهرت حركتان وحزبان متناقضان : حركة تدعو إلى القومية الهندية المشتركة والانضمام إلى حوزة المؤتمر الوطنى الهندى وحركة تدعو إلى القومية المسلمة ، وغير خاف على المسلم المستبصر ما فى الحركتين من خروج على الإسلام وخطر على مستقبله فى هذه الديار . فالقومية الهندية المشتركة كانت تريد إدماج المسلمين

في حظيرة القومية الهندوكية تمهيداً للقضاء على الإسلام وشعائره في هذه الديار . وكذلك القومية المسلمة المتطرفة في المقاومة للقومية الهندية لم تكن أقل خطراً على الإسلام من ضربتها لأن القائمين بها والداعين إليها وإن كانوا من أبناء المسلمين يتسمون بسمة الإسلام ويصيحون ويصرخون باسمه في المحافل والمنشديات ما كانوا يعرفون من الدين إلا اسمه ، وكان جل همهم أن يحصلوا على مملكة على طراز الجمهورية التركية الكمالية وأخوانها من الجمهوريات اللادينية في الغرب وكان من نتائج خطتهم المعوجة أن كثر التبرج والاختلاط : وجهز زعمائها بالقضاء على آداب الإسلام وأخلاقه الذكية الطاهرة بالإضافة إلى ما كانوا يبدون من اعتزامهم تتبع معالم الغرب في الحياة الاجتماعية والسياسية . ويمضى فيقول : ظهرت هاتان الحركتان المتعارضتان بعد سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) واشتد الخلاف بينهما بعد بضع سنين إذ بلغ الأمر بأنصار الحركتين أن جعلوا يتنازعون في كل ناد ومجلس وأخذت صحف الحزبين تمنع في التنابز بالألقاب وعنده أن الرابطة الإسلامية لم تكن على مستوى الأحداث فقد حشدت في دائرتها كل غث وسمين من مطايا الاستعمار وأذئاب الشيوعية وأتباع الكمالية من أبناء المسلمين وقال أنها ليست من الجماعة الإسلامية في شيء وإنما هي جمعية للمسلمين الجغرافيين توحدت كلمتها وانتظم عقدها لمحاربة القومية الهندوكية والمؤتمر الهندي وقال إن بعض صحف الرابطة الإسلامية وأنصارها سخروا من الدعوة الإسلامية وفريضة إقامة الدين . ويمكن القول أن الرابطة الإسلامية كانت شبيهة بالأحزاب السياسية التي ظهرت في العالم العربي في نفس هذه الفترة وتحررت من كل علاقة بين السياسة والأخلاق أو بين الدين والمجتمع .

(٢) لم تتمكن باكستان من مواجهة الأعاصير لأنها عجزت عن أن تلتبس أسلوب الأصالة الإسلامية فقد كانت منذ نشأتها أملاً ضخماً من آمال المسلمين في قيام دولة إسلامية على مبادئ الإسلام ولكنها وقعت صريخة النظام الغربي الذي فتح لها أبواب الصراع حول القومية والديمقراطية وفرق الدولة الواحدة نتيجة إلتباس الأسلوب الغربي في مواجهة الأمور وإعلاء جانب الحكم في البنجاب على حساب المحكومين في البنغال ، ولقد عجز قادة باكستان وزعمائها منذ نشأتها في أن يوجهوا الدولة إلى النظام الاسلامي وصباغة المجتمع منها صياغة إسلامية فسقطوا في سراييب صراع القوميات والمذاهب مع التبعية للقانون الوضعي والمناهج الغربية ، بل ان بعض المراقبين يرى أن تمزق باكستان جاء نتيجة طبيعية للتنكر للإسلام

وأهمال مبادئه في أسلوب الحكم والسياسة والوقوع في شرك المذاهب والايديولوجيات القومية والديمقراطية . ولا ريب أن المنهج الإسلامي هو طريق النصر والسيادة ولو إتخذ حكام باكستان أسلوب الإسلام لما حدث الصراع ولكن سمة الأصالة لم تلبث أن اختفت وظهر الطغاة الذين قادوا البلاد إلى الدخول في حرب عاصفة مزقت وحدة باكستان ومكنت الهند في مساعدة البنغال على الانفصال عن باكستان عام ١٩٧١ ولقد قامت الهند بخطوتها هذه في سبيل سحق القوة الإسلامية بمساعدة الاتحاد السوفيتي العسكرية ولضمانته الدولية ، وقد قام الشيوعيون بهذه المغامرة ليس ضد باكستان فحسب ولكن لتركيز نفوذهم في منطقة أقرب ما تكون إلى حدود الصين ولقد كان تركيب باكستان من جزئين يفصلهما بحر متلاطم من الهندوكية ينذر بخطر شديد ، غير أن أسلوب الحكم الذي لم يحرص على العدالة والتوازن هو الذي أوجد في أيدي أصحاب الأغراض سلاحاً للخلاف والحرب فان حكام باكستان الذين أقاموا في البنجات لم يعدلوا مع اخوتهم في البنغال فباكستان الشرقية أصغر مساحة وأكثر سكاناً (مساحة البنجاب ستة أضعاف مساحة بنغال وتعدادها أقل عشرة ملايين) وكان معظم ما ينتج في المنطقة يصرف في الغرب وبذلك أصبح الشرق (البنغال) مباءة خطيرة للفقر وازدحام السكان ومن هنا نشأت فكرة الانفصال ووجدت عوامل كثيرة لانفاها فقد كان هذا الانحراف في التعامل وجشع القادة في البنجاب عاملاً خطراً في بذل بذور الجفاء بين أبناء البنغال وأبناء البنجاب ثم جاءت محاولة قهر الراغبين في الانفصال عن تحقيق غايتهم مما دعا إلى تدخل الهند ، فقد رفض حاكم باكستان تسليم السلطة إلى الحزب الذي حصل على ولاء البنغاليين ، فضلاً عن امتناع القيادة الحاكمة بالاعتراف باللغة البنغالية كلغة رسمية ، لقد كانت الشجرة القومية قد نمت حيث لم توجد الفرصة لإقامة إخوة إسلامية حقيقية ، وتعرضت أخوة الدين والعقيدة لامتحان خطير ولا ريب في غياب المفاهيم الإسلامية أن ينتصر التيار القومي في البنغال حتى لقد رفضت الدولة الجديدة النص على ارتباطها بالإسلام وما تزال تضطرب بين مفاهيم القومية والاشتراكية .

ولا ريب أنه إذا كانت عملية تقسيم باكستان خطة مدبرة ساهمت منها الدول الكبرى لضعاف أكبر دولة إسلامية فان حكام باكستان يحملون وزراً شديداً لأنهم لم يتمسكوا بالأسلوب الاسلام الذي يحقق العدل والتكافل

والتكامل وبحول دون السيطرة والاستعلاء . لقد انفصلت بنغال عن باكستان في غيبة الحكم الاسلامي وغيبة الحاكم المسلم الذي يطبق ما جاءت به الشريعة الاسلامية ولقد أدان المراقبون المخطط كله على هذا النحو : (أولاً) : استشرء دعوة مجيب الرحمان إلى القومية البنغالية على حساب الوحدة الإسلامية . (ثانياً) تقصير الساسة الباكستانيين في الجناح الغربي حيث لم يأخذوا بعين الاعتبار «حاجات وعواطف» الجناح الشرقي (البنغال) . (ثالثاً) استغلت حكومة الهند التي لم يرق لها قيام دولة منفصلة عن شبه القارة الهندية على أسس إسلامية الضعف والانهلال الذي أصاب الوحدة الباكستانية فساعدت على إيقاد نار الحرب بين الجناحين ورمت بثقلها إلى جانب الجناح الانفصالي في باكستان الشرقية . (رابعاً) : لقيت مأساة الانفصال تأييداً كبيراً من الدول الغربية ومن الدول الشيوعية على السواء . يقول الدكتور مطيور رحمن : من المعروف أن الباكستان قد أسست على مبدأ إسلامي صريح فكان المأمول أن تصبح نموذجاً يحتذى به في ممارسة الآخاء والعدل ، وإن ما حدث إنما جاء نتيجة تراخي الحكام في العمل بأحكام الإسلام الذي على مبادئه أسست دولة باكستان ، ويوجد في باكستان صراع بين العناصر العلمانية وبين العناصر الدينية المترتبة والاسلام دين إنساني لا يتعارض مع القومية ، بل انه يشملها فالقوميات في الاسلام يجب أن تؤسس على التعارف والتآلف وليس على التناحر والتفاخر وإن تعدد القوميات ضمن دولة واحدة ممكن التحقيق على أساس الآخاء والعدالة والاحترام المتبادل غير أن الحكومة المركزية لم تراع الاهتمام الكافي للقوميات التي تكونت منها دولة باكستان ولذلك وجدت الحركة الهدامة التي تزعمها مجيب الرحمن تربة خصبة في الجناح الشرقي من باكستان ، وكان الأفضل قيام حكم إسلامي فيدرالي يسمح للقوميات المتعددة بقسط وافر من الحكم الذاتي . ولا ريب أن انفصال (البنغال) عن (الباكستان) الأم مأساة إنسانية لسكان بنجاليدش ولا سيما في الحقل الاقتصادي فهي لا تستطيع الوقوف على قدميها اقتصادياً ما لم تلجأ إلى الهند وتعرض للذوبان في الجسم الهندي أو تنتظر المساعدات من مصادر خارجية وليس هناك مخرج من الأزمة إلا بالعودة إلى الإسلام وإلى الالتئام مرة أخرى بين الجناحين مع تجنب أخطاء الماضي ويقول المراقبون أن البنغاليون هم الذين نادوا بالباكستان وكانوا أشد لها حماساً من أهل البنجاب ولكن الحكم العسكري هو الذي أساء إليهم وكان لحكومات الجنرالات أثرها

البعيد في المآسى التي لحقت بهم ولقد كان من أكبر الأخطاء أن تقوم باكستان على أساس الإسلام ثم توصف بالقومية الباكستانية ، وتأخذ أسلوباً مماثلاً للقوميات الأوروبية بينما كان عليها أن تأخذ طريقها الوحيد إلى النظام الإسلامى. يقول أحد الباحثين : من المؤسف أنه منذ النشأة الأولى لباكستان لم تحاول أية واحدة من الحكومات المتعاقبة على دست الحكم فيها أن تفعل شيئاً يقوى من تلك الأوامر المدعمة للوحدة بل أن الواقع يشير إلى أن كل حكومة من تلك الحكومات قد أسهمت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فى إضعاف تلك الأوامر . إن كبار القواد العسكريين (الجنرالات) والموظفين البروقراطيين الذين نشأهم الحكم البريطانى كانوا يعارضون قيام دولة إسلامية وقدروا أنه من الضرورة بمكان أن يحطموا الديمقراطية حتى يحكموا البلاد على هدى خطتهم وضد إرادة الجماهير ولذا تأمروا حتى يستطيعوا الاستيلاء على الحكم فالجنرال أيوب خان دام حكمه اثنى عشر سنة كاملة وفى أثناء ذلك أتيح لكل القوى المعادية للإسلام من قاديانيين وعلمانيين وماركسيين أن تنطلق من عقائدهم وتزيد من نشاطها مقابل تأييد تلك القوى لحكم أيوب خان الدكتاتورى وبإضعاف نفوذ الإسلام السياسى والذى كان يوحد بين المواطنين فى باكستان وهم مختلفوا الألسن ففتح الباب للشعور الاقليمى والكيانى للناطقين بلغة ما من لغات الشعوب التى كان يضمها كيان باكستان الموحد فأصبح مفهوم القومية القائم على وحدة اللغة أو العرق حراً لأن يقوى ويشند ساعده . وكانت الفوارق بين المواطنين من شتى باكستان فى السيطرة الاقتصادية أو الإدارية أو فى الرتب العسكرية تشكل مادة ملتهبة للأحداث السياسية ، ولقد أفلح فى استغلالها الانفصاليون الاقليميون لاثارة الكراهية ضد الحكومة المركزية فى باكستان . وفى هذه الظروف المواتية لأهدافه استطاع داعية الاقليمية الشيخ مجيب أن يكتسب لنفسه شعبية ظاهرة قومية ولكنه لم يجرؤ قط على المجاهرة بعدائه للإسلام أو المطالبة بالانفصال عن الدولة الموحدة ، وجاء الجنرال يحيى خان فاتخذ عدة قرارات سياسية فاحشة الخطأ مهدت الطريق لانتصار مجيب الانتخابى وقد منبت باكستان الشرقية بأضعف إدارة حكومية الأمر الذى مكن للشيخ مجيب من أن يستعمل كافة الأساليب الفاشية ليكتسح انتخابات انتخابات سنة ١٩٧٠ وأخفق يحيى خان ومجيب فى الوصول إلى تسوية سياسية حيث نظم الشيخ مجيب التمرد أو الثورة على الحكومة واستعمل يحيى خان القوة المسلحة لكبت تلك الثورة وكانت هذه الأحداث الدامية فرصة ذهبية بالنسبة للهند العلود اللود

لباكستان للتدخل في شئون باكستان الداخلية بغية تمزيق وحدتها وهو ما كانت الهند تصبو إليه منذ قيام دولة باكستان فلا يستطيع أحد أن ينكر أنه لولا تدخل الهند العدواني السافر لما أمكن فصل باكستان الشرقية (البنغال) عن دولة باكستان الموحدة. وتشير الدلائل إلى مؤامرة دولية كبرى بين جمهورية الهند والصهيونية المالية فباكستان المعروفة بغيرتها الإسلامية لمصلحة العرب البالغة درجة التعصب لم قد جعلت اليهودية تعتبرها العدو رقم واحد لها وفي محاولتهم المنكرة لإلحاق الأذى بباكستان قدم اليهود كل عون مادي ومعنوي وعتادي ودبلوماسي للهند في مغامرتها الامبريالية التي قامت بها فنجحت في احتلال نصف أراضي باكستان واستعباد خمسة وستين مليوناً من المسلمين . ولقد واجه مسلمو البنغال من العذاب والتقتيل بسبب جبههم للإسلام ووليدته باكستان على نحو لم يعرف المجتمع العالمي مثيلاً لها ، ولم يعرف شيئاً من فصولها التي تقشعرها الأبدان وتشيب لها الولدان على أثر سقوط (داكا) عاصمة باكستان الشرقية فالتقارير تذكر أن الناس قد عذبوا حتى الموت بوسائل غريبة في أفضاعتها ووحشتها على يدى الجيش الهندى المخمور بالنصر وأعوانه من المحاربين من شردمة الانفصاليين .

(٣)

ولقد خطت باكستان خطوة جديدة في الطريق الصحيح على يد حاكمها ضياء الحق الذى أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية محققاً بذلك أملاً طالما غمر قلوب المسلمين نحو باكستان منذ بدأ ظهورها عام ١٩٤٨ حيث قامت باكستان بالإسلام وللإسلام ولكن العواصف والأعاصير حالت بينها وبين أن تخطو نحو الطريق الصحيح وكانت آخر مراحل الاضطرابات انحراف (ذو الفقار على بوتو) إلى نفس الطريق الذى سار فيه التابعون للعلمانية والمؤمنون بالتجربة الغربية، وأخذ بوتو يعمل على تحويل باكستان إلى دولة علمانية مقلداً أسلوب أثناتورك والشاه وعبد الناصر وسمح للفساد الاجتماعى أن ينمو تحت اسم جلب الليل والمراقص وبيوت البغاء ، وقام فى مواجهة معارضيه بالبغي والبطش والتنكيل ، وأمم المدارس الإسلامية الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم (١٢ ألف مدرسة) وبدأت حركة اليقظة الإسلامية تواجه خطر الإبادة وقاد الشيخ مفتى محمود مظاهرات الاحتجاج منذ قرار تأميم المدارس الإسلامية وضد الانحراف والفساد وعزل ضياء الدين على بوتو عن الحكم عندما تبين له أنه أوغل في الطريق المظلم . وأعلن ضياء الحق أن الشريعة الإسلامية هى مصدر القوانين وأخذ في تعديل مختلف

القوانين لتكون مطابقة للشرعة الإسلامية وأعلن في مولد الرسول (٢١ ربيع الأول ١٣٩٩) القوانين الإسلامية بتطبيق الحدود الإسلامية قطع اليد السارق ورجم الزاني وجلد شارب الخمر ، وبذلك دخلت باكستان التجربة الإسلامية التي نرجو أن تكون نبزاً صادقاً أمام المتطلعين إلى إقامة منهج الله تبارك وتعالى ولا شك أن ما تقوم بتحقيقه باكستان هو تجربة كبرى : ترى إلى إعادة بناء النظام الاجتماعي الاقتصادي بها على أسس من أحكام الشرعة الإسلامية وقد أكد المسئولون الباكستانيون أن التجربة الجديدة ليست مجرد تعديل أو تغيير في القوانين ، إنما هي بمثابة عملية تعتبر في أساسيات المجتمع ويستتبع هذا بالقطع تغيير القوانين المطبقة لتلائم هذه الأساسيات الجديدة (الدكتور خورشيد أحمد) ويتبع هذا كله من تعاليم الإسلام والشرعة السمحة . الذي تقول : أن عملية التحول نحو الشرعة الإسلامية تتطلب تغييراً في الجوانب الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والاعلامية وغيرها لإقامة المجتمع الإسلامي الصحيح . ، وقد جرت في جانب التعليم تغييرات جذرية في البرامج والمناهج التعليمية من أجل ربط هذه المناهج بأساس العقيدة وصيغ التعليم بالصيغة الإسلامية وكذلك فإن الاعلام أصبح إسلامياً بحيث أصبحت تصاغ جميع مواد الإذاعة والتلفزيون الفكرية والثقافية وحتى الترفيهية صياغة إسلامية صحيحة وتقدم في قالب يتماشى مع الهدف الذي يرمى إليه المجتمع الحديث كذلك فقد أخذت الصلاة تدخل في جميع مراكز الدولة ومؤسساتها ومصانعها بما يساعد على تكوين خلق جديد من المواطنين هو الخلق الإسلامي بما يقضى على الانحرافات وقد أصبحت الشرعة الإسلامية هي المصدر الأساسي لجميع قوانين الدولة وتشريعاتها ، لما يكون لها الأولوية في التطبيق في حالة تعارض أحكام أحد بنود القوانين الوضعية معها وقد تم إقرار أربعة قوانين إسلامية هي تحريم الخمر والعقاب عليه والسرقة والزنا والقتل وحدوده ولقد كان المؤسسات الجماعة الإسلامية في باكستان جهود بارزة منذ وقت طويل في المطالبة والإعداد لتطبيق الشرعة الإسلامية وقد وضعت إمكاناتها في هذا السبيل ، بالإضافة إلى مجلس التشريع الإسلامي الأعلى الذي يضم نخبة من كبار علماء باكستان فضلاً عن لجنة من كبار الاقتصاديين في المصارف . ويعد الجانب الاقتصادي من أهم جوانب التحول ، بعد أن تقرر إدخال مبادئ الاقتصاد الإسلامي في جميع المعاملات الاقتصادية في باكستان خاصة الزكاة والعشر ، والقضاء على مبدأ الفائدة والربا التي تحكم الاقتصاد في هذا العصر وقامت مؤسسات لأربوية لتطبيق هذا المبدأ ، وتعد هذه هي التجربة

الإسلامية الكاملة الأولى التي يبدأ تطبيقها في عالم الإسلام .

(٦)

أندونيسيا وافييل الملايو

مرت أندونيسيا في تاريخها الإسلامي بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : منذ دخول الإسلام حوالي ١٤٠٠ م إلى عصر الاستعمار الهولندي . المرحلة

الثانية : عصر الاستعمار الهولندي ١٥٩٦-١٩٤١ . المرحلة الثالثة : عصر الاستقلال منذ

سنة ١٩٤١ إلى اليوم .

(١)

دخل الإسلام أندونيسيا عن طريق الهنود والعرب الذين قدموا إلى البلاد للتجارة وحملوا معهم الإسلام واللغة العربية ، فقد وفد المسلمون على سومطرة في القرن السادس الهجري (١٢ م) وهبطوا جاوه في القرن التاسع الهجري (١٥ م) ، جاءوا من الهند أولاً ثم تتابع سيلهم من حضرموت والبلاد العربية بعد القرن العاشر الهجري (١٦ م) . قد نشر الحضارة في أندونيسيا التي تمثل سلسلة من الجزر الهندية الشرقية تمتد إلى سيلان واليابان والصين وأهمها جزيرتان هما : جاوه وسومطره وكان الأندونيسيون الأقدمون وثنيين . ثم جاءت بعد ذلك البرهمية والبوذية فانتشرتا بينهما وبعدهما جاء الإسلام ، وقد دخل الأندونيسيون في الإسلام سراعاً واعتنقوه بأعداد هائلة حتى لم يبق على البرهمية والبوذية في الجزر الألف إلا أقلية ضئيلة معظمهم يوجدون في جزيرة بالي . وقد تم إعتناق الإسلام في أندونيسيا بطريقة سليمة وبسرعة منقطعة النظير « إذ أقبل الناس عليه ووجدوا في سماحة تعاليمه ما أنقذهم من الاضطراب النفسي الذي كان يسيطر عليهم نتيجة العقائد المتضاربة فدخلوا في دين الله أفواجاً وما هي إلا فترة قصيرة حتى اكتسح الإسلام جميع الأديان الأخرى التي كانت منتشرة هناك ، وسطع نور الإسلام في أرجاء الأرخبيل من أقصاه إلى أقصاه . بدأ الإسلام في جاوه ثم امتد منها إلى سومطرة ثم إلى سائر الجزيرة وحمله التجار العرب والهنود المسلمون الذين كانوا يتحركون بهمة فائقة عبر مختلف الموانئ بين الهند والصين . ويرى المؤرخون أن الفضل في ترسيخ أقدام الإسلام وتوطيد أركانه في كل من الملايو وأندونيسيا إنما يرجع إلى دخول «ملقا» في الإسلام واطراد قوتها في شبه جزيرة الملايو بحسبان أنها مركز تجارة التوابل في الشرق . ومالبث حكامها أن دخلوا في الإسلام في القرن التاسع الهجري (١٥ م)

وشجعوا إقامة علاقات ودية مع أهل جاوه فأدى هذا العمل إلى دخول هؤلاء في الإسلام ومضى مسلمو ملقا يعملون للدعوة الإسلامية في شبه جزيرة الملايو وعلى محاذاة ساحل جزيرة سومطره . وأبرز الدعاة في جاوه تسعة يعرفون بالأولياء في مقدمتهم مولانا الملك إبراهيم أول من دعا إلى الإسلام في أندونيسيا وهو مغربي الأصل . وعندما فتح البرتغاليون ملقا (٩١٧هـ - ١٥١١م) كان الإسلام قد استقر واتسع في مختلف أرجاء الملايو وجزر أندونيسيا . ولكنه لم يتوقف عن الانتشار ففي القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي كان الإسلام قد استقر في سومطره ، والملايو ، ملقا ، جاوه . غير أن حركة تطويق العالم الإسلامي التي شقت طريقها من أوروبا عن طريق التجار بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح لم تلبث أن أصابت أرخبيل الملايو بضغط شديد . فقد جاء البرتغاليون ثم تبعهم البريطانيون والهولنديون وبذلك خضع مسلمو الملايو للسيطرة الأوروبية قبل غيرهم من أجزاء العالم الإسلامي . والمعروف أن البرتغاليون بعد أن استعادوا الأندلس «أسبانيا الإسلامية» كانوا قد قطعوا على أنفسهم عهداً بشن حملة صليبية ضارية على الإسلام ، ولما لم يتمكنوا من ضربه في مكان القلب الذي كان العثمانيون يحرسونه ، فقد اتجه تفكيرهم إلى إجراء حركة تطويق واسعة ، وعندما بدأت أعمال التبشير الغربي في أرخبيل الملايو بدأت حركة هجرة كبرى من مسلمي الصين والهند إلى أندونيسيا كرد فعل للإسلام في جنوب شرق آسيا للعودة إلى المجتمع الأم لانعاش الإسلام ، واتصل بها إرسال الطلاب للدراسة عميقة في مدن الحجاز المقدسة وفي الجامع الأزهر في القاهرة ، وكان هؤلاء عندهم عودتهم ينشطون للقيام ببرامج تثقيفية إسلامية ، ومن هنا استقر هذا الترابط العميق بين الأندونيسيين وبين المراكز الإسلامية القديمة في مكة والقاهرة . وفي أواخر القرن الخامس عشر جاءت البعثة الهولندية الأولى إلى ميناء بنتام بجزيرة جاوه سنة ١٨٩٦ وأقامت شركتها (الشركة الهولندية لجزر الهند الشرقية سنة ١٦٠٢) فامتلكت الأراضي واتخذت الجيوش والأساطيل باسم التجارة ثم لم تلبث عام ١٦١٠ أن عينت حاكماً عاماً لها في مدينة جاكرتا . وقد قاوم الوطنيون هذا النفوذ الجديد مقاومة عنيفة حتى أجبروا الشركة على الانتقال إلى جاكرتا بعد أن عقدت معاهدة مع سلطانها . ثم تنازلت الشركة عن أملاكها في أندونيسيا للحكومة الهولندية عام ١٨٠٠ ، ولم يتوقف الأندونيسيون عن المقاومة فتوالت ثوراتهم وفي مقدمتها ثورة الأمير ديبو نجارا في جاوه التي استمرت الحرب بينه وبين الهولنديين خمس سنوات كاملة (٢٨٢٥ - ١٨٣٠) خسرت هولندا خلالها عشرات الملايين من

الجنبيات ولم تتمكن من إخماد الثورة إلا بعد أن ألقت القبض على الأمير وهو جالس إلى مائدة المفاوضات ، وفي سوطه إستمرت الحرب بين الهولنديين والوطنيين بقيادة على الدين محمود شاه حتى يناير ١٨٧٤ وبقيادة تنكو عمر حتى قتل سنة ١٨٩٩ قتولت القيادة إلى أن استطاع المستعمرون بعد خسائر فادحة أن يخذلوا الثورة سنة ١٨٠٤ . وكانت هولندا قد تخلت عن نفوذها لفرنسا على أثر هزيمتها في أوروبا ثم عادت بعد هزيمة في معركة نابليون واترلو ، فاستردت لها مستعمراتها . وتم الاتفاق عام ١٨٢٤ وكانت بريطانيا قد استولت على جاوه في هذه الفترة ثم تنازلت عنها مرة أخرى إلى هولندا مقابل نزول هولندا للانجليز عن شبه جزيرة الملايو . ولم تتوقف روح المقاومة ولم تنطفئ حيث بدأت مرحلة جديدة هي مرحلة جهاد الميثاق الاسلامي وكفاح الأحزاب السياسية وفي مقدمتها (حزب شركة إسلام - والحزب الوطني الأندونيسي) فانتشر مبدأ المقاومة السلبية وعدم التعاون مع المستعمرين الذي حقق نجاحاً باهراً عام ١٩٢٢ ثم اندلعت الثورة ١٩٢٦ واستمرت إلى عام ١٩٢٧ ولم تستطع هولندا إخمادها إلا بعد أن استعانت بالجنرال واستعملت أشد الأساليب وحشية ، ونزعم الحزب الوطني بقيادة سوكارنو ثورة جديدة ولم تلبث الأحزاب الأندونيسية أن تكتلت في جبهة واحدة عام ١٩٤١ مطالبة باستقلال . وفي مارس ١٩٤٢ استسلم الهولنديون في أندونيسيا للجيش الياباني بعد أن احتل الألمان هولندا في واستأنف الأندونيسيون مقاومتهم لليابان وقاموا بثورات عدة . انهزم اليابانيون في الحرب العالمية واستسلموا في أندونيسيا ، هناك أعلن الشعب الأندونيسي استقلاله في ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ ، وقام الأندونيسيون في كل أنحاء وطنهم يهاجمون القوات اليابانية وينتزعون السلطة ، غير أن بريطانيا كانت تدبر لهم مؤامرة جديدة لإعادة سيطرة هولندا مرة أخرى على أندونيسيا ، وقاوم الأندونيسيون بريطانيا وهولندا معاً ، وشنوا حرباً غير متكافئة . وفي سورابايا دارت أضخم معركة حيث هاجم البريطانيون المدينة الباسلة من الجو والبحر والبر ليل نهار . وجرت ١٩٤٦ مفاوضات للاعتراف بسيادة أندونيسيا ولكن الهولنديون سرعان ما غدروا بالاتفاق وشنوا هجوماً جديداً عام ١٩٤٧ واستمرت المقاومة حتى عقدت الهدنة سنة ١٩٤٨ ولكن الهولنديون ما لبثوا أن غدروا مرة أخرى بشعب أندونيسيا الذي قاوم العدوان ببسالة حتى اعترف بالسيادة الكاملة لأندونيسيا عام ١٩٤٩ وإن بقيت (ايربان الغربية) محتلة بالقوات الهولندية . وهكذا قاومت أندونيسيا المحتلين ثلاثة قرون البرتغال والهولنديين والفرنسيين والانجليز واليابانيين .

(٢)

ثم يتوقف الأندلسيون عن المقاومة طوال حكم النفوذ الهولندي ، هذه المقاومة التي ترجع أساساً إلى بقية المسلمين وتأسيس أول جماعة من جماعات الإصلاح والمقاومة (شركة إسلام) وكان طابع المقاومة اقتصادياً وثقافياً . وقد كان لدعوة الشيخ محمد عبده ومجلته المنار أثرها في هذه الحركة . كما استفادت من تجارب قادة المسلمين في الهند . قد كان من الطبيعي أن يتصدر المسلمون المقاومة للأمريين ، لأنهم أغلب سكان أندونيسيا حيث يبلغ عددهم أكثر من ٩٠ في المائة فهم يكونون بالحق مجتمعاً إسلامياً ولأنهم بحكم إيمانهم بالإسلام ووفق منطق القرآن لا يتوقعون عن مقاومة الناصب . وقد تنبه المسلمون إلى خطرين أساسيين من أخطار الاستعمار الهولندي وهما : الاقتصاد والتعليم ، ولذلك فإن الجماعة الأولى التي تكونت قد عمدت إلى التركيز على هذين الخطرين . ولقد كان الاستعمار الهولندي حريصاً على القوة المعنوية لأندونيسيا روحاً وعقيدة ولغة وثقافة . مستهدفاً أن تصبح البلاد جزءاً من هولندا أو على حد تعبير المستشرق الهولندي جرونجه : « أن تصبح أندونيسيا أمة هولندية أخرى تعيش في الشرق بروح هولندية قلباً وقالبا فتبنى مجد هولندا في ثقافتها وتستعمل لغتها وتتخلق بعبادتها وتقاليدها » . ومن هنا فقد عمد الاستعمار الهولندي إلى ابتزاز ثروات أندونيسيا الضخمة وفرض الثقافة الهولندية واللغة الهولندية على التعليم . فأصبحت لغة الدراسة في جميع المدارس الأولية والابتدائية والثانوية باللغة الهولندية التي أصبحت اللغة الأولى في أندونيسيا .

كما عمد الاستعمار الهولندي إلى بث البعثات التبشيرية في مختلف أنحاء البلاد واعتدلت هولندا على هذه الإرساليات في تثبيت أقدامها . . وقد كان التعليم الذي قدمته الحكومة الهولندية لأهالي أندونيسيا يتم بأمرين الأول : أنه قاصر على نسبة صغيرة من الذين يحتضنهم الاستعمار ليكونوا موظفين في الدواوين (الثاني) : أنه يقدم لهم الثقافة واللغة والتراث الهولندي . وكان هذا المخطط شبيه بالمخطط الذي قامت بتنفيذه بريطانيا في مصر وفرنسا في المغرب ، فإذا أضفنا إلى هذا مخطط التبشير المساوق لمخطط التعليم عرفنا كيف واجه الأندلسيون هذا التحدي بإنشاء المدارس والجمعيات لنشر التعليم الإسلامي . غير أن الذين استفادوا من الدراسة الإسلامية كانوا قلة بالنسبة للذين اتصلوا بالمدارس التي أنشأها الاستعمار الهولندي والتي حملت لواء التجرد من الدين بكافة . ومن خلال حركة التعليم الوطني الأهل

القائم على إعانات الأهالي والتعليم الحكومي القائم على مناهج غريبة خالصة والتعليم الذي تشرف عليه الإرساليات قامت ظاهرة الازدواج الخطير في مجال الثقافة ، حيث نجد نوعين من التعليم : إسلامي خالص بعيد عن الدراسات العصرية وعصري خالص لا يمت إلى أصول الإسلام أو الدين بسبب ، والاستعمار في كل المناطق التي احتلها من عالم الإسلام كان حريصاً على خلق هذا الازدواج . وقد حرص الاستعمار من بعد على أن يوكل أمور الحكم والسلطة إلى خريجي مدارس بحسبانهم أقرب إلى التعاون معه . وأقل حماسة لقيم بلادهم وأممهم أو على تعبير بعض المؤرخين : « جعل منهم أداة صالحة لخدمة السياسة الاستعمارية والتعاون مع الهولنديين بروح الولاء » ويتصل بهذا ارسال البعثات إلى هولندا لإعداد ولاة منهم للفكر الغربي . وقد كان لظاهرة البعثات التبشيرية في أندونيسيا أثرها وحظها فقد نشرت المدارس في مختلف الأنحاء ، واستطاعت أن تضم عدداً كبيراً من التلاميذ نظراً لفقر البلاد وعجزها عن إنشاء المدارس . ومن ثم غلبت الثقافة الأجنبية واللغة الهولندية وظهر جيل بجهل أغلبه لغة قومه ودينه . ولم تلبث أندونيسيا المسلمة التي غلبت البوذية والهندوكية أن واجهت منافسة خطيرة من البعثات المسيحية . فالاستعمار قد أدخل النصرانية إلى أندونيسيا ، واستطاع استغلال الظروف في إخضاع القلوب . واعتمدت هولندا على غير المسلمين في تثبيت أقدامها ، واتخذت منهم جيشاً ، وكونت منهم أنصاراً ، وأصبحت منطقة (سولاويس) ملأى بالنصارى وكانوا أنصار هولنده ويتحدثون باللغة الهولندية بطلاقة منذ ليونة أظفارهم ويمتزجون بالهولنديين في المعاشرة الزوجية حتى أطلقوا أسماء هولندية على أولادهم وبناتهم وتطبعوا بأخلاقهم وصفاتهم وعاداتهم . ولم يقف الاستعمار عند هذا الحد فقد « قيد الشعب الأندونيسي في حياته وشؤونه وفي الظروف المحيطة بحياته تفكيراً وعقيدة وثقافة وضغط على روحه » . وكما حمى الاستعمار الهولندي حرية الحركة للبعثات التبشيرية وأتاح لها فرصة العمل . فقد وضع نصوصاً صريحة قوامها أن : كل إنسان حر في عقيدته وضميره ودينه . هذا الحق يشمل حرية تغيير العقيدة والدين وحرية القيام بطقوس دينه وإظهار عقيدته . وبالطبع فما دام النفوذ الاستعماري مسيطراً على البلاد فإن حرية إظهار العقيدة وطقوسها سيكون أمراً موسعاً فيه لاتباع الهولنديين ومضيفاً فيه على غيرهم . وقد كشف باحث هولندي مسلم قدم إلى القاهرة في سنة ١٩٣٤ يدعى (فان بتيتم محمد علي) خطة الاستعمار الهولندي في مجال التبشير فقال : إن الخطة التي تقوم بها هولندا في أندونيسيا ترمي إلى إفناء الإسلام وإخضاعه والتحكم فيه . وفي أندونيسيا تتصارع

الكاثوليكية والبروتستانتية والتعاليم الموجودة في كل منهما تناقض بعضها بعضاً حتى أنهم مختلفون في اعتقادهم في المسيح . وقال إن سياسة التبشير في أندونيسيا عدها الحكومة بالنفوذ والمال كما نشروا صحفاً بها مقالات عاصفة في الهجوم على الإسلام . حتى ليتمكن القول بأن سلطة الكنيسة في مستعمرات هولندا أقوى من سلطة الحكومة نفسها . كما يجرى تنصير من يذهب إلى هولندا من الأندونيسيين والصينيين ولا سيما طبقة الطلبة والمتعلمين الذين سيصبحون فيما بعد قادة البلاد وزعمائها . وإذا تمكن رجال البروتستانت من تنصير الطلبة الأندونيسيين الذين هم الآن متحمسون للروح الوطنية القومية التي ترمي إلى استقلال أندونيسيا فإنهم باعتناقهم الدين المسيحي يشعرون بمساواتهم بالهولنديين في الدين فيتضاءل شيئاً فشيئاً هذا الروح الوطني ويصبح نوره بعد قريب ينطلق انطفاءً تاماً . وقد فتحت الحكومة أبواب أندونيسيا لهيئات التبشير من سائر الدول ، ويبدو تجهيز الحكومة الهولندية في أنها خصصت ٧٦٥٠ روبية لإعانة الدين الإسلامي الذي يضم ٩٠ في المائة من السكان بينما خصصت مليون و ٧٩٥ ألف روبية لمساعدة عدة آلاف من المسيحيين . . . وتشير كثير من الأبحاث والتقارير في هذه الفترة أن حركة التبشير في أندونيسيا كانت تتلقى مساعدات خارجية من بلدان كثيرة غير هولندا ، ومنها كندا وفرنسا والفاتيكان وأمريكا وألمانيا الغربية . وقد استطاع هذا العمل المستمر أن يكون طبقة من أعوان هولندا . هم في نفس الوقت خصوم النضال التحرري ، وذلك على نفس النمط الذي فعلته بريطانيا في مصر إبان الاحتلال - وقد اعتمدت هولندا على هذه القوة في قمع حركات التحرر في أندونيسيا وأن ظل موقف المسلمين منهم هو موقف « التسامح التام » بيد أن هؤلاء الأعوان كانوا يستغلون هذا التسامح استغلالاً غير محدود فراحوا يشيدون الكنائس الضخمة في أحياء المسلمين وزادوا نشاطهم التبشيري في المراكز الآهلة بالمسلمين وقد باشر النفوذ التبشيري عملاً واسعاً في مجال تشييد الكنائس والملاجئ ودور الأيتام والمستشفيات وكانوا يدفعون أثماناً خيالية لامتلاك الأراضي الواقعة في أحياء المسلمين تمهيداً لإقامة مباني التبشير عليها ، وقد تركز التبشير الكاثوليكي في جزيرة تسمى (فاورييس) حيث توجد بها أقليات إسلامية متناثرة . ولا شك كان للتبشير أثره في مجال التعليم والثقافة فالمدارس الحكومية والمدارس التبشيرية كانت تعمل وفق مخطط واحد ، حيث تغرس مدارس الاستعمار في نفوس الطلاب المسلمين الإلحاد في الدين ، كما تعمل مدارس الإرساليات لتنصيرهم ، وكانت كلتاها تغلب اللغة الهولندية والثقافة الغربية وكان طلاب

هذه المدارس الحكومية من أبناء الطبقة العليا القادرة على دفع مصاريف التعليم . أما المدارس التبشيرية فقد فتحت أبوابها على مصاريعها أمام الشباب الأندونيسي في محاولة لتنصيره . وكانت أهداف السياسة التعليمية جملة هي إبعاد النشء عن دينه وحضارته أسلافه وتجاهل تاريخ مجد بلاده مع إحياء اللغات الإقليمية المختلفة بقصد تفريق عناصر الأمة بعضها عن بعض ليشعر كل منهم أنه مستقل بلغته وتقاليده ، وتعليمه تاريخ بلاد المستعمرين : سياسياً وجغرافياً بتوسع . وعند مقارنة نسبة المتعلمين في أندونيسيا قبل الاحتلال الهولندي نجد أنها كانت عالية وأن ثلاثة أرباع سكانها كانوا يعرفون الكتابة والقراءة ، فلما دخل الهولنديون أغلقوا أغلب المدارس وغيروا مناهج الباقي منها وحاولوا دون نشوء تعليم أهلي .

- ٣ -

في مواجهة هذا العمل التبشيري الواسع واجه الأندونيسيون مسئوليتهم الإسلامية بقوة وتقدموا بأمورهم وتضحياتهم في سبيل الوقوف في هذه الموجة العاصفة وإذ كانت حركة المقاومة للاستعمار وحركة المقاومة للنفوذ الاستعماري في مجال الاقتصاد والتعليم والثقافة عملاً واحداً . وكانت أندونيسيا شأنها في ذلك شأن مصر والعالم العربي . ومختلف أجزاء العالم الإسلامي كله قد انبثقت فيها حركة المقاومة من خلال الهيئات الإسلامية التي حملت لواء النضال لفترة طويلة ثم انبثقت منها بعد ذلك الأحزاب والهيئات . وفي مصر كان الأزهر هو مصدر حركة المقاومة والوطنية ؛ وفي السودان وليبيا بدأت المقاومة من خلال الحركتين المهدية والسنوسية ، وفي العراق كانت الحركة الإسلامية في النجف هي مقاد الحركة الوطنية والثورة . وفي أندونيسيا كما في مصر ظهرت البقطة متمثلة في حركة الإصلاح الثقافي الإسلامي في الجزء الغربي من سومطره في أوائل القرن التاسع عشر بزعامة المجاهد المعروف (إمام بو نجول) سنة ١٧٧٢ - ١٨٦٤ وكان شعار الحركة « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده » وقد واجهت انتشار البدع والخرافات وما بلغته العقائد من تشويه بعادات وتقاليد لا تتفق مع التوحيد الصحيح ، وقد كانت حركة الإصلاح الديني ضرورة حاسمة في أندونيسيا حيث لم ينض على استمرار الإسلام في أندونيسيا ثلاثة قرون .

وفي أواخر القرن التاسع عشر تجددت حركة الإصلاح بقيادة الشيخ أحمد الخطيب الأندونيسي الذي جاور في مكة وتلقى عليه الأندونيسي . فلما عادوا ظهرت حركتهم في سومطره الغربية منهم عبد الكريم أمر الله وكان خطيباً شجاعاً مجادلاً بارعاً ، وزين الدين

يونس الذى أصدر مجلة المنبر لسان أنصار الإصلاح وهى أكبر المجلات الإسلامية فى أندونيسيا وقد أنشأت هذه الحركة عديداً من المدارس جمعت بين الإسلام والعلوم العصرية وألف لها عبد الكريم أمر الله كتباً للدراسة بها وبسطها حسب عقول التلاميذ . وقد كانت شركة إسلام هى أقدم هيئة اختضت الحركة الوطنية والمقاومة فى مجال الاقتصاد والثقافة معاً فقد أنشئت عام ١٩١١ بقيادة الحاج عمر سكر وأمينوتد ، ثم الجمعية المحمدية التى أنشأها أحمد دحلان وقد تقدمتها جمعية الأخلاق الفاضلة (بودى أوتومو) التى بالغت فى جاكارتا ١٩٠٨ برئاسة الدكتور وحيد الدين الذى يعد بحق واضع أساس التنظيم للحركة الوطنية الحديثة ويرى المؤرخون الأندونيسيين أن جمعية الأخلاق الفاضلة كانت عماد الحركة القومية ، فقد كانت الجمعية ثقافية اجتماعية ولكنها تحولت إلى جمعية سياسية وطنية لها الأثر الفعال فى تحرير أندونيسيا ثم لم تلبث هذه الجماعات أن توحدت واندمجت بعد فى جمعية ماشوى وواجهه المصلح أحمد دحلان البدع والخرافات ، كما هاجم شبهات المبشرين . وقد عرف بالصلاح والتقوى وصدق الإيمان . وقد انتصب زعيماً إسلامياً ومعلماً اشتهر بالدين من غير ضعف والكياسة مع صدق الزيمة فى مواجهة الإرساليات التى كانت تقوم بدعاية منظمة ضد الإسلام تعضدها قوات الاستعمار . وكانت الجمعية المحمدية هى ثمرة عمله حيث جعلها وسيلته المنظمة للعمل وعن طريقها أنشئت المدارس وانبعث الدعاة للتبليغ . وقد أولت الحركة الإسلامية التى تحمل طابع الوطنية والإصلاح معاً اهتماماً كبيراً بالتعليم بحمائه الطريق الحاسم لمواجهة الغزو الهولندى والإرساليات فمنذ أسس الدكتور عبد الله بن أحمد والدكتور عبد الكريم أمر الله جمعية المدرسين للمعاهد الإسلامية كثر من أعضائها البارزين من أتموا دراستهم فى مصر والحجاز ثم أنشئت الكلية الإسلامية فى سواربايا التى أشرف عليها الدكتور سوتومو وبذلك أخذت الحركة قيادة التربية والتعليم وقل الإقبال على المدارس الحكومية التى تهدف إلى تعليم الهولندية وتاريخ أوروبا . غير أن الحكومة الهولندية لم تترك هذه الحركة تمضى فى طريقها رخاء بل أخذت فى عرقلتها وتوقيفها حيث أصدرت قانون رقابة المدارس الأهلية الذى أطلقت عليه قانون (المدارس المتوحشة) ١٩٢٣ ومظهر القانون حماية المدارس القومية ولكنه فى مضمونه يقوم على عرقله تلك الجهود والقضاء على انطلاقة الحركة الإسلامية الأندونيسية فى اختيار التعليم الذى يتفق مع عقائده الأندونيسى ووطنيته . وقد كان من نتائج تنفيذ القانون أن أقفل الاحتلال أبواب المدارس الإسلامية بالقوة وشرذ تلاميذها وزج مدرسيها فى

غياهب السجون . وهذه الخطة أشبه بما فعلت فرنسا في الجزائر حين قامت جمعية العلماء بقيادة العلامة عبد الحميد بن باديس بإنشاء المدارس القرآنية في مواجهة مدارس فرنسا التي تقوم على اللغة الفرنسية والتاريخ الأوربي ، غير أن هذا التحدي الذي واجه الأندونيسيين قد أدى إلى عمل إيجابي حاسم فقد اتحد الشعب بمختلف أحزابه وهيئاته على الاحتجاج وكان للصحافة الإسلامية في أندونيسيا جهودها في هذه الحركة معلنة أن القانون عامل خطير في محو حرية الشعب الأندونيسي في اختيار التعليم الصالح . ومن ناحية أخرى فقد عمدت الحركة الإسلامية إلى تعديل أساليب التعليم الديني وادخال العلوم الحديثة وكانت مهتدية في ذلك بحركة اصلاح الأزهر وبما فعلته الحركة الإسلامية في الهند . وقد نجحت الفكرة وقامت مدارس جمعية نهضة العلماء ، وكان أبرز ما حققته هذه الحركة هي أنها جمعت بين العلوم الحديثة والعلوم الإسلامية . وكان العلامة أحمد دحلان هو أول من نادى بذلك وحققه في مدارس الجمعية المحمدية في جاكارنا حيث يقول « لا نريد من التعليم الحديث أن يكون على تلك العلوم المدنية الحديثة التي تطيع الأجيال المقبلة بالطابع المادي وتجعلها عبداً للمادة كما هي الحال في أوروبا اليوم ، وإنما نريد فوق ذلك جعل الدين الإسلامي الصحيح أساساً للتعليم القومي لإنقاذ تلك الأجيال من التيار المادي الجارف وجعله ركناً من أركان قوى الشعب المعنوية التي لا يستغنى عنها البشر في يوم من الأيام » .

ويمكن القول إن السلاح الوحيد الذي اتخذه المسلمون في مصر والهند وأندونيسيا والمغرب كان هو اعتماد الهيئات الإسلامية على نفسها في إنشاء مدارس تجمع بين العلوم الحديثة والإسلام واللغة القومية . ومن خلال هذه الهيئات الإسلامية انبثقت الأحزاب التي تعددت وتنوعت وكان في مقدمتها حزب ماشوي الإسلامي ، والحزب الوطني الذي قام على أساس سياسي قومي وقد حمل حزب ماشوي لواء الدعوة إلى إقامة صرح الإسلام ويمكن أن نعتبره التشكيل الذي انصهرت فيه الحركة الواسعة النطاق . وكانت الجمعيتان الكبيرتان جمعية المحمدية وجمعية نهضة العلماء قد تضامتا مع هيئات أخرى في تشكيل ما أطلق عليه « المجلس الأعلى الأندونيسي » وقد حل هذا المجلس أثناء الحرب العالمية الثانية وبعد الحرب وإعلان الاستقلال التفت جميع الجماعات والهيئات الإسلامية في أندونيسيا على صعيد وأعلنت تأليف منظمة : « مجلس لشورى لمسلمي أندونيسيا » وكلمة ماشوي هي اختصار لهذا الاسم وقد وضع حزب ماشوي تعاليم الإسلام في صلب مبادئه حاملاً لواء التقدم ومقاومة الإلحاد

والدعوات المختلفة المعادية للإسلام . وتهدف الحركة الإسلامية في أندونيسيا إلى المطالبة بإقامة النظام الإسلامي والأخذ بتعاليم القرآن وتطبيق أحكامه . وما زال الفكر الإسلامي في أندونيسيا قائماً وقوياً في مواجهة تحديات القوى الإلحادية والتغريبية ، وفي الجملة يمكن القول بأن الحركة الإسلامية في أندونيسيا استطاعت أن تقاوم : النفوذ الاستعماري وحركة الإرساليات والدعوات الإلحادية وكل دعوة إلى إبعاد الإسلام عن مجال المجتمع وخاصة في مجال التربية والتعليم .

وقد عملت الحركة الإسلامية في المجال الثقافي عملاً كبيراً فكشفت عن مقاصد الإسلام والتشريع الإسلامي وحاربت التقليد ألقت الضوء على حقائق كبيرة أهمها سماحة الإسلام وجودة معطياته وخاصة فيما يتعلق بأن باب الاجتهاد لم يغلق لمن يتوفر له شروط الاجتهاد . وقد استطاعت هذه الحركة وخاصة في مجال التربية والتعليم أن تحفظ للشعب الأندونيسي لغته ودينه في نفس الوقت الذي قدمت له معطيات الثقافة الحديثة العصرية . وقد سد هذا النشاط الثقافي كثيراً من النقص الناتج من إحجام الحكومة الهولندية عن التوسع في نشر التعليم . كما قضى - جزئياً - على خطة الإرساليات التبشيرية . وقد كانت للصحافة الإسلامية في أندونيسيا دوراً هاماً فقد أظهرت كثيراً من الكتاب والباحثين وهاجمت كثيراً من المواقف الاستعمارية مما أدى إلى بروز الطابع الإسلامي في الحياة السياسية فاتخذته بعض الأحزاب أساساً لجهادها الوطني . وقد واجهت حكومة الاحتلال الصحافة الوطنية والإسلامية بقوانين غاية في الصرامة والتضييق فأسقطت ٢٧ صحيفة في ساعة واحدة وسجنت الكثيرين وفرضت الرقابة على الصحف ومنعت الاجتماعات وقد استطاعت الحركة الإسلامية أن تحقق وجودها عن طريق صحف تتحدث عن عظمة الإسلام وحسن تعاليمه وتراجم رجاله وما بذلوا من جهد في سبيل نشر تعاليمه . وفيما يتعلق باللغة الأندونيسية فقد حرص النفوذ الاستعماري على أن يحول (أولاً) : دون قيام لغة موحدة (ثانياً) : أن يحول دون ارتباطها باللغة العربية وذلك عن طريق نشر اللغة الهولندية وجعلها أساس التعليم في المدارس منذ المراحل الأولى وللحفاظ على تعدد اللهجات حتى لا تتوحد أندونيسيا في لغة واحدة . ومع ذلك فقد استطاعت اللغة الأندونيسية « باهاسا هندونيسيا » وهي مشتقة من لغة الملايو الشائعة أن تفرض نفسها كلفة موحدة بدلاً من ٢٥ لغة كان يتخاطب بها السكان وتنشعب إلى ٢٥٠ لهجة محلية - إذ استطاعت الحركة الإسلامية والنهضة الوطنية أن تحقق تأكيد الوحدة الأندونيسية بلغة

واحدة وقد كانت اللغة الأندونيسية تكتب بالحروف العربية ولكن الهولنديون عملوا إلى تحويلها إلى الحروف اللاتينية في أوائل القرن العشرين ومع ذلك فإن في اللغة الأندونيسية الآن كثيراً من الكلمات العربية ومنذ سيطر النفوذ الاستعماري الأندونيسي أصبحت اللغة العربية . ولم يبق لها نفوذ . إلا في مجال الدراسات الثقافية . أما اللغة الهولندية فقد انتشرت انتشاراً كبيراً إذ بقيت اللغة الرسمية للحكومة ثلاثة قرون كاملة حيث كان الهولنديون يعلمونها في المدارس دون سواها في الوقت الذي كانوا يحاربون فيه اللغات الوطنية في جميع الجزر المحتلة . وقد كان للإسلام دوره الواضح في الحركة الوطنية القوية العارمة التي استمرت ولم تتوقف إزاء نمو النفوذ الاستعماري الهولندي ويظهر ذلك في كتابات الحاج عمر سعيد عام ١٩١٣ . « إن الإسلام يدعونا إلى الجهاد لإعلان كلمته وسيعلو الإسلام في هذه البقعة الإسلامية التي يعيش فيها ما يزيد على سبعين مليوناً من المسلمين » . وبإلقاء نظرة إلى حزب شركة إسلام الذي قام في مواجهة الاحتلال الهولندي نرى أن العمل بدأ في مجال الاقتصاد أساساً للمحافظة على الثروة الأهلية وأشاد صناعات تقوم بها الأيدي الوطنية ويتجلى برنامج الجمعية الأساسية ، - (١) ملاحظة شروط الدين الاسلامي في العبادة والمعاملات . (٢) القيام بأعباء الحياة التي يتطلبها الدين . (٣) إنهاض الحركة الفكرية . (٤) الدفاع عن الاسلام . وقد كان الاهتمام بالناحية الاقتصادية مرتبطاً بالعمل في مجال الاقتصاد والتعليم إيماناً بفهم الاسلام المتكامل نفسه ومواجهة الآثار الخطيرة التي ترتبت على الاحتلال الهولندي لأندونيسيا حتى قيل أنه لو جمعت الأموال التي سلبتها الحكومة الهولندية من الأندونيسيين منذ استعمارها أندونيسيا إلى اليوم لأمكن بناء جسر عظيم من ذهب يمتد من أندونيسيا إلى هولندا . وفي أندونيسيا يوجد زيت البترول ومزارع المطاط ومنتجات البحر والذهب . والمعروف أن عصر الاستعمار في أندونيسيا اسمر من سنة ١٧٩٩ - ١٩٤٥ وإن كانت طلائع الاستعمار الهولندي في جاوه بدأت سنة ١٥٩٥ باسم شركة الهند الشرقية الهولندية .

(٤)

كان أخطر ما واجهت أندونيسيا المسلمة محاولتين :

أولاً : محاولة الشيوعية التي امتدت من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٦٥ ثانياً : محاولة التبشير الغربي التي جاءت بعد ذلك ولا تزال مستمرة وممتدة إلى اليوم ١٩٨٠ (نهاية القرن الرابع عشر

المجري) وقد عمدت هولندا المستعمرة إلى تمزيق الجبهة الواحدة في أندونيسيا والتي ندين في أغلبية ساحقة للإسلام والتي برز طابعها الإسلامى منذ عام ١٩٠٦ بظهور جماعة شركة إسلام التي قاومت النفوذ الأجنبي بأن عملت على خلق تيارين خطيرين غذتهما بكل قوة : التيار القومى والتيار الماركسى وقد استقدمت المهندس سينفليت الذى أخذ ينشر التعاليم الماركسية في أندونيسيا في نفس الوقت الذى غذت فيه صراع القوميات المختلفة وكانت تهدف من هذا إلى أن هذا الصراع بين القوميات والماركسية من من ناحية دين الإسلام سيعمل على اسقاط التيار الأصيل .

وكان الشيوعيون يعتبرون أندونيسيا جزءاً من هولندا ثم أخذت هولندا تشجع الشيع المضادة للإسلام وخاصة القاديانية ووجد الشيوعيون في القوميتين حلفاء لهم ضد المسلمين . وعندما استقلت أندونيسيا بعد مقاومة شديدة للاستعمار قام بها جماعة شركة إسلام انتخبت سوكارنو الذى كان قد وضع نفسه منذ اليوم الأول موضع الحاكم الموالى للنفوذ الماركسى الخادع لقومه ، وقد اختلف مع جميع أعوانه وزملائه في حركة المقاومة الاستعمارية وفي مقدمتهم الجنرال عبد الحارث ناستيون قائد القوة التى قضت على أول تمرد قام به الشيوعيون ١٩٤٨ . وكان الوحيد الذى نجا من المحاولة التى قام بها الشيوعيون للقضاء على الوطنيين . يقول : لم أهادن الشيوعية في حياتى لأنى أعرفها على حقيقتها وقد كنت ضد الشيوعية خلال الفترة ١٩٤٨ - ١٩٦٥ وكان موقفى نابعاً من ولائى لأندونيسيا قبل أى اعتبار آخر ، وقد قاوم ناستيون الاحتلال الهولندى واليابانى والشيوعى وقاد عملية تحرير إيريان الغربية . أما سوكارنو فقد اتجه إلى اليسار وقد قامت في عهده ثورتان شيوعيتان للانقضاض على أندونيسيا : أولهما شيوعية سوفيتية ١٩٤٨ أنقذته منها القوى الإسلامية وثورة شيوعية صينية ١٩٦٥ قضت عليه ، حيث فشلت الثورة وسقط سوكارنو وتحولت أندونيسيا إلى الغرب ولكنها أصبحت لقمة سائغة في أيدي منظمات التبشير المسيحى وقد فشل الشيوعيون في أندونيسيا فشلهم في مصر وإيران وأفغانستان وفي كل مكان يدين بالإسلام مهما ارتفعت أسهمهم في مرحلة من المراحل وقد كان سوكارنو خارعاً للقوى الإسلامية التى ساندته وجاءت به وعمل موالياً للشيوعية وأعطى الشيوعيين كل النفوذ في البلاد فكانوا يتمتعون بالسيطرة على مختلف أجهزة الحكم والأعلام ولكنهم طمعوا في أن تكون الدولة شيوعية خالصة وحمراء صارخة وكان سوكارنو لا يتردد في الاعلان بأن

استقلال أندونيسيا لم يبق إلا على أكتاف الشيوعيين فكان مصيره السقوط وأن ترك أندونيسيا لتسقط تحت براثن النفوذ الأجنبي والتبشيري نتيجة الفقر والأزمات الشداد التي قاساها الوطنيون ويتمثل الخطر الذي يواجه مسلمو اندونيسيا في هذه المرحلة (نهاية القرن الرابع الهجرى) في حملات التنصير التي أستطاعت أن تؤثر في عدد لا يقل عن عشرة ملايين من مجموع ١٢٠ مليون نسمة . هذا المخطط الرهيب الذى هو من توجيه وعمل الكنيسة الأندونيسية حيث يزدهر نشاطها في جزيرة جاوة موطن ٦٥ في المائة من سكان أندونيسيا ويقوم على برامج التبشير أكثر من ثلاثة آلاف قسيس وسبعة آلاف متطوع من جنسيات أوروبية تمثل عشرة آلاف كنيسة وهم يسيطرون اليوم على الصحافة ووسائل الأعلام ولما كان الرئيس سوهارنو يعتنق المذهب الباطنى وزوجته ذات النفوذ الواسع تـعـتـنـق النصرانية فان نفوذ حملات التبشير يوحى بمخاطر شديدة في المستقبل القريب

مؤامره على الإسلام في جنوب شرق آسيا

إندونيسيا - الملايو - الفلبين

المؤامرة تهدف على القضاء على معالم الدين وكل العناصر الاسلامية والصهيونية العالمية من وراء مذابح المسلمين في الفلبين وتواجه (أولا) احتلال أراضي المسلمين واجلائهم عنها بالقوة وتسليمها للمسيحيين المتمردين لإرضائهم (ثانياً) : اتفاقية ماركوس واسرائيل تدفع بمقتضاها عشرة ملايين دولار للمساهمة في إبادة المسلمين بالجملة . (ثالثاً) : المستشار الصهيونى لرئيس الجمهورية الذى تخصص في تصفية المسلمين في المناطق الجنوبية . (رابعاً) : المخطط النازية الاستعمارية التى يزود بها الغرب حكومة الفلبين لطرد المسلمين من أراضيهم الخصبة . (خامساً) : ظهور الذهب والفضة والمعادن في مناطق المسلمين يسيل لعاب الحكام فيعملون فيهم إرهاباً وقتلاً وتعذيباً وتضم منظمة جنوب شرق آسيا الاسلامية عدداً كبيراً من الجزر أهمها جاوه وسومطره ومندانو وهى جغرافيا تسمى الآن : الفلبين وأندونيسيا وماليزيا .

وقد وصل الاسلام إلى هذه البلاد قرابة القرن الثالث الهجرى ، فقد كانت هذه الجزر هى معاقل التجارة الاسلامية وموانئ القوافل ، ومنذ القرن الثامن الهجرى انتشر المسلمون انتشاراً واسعاً في الملايو ، ومنها إلى أندونيسيا وماليزيا والفلبين ، وكانت هذه المناطق تمثل دولة واحدة تسمى «الملايو الكبرى» وعاصمتها جاوه ، وقد قامت بها أول سلطنة إسلامية

قبل منتصف القرن الثامن الهجرى . وتبدأ قصة الإسلام بقدم الاخوة العرب السبعة التجار ، الذين جاءوا من الأحقاف (حضرموت) وهم دخل الإسلام في هذه المناطق وانتشر وكان أبرزهم أبو بكر (يادو كامها سارى) هو السلطان شريف الهاشمى وقد اعتنق الشعب دين أمرائه ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعندما قدم الرحالة (ماجلان) عام ١٥١٩ إلى الفلبين وجد الإسلام هناك دين الأمة ودين الحكم ، وكانت أولى معارك الصراع بين الغرب (أسيانيا) والإسلام ومن ثم بدأت حملات إبادة المسلمين منذ ذلك اليوم ، ولما توقف بعد فقد جاء بعد الاسبان الهولنديون والأمريكيون .. إلى اليوم . وبعد فان المؤامرة على الاسلام في جنوب شرق آسيا مستمرة ، وهى كالنار تحت الرماد وإذا كانت صيحات الفلبين هى العالية الآن فرط قسوة التعذيب ، فان الجهات الأخرى تواجه لونا آخر من المؤامرة أبرزها التبشير وتغيير العقول بأساليب غاية في الإذلال والامتهان للكرامة الانسانية ولحرية التدين . ذلك أن المؤامرة تستهدف المنطقة كلها ، الفلبين وأندونيسيا وماليزيا ولكن كل منها بأسلوب يختلف . وقد أشارت بعض التصريحات إلى أن هناك مخططاً يرمى إلى تصفية المسلمين في هذه المناطق وأنه قد حدد له زمناً لا يتجاوز العشر سنوات ، وأن الأسلوب الذى اتخذه في الفلبين هو التصفية الدموية ، أما في أندونيسيا فهو التبشير المسيحى ، أما في تايلاند فهو أسلوب التدمير الاقتصادى . وقد بدأت عمليات التصفية الدموية بين مسلحي الفلبين منذ عام ١٩٧٠ عن طريق الاعتداءات الوحشية على جزر المسلمين بقصد إبادتهم وإحلال غيرهم من غير المسلمين مكانهم حتى تضعف نسبتهم في الجزر الثلاث الكبرى التى هى معقلهم الأسامى : مندانا وسولو وبلاوان وبذلك تسقط في أيدي الأغلبية المسيحية والمسلمون البالغ عددهم خمسة ملايين نسمة يسكنون في هذه الجزر في المنطقة الجنوبية ويمثلون دولة خاصة ، غير أن حكومة الفلبين تستهدف القضاء على وجودهم الخاص بالهجرة الجماعية إلى جزرهم وتصفيتهم عن طريق الإبادة . وقد أشار التقرير الذى قدمه المسلمون إلى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في كولا لمبور : أن هذه الجزر هى الموطن الأول لشعب (بانجامورو) وهذه البلاد مستقلة عن الفلبين ولم تكن في يوم من الأيام تابعة لها أو جزءاً منها ، وإنما ضمت هذه البلاد إلى حدود الفلبين الجغرافية نتيجة للمؤامرات الاستعمارية والخيانة الدولية ، وبعد أن ضمت الفلبين هذه الجزر إلى حدودها ، حاولت أن تستغل جميع خيراتها دون مراعاة لصالح شعبها المسلم بل لم تكتف بهذا الحد فقد قامت بمحاولة القضاء على سكان هذه البلاد

الأصلية لأنهم بدينون بدين آخر هو الإسلام . لم تكن بلاد (بانجامورو) تابعة أو جزءاً للفلبين وإنما احتلت سلطات الفلبين هذه البلاد بدافع التوسع ، ولكن شعب (بانجامورو) ظل يقاوم الاحتلال ، ويتشبث بالحرية والاستقلال ، فوضعت الحكومة الفلبينية خططاً للقضاء على العناصر الإسلامية وعلى معالم الدين الاسلامي ، تستهدف محو الشخصية الإسلامية ، وإدماجها بالشخصية الفلبينية ، ولكن المحاولة لم تنجح ، لذلك لجأت إلى استخدام العنف والقوة للقضاء على هذا الشعب المسلم . وتدعى الفلبين إنها قدمت مشروعاً لإصلاح ما أفسدته ، وإعادة تعمير ما دمرته قواتها من البلدان والقرى وهذا كله افتراء وكذب يراد به تحريف الحقائق وتضليل الرأي العام ، وهي تقوم بعمليات حربية في المناطق الإسلامية بواسطة خمس عشرة كتيبة من الجيش ، وثلاث وعشرين سرية من القوات الصاعقة ، وما لا يقل عن ٧٥ ألفاً من أعضاء منظمة اياجا الكاثوليكية المسلحة بأسلحة حديثة ، وقد مزقوا وأحرقوا آلاف المصاحف ، وعشرات الآلاف من الكتب العربية والإسلامية ، كما تم تجريد أكثر من ٥٠ ألف أسرة مسلمة من ممتلكاتها . وتمثل حركة احتلال أراضي المسلمين وإجلائهم عنها في تشجيع حكومة الفلبين للمسيحيين على الهجرة إلى أراضي المسلمين في المناطق الجنوبية ، وإعطاء الحكومة الفلبينية للمسيحيين الذين يتمردون ضدها جزءاً كبيراً من أراضي المسلمين لكي يكفوا عن تمردهم . وقد بدأت عمليات التهجير سافرة ومنظمة من شمال الفلبين إلى جنوبها (منطقة المسلمين) في عام ١٩٥٨ . التي لم تكن قد تم تسجيلها باسم ملاكها المسلمين وبذلك فقد المسلمون أرضهم بما عليها من ثروات إذ كان القادمون المسيحيون من الشمال يسجلون الأرض بأسمائهم بعد قليل من استقرارهم في أراضي المسلمين في الجنوب بينما لم يكن هناك من المسلمين من يفتن إلى ضرورة احتفاظه بسند يثبت ملكيته للأرض ، ذلك لأن معظم المسلمين يكتفون في أحقيتهم وملكيتهم لأراضيهم ، بأن جزر الجنوب التي يعيشون فيها قد توارثوها عن آبائهم وأجدادهم جيلاً بعد جيل ، لمدة تزيد على ستة قرون ، ولأن أغلبهم لا يعترفون بأن الدولة الفلبينية هي دولتهم . وبعد التسجيل كان المسيحيون المهاجرون من الشمال يسعون إلى انتزاع الأرض من أصحابها المسلمين ، وعندما يصل الأمر إلى القضاء الفلبيني يحكم لصالح من لديه إثبات الملكية ، وهكذا عاماً بعد عام فقد المسلمون آلاف المكتنارات من الأراضي الزراعية ، بل وطردها منها ويقدر متوسط عدد الأسر التي تهاجر كل عام من الشمال إلى الجنوب بخمسمائة أسرة . ويشير الكثيرون إلى أن المذابح التي

يتعرض لها المسلمون ورائها بعض المصالح الأجنبية ، وأن إسرائيل على صلة بالمصادمات بين الطوائف ، وذلك بسبب مساندة مسلمي الفيلبين لموقف العرب ، وخاصة فيما يتعلق بقضية فلسطين والقدس ، والمعروف أن المسلمين طاردوا حكام إسرائيل في الفيلبين وحاصروا الجامعة أثناء زيارة (إيبان) وسدوا الطرقات المؤدية إليها من المطار ، مما اضطر إيبان إلى أن يخرج من باب جانبي من المطار . وكانت مظاهرة الطلبة المسلمين في مانيل عاصمة الفيلبين عندما أعلن خبر إحراق إسرائيل للمسجد الأقصى ، أحرقوا علم إسرائيل فوق سفارتها وأحرقوا سيارة سفيرها ، وكادوا أن يحرقوا السفارة ويقتلوا السفير لولا جهود الشرطة الفيلبينية . وقد أجمعت المصادر على أن الصهيونية العالمية ورائ كل المذابح التي تعرض ويتعرض لها المسلمون في الفيلبين نتيجة هذا الموقف ، وكذلك فإن الأدلة مؤكدة على تأمر إسرائيل مع حكومة الفيلبين والعصابات المسيحية للقضاء على الإسلام والمسلمين والاستيلاء على أراضيهم . كما تبين أن لماركوس رئيس الفيلبين مستشاراً يهودياً صهيونياً هو (مانويل اليسالدي) وهو المختص بشئون الأقليات من المسلمين والبوذيين وهو المتهم الأول في حوادث الفيلبين . ولماركوس مستشار يهودي آخر هو (هانز فترى) وكلاهما من أصحاب الملايين . والمعروف أنه كان قد تم الاتفاق بين إسرائيل وزعماء المسيحيين على معونات مادية ومعنوية ، وخبراء في مجال الزراعة ، واشترطت في سبيل ذلك تحويل أراضي المسلمين إلى المسيحيين . وقد دفعت إسرائيل فعلاً عشرة ملايين دولار مساعدة إلى ماركوس ، كما سلمت للعصابات كميات ضخمة من الأسلحة ومما تردد أخيراً أنه قد اكتشف في جزيرة (ميدانا) كبرى مراكز المسلمين ، معادن مختلفة منها الذهب والفضة والنحاس والحديد والمنجنيز والألمونيوم وأن هذا كان من أهم الأسباب التي دفعت الحكومة إلى تشجيع العصابات المسيحية على طرد المسلمين من أراضيهم واحتلالها .

المخاطر التي تواجه الجماعة الإسلامية في الفيلبين

أولاً : حرب الإبادة بشتى الطرق وإكراه المسلمين على ترك دينهم . ثانياً : إغلاق المدارس الإسلامية وإحراق المساجد ونهب المكتبات الإسلامية . ثالثاً : سلب ممتلكات المسلمين ونهب تجارتهم ومزارعهم . رابعاً : تعطيل حقوق المسلمين المدنية حتى لا يكون لهم حق المواطنة . خامساً : التمييز بين المسلمين وغير المسلمين . سادساً : زيادة المزارع الإسلامية بالمواد الكيماوية الحارقة . سابعاً : منع أبناء المسلمين من الالتحاق إلى الكليات العسكرية . ثامناً : إثارة الفتنة الخلافات بين المسلمين حتى لا يكونوا يداً واحدة في مواجهة الأحداث . تاسعاً : مواجهة

حرب المسيحية والشيوعية في وقت واحد . عاشراً : محاولة إزالة اسم الشعب المسلم الذي يعيش في جزر مندانا وسولوا وبلاوان المسمى (بانجا مورو) وهو الاسم القديم للشعب المسلم في الجزر الاسلامية .

(٢)

يقول باحث إسلامي كبير أن حركة التنصير في أندونيسيا ليست حدثاً منعزلاً بل هي جزء من حركة أوسع هدفها النهائي «تنصير العالم بأكمله» ويمكن القول أن حملة التبشير في أندونيسيا اليوم وبعد الاستقلال هي أقوى مما كانت في أيام الحكم الاستعماري الهولندي في كل مكان والملاحظ أن الإسلام في أندونيسيا في الوقت الحاضر ونتيجة لضعف العمل الاسلامي فيها خلال فترة سوكارنوا (٢٠ عاماً تقريباً) فقد اختلط الاسلام بالعقائد والتقاليد والديانات التي كانت سائدة في جنوب شرقي آسيا وفي مقدمتها البوذية والهندوكية الأمر الذي شوه لدى البعض فهمهم للعقيدة الإسلامية ذاتها: ويقول دكتور يس مراد أنه لهذا السبب ركز المبشرون نشاطهم في أندونيسيا منذ الاحتلال الهولندي ولا يزالون يوصلون نشاطهم حتى الآن ويبلغ عددهم حسب آخر تقرير (٢٠ ألف مبشر) يملكون إمكانيات ضخمة في الحركة والانتقال فضلاً عن اهتمامهم البالغ بإنشاء المدارس والمستشفيات لجذب الأهالي وإغرائهم ، وقد حاولوا عقد مؤتمر للمبشرين في جاكرتا خلال العام الماضي ولكن الهيئات الاسلامية قاومت ذلك بشدة .

وتواجه أندونيسيا أخطر عملية تبشير مسيحية في العصر الحديث لمائة مليون مسلم في أندونيسيا موزعون على ثلاثة آلاف جزيرة يتجهون إلى الكعبة كل يوم خمس مرات ، وقد دخلوا في الإسلام منذ القرن السابع الهجري ، وكانت سومطره أول جزيرة يعتنق أهلها دين الإسلام بحكم موقعها على الطريق التجاري بين جزيرة العرب والصين . ومنها انتقل الإسلام إلى مختلف الجزر إلى الملايو والفلبين حتى كان الإسلام في القرن العاشر سائداً تماماً في هذه المناطق وحاكماً ومسيطرأ قبل موجة الغزو الأسباني البرتغالي التي تعرضت لها هذه البلاد وقاومتها مقاومة شديدة والتي أسلمتها للاحتلال البريطاني والهولندي . منذ تلك الفترة تواجه أندونيسيا عملية تبشير مسيحية غاية في العنف ، والصرامة ، قامت هولندا بدور كبير فيها حيث عمل الاستشراق على تزيف الحقائق وسيطر على مناهج الدراسة وحول الكتابة

بالحروف العربية إلى الحروف اللاتينية، ولمنذ وقت طويل ورجال التبشير والاستشراق العاملون في خدمة الحكومات الاستعمارية يخططون لمواجهة المد الإسلامي في هذه المناطق . ومن هؤلاء الدكتور كرامر أستاذ تاريخ الأديان في جامعة ليدن الذي يقول في أبحاثه : ان هاتين المنطقتين الواسعتين (أفريقيا وأندونيسيا - يجب أن نوجه إليهما الجهد لمواجهة الإسلام بجرأة ولباقة ، وأن الإسلام ليس كغيره من الأديان فهو أقوى وأعظم مقاومة لكل الأعمال الهدافة لتغيير العقيدة وكذلك يقول السكندر أيدنبورخ وزير المستعمرات في هولندا : أنه لا بد من تحطيم الإسلام وذلك بعرض آداب الغرب في نفوس المسلمين ليتعدوا عن دينهم وهم لا يشعرون على أن يساير أدب الغرب الدين المسيحي في وقت معاً . وقد عقدت المنظمات التبشيرية مؤتمرات عديدة في أوروبا وأمريكا وفي الهند والفلبين وماليزيا وأندونيسيا وغيرها بحث فيها المؤمنون خططاً كثيرة في هذا الشأن وكان لسوكارنو دور كبير في معاونة هذا الاتجاه الخطير حتى أنه طالب بعقد أحد هذه المؤتمرات في جاكارتا ليحضره وليبرهن للعالم على أن حرية الأديان مكفولة في أندونيسيا وحمد الغربيون لسوكارنو عطفه هذا وكان ذلك عام ١٩٦٤ وقد كان سوكارنو يعمل في النطاقين : دعم الحركات التبشيرية والحركات الشيوعية في نفس الوقت . وتولى في عهده (فرانس سيدا) منصب وزير المالية وقد منحه البابا وسام البطولة الأكبر مكافأة له على خدماته ولا سيما في حقل التربية ، وتولى وزارة الإعلام الدكتور رومامي وأعقبه وزراء غير مسلمين . وكان الدكتور أويتري يخيت الهولندي الجنسية واليهودي الأصل قد أمر بحل منظمة الطلاب المسلمين وقد أدلى أحد كبار رجال التبشير (فن دربورخ) بحديث قال فيه أن الرئيس سوكارنو يساير خططنا (نقل هذا عن أحد كتاب أندونيسيا ومؤرخيها الأستاذ ضياء شهاب) وفي ذلك العهد أقيمت مدرسة تبشيرية لتعليم الأطفال مجاناً ومدرسة لتخريج المبشرين ، يبعث بخريجها إلى الغرب وقد أقيمت هاتان المدرستان في قرية سكانها مسلمون وفي تقرير من مدير البعثة التبشيرية الأسبوعية يفيد بأن تحولا خطيراً يجرى في أندونيسيا نتيجة التبشير . ويتدفق على المنظمات التبشيرية في هولندا معونات ضخمة من الأموال والآلات الطبية ، وهناك مبشرون متبرعون يرحلون إلى الجزر البعيدة يقيمون بين القبائل البدائية التي تعيش في أحضان الغابات الاستوائية والمعروف أنه بمجرد أن سقط حكم سوكارنو والتفوذ الماركسي الموالي له ، هجمت التبشيرية الغربية لاحتلال الفراغ وجندت نفسها للتنصير وبذلك سقط أهل أندونيسيا بين مخافتين

هما التبشير والشيوعية . وقد قدم الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء أندونيسيا الأسبق تقريراً خطيراً إلى رابطة العالم الإسلامي عن ما تستهدفه أندونيسيا من حملة التبشير وأورد أدلة كثيرة على ذلك المخطط الذى أشرنا إليه وقال أن المجلس الأندونيسى للكنائس أصدر مؤخراً خريطة لأندونيسيا قسم فيها البلاد إلى مناطق كنيسة مع توضيح لعدد أعضاء الكنيسة فى كل منطقة ، كما أوضح أن اتحاد الكنائس بالتعاون مع الفاتيكان وهيئات التبشير الأخرى فى العالم قد اتخذ أسلوباً جديداً فى التضليل والخداع للتسلل إلى صفوف المسلمين وزرع عقائده فى نفوسهم وذلك بالاسهام فى مشروعات التنمية تحت شعار (من الكنيسة إلى المجتمعات) وقد استطاعت هيئة تابعة لاتحاد الكنائس العالمى أن تمارس نشاطها فى مختلف مجالات التنمية الاقتصادية تحت اسم مناطق «انمائية للتبشير» . وقد استطاعت هذه الهيئة الاجنبية بأموالها الضخمة ، وفيالق خبراتها المتخصصة أن تقيم المستشفيات والمدارس ، وتقوم هذه الهيئات بشراء الأراضي ذات الموقع الاستراتيجى ، بأسعار مرتفعة لتبنى عليها مؤسساتها وتقوم الكنائس بتوزيع الأرز والكساء والنقود مباشرة إلى المعنيين كما تقدم للمزارعين الفقراء قروضاً نقدية وعينية بشرط أن يلحقوا أبناءهم بمدارس التبشير ويجرى رجال التبشير اتصالات بأعضاء الحزب الشيوعى المحظور المعتقلين ويعرضون عليهم مساعدة ذويهم بصفة مستمرة بشرط أن يكرسوا التبشير ، وعمل المصانع الذين يفقدون أعمالهم يقدم لهم التبشير معونات نقدية وعينية . ويصور دكتور محمد ناصر كيف بدأ النظام التبشيرى المشبه فى أندونيسيا فيقول أن ذلك يعود إلى الأيام الأولى لاستقلال البلاد عندما تدفقت ملايين الدولارات إلى أندونيسيا على شكل مساعدات خارجية لتحويل هذه الملايين الضخمة إلى مستشفيات ومطابع ودور نشر ومراكز للشباب وعمارات شاهقة للتبشير ، وأمام هذه الإمكانيات المادية الضخمة التى يملكها التبشير تقف المنظمات والجمعيات الإسلامية عاجزة ويكفى أن هيئة المعونات المسيحية العالمية رصدت (١٥٠ ألف دولار) للنشاط التبشيرى هناك كما رصد الاتحاد العالمى للكنائس (٢٠٠ ألف دولار) وذلك لعام ١٩٧٣ . وقد استغل رجال التبشير موجة القحط والجوع فى موسم الجفاف ليقدّموا الألبان المعلبة والحبوب للمسلمين من أبداى التساوسة والرهبان القادمين من الخارج . وقد نشرت صحيفة (واشنطن بوست) فى عددها الصادر ٧ - ٩ - ٧٣ تعليقاً بعنوان (تعاظم التبشير فى أندونيسيا) أشارت فيه إلى ازدياد عدد الكنائس فى أوساط أندونيسيا المسلمة وذكرت أن جاوه وهى أكثر الجزر ازدحاماً بالسكان

إذ يبلغ نسبة عدد سكانها ٦٥ في المائة من مجموع سكان أندونيسيا أصبحت تربة صالحة لنشاط الإرساليات التبشيرية . وأعادت الصحيفة إلى الأذهان أن طلائع البعثات دخلت أندونيسيا في عام ١٥٠٠ مع البرتغاليين الذين استعمروا جزر البهارات وأن مناطق عديدة استهدفت لحملات التبشير من بينها سولاويشى الشمالية والوسطى وجزر تيمور وفلوريس ومنطقة الباتاك في سومطرة ، وقد استمرت الحملات التبشيرية وبعثاتها تتوالى على البلاد في مختلف العهود التي مرت بها . كما يلاحظ أن ازدياد النشاط التبشيري قد أخذ دوراً أكثر ظهوراً وانتشاراً بعد الانقلاب الشيوعي الفاشل في أندونيسيا . كما أخذت الأموال تدفق على أندونيسيا من دول الغرب وأمريكا بالذات وجلها ينصب على الفكرة العامة وهي فكرة « محاولة تنصير الشعب المسلم في أندونيسيا » لأن الحكومة الأندونيسية وحدها لا تستطيع أن تجابه كل هذا الغزو الفكري والعقائدي ضد شعب أندونيسيا المسلم فلا بد من أن تتكفل الجهود والطاقات لجميع الدول الإسلامية والمؤسسات من أجل العمل على صد ومقاومة هذا الغزو الاستعماري الغربي الذي جاء مستغلاً أوضاع البلاد الاقتصادية والاجتماعية .

الاستعداد لشحن حملة تبشير سائلة في أندونيسيا المسلمة

وقد أشار تقرير تلقته رابطة العالم الإسلامي أن الفاتيكان قد عين كردينالا وأسقفاً لدعم حركة هذه الإرساليات التبشيرية ونشاطها ، وقد أشار كتاب (واجبنا في أندونيسيا اليوم) الذي أصدره أحد رجال التبشير إلى مختلف الخطط والمشاريع والبرامج والطرق والأساليب التي تتبع والتي نسقت على أساس من البحث العلمي والتي يمكن أن تستعمل كدليل ومرشد لشحن حملة تبشير شاملة في أندونيسيا المسلمة .

صوت من أندونيسيا

ويوجد في أندونيسيا خمس منظمات إسلامية هي : ١ - المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية . ٢ - المنظمة المحمدية . ٣ - منظمة الشبان المسلمين . ٤ - منظمة الوصلية . ٥ - وحدة الأمة الإسلامية . ويقول الأستاذ أحمد جوى رئيس منظمة الشبان المسلمين في أندونيسيا أن المنظمة تعمل جادة من أجل بناء الجيل المسلم الصاعد الذي يستطيع القيام بآعبائه ومسئوليته تجاه الإسلام وقد أشار إلى أن المنظمة تعمل على مواجهة حركة التبشير في أندونيسيا بإنشاء مستشفيات ومدارس وصرف أولياء الأمور عن إدخال أبنائهم في مدارس

التبشير ثم يقول : نحن نواجه الاتجاهات الهدامة التي تنجم عن مؤسسات التبشير وذلك بإيجاد البدائل الإسلامية .

ويؤكد كثير من الباحثين أنه مما سهل مهمة الإرساليات : هو ضعف الثقافة الإسلامية والمعرفة بمفاهيم الإسلام وانحطاط المستوى الاقتصادي . وقد أكد كثيرون ما جاء في تقرير إحدى الطوائف التبشيرية في جاوه الشرقية من أنهم يعملون في سبيل ملاشاة الإسلام من الإسلام من جزيرة جاوه وبها ستون مليوناً من المسلمين في خلال العشرين سنة القادمة . ولا ريب أن هذا الموقف جدير بأن تتخذ فيه الهيئات الإسلامية في كل مكان قراراً حاسماً لدفع هذه المحاذير ومقاومة هذه الأخطار .

(٧)

أفريقيا : قارة الاسلام

١ - اقتحم الإسلام القارة الأفريقية من جهتين . وكان لكل جهة منهما مسارها وتكوينها وعمقها : شرق أفريقيا وغرب أفريقيا . أما شرق أفريقيا فترجع إلى اتصال الموانئ الأفريقية بالجزيرة العربية ويمكن القول بأن الإسلام قد دخل أثيوبيا قبل أى بلد أفريقى آخر ، وذلك عن طريق الهجرة الأولى في عهد النبي (ص) ولم تلبث الدعوة الإسلامية أن انتشرت على أيدي القبائل التي هاجرت إلى أرتريا والصومال وأثيوبيا حتى أصبح الإسلام هو دين الغالبية في هذه المناطق . والمعروف أن هذا الساحل (شاطئ الصومال وكينيا وتنجانيقا) كان مجال التجارة العربية ، فلما جاء الإسلام واعتنقه العرب تحولت تلك إلى مراكز إسلامية على الشاطئ الشرقى الأفريقى تنحكم في طرق التجارة إلى داخل تنجانيقا وقلب الكونغو وتمتد إلى بحيرة فكتنوريا . وكان من نتيجة إتصال العرب بالأهالى أن ظهرت اللهجة السواحلية وهى من اللهجات المحلية الأفريقية التى يتحدث بها أغلب شعوب القارة وهى خليط من ألفاظ زنجية وعربية وفارسية وهندية . ويعلق المؤرخون أهمية كبرى على الدفعتين القويتين اللتين قدمتا إحداهما من الشمال والأخرى من عمان عن طريق الخليج العربى في القرن الثانى الهجرى . وقد اتجهت الأولى إلى أرتريريا والثانية إلى الصومال . وأثمرتا نجاحاً هائلاً ، حيث تأسست (موجاديشو) سنة ٨٦٠ التى أشادها عرب وفدوا من الإجماء على الخليج العربى . ومن الصومال نفذ الإسلام جنوباً إلى سواحل تنجانيقا وكينيا من الثالث الهجرى . ٢ - أما منطقة غرب أفريقيا فقد انتشر الإسلام فيها عن طريق قبائل البربر

المغربية التي اعتنقت الإسلام وعن طريق غرب السودان ، حيث يوجد خط القوافل التجارية المسافرة إلى غرب أفريقيا . ومن المغرب انتشر الإسلام في السنغال ومملكة غانة القديمة وامتد إلى داهومي الشمالية وكذلك نيجيريا وسائر غرب أفريقيا انتشر فيها الإسلام عن طريق أهل المغرب ورجال الطرق الصوفية ولم يلبث النيجيريون أن أصبحوا دعاة للإسلام في ترحالهم على الأقدام للحج سنوياً مخترقين قلب أفريقيا إلى غرب السودان فشرقة ثم عابرين البحر الأحمر . ومن غرب أفريقيا وسع الإسلام آفاقه وسط القارة . ويرجع أهمية التوسع الإسلامي في غرب أفريقيا إلى قيام دولة (المرابطين) القرن الخامس الهجري حيث توصف هذه الفترة بأنها فترة انتعاش للإسلام ، وكان أبرز مظاهر هذه الحركة الاندفاع نحو الجنوب إلى جبال إدرار ثم إلى البلاد المعروفة باسم موريتانيا ، ثم إلى نهر السنغال حتى إذا كان القرن التاسع الهجري (١٥ م) اتسعت حركة انتشار الإسلام واللغة العربية في هذه المناطق لم تلبث أن اتسعت في القرن العاشر الهجري حيث استطاع الإسلام أن ينتشر بين القبائل ويحل محل الديانات الوثنية في السنغال حيث اعتنق الإسلام حوالي مليون و ٣٠٠ ألف من مليونين هم مجموع السكان . وفي مالي والسودان الفرنسي سابقاً تأسست في القرن الخامس الهجري (١١ م) دولة بربرية عن طريقها انتشر الإسلام في قبائل السودان الفرنسي فلما تولى المغاربة حكم هذه البلاد زادت نسبة المسلمين فيها إلى أكثر من ٦٠ في المائة وفي جامبيا وغينيا انتشر الإسلام انتشاراً هائلاً وكان لقبيلتي الفولا والإمامية أثر كبير وكذلك كان لرجال الشيخ عمر أثر واضح ، فأصبحت الأغلبية إسلامية . وكذلك في إقليم النيجر ، قامت دولة إسلامية واسعة ، وأنشأ الطوارق سلطنة بربرية منذ القرن العاشر الهجري فانتشر الإسلام في هذه المناطق . أقبلت بعد ذلك مرحلة الغزو الاستعماري الذي بدأته البرتغالي وأسبانيا وتبعتهما باقي الدول الأوروبية وقد استطاع المسلمون في أفريقيا مقاومة الغزو البرتغالي والأسباني المتقدم الذي بدأ في أوائل القرن التاسع الهجري (١٥ م) بعد سقوط الأندلس ، غير أن الاستعمار الفرنسي والبريطاني لم يلبث أن حل محل النفوذ البرتغالي والأسباني ، وقد استطاع هذا النفوذ أن يستمر طويلاً . ويمكن القول بأن العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر ، كانا أشد مراحل الغزو الأوربي لأفريقيا قسوة واندفاعاً وفي خلال الفترة بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر ، استطاع الإسلام أن يحقق توسعات ذاتية كبيرة فعندما انهزم البرتغاليون في القرن الثامن عشر نقل سلطان مسقط عاصمته إلى زنجبار وأصبح الساحل الشمالي لشرق

أفريقيا إسلامياً . غير أنه في القرن التاسع عشر الميلادي ، وفي إبان حركة التوسع الغربي في أفريقيا كان الإسلام يمر بأزهر فترات توسعه التي أوقفتها حركات الاحتلال والغزو وعوقفتها ، وإن كانت قد استطاعت من بعد أن تحقق نتائج هامة في مجال التحدي للإرساليات التبشيرية ، ففي هذه الفترة استطاع التاجر المسلم ورجال الصوفية والدعاة المنقطعون للإسلام إدخال عديد من القبائل الوثنية في الإسلام في تنجانيقا وكينيا وزنبار واستطاعت بعض هذه الأمم أن يصبح الإسلام دين الأغلبية كما حدث في أوغندا وكان للتجار العرب الوافدين من الخليج الفارسي أثر واضح في نشر الإسلام في كرموز وجزر المحيط الهندي (مدغشقر - سيشل - البرلوتيون - موريس حتى بلغ المسلمون في مدغشقر وحدها مليون نسمة . وكان للجاليات الإسلامية التي وفدت من الهند والملايو واستقرت في المناطق الواسعة الممتدة من في جنوب أفريقيا إلى كينيا شمالاً أثرها في نشر الإسلام وقد بلغت ٥٠ ألف هندي (٤ الف ملاوي) حتى لقد اعتنق الإسلام في هذه المناطق ٥٠ ألفاً من السكان السود . وكان للاسماعيلية والأحمدية (وهما طائفتان من مسلمي الهند) أثرهما في نشر الإسلام أيضاً ، كما كان للتجارة أثرها الواضح في إدخال الناس في الإسلام نتيجة لهجرة العمال من قبائلهم إنتاجاً للرزق . ويرجع كثير من الباحثين الفضل في انتشار الإسلام بين قبائل الزنوج في إفريقيا منذ القرن ١٨ إلى نشاط الدعاة من أرباب الطرق الصوفية الإسلامية . وقد وجد فيه الزنوج الطمأنينة بفضل نظامه الاجتماعي وما يتمتعون في ظله من أمن خلال أسفارهم للتجارة ويسر في فرائضه . . . والإسلام دين فطرة سهل التناول سهل التكيف والتطبيق على مختلف الظروف ولعل هذا من أهم العوامل التي سهلت اعتناق الوثنيين للإسلام . وقد بدل الإسلام مظاهر الحياة في البقاع التي دخلها وأسبغ روح النظافة حيث يتميز المسلم عن بقية الناس بلباس فضفاض فضلاً عن تحريم لحم الخنزير . ومشايخ الطرق في هذه المناطق يتمتعون بالتقدير بحسبان أن الله أرسلهم هداة ، ويعتبرهم الخاصة مربيون روحانيون يوجهون النفوس . ومن أهم مظاهر الإسلام مسابرة طبيعته التفكير الخاص بالعقلية الزنجية (هو بير ديشان) . وقد أشارت صحيفة دي وشنطون بوست إلى أهمية النور الذي يقوم به الإسلام فقالت : ولا شك كان لعدد من الطرق الصوفية أثرها البعيد وفي مقدمتها : الطريقة القادرية التي توسعت في أفريقيا السوداء في جنوب أفريقيا الطريقة التيجانية : في القرن ١٨ بمدينة فاس حيث تتميز بشدة معارضتها للوثنية وهي طريقة الحاج عمر التي حققت انتشاراً واسعاً

في افريقيا السوداء . وتركزت في افريقيا الغربية جهود المرابطين المغاربة وجلهم من أتباع الطريقتين القادرية والنيجانية . وقد امتد نشاطهم من السنغال إلى غينيا والسودان حتى سواحل العاج ومستعمرة النيجر . وهناك دور هام لا سبيل إلى تجاوزه هو أثر الدعوة السنوسية في طرابلس وافريقيا وكذلك أثر الحركة المهدية في السودان .

- ٢ -

لقد حقق انتشار الاسلام في افريقيا نتائج بالغة الخطورة لا يمكن تقديرها إلا بتصوير قوة زحف الارساليات التبشيرية الغربية والمبالغ الطائلة التي تنفقها الدول الأوروبية عليها ويمكن القول بأن تزايد قوة التوسع الاسلامي الذي راجع إلى مواجهة هذا التحدي أصلاً . ويعترف هوبر ونشان مؤلف كتاب «الديانات في إفريقيا السوداء» وهو أحد حكام المستعمرات الفرنسية بأن انتشار الدعوة الاسلامية - في غالب الظروف - لم يقم على القهر والتسلط ، بل قام على الاقناع «لأن الذين قاموا به كانوا مشايخ متفرقين لا تحوطهم قوة أو تحميهم دولة ، وإنما كان الاخلاص دافعهم إلى إظهار محاسن الاسلام وسماحته ، وقد يسر انتشار الاسلام ، أنه دين فطرة سهل التناول خال من التعقيد لا يفرض على المسلم طقوساً ما ، بل لا يتطلب سوى النطق بالشهادتين ، ولذلك كان التجار والمسلمون من الديولا أو الهوزا يحملون بذور الدعوة الاسلامية في سماحة ويسر بل أن الاسلام قد خالف ظن المبشرين والمراقبين الغربيين الذين كانوا يظنون أنه لا يستطيع الانتشار إلا في مناطق الشمال حيث تكثر القيافي والقفار ، دون أن يستطيع اجتياز حاجز الغابات الحارة في الجنوب والتوسع في أوساط سكانها ، فان تقدم الاسلام في سيراليون وشاطئ العاج وشاطئ الذهب وداهومي أثبت بما فيه الكفاية - على حد تعليق جريدة نيويورك تايمس - كم من القوة كان ذلك الاعتقاد بعيداً عن الصواب وقد شهد بالحقيقة بعض الباحثين أمثال بور ورث سميث في كتابه Mohamed and Mohammedans : الذي أوضح كيف انتشر الإسلام سريعاً في أفريقيا ودانت له ، وكيف اجتاحت أغلب دول أفريقيا دون مقاومة تذكر ، وكيف امتدت موجة الاسلام جنوباً إلى الشمال الغربي من مراکش حيث بلغت في زمن الفتح التورماندي تخوم تمبكتو ، ووصلت شرقاً وجنوباً حتى بلغت في القرن الثالث عشر (١٩م) بحيرة تشاد التي تصافح على ضفافها العرب القادمون من الشرق مع اخوانهم القادمين من الغرب ، وقال «أنا لنسمع عن قبائل بأسرها تطرح جانباً الوثنية والشعوذة وعبادة الشيطان لترقى إلى أعلى

مستويات العقيدة الدينية . وقد لاحظ المسافرون الغربيون رغم كل رغبة من جانبهم في عكس هذا - أن الزنجرى الذى يعتنق الاسلام لا يلبث أن يجتلى شعوراً بالعزة والكرامة الانسانية لا تلمس مثلها عادة بين هؤلاء الذين ينضمون إلى غيره ونقول ونحن مثلاً كدون من جميع النواحي أن للسكان المسلمين رغبة عاطفية في التعليم وحينما يوجد عدد المسلمين يسرعون إلى إنشاء مدارسهم الخاصة ومنهم غير قليل يقطعون المسافات الشاسعة للحصول على أفضل تعليم . ويلاحظ مراسل صحيفة دى وشنطون بوست أنه في خلال هذا القرن قد تحولت قرى بكاملها إلى الإسلام في بحر سنوات قليلة ففي فولتا العليا اعتنق الإسلام «موغانايا» ملك المرسى مع مئات من رعاياه . ومنذ الحرب العالمية الثانية تقدم الإسلام تقدماً مماثلاً في ليبيا وساحل العاج والكونغو ، : ويوجد الآن السنغال وجامبيا وغينيا ومالى وموريتانيا والصومال وزنجبار والنيجر وتشاد أكثر من ٨٠ في المائة مسلمون ونفس الشيء تجده في شرق أفريقيا . ويعمل أسباب تفوق الإسلام إلى أنه أكثر بساطة إذ ليس فيه أسرار مذهبية أو تعذيب للضمير ، فالاعتقاد باله واحد وتمجيد نبيه هما الشرطان الأساسيان في الإسلام ، فضلاً عن أنه يجيز تعدد الزوجات وقد لاحظ جون جنتر في تطوارة في أفريقيا حسباً سجله في كتابه «داخل أفريقيا» إن أهم عوامل انتشار الإسلام أنه ليس فيه تمييز عنصري ، ومن ثم لا يقوم حاجز يمنع تحول البانتو أو الزوج إلى رحابه ، وقد انتشر انتشاراً شاملاً عميقاً بين عباد الأوثان والحيوان لأن شعائره مبسطة للغاية وترجع أهمية الإسلام في نظر الأفريقيين إلى أنه نظام اجتماعى كما هو دين ، يمنح المؤمن اعتقاده بالمساواة بين جميع المؤمنين . ولقد أشار ولفر هامبتون في بحث له نشرته جريدة التيمس عام ١٨٨٧ نتائج انتشار الإسلام فقال : أنه عندما تدين به أمة من الأمم الأفريقية تختفى من بينها في الحال عبادة الأوثان ، وتحرم أكل لحم الانسان وأود البنات وتضرب عن الكهانة وتأخذ أهلها في أسباب الإصلاح وحب الطهارة . ويصبح عندهم قرى الضيف من الواجبات الدينية وشرب الخمر من الأمور الممنوعة ولعب الميسر والأزلام محرمة والرقص القبيح ومخالفة النساء اختلاطاً دون تمييز منعمة ، يرون عفة المرأة من الفضائل ، أما الغلو في الحرية والتهتك وراء الشهوات البالية فلا تجيزه الشريعة الاسلامية والإسلام هو الذى يعمم النظافات ويقمع النفس عن الهوى ويحرم إراقة الدماء ، والقسوة في معاملة الحيوان والأرقاء ، ويحض على الخيرات ، ويقول بالاعتدال في تعدد الزوجات والعدل في الاسترقاق وزيادة على ذلك

فالاسلام عفيف بالكلية عن الشركات الدينية والتجارية وفي غنى عنها بالمرّة ، والتجارة الأوربية تمهد وسائل المسكرات وتسوم الشعوب خسفاً واذلالاً والاسلام ينشر لواء المدنية القائلة بالاحتشام في الملبس والنظافة والاستقامة وعزة النفس . وفي نفس العام يكتب جوزيف توميسون في التيمس عن انطباعاته بعد رحلة استكشافية في قلب أفريقيا : إذا بلغنا غربي أفريقيا والسودان الأوسط نجد الاسلام كجسم قوى تدب فيه روح الحياة والنشاط وتتحرك فيه عوامل الحماسة والإقدام كما كان في أيامه الأولى ، فترى الناس تدخل فيه أفواجاً وتقبل عليه بإقبال عجيب يشبه أيامه السالفة ، نرى أشعة نوره منبعثة من شوارع سيراليون وأخذه في إنارة بصائر القبائل المنحطة في وهاد الجهالة الآكلة لحوم البشر عند منبع النيجر . . رأيت أن أعظم فتوحات الاسلام في أواسط السودان وغربه كانت على دين جماعة سليبي الطويلة متخضعي الجناح ، وكان قائماً بنشره واتساع دائرته يدعى « فيلاني » وكان يفترش الأرض ويلتحف السماء ، وفي الأزمان الحاضرة كان القائم بأمره تاجراً ذا همة وإقدام يقال له « هوذا أو نوبية » . وفي أوائل القرن الثاني عشر (١٨ م) كان ذلك الراعي يجهد نفسه في نشر لواء ديانته من بحيرة تشاد إلى الأقيانوس الأتلانتيكي فحصل من ذلك أن أشرقت شمس الاسلام في سماء هذه الجهة بأجمعها وظهرت في أواخر القرن الماضي عدة فئات من المسلمين لم يكن يعوزهم إلا رئيس يحمي زمارهم ، ويدفع عن هذه البلاد غائلة الوثنية ، فلما قبض لهم في بدء هذا الجيل رجلاً يسمونه (فودبو) لم يمض غير قليل زمن حتى ساد الاسلام ، وامتد جناح سلطانه بسرعة غريبة في بلاد شاسعة واسعة وانتشرت سلطانه على القبائل المتبربرة فأصاب فوزاً عظيماً . و

ويصف الكاتب سلوك دعاة الاسلام في أفريقيا وطريقة عملهم :

إن زعيم الاسلام في هذه السنوات هو التاجر السوداني الذي كان يعتمد في مهماته على تقواه ويستعين بها على أعماله ، وكان يتوغل في كل قبيلة على مسافة بعيدة من بلدة ويختلط بالوثنيين المتبربرين ، وكان يبني معهم ويأكل معهم من طعام واحد ، وكان أينما حل أو سار لا يأكلوا جهداً في توسيع نطاق ديانته وإظهار مزاياها الخالية من الالتباس والوعظ بها بين الناس ، وفي الحقيقة أن الفرائض والسنن التي يعظ بها لا يعسر فهمها على أخيه الوثني ، ولا يخرج عن قوة إدراكه ، هذا التاجر كان يقيم تارة شهراً وطوراً ستة أشهر أو سنة ، في خلال هذه المدة تراه موضع التعجب والاستحسان لنظافته ملبسه ولذلك ينكب الناس الذين حوله على تقليده واتباع طريقته ، وهم لا يرون شيئاً نصب أعينهم إلا ويتطلع إليه أمامهم ،

وليس في ديانتها شيء مبهم عليه معرفته ، وعلى هذا انغرست بذور المدينة في عدة قبائل
همجية ونمى بينها الإسلام نمواً هائلاً إلى حد أن فيه صدى هذه البلاد في الآفاق . هذه
صور توسعات الإسلام الذاتية في العصر الحديث ، كما يصورها عدد من المراقبين الأجانب ،
ترسم طبيعة هذا الدين ، وقدرته على الذبوع في مواجهة التحديات التي تعرض لها من خلال
جائحة الاستعمار التي واجهت القارة الأفريقية في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر .
والحق أن الأمور لو مضت على طبيعتها دون تدخل القوى الأجنبية والاستعمار وترك لدعاة
التبشير من الأديان المختلفة حرية العمل لاستطاع الإسلام واللغة العربية معه أن يحرزا
تفوقاً واضحاً وتوسعاً ضخماً في أفريقيا ، غير أن النفوذ الاستعماري كان حقيقياً بأن يوقف
هذا النشاط ويعوقه .

٣- الاستعمار والتبشير : والمعروف أن النفوذ الاستعماري الزاحف قد أفسد المجمع الأفريقي
وقضى على عوامل الازدهار فيه وحاول أن يغير صورة التاريخ ، والحاضر القوي ويقضى
على آثاره الحية وذلك كمشاهدة لتصوير الوجود الاستعماري بأنه كان عاملاً من عوامل
التنوير وثقافتهم والنهضة والحق أن المستعمرين أدخلوا نظمهم السياسية وقواتهم العسكرية
والأوروبية ومنظمتهم التبشيرية إلى أفريقيا وقضوا على السلطات الإسلامية أو سلبوها سلطانها
ووضعوها تحت الوصاية وفرضوا العزلة على هذه البلاد وقطعوا صلاتها بالعالم الخارجي
وطوقوا القارة الأفريقية بالقواعد العسكرية ونهبوا ثرواتها واستعبدوا أهلها وحاربوا الثقافة
الإسلامية حرباً غير متكافئة ففرضوا اللغات الأوروبية على أفريقية وأنشأوا المدارس التي
تبثت ثقافتهم وأفكارهم ، وخاض الإسلام في أفريقيا معركة حياة أو موت وهي حركة يرى
الدكتور حسن محمود أنها لم يؤرخ لها بعد تاريخاً شافياً . والمعروف أن الاستعمار في أفريقيا
قد حرص على أشياء في هامة مقدمتها طمس معالم الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي
بها حتى لا يستطيع المسلمون التعرف عليه ، وإقامة دعوى خطيرة بأن هذه البلاد كانت
مجهولة وغير متحضرة وأن رجال الاستعمار الأوروبي أمثال (ولفنجستون وبيكر) هم الذين
اكتشفوها مع أنها كانت مكتشفة فعلاً وللمؤرخين وللرحالة المسلمين أبحاث مسجلة عنها
وكذلك عمدوا إلى نقل التراث الإسلامي إلى العواصم الأوربية رغبة في إخفائه والقضاء عليه ثم
مضى الاستعمار فحمل على التجار العرب في أنحاء أفريقيا والذين كانوا يحملون معهم
الإسلام حملات عنيفة متهماً إياهم بأنهم تجار الرقيق وبذلك وضع قيود على تنقلاتهم حتى

يفسح المجال للبعثات التبشيرية التي تدفقت على مختلف الأماكن تبنى مدارسها وكنائسها ومستشفياتها وتحاول إغراء المسلمين قبل إغراء الوثنيين - بتقديم خدماتها .

وقد أشار الزعيم محمد فريد في أبحاثه عام ١٨٩٨ إلى خطة الاستعمار في أفريقيا وكان ذلك في إبانها فقال إن مبادئهم إرسال الرواد أولا بدعوى اكتشاف المجهول من البلاد ثم يتبعهم التجار والمرسلون الدينيون لتمهيد الطريق وعندما تنتشر تجارتهم في البلاد ويصبحون أصحاب منافع عظيمة يؤلفون الشركات الكبرى التي تمنحها الحكومة حتى تعبئة الجيوش وضرب العملة ووضع القوانين والأحكام حتى إذا ما فتحت البلاد ودوخت العباد حلت محلها الحكومة نفسها - بعد التعويض على مساهمي الشركة فتملك الدولة المحتلة بذلك بلاداً واسعة لو أردت أن تفتحها بالقوة بآدى بدء لكلفتها الأموال الطائلة والنفوس العديدة .

وقد استهدف الاستعمار الفرنسي والبريطاني في أفريقيا - وهو أبرز القوى الاستعمارية - القضاء على مقومات المسلمين في أفريقيا وذلك بوسائل مختلفة أهمها القضاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية والتراث الإسلامى وكل ما يتصل بتاريخ الفترة المزدهرة التي عاشها المسلمون قبل اتساع النفوذ الأجنبي . ولذلك فإن التركيز الاستعماري كان على الثقافة أساساً عن طريقين : نشر المدارس والمؤسسات التبشيرية والإرساليات والقضاء على المدارس الوطنية وإعداد المدارس التي تشرف عليها الحكومة وإعداد الإرساليات وتنصب عملها على نشر لغة المستعمر ودينه وتاريخه وتغذية اللغات الإقليمية القومية وإيقاف اللغة العربية الأم وتجميدها ويتجاهل الاستعمار الفرنسي اللغات واللهجات المحلية منذ التعليم الأولي والابتدائي حتى ينشأ الجيل كله يتحدث بالفرنسية - ويختار الصفوة فيرسلهم إلى فرنسا ليتشبعوا بثقافته ومفاهيمه ، وهؤلاء هم الذين يعملون في دولا ب الحكومة مع رجال الاحتلال بينما يترك بقية الأهالي على أميتهم . كما يعتبر الفرنسي الأرض الأفريقية جزءاً من فرنسا ، ولذلك فهو يوزع صحفه الفرنسية (الفيجارو والموند) في غرب أفريقيا ويعتبرها صحافة وطنية .

أما أسلوب الإنجليز فيختلف قليلا ولكنه يرمى إلى نفس الغاية حيث يفصل الإنجليز بين وبين الذين يحتلهم ، ويدرس اللغات المحلية في المراحل الأولى ثم يدرس لغته في المراحل المتقدمة ، وهو ينمى الإقليمية في اللغة والتراث ويدعو إلى بعث الثقافات القديمة البالية السابقة للإسلام رغبة في الفصل بين المسلمين وبين ماضيهم القريب . ويعمد البريطانيون إلى عزل مختلف المناطق الأفريقية عن الجو العربي الذي قد يكون موجوداً بين الأفريقيين ومن ذلك أنهم حولوا أهالي شرق أفريقيا (كينيا وأوغندا وتنجانيقا وزنجبار) من كتابة اللغة

السواحلية بالحروف العربية إلى كتابتها بالحروف اللاتينية . كما يعتمد الاحتلال البريطاني إلى السيطرة على الصحف وذلك بتحريك قضايا وشبهات من شأنها أن تثير الخلافات بين المذاهب المختلفة وتحول دون وحدة الأمة ، فهو يثير مشكلة الأقليات أحياناً والخلافات المذهبية أو السياسية أحياناً أو ينادى بانفصال مناطق معينة ، ويتلخص مفهوم الاحتلال الغربي (بأنواعه) : فرنسا وبريطانيا وبلجيكا في أنه هو رسول الحضارة وناشر المدنية وصاحب الرعاية الأبوية والتوجيه الديني ولطالما أعلنوا في كتاباتهم « أنهم أصحاب رسالة إلى شعب قاصر ليس له أن يبدي رأيه في أمور يعرفونها هم وإنما عليه أن يقبل الرعاية الأبوية كطفل صغير . » ويغلب على التوجيه الثقافي والعلمي روح التبشير والإرساليات ، حيث يترك الاحتلال البلجيكي للبعثات التبشيرية الإشراف الكامل في المجال التعليمي وخاصة التعليم الابتدائي ، وقد كان للبلجيكيين ٧٢٠ مجموعة تبشيرية تضم حوالي (٦) آلاف مبشر معظمهم من الكاثوليك ولغة التعليم هي الفرنسية . غير أن الاستعمار الفرنسي والإنجليزي والبلجيكي قد رأى أن معظم الذين يسافرون إلى أوروبا من صفوف أبناء البلاد المتنازعين لقيادة مجتمعاتهم وأصحاب الولاء الواضح للنفوذ الاستعماري إنما يعودون بروح غير روح الولاء ويسجل ذلك جورج باديمور حيث يقول : نحن نرى الذين يزورون أوروبا ويتلقون تعليماً عالياً فيها لا يعودون إلى بلادهم بروح الحضارة من البلد الأم ولكنهم يعودون بروح معادية للبلد الذي فتح لهم أبواب الحضارة . ويمكن القول بأن الغزو الاستعماري في أفريقيا حمل لواء ثلاث عمليات خطيرة : الأولى : عملية تجارة الرقيق حيث عمد إلى خطف أكثر من عشرين مليوناً من أهالي أفريقيا وأرسلهم إلى أمريكا وقد مات منهم في الطريق عدد كبير . وقد فعل هذا بينما كان يثير حملات عنيفة متهماً التاجر المسلم المتنقل بين أرجاء أفريقيا بأنه يعمل في تجارة الرقيق ، وقد شهد للمسلمين والعرب كثير من الباحثين المنصفين وردوا هذه الشبهة المضللة وفي مقدمتهم بوزورث . حين قال : لما كان التجار العرب الذين توغلوا في القارة الأوربية ليقتربوا في يوم من الأيام جرائم الخطف والاسترقاق التي اقترفتها المستعمرون بل كانوا رسل حضارة وإيمان إلى هذه القارة . (ثانياً) عمليات التبشير حيث تدفقت البعثات التبشيرية الأوربية المختلفة من الكاثوليك والبروتستانت لنشر المسيحية واللغات الأوربية ومقاومة الإسلام والثقافة الإسلامية وقد سار التبشير في ركاب الاستعمار وارتبط به . (ثالثاً) إدخال جماعات بيضاء بكميات ضخمة في كثير من المناطق للاستيلاء على الأراضي الخصبة وطردها أهلها الأفريقيين

منها وخلق كيان أوربي يجعل الوطنيين أقلية في بلادهم . والمعروف أن البعثات التبشيرية لم تستطع أن تحقق كثيراً مما كانت تتطلع إليه فقدواجهتها حركة التبشير الإسلامية السلمية واكتسحت المجال أمامها وبلغت أقصى مكان في القارة ، وقد أشار الدكتور زويمر في أوائل هذا القرن في دهشة إلى ما وجدته في جنوب أفريقيا من نهضة إسلامية في مدن الكاب وحدها ما يزيد على ثلاثة عشر مسجداً وحيث تجرى تعلم اللغة العربية لنحو ٤٠٠ طالب يتلقون هذه اللغة في مدرسة واحدة يوجد بالكاب ٢٤ ألف مسلم ويدهش لأنه عثر على كتاب صرف عربي انجليزي في ثمانية مجلدات في إحدى المكتبات ويقول إن زعماء النهضة لتعليم اللغة العربية في الغالب من الحجاج الذين يعودون من مكة . والمعروف أن المنظمات الإسلامية قد خاضت معركة مريرة مع الغرب وقواته ومراكز تبشيره وتسابق الطرفان مع المبشرين الذين تسندهم أموال ، أيهما يكسب مزيداً من الزنوج الوثنيين وقد استطاع الإسلام أن ينتصر في هذه الحرب وتطرق الدعاة المسلمون إلى أقاليم لم يكونوا قادرين على أن يبلغوها من قبل وكسبوا الملايين إلى الإسلام وأحرزت هذه المنظمات نصراً بعيد المدى على المنظمات المسيحية رغم أموالها وسلطانها ولما بدأت قبضات المستعمرين في أفريقيا تنهاوى ولاحت نذر التحرر تطلع الأفريقيون إلى الفكالك من الأسر فكانت الجماعات المسلمة هي الخمائر التي خرجت منها صيحات التحرر حيث لعبت الجمعيات الإسلامية دوراً هاماً في قيادة الحركة الاستقلالية في غرب أفريقيا وشرقها وأسهم الزعماء المسلمون بدور فعال في تغذية الحركة الاستقلالية . واشترك المسلمون في المنظمات السياسية وأقبلوا على التعليم . وأسهم الإسلام بنصيب كبير في تحقيق الوحدة الأفريقية . (دكتور حسن محمود) ويؤكد الباحثون والمؤرخون أن أفريقيا هي القارة الوحيدة التي يزحف فيها الإسلام اليوم ، وإن الإسلام قد ضاعف نفسه في أفريقيا خلال عشرين عاماً ، حيث ارتفع عدد المسلمين بين عام ١٩٣١ ، ١٩٥١ من ٤٠ مليوناً إلى ٨٠ مليوناً . ويرى دكتور جمال حمدان أن عدد المسلمين في أفريقيا اليوم يعادل عدد العرب في مجموعهم وأن أفريقيا أكبر القارات في نسبة الإسلام ، وقد تمددت أطراف الإسلام منها إلى كل ركن وصقع في القارة . ويصف حركة الإسلام في أفريقيا « بالثورة الصامتة التي تكتسح القارة تحت ناظرينا » وعنده أن الإسلام في حدود انتشاره الحالي في أفريقيا يرتبط بكل أنواع البيئات المختلفة ، وأن هذا النمو على كافة المستويات يكذب ما ذهب إليه البعض من أن الإسلام دين الرعاة أو دين الصحارى أو دين السهول فهو دين الرعاة والصحارى

والسهول جميعاً . والإسلام متمثل اليوم في كل وحدة سياسية في أفريقيا وعددها خمسون وحدة ، وهو قوة سياسية كبرى في أفريقيا . وعنده أن الإسلام قوة لاحمة سياسية ، فهو جسر امتد بين أفريقيا العربية وأفريقيا الزنجية ويمثل قاسماً مشتركاً أصغر بينهما بدد خرافة « زنوج وعرب » وسيظل الإسلام يزحف في آسيا المدارية وينتقل من نجاح إلى نجاح . ويؤكد الباحثون أن الإسلام في أفريقيا يتحرك في فراغ ديني وأنه يعمل دون صراع مع المسيحية ولا يصادمها ، وإنما يتخذ مجال عمله بين الوثنيين ، والظاهرة الواضحة أن التبشير قد ارتبط بالنفوذ الأجنبي والاستعمار الأوربي ، وأن تناقضات المذاهب وصراعاها قد قلل من أهمية التبشير نفسه ، بينما يبدو - الإسلام بسيطاً وسميحاً ، وقد أصبح الأفريقيون يقرنون بين المسيحية والاستعمار ، ويرون أن المسيحية دين البيض ، ومن هنا فإن الإسلام يكاد يكون محتوماً كدين المستقبل ويشير إلى هذا الدكتور جمال حمدان حين يقول : ربما سجل التاريخ قريباً أن تحرر أفريقيا كان معناه أكبر موجه حديثه في انتشار الإسلام وقد تصبح أفريقيا قارة الإسلام بالضرورة . وبالجمله فإن الاستعمار قاوم الإسلام والثقافة العربية والتاريخ واللغة العربية جميعاً خلال أكثر من قرن كامل في نفس الوقت الذي شق الإسلام طريقه وتوسع حتى أحاط بالقارة إحاطة شاملة وفرض نفوذه الفكري والثقافي والاجتماعي كتيار تقديمي واضح الأثر .

ونحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجري نجد أفريقيا وهي تواجه صراعاً شديداً في مناطق مختلفة منها حيث تزداد مطامع الدول الكبرى وحيث يضطرم الصراع بين النفوذيين الغربي المقيم والشيوعي الزاحف ويحتدم في مناطق اريتريا والصومال بمواجهة شديدة من أثيوبيا المسيحية الماركسية . ذلك أنه بعد أن تحررت أفريقيا من قبضة المستعمرين الأوروبيين وقعت مرة أخرى في براثن الاستعمار الجديد والتوسع الاستعماري وأصبح حكم الاستعمار الجديد تحت ستار المثقفين المنتمين إلى قبائل الأقلية الصغيرة الذين تلقوا تعليمهم في الغرب والذين هم نتاج المدارس التبشيرية المسيحية والمدارس اللاهوتية والإدارة الاستعمارية الأوربية - حقيقياً . هؤلاء المستعمرون الجدد هم الحكام غير المسلمين للأراضي الإسلامية في أفريقيا حيث لا يسمح هؤلاء حتى لمجرد أن تصبح تلك الدول الإسلامية عضواً في منظمة المؤتمر الإسلامي (وعلى سبيل المثال : نيجيريا ، أثيوبيا ، موزمبيق) تبعاً لهذا التطور فإن سلالة الاستعمار الجديد أصبحوا أيضاً في المقدمة وهؤلاء هم الذين جعلوا أساساً كقادة للحركات التحريرية

التي تدعمها الدول الشيوعية والذين يلعبون أدواراً قيادية في عدد من مناطق الأغلبية الإسلامية في أفريقيا ولم يكن الاستعمار الجديد أقل خطراً من القديم وأبرز مظاهره فرق الجنود الكوبيين والأسلحة الشيوعية المكثفة في مناطق البترول .

كما تواجه الجماعات الإسلامية في غانا وغينيا ونيجيريا والسنغال والنيجر وتشاد مصاعب شديدة تعمل الحركات التبشيرية المؤيدة بالنفوذ الأجنبي والمال على ضرب القوى الإسلامية والسعي للقضاء عليها ويتآزر البيض والاستعمار عن طريق الكنائس والأديرة والمعابد الضخمة المشادة في أنحاء كثيرة من المدن والقرى وقد وصل النشاط المسيحي إلى الغابات وحيث تتركز البعثات التبشيرية في نيجيريا والكامرون وجنوب السنغال . ورغم هذه القوى الخضمة المتآزرة ضد الإسلام فإن الإسلام يزحف بقوته الذاتية لأنه يؤازر الفطرة ويؤيد الحرية بينما ترتبط زخوف التبشير بالنفوذ الأجنبي والاستعمار والمفاهيم المضطربة في العقيدة ويتساعل ت . ه . ب سايله عميد الدراسات التبشيرية في الولايات المتحدة في كتابه (المسلم يواجه المستقبل) . لماذا يجلب الإسلام الزنوج ؟ ويقول : هناك الجاذبية الطبيعية من قبل الأفريقيين نحو الإسلام . لقد اعتبر البعض هذا الاتجاه مرغوباً وحتمياً لأن الإسلام يلائم الزنوج جداً وهو يحسن من أوضاعهم ولا أمل للمسيحية في منافسة الإسلام وقد اعتبروا التحول إلى الإسلام سوء حظ كبير للرجل الأسود لأن الإسلام يجعله أكثر مقاومة للمسيحية ولذلك فهم ينادون الكنيسة لتشد يد الجهود وعلى نطاق كبير لوقف المد الإسلامي . إن رسالة الإسلام إيجابية محددة وسهلة الفهم وليست مغالية في طلباتها وأن الأخوة في الإسلام ليست دينية فقط وإنما اجتماعية أيضاً والمسلم لا يرسم خطأ لونياً بين الأبيض والأسود والمسلم يأكل ويتزوج من ذوى الجلود السوداء . إن أبرز مظاهر التدخل الأجنبي في أفريقيا على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى هي ظاهرة سيطرة النفوذ السوفيتي على القارة عن طريق التدخل السوفيتي المباشر أو عن طريق إرسال قوى كويبة عسكرية بهدف السيطرة السوفيتية على بعض المناطق الاستراتيجية وقد بدا ذلك بتركيز وجود سوفيتي في الحبشة وأنجولا يستهدف الحيلولة دون مقاومة ارتيريا والصومال والأوجادين ودفع السيطرة الشيوعية على حدود الخليج والجزيرة العربية .

إن التدخل السوفيتي في أثيوبيا يستهدف الصومال من أجل السيطرة على البوابة الجنوبية للبحر الأحمر ، وأن محاولة السيطرة على القرن الأفريقي تهدف إلى تهديد أمن البحر الأحمر

هذا بالإضافة إلى محاولات سيطرة الصهيونية على أبواب البحر الأحمر ومنافذه .

(٨)

الدورة المغتصبة

هناك وقفة مستأنية تحتاج إلى دراسة ومراجعة للنفس المسلمة والعربية بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على احتلال فلسطين وما تزال الخطط قاصرة عن استيعاب هذه القضية الكبرى وهذا الحدث الخطير وقد تكشفت في السنوات الأخيرة حقائق كثيرة : أبرزها : أن وراء قيام إسرائيل مخطط يهودى استعماري عالمى يستهدف قيام امبراطورية الربا وتنفيذ مخططات بروتوكولات صهيون التى تستهدف السيطرة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على العالم كله عام ١٩٩٨ . وإن الخطة مرت في عدة مراحل : أولها محاولة احتواء الدولة العثمانية والسيطرة على السلطان عبد الحميد وفشل هذه المحاولة والتخطيط لتمزيق الدولة وإسقاط السلطان وقيام اللوغا بهذه الخطة من خلال المحافظ الماسونية وحزب الاتحاد والترقى الذى إحتوته الصهيونية ومنذ أسقط السلطان عبد الحميد ١٩٠٩ فقد انفتح الطريق إلى فلسطين عن طريق الاتحاديين حكام تركيا الذى أسلموها إلى الهزيمة في الحرب العالمية الأولى كما سلموا طرابلس الغرب للاحتلال الإيطالى وكان ذلك مقدمة لإسقاط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ ولوعده بلفور ١٩١٨ وتوسع الهجرة اليهودية إلى الحد الذى مكن من إتمام مؤامرة قيام إسرائيل ١٩٤٨ ثم احتلال القدس ١٩٦٧ وقد كشفت الوثائق خلال هذه الفترة عن خطة ترمى إلى تهجير يهود العالم إلى إسرائيل وإقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات وكانت أبرز الظواهر في الفترة الأخيرة هجرة اليهود السوفييت بأعداد ضخمة إلى إسرائيل . وإن كان أيضاً من الظواهر الواضحة ارتفاع عدد المهاجرين إلى خارج إسرائيل . وكذلك كشفت التصريحات التى جرت على ألسنة قادة إسرائيل هدف تدمير الحضارة العربية الإسلامية وإقامة الحضارة العبرية على أساسها ، كما كشفت عن هدف إعادة بناء هيكل سليمان فوق أرض المسجد الأقصى وحيث يوجد اليوم في فلسطين المحتلة حوالى ثلاثة ملايين نسمة ، فإن في العالم مايتراوح بين ١٣ و ١٨ مليون يهودى يقيمون بين أمريكا الشمالية والاتحاد السوفيتى وتستهدف الخطة جمع هؤلاء تحت راية إسرائيل ولذلك فإن فكرة التوسع هى من العوامل المقدمة في النظرة اليهودية على مسألة الأمن وذلك جرياً وراء مخطط امتلاك القوة الاقتصادية التى تحاول السيطرة على مقدرات البلاد العربية . ولا ريب أن هذا المخطط فاسد من أساسه لأنه يقوم

على الاعتماد على معونة الدول الغربية وأنه بعد ثلاثين عاماً لم تستطع إسرائيل أن توجد لها كياناً اقتصادياً ذاتياً يمكنها من القيام بنفسها فضلاً عن ذلك الشنات المتضارب المجموع من مختلف بلاد العالم فضلاً عن تلك التفرقة العميقة بين يهود المشرق ويهود الغرب كل هذه العوامل فضلاً عن الوجود الطبيعي على الأرض العربية من شأنه أن يكشف عن فساد قاعدة الاستمرار ويجعل الفناء محتوماً ، لا سيما وأن القوة العسكرية العربية تنمو يوماً بعد يوم بالإضافة إلى مقدرات الثروة والطاقة والتفوق. لقد تعالت أصوات دعاة الاسلام إلى تعديل أسلوب العمل يجعله اسلامياً واتخاذ منهج الاسلام بالجهاد طريقاً إلى تحقيق الغاية وتقريب النصر ولقد كانت تجربة (رمضان) وما تزال علامة على الطريق على أن هناك محاولة ضخمة لتسليم عقول المسلمين والعرب بعد التحول التاريخي الذي اتجه إليه المسلمون والعرب حين التمسوا منهجهم الأصيل في العاشر من رمضان . هذه المحاولة تستهدف فرض تفسير زائف للتاريخ الاسلامي الحديث يحاول أن يجعل من (اسرائيل) وجوداً إقامته أوروبا والغرب وكأنه ليس وجوداً قائماً بذاته من وراء مطامع الصهيونية العالمية وبروتوكولات صهيون ولا ريب أن المروجين لهذه السموم هم الماركسيون والتقدميون واليساريون ، الذين كانت الماركسية في أيديهم ولا تزال خادمة للصهيونية العالمية وهي من صنعها أصلاً : أن الهدف هو هذه المنطقة الفريدة في العالم «منطقة دعوة الاسلام وقدرات المسلمين الضخمة التي تستهدف بالاحتواء والسيطرة والغزو والتي سوف تظل دائماً قادرة على المقاومة ساهرة على حراسة مقدراتها ، مرابطة في سبيل الحفاظ على كيانها ووجودها ، وسوف لا يضحى المسلمون والعرب بعقيدتهم وتراثهم في سبيل ما يسمى العلم والتكنولوجيا وأنهم لقادرون على امتلاك هذه القوة وقد أخذوا بها فعلاً فلم يبق هناك ما يسمى بالصراع الحضاري : ذلك أن الوجود الاسرائيلي هو في طبيعته وجود غير قائم بذاته لا يعتمد على أمة صحيحة وليس يهود اسرائيل هم يهود التوراة أو أبناء يعقوب ، وليس لدى اسرائيل ما لدى العرب من الطاقة والتفوق البشري والقوة الاقتصادية وأن هذا المجتمع المهلهل المجمع من شذاذ الآفاق لا يمكن أن يكون أقوى على الحياة من أهل هذه الأرض ، فأين إذن التفوق الحضاري وأين يقوم الصراع الحضاري وإسرائيل تعيش على المساعدات الخارجية ولم تتمكن بعد ثلاثين عاماً اليوم من أن تعيش على مواردها وأن تكون قادرة

بمفردها للدفاع عن وجودها ذلك لأنها بطبيعة تركيبها العدوانى لا تستطيع أن تمثل مجتمعا حقيقيا ولا وجودا صحيحا . ولولا دورها الذى تقوم به فى خدمة النفوذ الأجنبي على هيئة كلب الحراسة لسقطت من اليوم الأول لوجودها . ومن هنا فان تلك الأكاذيب والشبهات التى يحاول دعاة التقدم والماركسية واليسار وغيرهم إذاعتها لن تؤثر شيئا فى النفس العربية الاسلامية التى أخذت فى امتلاك إرادتها وعرفت طريقها الصحيح . ولقد كانت هذه المنطقة منذ تسلمها المسلمون أمانة فى أيديهم للأديان الثلاث وقد أمنت كل القوى بأصالتهم وأحقيتهم للقيام بهذا الدور وسوف تعجز الصهيونية عما عجزت عنه الحروب الصليبية من انتزاع القدس من أيدي المسلمين الحماة الأمانة . يقول المؤرخ ريفمان : أن المسلمين لم يقروا بوجود هذه الدولة الأجنبية الدخيلة فى أرض يعتبرونها ملكا لهم . نعم هذا هو الحق ومن الحق أيضا أن المسلمين انتصروا تحت اسم «مدرسة التسلح الخلقى» على كل الخلافات واستطاعوا أن يجتمعوا لمواجهة الخطر وكان دور الشعب الاسلامى أقوى من دور الحكومات . يقول ريفمان : أخذ العرب يلمسون الوجهة بمجرد إدراكهم لمغزى قيام الدولة العدو بينهم غير أن هذا التطور كان بطيئا غاية البط . وبقى الصليبيون مدة طويلة وهم قادرون على مهاجمة أى من الأقطار المجاورة لهم ، واستطاع الصليبيون أن يصلوا إلى حدود مصر وضواحي دمشق وأن يتوغلوا فى حوران ، غير أن نجاح صلاح الدين فى توحيد مصر وسوريا واليمن تحت حكمه قضى على كل أمل للصليبيين فى التوسع ، وبالرغم من الأعداد القادمة من أوروبا فقد بقى الصليبيون معتمدين على العالم المسيحى فى الرجال والمال واستمروا ما بقى العالم المسيحى يمد لهم وزالوا عندما انتهى هذا الاهتمام . ونحن نجد أن مواجهة العربية الاسلامية للغزوة الصهيونية اليوم عن طريق أكثر قوة وعمقا بالرغم من ضعفها فى المراحل الأولى فهى تدخل فى مرحلة الحسم والافتناع الصحيح بالطريق الأصيل للمواجهة : المواجهة بأسلوب الاسلام ، العقيدة والشريعة والتربية الاسلامية والجهاد ولن نخدعنا كتابات التلموديين وسوموم التقدميين ومراوغة الماركسيين عن أن نعرف الحقيقة التى بدأت يوم عمدت الصحافة التى كان يمسك بمقاليدها المارونيون واللبنانيون فى مهاجمة السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية والخلافة الاسلامية تمهيدا لفتح طريق الصهيونية إلى القدس ولقد أشارت مؤرخة يهودية منذ وقت مبكر إلى أن دخول اللورد اللنبى لمدينة القدس كان بمثابة الخطوة الأولى لتسلم اليهود إياها (دخلها اللنبى) ١٩١٧ وتسلمها اليهود ١٩٦٧ . ان الكتب التى

صدرت في العام الأخير وخاصة ما كتبه جولدمان تحت عنوان (المأزق الصهيوني) يكشف وتكشف عن مجموعة من الحقائق يجب على العرب والمسلمين أن يعوها تماماً والا يخذعوا ببريق الكلام . ١- ان الصهيونية تقسم نفسها إلى معتدلين ومتطرفين وتترك لمجموعة المعتدلين أمثال البربررجو وجولدمان وغيرهم من الذين يحاولون أن يضعوا أنفسهم في صف الراغبين إلى تفهم المواقف والاعتدال . ٢- ان الأحداث الأخيرة قد كشفت عن أن الصهيونية طامعة في تنفيذ برنامجها في التوسع وأن دعواها في السلام كاذبة . ٢- أن ما يعبر عنه سكان اسرائيل لا أهمية له في الحقيقة ازاء المخططات التي يرسمها عتاة الصهيونية وهم لا يعبأون بها . ذلك أن الهدف من المخططات كلها هو إقامة امبراطورية الربا بكل وسائل الخداع والغدر وتخدير العرب والحيلولة بينهم وبين امتلاك إرادة القوة والتأمر على مقدراتهم من الطاقة والثروة والتفوق البشرى فهم دعاة تحديد النسل لانقاص عدد العرب والمسلمين تحت شعار الانفجار السكاني وهم أصحاب مشروع السيطرة على موارد النفط وهم من وراء توجيه الأموال العربية وجهة الاستهلاك حتى لا يتمكن العرب من بناء قوتهم الذاتية . ولا ريب أن (الربا) هو المدخل الحقيقي للسيطرة التلمودية على العالمين الرأسمالي والشيوعي وبعد الذهب الذي يحتكره اليهود أقوى الأسلحة لاثارة الرأي العام وإفساد المجتمعات والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسر وعن طريق المال يسيطر اليهود على الأعلام والفكر في عديد من بلدان الغرب حيث يملك اليهود البيوت التجارية والأسواق ولهم نفوذ قوى ومؤثر على الصحافة والتلفزيون. ولقد أشار اليهود في كل وثائقهم إلى سيطرتهم على الذهب في العالم وقيامهم بامتلاك مصادر الاقتصاد والمال وهم أنفسهم أصحاب القوة الرأسمالية والسيطرة الاقتصادية الذين صنعوا الماركسية والاشتراكية التي تبدو ظاهراً معارضة للرأسمالية. لقد استطاعوا احتواء كل المحاولات التي استهدفت معارضة الرأسمالية وضربوا كل القوى ليضعوا أيديهم على كلا النظامين اللذين ينتظمان العالم توطئة للسيطرة عليه حسبما جاء في بروتوكولات صهيون. ولقد قصدت الدعوة الماركسية أساساً إلى هدم الدين نفسه ولم تكن قاصرة على معالجة مشكلة عدالة التوزيع . وكان أول مكاسب اليهودية الصهيونية هي هدم المسيحية وإدامة السيطرة على مقدرات الأمم كذلك فان قيام نظام ماركسي يعنى أول ما يعنى وضع جميع مقدرات الأمة في يد المجموعة الحاكمة وإخراجه من أيدي عشرات الأغنياء

والموسرين شريطة أن يكونوا من غير اليهود . ومعنى هذا أن تسليم الثروات إلى هذه النخبة تمكنها من أن تفعل في طريق تحقيق الهدف اليهودى أكثر مما يعمل الرأسماليون أنفسهم كذلك فإن النظام الماركسى نفسه يحل في العالم روح الشر والقتل والابادة ويحقق هدفه عن طريق الانقلابات التى تقتل وتحطم وليس عن طريق التطور والتدرج والاقناع وقد ظهر أن أغلب أحداث المؤامرات والانقلابات كانت نتاجاً يهودياً يستهدف تحقيق الغاية التى يقصد إليها أصحاب امبراطورية الربا . كذلك تكشف الكتابات الأخيرة أن وجود اسرائيل لم يحل المسألة اليهودية بل زادها تعقيداً ، قال بذلك ألبير كالى وميشيل رشيلى ، وقال غيرهم أن الصهيونية هى محاولة إرجاع تاريخ اليهود المعاصر إلى الوراثة وأنه بمثابة نظرة جاهلية لأنها لا تأخذ فى الاعتبار العنصر الحاسم للتقدم فى التاريخ . ويقول الحاخام منسفيلد : ان الصهيونية انفجار شاذ لعاطفة منحرفة . ويقول رشيلى : ان اليهودى لن يشعر بالأمان فى أى مكان فى العالم لأنه يخلط بين اليهود فى العالم وسكان اسرائيل . ولقد أقامت الصهيونية تأييد الغرب لها على محاولة خادعة لثيمة : وذلك هو فرضها مفاهيم العهد القديم والتلمود على المسيحيين فى المدرسة والجامعة بما يوحى بأن دعوة الصهيونية إلى التوسع فى فلسطين هى من صميم العقيدة الدينية ، وكذلك فعلت الصهيونية فى أمريكا وبريطانيا وألمانيا ولقد كذبت الوقائع التاريخية الصحيحة ما ادعاه اليهود من أن وعد ابراهيم كان لاسرائيل أو لأحفاد اسحق وحدهم ، ذلك أن وعد الله لابراهيم كان لاسماعيل واسحاق ولأحفادهم جميعاً ، وللصالحين منهم وحدهم « وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فآثمن . قال انى جاعلك للناس إماماً . قال ومن ذريتى . قال لا ينال عهدى الظالمين » . وكذلك يكذب اليهود فى حين يقصرون الوعد على أنفسهم ويعتبرون أنهم شعب الله المختار مع أن الوعد كان لكل خلفاء اسماعيل وهم العرب والمسلمون وقد تحقق الوعد فعلاً بسيطرة الاسلام على هذه المناطق كلها والمسلمون هم أحفاد اسماعيل . وتعالى اليوم أصداة هذه المؤامرة الزائفة التى بدأت تتكشف أمام العقل البشرى على نحو أكثر وضوحاً مما كانت قبل لاثنين عاماً فيقول المؤلف اليهودى الروسى (افرانيم سيفيلان) فى كتابه « وداعاً اسرائيل » : ان اسرائيل هى الدولة المسخ التى تأكل أبنائها . ويكشف فى وضوح زيف الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة ، ويعرى الأساليب الإجرامية التى اتبعها زعماء الصهيونية لإقامة هذا الكيان الزائف ، ولابتزاز

الأموال من العالم بحجة جمع شمل اليهود ولاجتماع اليهود من أرجاء العالم بطرق مغرية. ويقول أنه بعد أن مر ما يقرب على ربع قرن منذ إنشاء هذه المؤسسة اليهودية على جزء من الأرض الفلسطينية لم تتحقق تكهنات زعماء الصهيونية بأن تصبح إسرائيل مغناطيساً لليهود العالم، حيث لم تستطع إسرائيل أن تجمع فوق الأرض الفلسطينية سوى خمس اليهود. ففي نيويورك وحدها قدر ما في إسرائيل بأكملها. وفي باريس يوجد من اليهود أكثر مما في تل أبيب. وفي لندن يوجد تكثر مما في القدس. ولقد تبين أنه من الصعب لا بل من المستحيل صوغ كافة اليهود بفكرة الصهيونية حيث طلب إليهم استبدالهم أما كنهم بحياة أقل أمناً في مناخ حار وغير مألوف لديهم وبعيدة كل البعد عن حسن الحال الجسماني والمادي على السواء. على أن الأسف على إنشاء المؤسسة اليهودية الجديدة لم يكن ليقذف دماً جديداً في العروق القديمة بل بالعكس حظ من مكانة اليهود في القوميات الأخرى. لقد تعرضت الجاليات اليهودية للخراب الكلي بعد قيام دولة إسرائيل. ولكننا بعد أن لجأنا إلى إسرائيل: الملائح الأخير للجاليات اليهودية، ربما كنا قد أنقذنا أنفسنا من الاندماج في القوميات الأخرى لكننا من ناحية أخرى حكمنا على أطفالنا وعلى أنفسنا بالانقراض الطبيعي لقد بدأت الجاليات اليهودية تنهار الواحدة بعد الأخرى، وأصبحت صفوفها مبعثرة وهزيلة حدث هذا بسبب الهروب العاجل من اليهودية نحو الاندماج في الديانات والقوميات الأخرى هرباً من كافة عوامل الضغط والاضطهاد. أن أكثر التخطيلات سطحية للأحداث منذ عام ١٩٤٧ تؤكد مباشرة هذا الواقع الحتمي. لقد دمرت أكبر الجاليات اليهودية وأكثرها ازدهاراً وهي التي كانت تعيش في الاتحاد السوفيتي، لم يظهر التفكك السريع لهذه الجالية وبرز شتاتها وخرابها إلا بعد ظهور إسرائيل. وكذلك الأمر بشأن الجاليات اليهودية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الإسلامية. كان هناك ما يربو على المليون نسمة من اليهود من اليهود الذين يعيشون في العالم العربي جاليات كثيفة مزدهرة جنباً إلى جنب مع السكان العرب وكانوا يتمتعون بكل حرية من ناحية الدين والثقافة والتقاليد اليهودية، في كل من الدار البيضاء ومراكش وطنجة والرباط والجزائر وهران وتونس وطرابلس والقاهرة والاسكندرية وبغداد وبيروت ودمشق إلى أن جاء عام ١٩٤٧ الذي جعل من العرب وكافة المسلمين بضربة واحدة أعداء لدودين لليهود نتيجة احتلال الأرض الفلسطينية وما زاد الطين بلة تدفق اللاجئين الفلسطينيين هرباً من ميادين الحرب إلى البلدان العربية المجاورة،

الأمر الذي زاد من التعصب الوطني والديني بين العرب واليهود ، وينطبق الأمر نفسه على يهود أوروبا الشرقية الذين لم يتعرضوا للإسامية سوى بعد إنشاء الدولة اليهودية وذلك بعد معاداة أنظمة الحكم الأوروبية الشرقية للصهيونية المتمثلة في الدولة اليهودية الجديدة وهكذا تعرضت الجاليات اليهودية للخراب الكلي بعد قيام دولة اسرائيل ويقول الكاتب في النهاية : أن اسرائيل محكوم عليها ألا تعيش غير عقد آخر من الزمان ومن غير المحتمل أن تتجاوز هذا الحد المقرر وأعتقد أنه في عام ١٩٨٥ لن يكون لاسرائيل وجود على خارطة العالم بل سيتم ابتلاعها بلا شفقة . هذا ما يقوله يهودى منهم أما نحن فنعرف أن اليهود كانوا خادعين لكل الشعوب والأمم بما زيفوا من دوائر المعارف العالمية وأدخلوا إليها هذه السموم وقد كانوا أصحاب الأثر الكبير في تزيف (دائرة المعارف الاسلامية) . وكان لهم دورهم في السيطرة على دراسات التاريخ ومقارنات الأديان في مختلف أوروبا وأمريكا حيث بثوا فيها سمومهم وشبهاتهم أزاء الاسلام ورسوله وكتابه وتاريخه ولغته. بل ان الصهيونية العالمية استخدمت منظمات الماسونية والشيوعية والبهائية لنفس الغرض فدخلوا هذه المحافل واستخدموها كما سيطروا على منظمات الليونز والروتارى في العصر الحديث وعن طريقها ينقلون الأخبار والاشاعات ويذيعون الأكاذيب في الأمم التي تقوم بها هذه المنظمات . ويكشف أحد حكماء صهيون : «جوللمان» زيف هذا الواقع المضلل المنهار حين يقول : لست أستطيع أن أتصور أن تنتهى آلاف من سنى العذاب والاضطهاد والمقاومة بدولة صغيرة مثل عشرات الدول الأخرى تعيش في خطر وتعرض للإبادة مما يفرض عليها البقاء في حالة تعبئة وتسليح شبر من أرضها وتركيز جهودها الرئيسية على الوجود المادى . اننى لست متأكداً من أن حماس وولاء الشعب اليهودى خارج اسرائيل سيظل وفياً لهذه الدولة إلى الأبد .. وهكذا تبدو روح التشاؤم واضحة على رأس ثلاثين عاماً من قيام هذا الكيان الزائف ويجمع الحكماء على أن وجود اسرائيل لم يحل القضية ولا يمكن أن يلوم كيان قام على الغضب والظلم والغدر مهما جرت المحاولات لأن يستمر . وسوف تعود الدرة المغتصبة إلى أصحابها إن عاجلاً أو آجلاً .

الباب الثاني

العالم الاسلامى وحركات الوحدة

(١)

الوحدة الاسلامية

ليس من متطلب منهج البحث فى هذه الدراسة التعرض للخلافة ومفهومها الفقهى الاسلامى وإنما نتعرض لها بقدر مكانتها من قضايا الاسلامى المحاضر . والخلافة فى الاصطلاح الفقهى الاسلامى هى الامامة الكبرى وإمارة المسلمين والمقصود بها أصلاً للولاية العامة على شئون المسلمين من دينية ودينية وقد ترك النبي ﷺ للمسلمين الحرية فى اختيار الخليفة فلم يفرض أحداً ، واتفق المسلمون على اختيار أصلح المسلمين من قريش ثم انتقلت الخلافة من مرحلتها الراشدة حتى أصبحت ملكاً عضوداً بتولى الأمويين الحكم ، ثم انتقلت إلى العباسيين ثم تعددت بمراكزها فى مصر والمغرب والأندلس إلى أن سقطت عام ٦٥٦ هـ بسقوط بغداد فى أيدي التتار ثم أعيدت فى القاهرة إلى أن حمل السلاطين العثمانيون لقب الخلافة . منذ القرن الرابع عشر الميلادى الثامن واعترف بهم جمهور المسلمين بعد اتساع الامبراطورية العثمانية ومن خلال الخلافة العثمانية نبعت فكرة الجامعة الاسلامية فى مرحلة حكم السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ - ١٩٠٨) وكان مصلدها الأساسى الدعوة إلى تجمع المسلمين فى جبهة واحدة لمواجهة النفوذ الاستعمارى الغربى الزاحف . وقد لعت هذه الفكرة على لسان جمال الدين الأفغانى الذى جاء مصر ١٨٧١ تقريباً والذى كان قد عاش تجربة مثيرة فى فارس وأفغانستان والهند قبل هذا التاريخ بقليل ، دفعته إلى أن يحمل لواء حركة اليقظة الاسلامية ويقصد بها إلى المجال الحيوى الأوسع لها : إلى استامبول حيث مقر دولة الخلافة وإلى القاهرة حيث الأزهر الشريف وقد آثر البقاء فى القاهرة عندما وجد البيئة الصالحة لفكرته فاستقر بها سبع سنوات . ولم تكن «الجامعة الاسلامية» هى الفكرة الوحيدة التى حملها جمال الدين ولكنها كانت القلب الذى صاغ فيه الايدولوجية الاسلامية التى أراد تحقيقها ، كان جمال الدين يطمع أساساً فى تحرير العالم الاسلامى من أدوائه : الجمود والتخلف والنفوذ الاستعمارى والتفكك وله فى كل هذه القضايا آراء حكيمة واعية ، ومتقدمة

على فكر العصر نفسه ، ولكنه كان يؤمن بأن هذه النهضة المرتقبة لا تتحقق إلا عن طريق عمل سياسى يبدأ من احدى الدول الاسلامية ويحمل لواء الوحدة الاسلامية الجامعة للمسلمين تحت لواء القرآن . ومن الحق أن يقال إن جمال الدين الأفغانى كان هو « المصلح » الذى يمكنه أن يحقق هذا البرنامج وينفذه سياسياً الذى كان يرى أن مصر هى أصح المواقع لقيام هذه الحركة على أساس التقاء فكرى وسياسى جامع أشبه بالالتقاء الذى تحقق بين الامام محمد بن عبد الوهاب وأمير الدرعية من نجد . ولذلك كان أمله معلقاً بالأمر توفيق كخليفة للخديو عباس وقد التقى به كثيراً وتحدث معه ، وكان يرتقب الفرصة لتولية السلطة خلفاً لأبيه ، غير أن توفيق قد عاق عهده وأخلف وعده للأفغانى ولم يلبث أن أخرجه من البلاد متهماً بإياه بأنه رئيس جمعية سرية ثم حددت إقامته أكبر تلاميذه محمد عبده فى قريته وأصاب المدرسة التى كانت تتجمع حوله مصير التمزق والتفريق إلى حين . وكانت آماله معقودة يوماً بشاه فارس ، أو بمهدى السودان ، ولكن آماله لم تتحقق ، فالتجأ أخيراً إلى قبول دعوة كانت دائمة ومتصلة من السلطان عبد الحميد الذى كان قد أخذ فعلاً فى تحقيق هذه الفكرة ووضعها موضع التنفيذ على النحو الذى ارتضاه .

فقد التقط السلطان عبد الحميد فكرة الجامعة الاسلامية عندما وجدها خير سلاح يحارب به النفوذ الاستعمارى الغربى الزاحف على العالم الاسلامى وكان مفهومه أن يتوحد المسلمون تحت لواء الخلافة وإن لم يكونوا أجزاء من الدولة العثمانية وهو بذلك يفتح الطريق لاقامة جبهة مقاومة واسعة تضم مسلمى الهند وايران وأفغانستان وجزائر الملايو وأفريقيا ، وكان شعاره هو « الوحدة الاسلامية » ودعوته إلى مسلمى العالم للتجمع والاتحاد مع الدولة العثمانية فى وجه الخطر الغربى الأوروبى الزاحف وذلك بحسبانها أقوى الوحدات الاسلامية وأقدرها على مقاومة العدو . ومن حق أن يقال إن هذه الحركة هزت دول العالم الغربى وخاصة بريطانيا وفرنسا ، وكلفتها جهداً كبيراً فى سبيل مقاومتها ورميها بكل نقبها واتهام السلطان عبد الحميد والتشكيك فيه ورميه بالجمود والتعصب والاستبداد على نحو لم يوجه لأحد من الزعماء من قبل ولا من بعد ، وقد جعل كرومر حملته على الجامعة الاسلامية فى مصر عملاً أساسياً وضخماً وأتاح لصحيفتى المقطم والجريدة إعلان الحرب العنيفة على هذه على هذه الدعوة ، وأشارت تقاريره المتصلة إليها واستطاع أن يرسم فى سبيل مقاومتها خططاً خطيرة حمل لوائها لطفى السيد وسعد زغلول ، بحسبانها إدعاءاً لتلاميذ جمال الدين الأفغانى

وكان من أقوى الأسلحة التي واجهت بها الدول الأوروبية حركة الجامعة الإسلامية : الدعوة الإقليمية واعلاء شأن الجنسية والوطن والعرق ، وقد استنفذت الحركة جهداً كبيراً واستطاع الكتاب المارون الذين تركزوا في مصر أن يحملوا لواء مقاومة فكرة الجامعة الإسلامية على نحو مؤيد بالنفوذ الأجنبي وكانوا في الحق إنما يحملون على الإسلام نفسه وعلى وحدة المسلمين وقد جرت في سبيل مقاومة فكرة الجامعة الإسلامية مغالطات كثيرة ، كان أبرزها أنها حرب مقدسة يحاول المسلمون القيام بها ضد أوروبا والغرب والمسيحية ، ولم تكن كذلك في الحق حيث لم يكن المسلمون يملكون من الأسلحة ما يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم بل مقاومة أوروبا وغزوها ، فقد جرد الاستعمار الغربي العالم الإسلامي من كل سلاح وقوة حربية ومادية وتسلب على جيوشه وحكوماته ومقدراته فلم يكن ذلك الاتهام معقولاً شكلاً . كذلك جرى الادعاء بأن المحاولة ترمى إلى إنشاء حكومة إسلامية واحدة ، وجرى التشكيك في إمكان قيام مثل هذه الحكومة ، والحق أن دعاة الجامعة الإسلامية سواء أكان جمال الدين الأفغاني مفكراً أم السلطان عبد الحميد حاكماً ومن معهما من النصراء لم يكونوا يهدفون إلى ذلك أو يطلبوه لاستحالته عقلاً وإنما كان تطلعهم يستهدف تقارباً وتوثقاً والتقاءً على مستوى الأحلاف والاتفاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية المعروفة . وعبارة جمال الدين الأفغاني في هذا الصدد واضحة صريحة « لا ألتمس بقولي هذا أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصاً واحداً فإن هذا ربما يكون عسيراً ، ولكنني أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهد له لحفظ الآخرين ما استطاع فإن حياته بحياتهم وبقائه ببقائهم » . وقد استطاعت الدعوة الإقليمية والجنسية والعرقية أن تنمو بسلطان الاستعمار ونفوذه ، حتى تقاوم الجامعة الإسلامية وتكتسحها خلال حياة جمال الدين الأفغاني حتى وفاته ١٨٩٧ خلال السلطان عبد الحميد حتى عزله ١٩٠٩ . ومن الطبيعي أن الأطماع الاستعمارية والأطماع الصهيونية أيضاً تلك التي كانت قد تشكلت معاً في مخطط واحد هي التي كانت تطمح في القضاء على هذه الدعوة .

ولكن هل ماتت خطة الجامعة الإسلامية وانطوت . ذلك ما تستبعده جميع الدلائل والمخططات والدعوات التي ظهرت حتى بعد ذلك ، ولكن يمكن القول إن الاستعمار شغل الوحدات الإسلامية بقضاياها الخاصة ، وأنه حاول دون قيام مخطط للوحدة الإسلامية بالقضاء على نواتها حين قضى على الدولة العثمانية نفسها عام ١٩٠٨ بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى وحين أسقط الاستعمار الخلافة باتفاق سرى ملحق بمعاهدة لوزان التي أقرها مصطفى

كمال حاكم تركيا بعد الحرب العالمية الأولى . وإذا كانت الجامعة الإسلامية قد انطوت في ظل الاحتلال الغربي للوحدات الإسلامية فإن روح الوحدة الإسلامية ظلت قائمة من خلف جميع حركات التحرر واليقظة والمقاومة وأنها كانت تبرز من حين وحين لتؤكد وجودها . أما سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ فقد كان حدثاً بالغ الأهمية بالنسبة للعالم الإسلامي كله وبالنسبة للأمة العربية خاصة بحيث يمكن القول أنه ترك آثاراً بعيدة المدى ظهرت واضحة في حركة الخلافة في الهند، وفي إنشاء جمعيات الشبان والاخوان المسلمين العالمية التي بدأت في القاهرة وحملت في أول نصوص تشكيلها العمل على إعادة الخلافة وهو نص التزمت به مختلف الجمعيات والحركات الإسلامية في العالم الإسلامي كله والتي انبثقت أساساً من حركة الشبان المسلمين . وقد كانت تحديات الصهيونية في فلسطين عاملاً أساسياً في قيام وتشكيل المؤتمرات الإسلامية العالمية المتوالية ، التي واجهت هذه القضية كأول وأخطر قضايا العالم الإسلامي ، ثم كان من قيام دولة باكستان عاملاً هاماً وأساسياً لبروز دعوة الجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية إلى الوجود ١٩٤٧ . وقد توالى انعقاد مؤتمرات إسلامية مختلفة بعد هذا التاريخ ، في الهند والقدس ومكة والقاهرة تكاد تكون كلها متتابعة للخط الواضح ، خط الالتزام بالوحدة الإسلامية ، أما الخلافة الإسلامية فقد اتخذت حكومة أنقرة لإسقاطها مخططاً له مراحل وحاولت أن تنسب إليها كل عوامل التأخر والجمود والضعف التي عاشتها تركيا ، ولم يكن ذلك في الحق إلا تلعلة لإنفاذ هذا الحدث الفصخم ، ولو كان قادة أنقرة يهدفون إلى الإصلاح لاستطاعوا إعادة تصحيح مفهوم الخلافة على النحو الذي يقرره الإسلام والذي كانت الخلافة بعيدة عنه في الواقع ، بعد أن تأثرت بمفاهيم البابوية الكاثولوكية في روما ، وقد عرض عبد العزيز جاويز إلى هذا المعنى في حديث مع مصطفى كمال حين التقى به وتحدث معه حول بقاء الخلافة وزوالها . وقد لمس في حديث مصطفى كمال الإصرار مسبقاً على الإلغاء وإنما كان البحث حول التماس الأسباب لهذا الإلغاء ، ولم يلمس جاويز في كمال أي رغبة في إصلاح نظام قائم قد انحرف عن مفهومه الإسلامي . لقد كان إلغاء الخلافة حلقة أساسية من الحلقات التي جرى بها ضغط النفوذ الأجنبي المادف إلى تمزيق الوحدة الإسلامية والقضاء على الدولة العثمانية الجامعة بين أكبر عنصرى الإسلام : « العرب والترك » وإيقاع الخلاف الدموى بينهما كما حدث تماماً بعد إقصاء عبد الحميد وتولى الاتحاديين للحكم وهدفهم الأساسى هو تصفية الدولة العثمانية تمهيداً لتحقيق أكبر هدف

للاستعمار الغربي في إزالة قوة الإسلام الكبرى كعامل فكري وعامل وحدة من ناحية، وفي إتاحة الفرصة للدول الأوروبية لتقسيم هذا الميراث بينها والسيطرة عليه وبلوغ أقصى ما كانت تحكم به أوروبا منذ بدأت عملية تطويق عالم الإسلام في القرن الخامس عشر بعد سقوط الأندلس وتحقيقاً لهدف مرسوم هو عودة أوروبا إلى العالم الإسلامي مرة أخرى بعد هزيمتها في الحروب الصليبية قبل ذلك (١٢٩١ - ١٩٠٨) بستائة عام ، وهو ما عبر عنه اللورد اللبي حين دخل مدينة القدس وأعلن عبارته المثيرة : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » . لقد كان تمزيق الوحدة التركية العربية مقدمة لإزالة الدولة العثمانية كبرى الوحدات الإسلامية ونقطة التقاء المسلمين حول الخلافة ، وكان هزيمة الدولة العثمانية مقدمة لإلغاء الخلافة . وبذلك ضاعت « نقطة » التقاء المسلمين بحيث أصبح من العسير تحقيق الهدف . إصراراً من النفوذ الأجنبي على الحيلولة دون وجود نقطة بدء جديدة لهذه الوحدة . كان هدف النفوذ الاستعماري إذن منذ أول الأمر هو تمزيق الرابطة بين العرب والترك أساساً للقضاء على نقطة الوحدة ، تحت شعار الخلافة ، وكان رأى غير المتحمسين لدعوة الانفصال هو أن الغرب لن يسمح بعد إسقاط الدولة العثمانية من قيام وحدة جديدة ولو على مستوى الأمة العربية كما كان يتوقع الكثيرون بعد الحرب العالمية الأولى . وقد صدقت النتائج هذا التوقع ، فقد وقع العداء والصراع بين العرب والترك . ولم تكن النتائج لحساب العرب كما يظنون ولا لحساب قيام دولة عربية وإنما لحساب التقسيم والنفوذ الاستعماري ، غير أنه لا بد من إلقاء تبة ذلك على العثمانيين : ليس كل العثمانيين وإنما على الاتحاديين الذين حكموا بعد أن أزالوا السلطان عبد الحميد ١٩٠٨ حتى الحرب العالمية الأولى ، هؤلاء وحدهم وفترة حكمهم هي التي يمكن أن توجه إليها اتهامات : ١- تمزيق الوحدة الإسلامية . ٢ - القضاء على الدولة العثمانية . ٣ - إرغام العرب بمختلف ألوان الظلم على الانفصال عن تركيا . هؤلاء « الاتحاديون » هم ثمرة الدعوة التي كان طابعها في أول الأمر الحرية والدستور والتقدم . والتي بدأت عملها منذ وقت طويل وكانت خصماً عنيداً طوال فترة حكم السلطان عبد الحميد تحت شعارات براقة مغرية : هي شعارات الحكم النيابي والخروج من الجمود والتأخر . نعم أن الدعوة في مضامينها ومنهجها دعوة يقظة ولكن الأيدي التي قادتها والمخطط الذي كان يدفعها ، لم يكن هادفاً إلى خير المسلمين والعرب ، ولم يكن عاملاً على دعم المواجهة أمام الغزو الغربي الاستعماري الزاحف ، بل على العكس من ذلك ، كان أداة هذا الزحف وكانت الحرية والخروج من

الاستبداد إنما تعنى إسقاط السلطان عبد الحميد والخلافة والجامعة الإسلامية جميعاً وجميعها من عوامل المقاومة، ولذلك فإن أى مقارنة بين حكم السلطان عبد الحميد وبين حكم الاتحاديين دعاة الحرية والإخاء والمساواة يكشف مدى الفارق البعيد ويصور كيف تحولت دعوة الحرية في أيديهم إلى تسلط وعنف وطغيان لا حد له وخاصة بالنسبة للعرب شركائهم في الدولة حتى أنهم سمحوا لأنفسهم بتعليق أحرارهم على المشانق . ولقد عمت الفرحة أنحاء المملكة العثمانية بعد سقوط عبد الحميد ودقت طبول البشرى معلنة في مختلف صحفها أن المملكة تخلصت من كابوس الاستبداد الممثل في عبد الحميد ، ولكن ماذا تقول صحف التاريخ بعد ذلك: هل دامت هذه الفرحة كثيراً هل استطاعت أن تقول إن الذين احتفلوا بها كانوا صادقين : الحق أن لا . فقد كشف الاتحاديون عن حقد دفين للوحدة الإسلامية وللعرب ولكل القيم التي قامت عليها حركة المقاومة والتجمع أمام النفوذ الغربى فكان الاتحاديون هم سلاح الغرب والاستعمار وأداته في القضاء على هذه القوة الباقية وتسليم البلاد العربية للاحتلال الفرنسى والإنجليزى وتسليم تركيا إلى نفوذ استعمارى تغربى أشد عنفاً وقسوة ، قاضياً وماحقاً لكل ما هو إسلامى . ولقد انخدعنا طويلاً وراء ما ترويه كتب التاريخ الحديث في هذا الصدد وجرينا وراء العبارات التي حاولت أن تصور الدولة العثمانية في صورة الاستبداد والظلم والتأخر وتركز هذا كله على رجل واحد وعصر واحد هو السلطان عبد الحميد فما أظن أن قائداً في التاريخ كله أمكن أن توجه إليه مثل هذه الاتهامات الزائفة وأن تعيش طويلاً ، فتظل تغذى أجيالاً بعد أجيال دون أن تنكشف حقيقة الأمور التي تختلف كثيراً عما زيفه الكتاب المارونيين واللبنانيين الذين كانوا عملاء النفوذ الأجنبى والذين نفذوا خطة دقيقة رسمتها أيدي وعقول غريبة قادرة على الغزو الفكرى ، تعرف ما وراء الكلمة من قدرة على إقناع الشعوب والأمم على الاعتقاد بوقائع زائفة توضع موضع الحقائق وتسيغ عليها كل عوامل البقاء والاستمرار . فالواقع الذى تشهد به الحقائق التي ما تزال تنكشف بين أيدينا أن السلطان عبد الحميد لم يكن بهذه الصورة التي جرى تصويره بها ، وأنه كان على عكس ذلك تماماً ، وأن دعوته إلى الجامعة الإسلامية التي أحبطت بشيء كثير من المبالغة والتحريف إنما كانت تهدف إلى خلق رأى عام إسلامى ينضم مع الدولة العثمانية في مواجهة النفوذ الاستعمارى الزاحف ، وأن هذه الدعوة التي حمل لوائها : دعوة الجامعة الإسلامية

قد هزت الدول الاستعمارية من الأعماق ودفعتها في حقد وعصبية إلى كبل الضربات العنيفة لهذا القائد في أكبر بقعة يمكن أن يصل منها الرأي المضلل ويتسع ، ومن قلب القاهرة حيث صحف المقطم والحلال والمقنطف والجامعة والمجلة المصرية وعشرات من المجلات إلى أطراف العالم الإسلامي كله . لم تكن هذه الحملة في الحق على السلطان عبد الحميد إلا ثمناً لكلمة حق ، عندما وقف في إصرار دون محاولة تمزيق الدولة العثمانية وحال دون تمكين الصهيونية من فلسطين ، ورفع راية الجامعة الإسلامية في وجه الغرب الزاحف . ومن هنا كانت الحملة باسم العروبة لا تستهدف للعرب خيراً بل تستهدف تمزيق الوحدة والقضاء على البلاد العربية كما وقع من بعد الحرب العالمية الأولى ، وكانت الدعوة إلى الحرية لا تستهدف تحقيق مساواة أو عدالة بقدر ما كانت تستهدف إسقاط عبد الحميد بحسبانه صاحب اللوائ المنسوب في وجه التقسيم والسيطرة الأجنبية وإلا فأيّن الحرية التي تحققت بعد عبد الحميد في عهد الاتحاديين ، أو العروبة التي تحققت بعد انفصال العرب عن الدولة العثمانية وأن ما وقع بعد الحرب الأولى . إنما كان انتقالاً إلى السيطرة الغربية الكاملة . كانت الشعارات والدعوات وسائل لخداع الشعوب وتمزيق الأواصر والقضاء على القوى الموحدة حتى إذا تمزق المسلمون لم يعد في الإمكان تجميعهم ، لا في وحدات عربية ولا في وحدات من أي نوع كان . ولقد استغل هؤلاء الدعاة كل كلمة صادقة وحرّة ، وذهبوا بها إلى أبعد مدى واستخدموها أكثر مما كانت تقصد أو تحمل كما حدث بالنسبة لآراء عبد الرحمن الكواكبي . ولذلك فإن الدعوة إلى العروبة واللغة العربية التي بدأت تحت ظلال المؤسسات التبشيرية والإرساليات ما كان يمكن أن تكون صادقة أساساً وهادفة إلى مصلحة العرب وإنما كانت في الحق سلاحاً ضد وحدة العنصرين وضد جدار الدولة العثمانية الجامعة بين العرب والأتراك باسم الإسلام ، وكذلك الدعوة إلى الحكم العادل والتخلص من نفوذ الفرد ما كان يقصد بها إلا التخلص من السلطان عبد الحميد المتهم بأنّه مستبد وديكتاتور ، وإلا فأيّن أثر هذين الدعوتين بعد سقوط عبد الحميد وتمزق الدولة العثمانية ، لقد تحول دعاة العروبة في الإرساليات إلى إعلاء لغاتهم الأساسية وأغضوا نهائياً عن اللغة العربية وذاقت الدولة التي دعا الاتحاديون فيها إلى الحرية والدستور والتخلص من الاستعداد ، أسوأ مظالم الاستبداد في عهد الاتحاديين وفي عهد مصطفى كمال . لقد كان عبد الحميد الثاني هو آخر الحصون التي دافع بها الإسلام عن وجوده وكان إسقاطه هو آخر حلقة في حلقات المقاومة للسيطرة الغربية الكاملة على العالم

الإسلامي : سقوط الدولة العثمانية الجامعة بين الترك والعرب ١٩٠٨ وإلغاء الخلافة الإسلامية ١٩٢٤ وقد كشفت وثائق الصهيونية كيف حاول هرتزل ودعاة الصهيونية بعد عقد مؤتمرهم الأول في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ الالتقاء بالسلطان واغرائه لفتح الطريق إلى فلسطين وقد كانت أولى المحاولات هي محاولة هرتزل (١٩٠٠ - ١٩٠١) وكان رئيساً لتحرير جريدة نيوفري في فينا الذي تقدم بعرض مفاده أن يتعهد الصهيونيون بدفع الدين العثماني البالغ ٢٢ مليون ليرة انجليزية « وبناء أسطول كامل للدفاع عن أراضي الدولة العلية وعقد قرض بمبلغ مائة مليون فرنك تصرف في سبيل التسليح العام وذلك نظير نزول اليهود المضطهدين في العالم بفلسطين ، وقد سجل هرتزل في مذكراته رد السلطان عليه حيث قال : « بلغوا الدكتور هرتزل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة في هذا الأمر (التوطن بفلسطين) فإنني لست مستعداً لأن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد ليذهب إلى الغير فالبلاد ليست ملكي بل هي ملك شعبي الذي روي ترابه بدمائه وليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب . وفي المحاولة الثانية تقدم ثلاثة من اليهود (مزارحي ، جال ، ليون) إلى السلطان عام ١٩٠٢ بعرض ضخّم مغر ، يتضمن (١) الوفاء بجميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية (٢) بناء أسطول لحماية ثغور الامبراطورية العثمانية (٣) تقديم قرض بخمسة وعشرين مليون ليرة ذهبية دون فائدة لإنعاش مالية الدولة . وذلك مقابل (١) إباحة دخول اليهود إلى فلسطين للزيارة (٢) السماح لليهود بإقامة مستعمرة ينزل بها أبناء جلدتهم قرب القدس الشريف . وقد رفض السلطان عبد الحميد هذا العرض في إصرار عجيب . غير أن جمعية الاتحاد والترقي التي تأسست باسم الحرية والتقدم ثم لم تلبث عناصر الدوغة المقيمة في سالونيك بالاشتراك مع المحافل الماسونية التي تستهدف إقامة عرش سليمان - أن سيطرت عليها ووجهتها وجهة خدمة أهداف الصهيونية الماسونية اليهودية - هذه الجماعة هي التي سمحت لليهود باستيطان فلسطين وليس السلطان عبد الحميد . وقد أكد الباحثون المثقفون أن جمعية الاتحاد والترقي كانت القناع الخارجي الذي تقنعت به جماعة الدوغة المتظاهرين بالإسلام من يهود أسبانيا الذين اتخذوا من مدينة سالونيك مقاماً لهم بعد فرارهم من محاكم التفتيش التي نصبها الأسبانيون لمخالفاتهم في العقيدة سواء من المسلمين أم اليهود. ولما كان السلطان عبد الحميد قد تفادى مؤتمرات النفوذ الاستعماري بإعلان المشروطية ١٩٠٨ فإن ذلك قد دفع الصهيونيون والنفوذ الاستعماري معاً خطوة إلى الأمام للتآمر لإسقاطه ، وقد تحقق ذلك بالخطّة التي نفذوها باسم حركة الارتجاع قاصدين

من ذلك إخراج السلطان ودفع الاتحاديين إلى الثورة عليه والتخلص منه نهائياً تمهيداً للتخلص من الإسلام نفسه فيما بعد . وقد حققت هذه الحركة نتائجها فقام الجيش بحركته لعزل عبد الحميد وكان أحد المتقدمين إلى السلطان عبد الحميد بطلب التنازل « مزراحى أفندى قراصوه » أحد الذين تقدموا عام ١٩٠١ بطلبات الصهيونية ، وكان هذا الموقف خاتمة للموقف الأول ونتيجة له . ومن حق أن يقال أن كان لليهود محاولة سابقة لمحاولة هرتزل . وقد سجلت مجلة الشرق الكاثولوكية في مجلدها الثانى ١٨٩٩ ص ١٠٩٤ موقف الصهيونية من الدولة العثمانية فقالت : « لما كان اللورد غوش الإسرائيلى سفيراً بالاستانة عرض على الحكومة السنية أن يجعل تلك النواحي (مافاد ومؤداب من عبر الأردن) التى مساحتها نحو سئائة ألف هكتار مستعمرة لليهود ، تحت نظارة الباب العالى ، يسوسونها كما يشاءون بشرط أن يدفعوا لمولانا السلطان مبلغاً من الدراهم لا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات ، غير أن الدولة السنية لم تلب دعاء غوش وأغنياء اليهود فذهب ما لم أدرج الرياح وكانت غايتهم أن يمهّدوا لأبناء جلدتهم إنشاء مملكة مستقلة بالأراضى المقدسة كما كانت قبل المسيح » . ا . ه . والمعروف أنه بعد أن تولى الاتحاديون السلطة لم تفتح أبواب فلسطين وحدها أمام تدفق اليهود بل أتيحت لهم الفرصة للسيطرة على الدولة كلها وذلك بحسبان أن الدستور العثمانى - قد أعطى جميع الطوائف حق المساواة ، وكان اليهود فى مقدمة هذه الطوائف وأذكاهما وأقدرها على العمل فقد قفزوا إلى الوظائف العالية فى الدولة ، وكان إعلان الدستور فى تركيا بالنسبة لليهود شبيه بآثر الثورة الفرنسية بالنسبة لهم فى أوروبا . فقد أخذت سيطرتهم تظهر على المراكز التوجيهية العام ومن ثم بدأوا عملهم فى الوقعة والدرس بين العرب والترك وبين الأتراك وسائر الشعوب المسيحية فى المملكة العثمانية ، وقد أشارت إلى ذلك مجلة الشرق الكاثولوكية أيضاً حين قالت : « لم يمض وقت طويل (على صدور الدستور العثمانى) حتى يتبين أن مديرى دفعة جمعية تركيا الفتاة هم يهود . وإنهم أخذوا السلطة بواسطة أعوانهم يثيرون كوامن البغضاء بين الأتراك المسلمين وبين سائر الشعوب المسيحية فى المملكة العثمانية ومما يؤكد هذه الحقيقة أن جريدة التيمس الإنكليزية إحدى الجرائد المشهورة بمعالقاتها ، رأت أن تذكر بالدور الذى لعبه فى تهيج النصارى ضد الإسلام . » وجملة القول أن الاتحاديين هم الذين سلموا فلسطين لليهود والدولة العثمانية للنفوذ الأجنبى وكانوا العامل الأساسى الفعال خلال فترة ثمانية سنوات (١٩٠٨ - ١٩١٦) على تمزيق هذه العروة العربية التركية مستعدين بذلك

لإسقاط الخلافة وأن مصطفى كمال يعتبر امتداداً أشد وأعنف للاتحاديين ومفاهيمهم وأنه هو ثمرة الحركة الاتحادية كما كان نابليون ثمرة الثورة الفرنسية . ومن حق أن يصحح اليوم هذا التاريخ وأن تجلى هذه الشبهات التي أحيط بها قائد مسلم ظل يقاوم النفوذ الأجنبي الزاحف بقوة خلال أربعين عاماً في بسالة لا تبارى ، وأن يكشف عن زيف الاتهامات التي وجهت عليه من أمثال قولهم أنه كان يلقي في البسفور الآلاف من الأحرار ، فقد ثبت أن ذلك لم يقع أصلاً ، وأن إنساناً واحداً لم يسقط في البسفور وإذا كان دعاة هذا القول صادقين فإن عليهم أن يذكروا اسماً واحداً . ويرجع الأستاذ المحقق سعيد الأفغاني تاريخ إنشاء جمعية الاتحاد والترقي إلى نفس العام الذي تمت فيه المقابلة بين هرتزل والسلطان عبد الحميد من جماعة يهود سالونيك على نخط المحافل الماسونية اليهودية الأصل ومن خلال هذا المخطط المشترك بين النفوذ الاستعماري الزاحف ومطامع الصهيونية ، رسمت خطط الدعوات المتطرفة إلى العنصرية الطورانية وإذكاء العداء بين عناصر المملكة العثمانية من عرب وأكراد وأرمن وشركس وأرثوذكس ، وكان رد الفعل أن اعتنقت هذه الشعوب نفس الدعوة العنصرية ، وكان هذا أخطر تأمر صهيوني غربي في وجه دعوة الجامعة الإسلامية والوحدة العربية التركية الممثلة في كيان موحد للمسلمين في مواجهة الغزو هو المملكة العثمانية . وبذلك فقد كان خلع السلطان عبد الحميد خطوة أساسية نحو تحقيق المخطط الذي تم يعد الحرب العالمية الثانية في ثلاث مراحل : ١ - وعد بلفور وتسليم فلسطين للصهيونية . ٢ - تقسيم العالم العربي بين دول الاستعمار ٣ - تسليم تركيا لأبشع حركة تغريب وتدمير للقيم الإسلامية . ومن حق أن يوجه الاتهام ، كل الاتهام ، حول فصح أواصر أقوى رابطة من العالم الإسلامي بين الأتراك والعرب ، إلى الاتحاديين الذين ما أن تولوا الحكم ١٩٠٩ حتى عمدوا إلى إعلان الجامعة الطورانية وتثريك العرب واضطهاد العناصر التي تضمها الدولة . ويروى سعيد الأفغاني أن الزعماء العرب الذين نددوا بالصهيونية وأحاييلها في اقتطاع فلسطين قد قتلهم الاتحاديون ومن بينهم شكري العسلي وعبد الوهاب الإنجليزى . بل أن هناك ما يثبت كيف أن اليهود وقوى النفوذ الأجنبي الزاحف قد دفعوا الاتحاديين إلى خوض الحرب بجوار ألمانيا بينما كان اليهود في جانب انكلترا وفرنسا يولون الحرب ، وكانت النتيجة أن تمزقت تركيا وأعلن وعد بلفور ولم يكن بين هذا وبين خلع السلطان عبد الحميد إلا تسع سنوات .

(٢)

الجامعة الإسلامية

قال بعض الباحثين في دعوة جمال الدين إلى الخلافة الإسلامية Pan Islamism بأن أساس الفكرة عنده « سياسى لا دينى » وهذا مما يخلط به الكثيرون ممن لا يفهمون أن الإسلام نظام متكامل « دينى وسياسى واجتماعى واقتصادى وقانونى » معاً . وأن مفهومها أساساً إنما هو تجمع المسلمين في جهة واحدة لمواجهة النفوذ الاستعماري الزاحف ، وقد انتقلت الفكرة إلى حيز التطبيق حين حمل لواءها السلطان عبد الحميد ، خلال أغلب فترة حكمه ، حتى عام ١٩٠٨ حين تولى الاتحاديون الحكم حيث توقف مجرى الدعوة للجامعة الإسلامية وغلب عليه الصراع بين العرب والترك . ومن حق أن نقول إن مختلف الدعوات التي ظهرت منذ فجر اليقظة الإسلامية العربية كانت تجعل الجامعة الإسلامية هدفاً من أهدافها على نحو من الأنحاء ، وكان ذلك ظاهراً منذ حركة التوحيد الوهابية ، وحركى السنوسى والمهدى ، ثم حركة جمال الدين ، وكذلك كانت بالنسبة للحركات الإسلامية التي ظهرت في الهند والمغرب وإندونيسيا . غير أن حركة السلطان عبد الحميد تختلف عن هذه الدعوات كلها على أساس أن حامل لواءها كان في سدة الحكم وكانت قدرته على العمل أكبر ، وقد استطاع فعلاً أن يقرب إلى هدفه الوحدات الإسلامية المختلفة خارج الدولة العثمانية فأصبح قبله آمال العالم الإسلامى . وسرعان ما استطاع النفوذ الاستعماري تدمير هذا الاتجاه والقضاء عليه وذلك بإثارة الحملة الضارية على السلطان عبد الحميد ، والدولة العثمانية ، وخلق دعوات الاقليمية والوطنية الضيقة وتغذيتها بشعارات وقوى وفلسفات واستعان في ذلك بنقل صورة الحركات الأوروبية القومية التي قاومت الكنيسة البابوية وانفصلت عنها وحاول أن يعقد وجهاً للمقاومة وبين دولة الخلافة . وكان كرومر في مصر أقوى خصوم الجامعة الإسلامية ، وقد حمل عليها حملة عاصفة ، وسرعان ما حمل حزب الأمة بقيادة لطفى السيد لواء الدعوة إلى الاقليمية الضيقة « مصر للمصريين » مشفوعة بالخصومة العنيفة للإسلام فكراً وجغرافياً وتاريخياً . وفي تركيا استطاع الاتحاديون أن يثيروا دعوة الطررانية ويضعونها موضع التنفيذ لتمزيق وحدة العرب والترك داخل الدولة العثمانية . ومن ثم فقد توقفت حركة الجامعة الإسلامية عن الحركة ، بعد الاحتلال البريطانى في مصر سنة ١٨٨٢ حيث أصبحت القاهرة مقر الدعوة المعارضة برفع شعار العروبة أو شعار المصرية ، وكان الدعاة لهما هم كتاب الصحف المارونيين ، وأصحاب المقطم ولطفى السيد في الجريدة . وفي سنة ١٩٠٧ قدم إلى القاهرة زعيم من مسلمي

القوقاز يحمل لواء الدعوة إلى مؤتمر إسلامي عام يضم جميع أمم العالم الإسلامي على اختلاف أجناسهم لمواجهة الأحداث ومحاولة الاتفاق على خطة موحدة ، واستطاع « اسماعيل عصبرنسكي » أن يقنع مجموعة من أعلام الفكر الإسلامي في مصر في مقدمتهم : البكرى ، شاكر ، بخيت ، العدوى ، والى ، أحمد تيمور ، الملباوى ، أحمد زكى ، محمد فريد ، رفيق العظم ، طلعت حرب ، حافظ عوض ، على يوسف ، رشيد رضا . وقد أراد « عصبرنسكي » أن يتفادى خصومة أوروبا وانزعاجها من الجامعة الإسلامية فحدد هدفه بأنه بحث الشؤون الإسلامية على غير الصورة التي يتشائم منها الأوروبيون (بانسلانيزم) وقال : « أما غرضي البحث عن أسباب انحطاط الأمة الإسلامية وفتح أبواب النجاح في الأمور الاقتصادية والاجتماعية واختيار السبل القويمة التي تصل بنا إلى أن نأخذ نصيباً من المدنية الغربية الحاضرة ، وقال إن مؤتمره « لا يتطرق قط إلى البحث في الأمور السياسية » وقال أن هناك تهمة ألقيت على عاتق الإسلام وهو براء منها وهي أنه (أى الإسلام) « علة الانحطاط » ومدعاة التأخر ولكن التاريخ يكذب هذه القرية ويدحضها ، وقال إن هذه القضية : قضية دراسة أسباب انحطاط الأمة الإسلامية لا تيسر تيسراً كاملاً لفرد أو فردين فلا مندوحة من عقد مؤتمر إسلامي عام .

٣- وفي نفس هذه الظروف صدر كتاب « المستقبل للإسلام » للسيد توفيق البكرى الذي تناول أثر الصوفية في بناء « الجامعة الإسلامية » . وقد أشار البكرى إلى الجامعة الإسلامية في مؤتمر عصبرنسكي فقال : « الجامعة الإسلامية قسمان دينية وجامعية ، أما السياسة فهي التي يعنينا الأفرنج بلفظ « بانسلانيزم » . أما الجامعة الدينية فهي موجودة لوجود روابطها وهي العقيدة الإسلامية أولاً وآخرها الإسلام » . أما الجامعة الإسلامية فهي غير موجودة ولم توجد ولن توجد كما يتوهمون لعدم وجود الرابطة في كل أمر سياسي ، فإذا أوجد المسلمون جامعة إسلامية ، أوجد الأوروبيون أزماءها جامعة مسيحية أو جامعة سياسية وثنية ، فكون المضررة عليهم جراء ذلك أكثر من المنفعة » وكان البكرى يجري في هذا القول في ركاب الاستعمار . غير أن الأحداث لم تلبث أن فرضت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية مرة أخرى حين اعتدت إيطاليا على طرابلس المغرب ١٩١١ وبرزت الدول الإسلامية متحدة في مواجهة العدوان وكانت مصر في المقدمة مما احتفظ لورد كرومر فشن خادماً أفكاره لطفى السيد حملة عاصفة على مؤازرة العرب والمسلمين على مجاهدى طرابلس وقد شهدت معارك طرابلس مجاهدين من تونس والجزائر والمغرب ومصر والسودان والشام والترك وأفغان على اختلاف

أحباسهم وجمع أهالي مصر ١٥٠ ألف جنيه ذهباً في يوم واحد تبرعاً لها . ثم كانت الحرب العالمية الأولى عاملاً هاماً في عودة الحديث عن الجامعة الإسلامية فقد اهتمت أجزاء العالم الاسلامي المختلفة للغزو الأوربي للدولة العثمانية بعد انتصار الحلفاء وهزيمة ألمانيا وحليفاتها تركيا . وقد كان موقف المسلمين في مختلف أنحاء العالم موقفاً موحداً إزاء دولة الخلافة ، وقد بعثوا بالمتطوعين والأموال إلى القائمين بالحركة الوطنية وكان يمكن أن يصبح الأمر أبعد أثراً لو لم تكن مصر محتلة بانجلترا وطرابلس بايطاليا وإيران بروسيا والهند ببريطانيا ، وقد اعترفت الحكومة البريطانية بمدى الأثر البعيد لهزيمة تركيا في البلاد الاسلامية من المغرب إلى الهند . وكان أقوى رد فعل لذلك في الهند الاسلامية ، فقد تجمع المسلمون في وجه بريطانيا المحتلة في حركة عنيفة وألفوا حزب الخلافة وتدافعوا إلى مساعدة الدولة العثمانية وكان موقف العالم الاسلامي غايه في المعارضة الصريحة الواضحة لموقف حكومة أنقره من إلغاء الخلافة الزمنية نهائياً . ثم شغل العالم الاسلامي تماماً بقضايا الوطنيه ، وبأمر احتلاله بعد الحرب العالمية الأولى على نحو لم يكن يسمح له البحث في قضية الجامعة الاسلامية أو الوحدة . غير أن العواطف المشبوبة والالتقاء الروحي والفكري كان قائماً بين المسلمين أساساً ومتمثلاً في روابط الجماعات الاسلامية كالشباب المسلمين الاخون وبعض الطرق الصوفية ، وتأكدت أكبر صورة كل عام في موسم الحج . وقد كان المسلمون يرون أن هذه السدود والقيود التي وضعت بين الوحدات المختلفة ، والأنظمة التي أقامها الاستعمار لعزل المسلمين ، إنما هي قيود مادية وسدود شكلية محضة ، لن تستطيع أن تقضي على وحدة الفكر والروح الإسلاميين ، وكانوا دائماً يؤمنون بأنه سيأتي اليوم الذي يتحقق فيه لقاء جامع ، ولقد أثبتت الأحداث عمق التجارب الواضح بين مختلف أجزاء العالم الاسلامي ، وأبان ثوراته المختلفة ، ومعاركه مع الاستعمار . وكان كرومر هو أول من الب أوروبا والعالم الغربي على الجامعة الإسلامية فقد كان الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ وقدوم كمررو إلى مصر ١٨٨٣ واستمراره مثلاً لبريطانيا وحاكماً فعلياً حتى عام ١٩٠٧ تقريباً عاملاً هاماً في رسم هذه السياسة ، فقد بثت انجلترا وفرنسا الدعوة في أرجاء أوروبا للفرع من الجامعة الإسلامية واستبشاعها ، ورسمت مختلف الخطط لمقاومتها وفي مقدمتها التبشير ودعوات الأقليمية الضيقة ومحاربة اللغة العربية وغيرها ، وقد حرص كرومر على أن يتحدث في تقاريره السنوية عن الجامعة الإسلامية ببغض شديد وفي نفس الوقت نشرت الأهرام تصريحات مثيرة لوزير فرنسي

هو «هانوتو» هاجم فيها الجامعة الإسلامية . وكانت مهاجمة الجامعة الإسلامية تستتبع بالتالى مهاجمة الدولة العثمانية بحسبان أنها عقدة التقاء المسلمين خارج الدولة ودانيتها ، وكانت هذه العقدة هى الهدف المحدد الذى ترمى بريطانيا وفرنسا وروسيا إلى قطعها حتى تتفرق الوحدة التى تجمع من حول الدول الإسلامية لتواجه النفوذ الاستعمارى الزاحف الذى قد رسم مخططة على أساس التهام هذه الوحدات مفرقة والحيلولة دون التقائها مرة أخرى فى أى نوع من الوحدة ليستديم سيطرته عليها . ولم يكن كثير من زعماء العالم الإسلامى ومفكره يصرون على الاستمسك بالجامعة الإسلامية إلا من أجل هدف واحد هو بقاء جبهة المقاومة فى مواجهة النفوذ الاستعمارى ولم يكن ذلك يعنى تبعية من أى نوع وقد كان ذلك رأى كبار المستنيرين فى هذه الفترة ، جمال الدين الأفغانى الذى قصد إلى الدولة العثمانية أخيراً وقبل بالعمل معها لدعم الجامعة الإسلامية وقدم إلى عبد الحميد مشروع الخديويات ، كمقدمة لانضمام الدول الإسلامية خارج الدولة العثمانية إلى الوحدة الإسلامية باسم الخلافة . والشيخ محمد عبده الذى عرف عنه قوله ١٨٨٦ «إن المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله فانها وحدها الحافظة لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته ، وليس للدين سلطان فى سواها . وموقف مصطفى كامل والحزب الوطنى واضح ومعروف فى الإيمان بالجامعة الإسلامية ، والعمل على تأكيد بقاء الدولة العثمانية كقوة مواجهة للغزو الاستعمارى الغربى وقد هاجم كرومر بعد خروجه من مصر مشروع الجامعة الإسلامية وأشار إلى تمسك المصريين بعقيدتهم الإسلامية المتغلبة على الوطنية ، منهاها الاقليمى التى تؤمن بالوحدة الكاملة بين المسلمين فى سائر أقطار الأرض . وقد واجهت حملته تلك هجوماً عنيفاً من مختلف المفكرين والكتاب ، الذين تسجل آثارهم وكتاباتهم المختلفة الإيمان بالوحدة بين المسلمين وكذلك رد الشيخ محمد عبده على الاتهامات الماثلة التى وجهها هانوتو للجامعة الإسلامية . وفى مواجهة هذه الدعوة أجج النفوذ الاستعمارى عشرات الدعوات . منها فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية ، وذلك حتى لا يصبح الخليفة جامعاً بين رئاسته الإسلامية وبين منصبه السياسى كحاكم وضربت الأمثلة بالبابا الكاثولىكى وكان ذلك بالقطع مخالفاً لمفهوم الاسلام الجامع بين السلطة الدينية والسلطة المدنية معاً فى المجتمع وفى يد خليفة المسلمين . كما برزت دعوة إلى الخلافة العربية أو الولاية الدينية على شئون المسلمين العرب وجرت حملات عنيفة على السلطان عبد الحميد بالذات بعد الحملة على الجامعة الإسلامية والخلافة

ورميه بالتهم المختلفة وإثارة الشبهات حوله . وقد ثبت اليوم وبعد مرور أكثر من ستين عاماً أن كل هذه الشبهات كان مبالغاً فيها وأن أغلبها كان ملفقاً ولا أساس له . وقد تأثر الكواكبي بالنظرية الغربية المسيحية في البابوية وحاول تطبيقها في مجال الجامعة الإسلامية والخلافة وقد عرض كرومر للجامعة الإسلامية في كثير من تقاريره وآرائه ومجمل رأيه فيها هو ما أورده في تقرير عام ١٩٠٦ حيث قال : « المقصود من الجامعة الإسلامية بوجه الاجتماع اجتماع المسلمين في العالم كله على تحدى قوات الدول (الأوربية) المسيحية ومقاومتها فإذا نظر إليها من هذا الوجه وجب على كل الأمم الأوربية التي لها مصالح سياسية في الشرق أن تراقب هذه الحركة مراقبة دقيقة لأنها يمكن أن تؤدي إلى حوادث متفرقة فتضرم فيها نيران التعصب الديني في جهات مختلفة من العالم » . ثم أشار إلى أن للجامعة الإسلامية معان كثيرة منها الخضوع للسلطان العثماني (أى الخليفة) وترويج مقاصده . ثم أشار إلى أن من أهم أهداف الجامعة الإسلامية ما يلي : - « السعى في إصلاح أمر الإسلام على النهج الاسلامي ، وبعبارة أخرى السعى في القرن العشرين لاعادة مبادئ وضعت منذ ألف سنة هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة ، وقال إن عيب هذه المبادئ والسنن والشرائع هي المناقضة لآراء أهل العصر في علاقة الرجال والنساء وأهم من ذلك وهو إفراغ القوانين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقبل تعقيداً ولا تحويراً وهذا ما أوقف تقدم البلدان التي دان أهلها بالاسلام » . هذه هي الصورة التي حاول كرومر أن يرسمها لمفهوم الجامعة الإسلامية وحاول بها الحملة على الإسلام ومهاجمته في صميم عقائده ومقاصده من ناحية وتأليب الغرب على المسلمين الذين تدفعهم مقاومتهم للتنفوذ الغربي الزاحف إذ ذاك على التجمع وتوحيد خططهم في جبهة موجودة فعلا هي الدولة العثمانية حتى لا تحترق هذه الوجهة ، مهما كان من أمر ضعف هذه الجبهة ، وقد أعلن كرومر في نفس الوقت استحالة سماح أوروبا باتفاق المسلمين حين قال « أئني لأثق بقوة أوروبا واقتدارها الاقتضاء على تلافى هذه الحركة من الجهة المادية » . وقد أشار السيد رشيد رضا إلى هذه الآراء وعلل هدفها حين قال : إن السبب الأول لكون الدولة البريطانية هي الخصم الأشد الأقوى من خصوم الخلافة الإسلامية هي أنها تحس أن بها تتجدد حياة الإسلام وتنحصر فكرة الجامعة الإسلامية ليحول ذلك دون استعبادها للشرق كله » . كما أورد رشيد رضا في رده على كرومر - وقد رد عليه كثيرون في مقدمتهم فريد وجدى ومصطفى الغلايينى وعلى يوسف (تراجع الصحف عام ١٩٠٧) -

فقال إن جمال الدين ومحمد عبده هما في مقدمة الداعين إلى الجامعة الإسلامية وأن جمال الدين قد أعلن أنه لا يهدف من دعوته أن يكون للمسلمين إمام واحد فإن هذا ربما كان متعذراً وإنما عني أن يكون إمامهم القرآن وأشار رشيد رضا إلى أنه يسير على نفس الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ويفهمها على هذا النحو « أن الأساس الذي يجب أن يبنى عليه حال المسلمين هو تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف ». وقال إن الدعوة الإسلامية تنحصر في ترك البدع والجمع بين الدين وبين العلم والمدنية وقد أحس الأتريون بخطر دعوة الجامعة الإسلامية فحاربوها بكل قوتهم ، بصحفهم ومؤتمراتهم ، لما تبين لهم قوتها وخطرها إذا تحققت ولذلك فقد اتخذوا ، لذلك عدة أعمال أساسية : ١- تمحيق الدعوات الأقليمية والخاصة بالوطنية والأرض والأمة والعرق .

٢- خلق جو فكري عام لمحاربة الوحدة الإسلامية وتصفيته . وكان ذلك من الأعمال التي ركزت عليها مؤتمرات المبشرين وفي مقدمتها (مؤتمر سبتمبر ١٩١١) الذي كان من أهم موضوعاته : الجامعة الإسلامية وكيفية مقاومتها فقد أشار زويمر إلى هذا الأمر الخطير في نظرم وقال : إن الإسلام تمخض في السنوات الخمس الأخيرة عن حوادث خارقة لم يسبق لها نظير : ١- الانقلاب الفارسي . ٢- الانقلاب العثماني . ٣- امتداد خطوط السكة الحديد . ٤- تأسست في الهند مجالس ثورية . ٥- دخلت الأمور الإسلامية في قالب بلائم العصر . ٦- انتشر الإسلام في أفريقيا والهند الغربية والجزائر الجنوبية ، وكل هذا يحتم على المبشرين أن يعملوا بحزم وجد ، وقال . إن بقطة العالم الإسلامي ليست شيئاً اخترعه المبشرون بين ضفتي النيل وشرق أفريقيا وبلاد النيجر والكونغو ، ثم لخص المؤثر الموقف بأن الإسلام متمحض الآن عن ثلاث حركات اصلاحية : ١- اصلاح الطرق الصوفية . ٢- تقريب الأفكار من الجامعة الإسلامية . ٣- إفراغ العقائد والتقاليد القديمة في قالب له بريق . وكان تركيز الاستعمار والنفوذ الغربي على العصبية الجنسية هو عمله الأكبر في سبيل القضاء على الجامعة الإسلامية . ولكن جميع الدعوات القومية والوطنية التي ظهرت إنما كانت دعوات مؤقتة تهدف إلى تحرير الأوطان أولاً ، ثم تجمعها في وحدات قوامها الأمة واللغة ، كمقدمة لوحدة فكرية أكبر هي الوحدة الإسلامية ، وليست دعوة الوحدة العربية أساساً في جوهرها (وبعيداً عن كل ما حرفت إليه أو أدخل إليها من مفاهيم القوميات الغربية) إلا نواه الجامعة الإسلامية فقد كان المسلمون ولا زالوا يؤمنون بأنه إذا ذل العرب ذل الإسلام فلا بد أن

يتحرر العرب أولاً ويأخذوا بمقادة الأمور ، بحسبان أنهم أصحاب اللغة وحماة الكعبة ويحسبان أنهم مركز القيادة الفكرية الاسلامية أساساً ، ولن يستطيع المسلمون إقامة وحدة أو جامعة إلا إذا تحرر العرب أساساً . وقد كتب المستر بلانت في هذا المجال كتابه المشهور (مستقبل الاسلام) الذي تحدث فيه عن الخلافة الاسلامية وقال أن مكانها يجب أن يكون في مكة وأن الخليفة في المستقبل يجب أن يكون رئيساً دينياً لا ملكاً دنيوياً ، وقد مهد لدعوته هذه بشرع عربي جميل حين قال : لا تقنطوا فالدر ينثر عقده ليعود أحسن في النظام وأجمل أي أنه يطعن المسلمين إلى أن ولاية بريطانيا للعالم الاسلامي بديلاً عن السلطنة العثمانية لن تضر المسلمين ولن تنزعهم بل ستعود بنتائج هي خير مما هو موجود الآن وقد هاجم «مصطفى كامل» هذه الدعوة التي كانت تحاول أن تمهد للخطوات التالية لها في محاولة خلق رأى عام لتقبلها فقال : «لقد رأيت انكلترا أن بقاء السلطة العثمانية يكون عقبة في طريقها ومنشأ للمشاكل والعقبات في سبيل امتلاكها مصر ، وأن خير وسيلة تضمن لها البقاء في مصر ووضع يدها على وادي النيل هو هدم السلطة العثمانية ونقل الخلافة الاسلامية إلى أيدي رجل يكون تحت وصاية الانجليز وبمناخ آلة في أيديهم لذلك أخرج ساسة بريطانيا مشروع الخلافة العربية مؤملين استمالة العرب وقيامهم بالعصيان في وجه الدولة العلية » . وقد جعلت جريدة المقطم (فارس نمر) لسان كرومر وجريدة (الطلي السبد) لسان حزب الأمة ، من أهم أهدافها الدائمة مهاجمة الجامعة الاسلامية . وقالت المقطم إن الدعوة إلى الجامعة الاسلامية مصدرها الجهل بسنن الرقي الطبيعي ، وإن ذلك يهدد الدول الأوروبية ، وكانت دائماً ترددقوها : نحن ضعفاء والأعداء محيطون بنا من كل جانب كما شاركت الأهرام لسان حال الفرنسيين هذه الدعوى وقالت إن الدعوة إلى تحقيق الجامعة الاسلامية مضر بالدولة وبالمسلمين ثم تصل إلى الغاية حين تقول . «تأييد الجامعة الاسلامية في ظل الخلافة العثمانية سياسياً ودينياً أمر مستحيل لا يتسنى الحصول عليه إلا بالحرب وأين لنا أن نقاوم أوروبا بأسرها » وقد كان الرد على خصوم الجامعة الاسلامية في ذلك الوقت يجري على أساس عن الكشف الاخطار التي تهدد المسلمين والتعرف على ما يقاسيه إخوانهم في جاوه . من مظالم الهولنديين والهنود من مظالم جمهورية الترنسفال وما يقاسيه المسلمون في داغستان وقازان وما يقاسيه أخوانهم المسلمون في الهند وأن ليس في هذا ما يستدعي قيام حرب عوان تقاوم بها أوروبا بأسرها كما لا يستدعي ما يقول المقطم من حشد الآلوف من الألبان والأكراد

والأتراك والعرب لمهاجمة أوروبا . ويقول صاحب الأهرام باستحالة الوصول إلى تحقيق الجامعة الإسلامية اعتماداً على أن ذلك لم يحصل في الماضي حيث كان الإسلام عزيز الجانب شديد البأس ، فكيف يتحقق في حال ضعفه ما عجز عنه في حال قوته - ويعتقد أن العمل لتحقيق الجامعة الإسلامية الآن مضرّة كبرى على الإسلام والمسلمين لأنّ دول أوروبا المسيحية التي لا يرون لها أن تصلح الدولة العلية أمورها لتقوى كذلك لا يرونها من باب أولى أن تشاهد المسلمين تحت سلطتها يتآلفون مع المسلمين تحت ظل الخلافة الإسلامية لذلك ننصح بترك الجامعة الآن لما فيه من إغراء أوروبا على المسلمين لتفريق شملهم . وقد أجابت المؤيد بأن الجامعة الإسلامية لم تكن من مطلب المسلمين أيام قوتهم حتى يقال كيف يدركون بعد ضعفهم ما عجزوا عنه أيام قوتهم ، وقالت : أما الآن ونحن ضعفاء والأعداء محيطون بنا من كل جانب فقد حسن أن يكون تحقيق هذه الجامعة مطلبهم ، وليس أقدر على العمل والألفة للاتحاد أكثر من الضعفاء . ويقول المقطم : إن معنى الدعوة إلى الجامعة الإسلامية هي الدعوة إلى الجهاد وتعني تعزيز الإسلام عندهم وأهلك غيرهم فهم لا يفهمون أن يكون الإسلام عزيزاً إلا بآبادة خصومهم كما كان ذلك في زمن الصليبيين وكما حدث في جبل لبنان . ولا شك أن ما ذهب إليه المقطم فيه مغالطة كبيرة ومبالغة لا شك فيها فالمسلمين لم يكونوا معتدين قط بل معتدى عليهم ، وفي الحروب الصليبية - زحف المئات من أوروبا إلى بلاد المسلمين لحربهم والسيطرة عليهم ، وكان موقف المسلمين هو موقف الدفاع والمقاومة . أما ما حدث عام ١٨٦٠ فإن وثائق التاريخ المنصفة تشهد بأن المستعمرين هم الذين أثاروا المارون على الدروز وكانت فرنسا من وراء المارون وبريطانيا من وراء الدروز ، ولو أن المسلمين والمسيحيين تركوا لأنفسهم لما وقع بهم خلاف أو خصومة كما كان ذلك على طوال تاريخ العلاقة بينهما ولكن المقطم في هذا إنما تنقل تهديدات بريطانيا ومغالطاتها ، ويذهب المقطم إلى حدود القول بأن الجامعة الإسلامية الدينية المحضة المجردة من المعاني السياسية هي التي يمكن اخراجها من القوة إلى الفعل ، وهو بهذا ينكر أمرين : أولهما : مفهوم الإسلام الجامع بين الدين والسياسة ووجود الدولة العثمانية التي تحمل لواء الخلافة والجامعة الإسلامية معاً . هكذا كان يدور السجال في قضية الجامعة الإسلامية يحمل طابع الخوف الشديد من جانب الدول الغربية وطابع التحريض الشديد من جانب حلفاء النفوذ الغربي وتصويره بصورة اعتداء المسلمين على النصارى ، بينما يعرف الجميع كيف وقف المسلمون والنصارى في وجهه^{١٢}

الجماعات الصليبية وفي وجه الاستعمار الغربي . ولكن الاستعمار كان دائماً يحاول الوقعية بين الأديان والأجناس في سبيل احتفاظه بالبقاء . ومن عجب أن نخشى أوروبا في ذلك الوقت بلاد المسلمين محتلة أو شبه محتلة ، وليس في أيديهم قوة أوروبا أو سلاحها من أن تؤدي الدعوة إلى الجامعة الإسلامية إلى خطر داهم يتهدد الحضارة الغربية أو يؤدي بهم إلى اكتساح أوروبا ، فقد مزق الاستعمار الغربي العالم الإسلامي وسيطر عليه ، وكان عليه أن يتم آخر خطواته وأخطرها بالقضاء على عقدة الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية وذلك حتى لا يصبح من المستطاع تنفيذ أى مخطط للوحدة أو التجمع تحت أى شعار كان وقد سقط أكبر دعاة الجامعة الإسلامية جمال الدين وعبد الحميد في الميدان محاربين ومن بعدهما تمزقت الدولة العثمانية وأزيلت الخلافة . ولكن الدعوة إلى الجامعة الإسلامية لم تتوقف بعد ذلك ، فقد ظلت أبرز النقاط في برامج الجمعيات والهيئات الإسلامية المختلفة من أندونيسيا والهند والبلاد العربية . وكان أبرز العوامل الداعية إليها تأجج مسألة فلسطين والاحتلال الصهيوني لها حيث عقد عديد من المؤتمرات الإسلامية التي كانت تحمل طابع الدعوة إلى الجامعة الإسلامية وفي مقدمتها مؤتمر القدس ١٩٣٢ ومؤتمرات الباكستان بعد استقلالها ١٩٤٧ وما بعدها . وقيام المؤتمر الإسلامي في القاهرة وفي كراتشي والرابطة الإسلامية في مكة ومن الحق أن يقال أن مضمون الخلافة الإسلامية ظل في مفهوم عامة المسلمين إنما هو أمر بعيد كل البعد عن الأحلاف أو خدمة نفوذ أجنبي معين وليس من وسائله عندهم الاستعانة به على عمل غير مشروع وما تزال فكرة الجامعة الإسلامية على المحيط الشعبي الإسلامي فكرة ذقية بعيدة عن محاولات السياسة والدول الكبرى التي تحاول للانتفاع بها عن طريق بعض الحكومات .

هذا ويؤكد مختلف الباحثين حتى من خصوم الإسلام إلى أن الوحدة الإسلامية هي مآل المسلمين مهما طال الزمن واختلفت الوسائل . فالشيوعيون بمفهوم أحد زعمائهم (تان مالانكا) يقول : إن الوحدة الإسلامية هي نضال وطني للتحرر لأن الإسلام هو كل شيء بالنسبة للمسلم فهو ليس فقط ديناً وإنما هو كذلك دنيا ودولة . ومن الناحية الأخرى يقول أحد ممثلي الفكر الغربي (روبرت بيبكر) « الإسلام في صورته الأولية فكرة شاسعة عن مهمته في الدنيا ، فلا القرآن ولا الأحاديث ولا أقوال الصحابة تفرق بين الأجناس أو اللغات وعلى أساس هذا

قامت نظرية وحدة سياسية وهي وحدة وإن لم تتحقق عملياً أبداً ، إلا أن المتمسكين بالدين بقوا على مر الظروف مؤمنين بأن تحقيقها رهن بوجود ظروف أصحح ووجود حلفاء أقوى . . . لقد توالى محاولات المسلمين للتجمع وهي محاولات تبدأ دوماً في ظل تحدى خطير وهي وحدة طبيعية أساساً ولكن النفوذ الأجنبي والقوة الاستعمارية قد حالاً دائماً دون تحقيقها بخطوط دفاع كثيرة ولقد كانت دوماً مرتبطة بالتحديات وهي تبرز دائماً على أثر الأحداث الكبرى كما ظهرت بعد احتلال الصليبيين للقدس ومنذ بدأ النفوذ الاستعماري الغربي الحديث ولقد توقفت حركة الجامعة الإسلامية خلال حركة النضال بين العالم الإسلامي والاحتلال خلال الحربين العالميتين ولكن ضياع فلسطين واستقطاعها وقيام دولة إسرائيل قد أعاد من جديد فكرة تجمع المسلمين . .

يقول المؤرخ نلسون في تقريره عن الجامعة الإسلامية : « إن حركة الجامعة الإسلامية قد ضعفت جداً بعد خلع عبد الحميد ولكن لا تزال في المسلمين روح تضامن مع ملازمة للإسلام » . إن الأوف يتجهون كل سنة إلى مكة ويشربون ماء زمزم ، إلا أنه بالرغم من وجود كل أسباب الارتباط الخارجي وبالرغم من وجود الاتحاد الذي يجعل فكرة الجامعة الإسلامية قوة حقيقية إلى حد يستدعي اهتمام المبشرين ، فإنه يستحيل أن يكون من المسلمين عنصر حقيقى في استطاعته أن يجمع شمل السنيين والشيعة معاً ويضم الأتراك والفرس والهنود إلى العرب ليكافحوا ويدافعوا بدأ واحدة على اتفاق وثقة متبادلة » . ويقول زويمر : إن مدينة مكة والطرق الصوفية هما من أكبر العوامل الدافعة إلى بث شعور الوحدة بين المسلمين والنفرة من كل شيء غير إسلامى وهذا ما يسمونه بالجامعة الإسلامية ومن المحقق أن التاجر المسلم يبت في هؤلاء الوطنيين مع بضاعته التجارية دينه الإسلامى وحضارته الراقية . ويقول لوثروب ستوارد : إن الجامعة الإسلامية قامت على أساسين هما الطرق الصوفية الحديثة النظام كالطرق السنوسية والدعوة التي قامت بها فرقة من جلة العظماء وأكابر المفكرين والحكماء وفي مقدمتهم جمال الدين الأفغانى . وربما ظفر الإسلام في أفريقيا اليوم أعظم ظفر بما لاقاه المبشرون المسلمون حديثاً ، في بلاد التتر الروسية ، وفي الصين وفي الهند وفي جزائر الهند نهضات إسلامية رائعة ، ويرى كثير من الباحثين والمراقبين أن هناك عوامل كثيرة تقرب المسلمين الآن من النظر في فكرة الجامعة الإسلامية واعتناقها : أهمها ضياع بيت المقدس واستيلاء الصهيونية عليه ومنها ذلك الانتعاش الإسلامى في تركيا وبروز الدول الإسلامية الجديدة في آسيا

(الملايو وأندونيسيا والباكستان) بالإضافة إلى الدول الأفريقية المسلمة الجديدة .

الوحدة العربية حلقه على الطريق

هذا فضلاً عن أن فكرة الوحدة العربية أخذت تتحرر من المفهوم الغربي للقومية وتعود إلى التماس مفهوماها الفطري المستمد من مزاجها النفسى وروحها وعقليتها والقائم على الترابط بين الإسلام والعروبة ، وذلك لتنسيق روابطها مع العناصر غير العربية والانفتاح على دول العالم الإسلامى فى أخوة وترابط ثقافى واقتصادى واجتماعى ، يضاف إلى ذلك التقارب والالتقاء بين فقه السنة والفقه الشيعى ، واجتماع السنين والشيعة على اليقظة والوعى والعمل على كشف أهداف الاستعمار فى الوقيعة والقطيعة بينهما . ولا شك أن الكتابات الجديدة فى تحليل العلاقات بين الفكر الإسلامى والثقافات العربية والتركية والإيرانية ، وتقارب المذاهب الإسلامية ، وإعادة تفسير العلاقة بين العروبة والإسلام على أساس أكثر نضجاً وإنصافاً ، كل هذا أخذ يقيم « وحدة فكر » بين المسلمين ستؤدى إلى بناء ثقافة إسلامية موحدة ، وهناك دعوة ذاتية تجد صداها اليوم فى كل مكان إلى جعل اللغة العربية هى لغة العالم الإسلامى الثقافية وأن تصبح لغة الدول الإسلامية فى أفريقيا وآسيا . قامت فكرة الجامعة الإسلامية إذن فى مواجهة التوسع الغربى وزحف النفوذ الاستعمارى فهى رد فعل للتحديات الخطيرة التى واجهها المسلمون فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وكانت هدف دعوات التوحيد التى قادها محمد بن عبد الوهاب والسنوسية التى قادها محمد بن على السنوسى والمهدية التى قادها محمد أحمد المهدي ثم دعوات جمال الدين ومدرسته ثم دعوة القرآن ، وقد استطاع النفوذ الاستعمارى تحطيم هذه الدعوات والقضاء على نفوذها السياسى واحدة بعد الأخرى وإن ثبت بعضها وتحول إلى المجال الفكرى الخالص . ولقد كانت حركات المقاومة العسكرية منبثقة من فكرة الجامعة الإسلامية أيضاً وقد قاومها الاستعمار وقضى عليها : قضى على كل حركات الأمير عبد القادر وعبد الكريم وأحمد عرابى والشيخ شامل وثورة الهند ١٨٥٨ .

وكان النفوذ الاستعمارى قادراً على إجهاض هذه الدعوات والحركات وضرب بعضها ببعض ، فإن أكبر عوامل القوة التى ظهرت فى خلال القرن التاسع عشر قد قضى عليها الاستعمار وفى مقدمتها حركة محمد على فى مصر التى حاولت أن تخرج الدولة العثمانية من جمودها ، وحركة الوهابية فى الجزيرة العربية ، ثم حركة أحمد عرابى فى مصر وحركة

المهدى في السودان وحركة جمال الدين الأفغانى وحركة الجامعة الإسلامية التى قادها السلطان عبد الحميد ، كل هذه الدعوات التحررية التى حاولت دفع اليقظة الإسلامية إلى مكان القدرة. وقد ظهرت هذه الدعوات في مراكز حساسة متعددة من العالم الإسلامى ، في الجزائر ، في مصر في الجزيرة العربية ، في الهند . في طرابلس ، في السودان . ولو أن هذه الدعوات أُنِيج لها حرية الحركة لنمت وتوسعت والتقت ، فإذا قال بعض كتاب التغريب عنها إنها انطفاّت ، أو قصرت ، فليعلموا أنها إنما كانت تتحرك من تحت مدافع النفوذ الاستعمارى وقواته . ولكن القول الحق أن ما من حركة منها إلا وتركت آثارها القوية البعيدة المدى ، وكانت عاملاً هاماً دفع حركة اليقظة الإسلامية العامة إلى الأمام قوة وزادت المسلمين يقظة وتماسكاً وتجمعاً من جديد لمواجهة النفوذ الاستعمارى . فهذه الدعوات لم تفشل ولكنها أجهضت نتيجة للقوى الاستعمارية المتربصة التى استطاعت أن تقضى على هؤلاء الدعاة أو تفسد مخططاتهم بالتآليب عليهم أو سحقهم . وإذا كانت هذه الدعوات قد ظهرت وانطفاّت كالشهب ، فإن الظاهرة الأساسية أنها والت الظهور ولم تنقطع في عصر من العصور ، وإنها كلها اتصلت كحبات في عقد واحد . وذلك آية صدقها ونجاحها والحاجة الأكيدة إليها . ولم تكن هذه الدعوات في مجموعها تجهل ضرورة التلاقى مع روح العصر والانتفاع بالحضارة الغربية الحديثة ولكنها كانت تفرق بينها وبين الاستعمار من ناحية وبينها وبين الغزو الفكرى ومحاولة الغرب فرض قيسه والقضاء على قيم الإسلام نفسه . وكانت تعرف أن الاستعمار لن يسمح لها أن تنال من ثمرات الحضارة الغربية ما يزيدها قوة وأن ما سمح به الاستعمار من وجوه حضارية إنما اتصل بالجوانب الاستهلاكية والمادية والمتصلة بالترفه والذات والمتع وليست تلك الجوانب الإيجابية المكونة للأُمّ البانية للقوى العسكرية أو الصناعية . وليس صحيحاً ما يذهب إليه الغربيون ومن تابعهم من دعاة التغريب الذين يكتبون باللغة العربية من أن السلطان عبد الحميد التمس من الجامعة الإسلامية سبيلاً إلى دعم سلطانه وإنما التمس من الجامعة الإسلامية سبيلاً إلى دعم مركز الدولة العثمانية باعتبارها قوة قائمة وموجودة وقادرة على أن تكون نقطة التقاء وبلورة للقوى الإسلامية المتلفة في واجهة النفوذ الاستعمارى . وقد استطاعت قوى النفوذ الاستعمارى أن تواجه هذه القوة حين بدأت تتجمع وتنضج بحركة الاتحاديين المغرقة في العصبية الجنسية والدعوة الطورانية . ويمكن القول إن هذه الحركة المتجهة إلى الجامعة الإسلامية في هذه المرحلة كانت منبثقة من

داخل المجتمع الإسلامى حقيقة ، ولكنها كانت فيما يبدو تشوبها شائبة النفوذ الاستعمارى الذى كان يطمع فى توجيهها وجهة معينة يغلب أن تكون وسيلة إلى أن تسير فى فلك الغرب . والمعروف أن الجامعة العربية كانت قد قامت بين الحكومات العربية خلال الحرب العالمية الثانية على نحو مقيد لا يسمح لها بالحركة الكاملة . وإذا كان من طبيعة الاستعمار أن يضرب الحركات بعضها ببعض فإن المفكرين المسلمين فى العالم الإسلامى كله ظلوا يحملون لواء الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ومن خير ما كتب فى هذا مبحث للشيخ محمد أبو زهرة صدر فى القاهرة عام ١٩٥٨ فقد حاول من خلاله معالجة عوامل الفرقة ودعا إلى وضع مخطط شامل للتقارب والتقريب واستبعاد فكرة « دولة إسلامية ذات حكومة موحدة » نظراً لتباعد الأفكار وتنشأت الأمصار وهو فى ذلك يقول : لا يصلح أن يكون مقصدنا من الوحدة تكوين دولة إسلامية متحدة بدخل فى تكوينها كل الأقاليم الإسلامية . . وعنده أنه يصح أن تكون صورة الوحدة فى شكل كومنولث إسلامى أو عصبة أمم إسلامية أو جامعة إسلامية ، وإنما يجب أن يتحقق فيه اتحاد السياسة فى كل الأقاليم الإسلامية بحيث يوالى كل إقليم إسلامى من يوالى المسلمين ويعادى من يعادىهم . وقد ركز الباحث على العناية بالتعارف الإسلامى وسبيله أن تشمل المدارس فى البلاد الإسلامية كلها على دراسة جغرافية لكل إقليم إسلامى وتنظيم الرحلات وأولى للحج أهمية كبرى فى التعارف ، وكذلك أولى اللغة العربية اهتماماً بالغاً باعتبارها لغة المسلمين الجامعة . والمعروف أن حركة جمعيتنا الإخوان الشبان المسلمين والجمعيات التى انبثقت منها وجماعة مصر الفتاة قد وسعت مجال الحديث فى مصر عن الجامعة الإسلامية قبل الحرب العالمية الثانية فتكون رأى عام إسلامى متقبل للحديث مرة أخرى عن الجامعة الإسلامية ثم كان قيام باكستان عام ١٩٤٧ بعيد الأثر فى تجدد الدعوة إلى الجامعة الإسلامية وكذلك ظهور الدولة الأندونيسية التى تضم أكثر من ٨٠ مليوناً من المسلمين وفى هذه المرحلة شابت أغلب الدعوات إلى الجامعة الإسلامية طابع السياسية العالمية والاستعمار .

فى نوفمبر ١٩٤٨ نشأت فى باريس فكرة إنشاء جامعة إسلامية على الأساس الذى نشأت عليه جامعة الدول العربية على أن يكون لها نظام آخر فتضم جميع الشعوب سواء أكانت مستقلة أم غير مستقلة والهدف الأول من إنشائها كما ذكر دعائها هو إحياء مجد الإسلام والمحافظة على شعائره من الاستعمار والدعوات الإلحادية . ثم تعددت التصريحات والمؤتمرات

الصادرة من باكستان والتي تشير إلى التمهيد لتشكيل هيئة سياسية عالمية قيام دولة إسلامية عالمية ، وأشارت البرقيات إلى أن المؤتمر الإسلامي الذي عقد في باكستان ١٩٤٩ قد وجه اهتماماً كبيراً إلى فكرة إقامة دولة قرآنية تحتضن الدول الإسلامية المستقلة . وتحدث أحد زعماء باكستان عن إنشاء اسلامستان (أى إدماج الدول الإسلامية تحت لواء واحد) . ورددت تركيا في تصريحات أشارت إلى أنها لن تقبل في الاشتراك في وحدة إسلامية ، وتلا ذلك تصريحات من المسلمين في إيران من أن قيام كتلة إسلامية إنما يعود بالخير على الشعوب الإسلامية ويعزز مركزها الدولي ، ورددت أندونيسيا نفس التصريحات التي تقول بالتفكير في إنشاء كتلة آسيوية تضم الهند وباكستان وأندونيسيا وسيلان وإيران وتركيا والبلاد العربية ومصر . وشملت الدراسات التي قدمت في هذا الشأن كثيراً من الخطوط العامة : وكان أهمها مشروع من أربع نقاط لتوحيد البلدان الإسلامية قدمته مراکش ، وهذه النقاط هي : ١- استخدام اللغة العربية كإحدى اللغات الرسمية لجميع البلاد الإسلامية . ٢- إقامة كتلة إسلامية مستقلة في هيئة الأمم وإقامة هيئة إسلامية منفصلة . ٣- استخدام عملة مركزية منفصلة تتخذ وسيلة لتبادل العملة بين البلاد الإسلامية . ٤- رفع القيود والحواجز على حركة النقل والانتقال بين البلاد الإسلامية . وفي المؤتمر العالمي الإسلامي الذي عقد في مراکش (١٩٥١) جرى الحديث حول الوحدة العربية ، وإنها ليست إلا جزءاً من الاتحاد الإسلامي العام . وأجمعت الآراء على « أن المسلمين يستطيعون المساهمة في قضية السلام وتقدم البشرية على هدى من مبادئ الإسلام وتعاليمه » وأن العالم الإسلامي إذا اتحد أمكن أن يتحول إلى قوة فعالة قد تجعله القوة الثالثة التي يسعى العالم إليها ، ودعا أغا خان المسلمين إلى التعاضد وأعلن الحاجة إلى قيام اتحاد متماسك نام بين شعب هذه الدولة المسلمين . وكان مؤتمر العالم الإسلامي الذي انعقد عامي ١٩٤٩ و ١٩٥١ قد جعل من أهم أهدافه : ١- النظر في أحوال المسلمين وما يحيط بهم ثم يتعاونوا على خطة إسلامية تهديهم سواء السبيل وتنجيهم من الاضطراب الذي يعم العالم ومن الشر الذي يهدد ذلك العالم . ٢- محو جميع الفوارق المذهبية والقبلية والوطنية من بين جميع شعوب العالم الإسلامي وأحكام الرابطة الإسلامية بين الجميع باتخاذ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مصدرين للهداية والتوحيد والعمل على تحقيق الاتحاد بين زعماء الشعوب الإسلامية وإدخال عناصر التعليم الإسلامي في جميع مناهج الدراسة . ٣- العمل على نشر لغة القرآن باعتبارها لغة للشعوب الإسلامية عامة في جميع أنحاء العالم . ٤- تأسيس شركات

ووكالات لنشر الأنباء الصحيحة عن الدول الإسلامية وعن شعوبها . ٥- جعل التشريع في أساسه قائماً على المبادئ الإسلامية . ٦-تنظيم الزكاة وتخفيف تكاليف الحياة عن عاتق العمال والزراع بتوفير المطعم والسكن والملبس والتعليم والعلاج لهم . ٧-توجيه التعليم في الأقطار الإسلامية توجيهاً إسلامياً حتى يحال بين ناشئها وبين طغيان الجانب المادى في الحياة ، ذلك الجانب الذى تقتضيه طبيعة العلوم التى أصبحت دراستها جزء لا غنى عنه في هذا العالم المملوء بالنزاع والكفاح . أما في البلاد الإسلامية المستقلة فيجب أن يكون التعليم الدينى إلزامياً كافياً مع تسهيل الطرق للباحثين على التعمق في مظاهر الثقافة الإسلامية في كل بلد . ٨-إنشاء مجمع علمى إسلامى دولى يضم إعلام العالم الإسلامى في جميع مجال الثقافة . وكانت المؤتمرات الاقتصادية الإسلامية العالمية تضم بعض هذه المناهج : « المسلمون يؤلفون وحدة جغرافية بالإضافة إلى ما يوجد بينهم من دين مشترك وشعور مشترك وطرز مشترك ، فأكثر الأقطار الإسلامية مناطق متجاورة ، وهناك عامل ثالث من عوامل اشتراك المصالح بين هذه الشعوب ذلك هو طراز اقتصادياتها ، إذ أنها كلها ذات اقتصاديات زراعية لا تزال في مرحلة الزراعة والعمل الهام هو أننا إذا كنا مستقلين نوعاً سياسياً ، إلا أننا لا نزال من الناحية لاقتصادية في قبضة الأمم الغربية القوية ولم يستطع بعضنا حتى بعد الحصول على الاستقلال التخلص من العبودية الاقتصادية .

الخلافة الإسلامية

من أكبر قضايا العالم الإسلامى : قضية الاجهاز على الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ كجزء من مخطط النفوذ الاستعمارى لالتهام مختلف وحدات العالم الاسلامى والقضاء على آخر معقل لتجمع المسلمين وتوحيدهم في وجه الغزو الاستعمارى الزاحف . فقد كان النفوذ الاستعمارى يرى أن الدولة العثمانية هى عقدة الترابط بين المسلمين سواء في داخلها أم بالنسبة للدول الاسلامية خارجها كالهند وأندونيسيا وفارس وأفغانستان لذلك فقد كانت تلك الحملة المرتبة الدقيقة لتحطيم هذه القوة (مهما كانت من الضعف) فقد كانت الدولة العثمانية تجمع عنصرين من أكبر عناصر الاسلام (العرب والترك) وكانت حركة الجامعة الاسلامية التى حمل لواءها جمال الدين الأفغانى شعبياً وعبد الحميد بوصفه خليفة المسلمين وسلطان العثمانيين وهى دعوة مناضلة متحررة من دعوات التجمع للمقاومة والوقوف في وجه الغزو الغربى - ولم

تكن دعوة عدوانية سواء لغير المسلمين في العالم الاسلامي أو الغرب المسيحي - وقد ألح النفوذ الاستعماري وفي مقدمته فرنسا وانجلترا على هذه الدعوة وهذه الدولة بحملات متصلة استمرت منذ ١٨٧١ إلى أن تولى الاتحاديين عام ١٩٠٨ وتحقق إسقاط عبد الحميد عام ١٩٠٩ وقد استطاع النفوذ الاستعماري بمعونة الاتحاديين إسقاط الدولة العثمانية عام ١٩١٨ ثم كان مصطفى كمال بحركته المناهضة للوحدة الاسلامية والاسلام عاملاً هاماً في قطع آخر العلائق وذلك بفضل الخلافة عن السلطة أولاً ثم الاجهاز على الخلافة نهائياً عام ١٩٢٤ .

وبذلك استطاع النفوذ الاستعماري تحقيق آخر أهدافه في القضاء على وحدة المسلمين والدولة العثمانية وتمزيق شمل هذه الوحدات والتهامها والسيطرة عليها والحيولة دون قيام اتحاد بينها من أى نوع ، حتى الاتحاديين أجزاء الأمة العربية لقي من معارضة النفوذ الاستعماري والاثثار به عنناً كبيراً بحسبانه أول تجمع في سبيل الوحدة الجامعة . كان إلغاء الخلافة الاسلامية إذن هو خاتمة ما أسماه الاستعمار « الحروب الصليبية » كنتيجة لمخطط وصفه أحد الوزراء الفرنسيين دوجوفار بـ « مائة مشروع لتقسيم تركيا » ولقد كانت قلوب المسلمين في مختلف أنحاء العالم الاسلامي تخفق ، خلال المعركة التي قادها المحاربون الأتراك في مواجهة الاحتلال الذي قام به الحلفاء بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، وأيدوا كاظم قره بكير وزملائه الذين قادوا حركة المقاومة والتحرير والتي تكللت بالنصر قبل أن يستولى على زمام الحركة مصطفى كمال فيقضى جميع القادة المجاهدين ويضع فوق أكتافهم وحده إكليل النصر وكانوا يعلنون تأييدهم لهذا الجهاد شاركين فيه بالمال والأنفس من كل أجزاء العالم الاسلامي ، وكانت الهند أكثر بلاد العالم الاسلامي تأثراً وعملاً وتأيداً ، وكانت أكثرها ثورة على بريطانيا المحتلة للدولة العثمانية . غير أن العالم الاسلامي لم يكن يعرف أن معاهدة لوزان قد ألحقت بها معاهدة سرية قبل بها مصطفى كمال تقضى بتصفية الروح الاسلامية في مختلف مجالات القانون والاجتماع والتربية واللغة وتقبل الأنظمة الغربية قبولاً كاملاً واتجاه الدولة التركية إلى الطابع العلماني الصرف ، ليس المتحرر من الدين فحسب بل المعادى له هذا الاتجاه الذي كان في مقدمة خطراته الاجهاز على الخلافة الاسلامية وإعلان دعوى عريضة تحمل الاعلام اتهامات التأخر والضعف الذي منيت به تركيا وقد أتم مصطفى كمال مشروعه هذا على مرحلتين . الأولى : إلغاء الخلافة الزمنية وإقامة خلافة روحية مجردة عن السلطة . الثانية : إلغاء الخلافة نهائياً . وقد جاشت أقلام الكتاب بنقد بالغ

لحكومة أنقره في أقدامها على إلغاء الخلافة بحسبان أنها ليست ملكاً للأتراك وحدهم ولا أنها خلافة المسلمين جميعاً والترك لا يتجاوز عددهم جزء من المسلمين ، ووصف ما وقع « بأنه بلغ أقصى ما استطاع أعداء الاسلام وأشد ما كانوا به اثراً وأعدى ما كانوا عليه عدواناً وأصدق ما كانوا رغبة في الكيد له والنكاية به أن يبلغوا ما بلغه هؤلاء الكماليون على مرأى ومسمع من المسلمين فاقدام الكمالين على إلغاء الخلافة أكبر جريمة في عهد هذه الدولة على الدولة وأبشع جريمة في تاريخ الاسلام » ووصف عملهم بأنه نقض موثق استمر ثمانية قرون وبعض قرن لم يتوقف المسلمون منذ ذلك عن الدعوة إلى إعادة الخلافة . وكان الأزهر على رأس الهيئات الاسلامية التي حملت لواء الدعوة إلى إعادة الخلافة ، فاجتمع المؤتمر الاسلامي (٢٥ مارس ١٩٢٤) الذي ألقى ببطلان بيعة عبد المجيد الذي كان الكماليون قد نصبوه قبل إلغاء الخلافة ، إيماناً بأن الاسلام لا يعرف الخلافة على النحو الذي تولاهما به عبد المجيد منفصلة عن السلطة ، وأعلن دعوة جميع ممثلي الأمم الاسلامية إلى مؤتمر يعقد في القاهرة برئاسة شيخ الاسلام للبت فيمن يجب أن تسند إليه الخلافة الاسلامية . ولكن هذا المؤتمر أجل مرة بعد مرة حتى اجتمع في ١٣ مايو ١٩٢٦ دون أن يسفر عن شيء إيجابي ، وذلك أن النفوذ الاستعماري كان قد حطم كل محاولة لاجياء الخلافة ووضع مختلف العراقيين والصعوبات ، وتبارى الملك فؤاد ، وأمان الله خان والحسين بن علي في تولي الخلافة . وكان الانجليز قد أعلنوا معارضتهم الشديدة لعودة الخلافة الاسلامية في أى صورة من الصور وكانوا يعملون على تعقيد المساعي المبذولة في إعادتها بوسائل ملتوية خفية . وقد أدى التدخل الاستعماري والنفوذ الأجنبي إلى خلق جبهة معارضة للجبهة التي ترشح الملك فؤاد ، فانقسم علماء الأزهر بين مؤيدين ومعارضين ، وكان الخلاف بين الملك فؤاد وسعد زغلول عاملاً من عوامل الصراع وكان سعد زغلول منذ بدء حياته السياسية معارضاً للجامعة الاسلامية ، وظن أن الانجليز يدفعون الملك فؤاد لترشيح نفسه للخلافة تحقيقاً لمشروعهم القديم : مشروع الخلافة العربية . ووقفت الصحافة نفس الموقف ، فهاجمت جريدة السياسة لسان حزب الأحرار الدستوريين موقف المعارضة . وشاركتها صحف الوفد . وانتهى المؤتمر المنعقد في ١٣ مايو ١٩٣٦ إلى قرار يقول : « إن الخلافة الشرعية المستجبة لشروطها المقررة في كتب الشريعة الفراء ، التي من أهمها الدفاع عن حوزة الدين في جميع بلاد المسلمين وتنفيذ أحكام الشريعة الفراء فيها لا يمكن تحقيقها بالنسبة للحالة التي عليها المسلمون الآن . » وعمد

حزب الأحرار الدستوريين في سبيل معارضة اتجاه الملك فؤاد إلى تولي الخلافة بأن كلف أحد رجاله (على عبد الرازق) أن يضع بحثاً مراوفاً يحمل طابعاً علمياً فقهياً يقرر فيه وجهة نظر السياسة ، وقد اعتمد على عبد الرازق على المؤلفات التي نشرها حكام تركيا يعززون بها موقفهم من إلغاء الخلافة وكان مجمل هذه الآراء تقول بأن الخلافة ليست نظاماً إسلامياً خالصاً . بينا وقف رشيد رضا ومصطفى صبرى ومحمد بخيت في مواجهة هذا الرأي كاشفين عن حقيقة مفهوم الخلافة في الاسلام . وفي الحق أن كتاب على عبد الرازق لم يكن يهدف إلى إعلان رأى في الاسلام خالصاً لوجه العلم بقدر ما كان يهدف إلى استغلال فقه الاسلام وتشريعه وتاريخه إلى تأييد رأى باطل ن الخلافة ، هذا الرأى ليس له أهمية ولا خطر إلا بقدر ما يتعرض لأصل من أصول الاسلام وهو قوله بالباطل أن الاسلام دين روى لا صلة له بالمجتمع ولا بالسياسة منكراً أكبر معلم من معالم الاسلام الذي يختلف اختلافاً أساسياً عن الأديان الأخرى . ولم يكن لهذا الرأى الذى ارتآه على عبد الرازق ليرجع كفة سياسية على كفة أخرى ، أى أهمية أساسية لولا أنه من الآراء التى تلقفها المبشرون ودعاة التغريب وأعطوها أهمية كبرى في إثارة شبهة من أخطر الشبهات وهى أن الاسلام دين لا صلة له بالمجتمع ولا السياسة ، وقد حاولوا أن يعتدوا بهذا الرأى الفرد الذى لم يصدر في مجال بحث علمي ولم يلق من العلماء أى تأييد أو تقدير ، ولم يقبل به جمهرة العلماء المسلمين أو يرتضوه ، والذي كان في حقيقته صادراً عن غرض سياسي وذائق لم يكن يراد به وجه الله والعلم والحق . وقد واجه الشيخ مصطفى صبرى جميع الحجج التى ساقها مصطفى كمال وحكومة أنقره متعللين بها لإلغاء الخلافة ، كما كشف عن الدوافع الحقيقية والاسباب الخفية لهذا العمل وقال إن السبيل للإصلاح كان ممكناً بتبديل المصلحين بالمفسدين لا تبديل الشريعة والدين وفصل الدولة عن الدين . وقد دحض الشبهات التى أثارت حول الدين والحرية : موقف الاسلام منها فقال أن الإسلام لا ينافي الحرية والاستقلال أن تكون حكومته ممنوعة من التخطي ما وراء حدود الدين . وأن المقصود بالحرية هو الأمم تجاه الحكومات لا حرية الحكومات في القيام بأمور الأمة . وكشف عن أن الاتحاديين هم الذين زجوا بتركيا في الحرب على غير رغبة السلطان وعلى غير رغبة كثير من المعارضين ثم وقعوا عقد الاحتلال ومع ذلك كله فهم يلومون الخليفة لاستسلامه لعواقب هذه الهزيمة التى جلبوها عليه بأيديهم . وأورد الشيخ مصطفى صبرى أدلة العارف الخبير بالأمور عن أن الكمالين

الذين حكموا بعد الحرب العالمية الأولى هم والاتحاديون الذين حكموا قبل الحرب وبعد خلع السلطان عبد الحميد حزب واحد وأن الخلاف بينهم ليس خلافاً على المبادئ ، ولكنه خلاف شخصي مبعثه التنافس على الزعامة وكلاهما يستند على السلطة العسكرية في زعامته وعنده أنهم المسئولون عن ضياع الامبراطورية العثمانية منذ وضعوا أيديهم على الدولة بعد خلع عبد الحميد . وكشف مفتي الاسلام العثماني عن علاقة مصطفى كمال بالانجليز فقال إن الانجليز قد تشددوا في معاملة السلطان وحيد الدين حتى أعجزوه ثم تساهلوا بعد ذلك مع مصطفى كمال ليجعلوا منه بطلا فتعظم فتنته في أبصار المسلمين وبصائرهم «والرجل من لا تجد الانجليز مثله ولو جدت في طلبه ، من حيث أنه يهدم ماديات الاسلام ومن أدبياته في يوم ما لا تهتم الانجليز نفسها في عام فلما ثبتت كفايته وقدرته من كل الجهات استخلفتها لنفسها وانسحبت من بلادنا » وإذا كان مؤتمر الخلافة عام ١٩٢٦ في مصر ومؤتمر مكة في نفس العام لم يسفر عن شيء في أمر الخلافة فإن البحث في أمر الخلافة لم يتوقف ثمة وإلى أمد طويل ، فاتجهت الأنظار إلى مصر ، واتجهت إلى الجزيرة العربية ، وأثبتت جمعية الشبان المسلمين في برنامجها الذي أعلنته سنة ١٩٢٧ أن من أهم أهدافها «إعادة الخلافة» . كما أثبتت ذلك عديد من الجمعيات الاسلامية التي انبثقت من جمعية الشبان المسلمين ، وتناول الدكتور عبد الرازق السنهوري هذا الموضوع الخطير في رسالة الدكتوراه التي قدمها إلى جامعة باريس في هذه السنوات تقريباً تحت عنوان «الخلافة وتطورها لتصبح عصبه أمم شرقية» ، كتبه عقب سقوط الخلافة وقد كان التساؤل بسم العالم الاسلامي كله وهو ماذا بعد الخلافة من رابطة تجمع المسلمين وتعيد وحدتهم . وقد وصل الدكتور السنهوري في بحثه إلى أن يتطور نظام الخلافة فيصبح عصبه أمم شرقية . وكان مجمل رأيه هو أن تشتد القوميات وتبلغ الرشد وتصبح قادرة على أن تكون نوعاً من الوحدة بين الأمم بعد أن تكون قد أصبحت أمماً ، وهذه عبارته : «حتى إذا توافرت لكل قومية كياناتها وحرياتها الداخلية كان من الطبيعي أن تفكر هذه القوميات المختلفة في التعاون والتضامن على أساس نوع من الوحدة لا يزالون حتى الآن يتلمسون إليه السبيل» . ثم يتساءل : أيحسن التفكير في تكون المجموع قبل استكمال الأجزاء لمقوماتها أو يحسن ترك الأجزاء تستكمل ذاتيتها ثم التفكير بعد ذلك في تكوين المجموع ، فلتترك الشرق تستكمل كل قومية فيه مقوماتها ، ولكن لتنفخ في هذه القوميات روحاً شرقية واحدة ، تسترشد بها كل أمة في نهضتها الوطنية

حتى يسود التآخي والتعاون فيما بين هذه الأمم ويسهل بعد زمن قريب أو بعيد أن تحقق نوعاً من الوحدة في الشرق لا تزال أوروبا تتلمس الطريق إليه . وعرض السيد رشيد رضا لأمر الخلافة وقال : إن إقامة الخلافة الإسلامية يسوء رجال دول الاستعمار وأنهم قد يقاومونها بكل ما أوتوا من قوة وأحرصهم على ذلك الدولة البريطانية . وقد عاد البحث في أمر الخلافة من جديد قبيل الحرب العالمية الثانية وحوالي سنة ١٩٣٠ وتعددت فيه الآراء . وكان من رأى الدكتور عبد الحميد سعيد أن الخلافة الإسلامية في الشرق لازمة للإسلام والمسلمين . وإنها في العصر الحاضر ألزم منها في أى عصر مضى ، غير أن تقدير ما تحمله فكرة الخلافة من قبل الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ وتعددت فيه الآراء وكان من رأى الدكتور عبد الحميد سعيد أن الخلافة الإسلامية في الشرق لازمة للإسلام وأنها في العصر الحاضر ألزم منها في أى عصر مضى ، غير أنه يقدر ما تحمله فكر الخلافة من تهديد لسياسة أوروبا الاستعمارية والقضاء على أطماعها في الأمم الإسلامية والتي عمل الغرب زمناً طويلاً على تمزيق شملها ليصل إلى ما وصل إليه . ذلك أن الذى يرغب أوروبا حقاً ويخفيها أن قيام الخلافة يؤدي إلى اتحاد الأمم الإسلامية وتعاونها في سبيل نهضتها ونهضة الشرق كله وهذه النهضة إذا قويت باتحاد الأمم الإسلامية تحطمت مطامع الدول الأوروبية وشهواتها الاستعمارية . وإذا كانت هذه وجهة نظر ، فإن هناك دائماً وجهة النظر الأخرى المعارضة بحمل لوائها كتاب سياسيون لهم ارتباطهم بأحزابهم وما وراء الأحزاب من علاقات دولية . فعبد القادر حمزه يرى أن الخلافة في مصر تكون مصدر خطر عليها من الدول القوية ، وأن الخلافة ستجد من يعارضها كتركيا والمغرب الأقصى ولا فائدة من قيام نظام لا يعترف به الجميع ويقول : « ولا ريب أن الخلافة في مصر تستدعى أن تصبح حكومتها دينية ، ومعنى هذا أن جميع القوانين التي صارت عليها منذ ستين عاماً يجب أن تتغير ، وتوضع بدلا أحكام شرعية تسرى على المصريين والأجانب ، وهذا العمل يناهى ما ارتبطت به مصر في المعاهدة المصرية البريطانية فقد نصت هذه المعاهدة على أن أى تشريع مصرى يطبق على الأجانب يجب أن لا يتنافى مع المبادئ المعمول بها في التشريع الحديث » . ويورد عباس العقاد قريباً من هذه العقبات ويضيف إليها أعباء الخلافة التي تنحملها ميزانية مصر وفي مجال نقد واقع الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية عرض عبد العزيز جاویش ورشيد رضا إلى ما وصلت الخلافة من انحراف عن مفهوم الإسلام حين نقل العثمانيون مفهوم البابوية

والامبراطورية وفي هذا يقول رشيد رضا « ليس في الاسلام فوق الشرائع والأحكام أمير ولا خليفة ولا سلطان ، فقد قلدت تركيا أوروبا في شتى القوانين الرومانية قاعدة تقول بأن الخلفاء فوق القانون والشرائع فأصبح الخلفاء بهذا خلقاء رومانيون لا خلفاء اسلاميون » . ومن ذلك ما أشار إليه عبد العزيز جاويز حين ناقش مصطفى كمال في أمر الخلافة حين قال : « إن الأعاجم أفسدوا أمر الخلافة بما دست الباطنة وبما أفرط التتريك والفرس في الغلو باطراء الخلفاء حتى فتحوا لهم باب الاستبعاد وقهروا الأمة على الخنوع ، وقد كان نقديس الخلفاء العثمانيون سبباً لاسقاط دولتهم » . كما دافع الفاتيكانيان عن اتهام جرى طالما ردهه الكاليون وهو أن ما وصلت إليه الدولة العثمانية من تأخر إنما كان مرجعه إلى الإسلام . والاسلام برىء مما وصلت إليه تركيا وأنه لا علاقة بين الاسلام وما اضطربت به الدولة من استعداد وفساد الاسلام لا يؤيد الاستبداد ، ولكنه يشجعه ، ولذلك فإن الرأي القائل بأن النهضة لا تتم إلا بترك التقيد بالاسلام في حكومتهم لم يكن رأياً منصفاً . وأغلب الظن أنه كان بإغراء النفوذ الغربي الطامع في أن يقضى على الطابع الاسلامي وهدمه بعد اتهامه وإلصاق شبهة التأخر به . وبعد فإنا نصل من هذا العرض التاريخي إلى حقيقتين : الأولى : أن الخلافة هي بؤرة الجامعة الاسلامية ، وأن الجامعة الاسلامية يمكن أن تقوم أولاً ثم تنبثق منها الخلافة ، وأن حركات التحرر والوحدة والتقارب التي تجرى اليوم في عالم الاسلام يمكن أن يتحقق من خلايا نظام جامع للدول الاسلامية ترتبط به ثقافياً واجتماعياً قبل أن ترتبط به سياسياً وعسكرياً . ثانياً : أن المسلمين بعد إلغاء الخلافة لم يتفرقوا أبدي سباً وأن الهدف الذي كان يطمح فيه النفوذ الاستعماري قد فشل تماماً ، وأن العالم الاسلامي قد تلاقى على مستويات كثيرة سواء في مجال الوحدة العربية أو الوحدة الثقافية العامة ، وأن الفكر الاسلامي ما زال هو المصدر الأول للثقافات العربية والفارسية والتركية والهندية الاسلامية . وإذا كانت الخلافة قد سقطت بعمل سياسي استعماري دفن أخفى أمره طويلاً وبدقة وراء غللات وتمويهات ، فإن المسلمين قد بدت أمامهم الحقائق سافرة وتنبيهوا لما يراد منها فسارعوا إلى اتخاذ وسائل أخرى تحل محل الخلافة فاندغمت رابطتهم في مؤتمر الحج السنوي وفي الاتجاه نحو الأزهر ، وفي مؤسسات مختلفة تقوم الآن بالربط بين المسلمين على صعيد الفكر والثقافة والتعليم . وزاد من قوة هذه الروابط تحرر دولتين كبيرتين بعد الحرب العالمية الثانية : هما الباكستان وأندونيسيا وعشرات الدول الأخرى

ذات الأغلبية المسلمة في جنوب شرق آسيا وأفريقيا ، وكانت أزمة فلسطين والصهيونية عاملا بعيد المدى في التفارب والالتقاء وخاصة بعد سقوط القدس في يد الصهيونية وقد دفعتهم الأزمات إلى نسيان خلافاتهم وتقريب مفاهيمهم والالتقاء على الأسس وخاصة فيما يتصل بالنين والشييعين والأكراد والعرب والبربر فقد توثقت الصلات وازدادت عمقاً وخفت حدة الخصومات والخلافات التي أججها الاستعمار والنفوذ الغربي خلال فترة بين الحربين . كما كشفت الوقائع حقائق كانت مطمورة عن السلطان عبد الحميد : الواقع أن تاريخ السلطان عبد الحميد لم يكتب بعد إلا من جهة واحدة ، هي جهة خصومه وأعدائه من اليهود والاستعماريين والغربيين وأتباعهم من أصحاب الأفلام التي تكتب باللغة العربية كأصحاب المقطم وسركيس وغيرهم وكتاباتهم عن السلطان فيها كثير من المبالغة الصادرة عن الخصومة الشخصية أو المذهبية . ومفتاح تصحيح شخصية السلطان عبد الحميد إنما يتصل بنقطة واحدة هي : موقفه من الصهيونية ومقاومته لها ، وتآمر الصهيونية مع النفوذ الأجنبي على إقصائه .

فالنفوذ الأجنبي قد أحس بالعمل الخطير الذي أزعج أوروبا وهو دعوة عبد الحميد للمسلمين أن يتجمعوا في جامعة إسلامية تواجه الزحف الاستعماري وأن هذه الدعوة وجدت استجابة تحت تأثير الغزو العسكري والسياسي الذي كان يجتاح جميع أجزاء العالم الإسلامي ولم يجد المسلمون نقطة التقاء أو عروة تجمع إلا في الدولة العثمانية التي تضم العرب والترك ومن هنا كان الضغط شديداً على هذه العروة لفصمها وتمزيقها وقد ضاعفت من هذا العمل ما تطلعت إليه الصهيونية بعد عقد مؤتمر بال ١٨٩٧ من الزحف على فلسطين والاستيلاء عليها ومقاومة السلطان لهذا العمل . وتبدأ نقطة الحملة عليه من اصطفاء النفوذ الأجنبي للاتحاديين وإعدادهم للسيطرة على الدولة العثمانية ، وقد نمت الحركة الاتحادية في أحضان المحافل الماسونية التي أقامها الصهيونيون كوحدات متنقلة للعمل والتي كانت مبعثرة في سالونيك وصلة الاتحاديين باليهود مؤكدة وثابتة وليس هناك سبيل إلى دحضها . وقد بدأ الاتحاديون عملهم من نقطة التمزيق بينما كان يعمل عبد الحميد من نقطة الوحدة ، وكانت الدعوة الطورانية هي رسالة تمزيق الامبراطورية والقضاء على الجامعة الإسلامية وإيقاع الخصومة الدموية بين العرب والترك ، وقد صاحب الدعوة الطورانية مفاهيم غريبة جريئة تعارض القيم الإسلامية أساساً وتهاجمها في عنف وتدعو إلى العنصرية واللا دينية واللاحاد وشجب الدين

من المجتمع أساساً وقد أشار الذين تعرضوا لهذه القضية أن السلطان عبد الحميد كان يخشى من أن يؤدي إصدار الدستور إلى تسلط هذا التيار . ومن هذا يبدو أن السلطان عبد الحميد كان ضحية المطامع الصهيونية من ناحية والنفوذ الغربي من ناحية أخرى . وقد جرت على أقلام الكتاب عبارة « الاستعمار التركي » بالنسبة للعرب وهي كلمة غريبة دخيلة وليست صحيحة فلم تكن الرابطة الجامعة للعرب والترك في الدولة العثمانية « استعماراً » بقدر ما كانت « امتزاجاً » على أساس مفهوم الرابطة الإسلامية وحدها ، ويمكن أن يقال إن النفوذ الغربي هو الذي مزق هذه الرابطة بإثارة الدعوة الاقليمية المنشقة من إحياء تراث طوران وجنكيزخان وهي دعوة حمل لواءها كتاب معروفون في هذا الوقت في مقدمتهم ضياء كوك الب وسيد بلک وأحمد أغايف ويوسف أقشورا وأغا أوغلي أحمد وحمد الله صبحي وجلال نوري ، وقد كان هدف هذه الدعوة في ظاهره العمل على إخراج الدولة العثمانية من التأخر والجمود والعزلة ، غير أن النفوذ الغربي الكامن وراءها والمغذى لها كان طامعاً في أن يحقق بها أهدافه جميعاً التي تحققت فعلا بعد الحرب العالمية الأولى وهي : (١) القضاء على الجامعة الإسلامية والخلافة . (٢) القضاء على الدولة العثمانية .

(٣) السيطرة على البلاد العربية واحتلالها . (٤) نقل تركيا من دولة ذات طابع إسلامي إلى دولة غربية الطابع . وقد عمدت جمعية الاتحاد والترقي - التي سيطر عليها الدونمة (يهود سالونيك) من الداخل وحولوها عن أهدافها إلى خدمة أغراضهم وذلك حين أفسسوا لها عقد ندواتها في المحافل الماسونية ، إلى تأليف الجمعيات واللجان ونشر الكتب الطاعنة في الإسلام الداعية إلى التحول إلى الرابطة الطورانية بدلا من الإسلام وكانت لم أناشيد قصائد ينشرونها سرا . وقد استطاعوا بقوة النفوذ الاستعماري من اسقاط عبد الحميد وكان قره صوه اليهودي الذي اشترك في مفاوضة السلطان واغرائه بالملايين لمنح اليهود حق دخول فلسطين واحداً من الذين اشتركوا في خلعه علامة على إعلان أثر اليهود في خلع الرجل الذي عارض نفوذهم ويمكن القول بأن الفترة التي بدأت من تاريخ تركيا بخلع عبد الحميد وتولى الاتحاديين للحكم هي الفترة التي اجتمعت فيها إدارة الحاكيمين والاستعمار على تصفية الدولة العثمانية وابرار طابع الجامعة الطورانية وإبلاغ العلاقة بين الترك والعرب أشد مراحلها عنفاً وقسوة مما مهد بزوال الدولة وإلتهام الغرب للأجزاء العربية ومنح اليهود وعد بلفور الذي يعطيهم الحق في إقامة دولة فلسطين . في ضوء هذه الملاحظات يمكن النظر إلى موقف

السلطان عبد الحميد من التاريخ بعين الانصاف وفي السنوات الأخيرة أخذت تظهر وثائق كثيرة تكشف حقيقة هذا الرجل وتدفع عنه كثيراً مما شاب اسمه من اتهامات وشبهات ألصقتها به النفوذ الاستعماري والصهيونية على السواء .

الباب الثالث

(١)

الأمة العربية ومصر العربية الاسلامية

«الأمة العربية» حقيقة واقعة ملموسة بوضوح في تاريخ المسلمين منذ فجر الاسلام إلى اليوم ، لم تختف يوماً وإن جنحت إلى الضعف والانطواء في فترات قليلة . وفي العصر الحديث وحيث ضعفت قوة الوحدة الاسلامية القائمة على الرباط بين الترك والعرب ، برز دور الأمة العربية من جديد في مجال اليقظة والاصلاح ، وعاد العرب إلى تسلم مقاليد مركزهم الاجتماعي والحضاري في بناء العالم الاسلامي . ويمكن القول أن عوامل اليقظة الفكرية والاجتماعية في العالم الاسلامي كله قد بدأت من قلب الأمة العربية ، ومن قلب الجزيرة التي انبثق فيها ذلك الضياء الواج ، ولقد ظل العرب أو فياء الوحدة الاسلامية حنظلاً عليها حتى اضطرم الاتحاديون - وليس الأتراك جميعاً - إلى الانفصال ورفع لواء الثورة . كان العرب يطالبون بحقوقهم - حق الأمة - من خلال الرابطة الاسلامية والدولة العثمانية وكانت حركاتهم جميعاً تستهدف قيام نظام لامركزي يقيم لهم حكومة مستقلة داخل إطار الدولة العثمانية ، وكانوا يؤمنون بالوحدة في مواجهة الغزو الزاحف ، فلما ضعفت الدولة العثمانية بعد سقوط السلطان عبد الحميد وغلب طابع الاتحاديين مستهدفاً الدولة العثمانية والقضاء على الرابطة الموحدة بين العرب والترك خدمة للنفوذ الأجنبي الراغب إلى تمزيق هذه الأواصر وابتلاع هذه الأجزاء ، اتجه العرب إلى إقامة حركة المقاومة من خلال وحدتهم كآمة ، وهذا هو المفهوم الحقيقي للوحدة العربية كما فهمها العرب ، الذين أحسوا بأن كياناتهم الذاتية قد بدأ يصيبه خطر كبير نتيجة الدعوة التي حمل لواءها الاتحاديون وهي «الجامعة الطورانية»

وهي جامعة تقوم على الجنس والدم وتحاول أن تجمع العناصر الطورانية في قومية واحدة كما أحس العرب بخطر يواجه كيانه من حيث غزو اللغة التركية في مجال المدرسة والتعليم والمحكمة والمجتمع . ومن خلال العمل الدائب على « تتركب العناصر » الداخلة في الدولة العثمانية ومن بينها العرب . كان هذا هو التحدى الخطير الذى واجه العرب ، ودفعهم إلى التجمع من حول فكرة الوحدة العربية . وقد تمت الدعوة وتطورت حيث ضعفت الدولة العثمانية وزادت تحديات حكامها الاتحاديين للعرب حتى علقوا على المشائى فى دمشق وبيروت عام ١٩١٦ فكان هذا هو الحد الفاصل بين الوحدة العربية وبين الدولة العثمانية ، ثم توالى الأحداث وظل كثير من العرب خلال الحرب العالمية الأولى - وقد دخلها العثمانيون إلى جوار ألمانيا - يحذرون من انتفاض على الدولة حرصاً على تفويت الفرصة على النفوذ الاستعماري الذي انتفع وحده من هذا الخلاف والذي خدع العرب حين دعاهم إلى الانضمام لصفه في مقابل إقامة دولة عربية لم بعد الحرب ، ثم لم يلبث الخلفاء أن خفروا عهدهم واحتلوا البلاد العربية وسيطروا عليها وأقاموا حكم الاحتلال والانتداب الوصاية على معظم هذه الأجزاء ، ووجد العرب أنفسهم قد وقعوا في براثن وضع استعماري أشد قسوة من الوضع الذي كانوا يشكونه في الدولة العثمانية . ولما سقطت الخلافة عام ١٩٢٤ وانطوت الدولة العثمانية كانت مرحلة الدعوة إلى القوميات في العالم الإسلامي كله قد أخذت تلعب دوراً خطيراً وتمثل مرحلة جهيرة ، وواجه الاستعمار الأمة العربية بالتحدي فأثار في مختلف أجزائها دعوات إقليمية ضيقة ، سميت بالقومية المصرية والقومية السورية وحملت لواء الارتباط بالماضى التاريخي الغامض البعيد السابق على ماضيها الإسلامي الحي ، فنشرت دعوات الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان والبربرية في المغرب وعلت هذه النصيحة التي كانت في أول أمرها عاملاً من عوامل المقاومة الوطنية وطابعاً ضرورياً في مرحلة مقامة الاحتلال الذي كان يلقي إلى كل هذه البلاد شبهات تقول بأنهم ليسوا « أمة » فالمصريون ليسوا أمة والعرب ليسوا أمة ، كما حاول الاستعمار عن طريق المدارس والكتب والصحف أن يقول بأن هذه البلاد عاشت منذ أول التاريخ في احتلال : احتلها الفرس والرومان ووصف العرب بأنهم محتلون ، وهكذا أثيرت دعوات إقليمية خطيرة ، وفرضت قيود كبيرة تحول دون اللقاء هذه الأجزاء العربية معاً ، واستسلمت الأنظار لهذه الدعوات في مرحلة « الوطنية » حيث كان الصراع دائراً بين المستعمر وأهل القطر الواحد ، فكانوا يتشبهون بالوطنية ويتخذون من تاريخهم الخاص وسيلة للمقاومة

والاستعلاء ، فكان المصريون حين يدعون إلى الفرعونية في هذه الفترة إنما يريدون أن يقولوا إن لهم ماضياً وتاريخاً يبلغ خمسة آلاف سنة من العمر وأنه أقدم من تاريخ بريطانيا وأمريكا جميعاً . وفي العراق والشام بأجزائه (فلسطين وسوريا ولبنان) كانت الدعوة تحمل طابع الماضي العربي ثم تذهب إلى مرحلة ما قبل تاريخ الإسلام فتحاول التفاخر بالفينيقية والأشورية وخلق كيان محدود ، وكانت دعوة المصرية في مصر في هذه الفترة تحاول أن تنفصل عن الأمة العربية والفكر الإسلامي جميعاً وترتد إلى ماض من الفرعونية غير واضح التاريخ أو الثقافة أو التراث وفشلت هذه الدعوات جميعاً في مصر والشام والمغرب ، واهتدى العرب إلى أن رابطتهم بالإسلام وتاريخه هي أقوى هذه الروابط ومنها ينبعث كيانهم الحقيقي ووجودهم الواضح المؤصل .

وكانت مسألة الاحتلال الفرنسي لسوريا ولبنان والجزائر ومراكش وتونس ، والاحتلال البريطاني لمصر والسودان والعراق والجنوب العربي والاحتلال الإيطالي لليبيا ، هذه مسألة الجهاد الذي لم يتوقف بالكلمة والمفاوضة والدعوة إلى الحرية في حركات متصلة لم تتوقف . وقد سبقتها مرحلة الكفاح المسلح والجهاد المحارب على أيدي : عبد القادر الجزائري في الجزائر ، وأحمد عرابي في مصر ، والمهدى في السودان ، والسنوسي في ليبيا ، وعبد الكريم في المغرب الأقصى . غير أن هناك قضية أخرى كانت أخطر من ذلك كله : هي قضية الغزو اليهودي لفلسطين والذي اتخذ خطواته الأولى منذ سنوات طويلة بعد عقد مؤتمر بال ١٨٩٧ والمفاوضات التي جرت بين هرتزل والسلطان عبد الحميد والتي قضت على آمال اليهود في فلسطين والتي عمد الاستعمار والصهيونية إلى تحقيقها بإسقاط عبد الحميد وفتح الطريق إليها في ظل نفوذ الاتحاديين إلى روتشلد عام ١٩١٨ والذي كان نقطة تحول خطيرة في الوجود العربي حيث أقام فاصلاً بشرياً بين جزئي الأمة العربية الأفريقي والآسيوي وفي أخطر موقع على البحر الأبيض المتوسط وعلى البحر الأحمر وفي نفس المنطقة التي سيطرت عليها الحملات الصليبية وقد تدافعت خطوات هذا الغزو في العصر الحديث حيث انتهى باحتلال الصهيونية لفلسطين ١٩٤٨ واحتلال القدس ١٩٦٧ وتشكيل أخطر تحد واجه الأمة العربية . هذا الخطر كان علامة القوة في التركيز على الوحدة العربية ، حيث بدأت هذه الحركة تتضح وتستحصد حتى بلغت مرحلة هامة من مراحلها بقيام الجامعة العربية ١٩٤٦ (قبل احتلال الصهيونية للقدس بعامين) ثم انتقلت حركة الوحدة العربية إلى مرحلة أشد قوة

وعمقاً منذ عام ١٩٥٦ عندما أعلنت مصر أنها جزء من الأمة العربية وتصدرت لقيادة الحركة العربية بالاشتراك مع الهيئات العاملة في مجال الوحدة العربية في سوريا والعراق والأردن . وقد حققت هذه الحركة خطوات بعيدة المدى في سبيل البناء القوي العربي ، ومن خلاله حدثت تجربة الوحدة بين مصر وسوريا التي أعطت العمل العربي خبرة واسعة ، ثم اتسع نطاق الحركة العربية حتى شمل العالم العربي كله .

مصر : العربية الإسلامية

ولقد كانت مصر دوماً قلب الأمة العربية ومنار العالم الإسلامي كله ، وذلك بوجودها الجغرافي والتاريخي والثقافي الفريد ، ومن هنا فقد حرص الاستعمار والنفوذ الأجنبي على التذكيز عليها منذ وقت بعيد ، حيث زحفت الحملة الفرنسية ١٧٩٨ لاحتلالها ثم ارتدت عنها ثم تبعها حملة فريزر الانجليزية ، ثم كان إنشاء قناة السويس عاملاً هاماً وخطيراً في مكان مصر من أطماع النفوذ الاستعماري الزاحف الذي قضى على الحركة الوهابية في الجزيرة العربية وحركة محمد علي في مصر ، وهما حركتان كانتا من عوامل اليقظة العربية ، ثم كان احتلال فرنسا للجزائر ١٨٣٠ واحتلال إنجلترا لمصر ١٨٨٢ مقدمة لاحتواء هذه المنطقة داخل النفوذ البريطاني الفرنسي . ومن ذلك فقد ظلت مصر هي قلب الأمة العربية بالرغم من الدعوات التي دعت إلى تمصيرها ، وظلت منار العالم الإسلامي لوجود « الأزهر » وهو ثالث القوى الإسلامية في هذه الفترة : حيث مكة هي قبلة المسلمين والدولة العثمانية مقر الخلافة الإسلامية وكانت مصر مقر الأزهر مصدر الثقافة العربية الإسلامية . ولقد لعبت مصر دورها على المدى الطويل في حركة الغزو الفرنسي ، وفي مقاومة استبداد محمد علي وفي الثورة العربية وفي ثورة ١٩١٩ وكان الأزهر هو مصدر . مع هذه الحركات ومعقلها وكانت مفاهيم الفكر الإسلامي في العالم كله هي مصدر حركات المقاومة والتجمع والوحدة ، ولقد كانت مصر رابطة جامعة للدعوات والحركات التحريرية تؤمن بأنها مصرية وعربية وإسلامية في مجال الأرض كانت تؤمن بالأمة العربية ورباطتها الأكيدة معها ، وفي مجال الفكر كانت تؤمن بالإسلام التي تربطها بالمسلمين في كل مكان . وفي العصر الحديث دعمت مصر دورها في هذه المجالات عن طريق هيئاتها العربية والإسلامية فهي مقر الأزهر ومقر الجامعة العربية ومقر الهيئات الإسلامية المختلفة (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومجمع البحوث والتأليف الإسلامي) وقد

ربطت نفسها بالعالم الإسلامي كله ، فلها طريقها إلى الدول الأفريقية المسلمة وطريقها إلى الدول الأفريقية المسلمة . وطريقها إلى أرخبيل الملايو وطريقها إلى تركيا وباكستان والهند وإندونيسيا وأفغانستان ، تؤدي دورها القيادي الإسلامي الحضاري بالنسبة للأخوة الإسلامية والوحدة العربية فهي لم تتخل قط عن إيمانها المصري مثلاً في الوطنية والعناية بالتراث الفرعوني والقبلي ، ولم تتخل عن دورها القوي في الإيمان بالعروبة وروابطها مع الأمة العربية ولم تتخل عن دورها الإسلامي في الأخوة الإسلامية مع المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وشاركت في مختلف المؤتمرات والحركات والدعوات التي حملت لواء التحرر والوحدة والمقاومة وتصفية الاستعمار وتحرير الشعوب بإيمان صادق أكيد .

(٢)

الوحدة العربية والدعوات الاقليمية

عاش المسلمون في تاريخهم الحديث بين ثلاث روابط :

١- الرابطة الإسلامية العامة . ٢- الرابطة القومية المرتبطة بالأمة وبالقوم . ٣- الرابطة الوطنية المتصلة بالوطن والأرض . أما الرابطة الإسلامية العامة فقد كانت تتمثل في مفهوم فكرى واحد يجمع المسلمين قوامه الإسلام نفسه : دين الأغلبية الساحقة في العالم الإسلامي ، ولذلك وصفت هذه الرابطة بأنها رابطة دينية أو جامعة دينية في مواجهة الرابطة الأخرى التي بدأت تغزو المجمع الإسلامي وهي الرابطة القومية أو كما كانوا يطلقون عليها الجامعة الجنسية . ولقد كان الصراع بين الجامعتين الإسلامية والقومية طويلاً وبعيد المدى وقد مر بمرحلتين : المرحلة الأولى خلال الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى ، وقبل سقوط الدولة العثمانية وقد تمثل في هذه المرحلة في دعوتين . دعوة الجامعة الإسلامية التي تحمل لواءها الدولة العثمانية خلال حكم السلطان عبد الحميد الذي انتهى عام ١٩٠٨ وهي دعوة الإسلام بحسبانه جامعة لأهله ليس داخل الدولة العثمانية وحدها وإنما للمسلمين عامة من حيث أن الدولة العثمانية تحمل لواء الخلافة . وقد كانت هذه الدعوة دعوة ضرورة في هذا الوقت بالذات حيناً اتسع نطاق الغزو الاستعماري الزاحف وتوالى سقوط الوحدات الإسلامية في قبضة النفوذ الغربي ، فكان إعلان شعار الوحدة الإسلامية أو الجامعة الإسلامية إيماناً يستهدف

تتجمع المسلمين ومقاومتهم وقيام جبهة صامدة قوامها الدولة العثمانية التي تضم عنصري العرب والترك إلى باقي المسلمين في الهند وأفغانستان وإيران وأفريقيا وأرجيل والملايو . أما دعوة الوحدة العربية ، أو الجامعة العربية ، أو القومية العربية ، أو الجامعة الجنسية فإنما كانت قد برزت أساساً من خلال الاتجاه الذي نما في الشام بالذات ومن خلال منابر الإرساليات الغربية وبشته بيروت بالذات ولها وضعها الخاص القائم على أنها كيان مستقل داخل الدولة العثمانية ، وكانت الدعوة إلى العروبة إنما تعنى تمزيق الرابطة السياسية القائمة بين العرب والترك في كيان الدولة العثمانية ، ولم تكن الدعوة في هذا الوقت وبالصورة التي برزت بها نتاج طبيعي وإنما كانت محاولة أولى لإعلاء شأن الجنس والدم والعرق رغبة في تمزيق وحدة العناصر المختلفة التي تضمها الدولة العثمانية وفي معارضة وتضارب مع حركة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني وحاول تحقيقها السلطان عبد الحميد . ولم يكن غاية الدعاة إلى تحقيق مطالب العرب إلى أبعد وقت بعد ذلك تطالب بأكثر من حكم قوامه اللامركزية أو خلق وضع عربي مستقل داخل كيان الدولة العثمانية ، أو على أكثر تقدير ما دعا إليه عزيز المصري وزملاؤه من أن يتم إقامة كيان عربي داخل اتحاد فدرالي تكون قيادته عثمانية (أي عربية وتركية) يبقى به وضع الدولة العثمانية قائماً وجامعاً بين الترك والعرب . ولقد اقترب العرب كثيراً من الجامعة الجنسية أو الوحدة العربية ولكن ذلك إنما تم على مراحل طويلة ولم يبرز في صورة واضحة إلا بعد سقوط السلطان عبد الحميد وانطواء دعوة الجامعة الإسلامية وزاده قوة وتأكيداً تمزيق الاتحاديين للرابطة التركية العربية ودفعها إلى آخر مراحل الخلاف والصراع والتمزق بتعليق أحرار العرب على المشانق . ثم كانت الدعوة إلى الوحدة العربية ضرورة حتمية بعد أن مزق الغرب الأمة العربية إلى دول وكيانات إقليمية منفصلة بعد الحرب العالمية الأولى وفي ظل أخطر تحدي واجه العرب وهو التحول الذي فرضه الاستعمار على فلسطين وتاهيلها لتقوم بها دولة صهيونية ونضال العرب في سبيل مقاومة هذا التحول الخطير . فالوحدة العربية في الحق لم تصبح جامعة أساسية في تقدير العرب ، ولم يتجه إليها نضالهم إلا بعد أن سقطت الرابطة الكبرى : الجامعة الإسلامية أو الوحدة العربية التركية المثلة في الدولة العثمانية ، وذلك بحسبان أن تحل هذه الجامعة محل الجامعة الإسلامية في مقاومة الغزو الغربي والنفوذ الأجنبي والاستعمار الأوروبي . ولقد كان للاستعمار دوراً كبيراً مؤثراً في الاضطراب والصراع بين هذه الدعوات المختلفة . إذ كان قد اتجه

إلى اتخاذ سلاح التفرقة وتمزيق الكيان الأكبر وسيلة إلى القضاء على وحدة العالم الإسلامي وذلك في سبيل خلق كيانات متعددة يحكمها وتنزع بين قواه الاستعمارية : المغرب والجزائر وتونس لفرنسا وليبيا لإيطاليا ومصر والسودان والعراق لانجلترا وفلسطين لليهود . ومن هنا فقد أُرز الاستعمار الدعوة القومية وأعلاها وأتاح لها فرصة التآء والقوة في حدود محدودة وإلى مراحل معينة ، فقد بدأت الدعوة إلى القومية العربية من بعض المؤسسات الأجنبية التبشيرية في بيروت تحمل لواء الحرية والديمقراطية واللغة العربية في مواجهة ما وصفت به الدولة العثمانية في هذه الفترة من الاستبداد وإعلاء اللغة التركية . فلما تحقق سقوط النظام الذي كان يقوم عليه السلطان عبد الحميد من الجامعة الإسلامية ، تحولت هذه المؤسسات عن دعوتها وأخذت تخاصم اللغة العربية وتعلو من شأن لغاتها الأجنبية كما سكنت عن الكلام عن الحرية والديمقراطية فقد قامت حكومة قوامها الاتحاديون المواليين للنفوذ الاستعماري في حربه للوحدة الإسلامية وفي توسيع نطاق الدعوة إلى القومية التركية باسم الجامعة الطورانية ومحاولة إعلاء شأن الجنس التركي والعمل على تتركب العناصر المختلفة في الدولة العثمانية وفي هذه العناصر العرب .

هناك وقع الخلاف وقامت الخصومة بين الاتحاديين والعرب أساساً ، وبدأ الصدام بين الجامعة الطورانية والجامعة العربية وبذلك سقط الحاجز الضخم الكبير الذي كان يجمع العرب والترك في الوحدة الإسلامية الجامعة . ولقد كان العالم الإسلامي يتمثل في ثلاث قوى إسلامية : هي : الدولة العثمانية (تضم العرب والترك) والدولة الفارسية ، والدولة المغولية في الهند ، ولقد سيطر الاستعمار على هذه المناطق الثلاث بدرجات مختلفة .

أما الدولة المغولية في الهند فقد اجتاحها الاحتلال البريطاني في نفس الوقت الذي سيطر الهولنديون على جاوة وسومطره بالاشتراك مع الإنجليز الذين سيطروا على الملايو . أما الدولة الفارسية فقد تقرب إليها النفوذ البريطاني منذ وقت بعيد في مساندة لصراعها مع الدولة العثمانية حتى تظل أكبر قوتين في هذا الوقت في صراع دائم .

أما الدولة العثمانية فقد كانت الشغل الشاغل للنفوذ الأجنبي ولأوروبا وللغرب كله بحسبان أنها الدولة التي اقتحمت أوروبا واحتلت القسطنطينية وسيطرت على البلقان وصارعت الغرب كله خلال ثلاثة قرون ووصلت قواتها ونفوذها إلى سوارفينا . ولذلك فقد حرص النفوذ الأجنبي المتمثل في فرنسا وانجلترا وروسيا إلى اقتطاع أجزائها واحدة بعد أخرى ، وأطلق

يد روسيا في مناطق آسيا وسيبيريا ، كما أطلق يد بريطانيا في مصر والسودان والخليج الفارسي والبحر الأبيض وأطلق يد الفرنسيين في المغرب والجزائر وتونس . ولم يبق في يد الدولة العثمانية إلا الجزيرة العربية والشام بأجزائه والعراق ، ومن خلال هذه الثورة بدأت معركة الصراع الأخير للقضاء على الدولة العثمانية وتمزيقها . ومن هذه المنطقة ظهرت دعوة الوحدة العربية التي تحولت إلى ما أطلق عليه الثورة العربية بحسبان وعد بريطانيا بإقامة دولة عربية كبرى بعد الحرب العالمية الأولى تضم هذه الأجزاء التي حملت لواء الحرب مع الدولة العثمانية ، وقد كان مفكرو المسلمين والعرب في هذه الفترة بين رجلين : أحدهما يرى أن بريطانيا ستفي للعرب بما وعدت وتمكنهم من إقامة دولة عربية بعد الحرب نتيجة للمؤازرة الضخمة التي قدمها العرب لبريطانيا في مواجهة الدول التي انضمت إلى أعداء بريطانيا . أما الآخر فيرى الإبقاء على دعم الكيان العثماني كقوة قائمة في وجه النفوذ الأجنبي الزاحف ، إيماناً بأن بريطانيا والغرب لن يسمحوا بقيام دولة للعرب فإنهم بسبيل تمزيق الدولة العثمانية والتهاهما ، ومن ثم فإنهم سوف يخدعون العرب حتى يقدموا معونتهم فإذا انتهت الحرب ، فسوف يغدروا بهم . وقد تحقق فعلاً ما توقعه أصحاب هذا الرأي وكان أصحابه أصدق نظرة إلى الاستعمار من الآخرين الذين أبدوا بريطانيا ، وبالحق فقد خدعت بريطانيا العرب ثم مزقت المنطقة بعد الحرب إلى كيانات ومنعتها تحت نفوذها باسم الانتداب أو الوصاية من الالتقاء والتكامل ، وكان أخطر نقطة في تأمر الاستعمار هو تمكين الصهيونية من فلسطين لإقامة كيان غريب في قلب الأمة العربية . وبهزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى ، انتهت المعركة بين الاستعمار والدولة العثمانية التي سقطت وتمزقت ، وقامت بدلا منها دولة تركية قومية ذات صبغة عربية خالصة منفصلة عن العرب والإسلام جميعاً . وبذلك غلب طابع القومية العربية مع تمزق الكيان الموحد الذي كان يجمع العرب والترك . وأصبح العمل للجامعة العربية في نظر العرب هدف كبير ، من خلال محنة تمزق الكيانات وإعلاء الاستعمار للإقليميات وإثارة الدعوات القديمة كالفرعونية والفينيقية والآشورية والبربرية لعزل هذه الأجزاء عن بعضها والتفريق بينها تفريقاً يحول دون التقائها على وحدة عربية .

ولقد كانت دعوة القومية العربية في مفهومها الفطري والطبيعي أنها لا تنفصل عن الأساس الإسلامي الذي يشكل فكرها وثقافتها وقيمها الأساسية ، غير أن بعض دعاة القومية لم يلتزموا بمفهومها من تاريخ الأمة العربية وموقعها من العالم الإسلامي ومن الإسلام نفسه ،

وإنما التمسوا مفهومها من نظريات القوميات الأوربية التي كان لقيامها وتشكلها ظروف تختلف ، وأوضاع تتباين . ولذلك فقد حرص دعاة القومية العربية ذات المفهوم الغربي أن يؤكدوا ابتعاد أسس الوحدة العربية عن الدين ، والدين هنا هو الإسلام ، ومن حق أن يقال إن القومية تختلف عن الدين في مجالات عدة ، فإن القومية دعوة جنس ودم وقوم ووحدة أمة ، وإن الدين بمفهوم اللاهوت الغربي له مجال آخر يرتبط بالعقول والأرواح والروابط المتصلة بين الإنسان وربه ، ولذلك فمن هذه الناحية ليس الدين أساس من أسس القومية ولكن هذا الأمر على إطلاقه في مفهوم الدين لا يتفق مع « الإسلام » نفسه ، فليس الإسلام ديناً كالأديان الأخرى التي واجهتها نظرية القومية في أوروبا ، بل الإسلام دين وزيادة ، دين ونظام مجتمع ، ومن هنا فإن مفهوم الإسلام بالنسبة للقومية يختلف عن مفهوم الدين وحده ، ومفهوم الإسلام هنا بالنسبة للقومية العربية أو الوحدة العربية يختلف عن مفهوم الأديان في القوميات الأوربية ، ذلك أن الأسس الكبرى والقيم الأساسية للثقافة العربية واللغة العربية والتاريخ العربي وهي العناصر الأساسية للقومية في المفهوم الغربي إنما تستند وجودها من الإسلام والفكر الإسلامي ولا تنفصل عنه فالإسلام بحسبانه نظام مجتمع قد أثر تأثيراً كبيراً في اللغة والتاريخ جميعاً وليس هناك لغة عربية منفصلة عن لغة القرآن والإسلام ، وليس هناك تاريخ للعرب منفصل من تاريخ الإسلام ، ولذلك فإن القيم الأساسية للوحدة العربية أو مقومات اللغة العربية لا تجد إلا الإسلام نفسه بحسبانه فكراً ونظام مجتمع هو القاعدة الأساسية له . وليس للدين في الإسلام كبير دخل في هذا المجال . ومن هنا تسقط دعوى التصارع المقتعل بين الإسلام والعروبة وبين القومية العربية والإسلام . ومن الحق أن يقال إن الدوائر الثلاث : دائرة الوطنية ، وتسمى « دائرة الأرض » . ودائرة القومية ، وتسمى « دائرة الأمة » . ودائرة الإسلام ، وتسمى « دائرة الفكر » . ليس بين هذه الدوائر الثلاث صراع أو تقابل ولكنها دوائر متداخلة متساندة : الوطنية أصغرها وأوسطها والقومية أكبر منها وتليها في الدائرة والإسلام هو الدائرة الكبرى . ولقد كانت الدعوة الوطنية في مواجهة النفوذ الاستعماري دعوة ضرورية وهامة حيث كان النفوذ الاستعماري يحق كيان الأمم فيقول : إن مصر مثلاً ليست أمة وليست وطناً وأنها لم تكن يوماً من الأيام حرة ، وقد تواتر عليها المستعمرون من الفراعنة والترك والفرس والإنجليز ، ويقول مثل هذا عن كل أمة ووطن ، فكان لابد أن تقوم في مصر دعوة وطنية مصرة على

أن مصر أمة ووطن يجرى النيل بين شاطئيه وله تاريخ قوامه الفراعنة أصحاب الحضارة الأولى ومعدنو العالم وأنه رد الغزاة وحمل الحضارة وامتد إلى السودان والحجاز والشام وهكذا . ومن هنا كان الضغط على مفاخر التاريخ ، ومفاخر الأرض وسيلة أساسية ومرحلة طبيعية في طريق اليقظة والحرية .

ثم كانت المرحلة الثانية : مرحلة الأمة : فمصر جزء من الأمة العربية يربطها بها تاريخ موحد ولغة ومقومات جغرافية وسياسية واجتماعية لا سبيل إلى انفصامها ولذلك فإن الأوطان حين تبلغ درجة ما من الحرية تنداعى أجزائها إلى وحدة الأمة ، وهذا هو مفهوم الوحدة العربية . ولكن هذه الدعوة الوطنية : وحدة الأرض ، وهذه الدعوة القومية : وحدة الأمة ، إنما تتحرك في إطار واسع هو إطار الوحدة الفكرية الإسلامية التي جمعت هذا العالم منذ أربعة عشر قرناً من خلال ثقافة موحدة وقيم أساسية واحدة صاغت العقل والقلب والضمير ، ومن هنا فإن الوحدة الإسلامية ليست وحدة سياسية إلا كنتيجة أساسية قوامها الروح والمجتمع وعوامل الوحدة الفكرية .

هذا هو المفهوم الواضح الطبيعي ، ولكن النفوذ الأجنبي يحاول أن يجعل من دعوات الجامعة الوطنية والجامعة القومية والجامعة الإسلامية جامعات متعارضة متضاربة متخاصمة ، بينما هي مراحل طبيعية تاريخية فرضتها ظروف النفوذ الأجنبي والاستعمار التي سيطرت على العالم الإسلامي .

فالدول الإسلامية قد عمقت وجودها الوطني ووجودها القومي ، ولكنها لم تنفصل عن دائرتها الواسعة واطارها العام وإن بعدت عنه فترة من الزمن فإنها في الفترة الأخيرة تتقارب وتلتقي وتحاول أن تقضي على العوامل الخلافة الفرعية التي عمقها الاستعمار ليجعل منها عوامل تمزيق ويحول بها دون الالتقاء والتوحيد . وقد كشفت مقررات المؤتمرات الكبرى العامة التي ضمت دول العالم الإسلامي مرات متعددة من سلامة مفهوم الرابطة الإسلامية والالتقاء الجامع وعمق هذا المفهوم وضرورته واستمراره دون أن تقلل منه عملية العزل والتمزيق الواسعة التي امتدت الآن أكثر من مائة عام . وما تزال الرابطة الفكرية والروحية معاً قائمة في مختلف أجزاء العالم الإسلامي بالرغم من الكيانات ووجود الخلافات الفرعية التي أثارها الاستعمار وأكدها وعمقها في خلال مرحلة الاستعمار وما تزال ردود فعل هذه الرابطة الفكرية والروحية واضحة في كل موقف أو تحد أو حدث من الأحداث المختلفة التي تواجهه .

أي وحدة من وحدات العالم الاسلامي . وهي تنجلي واضحة في قضية فلسطين ، وفي مختلف معارك الصراع بين الاستعمار والعالم لتطورات الاسلامي ممثلا في المختلفة ومن اقرب هذه النماذج : معركة الجزائر .

(٣)

الاسلام وحركات المقاومة العربية

إلى ما قبل أن تندلع الحرب العالمية الأولى كان العالم الاسلامي يتمثل في الدولة العثمانية وتضم العرب والترك ثم أفغانستان وإيران . وكانت هناك ثلاث مجموعات أخرى

(١) الهند التي سقطت فيها الدولة الاسلامية بالاحتلال البريطاني (٢) أرخبيل الملايو بمجموعة الاسلامي الذي قسمه الاستعمار إلى أندونيسيا تحت الاحتلال الهولندي والملايو تحت الاستعمار البريطاني . (٣) أفريقيا الاسلامية التي مزقتها الاستعمار وتوزعتها دوله والتهمتها قبل نهاية القرن التاسع عشر . وكان الزحف الاستعماري الذي بدأ منذ أوائل القرن الخامس عشر على العالم الاسلامي قد اتجه نحو أفريقيا ودار حول رأس الرجاء الصالح ومد خطواته إلى كانتون ثم تواصلت موجاته المتدافعة : البرتغال والأسبان والهولنديون ، والفرنسيون والبريطانيون ومنذ اتصل الأوروبيون بالعالم الاسلامي لم يتوقف الصدام ولم تتوقف المقاومة . هذه المقاومة التي حمل لوائها العالم الاسلامي في مختلف أجزائه دون توقف . وقد تمثلت هذه المقاومة في الحرب والمعارك العسكرية حينما فلما ازدادت سيطرة الاستعمار تمثلت في صور أخرى من المقاومة ولكنها لم تتوقف قط ، ولم يستسلم جزء من العالم الاسلامي إلا بالخدعة والمكر وتآليب الخيانة على حركة المقاومة ، ولم تسلم قوة من قوات المقاومة إلا بعد أن نفذ كل ما تملك من عتاد وزاد . وقد واجه النفوذ الاستعماري هذه المقاومة بالعنف وبالحيلة معاً . أما العنف فقد قضى به على قادة حركات المقاومة ثم فرق جموعها بالسجن أو الاغراء أما الحيلة فقد كانت تتمثل في تكوين أجيال جديدة تؤمن به وترضاه وتصادقه وتتعاون معه . وقد اختار بعض مفكرى الاسلام وقادته مبدأ المصالحة مع الاستعمار ، ورأوا أنه « طريق ضرورة » لا بد منه في هذه الفترة . وأن من الحق أن يستمر المسلمون في طريق واحد هو طريق المقاومة والتجديد ، بينما العناصر الاخرى تتقدم عليهم وتسيطر على مجالات

القيادة السياسية والفكرية . ويحضر هنا مثلين أحدهما الشيخ محمد عبده في مصر وأحمد خان في الهند . فقد دفع الاستعمار من غير المسلمين في كل مكان حل فيه وفتح لهم آفاق التعليم والثقافة والبعثات ثم جعل منهم ركائزه وخدامه ، وبذلك تخلف المسلمون حتى جاء مثل محمد عبده وأحمد خان فدعيا إلى ضرورة مهادنة الاستعمار وفتح الطريق أمام الطلائع المسلمة . لأن تتعلم تعليماً منحرفاً ولكنه على كل حال خير من الجمود والتوقف ولذلك فقد كان إقبال المسلمين على البعثات والارسلالات والمدارس الأجنبية التي نشرها النفوذ الأجنبي في العالم الاسلامي مسألة ضرورة . وكان قادة المسلمين يعلمون ما تحفل به هذه المعاهد من مقاومة للاستعمار واللغة العربية وقيم الأمة ومقدراتها ولكنهم كانوا في سباق مع الزمن فإما أن يتعلموا هذا التعليم أو يموتوا ، فقد جمد المستعمرون المعاهد الاسلامية المختلفة في العالم الاسلامي ، ولم يجعلوا لخريجيتها أهمية تذكر في مجال العمل والحياة ، وفتحوا الطريق أمامهم الثقافة الحديثة عن طريق المدارس التي وضعوا برامجها واستهدفوا بها خلق أجيال ترفهي بالاستعمار وتصادقه وتعاون المستعمرين وتحتقر القيم العربية والاسلامية والوطنية وتقديرها بطولات التاريخ الأوربي والانجليزى والفرنسى . غير أن هذه المجموعات من المثقفين التي أتت لها أن تنصير لقيادة أوطانها في العالم الاسلامي من تأثرت بأفكار المستعمرين لم تخلص من كبتها للنفوذ الاستعماري بل تحرر كثير منها نتيجة لقوة الضمير العربي الاسلامي الموجود والقائم في طوايا الثقافة العربية وفي جماهير العالم الاسلامي التي كانت تتوحد من مواقعها العامة وتفرض نفوذها على قادتها وتحول اتجاه بعض المفكرين إلى الطريق الأصيل بل إنهم من سار في طريق الغرب ثمة ، لم يلبث أن عاد إلى حمل لواء القيم الأساسية بأصالة أمثال منصور فهمي وهيكال والعقاد . وكان لابد أن تبقى مجموعة قليلة متعلقة بالنفوذ الاستعماري تحمّل لواء التبشير والتغريب والشعوبية ، وقد كانت هذه الجماعة دائماً مكشوفة معروفة ، ولم تستطع كسب ثقة المجموع ، بل أن تطور الأحداث وبرزت الحركات الجديدة قد كشفت عن الدسائس التي جوتها مؤلفات هؤلاء . كما تكشف أخطاء سلامه موسى وطه حسين وأسماعيل مظهر ومحمود عزمي وعلى عبد الرازق ، وبيان هدفها التغريبي الذي اندفعت إليه حال بروزها . ويرجع ذلك في الأغلب إلى قوة القيم الأساسية للفكر الاسلامي الأصيلة العميقة الجذور في بناء الأمة الاسلامية خلال أربعة عشر قرناً ، بحيث لم يستطع الاستعمار الغربي من خلال القرنين من الزمان بأساليبه المختلفة (المدارس .. النظريات الضحف . الكتب . الدعاة) أن يزل

يطمس هذه الحقيقة . ولقد واجه النفوذ الاستعماري في زحفه على العالم الاسلامي قوة متجددة يقظى كانت موضع ازعاج شديد له تمثلت في الدعوات العربية الاسلامية التي برزت في مناطق الصحراء : الوهابية في جزيرة العرب والسنوسية في صحراء ليبيا والمهدية في السودان وقد كانت حرباً عنيفة على نفوذه ، حملت لواء المقاومة من ناحية ، ولواء الانشاء والتشدد والتوسع من ناحية أخرى ، فاذا بالوهابية في جزيرة العرب تشكل خطراً على النفوذ البريطاني في الهند حين قام بعض من آمن بها ببناء دولة قاومت بريطانيا وكبدها كثيراً . وواجهت السنوسية النفوذ الايطالي مواجهة ضخمة ، وامتدت آثار السنوسية فواجهت النفوذ الفرنسي في الجزائر نفسها وكان هو الخطر الدائم في كل مناطق أفريقيا . أما المهدية فقد كبدت بريطانيا في السودان دماءً وهزائم لا حد لها وكذلك قتل المسلمون في أندونيسيا وفي الهند وفي إيران وفي أفغانستان على نحو واسع عريض في معارك ثلاث ضخمة فاصلة . وواجهت فرنسا الجزائر وتونس والمغرب مقاومة وصراعاً لا حد له . وواجهت دول أوروبا المستعمرة المستعمرة في أفريقيا مقاومة لم تتوقف في المناطق التي يكثر فيها عدد المسلمين . وحين انطوت صفحة الأمير عبد القادر في الجزائر وعراقي في مصر وعبدالكريم في الريف المغربي وشامل في القوقاز بدأت صفحة جديدة من المقاومة . فالنفوذ الاستعماري قد حرص على أن يستخلف على أقطار العالم الاسلامي قوى جديدة ليس لها طابع إسلامي صريح ، تمثلت في الأحزاب السياسية ولكن هل كانت هذه القوى الجديدة خالية من مضمون القيم الأساسية الاسلامية التي تحمل دوماً طابع المقاومة والجهاد للمحتل والمغاصب . من الحق أن يقال إن هذه القوى الجديدة التي ظهرت في أوائل القرن العشرين لم تكن إلا صورة مجددة للقوى القديمة فحركة الحزب الوطني في مصر هي الوليد والبديل لحركة مكرم وجمال الدين الأفغاني وأحمد عرابي ، وأحزاب السودان كانت بديلاً عن المهدية والأنصار ، وفي المغرب تحولت الحركة السلفية إلى أحزاب سياسية تحمل في أعماقها طابع المقاومة على مفهوم الاسلام - نعم ، «إن الحركة القومية لم تكن مطابقة للاسلام فحسب بل هي جزء لا يتجزأ من فكرة بعث الاسلام ، فنضال المسلمين للتخلص من الهولنديين وكفاح السوريين ومسلمي المغرب للتخلص من الفرنسيين ونضال مسلمي الهند ضد البريطانيين كل ذلك كان جزءاً من حركة المسلمين لبناء مجتمع إسلامي في العصر الحاضر ، ومن هذا القبيل قيام الأتراك بطرد اليونانيين سنة ١٩٢٢ والإيرانيين للقضاء على منطقة النفوذ الروسية الانجليزية كانت جدياً خطوات نحو احياء

الاسلام فكل المسلمون مسلمون إجتماعياً وسياسياً وإذا كان ثمة اختلاف بين الزعماء الوطنيين والزعماء الدينيين فهو خلاف لم يتخذ مظهر النضال والكفاح . «وقد كانت الصفة الاسلامية غالبة على جميع هذه الحركات حتى في الحالات التي يكون فيها القادة ممن تأثروا بالغرب فتصبح هذه الحركات إسلامية بالنسبة للجماهير والاتباع . «وكانت الجامعة الاسلامية شعوراً لدى المسلمين بضرورة تماسكهم إذ أن وحدة المسلمين في العالم الاسلامي هي وحدة مشاعر ، وظلت الجامعة الاسلامية إلى اليوم حلماً جميلاً تعز تحقيقه ، كانت مستقرة في الوعي الديني الاسلامي القديم وبقيت محتفظة بقوتها .. وليس ثمة تعارض بين الجامعة الاسلامية وبين الروح القومية في البلاد الاسلامية . «وصفوة القول فيما تقدم أن الاسلام في العصر الحاضر قد احتضن النزعات والحركات القومية التي رآها تتفق ونهجه في استعادة أمجاده الماضية ما دامت متمشية وفق التقاليد الاسلامية ، هذا باستثناء تركيا . هذه العبارات نقلناها بتصرف عن ولفردي كانتول سميث من كتابه «الاسلام في التاريخ الحديث » وهي تحمل مضموناً أساسياً معترفاً به ومقرراً بأن حركات المقاومة والتحرر من النفوذ الاجنبي مهما نظورت وليست أثواباً مختلفة فانها جميعاً أجزاء أساسية من حركة المقاومة الاسلامية للاستعمار والنفوذ الغربي وفي سبيل وحدة فكر ، وقد مضت هذه الحركات تعمل في مجالين متصلين : مقاومة الاحتلال والاستبداد معاً نظراً لتساندهما واتصالهما ، وقد مرت بمراحل المقاومة المسلحة في معارك حربية متصلة : اتصلت بين البرتغال والمسلمين على شواطئ أفريقيا والهند وجزر الملايو ، ثم تحولت فيما بعد إلى معارك من نوع آخر تمثلت في مقاومة الحملة الفرنسية في مصر وفي معارك الجزائر بقيادة عبد القادر الجزائري والثورة المصرية بقيادة أحمد عرابي ومعارك شامل في التوقاز ، وعبد الكريم في المغرب ، وثورة المسلمين في الهند ١٨٥٧ وحركات المقاومة بين المسلمين والهولنديين في أندونيسيا والمعارك الثلاث الكبرى بين الأفغان والاحتلال الانجليزي ومعركة ميسلون في سوريا وثورة العراق . وقد انتصر الاحتلال في هذه المعارك بالتآمر والخداع وبقواه الحربية الحديثة غير أن المسلمين في أي بقعة من العالم الاسلامي لم يستسلموا إلا بعد أن نفذت ذخائرهم ولم يجدوا مفرأ من التسليم . ولكن حركات المقاومة لم تتوقف ولم تلبث أن تحولت إلى مقاومة فكرية وجماعية تمثلت في الجمعيات الاسلامية والهيئات والأحزاب ، وفي هذه المرحلة أخذت هذه الحركات طابعاً سياسياً واضحاً ، وقام عليها بعض الزعماء المدنيين ، هذه الحركات لم تتخل عن طابع

في الإسلام فقد كان مفهوم المقاومة في الإسلام هو الأساس للعمل وكانت روح الإيمان بالله والوطن هي أساس أعمال هذه الهيئات ، ولم تتوقف مفاهيم الإسلام عن العمل من خلال الحركات السياسية ، ذلك أن الإسلام جماع بين الدين والسياسة والاجتماع والاقتصاد وأنه لا توجد لهذه الحركات طابعاً دينياً خالصاً ، منفصلاً عن الطابع السياسي ، فالإسلام دين ونظام مجتمع ، جامع بين السياسة والدين معاً ولما كان الغرب حريصاً في السيطرة على مقدرات عالم الإسلام لعدة أسباب أهمها : ١- أن يظل عالم الإسلام غير قادر على إمتلاك مقدراته ومقومات فكره التي تصنع دولة قوية قادرة متكاملة يخشى منها على الغرب نفسه . ٢- أن تظل في يد الغرب هذه المقدرات الاقتصادية المادية : البترول والثروات المكثفة . ٣- المركز الاستراتيجي الذي يحوى مواقع هامة على البحرين الأبيض والأحمر وبين القارات الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقيا . هذا الحرص ، هو الخطر الذي ما يزال يواجه عالم الإسلام بمزيد من حركات الغزو ، وبحركات الصراع والتنافس بين الكتل المختلفة ، والابدولوجيات المتباينة حيث يبدو كأنه بوتقة للتيارات العسكرية العربية والشرقية معاً ، ونظريات الفردية والجماعية على السواء . ومع ذلك فإن العالم الاسلامي ما يزال يقاوم بصمود ولن يستطع الاستسلام لأن مقوماته الأساسية الأصيلة ما تزال تكون الأجيال وتدفعهم إلى الرباط والصمود . إن حركة المقاومة التي واجه بها عالم الإسلام الاستعمار كانت تنطلق من تحت المدافع الغرب ومن خلال حملاته المتوالية عسكرية وسياسية وفكرية ، وهي حملات لم تتوقف وإنما تتوالى بصور مختلفة وتدور حول غزو هذه القيم الفكرية والقضاء عليها بحسبانها هي مصدر القوة والقدرة على المقاومة ، ومن هنا تبدو أهمية حركات التبشير والتغريب والشعوبية المتصلة المستمرة وما تثيره من شبهات وما تحاول من إيجاد الخلاف وتعميقه لتجسير الفرق المختلفة ، والمذاهب المتعددة ولذلك فإن قصور حركة الفكر الاسلامي والثقافة العربية عن مقاومة التغريب والغزو الفكري وتمزقها هي مما لا يستغرب ، ذلك أن هذه الحركة لا تتم في جو مطلق الحرية وإنما تتم من خلال سيطرة العدو الطاغية ، بواسطة أدواته وقوافه وأفلامه وأجهزته الضخمة المتمركزة في بعض الأقطار . وقد قاوم الغرب كلمة الإسلام ، والوحدة الاسلامية ، والجامعة الاسلامية ، والرابطة الاسلامية ، وحاول أن يجعل حركات الاقليمية أساساً للعمل ، كما أكد على الفصل بين الإسلام والمجتمع في مجال بين القانون والاقتصاد والتعليم والسياسة . واتخذ من الاقليات في كل بلد ذريعة للضغط في

في مجال تجميع مفهوم الاسلام . وقد خلق في كل مكان مشاكل طائفية وتفرقة مذهبية وعنصرية وحزبية ، وأثار دعوات قديمة ماتت مع الزمن وأججها من جديد ، وأكدها بقوة القانون كما فعل بين المسلمين والنصارى في مصر والبربر والعرب في المغرب ، كما حرص على بقاء القبيلة ودعمها ولم يسمح بانصهارها في المجتمعات الكبرى ، واتخذ من الطائفية القبلية أداة سياسية يدعم بها وجوده ، فقد احتضن الاستعمار في مختلف أجزاء عالم الاسلام الأقليات وعمل على خلق شعور بكيان خاص لهم وفتح الباب للتبشير والارساليات والمدارس الدينية وركز الاستعمار على الفروق والمذاهب داخل عالم الاسلام على للضغط بها وأكدها وجمدها بحيث لا تنصهر . ولما كان مفهوم الاسلام هو الطابع الأساسي لكل حركات اليقظة والمقاومة معاً ، ولما كانت مختلف الحركات السياسية والاجتماعية إنما تدور في إطار الفكر الإسلامي ، فقد عمد الاستعمار إلى بناء قوى ثابتة له ، مؤمنة بفكره ، وأعطاهما أماكن القيادة في الوطن الاسلامي (بعد الحرب العالمية الأولى) وحرصت هذه القوى على ابعاد الاسلام عن موضع الفعل في السياسة أو الاجتماع أو القانون أو التربية ، وبذلك فصل المدرسة عن المسجد والقانون عن الشريعة .

(٤)

ثورة الجزائر

تعد ثورة الجزائر (١٩٥٤-١٩٦١) من علامات الأصالة الاسلامية والبطولة العربية وهي ثمرة من ثمار اليقظة العربية الاسلامية وعملا من أعمال المرحلة الجديدة الناهضة للأمة العربية في عصر اليقظة . ولقد أدهش المراقبون في العالم الغربي كله تلك الصلابة والاستمرار في المقاومة ومواجهة القوات الضخمة وعمليات الابادة الفرنسية ورددها الكثير من المؤرخين والكتاب إلى مصدرها الأصيل : قوة الإيمان الروحي في الاسلام وعمق الصلابة العربية ولا شك كانت ثورة الجزائر عملا خطيرا وضخما في سبيل تحطيم النفوذ الاستعماري والأداة منه وأن قدمت مليوناً من الشهداء ولكنها حققت معنى رائعا سيكون بعيد المدى في اليقظة العربية الاسلامية . فقد تمزقت كل دعاوى الاستعمار في محاولة إدماج الجزائر في فرنسا وأعلن أكثر من واحد من كتاب فرنسا ومؤرخيها وفي مقدمتهم (شارل أندريه جوليد) : أن هناك وحدة متكاملة من الجنس واللغة والحدود تجمع تونس والجزائر ومراكش

وأن سلسلة جبال الأطلس التي تبدأ من المحيط الأطلسي من مراکش والتي تخترق الجزائر وتنتهي في تونس من البحر الأبيض المتوسط تكون العمود الفقري الذي يربط دول شمال أفريقيا الثلاث بعضها ببعض وتجعل منها وحدة في الجنس واللغة والحدود الجغرافية وأن هذا الجزء من أفريقيا لا صلة من أي نوع تربطه بفرنسا كما أثبت غير واحد من المؤرخين أن سلسلة جبال الأطلس المستدة عبر المغرب العربي وكتبان رمال الصحراء الدافئة والجنوب وأما واج البحر المتوسط من الشمال طبعت هذا الجزء من الدنيا بطابع واحد. ولم يذكر هؤلاء المؤرخين أن الاسلام في الحق هو الذي أكد وحدة العروبة في المغرب كله وأنه هو الطابع الأصل لها ، والذي يجمع بينها وبين الأجزاء المختلفة للأمة العربية . وقد انبثقت ثورة الجزائر من أشد مناطق الجزائر إيماناً بالاسلام وتعمقاً لفهمه ، وأن هذا الاصرار واللباث والعزم إنما مصدره هذا الإيمان الذي يؤكد الاسلام بالقتال دون الأرض والعرض والذمار وأن هذا المعنى هو «الخطر» الذي واجهه الاستعمار في العالم الاسلامي كله وحاول بكثير من الأساليب القضاء عليه حين قاوم دراسات الجهاد في المعاهد الاسلامية وحين أيد الدعوات القاديانية والبهائية القائلة بالاستسلام أمام النفوذ الاستعماري وتقبله وكذلك حين أكد دعوات الغاندية والتولستوية من حيث أنها تفرض عدم المقاومة . ولقد عارض النفوذ الفرنسي مقومات الاسلام واللغة العربية في الجزائر مقاومة ضخمة وبأساليب بعيدة المدى في الفصل بين الجزائريين ودينهم ولغتهم ومنيت اللغة العربية في الجزائر بمحنة شديدة كان منها القضاء على اللسان علامة القومية ، وكذلك القضاء على القرآن مصدر التشريع . وقد عمدت فرنسا إلى اعتبار الجزائريين فرنسيين بمقتضى دستور ١٧٤٨ واعتبار الجزائر فرنسية واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية من الجزائر ومن خلال مناهج التعليم جعلت السلطات الفرنسية التعليم من رياض الأطفال إلى الفرق العالية باللغة الفرنسية وحدها وجعلت كل مدرسة تقوم بتدريس اللغة العربية في عداد المدارس الأجنبية ، وكذلك الشأن في الصحف وكل رسالة يريد تنون باللغة العربية يكون مصيرها الاهمال . كما سجلت السلطات الفرنسية المدرسين الجزائريين الذين حاولوا أن يدرسوا لتلاميذهم تاريخ الجزائر العربية الفرنسية وكانوا يرون أن تاريخ الجزائر يجب أن يبدأ منذ عام ١٨٣٠ . وإذا كانت اللغة العربية قد أصيبت في الجزائر بالضعف والتأخر ، فقد ظل الاسلام نفسه هو العامل الأقوى في الحفاظ على الشخصية الجزائرية العربية المسلمة . وأمامي نصوص عديدة تؤكد هذا المعنى عن كتاب

فرنسيين ، ومن هنا ما يقوله (جاك بيرك) . لولا الاسلام في الجزائر لفقدت الشخصية الجزائرية ذاتيتها لأن ضغط الاستعمار ومقاسده كان يمكن أن يؤدي إلى إذابة الشخصية الجزائرية . ولكن فكرة إذابة الشخصية الجزائرية في الشخصية الفرنسية بما فيها من جاذبية لمن سحرهم الحضارة الغربية من الجزائريين هي التي كونت الخط الأكبر من الشخصية الجزائرية في المغرب . إن هذه الظاهرة هامة وخطيرة ويجب أن تكون موضع تقدير الباحثين لقد كان الاسلام هو العنصر الفعال الحقيقي في دفع الجزائريين إلى طلب الحرية « لقد أيقن الجزائريون منذ اليوم الأول للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الاسلام ، من أجل ذلك أدركوا جميعاً أن عليهم أن يعتصموا بالاسلام حتى يقدروا على التحرر » . وردد هذا المعنى كثير من الباحثين المنصفين . « لقد قهرت الجزائر الغرب بالاسلام » لقد صمدت الثقافة العربية في الجزائر : ويقول الاستاذ نعم قداح « فرض على الجزائريين أن يتعلموا تاريخ الجزائر يبدأ من عام ١٨٣٠ وأن على الجزائري أن يجهل كل شيء عن تاريخ العرب الحضاري في بغداد وقرطبة وأن فيكو الايطالي هو واضع أسس علم الاجتماع لا ابن خلدون ، ودانتى لا المعري ، ولامرتين لا عمر بن أبي ربيعة ، وكلود بانار وليس ابن سينا » . وقد جرت مناقشات مطولة بين مجموعة من الباحثين العرب حضرها (جاك بيرك) الذي عاش فترة طويلة في الجزائر حول ثورة الجزائر ومفهومها الاسلام العربي : يقول الكاتب « لقد كنا نتفق على أن الاسلام قام بأكبر الأدوار في المقاومة الجزائرية بل كدنا نتفق على أن الاسلام كقوة فكرية وروحية كان هو السبيل الأخير والوحيد الذي لم يستطع الاستعمار الفرنسي أن يزيحه من طريقه ، فقد كانت الحرب الاستعمارية الفرنسية حرباً حضارية وجهها الاستعمار الفرنسي ضد اللغة والدين والتنظيم الاجتماعي وملكية الأرض وطريقة الإنتاج وقد استطاع الاستعمار أن يبدل اللغة العربية فجعلها اللغة الفرنسية واستطاع أن يحرق أرض الجزائريين (١٨٣٠ - ١٨٤٥) واستطاع أن يوزع هذه الأرض على المستوطنين الذين هاجروا معه ومع قواته وأساطيله ، ولم يكن الاحتلال الفرنسي غزواً واحتلالاً فقط بل كان محاولة الاستبدال حضارة بحضارة وتنظيماً اجتماعياً بتنظيم اجتماعي ولغة بلغة فلم تكن هذه الحرب لاستعمارية سوى حرب حضارية شملت الاقتصاد والأرض دعمت اللغة والدين وأصابته التنظيم الاجتماعي والفكري ، ولكن ذلك كله لم يسهل مهمة الاستعمار الفرنسي في الجزائر لأن المقاومة بدأت بإصرار الجزائريين من دعاة الإصلاح بالثبات على تعلم اللغة

العربية ، ولعل هذه الحملة التي بدأها مشايخ الجزائريين حين كانوا يجمعون الفرنكات القليلة لإقامة المدارس الابتدائية الإسلامية لتعليم الصغار مبادئ اللغة والقرآن ، كانت أول طلقات هذه الثورة الجارفة الشاملة . وخلاصة ما أريد أن أقول إن الدفاع عن اللغة والإسلام كان هو الخط أو الخندق الرئيسي الذي لم يستطع عنده الاستعمار مزيداً من التوغل ومزيداً من العدوان .

وهكذا فإن ثورة الجزائر هي « إسلامية » في بادئ الأمر ، ومن أعمق أعماقها ، فإن كانت المدن الساحلية والمدن الصناعية قد تقوضت وانهارت بأكملها أو انهار بعضها فإن هذا السياج الداخلي لم ينقب ولم يستطع عليه الاستعمار شيئاً . لقد تعرض إسلامهم للامتحان وانتزعوا إسلامهم من براثن حملة شديدة الوطأة كثيرة العدة رهين النوايا .. وهكذا يتضح أن الإسلام هو الذي حفظ العروبة والقومية والشخصية الجزائرية في معترك الإذابة في فرنسا ، ومن خلال هذه الجذور الأساسية القومية للقيم الإسلامية استحالت الشخصية الجزائرية على الموت والانصهار خلال أكثر من مائة وثلاثين عاماً حاول فيها الاستعمار الفرنسي محاولاته المتصلة ، ومحاولات القوى المسيطر ، للقضاء على « ذاتية الجزائر » وإذا كانت اللغة العربية قد أصابها التخلف إزاء خطة خطيرة ألغت المدارس العربية الإسلامية وأحلت محلها المدارس الفرنسية اللغة ، وقد أغلقت فرنسا نحواً من ألف مدرسة يدرس فيها ١٥٠ ألف طالب أو يزيد عندما احتلت الجزائر وأباحت للإرساليات التبشيرية أن تحل محل هذه المدارس وتطبق برامج أقل مافيهما أنها ترثم عظمة فرنسا وحضارة الغرب وتحط من قدر حضارة العرب والمسلمين وتدعو إلى ما تدعو إليه الإرساليات من تحويل المسلمين عن دينهم وقيمهم وتدمير مقومات فكرهم دفعاً لهم إلى الاستسلام أمام النفوذ الفرنسي وتقبله . والمعروف أن فرنسا لم تلبث في الجزائر بعد احتلالها إلا قليلاً حتى أخذت تخطط لاستيعاب الجزائر بحساباتها فرنسا الجنوبية ، كما أغرقتها بسيول من الكتب والصحف والاسطوانات والأفلام الفرنسية ، وأنشأت بعد عشر سنوات من الاحتلال مكتبي (شبكس) و (هاشيت) برأس مال قدره ستة ملايين جنيه استرليني عام ١٨٤٢ لتكون هذه نواة الحركة الثقافية الفرنسية في شمال أفريقيا ثم أنشأت مراكز في وهران للزحف على غرب الجزائر ، وفي قسنطينة للزحف الثقافي على شرق الجزائر ، ولم يلبث أن أصبح (لهاشيت) ثلاثمائة مركز وأصبحت جريدة لموند توزع في الجزائر ٧٨٠٠ نسخة كما توزع الفرائي سوار ١٣٦٠٠ نسخة . غير أن المقاومة

الصلابة الغنيلة لهذا الإفناء للشخصية الجزائرية لغة وثقافة لم تصدر من الأحزاب السياسية المختلفة التي كانت تذهب وراء الألفاظ وتتحرك داخل إطار النفوذ السياسي الفرنسي وفيها من يدعى بأنه لا توجد للجزائر شخصية خاصة ، إنما جاءت المقاومة من خارج الدائرة التي والّت النفوذ الاستعماري ، جاءت من دائرة اليقظة الإسلامية التي بدأت في الجزيرة العربية وامتدت إلى مصر والشام والأزهر وظلت تشق طريقها حتى تسلم رايبتها في الجزائر علامتها الإمام عبد الحميد بن باديس وزملائه البشير الإبراهيمي ومحمد الميلي وأحمد توفيق المدني وغيرهم . فقد لمع هذا المجدد المصلح لمعان النجم وأشرق إشراق الفجر ووضع الكلمة التي وددتها الأجيال ولم تمت منذ ذلك اليوم ، والتي دحضت أكاذيب وادعاءات وأباطيل الاستعمار خلال مائة عام كاملة ، كانت كلمة ابن باديس : « إننا نرى الأمة الجزائرية موجودة ومتكونة على مثال ما تكونت به سائر أمم الأرض ، وهي لا تزال حية ولم تزل ولهذا الأمة تاريخها اللامع ووحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها وتقاليدها ، هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا تريد أن تصبح فرنسا ومن المستحيل أن تصبح فرنسا » .

بدأ ابن باديس عمله سنة ١٩١٣ في صمت وخفاء وأناة حتى استطاع أن ينشئ جمعية العلماء المسلمين سنة ١٩٣١ ووجه جهده كله إلى التعليم العربي الإسلامي في المساجد ، في مواجهة سياسة فرنسا الاستعمارية التي تحاول أن تمحو العربية والعروبة والإسلام ، وبعيداً عن ضجيج السياسة وصراع الأحزاب ، بدأ وزملاؤه يعملون في المساجد ويحمون لغة القرآن من الزوال حتى تم إنشاء مائة وخمسين مدرسة في شرق الجزائر وغربها ولم تلبث فرنسا أن أحسّت بخطر عمله حتى بدأت تحاربه بكل وسيلة ولكنه كان قد دعم قوة لا سبيل إلى دحرها . واستيقظت اللغة العربية ودراسات الإسلام مرة أخرى على النحو الذي وصفه جاك بيريك وغيره والذي كان بعيد المدى في حركة التحرر الجزائرية وثورة الجزائر . وهكذا رفضت الشخصية الجزائرية باستمرار وخلال قرن وثلث قرن ، رفضت النوبان في الإطار الفرنسي المفروض عليها فرضاً ، وقضت الاستعمار على اللغة ولكنه لم يقض على الإسلام . لقد طلبت فرنسا من الجزائريين أن يعتبروا أنفسهم فرنسيين ، بعد أن أخضعوا منذ ١٨٨٩ في الأحوال الشخصية للقانون الفرنسي وكانت السلطات الفرنسية ترى من وراء ذلك إلى السير بهم نحو « الإدماج » الكامل ، إلا أن الجزائري كان مؤمناً بأنه ليس فرنسياً ، وهو مسلم قبل كل شيء وعندما فصلت فرنسا الدين عن الدولة في ٢٧ أيلول سنة ١٩٠٧ لم ينفذ هذا القرار

بالنسبة للجزائر وبعد أربعين سنة من ذلك التاريخ كانت الدولة الفرنسية تدفع من خزانيتها مرتبات لمائتين وتسعة وخمسين رجلاً دين كاثوليكي وبروتستنتي ويهودي . ولقد عمدت فرنسا أول ما عمدت إلى السيطرة على أوقاف المسلمين والسيطرة عليها ، ثم اتجهت إلى المساجد بحسبانها مراكز الإسلام فأجرت لها عملية تصفية أليمة ، وفي مدينة الجزائر وحدها ذات الـ ١١٢ مسجداً لم يبق منها إلا خمسة فقط وحول اثنين إلى كنائس وهدم الباقي ، وفي كل مكان حولت مساجد الجزائر إلى كنائس . ويروي القائد روفيجو مؤلف « الجزائر الثائرة » كيف حول أضخم مسجد في مدينة الجزائر إلى كاتدرائية الجزائر بعد أن هدم أربعة آلاف مسلم كانوا قد اعتصموا به . وفي أعقاب هذا العمل أتيحت الفرصة للبشرى وتكونت جماعة الآباء البيض التي أنشأها الكردينال لافيغرى . وقد أشار إلى هذا مؤلف كتاب تاريخ الجزائر : « إن أول ضربة ضربها الاستعمار الفرنسي في الجزائر بعد تقويض أساس الدولة الجزائرية هي ضربة الأوقاف الإسلامية فكل المساجد الإسلامية والمؤسسات الإسلامية قد أصبحت ممتلكات الدولة الفرنسية الخاصة . فرجال الإفتاء وأئمة المساجد وسدنتها وقراء القرآن فيها يتقاضون أجورهم من الخزينة الفرنسية وهم موظفون تابعون لفرنسا لا يتسلمون عملهم إلا إذا قدموا للاستعمار ما يوجب رضاه » . وهكذا مضت الحملة الاستعمارية الثقافية وخطة التغريب لتتقضى على الأمة الجزائرية واللغة العربية والإسلام في الجزائر جميعاً وتغلبت اللغة الفرنسية بعد أن حورت العربية حرباً متصلة لم تنقطع ولم تقتصر استخدمت فيها كل الأسلحة . وعلى رأس المائة من أعوام الاحتلال حيث بدأ الاستعمار يحتفل بالاندماج الكامل للجزائر كان صوت عبد الحميد بن باديس وجميع العلماء المسلمين يؤكد في قوة وجهازة أن الجزائر عربية مسلمة وأنها تستحيل على الفناء في الوجود الفرنسي .

وكان هذا علامة ضخمة في تاريخ الإسلام الحديث لها أثرها العميق ومداها الواسع مقدمة حرب ضروس استمرت سبعة أعوام من أجل بقاء « الذاتية الجزائرية العربية الإسلامية » ويرى كثيرون وفي مقدمتهم جاك بيرك أن اللغة العربية (الفصحى) أو الكلاسيكية هي التي حملت الجزائر من الانصهار ، يقول بيرك : « إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية ، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا » . كيف كان ذلك ! . يقول « لقد كان للمستعمر قوة مادية مدهشة ، واقتصاديات عالية ، ومدينة جذابة ومع ذلك يلاحظ أن شيخ علماء

الجزائر الذي كان يعتبر نفسه رجلاً غير سياسي، وكان يتجنب السياسة ويقولون عنه في الجزائر إنه شخص جاد أكثر من أي شخص آخر، كان هذا الرجل من أعظم رموز مقاومة الاستعمار فإن صحت هذه الدعوة المعنوية الثقافية بل أقول الرمزية كانت أقوى العوامل في النهوض الحقيقي للشعب الجزائري. إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية وقد تركت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية. ويبدو هذا الدور حقيقة ممثلاً في خطاب ابن باديس عام ١٩٣٧ قبل وفاته بسنوات ثلاث الذي ألقاه في جمعية العلماء حيث يقول: «حوربت فيكم العروبة» حتى ظن أن قد مات منكم عرقها ونسخ منكم نطقها فقمتم بعد قرن تصدح بلبابكم بأشعارها فتثير الشعور والمشارع ويهدر خطباتكم بشقائقها فتدك الحصون والمعقل ويهز كتابكم أقلامها فيصيب الكلا والمفاصل. «حورب فيكم الإسلام» حتى ظن أن قد طمست أمامكم معالمه وانتزعت عقائده ومكارمه، فجئتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد وتنشرون من الإصلاح لواء التجديد وتدعون إلى الإسلام كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا كما حرفة الجاهلون وشوّهه الدجالون. «وحورب فيكم العلم» حتى ظن أن قد رضيت بالجهالة فجئتم بعد قرن ترفعون للعلم بناءً شامخاً وتشيدون له صرحاً شاهقاً فأستسم على قواعد الإسلام والعروبة والعلم جمعيتكم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. «وحوربت فيكم الفضيلة فستم الخسف ورميت بالصغار حتى ظن أن قد زالت منكم المروءة والنجدة وفارقتكم العزة والكرامة، فجئتم بعد قرن تنفضون غبار اللذات وتهزون أسس الظلم، وتزمرجون زمجرة العزيز المهان وتطالبون مطالبة من يعرف أن له حقاً لا بد أن يعطاه أو يأخذه. نعم، نهضنا بعد أن صهرنا بنار الفتنة والابتلاء، وقارعتنا الخطوب ودافعتنا ودافعناها. «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض». نعم نهضنا بعد قرن، بعدما متنا وأقبرنا، أحيينا ونهضنا، سنة كونية فقهنها من القرآن ونعمة (ربانية) لمقينها من الملك الديان، نعم نهضنا نهضة بنينا على الدين أركانها فكانت سلاماً على البشرية. العروبة والإسلام والعلم والفضيلة هذه أركان نهضتنا، وأركان جمعية العلماء، فما زالت هذه الجمعية منذ كانت تفقهنا في الدين وتعلمنا اللغة وتبيننا بالعلم وتحلينا بالأخلاق الإسلامية وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا وتربطنا بوطننا، وما كانت جمعية العلماء حتى كان العلماء القرآنيون الذين فقهوا الدين والدنيا بفقه القرآن وعرفوا السنن الأنوم بمعرفة سنة محمد صلى الله عليه وسلم وهنوا واهتدوا بما كان عليه السلف الصالح. إن الإسلام عقد

اجتماعى عام فيه جميع ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي الحياة لسعادته ورفقيه ، وقد دلت تجارب الحياة كثيراً من علماء الأمم المتعلمة على أنه لا نجاة للعالم مما هو فيه إلا بإصلاح عام على مبادئ الإسلام « ٥.١ . هذه هي علامات التحول التي حققتها الدعوة الإصلاحية القائمة على الإسلام واللغة العربية وهي أرضية الثورة الجزائرية والحرية ، ومن خلال هذه الحركة برزت الشخصية الجزائرية « عربية مسلمة » بعد أن ظن الاستعمار أنها انتهت ، وكان ذلك مقدمة طبيعية للثورة المسلحة التي حققت « الذاتية الجزائرية » بعد سبع سنوات من الجهاد والاستشهاد . ولقد استطاع النفوذ التغريبي الثقافي الفرنسي المسيطر أن يخدع بعض المثقفين الجزائريين عن جوهر شخصيتهم وعن حقيقة وجودهم العربي الإسلامي فترة من الزمن حين ظنوا أن أوروبا هي كل شيء ، وأن الجزائر ليس لها وجود ذاتي متفصل عن فرنسا ؟ ولكن كثيراً من هؤلاء الزعماء قد رجعوا عن آرائهم وعادوا إلى الإيمان بالشخصية الجزائرية « عربية إسلامية » ، وكان لجمعية العلماء أثرها القوي في تصحيح هذه المفاهيم . وفي مقدمة هؤلاء عباس فرحات الذي قال في كتابه (الظلمة الاستعمارية) إن الجزائر بلد عربي ومن ذا الذي ينكر هذه الحقيقة ، وهي أرض إسلامية أصيلة وذلك حق أيضاً ومهما يكن من إرادة الإمبريالية في الماضي والحاضر فإن هذه الظاهرة التاريخية تظل صادقة تمام الصديق « . ومن أعماق جبال أوراس اندلعت الثورة ، من البيئة التي كانت أكثر تمسكاً بالإسلام ، ومن حق أن يقول « مالك بن نبي » ، من العقيدة الإسلامية نفسها إنطلقت ثورة الجزائر وكانت العقيدة الإسلامية نفسها المحرك والدافع الكبير للتيار الثوري في الجزائر . ويؤكد هذا المعنى عمار وزقان في كتابه (الجهاد الأفضل) حيث يشير إلى أن الفكر الجزائري المشيع بروح الإسلام لم يفقد نفسه في غمار التيارات الفكرية الدولية . « بل إن احتكاكه بهذه التيارات لا يزيده إلا اطلاعاً على مظاهر الحقيقة والزيغ فيها وتدعيم الإيمان بقيمه المثل والمبادئ التي تحتضنها حضارتنا العربية الإسلامية » . ويقول : إنها لفارقة واضحة أن يكون الولاء للإسلام الذي اضطهدته الاستعمار واستخف به هو الأكثر ثورية بالفعل على الصعيدين الديالكتيكي والتاريخي وأن حركة الإصلاح الديني حركة نهضة إسلامية ذات طابع ثقافي وسياسي وتستهدف القضاء الاجتماعي (الاستعماري) « وأنها كانت منهجاً يتلخص في هذه الصيغة الأخاذة « . « الإسلام ديننا . العروبة لغتنا . الجزائر وطننا » . وكان

سر الرسالة القومية لحركة الإصلاح الجزائري يكمن في الترابط العضوي بين هذه الكلمات الثلاث .

ويصور الكاتب كيف عملت حركة الإصلاح التي قادها ابن باديس على تصفية العيوب الاستعمارية للمجتمع الجزائري ففتحت الطريق إلى اليقظة حين صفتته من : « البدع . الجمود . القدرية . السلبية . الخرافة » . وقد حاول المؤلف أن يقدم تفسيراً لتغلب « اللغة العربية » على « اللاتينية » في أفريقيا وقال : إن العقلية البربرية ليست غريبة إلى الحد الذي يظن عن اللغة العربية . وقال : إن التجربة البربرية التي أجراها الاستعمار كنزعة للتجزئة قد فشلت على الصعيد الاجتماعي والفكري والسياسي . ويصور عمار وزقان - بوصفه أحد المشتركين في قيادة الثورة الجزائرية - دور الإسلام فيها فيقول « إن موقفنا إزاء الإسلام لا يختلف لأننا ثوريون مرتبطون بالشعب ، وذلك أن رفض الأيدلوجية الإسلامية في بلاد مستعمرة يضطهدون الأكثرية الساحقة فيها هو علامة تجدد أخرى تنادى به فئة منفصلة منفصلة عن الشعب غريبة الحياة والفكر امتصتها أو شلتها أيدلوجياً العدو المستعمر » . ثم يشير إلى دور التنغيب في العالم الإسلامي فيقول : تستعجل العقلية العصرية كثيراً في توديع الأديان كلها توديعاً مآثياً دون أن تدرك أن الأيدلوجية الإسلامية ليست مختصرة بل هي في كامل اندفاعها وجرعتها . ويبدو مفهوم الشخصية الجزائرية واضحاً في ميثاق الجزائر عام ١٩٦٤ . « إن الجزائر بلد عربي إسلامي ولذا فإن هذا التحديد ينفي أي رجوع إلى مقاييس عرفية ويتعارض مع كل انتقاص من الإسهام السابق على الفتح العربي . ورغم تجزئة العالم العربي إلى وحدات جغرافية أو اقتصادية مميزة فإن عوامل الوحدة المكونة من تاريخ وثقافة إسلامية ولغة مشتركة ظلت تحتل المقام الأول . فالجماهير الجزائرية العميقة الإيمان قاومت بصلابة لتخليص الإسلام من كل الشوائب والخرافات التي خنقته أو شوته وناهضت دائماً الدجالين الذين كانوا يريدون أن يجعلوا منه مذهباً للخنوع والتوكل وربطه بإرادتها من إنهاء استغلال الإنسان للإنسان . وعلى الثورة الجزائرية أن تعيد إلى الإسلام وجهه الحقيقي ، وجه التقدم ، إن الجوهر العربي الإسلامي للأمة الجزائرية قد شكل حصناً منيعاً ضد تهديدها من طرف الاستعمار » .

جذور الوحدة العربية

قلنا في كتابنا « الإسلام وحركة التاريخ » إنه حين ضعفت حركة قائمة في العالم الإسلامي نبعت من مرحلة الضعف « حركة يقظة جديدة » ، وهي هذه المرة من قلب الأمة العربية ، وقد كانت ارهاصاً لنهضة ما زال مداها يزداد كل يوم قوة ، وهي على الطريق إلى غايتها تنضارع قوى كثيرة تحاول أن تعوقها أو تحولها عن جوهر فكرها ومضمونه ، وهي في نفس الطريق وبالزغم من كل التحديات فهي شأنها دائماً مفتوحة الآفاق على الثقافات العالمية والفكر الإنساني تأخذ منه ما يتفق مع مقوماتها وما يزيدها قوة على الحركة والتقدم كما هي معطية دوماً لا تتوقف عن منح الإنسانية من ثمار فكرها الإيجابي البعيد الأثر في تكوين الحضارة الحديثة والفكر البشري . والأمة العربية اليوم تواجه تصفية عصر الاستعمار وتواجه تحديات النفوذ الثقافي والتغريب فلا تستسلم له وتقاوم أخطر تحديات الاستعمار في تاريخها وتاريخ العالم الإسلامي وهو « الغزو الصهيوني » المدعم بالنفوذ الاستعماري الذي أقام فلسطين خاجزاً بشرياً بين شطري الأمة العربية وبين قارتي أفريقيا وآسيا وفي قلب العالم الإسلامي وما زالت الأمة العربية تواجه وجوده بالمقاومة خلال أكثر من عشرين عاماً ولا شك كان لهذا الوجود الصهيوني في فلسطين منذ ١٩٤٨ وفي القدس بالذات ١٩٦٧ أبعد الأثر في حركة المقاومة واليقظة التي تواجهها الأمة العربية من خلال ثوراتها المختلفة واتجاهه إلى بناء كيانه بناءً قادراً على الصمود في وجه التحدي الزاحف من خلال السياسة والاقتصاد والاجتماع . ولذلك فقد أصبحت الدعوة إلى الوحدة العربية التي كانت مطمح الأمة العربية منذ انفصلت عن الدولة العثمانية - أصبحت هذه الدعوة ضرورة محترمة للتجمع في وجه النفوذ الصهيوني والمطامح الاستعمارية الدولية . ولقد استغرقت السنوات الخمسة عشر الأخيرة من عمر الأمة العربية محاورات مفتوحة حول مفهوم هذه الوحدة وفلسفتها ومداها ومضمونها السياسي والاجتماعي وذلك بعد أن تبنت هذه الدعوة معظم الأمم العربية في دساتيرها وفي هيئاتها السياسية وتشكيلاتها الحزبية ، وقد كان لمصر بعد عام ١٩٥٦ حين اعترفت بارتباطها بالوجود العربي وعملت في حقه عملاً إيجابياً قيادياً أبعد الأثر في دعم فكرة الوحدة واقترباها من مرحلة التحققة. حيث قامت أول تجربة للوحدة بين مصر وسوريا ١٩٥٨ ثم توالى التجارب بين

مصر وسوريا والعراق . ولقد كان مفهوم الوحدة العربية الذى انبعث من القاهرة أعمق مفاهيم هذه الوحدة وأقربها إلى التطور الطبيعى والتشكيل الجدرى المرتبط بالقيم الأساسية للأمة العربية والثقافة العربية ، فقد كان منبعثاً انبعاثاً طبيعياً بعيداً عن جميع المحاولات التى تريد أن تغرقه فى طوفان المفاهيم الغربية أو تنتزعه من جذوره وقيمة وأصالة . وكان إلى ذلك بعيداً عن ما يحمله مفهوم القومية فى بلاد كثيرة من الاستعلاء الجنسى أو العنصرية أو التعصب أو المفاخرة العصبية . وقد حافظت مصر بفهمها للوحدة العربية على مكانتها فى العالم الإسلامى بحسبانها واجهة حامية للتراث الإسلامى حيث يقوم فيها الأزهر ، وحيث تغذى عشرات الأقطار الإسلامية فى أفريقيا وآسيا هذا التراث . وبذلك بعدت عن القومية فى مفهومها العنصرى الحاد الذى يبلغ مرحلة العقائد أو يحل محلها ، وبعدت أيضاً عن المفهوم العلمانى الذى يفصل بين القومية وبين القيم الروحية وبين الدين أو بين الإسلام نفسه الذى كان دوماً ديناً وفكراً جامعاً . لقد كانت النزعة القومية ضرورة طبيعية فى العالم كله ، وقد فرضت نفوذها فى العالم الإسلامى فظهرت القومية الأندونيسية والقومية التركية والقومية الباكستانية ولكنها فى ذلك كله كانت تحافظ على جذورها وروابطها التى تربطها بالإسلام باعتباره مصدرراً أساسياً للفكر والثقافة . وفى مفهوم الوحدة العربية كان العاملان الأساسيان هما اللغة والتاريخ ، اللغة لسان الأمة والتاريخ ذاكرتها ، كان هذان العاملان مرتبطين أشد الارتباط بالإسلام والفكر الإسلامى . أما الذين قالوا بأن الدين ليس عاملاً من عوامل القومية فإنهم صدقوا من حيث أرادوا « الدين » بمفهومه اللاهوتى والعبادى الذى يفرق بين أصحاب الأديان المختلفة ، أما بالنسبة للإسلام فالقول بأنه دين فحسب إنما هو خطأ شائع ، أو ظلم مقصود . فالإسلام له جانبه الروحى والعبادى وهذا خاص بالمسلمين ولكن للإسلام جوانبه الأخرى فى مجال الفكر والثقافة والتاريخ والتراث وهذه الجوانب كلها ليست ملكاً للمسلمين وحدهم ولا تمثل تقاليدهم وقيمهم وحدهم ولكنها تمثل قيم « الشرق » كله ، والشرق هنا هو كل ما ليس من العالم الغربى ، هذا الجانب الضخم من التراث الفكرى والثقافى هو « أرضية » أصيلة وجذور عميقة للوحدة العربية .

والأمة العربية حين ينبعث وجودها على هذا النحو البعيد عن المفهوم الغربى العلمانى وحين يبعد أيضاً عن التعصب الإقليمى أو الاستعلاء العنصرى فإنه لا يجد من الخصومة أو الصراع أو المخالفة للقوميات الإسلامية الأخرى بل يلتقى معها فى الأصول والجذور والقيم الأساسية

والمعالم الكبرى . لقد حاول الاستعمار أن يستفيد من حركة الوحدة العربية من أجل تمزيق الروابط التي كانت تجمع العالم الإسلامي وتربط بين العرب والترك والفرس ولكن عوامل جديدة أخذت في إحياء هذه الروابط ودعمها من جديد . وكانت الدعوة إلى الوحدة العربية بعد الحرب العالمية الثانية عاملاً هاماً في القضاء على الدعوات الأقلية التي أرثها النفوذ الأجنبي في مرحلة ما بين الحربين ، وكان عودة إلى التقاء الأمة العربية في فكر موحد على الأصول الأساسية والقيم والجدور الثابتة وعلى نحو ما كان يفهمه دعاة الوحدة العربية القدامى وقريباً من مفهوم محمد عبده وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وعبد العزيز جادو وشجباً للدعوة التي برزت في الأربعينات واستشرت بعد ذلك محاولة فصل العروبة عن روابط الفكر الإسلامي وقيمه . والتماس مفهوم القومية الغربى المجرد الذى يفصل الأمة عن جذورها . وفى أوروبا كانت المسيحية غريبة عن طبيعتها وتاريخها ، ولم تكن إلا عقيدة أخلاقية وتعبدية صرفة ، وفى نفس الوقت لم تتصل أصولها بلغاتهم ، ولم تخرج بتاريخهم . أما بالنسبة للإسلام فإن الأمر يختلف اختلافاً جوهرياً فهو ليس أخلاقاً أو عقيدة أخروية أو تعبدية وإنما هو منهج حياة شامل متصل بمختلف أمور السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وهو ليس مرحلة تاريخية فى حياة الأمة العربية يمكن أن يقال أنها إنقضت ، ولكنه يربط التربة بالجدور حيث يختلط التراث والتاريخ واللغة بين الأمة العربية وبين الإسلام نفسه وتتداخل على نحو يصعب التفريق فيه بين العروبة وبين الإسلام فهو للمسلم دين ومنهج حياة والمسيحى ثقافة قومية ومصدراً لمقومات الفكر والشعور والذوق والحياة .

«فعلاقة الإسلام بالعروبة ليست إذن كعلاقة أى دين بأى قومية» . ولقد تكشف للأجيال الحديثة أن الفرعونية كانت من موجات الأمة العربية وكذلك كانت الفينيقية والبربرية فى بعض أقوال علماء الآثار والمؤرخين وبذلك لم يعد هناك تعارض فقد انصهرت الموجات القديمة بعد الإسلام وتبلورت وتلاقت وضحى الاعتزاز بالتاريخ الفرعونى فى مصر لا يتعارض مع العروبة أو الإسلام إلا من حيث اتصاله بالوثنية أو تيارات الفكر التى قضت عليها دعوة التوحيد ، فهى مقبولة من حيث الشكل التاريخى ولكنها متعارضة إذا قدمت على أنها ثقافة خالصة ، وكذلك مختلف الدعوات والتيارات فقد صهر الإسلام الأمة العربية فى كيان موحد ، وصهر الفكر الشرقى فى بوتقته وتشكل من جديد . والإسلام لا يعارض وجود الامم وغيرها ، ولكنه يعارض صراعها وقيام الخلافات التى تحول دون تحقيق «الوحدة

الانسانية» والالتقاء الفكرى والروحى للأمم البشرية المختلفة . والنفوذ الاستعماري دائماً من وراء عملية التمزيق والتفرقة بين الأمم ووراء التناحر والصراع بين القوميات . وللوحدة العربية أهميتها في مجال التحدى الذى يواجهه العالم الاسلامى اليوم مع الاستعمار وبالنسبة لأخطر قوى هذا التحدى وهى «الصهيونية» في فلسطين ، ولقد نبه إلى هذا المعنى كثير من زعماء الاسلام ومفكره وأعلنوا في وضوح ضرورة قيام الوحدة العربية كأساس للأخوة الاسلامية فالأمة العربية هى مبعث الاسلام ولغته وقرآنه ، وهى الأمة التى حملت لواءه إلى العالمين ، وهى جغرافياً وسياسياً وتاريخياً موئل العالم الاسلامى النابض ، والأمة العربية وما تزال هى الأمل في رفع راية الاسلام والحفاظ عليه ونشره . ولقد ظلت مصر تلتمس لنفسها طريقاً منذ أوائل النهضة الحديثة حتى اعتادت إليه «وطنية مصرية» ذات جذور ترتبط بالأرض ، «وعروبة» ترتبط بالأمة واللغة ، و«اسلاماً» هو أساس الفكر والثقافة . وقد ارتفعت صيحات كثيرة بالدعوة إلى الفرعونية ولكنها عجزت أن تجد لها ثقافة أو فكراً أو منطق حياة، ولم تلبث الدعوة إلى الفرعونية أن اصطدمت بالوثنية بعد أن غمر التوحيد مصر ثلاثة عشر قرناً . وقد تخطاها أغلب المنصفين الذين دافعوا عنها وعرفوا بعدها الطريق الأصح مقدمة هؤلاء دكتور محمد حسين هيكل . ولقد كانت زعامة الأمة العربية دوماً تستمد مقوماتها الصحيحة من المؤمنين بتراتها المرتبطين بتاريخها الممتد ، ولذلك فقد سقطت دعوات القومية التى حاولت أن تفصل الأمة العربية عن مقومات اللغة والتاريخ وجذورها الثقافية ، وبدأت الآراء المتعددة تنصهر الآن في مفهوم سمح بعيد عن ذلك الجفاء المصطنع للفكر الإسلامى الذى أوجده بعض دعاة المفهوم الغربى للقومية ، ذلك أن الثقافة العربية التى تتمثل بأبرز صورها في التاريخ إنما هى وليدة أصيلة للفكر الإسلامى فلا يمكن أن تنفصل عنه . وواضح أن النفوذ الغربى وحركات التغريب قد حاولت بالنسبة للوحدة العربية محاولتين : حاولت بالدعوة إليها «أولاً» الفصل بين العرب والمسلمين في كيان الدولة العثمانية الواحد ، فلما قامت الوحدة العربية ذات أصالة كقوة للمقاومة والوقوف في وجه النفوذ الغربى فقد اتجهت الحركات والدعوات إلى محاولة تصفيتهما من مضمونها الثقافى الإسلامى العربى الأصيل ، ولذلك حتى لا تلثم هذه الوحدة لتكون قوة كبرى في وجه النفوذ الأجنبي . ومن هنا نظهر كل هذه المحاولات التى ترمى إلى التشكيك في التاريخ أو هدم اللغة الفصحى أو بعث العامية أو اغراق الثقافة العربية باليونانيات الوثنية أو

الفرعونيات أو العربيات الجاهلية السابقة للإسلام ، وكلها عوامل تفرقة ومحاولات للتجزئة ولتعميق الأقلية ودعما . وهي محاولات يائسة ضد حركة التاريخ نفسه الذى يتجه إلى توحيد الأجزاء وإلى التجمع والالتقاء بين العناصر ذات الأصول الواحدة . لقد قامت الحركات القومية فى الغرب فى محاولة التخلص من نفوذ الكنيسة والاقطاع ، ولكن الحركات القومية فى العالم الاسلامى إنما تقوم فى محاولة التخلص من النفوذ الاستعمارى الغربى فى صوره المختلفة ولذلك فهى تعتمد أساساً على مقوماتها التى حققت لها النصر فى مختلف معارك المقاومة وصدامات الصليبيين والنتار والقوى الزاحفة ، ولقد كانت القيم الأساسية المستمدة من الاسلام والعروبة هى مصدر القوة والصمود وآخر هذه الصور إنما تتمثل فى معركة الجزائر . وإذا كان للغرب نظرية فى القومية فإنها مستمدة من ظروفه وجوده وكيانه ولا بد أن يكون للغرب والقوميات فى العالم الاسلامى نظريات مستقلة مستمدة من ظروف هذه الأمة وكيانها وقيمها الأساسية ، وإذا كانت نظرية القومية الغربية قد رفضت الدين الغربى فليس ذلك مساوياً للمفهوم الذى يقول بأن نظرية القومية العربية لا بد أن ترفض الدين ، لأسباب عدة أهمها أن الاسلام ليس ديناً لاهوتياً تعبدياً بالمعنى الذى رفضت به أوروبا الدين المسيحى وليس للإسلام قوة تتمثل فى شيء مثل الكنيسة الأوربية التى قاومتها الدعوة القومية فى الغرب وكل ما أورده ساطع الحضرى وغيره فى هذا الصدد لم يكن فيه متحرراً جوهر الحقيقة ولم يكن ممثلاً لمفهوم الفكر الاسلامى فى شموله وتكامله . وقد تجاوزت الثقافة العربية فى تطورها نظريات ساطع الحضرى وغيره فى ظل الايمان بقيمتها . ولقد حاول الغرب دائماً أن يفرض نظرياته ومفاهيمه على هذه المناطق الواقعة تحت نفوذه الاستعمارى والسياسى ، ولقد آن للعالم الاسلامى والأمة العربية أن تتحرر من التبعية للنظريات الغربية أو المفاهيم الغربية للقيم المختلفة . وقد أشار أرنولد توينبى إلى هذا المعنى حين قال إن طغيان الغرب يتجلى فى تحويل تجاربه إلى قوانين عامة للجنس البشرى ، فالعالم عند الغرب هو مادة الحضارة للجنس الأبيض الممتاز . والمعروف أن الاستعمار هو الذى قضى على الوحدة الاسلامية وهى فى طريقها إلى الدعم ، محاولاً أن يحل بدلا منها الدعوة العربية المحلية فى مقدمة الدعوات الإقليمية والتجزئة ، ولكن الوحدة العربية تمت فى ظل تحديات قضية فلسطين . ولذلك فقد حاول الاستعمار حين أيد قيام جامعة الدول العربية إلى تأخير وجودها الحقيقى ، وذلك بوضع العقبات فى طريقها ، ولكنها اليوم بعد أن قطعت مراحل

متعددة ، وتغلبت في عقبات كثيرة تحاول أن تحقق التثاماً وتقارباً في مجالات مختلفة كالمجال التربوي والثقافي الاقتصادي .

الباب الرابع حركات الإصلاح في العالم الاسلامي

الدعوات الاسلامية

تمثل اشارة اليقظة في العالم الاسلامي في صيحة المصلحين لالتماس المفاهيم الأساسية للإسلام بحسبان أن مرحلة الضعف والاستعمار إنما ترجع أساساً إلى أن فقدان المسلمين قوتهم وكيانهم إنما جاء نتيجة فقدانهم لقيمهم الأساسية التي تحمل طابع التأهب الدائم والحرص المستمر فالمسلمون في رباط دائم إزاء عدو قائم (ودالذين كفروا لوتغفلون عن أمتعتكم واسلحتكم فينبولون عليكم ميلة واحدة) ومن هنا فقد كان الجهاد في مفهومه الشامل الكامل تأهب كامل ورباط دائم وتجدد مع الزمن في أساليب الدفاع والمقاومة . تلك هي الدعوة التي حمل لوائها المصلحون طوال عصور تاريخ الاسلام ، وهي مفتاح اليقظة في مختلف المراحل التي تتوالى على المسلمين . ومنذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري دخلت الدولة الكبرى التي تحمل لواء الاسلام في مرحلة الضعف بعد أربعمائه عام من النضال والمقاومة وقفت خلالها في وجه الزحف الأوربي المتربص ، غير أن تخلف المسلمين ممثلاً في قيادتهم السياسية عن سنن الكون وضعهم في موضع الضعف ووضع عدوهم في موضع القوة ، ومن ثم تحول الميزان فأصبحوا في منطقة الظل واستطاع خصمهم أن يطوق عالمهم على مهل خلال القرون الخمسين عشر والسادس عشر والثامن عشر الميلادي ، وإن يشد العجل في القرن التاسع عشر حيث سقطت وحدات العالم الاسلامي واحدة بعد أخرى في يده . نعم استطاعت الدولة العثمانية أن تحمي منطقة ضخمة هي منطقة شرق البحر الأبيض والعالم العربي ، وأن تصمد فيها للمقاومة ولكن عالم الاسلام المندهر عبر أفريقيا والهندو أندونيسيا قد أتاح للنفوذ الأجنبي فرصة واسعة في الإيغال هناك حتى وصل إلى حدود الصين ، ومكن لنفسه في أرخبيل الملايو وشواطئ أفريقيا والشرقية وفي الهند نفسها ، وكان له نفوذه في قلب إيران حيث كانت الحرب سجلاً بينها وبين تركيا غير أنه يمكن القول بصدق أن جميع بواعث اليقظة في عالم الاسلام كانت تابعة أصلاً من تقدير كامل لموقف الضعف الذي يمر به المسلمون ، وفي كلا المنطقتين اللتين علت فهما صيحة اليقظة والتجديد . كانت منبثقة من أعماق الأمة الاسلامية وفي كلا الحركتين

ظهرتنا في الهند وفي الجزيرة العربية كانت الدعوة إلى الإصلاح تصدر عن الاحساس بأن طوابع الفكر الاسلامي قد بهنت وأصبحت في حاجة إلى الانفصال . ويمكن القول أن دعاة الإصلاح في الهند مثلين في السر هندي ١٦٣٤م . ١٠٣٤هـ والدهاوى ١٧٦٢م ١١٧٦هـ قد سبقوا دعوة التوحيد التي حمل لواءها الإمام محمد عبد الوهاب في قلب الجزيرة العربية غير أن نجم دعوة التوحيد ما كاد يبزغ ، وصوتها يعلو من حول الكعبة حتى هزت العالم الاسلامي كله وأصبحت مصدراً لكل ما تلاها من حركات أيا كان نوعها ومصدرها ، سواء الفكرية الخالصة منها أو السياسية أو الوطنية وذلك في تصحيح مفاهيم الاسلام ، لا غربة في ذلك ، كان الاسلام ولا يزال جامعاً متكاملًا بين السياسة والاجتماع والوطنية والثقافية والتربية ، فكل الحركات في أي وحدة من هذه الوحدات إنما تتصل بالكل وتؤثر فيها . والواقع أن حركة «السرهندي» إنما كانت محلية أساساً ، وكانت تهدف إلى إصلاح أداة الحكم ونظام المجتمع في الهند بعد أن أوغل في الانحراف بدعوة «أكبر» إلى توحيد الأديان رغبة في تأكيد نفوذه وهو في تقدير كثير من الباحثين مجدد الألف الثاني (٩٧٧-١٠٣٤) وقد رأى ما صارت إليه الدعوة الاسلامية من انحطاط وتقهقر بسبب اهتمام الحكام المسلمين بتوطد نفوذهم ، وكان جهاده أساساً ينصب على مناصحة الأمراء والحكام ومحاربة البدع والمنكرات والعقائد الفاسدة ، والمجاهدة في الكشف عن بدع وأباطيل العلماء ، وتحرير ما ابتدعوه ونسبوه إلى الاسلام ومهاجمة الصوفية الذين تأثروا بفلسفة البراهمة والأقطار والأخرى غير الاسلامية . وقد رفض فكرة وحدة الوجود والحلول والاتحاد ، ودعا التصوف الاسلامي الخالص المستمد من منابع القرآنية . ظل السرهندي يقاوم ظل دعوة الامبراطور أكبر إلى ما أسماه الدين الالهى المبني على تلفيقات من الاسلام والهندوكية . وقد قاوم ذلك السهر هندي ، واستطاع في خلال حكم ابنه (جهابكير) ١٠٩٤هـ (١٦٠٥م) أن ينجح إذ وجد رأيه ثقيلًا قوياً لدى الحاكم فالغى الكثير من البدع وفي مقدمتها الأمر بالسجود أمام الملك . وإيجاد التقويم الهجري بعد أن حل محله التقويم الالهى الذى يبدأ تاريخه بجلوس الامبراطور أكبر . ويعد «السرهندي» نقطة تحول في تاريخ الاسلام في الهند في العصر الحديث وإرهاصا بحركات الإصلاح المتعددة التي جاءت بعده (توفي ١٠٣٤) أما «الدهلوى» فقد جاء بعده بقرن كامل . كان دوره أشد خطراً وعمقاً ، وكان أثره الفكرى أبعد مدى من أثره الاجتماعى فقد «أصل» الفكر الاسلامي وواجه به مجدداً تحديات المرحلة الحاسمة التي كانت تمر بها

الهند وهى فى طريقها إلى السيطرة البريطانية . كان عمله الأكبر هو تصحيح مفهوم التوحيد الإسلامى والدعوة إلى الاتصال المباشر بالكتاب والسنة ونشر علم الحديث ، وبيان أساليب الإسلام وأساسه فى تنظيم الحياة والمجتمع وهو محدود فى الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية الهندية من طراز حجة الإسلام الغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية . ويمكن القول بأن «السرهندي» والدهلوى هما حلقتان من حلقات المجددين المصلحين الذين تابعوا العمل على نفس المنهج الذى رسمه ابن تيمية والذى توالى متابعوه والعاملون به جيلا بعد جيل وإن لم يسمع صوتهم الخافت خلال مرحلة الضعف والتخلف البالغة .

(١)

دعوة التوحيد

أما دعوة محمد بن عبد الوهاب التى أعلنها فى قلب الجزيرة العربية فقد كان أبرز عوامل نجاحها وقوتها أنها ظهرت فى منطقة بعيدة عن التحديات الخطيرة التى واجهها العالم الإسلامى كله من خلال النفوذ الأجنبى الزاحف ، وهذا ما أعطاها قوتها ومكن وأتاح لها فرصة البقاء والتأثير ، كما زاد من قوتها وأثرها أنها انبعثت فى مكان الدعوة الإسلامية ، وأنها استهدفت كل المسلمين القادمين من مختلف أنحاء العالم قاصدين بيت الله الحرام ، ومن هنا وجدت من الملتفين حولها قوة إذاعتها ونقلتها إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامى . ولم تكن حركة محمد بن عبد الوهاب كما حاول أن يصورها خصومه دعوة «دينية» من حيث أنها حملت لواء التوحيد ، بل كانت دعوة إسلامية كاملة ، ولم يكن التوحيد منها إلا أقوى عاملات المقاومة للاستعمار والاستبداد والنفوذ الأجنبى بحسبان أن الإسلام دعوة خالصة لا تقر بالعبودية إلا لله وحده ، وهذا عامل قوتها الذى أزعج النفوذ الأجنبى الحريص على أن يظل عالم الإسلام غارقا فى مفهوم منحرف عن الإسلام سيطر عليه خلال فترة الضعف عن طريق جبرية التصوف ، كان طابعه التواكل وتقبل نفوذ السلطان الظالم . فكانت هذه النصيحة إلى التوحيد من قلب الجزيرة العربية إنما تمثل حركة مقاومة ضخمة فى مواجهة زحف النفوذ الغربى . ولذلك فقد حرص الاستعمار على أن يباد الحركة التى تحولت إلى دولة ، وذلك بما حمل عليها من حملات وبما أوغل عليها الصدر لدى الدولة العثمانية التى كانت ترى فيها خطراً على نفوذها ، هنالك اصطلحت القوى على القضاء

عليها حين عمدت الدولة العثمانية إلى دفع محمد على إلى إعلان الحرب عليها فلما انتهى محمد على من إسقاطها ، استدار خصوم حركات اليقظة سياسية كانت أم فكرية إلى حركة محمد على نفسها ففقدوا عليها . ولم تكن ثمرة ذلك لمصلحة الدولة العثمانية بقدر ما كانت لمصلحة النفوذ الاجنبي الزاحف . غير أنه إذا كان قد قضى على الدولة التي أقامت حركة التوحيد فان الحركة نفسها لم تمت بل قد وسعت مداها ، وأوقدت شعلة قوية في كل أعماق دعوة للإصلاح وقد تأثر بها دعاة السلفية في الهند والعراق والشام ومصر والمغرب جميعاً ، وكان من تلاميذها الالمى الكبير في بغداد والأفغانى ومحمد عبده في مصر وجمال القاسمى في الشام وخير الدين في تونس وصديق حسن خان في بهو بال الهند . ومزية دعوة التوحيد التي اهتمتها إلى كل الحركات والدعوات والمصلحين الذين تابعوها هى فهم الاسلام فهما متكاملان قائماً على أنه دين ونظام مجتمع ومنهج حياة فقد قامت هذه الدعوة « دينية سياسية » (١) لأن الاسلام دين وقانون واجتماع في نظام موحد ومن العسير فصل هذه العناصر بعضها عن بعض . والمعروف أن النفوذ الغربى وفي مقدمته بريطانيا قد قاومت هذه الدعوة لأسباب عدة أهمها أنها كانت لا تريد أن يسمع في هذه المنطقة صوت يقظة حتى يتم تزييقها وسلخها من الدولة العثمانية وإدخالها في مناطق نفوذها ، وكانت منطقة الخليج العربى في هذه الفترة هى أخطر هذه المناطق التي تطمع فيها بريطانيا ، ومن هنا فقد قاومت هذه الدعوة ، وحملت عليها محاولات مختلفة حاولت أن تصورها خارجة عن الاسلام التقليدى الذى تمثله الدولة العثمانية . وإذا من كراهية بريطانيا الدعوة للتوحيد أن قوماً من الهنود التمسوها سلاحاً لمقاومة بريطانيا في مة ممتهم الإمام أحمد بن عرفان الذى بدأ دعوته في الهند ١٨٢٠م (١٢٣١هـ) فدعى الناس إلى التوحيد الخالص واتباع السنة وحارب البدع محاربة سافرة وأنشأ مع أعوانه دولة في بشاور طبق فيها نظام الاسلام وجمع بين العبادة والجهاد ، وكان عمله إرهاباً بالثورة التى قادها المسلمون عام ١٨٥٧ وقد عمد النفوذ الاجنبي إلى خلق الازدراء بدعوة التوحيد في مصر وفي الهند وبلاد الدولة العثمانية . وأغضى عن اسمها الحقيقى وأطلق عليها اسم الوهابية وأشاع هذه التسمية وأدخلها معاجمه الحديثة ، وقد أخطأ عمداً حين وصفها بأنها مذهباً جديداً في الاسلام . وقد قاومت الدولة العثمانية دعوة التوحيد رغبة منها في الاحتفاظ بنفوذها على العالم الاسلامى عن طريق السيطرة على مكة والمدينة ، فلما اجتاحت-

قوات الوهابيين هاتين المدينتين عام ١٨٥٣ واجهت الدولة العثمانية موقفاً صعباً لم تتمكن من إصلاحه إلا بعد وقت طويل ، فان المدينتين لم تعودا مرة أخرى إلى نفوذ الدولة العثمانية إلا عام ١٨٧٠ تقريباً . وقد أكد «دعوة التوحيد» بما كتبه الامام محمد بن عبد الوهاب ضرورة التماس مفهوم الأساس من القرآن «وأن وسيلة الإصلاح والنهضة لن تتحقق إلا بحملة ضخمة قوامها القوة والاقناع معاً للقضاء على «البدع والمفاسد التي دخلت الإسلام ظلماً والعودة إلى نقاوته الأولى وعدم الاعتراف بما تركه الفسدون مما يتعارض مع أصول الاسلام في بساطته وسماحته وترك الطقوس وأنواع الاحتفالات والبدع الخاصة بتقديس الأولياء وقصر العبادة على توحيد الله وحده وفق ما دعا إليه الرسول واتبعه ووفق تعاليم القرآن » ولا شك أن صدق عبد الوهاب وعمق إيمانه وصلابته كانت كلها عوامل أساسية في النتائج التي حققتها الدعوة فقد عاش عمراً مديداً قضى أكثر من خمسين عاماً في قلب الحركة التي قام بها عام ١٧٤٠ والتي ظل يوالها حتى توفي عام ١٧٩٢ ، أضف إلى ذلك تقبل الأمير محمد بن سعود لها مادفعها إلى مجال القوة والسلطان حيث أصبحت أسلوباً تطبيقياً للمجتمع مما أعطاها حيوية وانطلاقاً وخلق لها جذوراً ثابتة . وقد كانت في تقدير المؤرخين والمفكرين بحق نقطة انطلاق الأمة العربية وتسلمها لقيادة الحركة الاسلامية في العصر الحديث وإيذاناً بانتهاء دور الدولة العثمانية التي شاخت وضعفت . وكان أبرز معطياتها عمليتين كبيرتين : أنها فتحت باب الاجتهاد في الفروع بعد أن ظل مغلقاً منذ سقوط بغداد ٦٥٦ هـ وضرورة القيام بواجب الجهاد وحياء هذه الفريضة التي أصابها الوهن وأنها - إلى ذلك - كانت ثورة بدوية على الاستبداد والضعف والانحلال الذي آل إليه حال العالم الاسلامي ، وكانت كذلك أول حركة تحريرية عربية اسلامية . وقد حملت الدعوة في عنف على الوجه الاسلامي التقليدي القائم وعلى علماء المسلمين التقليديين الذين كانوا يسرون في ركب الأمراء والولاة ، وهزت قوائم مراكزهم ونفوذهم ، ومن هنا واجهت خصومه «الاسلام الرسمي» الذي تصدى رجاله لها وحرصوا على تشويه مبادئها بحسبانها عاملاً هادماً لوجودهم . ومن حق أن الوهابيين كانوا غاية في «القسوة والعنف» وتلك طبعة الدعوات مواجهة التخلف والضعف ، فقد أعلنوا سخطهم على كل الطوائف الاسلامية الحضرية التي استسلمت للترف ، بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك في محاولتهم مهاجمة حلود الدولة العثمانية ، التي أغراها النفوذ الاستعماري ومطامع محمد علي - على أن تضرب به هذه الحركة الوليدة ، والاستعمار

قادر على أن يوقع الخلاف بين القوتين الشابتين : الفكرية في نجد والسياسة في مصر ، ولو أنهما التقيا لتغير وجه التاريخ . ومن حق أن الدعوة الوهابية لم تجد أمامها من الوقت ما يهيئها لتنمو ، ولتتصل بروح العصر ، وتستخدم أسلحته وأساليبه ، حتى تستطيع أن تواجه خصومها ، ولم تكن قوة الفكر وحدها قادرة على العمل . وقد كان الاستعمار وراء القضاء على هذه الحركة قبل القضاء على حركة محمد علي في مصر ، بحسبان أنها حركة أيديولوجية فكرية عميقة الجذور متصلة بالإسلام نفسه الذي كان ولا يزال هو الخطر الأول المستيقظ في مواجهة الغزو الغربي المتطلع إلى السيطرة على المنطقة كلها . ومن هنا جاز للدكاتب : لوثرروب استوارد أن يقول إن الوهابية لم تقو على الوقوف في وجه البنادق والمدافع الأوربية ومن حق أن يقال أن محمد علي لم يستطع القضاء على الدعوة الوهابية قبل ١٨٢٨ وكان قد بدأها ١٨١١ . فقد صمدت أمامه صموداً عجيباً بالرغم من أسلحته الحديثة ولولا أن محمد علي استعمل الرشوة إلى بعض قبائل العرب وأغراها بالمال ليستعين بها على الوهابيين لما استطاع تصفية هذه الحركة (راجع الجبرتي) . غير أن دعوة التوحيد التي قادها محمد بن عبد الوهاب قد سجلت أمراً خطيراً وبعيد الأثر في حركة اليقظة المعاصرة كلها ذلك إنها أيقظت عالم الإسلام والأمة العربية قبل قدوم حملة نابليون بأكثر من ستين عاماً وهدته إلى وسائل النهضة وأسبابها . وقد استطاع النفوذ الاستعماري الزاحف ، التي أعد خطة القضاء على الدولة العثمانية ، وتمزيق أواصرها والسيطرة عليها أن يقضى على مختلف الحركات الإصلاحية التي قامت في هذه الفترة . سواء ذات الطابع الإسلامي منها أو العسكرية والسياسي : كحركة السلطان محمود في تركيا أو محمد علي في مصر . وكان التركيز على الحركة الوهابية أشد ، فقد أحس الاستعمار أنها تمثل مفهوم الإسلام في اليقظة والمقاومة والعودة إلى عوامل القوة ، وكان الوهابيون قد وضعوا أمامهم خطأ أساسياً هو الدفاع عن حوزة الإسلام ضد الخطر الأوروبي بعد أن حسبوا مدى الوهن والتراخي الذي طرأ على الوحدة الإسلامية العثمانية في الأستانة وانحلال الدول . وإذا كانت « الدولة » التي أقامت الحركة الوهابية قد انتهت عام ١٨١١ . فقد تركت آثارها القوية التي انتشرت في أنحاء العالم على حد تعبير لوثرروب ستوارت « لقد ظل الوهابيون يبشون روح الحركة في مئات الألوف من الحجاج الوافدين كل عام إلى مكة والمدينة . واستطاع الوهابيون أن يبذروا بذروا تلاتها الاختيار الشديد للثورة الدينية في كل فج إسلامي حتى وصلت دعوتهم إلى أقصى المعمورة » . وقد اتصلت الدعوة بالهند وأفغانستان وكان من ثمارها « محمد بن علي السنوسي » الذي تلقاها في مكة وأنشأ طريقة مهدت للجامعة الإسلامية ،

وبالجملة فإن دعوة التوحيد كانت صيحة التوحيد في مواجهة خطر سقوط العالم الإسلامي في براثن النفوذ الغربي ، ومن هنا جاز للكاتب لوثرروب ستوارت أن يعتبرها ويحق مبدأً اليقظة حيث يقول « استيقظت روح الإسلام في كل رقعة من رقاع العالم الإسلامي فهب أتباع محمد من مراكش إلى الصين ومن تركستان إلى الكونغو ، هبوب العاصفة الزعزع لا يعرف مستقرها قدح الزناد في صحراء شبه الجزيرة ، ثم أخذ الشرر يتطاير إلى كل جانب من جوانب العالم الإسلامي ».

وأبرز العالم الفكرية لدعوة التوحيد : ١ - تحرير فكرة التوحيد من الآراء الدخيلة باسم وحدة الوجود ، وعندهم أن الوحدانية التي تكون العنصر الأساسي للإسلام هي الوحدانية التي تترتب على سلوك الموحد وهو ما يسمونه بوحدانية الربوبية ، أي أن المؤمن لا يكون موحداً إلا إذا قصر عبادته على كل كائن واحد . ٢ - ضرورة عودة الفقهاء والقضاة إلى المصادر الأصلية رأساً وهي القرآن والحديث وإجماع المسلمين على حكم معين إلى آخر القرن الثالث الهجري . ويترتب على هذا فتح باب الاجتهاد في الفروع ، وقد أولى الوهابيون هذا الحق اهتماماً كبيراً . ٣ - دعوتهم إلى علم التقيد بمذهب معين من المذاهب الأربعة ، وإنما يجوز لكل قاض أن يأخذ من أي مذهب بما يرى أنه أقرب إلى الصواب ولا يباح التقليد إلا عند العجز من الرجوع إلى هذه النصوص . ٤ - إنكار التحدث في مسائل الخلاف التقليدية ، والتي كانت مصدر الفركة بين المذاهب الإسلامية المختلفة كمسألة الذات والصفات والجبر والاختيار . ٥ - ضرورة قيام إمام للأمة الإسلامية ، والإمامة عندهم غير الخلافة فهي لانتضن صفة العموم بالنسبة للعالم الإسلامي . والخلافة في رأى الوهابية لم تدم أكثر من ثلاثين سنة ثم تحولت إلى ملك . ومنذ ذلك التاريخ يمكن الاعتراف بعدة أئمة في وقت واحد ولا يشترط في الإمام النسب القرشي . والإمام ضرورة جماعية للمحافظة على مصالح الجماعة الإسلامية (١)

(٢)

الدعوة السنوسية

أولى الحركات التي انبثقت من دعوة التوحيد هي السنوسية وهي حركة ودعوة وطريقة قد صيغت على نحو جامع محرر لمفهوم الإسلام المتكامل بين التصوف والفقہ والعقيدة . في ذات صلة بالنسب مع مفاهيم دعوة التوحيد وهي في نفس الوقت تشكيل اجتماعي تربوي على

في زاويته الأولى « البيضاء » ، بالجبل الأخضر حتى توفي ١٩٥٦ وفي خلال سبعة عشر عاماً استطاع أن يحقق الكثير وأن يرسى أساس نظام تربوي مطبق فعلاً لبناء الشخصية الإسلامية من خلال (الزاوية السنوسية) . وتضم الزاوية السنوسية مسجداً ومدرسة لتحفيظ القرآن ومعهداً لتدريس العلوم الإسلامية ومساكن للطلاب الغرباء ومكتبة علمية . وقد ضمت زاوية جغبوب حوالي ثمانية آلاف مجلد في الفقه الإسلامي والتاريخ وتفسير القرآن الكريم والأدب . وتقام الزاوية عادة بجوار الآبار أو على الأطلال التي خلفها الرومان في الصحراء الغربية أو في مواضع الزراعة أو المواقع الاستراتيجية ، أو تقاطع الطرق وملتقى القوافل ، أو على حدود مصر أو تونس أو الجزائر أو السودان . والمعروف أن هذه الزوايا تحولت عام ١٩١١ عندما بدأ الغزو الإيطالي إلى مراكز للمقاومة التي استمرت حتى عام ١٩٢٨ . وتبدل الحركة السنوسية منفردة بتنظيم جديد يختلف عن حركة التوحيد ، فقد قامت على التربية أساساً ولم تلجأ إلى العمل السياسي إلا بعد وقت طويل . وقد جمعت بين منهج حركة التوحيد وبين منهج الحركة الصوفية ومزجت بينهما في دقة ومرونة ، حيث حققت لأول مرة في العصر الحديث محاولة بناء الشخصية الإسلامية عن طريق التربية الإسلامية تأخذ من الفقه ما يثير العقول ومن التصوف ما يصلح النفوس ، ومن هنا كان خطرهما على حركة التبشير التي انطلقت بعد احتلال الجزائر في قلب أفريقيا . فقد استطاعت أن تنشر وتقود حركة للدعوة الإسلامية في مختلف أنحاء القارة وبواسطة السنوسية صارت نواحي بحيرة تشاد مركزاً للإسلام في أواسط أفريقيا ، ثم امتد عملهم حتى بلغ النيجر الأدنى .

وقد عمدت السنوسية إلى تولي عدد كبير من الأرقاء وتربيتهم في جغبوب وغدامس ، وغيرها حتى إذا بلغوا أشدهم وأكملوا تحصيل العلم أعتقوهم وسرحوهم إلى أطراف السودان يهدون أبناء بلدتهم إلى الإسلام . وهكذا يرحلون كل عام مئات من مبشرى السنوسية لبث دعاية الإسلام في جميع أفريقية الداخلية من سواحل الصومال شرقاً إلى سواحل السنغال غرباً ومن هنا فقد تعددت الزوايا واتسع نطاقها من شمال أفريقيا إلى أقصى أقاصى السودان وتأسست ممالك إسلامية مثل سلطنات رابح وأحمد وسامورى . وقد ظلت قوى النفوذ الغربى ترقب بحذر بالغ خطوات نمو الحركة السنوسية وزواياها وكان كتاب أوروبا الاستعماريين يحذرون منها ومن خطرهما ، ومن ذلك ما كتبه الكابتن دانرى من رجال الجيش البريطانى في أوائل القرن التاسع عشر ، يحذر من ظهور زعيم إسلامي تتوحد تحت لوائه قبائل الطوارق

وعشائر العرب والبربر ، ويقول إنه « إذا استفحل أمره عززت نجد قواته فسارت وصار العالم الإسلامى يداً واحدة وزحف على أوروبا فاكسحها حتى تحاصر جيوش المسلمين باريس . . . » . ومن هنا فقد مضت أوروبا تؤلب الدولة العثمانية على هذه الحركة كما فعلت بالنسبة للحركة الوهابية ، وتغرى بها مؤكدة للأستانة بأن خطرهما على السلطنة العثمانية قريب . غير أن محمد بن على السنوسى استطاع بحرصه وذكائه أن ينال ثقة الدولة العثمانية ومضى يعمل في حيلة وصمت داخل أفريقيا ، بعيداً عن أسلوب الثورة والتدخل مع حييدة تامة بالنسبة للخليفة العثماني ، وقد رفض أى تدخل مع ألمانيا أو إيطاليا أو تركيا أو مع عرابي أو المهدي جميعاً ، وكانت ألمانيا قد طلبت من السنوسية مساعدتها ضد فرنسا في إفريقيا ، كما طلبت تركيا منها مساعدتها ضد روسيا ، وكذلك طلبت إيطاليا مساعدتها ضد تقدم فرنسا في تونس . ولكن السنوسيين كانوا قد حددوا موقفهم في هذا الصدد وهو أن لا يدخلوا معارك من شأنها أن تكشف قوتهم ، أو توقع الخلاف بينهم وبين دولة الخلافة . وكان عمل السنوسية في المقاومة للغزو الأوربي لأفريقيا متكتماً مضمراً ، مع عمل مكشوف في نشر الإسلام ، ويسجل ذلك مسيور دوفرير جن يقول : إن السنوسية هي المسئولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر ، وأن السنوسية هي المدبرة لجميع نكبات فرنسا في الشمال الأفريقي وفي السنغال . وإنها أيدت ثورة محمد بن عبد الله في تلمسان وصحراء الجزائر ١٨٤٨-١٨٦١ و ثورة الصادق بيجال الأوراس ١٨٧٩ وثورات أولاد سيدى الشيخ ١٨٧٩-١٨٨١) . ويضيف قوله : إن السنوسية هي أخطر أعداء نفوذنا (نحن الفرنسيين) في شمال أفريقيا وفي السنغال ، والعقبة في سبيل توسعنا الاقتصادى والسياسى داخل أفريقية ، وهي عائق في طريق أهدافنا في القارة الواقعة شمال خط الاستواء ولا شك أن السنوسية بهذه الصورة تختلف كثيراً عن الحركات الصوفية الحديثة : التيجانية والشاذلية والإدرسية والقادرية ، حيث جمعت بين عمليتين أساسيتين : هما نشر الإسلام (وهو ما حاولته الطرق الصوفية) ومقاومة النفوذ الأجنبي بالقوة المسلحة وبناء مواقع المقاومة الاجتماعية والعسكرية . واتصل بذلك عملها في سبيل إقامة وحدة إسلامية كبرى . وغاية القول أن السنوسية بعد وفاة الإمام محمد على وازداد عدد مواقعها في عهد محمد المهدي إلى ثلاثمائة زاوية وأصبحت السنوسية قوة اجتماعية وفكرية في كل مكان ، وعندما ولي أحمد الشريف السنوسى « أمر الدعوة عام ١٩٠٢ دخلت الحركة في دور جديد أشد قوة ، غير أن الغزو الإيطالى الذى وجهته إيطاليا إلى طرابلس ١٩١١

حول الدعوة كلها إلى حركة مقاومة عسكرية مسلحة . وقد دام نضال السنوسية بقيادة الشريف حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . وقد ظلت الصحراء تحت حكم السنوسيين خلال مائة سنة لم يتمكن الاستعمار خلالها من السيطرة إلا على السواحل فقط . وجملة القول أن الحركة السنوسية كانت دعوة إسلامية جامعة هدفها النهوض بالمسلمين في مواجهة الغزو الغربي . ولذلك فقد أخذت بالأسباب على اتساع وشمول . من حيث (١) التربية (٢) بناء شخصية المسلم وبناء المجتمع الإسلامي (٣) مقاومة العدو (٤) الاجتهاد وتنقية الإسلام مما علق به من أوهام . وقد أقام أحد الباحثين المقارنة بين الوهابية والسنوسية فقال : إن الوهابية إصلاح ديني وإنابة إلى عقيدة السلف ، أما السنوسية فهي طريقة عمل بالسنة والشرعية . وكما واجهت بريطانيا خطر الدعوة الوهابية في كل مكان حتى في الهند كذلك واجهت فرنسا خطر الدعوة السنوسية في قلب أفريقيا إذا كانت مصدراً لكل أعمال المقاومة في مختلف الأقطار التي عمدت فرنسا إلى احتلالها . ويقول جيمس هاملتون في كتابه جولات في شمال أفريقيا الصادر عام ١٨٥٦ أنه عندما أرادت فرنسا التوغل في داخل أفريقيا عبر الصحراء اصطدمت بمقاومة عنيدة تولى تنظيمها وقيادتها أتباع السنوسية . وأشار إلى أن الكتب الفرنسية التي تناولت التوسع الفرنسي عبر الصحراء قد أعطت الجزء الأكبر للكلام على المقاومة التي وجدها القوات الفرنسية من أتباع الدعوة السنوسية هناك ، وقد بلغ من اهتمام فرنسا بالدعوة السنوسية أن خصصت وزارة الخارجية الفرنسية أرسيفاً خاصاً بها ، وأشار لوريس رين باهتمام كبير إلى المقاومة الصلبة التي اتخذتها السنوسية والطوارق أمراء الصحراء تجاه التوسع الفرنسي . والمعروف أن السيد محمد بن علي السنوسي قد حرص أساساً على إقامة وحدة إسلامية في أفريقية داخل نطاق وحدة إسلامية كبرى ، ولما كان هذا مقصداً أساسياً له فقد مهد له بالمزج بين المذاهب السنية الموروثة (المذاهب الأربعة) بما صح وكمل من أقوالها ، ثم أضاف إليه ما استنبطه من السنة والمذاهب لم يعد هناك اتباع لها واستطاع أن يجعل من هذا المزيج الدقيق مذهباً واحداً هو هو مرآة المذاهب الأربعة وزيدتها . وعمله في هذا مجال الاجتهاد بارز واضح فقد دعا إلى تحرير الفكر الإسلامي من التقليد الأعمى والتسليم العاجز وتنظيف السنة المحمدية من الأقوال المشبوهة والأساطير الموروثة والصوفية المنحرفة الزاعمة بأن الإسلام ليس من شأنه الدنيا وأن المسلم ليس من شأنه المادة ، وخلص التصوف من الشطح والغلو والتواكل الميت لشخصية المسلم والدافع له على الاعتماد على غيره في رزقه . وقد حارب دعوى الاتحاد الحلول ووحدة

الوجود ، كما دعا إلى فتح باب الاجتهاد للقادرين عليه وإرجاع الأقوال كلها إلى مصادرها الأصلية من الكتاب والسنة وجاهر بالعداء للتقليد المطلق ، وطالب العاى أن يسأل المفتى عن دليله ، الذى استند إليه فى فتواه وحكمه ، فإذا أخبره بالدليل اقتنع وإلا تركه إلى غيره من هو أقدر منه على الإتيان بالدليل ، وهذا عنده هو اجتهاد العاى . ويرى أن الاجتهاد وضرورة عقلية لأن فتح باب الاجتهاد يجعل لدى المسلم حيوية وتمسكاً بالإسلام ، حيث يجد الدلول المناسبة للمشاكل التى تتجدد فى كل زمان . وقد استفاد الإمام السنوسى من مختلف الدعوات التى سبقته وتجبب المآخذ التى أخذت عليها واهتم بالتربية العدلية والتطبيق العلمى للإسلام . ويمكن القول بأن الحركة السنوسية كانت مدرسة نموذجية لتجديد الإسلام جامعة بين الحركتين السائدتين : حركة التوحيد وحركة الصوفية .

(٣)

الدعوة « المهدية »

وفى السودان برزت الحركة الثالثة من الحركات الإسلامية التى أخذت طابع العمل السياسى والاجتماعى معاً ، حين أعلن « محمد أحمد » حركة الجهاد ضد النفوذ الأجنبى وتحرير مفهوم الإسلام من البدع والخرافات معاً ، وقد قامت حركته على الجهاد واستشرقت إنشاء مجتمع إسلامى وحكومة إسلامية عادلة تقوم على أساس مفهوم الإسلام وقد استطاعت هذه الحركة أن تواجه الحملات التى شنتها بريطانيا فى ظل احتلال مصر وأن تسحق كل عمليات الغزو التى وجهت إليها.وقدواجهت هذه الدعوة كما واجهت دعوة التوحيد والحركة السنوسية مقاومة عاصفة من الاستعمار والنفوذ الأجنبى الزاحف ، ولكنها صمدت فى وجهة وكبدته خسائر فادحة . واستطاعت أن تقاوم فترة طويلة . وقد انتصرت المهدية فى جميع المعارك التى قادها غردون وهكس ومونكرىف وستيوارت ، وبيكو وجراهام وولسلى . كما تطلع « محمد أحمد » إلى الزحف لإنقاذ مصر من النفوذ الإنجليزى بعد فشل الثورة العربية ووجد تأييداً من جمال الدين ومحمد عبده . وقد قامت دعوته على نظرية كاملة ضمنها مناشيره وبياناته المتعددة « أمرنا هذا مبنى على هدى من الله ونور من رسول الله وما مقصدنا إلا إحياء الدين وإظهار آثار الأنبياء والمرسلين ولا يزيد مع هذا ملكاً ولا جاهاً ولا مالا . إن مذهبنا هو : الكتاب والسنة والتوكل على الله وقد طرحت العمل بالمذاهب ورأى المشايخ . وقد نجحت

الحركة المهدية في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية إذ حملت لواء المفاهيم الإسلامية المتحررة من سلبية التصوف وجمود الفقه وجبرية الزهادة . واتسمت بإيجابية واضحة في مختلف المجالات . فقد عمد « محمد أحمد » المهدى إلى إيقاف العمل بالمذاهب المختلفة وأذاب جميع الفرق الصوفية بكل طوائفها في طريقة واحدة . وكانت حجة في ذلك ضرورة الرجوع مباشرة إلى الكتاب والسنة دون شروح معقدة ، واسهدف إلغاء الخلافات المذهبية بين الناس في أمور العبادات وتوجيه أنظارهم إلى الوحدة الفكرية ورفض عملية الانعزال في الخلوات مع الأوراد والأذكار . هذا مع الدعوة إلى الجهاد والقوة حماية للحق والعدل ، والسيف لحماية الحق ، ولذلك فقد تحدث طويلاً عن آداب الفروسية والفتوة في زمان الحرب والسلام وأعلن أن مقام الصبر عند البلاء أقوى من مقام الشكر على النعماء . وقد مزج بين الصوفية ومفاهيم التوحيد مزجاً رائعاً . وأعطى مفاهيم القلب والروح قوة على دفع الإنسان للعمل كما نفذ تعاليم الإسلام في القصاص والسرقه والزنا والحدود الشرعية ، وأبطل زيارة القبور والأضرحة . وقد استطاع النفوذ الاستعماري أن يوجه إلى الدعوة المهدية عن طريق علماء الدين الزميين كثيراً من النقد والمعارضة وتحذير الناس منه رغبة في زلزلة ثقة أنصاره به ، ولكنه صمد ووالى دعوته وتأكّد صدقه وسلامة مقصده .

ومن حق أن (محمد أحمد المهدى) قد حرر الفكر الإسلامي السوداني من طابع الصوفية المغرق في الجبرية واتجه إلى منابع الثقافة الإسلامية العربية الأصيلة وفق المنهج الذي سارت عليه دعوة التوحيد والسنوسية وهو تأكيد العمل بالكتاب والسنة وتحرير الفقه من روح الخلافات ، ومن ثم ظهر « أدب عربي إعلاني » له طابع أكثر إيجابية بعيداً عن أسلوب السجع والزركشة ، وكانت أقوى أعماله توحيد المذاهب الأربعة في مذهب واحد باختيار الأصلح من كل منها معتمداً على الكتاب والسنة ، رافضاً لكل الخلافات التي فرت الناس ، وقال « إن هؤلاء الأئمة رجال ونحن رجال ولو أنهم أدركونا لاتبعونا . ولذلك قد طرحت بالمذاهب ورأى المشايخ » . وفي مجال المجتمع عمد إلى تحريره من التقاليد المعارضة للإسلام فحرم الاحتفال بالأعراس احتفالاً يدعو إلى السرف ومنع شرب الخمر وخفض مهر الزواج وأبطل ولائم الأعراس بطعام من التمر واللبن وأبطل الرقص واللعب ودعا إلى القصد في الزخرف فأبطل الألقاب وسأوى بين الغنى والفقر في مواقف المحاكمة والحق وفرض على أتباعه لباساً

خاصاً يمتازون به ، ولقي عمله تقبلاً حتى قال أحد المؤرخين : إن المهدي هو الرجل الوحيد الذي يدين له السودان باسترجاع حريته واستقلاله . وكانت حركة المهدي واحدة من سلسلة حركات الجهاد ضد الاستعمار والنفوذ الأجنبي في مختلف بلاد العالم الإسلامي وامتداداً للمبادئ الأساسية للإسلام التي كانت دوماً مصدر المقاومة وسبيل الرفض لكل نفوذ أجنبي ورفع راية الجهاد في سبيل مقاومة الغاصب ، ومن هنا حاول النفوذ الاستعماري تشويه الوهابية والسوسية والمهدية وتمد إلى القضاء عليها جميعاً ، وظل يهدد دوماً بخطر ظهور حركات مثلها تقوم على أساس مفهوم الإسلام في الحكم وتعلن الجهاد في وجه الغاصب ، وكان لهذه الحركات الثلاث أثرها في خطط الاستعمار . فقد عمد إلى فصل الدين عن السياسة والمجتمع في مختلف الأقطار التي احتلها كما عمل أتباعه من أصحاب الدعوات الهدامة إلى إنكار الجهاد ومحاولة التقليل من شأنه . وقد عمد النفوذ الإنجليزي إلى خطة مأكرة فيها يتصل بالمهدية ، فحيث حرص محمد علي للقضاء على « الوهابية » قضى هو على حركة محمد علي ، ثم قاد الإنجليز جيشاً مصرياً على رأسه ضباط إنجليز للقضاء على الحكومة التي كان يرأسها التعايشي بعد وفاة المهدي . وعمدوا إلى هدم وإزالة كل آثار هذه الحركة ، فقد دخلت بريطانيا السودان بقيادة كيتشنر في سبتمبر ١٩٩٨ ونسف كيتشنر قبعة الإمام المهدي ونبش قبره في بربرية وهمجية وبعثر جثمانه وبعث بجمجمته إلى المتحف البريطاني في لندن إنتقاماً لمقتل غردون . وقضى على الدعوة المهدية كلية . ولم يقبل عودتها إلا بعد ذلك بوقت طويل بعد أن كان قد سيطر سيطرة كاملة على مقدرات الأمور .

(٤)

الحركات الإصلاحية

بدأت دعوة التوحيد (محمد بن عبد الوهاب) ١٧٤٠م - ١٧٩٢ وامتدت بعد دعوة ودولة . وبدأت المهدي (محمد أحمد المهدي) ١٨٨١ - ١٨٨٤ وامتدت إلى سقوط السودان ١٨٩٨ . وما تزال الدعوات الثلاث قائمة إلى اليوم في صورة أو أخرى وما تزال تمثل الطليعة الأولى لحركة اليقظة التي اتخذت منهجاً آخر في العمل ومن خلال هذه الدعوات قامت حركات المقاومة العسكرية في العالم الإسلامي في مواجهة الاستعمار وأبرز هذه الحركات :

* حركة الأمير عبد القادر (١٨٣٠ - ١٨٤٦) * حركة أحمد عرابي - ١٨٨٢ * حركة السنوسية ضد الغزو الإيطالي ١٩١١ * ثورة الهند ضد الإنجليز - ١٨٥٢ * حركة المهديّة ضد النموذ الأجنبي ١٨٨٤ * حركة الشيخ شامل في القوقاز * حركة عبد الكريم الخطاطي في المغرب ١٩٢٦

وقد برزت حركة اليقظة الإسلامية منذ القرن التاسع عشر في الهند وإندونيسيا والأمة العربية وارتبط فيها تجديد الإسلام بحركة المقاومة للنموذ الأجنبي . وفي أوائل القرن التاسع عشر ظهرت في العالم الإسلامي حركات تستمد مفهوما أساساً من دعوة التوحيد وفي مقدمتها دعوة « الشوكاني » في اليمن ودعوة « الألوسي » في بغداد . وحركة أحمد خان في الهند ، وفي نفس الوقت كانت حركة التجديد الأدبي والفكري تبدو بارزة بقيادة رفاعة رافع الطهطاوي وعلى مبارك في مصر وخير الدين في تونس ، وعاكف ونامق في تركيا . غير أن بروز جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في الحلقة السابقة من القرن التاسع عشر كان بعيد الأثر في حركة اليقظة حيث ظهر من بعد عدد كبير من تلاميذ هذه المدرسة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وكان لظهور جريدة « العروة الوثقى » في باريس ١٨٨٤ ثم المنار في القاهرة ١٨٩٨ وانتشارها في مختلف الأقطار وكانت تحركات جمال الدين بين الهند وفارس وأفغانستان وبين فرنسا وروسيا واستنبول ، ثم وقوع الاحتلال البريطاني لمصر وتحركات محمد عبده بين الشام وباريس وتونس والجزائر ، كل هذا كان من شأنه أن يخلق مدرسة جديدة أطلق عليها اسم « المدرسة السلفية » وكان أكبر إمتدادها إلى الغرب الأقصى ، وإلى أفندونيسيا والهند الإسلامية . وفي هذه الفترة ظهر في تونس المصلح خير الدين وكان له دوره في تجديد الفكر الإسلامي ، وفي أوائل هذا القرن ظهر في الشام علامة الشام طاهر الجزائري وزملائه وتلاميذه : القاسمي والبيطار وعبد القادر المغربي . وفي الهند برز : أبو الكلام آزاد وأمير علي وشبلي النعماني ومحمد اقبال . وفي المغرب برز : محمد بن العربي العلوي وأبو شعيب الدكالي ، وعبد الحميد ابن باديس ، وعبد العزيز الثعالبي ، والطاهر بن عاشور وفي مصر ظهر : رشيد رضا . وفريد وجدي ومصطفى المراغي ومحب الدين الخطيب .

(٤)

حركة جمال الدين - محمد عبده

تعد [حركة جمال الدين - محمد عبده] مرحلة جديدة على طريق اليقظة العربية الإسلامية لها طابعها ولها استجابتها للتحديات التي كانت قد ازدادت من خلال مواجهة العالم الإسلامي للنفوذ الأجنبي . ومع ذلك فقد كانت في كلتا مرحلتها تختلف عن الأخرى . مرحلة ما قبل الثورة العربية والاحتلال البريطاني لمصر ومرحلة ما بعد ذلك . وأبرز ملامح حركة جمال الدين هي الدعوة إلى الجامعة الإسلامية أما عمل محمد عبده بعد انفصاله عن جمال الدين عام ١٨٨٥ تقريباً فقد كانت دعوته إلى العلم والتربية كاسلوب أساسي في مقاومة النفوذ الأجنبي . وقد كانت الجامعة الإسلامية التي دعا إليها جمال الدين عملاً من أعمال التجمع في منطقة طابعها إسلامي أساساً لمواجهة الغزو الاستعماري الزاحف الذي شهد جمال الدين ثلاثه في فارس وأفغانستان . ولم يلبث أن وقع بالفعل في مصر وتونس فقد أكدت له تجربته وخبرته وثقافته أن السبيل الوحيد لمقاومة الاستعمار هو التضامن الإسلامي عن طريق التمسك بالقرآن وإلغاء العصبية المذهبية والاجتهاد في فهم القرآن والملازمة بين مبادئه وظروف الحياة التي يعيش فيها المسلمون ، وطرح الخرافات والبدع التي صبغت الإسلام بلون معايير لطابعه الأصيل . ومن هنا فقد كان جمال الدين يرى أن القرآن هو أساس الوحدة وقطبها الأصيل . ولم يكن يعنيه بعد أي نظام يمكن أن تتم على أساسه الوحدة ما دام العامل الأساسي في الالتقاء بين أجزاء العالم الإسلامي هي وحدة الفكر ممثلة في القرآن الكريم . وقد رأى جمال الدين أن أصلح مجال لدعوته هو الأمة العربية بحسبانها منطلق الإسلام الأول وقاعدته ، ومن ثم اتخذ منبره في مصر إيماناً بأنها أبعد ما تكون عن خلافات المذاهب وصراعات العمل . فقد رأى أن مصر أقدر من يستطيع حمل اللواء . ومن الحق أن يقال أن تجربة جمال الدين كانت مثيرة وبعيدة الأثر في الفكر الإسلامي العربي . فقد أخذ الأصول الأساسية لدعوة التوحيد وأضفى عليها ثوباً عصرياً وربط بينها وبين الزمن والحضارة والفكر الحديث فكان استجابة صادقة لعصره وتحديات النفوذ الاستعماري في زمنه - فقد جمع فيها بين (١) تصحيح مفاهيم الإسلام وتحرير قيمة وإعادة صياغتها من جديد على نحو مناسب مع المحافظة على قيمتها الأساسية كاملة (٢) وبين اتخاذ الوسائل الكفيلة بمناهضة الاحتلال الأجنبي . وكانت أبرز قواعد دعوته (١) التقارب

والالتقاء بين أهل السنة والشيعه على أساس أن التفرقة بينهما إنما أحدثتها مطامع الدول وجهل الأمة . (٢) التوفيق بين العلم والقرآن (٣) تأكيد الأساس الواحد للأديان الثلاثة . وقد ضمن برنامجه الذي أذاعته « العروة الوثقى » علامات طريق واضحة إلى النهضة ، إذ ادعا إلى أن يبين المصلحون للشرق واجباته التي كان التفريط فيها موجبا لضعفه وسقوطه وتوضيح الطريق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات وأن النجاح ميسور إذا عقدت الغرائم ، وإذا كان قائما على أساس الأصول التي حققت لأسلافنا العزة والقوة . دعا جمال الدين إلى أن تكون عقائد الأمة « وهي أول رقم ينقش في ألواح نفوسها » مبنية على البراهين القومية ، والأدلة الصحيحة وأن تتحارب عقولهم مطالعة الظنون في عقائدها وترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها وذلك بحسبان أن الاسلام يكاد يكون منفردا بتقريع المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون . وعنده إن أهم الأمور التي تتم بها سعادة الأمم هو « صقل القلوب بصقال التوحيد وخلق كل عقيدة بأن الله جل شأنه يظهر بلباس البشر أو أن تلك الذات المقدسة نالت في بعض أطوارها شديد الايلام وألم الأسقام لمصلحة أحد من الخلق » . وهو يدعو النفس الانسانية إلى النهضة ويلج في الدعاء إلى أن يستقبل وجهة الشرف طامح إلى بلوغ الغاية من مراتب الكمال الانساني ما عدا مرتبة النبوة فإنها بمعزل عن المطمع وذلك تسابقا في مجالات الفضائل ، وقد حرص جمال الدين إلى تأكيد القول بفتح باب الاجتهاد وأن القرآن بشر بالمخترعات والعلوم الحديثة . وقد أولى جمال الدعوة اهتمامه بالنفوذ الاستعماري وحرص على كشفه ومهاجمته دون توقف ، وكانت بريطانيا هي هدفه الأكبر بحسبانها العامل الأكبر في الحيلولة بين المسلمين والوحدة وبينهم وبين القوة والنهضة . وقد درس أخطار الاستعمار وتحقق أسباب تغلغه في عالم الإسلام ، مفرقا بين النفوذ الاستعماري وبين تفوق الغرب العلمي . وكان يهاجم بشدة أمراء المسلمين المستسلمين للنفوذ الأجنبي ، مقاومة الاستبداد في تقديره تجرى مع مقاومة الاستعمار في خط واحد . وهو أول من التفت إلى أسلوب الاستعمار الذي يتخذ صورة القضاء على الشخصية الاسلامية التي مضرها القرآن ، حين بدأ ذلك في محاولة إفساد عقيدة المسلم ، إما بتشكيكه فيها أو بمحاولة صرفه عنها . وكيف أن بريطانيا احتفت بالماذهب الطبيعي في الهند ونشرته ، واتخذت منه سلاحا خطرا ضد المسلمين . فحين عجز الاستعمار عن تحويل المسلم عن الاسلام بالتبشير ، عمد إلى هدم عقيدته بالمذاهب المادية وفي مقدماتها مذهب الدهرية . ولذلك فقد حمل حملة عاصفة

على هذه المحاولة وعراها . وانطلاقاً من طبيعة جمال الدين ومزاجه الشخصى كانت محاولة الإصلاح التى قادها تهدف إلى اتخاذ الثورة السياسية كآسرع الوسائل إلى تحرير الشعوب الإسلامية ، ولذلك فهو لم يتجه إلى وسائل الإصلاح الاجتماعى والتربوى والتعليم ، ولم ينعمق دور الفكر فى حل المشكلات فقد كان ذلك كله عنده إنما يجرى بعد قيام حكومة تحمل لواء دعوته فى أى مكان من عالم الاسلام ولذلك فقد كان دعوته أساساً تتجه إلى الثورة كوسيلة جذرية للقضاء على الفساد والجمود والأنظمة والقوانين المتخلفة . مؤقتاً بأن الثورة تفتح الطريق أمام الوحدة والاتقاء بين أجزاء العالم . الاسلامى وتحرره من نفوذ الاستبداد والاستعمار معاً . وقد كانت دعوته إلى الجامعة الاسلامية من أخطر ما واجهه الاستعمار والنفوذ الأجنبى الزاحف لتقطيع أوصال العالم الاسلامى والسيطرة عليه . ولذلك فقد قاومها مقاومة كبرى ووجه إلى الدعوة وإلى القائمين بها كل اهتمام وقد بلغ به الأمر أن أصدر قراراً بمنع دخول جريدة العروة الوثقى إلى العالم الإسلامى وحدد عقوبة صارمة لكل من يوجد عنده عدد منها ، ومع ذلك فقد وصلت العروة الوثقى إلى كل مكان وكانت مبرسة تكون من خلالها نوايغ العصر ودعاة الإصلاح . ومن الحق أن يقال أن التجنى كان بالغاً بالنسبة لرأى جمال الدين فى الجامعة الاسلامية . ولكن الاستعمار كان حريصاً عن أن يسكت هذا الصوت . ذلك أن جمال الدين لم يكن فى مطالبته بالوحدة الاسلامية يستهدف قيام دولة إسلامية كبرى وإنما كان فى حدود ما عبر عنه « لا التمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصياً واحداً فان هذا ربما يكون عسيراً ، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جمعهم القرآن ووجهه وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخرين ما استطاع فان حياته بحياتهم وبقائه ببقائهم » . ويقول رشيد رضا : إن ما اشتهر عن جمال الدين من كونه يريد بالجامعة الاسلامية أن يكون للمسلمين كلهم دولة واحدة فلم أره فى شىء من العروة الوثقى ولا فى غيره مما كان يرويه عنه الاستاذ الامام (أى محمد عبده) وهو أعلم الناس بمقاصده وأعماله . وربما كان يتطلع إلى مصر كنقطة بدء لهذه الدعوة ويتجلى ذلك فى عبارة الشيخ محمد عبده : « كان غرضه ترقية دولة إسلامية ، أية دولة كانت ، فبدأ بمصر فلما أخضقت خططه تعلق آماله بالمهدى ثم ببلاد إيران وأخيراً بالدولة العثمانية » . وتبعاً لمزاجه الدموى فقد إختار وسائل الثورة السياسية «وخيل إليه أنها أسرع الطرق وآكدها فى تحرير الشعوب الاسلامية . أما وسائل الإصلاح التدريجى

والتعليم فكان يرى أنها بطيئة وغير محققة لغايتها . ويبدو اختلاف الوسائل بين جمال الدين وبين الوهابية والسوسية والمهدية ، اختلافاً بين حركات استطاعت أن تحكم ، ودعوة لم يتحقق لها ذلك ، لعدة عوامل حتى ليتمكن القول بأن حركة (جمال الدين - محمد عبده) هي حركة بناءه خارج مجال النفوذ السياسى ومن هنا كان عمق أثرها ومفعولها . وللغارق بين جمال الدين والحركات الثلاث، هو فرق في الزمن ، و فرق في المكان و فرق في التصور العقلى ، وفي تطور النفوذ الأجنبي نفسه وتغييره لأسلحته فقد ظهر جمال الدين في الحواضر [إيران ، تركيا] وفي ظل حكومات قائمة (الشاة - اسماعيل - السلطان عبد الحميد) . كما ظهر في مواجهة تقدم الزحف الاستعماري حيث لم تواجه الدعوات الثلاث هذا الزحف مباشرة في تاريخها كما واجهه جمال الدين - بريطانيا في الهند وفي فارس وفي مصر . وأمام مواقف حاسمة كامتياز التبناك في فارس ، وقناة السويس في مصر ، ثم الثورة العربية ، والاحتلال البريطاني لمصر والسودان وتونس . لقد جاء في مواجهة العاصفة الزاحفة على العالم الاسلامى لتدمير مقوماته الفكرية . امتاز جمال الدين بأنه كان واسع الثقافة العصرية بالاضافة إلى الثقافة الاسلامية فقد قصد إلى لندن وباريس وبرلين وبطرسبرج ورأى العالم الغربى وهو يتأهب لالتهام العالم الاسلامى، وقرأ مختلف الفلسفات والأديان والمذاهب ووقف على تاريخ الحضارات والدعوات وأفاد من ذلك للاسلام نظرة سريعة قوامها تحرير الفقه الاسلامى من الجمود وتحرير العقائد من التقليد ، وكانت دعوته إلى عقد أواصر الوحدة والألفة بين السنة والشيعة بعد خلاف مرير استمر أكثر من ثلاثانة عام عملاً هاماً بعيد المدى ، وكان يكافح من أجل تغيير الأنظمة القائمة في العالم الاسلامى بالقوة والثورة «وكان يرى جواز خلع وقتل أمراء المسلمين الذى يشجعون الاعتداء الأوربى أو يرضون عنه فيقيمون بذلك الحوائل بين الناس وبين خلاصهم على ما يرجون» . وكان يرى أن إنقضاء أجل الاستعمار إنما يتم بزوال الأسباب التى مكنت أهله من التسلط وأكرهت الشعوب على الخضوع له . وذلك متى تعلمت . وتيقظت وقويت وبدأت بالتمرد على الغاصب الدخيل . وعنده أن التفاوت بين الشعوب واستعمار دولة لأخرى ليس قانوناً أزلياً لا يمكن تبديله ، بل هو حادث وقى يزول بزوال مسبباته ، كغيره من الحوادث التاريخية والاجتماعية الخاضعة لنواميس التطور . «ولما كان لحياة الأمم والدول أدوار وآجال ولحدوثها وتكونها ثم ضعفها وانحطاطها أسباب وعوامل فالاستعمار خاضع لتلك النواميس الكونية .معنى أنه يصل إلى

حد محدود وأجل معلوم . وبذلك كشف جمال عن النفس الاسلامية ذلك الاحساس المظلم الذى عايشها خلال فترة الضعف وتحت تأثير مفهوم الجبرية ، وأعطاه روح الاحساس بالحياة والعمل والتطلع إلى الحرية . وقد كانت مفاهيم جمال الدين التى ضمنها « العروة الوثقى » بعيدة الأثر فى الجيل المتطلع إلى العمل فى مجال الإصلاح والتجديد ، يقول رشيد رضا وهو واحد من هذا الجيل الذى تابع جمال الدين ومحمد عبده وحمل لواء الحركة بعدها : « إن العروة الوثقى نقلتني إلى طريق جديد من فهم الدين الاسلامى ، وهو أن الاسلام ليس روحانياً أخروبياً فقط بل هو دين روحانى جسمى ، أخروى ودينوى وأن مقاصده هداية الانسان إلى السيادة فى الأرض بالحق ليكون خليفة الله فى تقرير المجد والعدل . وأحدث لى هذا الفهم الجديد فى الاسلام رأياً قوى الذى كنت أراه فى إرشاد المسلمين ، وكان همى محصوراً فى تصحيح عقائد المسلمين ونبيهم عن المحرمات . وتزهيدهم فى الدنيا ، فقد تعلقتم نفسى بإرشاد المسلمين عامة إلى المدنية والمحافظة على ملكهم ومباراة الأمم العزيزة فى العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات الحياة » ومن الحق أن يقال أن جمال الدين قد غير العقلية العربية الاسلامية فى مجال المجتمع والسياسة تغييراً بعيد المدى يتمثل فى عبارة محمد عبده : « وكان أهل مصر قبل قدوم جمال الدين يرون شئونهم العامة بل الخاصة ملكاً لحاكمهم الأعلى يتصرف فيها حسب إرادته ويعتقدون أن سعادتهم وشقائهم موكولان إلى أمانته وعدله أو خيانتة وظلمه ، ولا يرى أحداً منهم رأياً يحق له أن يبيديه فى إدارة بلاده . وفى آخر أيامه ألح فى طلب الحكم النبائى وحرص عليه وكان ذلك آية المقاومة الفكرية السياسية » . وعبارة جمال الدين فى هذا المجال تكشف عن مفهومه العميق للحرية كما جاء بها الاسلام وعقدها القرآن ونفذها محمد : « أنكم معاشر المصريين قد نشأتم فى الاستعباد وربيتم فى حجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين ، تسومكم حكوماتكم الحيف والجور وتنزل بكم الخسف والذل وأنتم صابرون بل راضون وتستنزف قوام حياتكم التى تجمعت بما يتحلب من عرق جباهكم - بالعصا والمقرعة والسوط وأنتم صامتون . انظروا أهرام مصر ، ومشاهد سيوة ، وحصون دمياط فهى شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم ، هبوا من غفلتكم ، أصحوا من سكرتكم ، عيشوا كباقي الأمم أحرار سعداء » . هذا أهم ما ألقاه جمال الدين إلى قلب ذلك الجيل الذى اتصل به ، ومن حق أن جمال الدين قد

استطاع أن يترك خلال ثمانى سنوات ركيزة هامة فى مصر والشام والمغرب ، ركيزة ضخمة كانت بعيدة الأثر فى حركة اليقظة الاسلامية ويمكن أن يقال أن مدرسة جمال الدين قد ضمت أولئك الأعلام الذين تصدروا منذ أول القرن : طاهر الجزائري والقاسمى والبيطار وعبد القادر المغربي وكرد على ورفيق العظم ، وشكيب أرسلان ورشيد رضا ، والمراغى ، وعبد العزيز جلاوش ، وابراهيم اللقاني ، وفريد وجدى ، وطنطاوى جوهرى ، ومصطفى عبد الرازق وعبد الحميد بن باديس ، ومحجب الدين الخطيب ، وأحمد زكى باشا ، والبارودى ، وعبد المحسن الكاظمى ، والخضر حسين ، وأحمد تيمور ، وعبد العزيز الثعالبي ، والظاهر بن عاشور ، والعربى العلوى ، وكان على مقدمة هذه المجموعة الشيخ محمد عبده . وبعد الاحتلال البريطانى بدأ دور هام لحركة اليقظة . ذلك أن عمل جمال الدين قد مضى فى طريقه واستقر أخيراً فى عاصمة الدولة العثمانية أما محمد عبده فقد رسم منهجاً للدعوة وفق حاجة المرحلة نفسها وله طابعه المستمد من مزاجه ومفاهيمه . ذلك أن انفصال محمد عبده عن جمال الدين كان أمراً محتوماً فى الأغلب بحسبان الفارق بين « عقلية الثآر » و« عقلية الربى » . وبحكم الزمن نفسه . وعندنا أن اتجاه محمد عبده كان تطويراً وتعميقاً لحركة اليقظة نفسها بعد أن ثبت أن عمل جمال الدين الأفغانى حقق دوره الطبيعى فى أنه هز الحياة الاجتماعية والسياسية فى العالم الاسلامى (الهند - إيران - مصر) وكان لابد من دور جديد ، ذلك هو دور محمد عبده فى التربية وبناء الدعوة وكان هذا هو مناط الخلاف حين اقترح الشيخ عبده كضرورة لتحقيق خطوة أكبر فى مجال حركة اليقظة من تربية جيل من الشباب فى مكان بعيد عن تحديات الاستعمار وهو ما لم يقبله جمال الدين واتهمه من أجل اقتراحه هذا بأنه مشبط ، غير أن الزمن نفسه قد كشف عن عمق مفهوم محمد عبده فى معرفة ضرورات المرحلة وحاجة الحركة ، وقلمضى جمال الدين دون أن يستطيع تحقيق هدفه من حيث إقامة حكومة إسلامية تتولى تنفيذ التعاليم الاسلامية وتجمع الحكومات الاسلامية الأخرى فى وحدة تواجه بها الاحتلال والنفوذ الأجنبى وتناهضه .

وبدأ فى ظل اندفاع الاستعمار العنيفة التى تمثلت فى احتلال مصر وتونس أن أسلوب العمل يجب أن يتغير ، وأن يكون المخطط قائماً على خطة واسعة مرنة قوامها العمل فى مجال التعليم والتربية والثقافة ، ومن هنا كانت دعوة محمد عبده التى أذاعها فى مصر وتونس والجزائر حينما حذر من السياسة وحين نصح بنقل مجال المعركة كلها إلى مجال الثقافة والتعليم

وبذلك حقق نتائج بعيدة المدى في خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته (١٨٩٦-١٩٠٥) وقد امتدت هذه الحركة ممثلة في جريدة المنار التي وصلت إلى أقصى مكان في العالم الاسلامي وشاركها عمل فريد وجدى ومحب الدين والخطيب وكثيرين . وقد شكلت هذه الحركة ما أطلق عليه : «المدرسة السلفية» .

وكان اعتماد محمد عبده الأساسى في تبليغ الدعوة هو تفسير القرآن على نحو عصرى سلفى معاً ، محرراً مختلف القضايا والمعضلات التي كانت تواجه المسلمين في هذه المرحلة أزاء التحديات إلى فرضها الاستعمار والنفوذ الأجنبي وحملات المبشرين والمستشرقين وكتاب الغرب على الاسلام واللغة العربية وراث المسلمين والعرب وتاريخهم . وعن طريق تفسير القرآن استطاع محمد عبده أن يقول رأيه في حرية بالغة ، مما لم يكن يتيسر له عن طريق الكلمة المطلقة بعيداً عن تفسير القرآن ، قد ركز على مجال التربية والتعليم تركيزاً هاماً ، وكان له دوره في تحرير اللغة العربية أسلوباً ومضموناً من السجع والمقدمات معاً وكان ردوده الحاسمة على «هانوتو» و«فرح أنطون» مجالا واسعا لائقاً نظرة واسعة على جميع القضايا المثارة والشبهات الموجهة إلى الاسلام ومن حق أنه عالجهما بحكمة وبراعة وأضاف إلى عمل قادة الحركة إضافات جديدة . وجملة موقف محمد عبده أنه كان حريصاً على أن يبرز الاسلام في مكان القدرة على مواجهة الحضارة الغربية بدون تخلف ، سواء في مجال الرابطة بين العلم والدين ، أو بين الدين والمجتمع . وكانت فتاواه في القضايا الهامة : مثل ذباح أهل الكتاب ولبس القبة وغيرها قد ألقت ضوءاً ساطعاً على قدرة الاسلام في مواجهة الحضارة والزمن وعلى فتح باب الاجتهاد في القروع وبعد هذا العمل خطوة جديدة بعد عمل جمال الدين الأفغانى الذى توقف عمله عند العموميات والكليات ومن حق أن محمد عبده كان معلماً ومفتياً . وكان عمله في مجال إصلاح الأزهر بعيد المدى فقد أدخل تعليم الحساب والجبر والهندسة والتاريخ في الأزهر وكان إيمانه بأمريين لا يبلغهما إيمان : لإصلاح الكومة وتربية الرجال وكان يقول : أن القيام على الحكومات الاستبدادية وتقيد سلطتها وإلزامها بالشورى والمساواة بين الرعية إنما يكون من الطبقات الوسطى والدنيا إذا فشا فيهم التعليم الصحيح والتربية النافعة وصار لهم رأى عام . وأنه لم يعهد في أمة من الأمم أن الخواص والأغنياء ورجال الحكومة هم الذين يطلبون مساواة أنفسهم بسائر الناس وإزالة إمتيازاتهم . وكان من أبرز دعوات محمد عبده معارضة الجبرية الصوفية والدعوة إلى العمل

أولينا : « لماذا تعتزل الدنيا ، إن علينا أن نخالط الناس وأن نعيش في المجتمع عاملين وأن واجب كل مسلم صحيح الاسلام أن يؤدي رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . وقد جعل من أهم ما عني به التفرقة الدقيقة بين الاسلام وبين المسلمين . وكان مما قال وجرى منجى الأمثال : « الاسلام محبوب بالمسلمين » هذا الجمود مما لا يصح أن ينسب إلى الاسلام ، ما أبعد هذا عن صورة الاسلام في صفاتها ووضوح بياضها . حدث هذا عندما دخل على قلوبهم عقائد أخرى ساكنت عقيدة الاسلام في أفئدتهم . وكان السبب في تمكنها من نفوسهم « السياسة » . تلك الشجرة الملعونة في القرآن ، نظر المسلمون إلى فخخة الوثنية ، واستعاروا من ذلك للاسلام ما هو عنه برآء ، وسنوا عبادة الأولياء والعلماء ، وانتخلوا من عقيدة القدر مثبتاً للغرائم . هذه السياسة التي أدخلت على الدين ما لا يعرفه ، دخول البدع والخرافات والجمود ، جنى هذا الجمود على اللغة وأساليبها وعلى النظام والاجتماع ، مما أدى إلى الاختلاف وتفرق المذاهب والشيع في الدين ، وجناية الجمود على الشريعة وأهلها مما جعلها تضيق عن أهلها . كان كل متأخر يقصر فهمه على النظر في كلام من يليه هو غير مبال لسلفه الأول ، بل ولا بما كان يحف بالقول من أحوال الزمان وفقدت كتب السلف الأولين مكانتها » . « قام الاسلام على العقل والاقناع بالحجة » وأقر الاسلام قاعدة تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض - والتجارب مع الزمن وتطوره ومراعاة البيئة واختلافها ، وقام على الشورى « وعدم وجود وساطة » والحاكم ليس بالمعصوم ولا هو مهبط الوحي وهو مطاع ما دام على الحق ، ورضى المسلمون عنه ، وليس في الاسلام سلطان إلهي ، مع التسامح مع العلم ، والتسامح مع الطوائف الأخرى ، وحماية حقوقها وحرية اعتقادها ، والجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ، وإباحة الزينة والطيبات والمزج بين الروحية والمادية » . وبالجمله فقد كان منهج فكرته في إصلاح الاسلام على هذا النحو : الأول : تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى منابعها الأولى . واعتباره ضمن موازين العقل البشري التي وصفها الله لترد من شططه وتماثل من خلطه وخبطه لتتم حكمه الله في حفظ نظام العالم الانساني وفتح باب الاجتهاد . ومحاربة الخرافات والأباطيل التي نسبت إلى الاسلام . الثاني : إصلاح العلم في الجامع الأزهر وملحقاته . بحسابه مصدر النهضة الإسلامية وحسن الدين ومعلم اللغة وإنشاء جيل من علماء الدين القادرين على مواجهة العصر وبالجمله فقد كان منهج

فكرته في إصلاح الاسلام على هذا النحو . الثالث : تجديد شباب اللغة العربية إصلاح أساليبها في التحرير سواء في المخاطبات الرسمية أو المراسلات بين الناس وكان عمله في إصلاح اللغة على درجتين : أحدهما إلقاء دروسه كلها باللغة الفصحى الممتازة برشاقة التعبير وبلاغته التأثير . والأخرى مقالاته وكتاباته . والرابع : الإصلاح السياسي . يقول : أمر كنت من دعائه : حق الحكومة على الشعب وحقه على الحكومة والاعتقاد بأن الحاكم وإن وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم وأنه لا يرده عن خطئه ولا يقف طغيان شهواته إلا نصح الأمة له بالقول والفعل ، وأن تقوم بين الراعي والرعية علاقة قوامها الطاعة من الشعب والعدالة من الدولة . الخامس : العناية بتربية الأمة تربية خاصة وأنها مقدمة على العمل السياسي . السادس : الاتحاد العام أمام العدو الخارجي ونسيان الحزازات والخلافات أثناء الخطر . السابع : اعتبار الدين صديقاً للعلم لا موضع لتصادمهما ، إذ لكل منها وظيفة التي يؤديها ، وهي حاجتان من حاجات البشر لا غنى لأحدهما عن الأخرى . الثامن : « القرآن » : يجب أن يكون أصلاً تحمل عليه المذاهب والآراء في الدين .

(٥)

الحركة السلفية

أصل محمد عبده منهج الإصلاح الاسلامي - ورسم بكتاباته فكرة كاملة لا يبقاض الفكر الاسلامي العربي ، وواجه تحديات عصره وخاصة في السنوات الأخرى من عمره . ١٨٨٥-١٩٠٥ في ظل توسع النفوذ الأجنبي واحتلال مصر وتونس والسودان . وسيطرة فرنسا على الجزائر . وقدامتدت دعوة محمد عبده في ثلاث جهات متوازية في الشام ومصر والمغرب ومنها إلى أندونيسيا وكان للهند حركتها الاسلامية المتوازية مع هذه الحركة ولها منهجها المستقل وفق ظروفها . وكانت المنار هي رابطة المسلمين بعد العروة الوثقى ، على نفس النسق والهدف مع اختلاف الأساليب ، وقد استطاعت المنار أن تغذى هذه الحركة حتى عام ١٩٣٥ وشاركها في هذا الوقت دعاة كثيرين وكتاب كثيرون . وكان أبرز مجال هذه الدعوة « المغرب » فقد وجد محمد عبده في تونس والجزائر من يؤمنون بفكرته ويسايرون خطوه ثم كان للمغرب الأقصى إمتداد آخر وأن لم يذهب إليها الشيخ عبده وفي تونس والمغرب كانت الدعوة السلفية متقدمة في الزمن . وفي الجزائر بدأت جمعية العلماء

في العقد الثاني من القرن العشرين وبرزت في العقد الرابع قوة بعيدة المدى . والمعروف أنه في عام ١٨٨٤ أسس محمد عبده وجمال الدين «العروة الوثقى» جمعية سرية بباريس وقد شمل نفوذها السواحل الشرقية للبحر المتوسط وقصد عبده إلى تونس ١٨٨٥ وأثرت فتاواه في علمائها فأيدوها ، وكانت تونس رصيد في الإصلاح منذ برز الشيخ قبادو وخير الدين التونسي في محاولة الربط بين الاسلام والحضارة الحديثة . وقد عاود محمد عبده زيارة تونس والجزائر ١٩٠٣ وكانت دعوته قد تطورت فلم يكن يدعو إلى مقاومة الغاصب بالثورة بل كان يدعو إلى العلم كوسيلة لمقاومة النفوذ الأجنبي . ويرى المغاربة لشكيب أرسلان أبعد الأثر في نفوسهم فقد وقف مع الليبيين في حربهم مع إيطاليا . وكذلك تنسب إليه ازدهار الحركة السلفية وفق غايات استاذة محمد عبده وزميله رشيد رضا صاحب المنار الذي كان من أهم وسائل تغذية الحركة وقد اتصل شكيب في تونس برجلين من أبرز رجال الفكر : صالح الشريف وعلى باشر حبينه وكان جمعيتي الخلدونية والصادقية بعيدة الأثر في تأريث الحركة السلفية وكان لظهور الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام وصديق الشيخ عبده أثر كبير وقد ظل شكيب أرسلان ومحِب الدين الخطيب ورشيد رضا في صحف المنار والتمنح ومعهم في مصر الخضر حسين يواجهون الحملات العاصفة على المغرب وعلى تونس ومراكش وبخاصة في أخطر أزمتين : وهى المؤتمر الافخارستى في تونس والظهير البربرى في مراكش (المغرب الأقصى) . ومن الذين عملوا في هذا الميدان خارج الوطن [عبد العزيز الثعالبي] الذى ظل مبعداً عن تونس أكثر من عشرين عاماً . وعرض رشيد رضا في المنار الرأى في هذه القضايا كما واصل شكيب أرسلان من لوزان مقالاته وشاركهما على الصعيد العربى محمد على الطاهر فى (الشورى) وكان شكيب أرسلان عليمأ بأحوال المسلمين فى أفريقيا من ليبيا إلى الدار البيضاء بصيراً بشبهات الاستعمار التى كان يثيرها للوقية بين المسلمين والبربر وكان مما يقوله : « فى شمال أفريقيا يعرفون المسلم العربى ، والعربى هو المسلم فالإسلام والعروبة مترادفان » . أما الحركة السلفية فى مراكش فقد كانت قوة ضخمة بعيدة المدى فى مقاومة الاستعمار وكان قوامها قادة أعلام من أمثال : عبد الله السنوسى ، والمهدى الوزانى وأبو شعيب الدكالى ومحمد بن العربى العلوى . وقد امتزجت الدعوة السلفية بالدعوة الوطنية فكانت دعوة إلى إصلاح شامل ومقاومة للتخلف والجمود فى كل مناحى الحياة . ويؤكد العلامة علال الفاسى ارتباط الدعوة السلفية فى المغرب بابن حنبل وابن تيمية

وحركة الإمام محمد بن عبد الوهاب وذلك في مواجهة مرحلة الجبرية التي مرت بها الدولة العثمانية في الفترة الأخيرة . ويرى أن علة التأخر في العالم الإسلامي كانت كامنة في « خطأ الفهم بعقيدة الجبر : وتأول عقيدة القضاء والقدر الإسلامية على أنها تعبر عن حتمية لامتناهية منها ، ولا يمكن التحرر من أحداثها ، لذلك فلا محل لبذل المحاولات للخروج من أية نكبة تنزل بنا - وهذا ما دفع الحكام والولاة إلى احتضان الصوفية لأنها كانت تدعو الأمم إلى الاستسلام والرضا وكذلك اتخذها الاستعمار سلاحاً لهذا الغرض . يقول : وذلك ما نشأ عن انتشار « الشاذلية » في بلادنا مع سوء الفهم لصوفيتها الحقيقية ، وترتب على ذلك ازدهار شأن طبقة من المشايخ والمرابطين أصبحوا يملكون زمام الأمر في الأمة ويسبونها في الانجاء الذين يريدون . وأعانتهم على ذلك الأسر الحاكمة » . وفي المغرب دعا السلطان المولى سليمان العلوى إلى السلفية الأولى ومقاومة الطرق وتشعباتها . وواصل الملوك الذين تعاقبوا على عرش المغرب الدعوة إلى السلفية ، فلما سقطت الجزائر تحت نفوذ فرنسا بدأت يقظة دفعت المسلمين في المغرب إلى التفكير في التجديد العسكري والاجتماعي وكتب أحد علماء المغرب كتاباً أسماه « كشف الغمة في أن الحرب النظامية واجبة على الأمة » وقال في كتابه : إن الأوربيين تطوروا في أساليبهم العامة بينما نحن لازلنا نواصل الأساليب العتيقة في جهادنا وفي تدبيرنا . ومضى فحلل أسباب الجمود الفكري والجمود العلمي ، وكشف عن حيوية الإسلام وكونه صالحاً لكل زمان ومكان . وقد كان لازدهار الدعوة السلفية في العالم العربي في أوائل هذا القرن وإعادة طبع مؤلفات ابن تيمية وابن القيم والشاطبي ، هذه الحركة التي قام بها رشيد رضا في مصر وظاهر الجزائري في دمشق ، والألوسي في بغداد ، ثم ما كان من جهود الحركة الوهابية بعد تجددتها في العقد الثالث ، وكان أول من تصدى لنشر دعوة كاملة للسلفية في المغرب هو « عبد الله السنوسي » أحد علماء القرويين والذي سافر إلى المشرق واتصل بأقطاب الدعوة وصدع بدعوته داخل جامعة القرويين (الجامعة القروية) بفاس وتلمذ عليه محمد بن العربي العلوى بينما كان شعيب الدكالي يرفع صوته بالدعوة في الرباط ، ويرى الأستاذ الفاسي : إن الجانب السياسي طغى على المدرسة السلفية في مصر والمشرق بينما طغى الجانب الاجتماعي والعقلي في الهند . أما المغرب فقد تأثر بكلتا المدرستين .

وكان للهجوم الفرنسي على البلاد ودسائس الفرنسيين في استعمال بعض مشايخ الطرق قلب سلم المعركة إلى عنف شديد فقد جر إلى إغلاق الزاوية « الكتانية » والحكم على رئيسها

بالإعدام وتنفيذه . واتخاذ وسائل شديدة في الحكم على « التيجانية » وغيرهم من رجال الطرق . ومقاومة المشايخ الذين كانوا يستغلون الدين والتصوف لأغراضهم الشخصية . وقد انضموا لصفوف الفرنسيين والأسبان وأخذوا يوجهون الرسائل المختلفة يغرون فيها القبائل المكافحة في سبيل الله والوطن إلى العدول عن الجهاد والاستسلام للأعداء . وبذلك حلت السلفية محل التصوف ممثلة قوة الإسلام وسلامة مفاهيمه وكان لتحالف بعض الصوفية مع النفوذ الأجنبي دورها في هزيمة الأمير عبد الكريم في الحرب الريفية عام ١٩٢٦ فقد تحالف عبد الحى الكتاني وعبد الرحمن الترقاوى مع الفرنسيين ضد الثوار والأمير عبد الكريم . وبعد ذلك اتجه الفرنسيون إلى مقاومة الشريعة الإسلامية ووضع المناهج الرسمية العلنية لفرنسا والمغرب عن طريق تسيحة ، وكان الظهير البربرى في ١٦ مايو ١٩٣٠ رمزاً على هذا المخطط . هنالك تحولت الحركة السلفية إلى حركة سلفية ووطنية في وقت واحد ، سلفية في إقرار الشرع الإسلامى ووطنية في مقاومة السيطرة الأجنبية .

(٦)

جمعية العلماء

وكانت جمعية العلماء في الجزائر عملاً ضخماً بعيد المدى في مجال البقظة والإصلاح الإسلامى وقد كانت بعيدة الأثر بقدر خطورة مهمتها فلم تكن مهمتها قاصرة على تصحيح المفاهيم أو مقاومة نفوذ الجبرية الصوفية فحسب ، ولكن كان أمامها ما هو أخطر من ذلك : وهو حماية اللغة العربية التي كانت على وشك الضياع بحسب ما خطط لها النفوذ الاستعماري خلال مائة عام كاملة . وقد برزت جمعية العلماء في عام ١٩٣٠ في ذكرى مرور مائة عام على احتلال الجزائر ، حيث حسبت فرنسا أنها قد فرنست الجزائر نهائياً ، فمضت تزدهى بأنها حققت عملاً باهراً بعيد المدى غير أن الإمام عبد الحميد بن باديس كذب ذلك حين أعلن صيحته في هذا الوقت وبالذات وإن كان يعمل في مجال الإصلاح . منذ ١٩١٤ تقريباً . هذه الثورة التعليمية التي أحلها ابن باديس كانت بعيدة المدى في إعداد جيل جديد يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ويكتب ويتحدث باللغة العربية . حتى ليكن أن يقال بضد أن كل من يعرف اللغة العربية اليوم في الجزائر مدين للعمل الضخم الذى قام به هذا الداعية النؤوب وكانت مجالس التذكير التي يعقدها في المساجد ذات أهمية بعيدة المدى في الكشف عن

عن جوهر الإسلام وهي شبيهة بمجالس الشيخ محمد عبده في الرواق العباسي والتي سجلها رشيد رضا في المنار وقد سجلت مجالس التذكير البادية في مجلة الشهاب وهي تدل على معرفة شاملة بأمور العصر وما يكتنفه من ظروف طارئة ، ومدى معالجة الإسلام لهذه المشكلات والمعضلات على نحو سمح يسير ، وقد أخذ بأسلوب الاجتهاد « في اختيار الرأي المناسب وترجيح الحكم المدقق دون أن يتقيد بمذهب من المذاهب ولا بإمام من الأئمة ، شأن السلف الصالح للخروج بالفكر الإسلامي من دائرة الضيق والجمود » . ، « وقد جرى في دروسه على أن شريعة الله خالدة لا تتأثر بالمكان ولا تتغير بالزمان ولا تتسم بالخصوص ولا تضيق بالحضارة ولا تتبرم بالعلم ولا تنبو عن التطور » وقد رسم « عبد الحميد بن باديس » منهاجه على نحو واضح مشرق : « على مرشدي المسلمين أن يعالجوا أدواءهم بالعلاجات النافعة ، ويشخصوها لهم عند الحاجة بالعبارات الرقيقة المؤثرة في رفق وهودة ، مجتنبين كل ما فيه تقنيط أو تشبيط . وأن يعرفونهم وإن ساءت نواح ما تزال هناك نواح صالحة وهناك علاجات من الإسلام قريبة وناجعة . وأن يعرفوا ما هم فيهم من فضائل ، وما لهم من مجد وما لهم بهذا الإسلام من قدر وعز ، ليثيروا فيهم النخوة ويبعثوهم عن العمل والخير . هذا أصل عظيم في التربية المبنية على علم النفس البشرية فإن النفوس عندما تشعر بحريتها وقدرتها على الكمال تنبعث بقوة ورغبة وعزيمة لنيل المطلوب ، وعندما تشعر بحقارتها وعجزها تقعد عن العمل ، إن التحقير والتقنيط وقطع حبل الرجاء قتل للنفوس : نفوس الأفراد والجماعات وذلك ضد التربية . وهذا مصداق لقول الرسول : « إذا سمعت الرجل يقول : هالك الناس فهو أهلكهم » نحن المسلمين ربينا تربية إسلامية على ألفة الجوع والتقلل من الأكل والاقتصار على قدر الحاجة ، فطعام الواحد يكفي الإثنين ، بهذه التربية استطعنا أن نبقى ونعيش في مثل ما عليه معظم الأمة الجزائرية من الفاقة والعوز والجوع والمسغبة .

وكما ربانا الإسلام هذه التربية من ناحية الغذاء ، فقد ربانا تربية أخرى من نواحي أخرى ، ربانا على مجد العلم بالمعرفة والرغبة فيها والتلهف على ما فات منهما والاحترام لمن له حظ فيهما . وهذه التربية استطعنا أن نحافظ على قرآننا وخطنا وبقايا علوم لغتنا وديانتنا وجملة معارفنا واندفعنا إلى تأسيس المكاتب العربية رغم ما يحول بيننا وبينها . ولولا تلك التربية الإسلامية التي زرعناها القرون فاستقرت في قرارات النفوس ، وصارت من الخلق

الموروث ، لكان ما نحن فيه من ظلم وتعاسة وتقديس كل أحد علينا في وطننا والترك لمعامل التجريح والتمهيل شاغلا لنا عن العلم وعن الشعور به . « ظنوا أن الخبز هو كل ما نريد ، لا يقوم ، إننا أحياء ، وأننا نريد الحياة ، للحياة خلقنا وأن الحياة لا تكون بالخبز وحده فهناك ما علمتم من مطالبنا العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكلها ضرورات في الحياة » .

(٧)

الحركة الإسلامية في الهند الإسلامية والباكستان

بدأت اليقظة في الهند الإسلامية قبل وصول الاحتلال البريطاني بوقت طويل فقد ظهر الإمام السرهندي (أحمد عبد الأحد) في القرن الحادي عشر الهجري (١٧ م) في خلال حكم الإمبراطور جلال الدين أكبر الذي دعا إلى ما أسماه الدين الإلهي ، وقد حكم الملك أكبر خمسون عاماً (٩٦٤ - ١٠١٤) م وواجهت المسلمين بدعوته إلى الدين الجديد محنة خطيرة ، غير أن السرهندي لم يقبل تأييد الإمبراطور في دعوته ووقف موقفاً مجيداً أمام المحنة القاسية ونزل ميدان الجهاد ضد طغيان الإمبراطور ودعوته الضالة وهاجم العلماء التقليديين الذين لم يعارضوا الملك بل شجعوه على نشر هذه الفتنة في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة وبعد أن تولى ابنه « جهانكير » اشتدت هذه الفتنة وتعرض كثير من العلماء والفقهاء للاضطهاد ولم يتوقف الملك عن زج الشيخ السرهندي في السجن وكان ذلك نقطة تحول في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، فقد اعتدى به المسجونون إلى الله وأقلعوا عن الجريمة فلم يلبث مدير السجن أن كتب بذلك إلى الملك حتى أصدر أمره بالإفراج عنه واستقدمه بالترحيب فلما دخل على الملك سلم عليه بتحية الإسلام ولم يسجد ولم ينحن وأسدى إلى الملك مواعظه ونصائحه . وكان من نتائج مساعيه أن أصدر الملك قراراً بإلغاء كثير من البدع والمنكرات ومنها ما ابتدعه أبوه نفسه ، وفي مقدمة القرارات التي أصدرها جهانكير أمراً بتحريم السجود أمام الملك تعظيماً له وكذلك أبطل جميع القوانين المعارضة للتعالم الإسلامية وعين قضاة مسلمين في كل بلدة . وقد واصل السرهندي دعوته بين جميع طبقات الأمة وكاتب الأمراء والرؤساء في الحكومة والجيش يدعوهم إلى اتباع الحق ويقاوم البدع والمنكرات . ويعد السرهندي مجدد الألف الثاني الهجري فقد جرد قلمه للرد على البدع والأباطيل وهاجم دعاة التصوف الذين تأثروا بمذاهب البهائية

وفلسفتها ، من وحدة الوجود والاتحاد والحلول . ولم يتوقف عن نقض آرائهم . وقد أعلن السرهندي أن المسئولية الأولى في نشر التعاليم الإسلامية الحقة والمبادئ القرآنية الخالصة يقع على عواتق العلماء المسلمين . كما أن تبعات النكبات التي يصاب بها المسلمون من ذلة وهوان ترجع إلى العلماء التقليديين الذين يتهافون على حطام الدنيا ويردد قول الرسول عليه السلام : « صنفان من أمتي إذا صلحنا صلح الناس جميعاً : وإذا فسدنا فسد الناس جميعاً : العلماء والأمرء » كما جاهد في الكشف عن البدع والأباطيل وأوقف قلمه للرد على ما ابتدعه ونسبه إلى الإسلام وعمل على إصلاح الأمرء والحكام ووجه اهتمامه نحو إسداء النصائح لحكام البلاد . وقد ألف عديداً من الكتب في الرد على فكرة وحدة الوجود والحلول والاتحاد وكشف عن زيفها وأبعد الإسلام عنها كما دعا إلى التصوف الإسلامي الخالص الذي ترجع أصوله إلى المشايخ القرآنية والنبوية . وأبرز أعماله أنه قضى على عقيدة وحدة الوجود التي تغلغلت في أحشاء التصوف والأدب والشعر وقضى على فكرة استقلال الطرق عن الشريعة وعلى كثير من العقائد والأفكار والعادات التي تسربت من الفلسفات الضالة . (٩٧٧ - ١٠٣٤ م)

٢ - شاه ولي الله (أحمد عبد الرحيم الدهلوي) . أما شاه ولي الله فقد كان مجدداً من أبرز مجددى الفكر الإسلامى في العصر الحديث وقد عاصر الإمام محمد بن عبد الوهاب وتأثر به وهو واحد من طراز الإمام الغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية . كان من أكبر أعماله تصحيح مفهوم التوحيد الإسلامى والدعوة إلى الاتصال المباشر بالقرآن والسنة الصحيحة . وكتابه (حجة الله البالغة) من الكتب المعدودة في هذا المجال . وقد قاوم ولي الله ما ساد عصره من انحلال وفساد ، وهاجم التساهل وعدم الاكتراث واجتهد في إيجاد تفسير يجمع بين التصوف والسنة الخالصة . ويكون أكثر مرونة تقبلاً وللتطور . وقال ولي الله : إن المسلم الحق يجب أن لا يقبل الانحطاط المعاصر .

تتمثل النهضة في هذه المرحلة بعد الاحتلال البريطانى للهند المسلمة في صورة النهضة الثقافية التي قام بها محمد قاسم النانوتري وسيد أحمد خان ومحمد علي المونكيرى وبرز خلال هذه الحركة : شبلى نعماني وأمير علي وأبو الكلام آزاد . وقد كانت الدعوة إلى إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات بمثابة رد فعل لحركة التعليم الاستعماري الذي رفض المسلمون الانتماء فيه محافظة على دينهم .

فأسس النانوتوي مدرسة ديوبند عام ١١٨٣ هـ ١٨٦٦ م . وسعادت مظاهر العلوم في سهارنپور ومحمد علي المونيكري : مدرسة دار العلوم عام ١٣١٢ هـ ١٨٩٤ م في ليكنو وأنشأ سيد أحمد خان مدرسة عليكرة الشهيرة عام ١٢٦٣ . ١٨٧٦ م . وكان شبلي النعماني هو أبرز معاوني أحمد خان ومؤسس ندوة العلماء . وقد خلفه فيها سليمان الندوي ومسعود الندوي الذي أصدر مجلة للضياء العربية (١٣٥١-١٣٥٤) م ١٩٣٢ م وأصدر أبو الكلام آزاد صحيفة الهلال ١٣٣٢ هـ - ١٩١٣ م . وكانت الحركة الثقافية التي تصدرها شبلي النعماني تضم حافظه نظير ومحمد حسين آزاد وسعد الطاطب حسين تدعو إلى نهضة المسلمين في مجال التأليف والشعر والكتابة وتعد قصيدة (مدرسة الاسلام وجزره) لسيد الطاطب من الشعر الرفيع الذي هز النفس الاسلامية الهندية . ولما رأى المسلمون أن خطة أحمد خان في كلية عليكرة قد اقتضت على الثقافة الحديثة أكملوا عمله بمبارس أخرى تعني بالدراسات الاسلامية الخالصة وكان أبرز أعلام يقظة في الهند الاسلامية . شبلي النعماني وأبو الكلام آزاد وأمير علي وسيد أحمد خان واقبال .

(٨)

حركة الإصلاح في أندونيسيا والملايو

على الرغم من أن أرخبيل الملايو قد دخل في الإسلام بعد الهند وفارس وأفغان بقرون عديدة فإنه قد وجد للإسلام تقبلاً روحياً ونفسياً كبيراً مما كان له أبعد الأثر في مواجهة الغزو الاستعماري البريطاني والهولندي للملايو وإندونيسيا ومقاومة حركات التبشير والغريب التي تكاثفت في سبيل إخراج هذه المنطقة من عالم الإسلام . وتنسم حركة الإصلاح فيها بروح عالية من المقاومة والعق وقد عملت في ميلانين في وقت واحد : ميدان تصحيح العقيدة وتجهيد الفكر الإسلامي بما يجعله قادراً على الكشف عن جوهره وصلاحيته للنهضة ، وفي ميدان مدافعة الشبهات وحملات التشكيك وشبهات التبشير . وقد استمدت حركة الإصلاح في إندونيسيا والملايو من حركة الإصلاح الإسلامية التي حمل لوائها محمد عبده وجريدة اللقار زادها وأسليحتها فأحدثت يقظة كبرى في سومطرة وجاوة . وكانت شركة إسلام التي تأسست ١٩١٢ ومن بعدها مجلس العلماء والجمعية المحمدية ، كلها قوى إيجابية عاملة في هذا المجال على الرغم من اختلاف ميادين عملها . وقد حملت هذه الجماعات لواء العمل في كل الميادين

وبدأت بالعمل في الميدان الاقتصادي في محاولة لتحرير الاقتصاد القوي من براثن النفوذ الأجنبي وتخلق اقتصاد إسلامي يحفظ للمسلمين ثرواتهم ، ومن خلال هذا العمل توسعت أهداف عمل الإصلاح في مختلف الميادين وأهمها الوحدة الإسلامية والكفاح المشترك للخلاص من الاستعمار والحركة الوطنية ومقاومة التبشير وبناء المساجد والمدارس والمعاهد والأندية لمواجهة القوى المؤيدة بالنفوذ الاستعماري . وقد استغل المصلحون المسلمون كل أسلحة المستعمر في سبيل مقاومته وخاصة ما كان يحمل طابع الحكم الاستعماري في إندونيسيا عن طريق الهولنديين يصنع استعمارهم بصبغة دينية وتحديثهم دوماً عن القضاء على دين محمد والقول بأنهم في إندونيسيا بإرادة الله وأنهم يحملون السيف ويقاتلون لهذا الغرض . وفشل النفوذ الاستعماري بالقضاء على الوعي الإسلامي واستطاعت المعاهد والمدارس الإسلامية أن تحدد من نفوذ التبشير وأن تقاوم حركة الفصل بين العرب والوطنيين ، كما عمدت هذه الهيئات إلى مقاومة نفوذ الوثنية والهندوكية . وقد أعلنت عن ذلك صراحة الجمعية المحمدية التي أنشأها المجاهد أحمد دحلان عام ١٩١٢ في جاكرتا حين سجلت في ميثاقها « تنقية عقيدة الإسلام من آثار الديانات الأخرى كالبرهمية والبوذية وأوهامهما » . كما عيّنت هذه الهيئات بالمرأة المسلمة فأنشأت أقساماً خاصة لتربيتها وتعليمها وتكوينها تحت اسم « العائشية » ضمت الفتيات المسلمات من مختلف أنحاء إندونيسيا وعملت على تنشئتهن تنشئة إسلامية قوية . وقد كانت هذه الحركة الإسلامية هي نواة الحركة الوطنية ، فقد أوقدت المقاومة ضد الاستعمار الهولندي بحيث لم يتوقف من بعده .

وقد اعترف سنوك هروجنية (كبير خبراء التبشير والتغريب) في إندونيسيا بأن هذه الحركة كانت بعيدة الأثر في مقاومة النفوذ الاستعماري والجيلولة دون تحويل إندونيسيا إلى الغرب كلية ، وعزى ذلك إلى أثر الأزهر وخريجى إندونيسيا والملايو منه ومن الدارسين في مكة . ويمثل عصر الاستعمار الهولندي ، أخطر عهود المقاومة في الفترة من عام ١٥٩٦ إلى ١٩٤١ وقد كان لهذه الفترة أثرها البالغ في الحد من نفوذ الإسلام وتوسعه والقضاء على اللغة العربية في إندونيسيا وفرض كتابة اللغة الأندونيسية بالحروف اللاتينية على الرغم من رغبة الأهالي الذين كانوا يرون في اللغة العربية رباطاً قوياً بالإسلام - يقول فؤاد محمد قخر الدين « إن الإسلام قد جاء بالعربية إلى هذه البلاد . هذه اللغة التي لا تفارق الإسلام أينما ذهب ، هي لغة الوحدة الدينية لجميع المسلمين وهي تربط أرواحهم رغم اختلاف أجناسهم وبها يتلون

القرآن ويقفون على أسراره . واللغة الأندونيسية قد اقتبست واشتمدت كثيراً من كلماتها من اللغة العربية . واتخذت منها مصطلحات عديدة وقد جاء ذلك عن طريق الإسلام نفسه . وما تزال اللغة العربية بعيدة الأثر في نفسية الشعب الأندونيسي بينما لم تؤثر الهولندية أو اليابانية في روح الشعب لأنها فرضت فرضاً خلال فترة الاحتلال الأندونيسي أو الاحتلال الياباني (١٩٤٢ - ١٩٤٥) م . كما عمد النفوذ الأجنبي على اصطفاء طائفة من الشباب الأندونيسي ونقلهم إلى إنجلترا وهولندا . وكونهم تكويناً خاصاً أراد به فرض نفوذه عن طريقهم . وقد حرص التعليم الغربي والتبشيري إلى توهين أسس الإسلام في نفوس الشباب وأن تحمله على كراهية ثقافته القديمة فتقطعه بذلك عن تاريخ وروح الأمة التي ولد فيها والتي سيعمل من أجلها ، وهذا هو ما تقوم به السياسة الاستعمارية في مختلف بلاد الإسلام . وكان من دعواه إحياء مجد الإمبراطوريات الوثنية القديمة السابقة للإسلام كما فعل في العالم العربي حين دعا إلى الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان ، وفي أندونيسيا اتجهت الدعوة إلى إحياء إمبراطورية ماجاباهيت الوثنية والمغالاة في تقدير هذا التاريخ ومحاولة اتخاذه مثلاً أعلى في البطولة ، وكذلك كان لعلماء الآثار وعلماء اللغات القديمة دعواهم في هذا المجال ، وقد جرت محاولات لمقارنة العصر الهندوكي الجارى القديم بمجد العصر الإسلامى في محاولة لرفع شأن الهندوكية على حساب الإسلام ، كما حاولت القوى الاستعمارية صبغ الجامعة الأندونيسية بصبغة قومية خالصة لإخراجها من جوهرها الإسلامى وطبعها بروح إقليمية ووثنية قديمة ، وذلك في محاولة لإقصاء مفهوم الوحدة الإسلامية التى تدعو إليه الحركات الإسلامية . وقد عمقت قوى التبشير أعمالها وزاد من نشاطها ما قدمت الدول الأوربية من مساعدات بشكل واضح منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر ، حيث أبدوا نشاطاً واسعاً وأحرزوا بعض النجاح في مناطق نائية وجزر غير رئيسية ، أما في أهم نواحي أندونيسيا فأنهم قد واجهوا مقاومة واسعة ، ووجدوا في الإسلام منافساً قوياً لبساطته وساحته التى تملأ القلوب وقد عانت البعثات التبشيرية والإرساليات خسائر كبيرة في هذا المجال ، فهم يربطون بين هذه البعثات وبين النفوذ الاستعماري بينما يربطون بين الدعوة الإسلامية وبين الحرية والمساواة والإخاء . وقد واجهت جماعات شركة إسلام والمحمدية والشبان المسلمين حركة التبشير واستطاعت مقاومتها عملياً . وقد اعترف (المستشرق لك.برج) في كتابه (وجهة الإسلام) إلى الدور الضخم الذى قامت به هذه الجماعات فقال : كان لها شأن عظيم بإنشائها المدارس وتأسيسها

المكتائب وفتحها لإيها على المصراعين وبيع الكتب وإنشاء المستشفيات ومآوى الفقراء وملاجئ الأيتام ونشر الثقافة الإسلامية والدعاية وترجمة الكتب الإسلامية إلى لغة البلاد (فضلاً) عن الأخذ والتوفيق بين الإسلام وبين الظروف الجديدة (وبذلك) قطعت الطريق على المبشرين للمسيحيين من وجوه كثيرة بعد أن اضطنعت وسائلهم . ويقول الدكتور سنوك هروجنية الهولندي الذي أمضى سبعة عشر عاماً في الهند الشرقية الهولندية مستشاراً لحكومة هولندا واستطاع أن يلوس قضايا الإسلام ويواجه مشاكل النفوذ الهولندي مع ٣٥ مليوناً من المسلمين في (أندونيسيا) وساح في البلاد الإسلامية خلال ربع قرن يراقب الحركات الإسلامية . قال :
 إنه المبشرين لا يزالون يتوقعون انضمام كل الأديان إليهم ، أما بالنسبة للإسلام فلا تتحقق أحلامهم ، لأن الدين الإسلامي سيظل ديناً قوياً نشيطاً . ذلك أن للإسلام شرائع تتعلق بالحياة في كل أطوارها ، شخصية وعمومية ، وفردية واجتماعية . ومن الحق أن الإسلام في القرن الماضي تحرر من استقلاله السياسي باعتداء الدول الأوروبية عليه ، ونتج عن ذلك أن الإسلام اضطر أن يعدل آرائه وأعماله . « وقد استنتج الباحثون أن القضايا الروحية متصلة تمام الاتصال بالقضايا المادية في الإسلام ، بحيث أن سقوط الإسلام السياسي يستلزم سقوط الإسلام نفسه . ولكنني لا أوافقهم على هذا الرأي . » وإذا كان الإسلام قادراً على احتمال ذلك التغيير ، فهو قادر على أن يطبق نفسه على قضايا الحياة الحديثة بطريقة يستطيع بها تابعوه أن يكونوا في مقدمة الصفوف في ارتقاء العالم ومدنيته . « والمسلمون لا يقصدون أن يغيروا دينهم ، وقد احتاطوا أعظم الاحتياط ، لهذا الأمر الذي أدركه كل المبشرين المتنورين في أرض الإسلام ، ففي الهند الشرقية الهولندية ، حيث قضيت سبع عشرة سنة ملتصقاً تمام الالتصاق بالمؤسسات الإسلامية لا يقدر المرسل الديني أن يربح تابعين لدينه . « ولا أعتقد أبداً أن الدين الإسلامي يسقط أمام الأديان الأخرى ، لأن المسلم محتاط أشد الاحتياط لمقاومة النفوذ الغريب ، وقد يرى أن تدينه بدين سابق خطوة إلى الوراء ... » وقد تغلظت الأفكار الأوروبية في كل جهة من الأراضي الإسلامية ، ولكن لم يجد فيها الشعور الغربي مركزاً ، ولهذا أُنْجِرَ على القول بأن المسلمين سيستمرون على دينهم مهما اتخلفوا من التهذيب والمدنية الغربيين . « وفي كل المدارس الأوروبية نجد كثيراً من الطلبة المسلمين قد درسوا العلوم الغربية بفروعها ، ولكن مجرى عقولهم لا يزال إسلامياً ، وقد كان بين يدي طلاب مسلمون ، وعندما كنت أتناول مباحثهم التي يكتبونها ، كنت أرى فيها مظاهر فكر إسلامي في شكل

يختلف كل الاختلاف عما يكتبه طلبتي الآخرون . بل كنت أعرف الطالب المسلم من مباحثه . « ولا يمكن أن يقع انحطاط تدريجي في الإسلام ، حيث توجد بواعث خارجة تمنعه ، فالإسلام قوى لم يضعف ولا سياً في القرن الماضي ، وقلت فيه الانشقاقات الداخلية ، وزاد على ذلك أن الإسلام يريح أكثر من غيره تابعين له من الوثنية . فالذي يصير مسلماً لا يطلب منه شيء كثير ، إذ لا يوجد تقديس ولا طقوس دينية ، ولا تعليم طويل . فكل ما يطلب منه أن يعترف بالله أنه كلى القوة ومن ثم يتدرج إلى تعليم الفضائل الإسلامية ، وعندما يصير مسلماً يتغير مركزه الاجتماعي ولكن إذا اختار ديناً آخر . فإنه يبقى دون غيره . » . هـ

(٩)

الحركات الصوفية

لا يستطيع الباحث في تاريخ العالم الاسلامي المعاصر أن يتجاهل الدور الضخم الذي قامت به الحركات كجزء من حركة اليقظة والاصلاح الاسلامي ، فالحركة السنوسية والحركة المهديّة لها طابع صوفي . وإن كانت قد ربطت بين دورها الصوفي القائم على تربية النفس وبين الاصلاح الاجتماعي ومقاومة النفوذ الاستعماري . والحركة الصوفية في مفهومها الاصيل هي تكوين أجيال من المسلمين على التربية النفسية المقطومة عن الشهوات القادرة على مواجهة انحلال المجتمعات بايجابية وقوة ، ومواجهة الغزو الخارجي بنفسية المجاهد المسعّد للاستشهاد في سبيل حماية الفكرة والدود عن البيضة والدفاع عن الأرض والوطن . غير أن الحركة للصوفية لم تلبث أن انحرفت عن مفهومها الاصيل حين دخلت عليها فلسفة هندية ويونانية ، قتلت فيها روح الجهاد والمقاومة وأسلمتها إلى التواكل والجبرية ، هذه الصوفية التي قاومها ابن تيمية ، ثم قاومها محمد بن عبد الوهاب في العصر الحديث بعد أن تركت آثارها البعيدة المدى في المجتمع العثماني في العصور الأخيرة . لذلك فقد كانت السنوسية والمهديّة من بعدها تحريراً للصوفية من جمودها وتخليصاً لها من مفهوم الجبرية ومفاهيم الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وكانت السنوسية والمهديّة ثمرتين خالصتين من ثمار دعوة التوحيد التي قادها محمد ابن عبد الوهاب غير أن هناك طرقات صوفية أخرى ظهرت في آسيا وأفريقيا كان لها دورها الضخم ، كالشاذلية ، والتيجانية والرفاعية والقادرية هذه الطرق كانت بعيدة المدى في نشر الاسلام ومقاومة حركات التبشير الغربية التي انطلقت موازية للنفوذ الأجنبي منذ

أواخر القرن التاسع عشر ودهد هذه الطرق بالإضافة إلى السنوسية والمهدية لاحد لأهميته في الدعوة إلى الاسلام غير أن انحرافات قد أصابت هذه الحركات حيث اتصل بعضها بالنفوذ الاستعماري وعاونه على توطيد نفوذه وإذا كانت السنوسية قد نشأت في مواجهة تحدى الغزو الفرنسي للجزائر ، فكانت عاملاً خطيراً في وجه التوسع الغربي في إفريقيا ، فإن الطريقة النقشبندية التي نشأت في أواسط آسيا وامتدت شرقاً حتى بلغت الصين قامت عاملاً هاماً في ثورة المسلمين الكبرى في تركستان الصينية ، كما أوقدت الثورات ضد النفوذ الاستعماري في جزائر الهند الشرقية ، وكذلك كانت المهدية عاملاً في نشوب الثورة ضد النفوذ الأجنبي في أفريقيا . وفي قلب أفريقيا ظهر «مهدى الصومال» التي أرت الحروب ضد النفوذ الأجنبي بها سنوات ، ويسجل المؤرخون ظاهرة انتعاش الاسلام ، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين من طريق نشاط حركة التصوف «فقد شهدت هذه الفترة ولادة الطرق الصوفية التي كانت تتميز باتساع رقعة الفرق القديمة وتأسيس فرق جديدة كما ازدهرت الحركة الصوفية في البلاد الاسلامية غير العربية» «وتحتل المجموعة العربية البربرية في إفريقيا المغربية التي لعبت في الماضي دوراً هاماً في الحركة الصوفية خلال القرون الوسطى مركزاً في الدرجة الأولى من هذه النهضة الحديثة لحركة الصوفية ، وقد أسس عدد من الطوائف الجديدة في القرن ١٨ الميلادي في كل من الجزائر ومراكش وقامت هذه الفرق بنشاط شديد لا في مواطنها فحسب ولكن كذلك في الصحاري وفي أفريقيا الغربية» . وقد كان لهذه الطرق الصوفية أثرها الواضح في توسيع رقعة الاسلام في أفريقيا وجنوب شرق في العصر الحديث فقد أدخلت ملايين كثيرة من الوثنيين وحققنت نسبة عالية للاسلام في أفريقيا بالذات وقد كان لتوجيهات جمال الدين ومحمد عبده في مفهوم الصوفية وتحريره من الجبرية أبعد الأثر في طابع الايجابية الواضح في هذه الطرق والفرق ، غير أن هذه الطرق هي القوة الذاتية الوحيدة التي وقفت ولا تزال تقف أمام البعثات التبشيرية في الهند وأندونيسيا وجزائر الملايو وأفريقيا . وقد إختطت الحركة طريقها في الأغلب في المناطق الوثنية ، أما في المغرب والجزائر فقد تعارضت بعض الطرق والفرق مع الحركة الوطنية ومن هنا دافعتها الحركة السلفية وقضت عليها بعد أن ثبت اتصال بعض الطريقين بالمستعمرين واستغلال تصوف الاسلام استغلالاً خاطئاً منحرفاً . وهناك ظاهرة واضحة جلية بالتسجيل هو أن النفوذ الاستعماري قد حاول الانتفاع بالطرق الصوفية في مصر وشمال أفريقيا وكان أمثال

الشيخ الدمرداش في مصر وشيوخ النيجانية والكنانية في المغرب من أعوانه. ولقد كان للنيجانية دور خطير في مقاومة جهاد الأمير عبد القادر الجزائري والأمير عبد الكريم الخطابي فقد أعانوا النفوذ الاستعماري الفرنسي وأيدوه . وقد قامت الحركة السلفية في المغرب وجمعية العلماء في الجزائر بدور كبير في معارضة الدور الذي قامت به هذه الطرق ، وكشفتها أمام الجماهير الإسلامية وسجلت عليها أخطاءها وتصرفاتها المعارضة للوطنية والإسلام معاً . وقد اتخذت الحركة السلفية في مواجهة ذلك أسلوب العمل الإيجابي حيث بدأت بإنشاء المدارس القرآنية في مختلف القرى . وكشفت عن مفهوم الإسلام في مفهوم التصوف نفسه . وكان للحركة السلفية التي قادها الشيخ محمد عبده في مصر دورها في توجيه الطرق الصوفية في مصر فألف محمد توفيق البكري نقيب الأشراف كتاباً عاماً في هذا الصدد كشف فيه عن مفهوم الصوفية للإسلام تحت عنوان (التعليم والإرشاد) أشار فيه أن للمعرفة طريقين : طريق النظر والاستدلال وطريق الرياضة والكشف وقال إن العلوم الضرورية هي العقائد والعبادات وتدبير المال وتدبير الأمة وتدبير المنزل . وعنده أن للتربية ثلاث مدارس : مدرسة العائلة ومدرسة التعليم ومدرسة الدنيا ، والمبادئ السائدة في المدارس الثلاث متناقضة للآن ، فيما تعلمه مدرسة العائلة ومدرسة التعليم هما الأساس الذي تشاد على دعامة آثار التربية في المدرسة الثقافية ، لهذا وجب أن يكون في الأمة رجال أقاموا أنفسهم مرشدين يختص كل منهم بفئة من الناس تلازمهم وتراقب أعمالهم وتردهم إلى الفضيلة عن الرذيلة ، وإلى الصواب عن الخطأ ولا ينقطع أثر تهذيبه وتقويمه عنهم مدى العمر . ولما كان مشايخ الصوفية وخلفائهم هم الذين انتدبوا للإرشاد بين الناس فهم فرسان هذا الميدان ورجال هذا المعترك وعليهم المعول في التقويم والتثقيف . وفي مختلف أنحاء العالم الإسلامي تجد فرق الصوفية وخاصة في تركيا طريقها إلى التماس مفهوم الإسلام والتجرب من مفاهيم الفلسفات الهندية واليونانية التي تتصل بوحدة الوجود والاتحاد والحلول .

(١٠)

ثمرة الحركات الإسلامية

قامت حركة اليقظة والإصلاح الإسلامية على إبداع جهاز دفاعي للإسلام عباده التماس المنابع الأصيلة وجوهر الإسلام ، وقد عملت إلى تحقيق أمور ثلاثة : ١- تحرير الفكر

الاسلامى من التقليد والجبرية والجمود وإعلان أن باب الاجتهاد مفتوح لم يغلق وإزالة ما تجمع خلال فترة الضعف مما نسب إلى الاسلام أو وصل به وهو ليس منه وفى مقدمتها الوثنيات وطوايع الفلسفات المادية والقديمة . ٢ - التوفيق بين الاسلام وقضايا العصر والحضارة على النحو الذى يحقق قيام المجتمع الاسلامى على روح الاسلام . وقيمة مع انفتاح الحضارة وعرض الاسلام كابدلوجية صالحة لنظام المجتمع والكشف عن أنه دين ومدنية معاً وليس دنيا لاهوتياً خالصاً وأنه لا يقف عند جانب معين من حياة الانسان وشئونه وأنه يربط بين عنصرى الفرد والجماعة ويصهرهما معاً كما يربط بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة . ٣ - مقاومة الاستعمار والنفوذ الاستعماري والفرقة بين الاستعمار والحضارة من ناحية والثقافة والحضارة من ناحية أخرى ، وقد تتابعت حركات البقطة حلقات متصلة بدعوة التوحيد وتوسعت فروعها فى تغطية مختلف الجوانب ومواجهة مختلف التحديات دون أن تنزع نفسها من الترابط التاريخى العضوى المتصل أساساً بمفهوم الاسلام كما رسمه صلى الله عليه وسلم . وقد كان عمل المجددين المسلمين من المخلصين والسلفيين بالغ الأهمية والخطر فقد كانوا يواجهون روحاً من الجمود والجبرية ، وكان العمل للخروج من ظلمات مرحلة الضعف والتخلف يحتاج إلى كثير من الحظافة والمرونة . وكان الهدف هو توحيد فكر المسلمين على مفاهيم مستمدة من القرآن أساساً : باعتباره ينبوع الفكر الاسلامى ومصدر الثقافات العربية والفارسية والتركية والهندية والملاوية والأندلسية ، وهى مفاهيم أكثر إيجابية وتحرراً مما وصل إليه المسلمون من جمود وجبرية . وكذلك التقريب بينهم اجتماعياً وفكرياً بعد أن باعدت بينهم خلافات مذاهب الفقه والفلسفة والتصوف وأهمها الخلاف بين السنة والشيعة . ولم تكن هذه الخلافات فى مجموعها إلا خلافات الأحزاب السياسية التى إنطوت وانتهت وكان على هذه الخلافات أن تنتهى معاً ، ثم أنها لم تكن تنصب إلا على مسائل فرعية لا عبرة بها ، ولكن الأحزاب السياسية القديمة المختلفة قدغالت وقسمت الناس إليها ثم توارث الناس هذا الانقسام . فلما جاء الاستعمار الغربى والنفوذ الأجنبى حرص على إبقاء هذا الخلاف وتأثيره وذلك بالتحريض الذى شجع عليه للايقاع بين السنة العثمانية والشيعة الفارسية وكان له دور كبير فى إبلاغ الخصومة مبلغها بين فريقين من المسلمين يقولان لا إله إلا الله ويجمعان فى أصول فكرهما حول مفهوم التوحيد والنبوة . وقد حرص الاستعمار والنفوذ الغربى فى كل مكان حل فيه على آثاره الخلافات والمذاهب القديمة ،

كالصينية في الشام والفرعونية في مصر والبربرية في المغرب وأوقد الصراع بين المسلمين
والهندوس في الهند وحاول إحياء التاريخ القديم السابق للإسلام في فارس وأندونيسيا والهند
وتركيا ، وذلك في محاولة خطيرة للخلولة دون تجمع المسلمين على فكر موحد يكونون به
أقدر على الالتقاء والمواجهة الموحدة للنفوذ الاستعماري ومقاومته والقضاء عليه وقد عمد
جمال الدين الأفغاني إلى تحقيق ذلك حين حمل لواء الدعوة إلى اللقاء بين السنة والشيعة
وقد سارت هذه الدعوة من بعد خطوات واسعة كذلك عمد الإلوسي (أبو النناء) إلى التقارب
بين الفقهاء والصوفية ، وتوحيد قلوب أهل العراق خاصة والمسلمين عامة سنيهم وشيعهم
ورفض الخلافات بينهم عن طريق التقريب بين المذاهب . ومثله فعل العلامة جمال الدين
القاسمي في الشام حين أعلن أن الإسلام لا يجيز تكفير أحد ممن استقبل القبلة كما هاجم
التعصب بحسبانه مفرقاً بين الناس ومقيداً للعقول . وقد نجحت الحركة السلفية الإصلاحية
في كل مكان سارت إليه ، حين تخطت الحدود غرباً حتى وصلت إلى المغرب الأقصى وشرقاً
حين وصلت إلى الهند الإسلامية وأندونيسيا ، وأعطت الأعمال السياسية والاجتماعية صبغة
إسلامية خالصة وعملت إلى التوفيق بين الإسلام وحاجات العصر . وكان الإمام الشوكاني
في اليمن (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ) مقدمة لليقظة التي تلت حركة التوحيد في شبه الجزيرة وكان
قد سبقته دعوة محمد بن اسماعيل الأمير (١٠٩٩ - ١١٨٢ م). وكانت كتابات الشوكاني ذات
أثر في إزالة الركود المتراكم خلال القرون وإن لم يكن مصلحاً داعياً وقد اكتفى بالتأليف
شأنه شأن الكثيرين وعاد الشيخ أبو شعيب الدكالي إلى المغرب (من زيارة المشرق مصر
والحجاز) داعياً إلى التوحيد والإصلاح والتماس مفاهيم الكتاب والسنة والتفت حوله جماعة
من الشباب النابغ ووزع الكتب التي كان يطبعها المنار في مصر كما ظهر محمد بن العربي
العلوي في فاس فشن الحملة على الصوفية الجبرية ، وكان ذلك مقدمة لقرار مولاي
عبد الحفيظ الذي تولى الحكم في مراکش ١٩٠٧ باقفال الزوايا الكتابية وقد كان للحركة
السلفية الفضل في إحياء القومية الجزائرية بعد أن أنكرها الموالون للفكر الفرنسي الاستعماري
وكانت لها فضل الحفاظ على التراث العربي الإسلامي للجزائر بعد أن كاد أن يمحي اسمه ،
وكان للإمام عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء بالغ الأثر في ذلك . وقاومت السنوسية
في كنفاح طويل حرب الإبادة الإيطالية (١٩١١ - ١٩٣٣) في حركة بطولية رائعة ضد قوة
أوروبية مسلحة وكان في مقدمة رجالها أحمد الشريف السنوسي وعمر المختار . وكان لاتباع

« المنار » في تونس والمغرب دورهم البالغ في مقاومة الاستعمار الفرنسي ، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم المدرسة العبدية (انتساباً إلى محمد عبده) وقاومت الحركة الإصلاحية تقرب العلماء للآمراء والسلاطين وتهافتهم على أموالهم وحاربت رجال الدين التقليديين ورجال الصوفية المعاوينين للاستعمار كما قامت بطبع مختلف كتب التوحيد كما فهمه ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب ووزعتها في مختلف أنحاء العالم المتعددة بفضل جهود طاهر الجزائري في الشام ، ومحمد عبده ورشيد رضا في مصر والدكالي والعربي العلوي في المغرب وجماعة أهل الحديث في الهند والسعودية في نجد والحجاز . وفي مصر قامت مدرسة دار العلوم ١٩٠٧ بقيادة عبد العزيز جاویش وحفي ناصف ومحمد المهدي ومحمد عبد المطلب وعبد الوهاب النجار وأحمد السكندري وحملت لواء حماية اللغة العربية وكانت مدرسة الهند الإسلامية من المدارس الكبرى ذات الأثر البعيد وفي رجالها السرهندي والدهلوي وأحمد خان وشيلي التعماني وأمير علي وأبو الكلام آزاد ومحمد إقبال .

(٢) كانت المرحلة التي قاد خلالها الإمام محمد عبده حركة البقطة يطلق عليها « الإصلاح » وكلمة الإصلاح كانت معروفة وشائعة في مجال الفكر الإسلامي في الدولة العثمانية وقد كانت ترمي إلى الإصلاح السياسي المدني لقول رشيد رضا . « مرادنا بالإصلاح الديني ما يؤدي إلى المحافظة على الدين . والعمل به جمع كلمة المسلمين ، وأهم أركان الإصلاح الإسلامي جمع المسلمين على عقيدة واحدة وقانون شرعي واحد لا يحكم عليهم غيره من أي نوع من أنواع الأحكام ولغة واحدة » وتوحيد العقائد والآداب ، في أصولها الثلاثة صحة الاعتقاد . وتهذيب الأخلاق . وإحسان الأعمال . وقد استهدفت حركة الإصلاح إقامة وحدة الفكر بين المسلمين ، هذه الوحدة لا تمنع الاختلاف في المسائل الفرعية والتي ليست من أسس الإسلام . ودعت إلى : (١) توحيد الأحكام وعمل منهج يوحد بين جميع المذاهب الإسلامية ما ينطبق عليه حالة العصر ، وفي توحيد الأحكام الشرعية إرضاء لجميع مذاهب المسلمين في الفروع ، (٢) توحيد اللغة ، فاللغة هي مناط الجنسية ومعقد الارتباط وذلك بحسبان أن اللغة العربية هي لغة العالم الإسلامي وهي ترجع اللغة للتركية بأنها لغة الدين (٣) تلافى البدع والتعاليم الفاسدة . وكانت دعوة الإصلاح ترى أن هذا المنهج في تجديد الإسلام من شأنه أن يوحد المسلمين ضد هجمات أوربا عليهم ، والالتقاء بين السنة والشيعة وبين مذاهب السنة المختلفة

وقد استهدفت دعوة الإصلاح : إصلاح التعليم في الأزهر وإصلاح الإدارة والاصلاحات السياسية . وكان من أبرز أهداف حركة الإصلاح فتح باب الاجتهاد ، وقد كشف الأستاذ رضا ١٩٠١ عن ذلك في المنار فقال : إن الأحكام القطعية المعلومة من الدين بالضرورة لا إجتihad فيها لأن طلب معرفتها تحصيل حاصل كتحرير الظلم والخرق وفرض الصلاة والعدل وجملة القول أن الاجتهاد هو النظر في الأمور الشرعية التي هي في الكتاب والسنة والاجماع والقياس لمعرفة أحكام الفروع التي لم تثبت بالأدلة القطعية المتواترة والمقيدة في شروط فهم الكتاب والسنة ومعرفة مقاصد الشرع والوقوف على أحوال الناس وعاداتهم لأن الشريعة ولا سيما المعاملات دائرة على مصالح الناس في معاشهم ومعادهم أي على قاعدة المفساد وجلب المنافع . وقال إن إقفال باب الاجتهاد : معناه أنه لم يبق في الناس من تتوفر فيه شروط المجتهد ، وقال هذا القول بعض المقلدين لضعف ثقتهم بأنفسهم ، وتعظيم عقول السابقين ولذلك جمع الناس على المذاهب الأربع ، لو أجاز للعلماء الاجتهاد لجاءوا بمذاهب كثيرة . والمحققون يعلمون أن منشأ هذا الحجر هو السياسة . فالسلاطين والأمراء المستبدون كانوا يخافون العلم ولا علم لهم إلا بالاجتهاد . والمقلد هو الذي يقلد السابقين ، فهو ناقل لا عالم ، وقد أففل باب الاجتهاد بعد القرن الخامس ولكن كثيراً من العلماء اجتهدوا بعد ذلك فلم يكونوا يعملون إلا بما يقوم عندهم من الأدلة ولا يخلو زمن من هؤلاء .. » كان هدف الإصلاح واليقظة أساساً هو تحرير التوحيد ورسم خطط الالتقاء بين الاسلام والحضارة ومفاهيم العلم والعصر . وقد امتد عمل محمد عبده في الثقافة والتربية والصحافة والأزهر وكانت له توجيهاته في مجال الطرق الصوفية واللغة العربية جمعاً ، وامتد عمله مغرباً حتى وصل مراکش وتابع المنار هذا العمل أما مدرسة الشام فكان أبرز اعلامها القاسمي والبيطار وشكيب أرسلان وطاهر الجزائري وكان أبرز رجال مدرسة المغرب : الدكالي والعربي المهدي ، أما مدرسة العراق : فقد كان من قادتها الألوسي أما مدرسة تونس فكان على رأسها الخضر حسين ، والطاهر بن عاشور وعبد العزيز الثعالبي .

(٣)

تشتمل المدرسة السلفية المغربية التي انبثقت عن دعوة محمد عبده والمنار بالبريطانيين روح العمل في مجال الإصلاح الاسلامي والحركة الوطنية معاً ، وهي تلتبس مفهوم الإسلام

الأساسي في الربط بين الدين والمدنية ، يقول علال الفاسي أن السلفية المغربية ترفض فكرة لادينة الدولة وبذلك تجعل الحكومة الاسلامية حارساً على الأخلاق والفضيلة في وسط الأمة وتطالبها بتهيئة سائر الوسائل التي تسهل على الفرد القيام بالواجبات الفردية والاجتماعية وتنحله عن طريق الاقتداء المتابعة على السلوك الحسن في علاقته مع عائلته . ويؤمن بأنه لا يبتعد المسلمون عن القانون المستمد من الشريعة الذي يصبح منظوراً للفقهاء الاسلامي أصولاً وفروعاً كمادة تشريع مدني عام . وتؤمن المدرسة السلفية الحديثة كما يصورها علال الفاسي بالقومية بحيث لا تضيق إلى الحد الذي يحول بين التقارب المطلق بين سائر الشعوب الاسلامية والعربية بصفة خاصة . « وإلا أصبحت عنصرية تتنافى مع الأصل الأصيل للإسلام » . ويرى أنه لتسهيل هذا التقارب يجب أن تتوافق أساليب الثقافة في وسط المسلمين وأن تعمل على جعل اللغة العربية صالحة لتكون لسان العالم الاسلامي كله وصلة الوصل بين سائر أفرادها وللوصول إلى هذه الغاية لابد أن تتحرر البلدان الاسلامية من سيطرة الأجنبي المادية والمعنوية . ومن أبرز رجال المدرسة السلفية المغربية عبد العزيز الثعالبي وعبد الحميد بن باديس ومحمد بن العربي العلوي . وقد كان الثعالبي مصلحاً اجتماعياً وسياسياً ووطنياً في آن ، وهو يؤمن بأن العرب قصروا في أداء واجبه وحماية الأمانة ، ومن ثم طغت عليهم الأمراض الاجتماعية وقامت أوربا تنازعهم السيادة ، وكان يردد دائماً أن تونس جزء من الأمة العربية وأن مصر مستقر الدعوة والكفاح . وعنها تلقى رجال الإصلاح في المستعمرين دعوتهم وعلى مثالها سبوا كفاحهم وقد بث الثعالبي دعوة الحرية وناضل المستعمرين في سبيل حصول الأمم المغلوبة على حقها وأهاب بأبناء الأمة إلى التناصح بالحق والتعاون في إنشاء المؤسسات النافعة فلزم أن تكون الدعوة هذه راجعة إلى مبدأ يؤلف بينها وخطة توحد وجهتها نحو الغاية المثل . وقد دعا الثعالبي إلى الكشف عن أمجاد تاريخنا وفلسفة نشوونا القومي وقال إن ذلك يستتبع العمل على توحيد مصادر الثقافة في البلدان العربية كلها . وقد طاف الثعالبي بالعالم الاسلامي كله وأقام في مصر فترة طويلة ، وكتب في صحفها فصولاً رائعة عن أزمة العالم الاسلامي الاجتماعية والاقتصادية وله كتاب أسماه « روح القرآن » دعا فيه إلى الإصلاح والبعد عن الجمود . أما الإمام عبد الحميد بن باديس فقد حقق بإنشاء جمعية العلماء الجزائريين عملاً ضخماً بعيد المدى في المحافظة على اللغة العربية من الاندثار في الجزائر ، والإصلاح الاسلامي ومقاومة الجبرية والجمود وفتح أكثر من ثلاثمائة مدرسة في المساجد وخلق فكراً إسلامياً

يقظاً ، كان مصدراً ووقوداً للثورة الجزائرية . وقد اتسم بالحزم وحصانة الرأي والتحرر من الجمود ، وتطهير العقيدة الاسلامية من الدخيل وإحياء اللغة العربية وتقوية الشعور بالشخصية العربية في الجزائرية . ومن ذلك قوله «إننا نرى الأمة الجزائرية موجودة ومتكونة على مثال ما تكونت به سائر أمم الأرض وهي لا تزال حية ولم تنزل ، لهذه الأمة تاريخها اللامع ووحدة الدين واللغة وثقافتها وتقاليدها . هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا تريد أن تصبح فرنسا ومن المستحيل أن تصبح هي فرنسا » . وكان الامام محمد محمد بن العربي العلوي داعية لاصلاح واليقظة في القطر الثالث المغرب وله آثار البعيدة المدى في إعداد جيل جديد من أبرز رجاله القاسي وكنون وغيرهما من مفكرى المغرب المغرب اليوم .

(٤)

أما المدرسة الاصلاحية التجديدية في الشام فقد كانت خصبة غنية وأبرز رجالها طاهر الجزائري (١٨٥٢-١٩٢٠) . وقد عمل الجزائري على تكوين جيل من المصلحين كان في مقدمة رجاله : القاسمي والبيطار ومحمد كرد علي ومحب الدين الخطيب وعبد القادر المغربي . يقول : إن الأمة في إحتياج شديد إلى من يبين لها الطريق الاقوم من أرباب الاخلاص ، وأعظم ما تحتاج إليه هو أمر الاخلاق وما يتعلق بها ومعركة الأمور العمرانية على وجه لا يكون فيه إخلال بمعالى الأمور ويقول «إن لكل أمة شعاراً إذ تركته طمع فيها واستضعف جانبها ، وربما صارت مندمجة في غيرها » . وقد أحيا طاهر الجزائري مئات من الكتب الاسلامية والمخطوطات وألف كثيراً ، وكان عمله في مجال النهضة بعيد المدى . ويعد جمال الدين القاسمي في مقدمة المصلحين إيماناً بدور الأمة العربية في اليقظة الاسلامية «لما كانت الأمة العربية هي المختارة لتهديب الأمم وتعديل عوجها وإقامة منار العدل في ذلك العالم المظلم فقد وجب أن التهذيب الالهى ينزل بلغتها خاصة حتى تستعد وتنهياً لأداء وظيفتها . وجمال القاسمي هو إمام الشام في عصره (١٨٦٦-١٩٢٤) ومن أهم مؤلفاته : قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث . وله تفسير للقرآن في إثني عشر مجلداً ، وقد قام مع زميله الشيخ عبد الرازق البيطار بالدعوة إلى الاجتهاد والجهار بكلمة الحق في دمشق عام ١٣١٣هـ وقد احتملا في سبيل ذلك كثيراً من المشقة والأعنت . وكان

عبد القادر المغربي من المصلحين والعلماء في مجال الاسلام واللغة العربية وله إثارة في مجال الاشتقاق والتعريب ، والأخلاق والواجبات . ومن آثاره قوله : إن أي أنوع من الإصلاح لا يتم إلا بسعى الذين يعينهم أمره وإصلاحنا الاسلامي إنما يعني علماء الدين فهم المكلفون به المخاطبون شرعاً بالعمل على تحصيله ، وليس العمل منهم سوى الدعوة إليه بخطبتهم وكتاباتهم وتأليفهم حتى إذا إقتنع بذلك جمهور الأمة ومعظم أفرادها هبوا هبة واحدة ، وعماد الإصلاح بوجه عام إنما هو التربية والتعليم الاسلاميان أو يقال هو المدرسة الاسلامية ، هذا هو أصل الأصول » وقد اتجه عبد القادر المغربي إلى النظر في عديد من قضايا الإصلاح والاجتهاد وله في مجال المرأة وموقف الاسلام منها آراء طيبة : قال عبد القادر المغربي .

إن الحجاب ليس من الاسلام ، الحجاب الاسلامي أثر من آثار ارسنقراطية المرأة وملكيته في الاسلام وليس هو أثراً من آثار احتقارها أو عبوديتها . وقال في (توريث البنت نصف إرث أخيها) أن الابناء لما كانوا هم الذين يخلفون آبائهم في أسرهم كانوا في حاجة إلى المال الكثير من أخواتهم البنات اللواتي يندمجن في أسرة أخرى غير مكلفات فيها النفقة وقال في (شهادة المرأة نصف شهادة الرجل) المرأة بعيدة عن معترك الاعمال التي يقوم بها الرجال والتي تكثر فيها الدسائس والمخادعات ، لذلك رأى الاسلام أن تتعزز عن تحمل الشهادة بوحدة من بنات جنسها فتذكر كل منها صاحبته . ومن مدرسة الشام العلامة الإمام رشيد رضا تلميذ محمد عبده وخليفته على نهجه وصاحب المنار (١٨٦٥-١٩٣٥) وقد جاء إلى مصر ١٨٨٩ وعمل مع الشيخ مفتي وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد في مصر ، وله آثاره تفسير المنار (١٢ مجلداً) ومجلة المنار (٣٤ مجلداً) وتاريخ الامام الشيخ محمد عبده ومن قبل خرجت الشام علامتها الكبير عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩-١٩٠٢) صاحب الدعوة إلى قيام الأمة العربية بدورها في يقظة الاسلام وصاحب أم القرى وطبائع الاستبداد . وله كتابات متعددة في الاقتصاد والزكاة وقد وضع الكواكبي تخطيطاً لوحدة المسلمين السياسية في النطاق الدولي وعالج آزمات الفكر الاسلامي على هيئة مؤتمر ضمنه مختلف المعضلات وحلولاها

أما مدرسة العراق فكان علامتها «الألوسي أبو الثناء» وتبعه الألوسيون وأشهرهم حفيده محمودشكري الألوسي : وهو صاحب التفسير المشهور (روح المعاني) في تسعة مجلدات الذي طبع في بولاق ١٣٠١ هـ وقد كان الألوسي مجدداً واضح الأثر في أوائل القرن التاسع عشر ، وهو مفتي بغداد وإمام العراق في اللغة والدين والتفسير في النصف الأول من ذلك القرن

وله عشرات الفتاوى والمؤلفات والكتابات النافعة وكان مجلسه مجلس العلم والأدب وعنه تخرج مجموعة كبيرة من الأدباء والمؤرخين والفقهاء . ومن خلفاء مدرسة الألوسى اليوم العلامة محمد بهجة الأثرى . وقد جمع الألوسى الكبير بين مذهب التوحيد والتصوف والفقه جميعاً وصاغ ذلك كله صياغة جديدة حاول بها الجمع بين هذه الطوائف وتوحيد الأمة على فكر واحد قوامه التوحيد ، وكان حذراً فى خطواته حتى لا يصطدم بالمتعصبين ، وكان عاملاً من عوامل التقريب والتجمع والتلاقى والقضاء على الخصومات والفوارق المذهبية الضارة . وقد رد على الغلاة من دعاة الفلسفة الصوفية ووحدة الوجود وفصح الملحدين والباطنية وقطع ببطلان الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة ودعا إلى منطق القرآن كما فهمه الغزالى وابن تيمية .

(٥)

أما المدرسة الهندية الإسلامية فقد كانت ذات أثر واضح فى الفكر الإسلامى كله ولم يقف أثرها عند مسلمى الهند وحدهم . ويعد أحمد السهرندى (٩٧٧ - ١٠٣٤) مجدد الألف الثانى فقد ظهر فى خلال الأزمنة التى أثارها الامبراطور «أكبر» بالدعوة إلى مزج الأديان المختلفة فى دين واحد ، واستطاع أن يححر الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى الهندى من أخطار هذه الدعوة وتمكن فى عهد خلفه «جهانجير» أن يعيد كثيراً من الأصول الإسلامية إلى المجتمع الإسلامى الهندى . كما عمل السهرندى على مهاجمة الصوفية التى تأثرت بفلسفة البراهنة والفلسفات الأخرى ورد على فكرة وحدة الوجود والحلول والاتحاد ، ودعا إلى التصوف الإسلامى الخالص المستمد من المنابع الإسلامية ، كما نصح للأمرء والحكام واستطاع أن يقاوم عدداً من البدع وفى مقدمتها بدعة السجود أمام الملك .

وكان شاه ولي الله الدهلوى (١١١٤ - ١١٧٦ هـ) من أبرز الدعاة المسلمين فى فترة من أدق فترات المجتمع الإسلامى الهندى وهى مرحلة الاحتلال البريطانى فقد صحح مفهوم التوحيد الإسلامى ، ودعا إلى الاتصال المباشر بالكتاب والسنة وبين أصول الإسلام وأساسه فى تنظيم الحياة والمجتمع وقام بمهمة التجديد الإسلامى ، وقاوم ما ساد فى عصره من انحلال وفساد ، وهاجم العوامل التى أدت إلى تدهور المجتمع ، وعمل على الجمع بين الصوفية الخالصة والسنة الخالصة . وقال : إن المسلم الحق يجب ألا يقبل الانحطاط المعاصر . وقد عالج الدهلوى نظرية الإسلام السياسية ودخس المعتقدات المخالفة للسنة ، وأهمية كتابه التحفة الاثنا عشرية فى قوله أن الإسلام

ليس مسألة ولاء لأشخاص ولكنه حركة يكون الفضل الأساسي فيها والولاء للمثل العليا ، وقد فاق الدهلوى الغزالي وابن تيمية وجمع بين التصوف السلف وترك أثراً لا يمحى في تطور الفكر الإسلامى وكان لنظرياته أثرها في حركة المد التي أدت إلى نضال المسلمين في سبيل الاستقلال من خلال دور التدهور والانحلال وقد عاصر الدهلوى حركة التوحيد التي قادها الامام محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وللدهلوى مؤلفاته الكثيرة وفي مقدمتها كتابه الخطير : « حجة الله البالغة » . وقد كان لهذه الحركة أثرها في المقاومة العنيدة التي أبدتها المسلمون أزاء النفوذ البريطانى مما أوجع ثورة ١٨٥٧ م التي أزعجت الاستعمار البريطانى وبدأت على أثر ذلك حركات إسلامية فكرية تدعو المسلمين إلى التعليم والمحافظة على التراث الإسلامى ، وقد عملت هذه الحركات في الميدانين التقليدى والحديث وكانت كلية عليكرة التي أسسها أحمد خان عام ١٨٨٧ أول خطوة نحو الدراسات الحديثة للمسلمين فقد كانت دعوته إنما ترمى إلى أن يكون التعليم الحديث أكبر عامل لتحرير المسلمين وتقدمهم وفي نفس الوقت قامت جمعيات مختلفة أهمها جمعية علماء الهند في البنجاب ودار العلوم في ديويند ، وندوة العلماء في لكنو والجامع العباسى في بهادپور واستهدفت هذه الهيئات المختلفة مقاومة التبشير الاستعمارى . وخلق جو مدرسى إسلامى يجمع شباب المسلمين ويحميهم من أخطار المعاهد التبشيرية ومدارس الإرساليات التي تعمل للقضاء على الثقافة الإسلامية ، وقد نشأت في مختلف المدن الإسلامية على أثر نفشى التبشير ، جمعيات مختلفة لحماية الإسلام قامت بالدعوة إلى الإسلام والرد على الشبهات وبذلك نهضت الحركة الإسلامية الإصلاحية نهضة كبرى على مختلف مستويات الثقافة والتعليم ، ومن خلال هذه الهشيات ظهرت حركة ثقافة إسلامية قوامها : شبلى النعمانى وحافظ نظير ومحمد حسين آزاد وسيد الطاف حسين . وكان لها تراث أدبى قوامه [الرجوع إلى أساسيات الإسلام كما أوحاه الله في القرآن] وكان رجال جمعية أهل القرآن يدعون إلى تأكيذقيمة القرآن وكانت جماعة أهل الحديث تقوم بتطهير الإسلام في الهند من أعمال الوثنية ، وقد كان للجامعة الإسلامية وجامعة عليكرة والجامعة المليية ودار العلوم وندوة العلماء آثارها الكبرى . وقد قدم شبلى النعمانى وأمير على وأبو الكلام آزاد أعمالا كبرى للفكر الإسلامى ، ثم تبعهما محمد إقبال الذى يعد أعظم ثمرة للبقظة الإسلامية الهندية للفكر الإسلامى العالمى ، فقد أعاد شبلى النعمانى كتابة التاريخ الإسلامى وتاريخ أعلام الإسلام من جديد ، مصححاً شبهات التبشير والاستعمار ،

كما كان توليه لقيادة ندوة العلماء أثره البعيد في تكوين جيل من الباحثين والمصلحين وقد لقب بشمس العلماء ، وقد امتاز بقدرته على اتقان اللغة العربية وحسن الذوق في فهم منشورها ومنظومها والقدرة على الكتابة بها ووصفه رشيد رضا بأنه «وسط بين الجامدين على التقليد القديمة وبين المفتونين بالنهضة الحديثة وصاحب مشاركة صالحة في العلوم الإسلامية والعلوم الكونية ، ومن أهم آثارها ردوده على جرجي زيدان في كتابه «التملن الإسلامي» أما «أمير علي» فقد عمل على كشف صورة الإسلام لأهل الغرب فكتب باللغة الإنجليزية عن الإسلام داحضاً الآراء الخاطئة التي أثارها خصوم الإسلام . وعمل على التعريف بالإسلام في المجتمعات الأدبية ودافع عن الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي في مجال الشريعة الإسلامية وحقوق المرأة ، وقد وصفه رشيد رضا بأنه أول مسلم استطاع أن يخرج للغرب صورة صادقة للمبادئ الإسلامية ويعرضها في ثوب علمي محدث يتذوقه الذهن الغربي ولا ينكره الذهن الإسلامي .» وقد كان أمير علي خطيباً بارعاً وكان بليغاً يقف في وجه كل من يحاول أن ينال من الإسلام ، وكان إلى ذلك داعية جاداً في انهاض المسلمين لإدراك حقوقهم ، ومن أهم مؤلفاته : روح الإسلام ، ومختصر تاريخ المسلمين . وهو يؤمن بأن الإصلاح يجب أن يسبقه التعليم وتحرير العقل من القيود ، ويقول إن للإسلام قدرة على صبغ ما عدها بصبغته وسيتقن جوهره وإن تغير مظهره . وكان «لأبي الكلام آزاد» دور هام في مجلتي الهلال والبلاغ في الدفاع عن الإسلام وإيقاظ النفوس لمفهومه الصحيح : وقد واجه النفوذ البريطاني الاستعماري في مقاومة ضخمة كانت بعيدة المدى يقول : الإسلام من أوله إلى آخره دعوة عاملة إلى البسالة والجزالة والتضحية والاستشهاد بالموت في سبيل كلمة الحق ، وقد ابيضت عين الدهر ولم تر مثل هذه التضحيات الكثيرة في أعلاء كلمة الحق التي قدمتها الأمة الإسلامية في كل دور من أدوار حياتها ، إلا فلتعلم الحكومة الإنجليزية أن المسلم الذي أمره ربه أن يرحب بالموت ويتغفل في لجج الدواهي والكوارث ولا يقبل السكوت عن الحق ، لا يخيفه قانون العقوبات الاستعماري .» ومن مؤلفات العلامة أبو الكلام آزاد الهامة كتابه : ترجمان القرآن وهو من أعظم آثاره الفكرية فقد عرض خلاله ترجمة للقرآن وتفسيراً له على منوال حديث في اللغة الأوروبية . ومن أعلام الفكر الإسلامي الهندي العلامة «خدا بخش» الذي يقول «ويجب أن يدافع الإسلام عن نفسه أمام الغرب ويجب أن يستعمل جميع الأسلحة التي صاغتها أيدي الغرب أيها ولينا وجوهنا» .

لما الفيلسوف الاسلامي «محمد إقبال» فقد كان بعيد الأثر في إيقاظ الفكر الاسلامي المهتدى بدعوته إلى التحرر من الجبرية ، ويرى إقبال في الاسلام «المثل الأعلى الذي لو تحقق تماماً لوفى بكل مطلب هذه الحياة وفي الحياة الأخرى». وعنده أن الفكرة الأساسية للاسلام هي إقامة أخوة شاملة بين الناس ، وقد طبعت هذه الصفة الشريعة الاسلامية بطابعها . ويرى إقبال : أن الخطر الذي يتهدد الاسلام هو روح العصبية في الشعوب ، ويقول إقبال : ليس في الاسلام قوميات ولا هو نزعة أمبراطورية بل هو جمعية أمم تعترف بالحدود الصناعية والضوابط الجنسية لسهولة الإشارة فحسب ، لا لتضييق الأفق الاجتماعي للمسلمين . ويقول إقبال : إن النبي محمد هو روح الثقافة الاسلامية ، هذا النبي العظيم يبدو أنه يقوم بين العالم القديم والعالم الحديث فهو من العالم القديم باعتبار مصلر رسالته ، وهو من العالم الحديث باعتبار الروح التي انطوت عليها فان للحياة في نظره مصادر أخرى للمعرفة تلاعبها في اتجاهها الجديد . وعنده أن العمل واليقظة والجرأة والقوة من صفات الاسلام أساساً قبل أن تكون من أدوات الحضارة الحديثة ، ومذهب الذاتية الذي دعا إليه يتمثل في أن الذات هي الروح المنشئ الذي أودعته الله الانسان وجعل العمل والدأب فيه وسيلتنا إلى انتشار هذه الروح ، حيث تنمو الذاتية بالسعي والعمل الدائب الذي لا ينقطع لتجديد الحياة والقدرة على التحرر من تحكم الغير.

(٦)

وفي مصر كان عبد العزيز جاويز وتوفيق البكري ورشيد رضا وفريد وجدي والمراغي من العاملين في مجال اليقظة ، ففي مجلة الهداية (١٩١٠) وما بعدها أخذ عبد العزيز جاويز ينهج منهج الشيخ محمد عبده ويتحدث عن أثر القرآن الكريم في تحرير الفكر النشري ، ويرد على شبهات خصوم الاسلام . يقول : القرآن مشجر الطعان ، قلما يمر يوم دون أن نسمع فلاناً من كتاب الافرنج طعن في القرآن ، كان للقرآن منقبة لا يشوبها نقص فهي الفصاحة والبلاغة ، وإذا كان له مزية عظيمة يفخر بها ثلاثمائة مليون من البشر فهي استعلاؤه على سائر الكتب السماوية من حيث سلامة مبانيه وجمال معانيه ، إن القرآن بمثابة ندوة علمية للعلماء ومعجم لغة للغويين وأجرومية نحو لمن أراد تقويم لسانه ، وكتاب عروض لمحبي الشعر وانسكوبيدية عامة للشرائع والقوانين « وقد كان أبرز أعمال عبد العزيز جاويز في الاصلاح والتجديد الاسلامي في مجال التربية فهو الذي درس التربية الاسلامية والتربية

الغربية وقارن بينهما وتحدث للعرب والمصريين عن مفهوم التربية الذى ينفعهم : يقول :
الخطأ الأول فى فهم التربية والخطأ الثانى فى إرسال الأحداث إلى أوروبا قبل أن يبلغوا
سن الرشد وعنده أن إرسال الشباب إلى أوروبا قبل أن يثقف ثقافة إسلامية أصيلة إنما يحولهم
إلى أوريين حتى إذا عادوا إلينا لم نعد منهم ». وتوفيق البكرى يكشف فى كتابه « المستقبل
للإسلام » الدور الذى سيققه الإسلام فى مستقبل أيامه وهو يتمدد وينتشر فى مناطق جديدة
لم يصل إليها الفاتحون العرب ويعتبر أن التعليم هو أعظم وسائل النهضة . ومحمد كرد على
فى صحيفته المقتبس التى أصدرها فى القاهرة يدعو إلى إصلاح نظم التعليم ويكشف عن روح
الإسلام الصحيح ويتحدث عن اللغة العربية وإسلام المسلمين المعاصرين ، ومحمد فريد وجدى
فى مجلته (الحياة) وما تبعها من أبحاث يهاجم الفلسفة المادية ويتصدى للدكتور شيل شميل
فيكشف عن مفهوم الإسلام فى هذه النظريات الوافدة ويصحح المفاهيم فى مجال الروح والمادة
ويرد على اللورد كرومر وعلى خصوم الإسلام . ويفتح رشيد رضا مجلة المنار أفقاً واسعة
للدعوة الإسلامية والإصلاح الإسلامى متابعاً صحيفة العروة الوثقى فى تحرير مفهوم الإسلام
والتوحيد والقضاء على الاعتقادات الدخيلة فى الإسلام ومحاربة التعاليم الضالة ومحاربة
التعصب للمذهب من المذاهب يقول « المنار يدعو من أول نشأته إلى التوحيد الخالص ومذهب
السلف الصالح فى عقائد الإسلام وهدايتة » ويقول إنما أنشئ المنار ليقاظ الشرق وتجديد
الإسلام بإعادة تكوين الأمة وحياة الأمة والدولة . ونشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية
والاقتصادية وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاماً دينياً لا يتنافر مع الظروف الحاضرة
وأن الشريعة أداة عظيمة صالحة للحكم ». ويمضى الإمام المراغى فى إصلاح الأزهر على
منهج الشيخ محمد عبده ويدعو دعوته الحارة إلى « العمل على إزالة الفوارق المذهبية
وتضييق شقة الخلاف » ويقول : معروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسباب الخلاف
ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي تهدي إلى الحق فى أكثر الأوقات وأن بعض
المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة فى القرون الماضية لمناصرتها وخلقت فى أهلها تعصباً
يساير التعصب السياسى ثم إنقضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية
لا تتركز إلا على ما يصوغه الخيال وما افتراه أهلها ». وبالجمله فقد أبرزت الوهابية (دعوة
التوحيد) أهمية دعوة التوحيد ، وربطت الحركة السنوسية الدين بالسعى والإنتاج فى الحياة
الدنيا ، يقول « كيرك » أن برامج السنوسية هى جمع صفوف المسلمين فى إفريقيا أولاً ثم

يعد ذلك في مختلف أنحاء العالم تحت لواء الاسلام في نقاوته الأولى . وكانت دعوة الكواكبي تهدف إلى محاربة الاستبداد والتماس العدل الاجتماعي . وكان مفهوم جمال الدين مقاومة الاستعمار الأوربي أما محمد عبده فقد جعل العقل معيار الفكر ودعا رشيد رضا إلى نشر الدعوة الاسلامية . وقد توالى الحركات الاسلامية ولم تكامل ، ولكنها كانت في كل مرحلة تصحيح أخطاء الحركة التي سبقتها وتحاول أن تعوض النقص الذي لم تحققه وكان عمل هذه الأجيال من المصلحين الاعلام جد خطير في مواجهة خطرين ماثلين: خطر الجبرية والجمود وخطر الاستعمار والتبشير ، وكان عليهم أن يعملوا في المجالين معاً ، يكشفون عن روح الاسلام وجوهره ، ويدعون إلى مفهوم التكامل في الاسلام دون الانحراف إلى جانب الروح دون العقل أو العاطفة دون الفكر وقد عملوا كثيراً في سبيل كشف الغشاء الذي فرضته التراثيات التقليدية فوق جوهر الاسلام وأزالوا تلك القشرة الجامدة ، وكشفوا عن قيمة الاسلام الأساسية وجعلوه ، قادراً على مقاومة النفوذ الأجنبي والتبشير المتعصب المذهبي يهلى إلى الحق في كل الأوقات ويدحض المذاهب والآراء والتغريب والشعوبية جميعاً ، وواجهوا به الغزو السياسي العسكري الغربي الذي فرض نفسه على عالم الاسلام ، حتى الحركات الوطنية التي انبثقت من الحركات الاسلامية ، كانت مرتبطة بها وكانت تستهدف نفس أهداف البقطة الاسلامية وهي عائدة إليها بعد ذلك غير منفصلة وقد كان دعاة الاصلاح بين جماعة أو حركة وبين رجل يحمل القلم ويصحح المفاهيم أو رجل يحمل لواء الاصلاح بالتوجيه من خلال الجماعات في المساجد والمعاهد . وقد استطاعت الحركات الاسلامية أن تواجه قوى الاستعمار وأن تكشف عن مخططاتها وتفسد أهدافها ، وكانت هذه القوى تحرص على تغيير مفهوم الاسلام في نفوس أصحابه فتقنعهم بأنه دين لاهوتي عبادي صرف ، وأن تغمسهم في مفاهيم جامدة وأن تلقى عليهم ظلال الاسرائيليات وكتابات الباطنية والصائبة والوثنيات المتعددة والشعوبيات المتجددة ، مع مذاهب أوروبا والغرب المختلفة وذلك حتى يظل المسلمون في صراع لا ينتهي وانقسام لا يتوحد ، وبذلك سيصرفون عن مفهوم الاسلام فكراً بالتجزئة أو بالانحراف عن مفهوم الاسلام اجتماعياً بالتخلف في مجال العلم والقوة . واستطاعت هذه الحركات الاسلامية أن تكشف عن أن الاسلام قادر على مجاراة الأزمنة والعصور والأمم المختلفة ، وأنه لا يعارض الحضارة

ولا يضار العلم ولا يرفض النهضة بل هو عامل إيجابي فعال في مجال الحرية والقوة والبناء ، وأن المسلمين حين التمسوا جوهره ومفاهيمه ومقوماته استطاعوا بناء حضارة ضخمة . ولأول مرة في تاريخ الحضارة إرتبط الضمير بالعلم والخلق بالسياسة ، والروح بالمادة وأضنى الاسلام على الأمم والحضارات قدرة على الحركة والبناء والانتاج مع بقاء جوهر الخلق الانساني رفيعاً عالياً متطعماً إلى المعنى الانساني الكريم ، القائم على الحب والأخاء والمساواة ولأول مرة ربط الاسلام الفرد بالمجتمع والمجتمع بالفرد وقضى على الثنائية التي لا تزال تصارع الحضارة الحديثة.

(٧)

وبعد فما هي النتائج التي حققتها دعوات المصلحين والحركات الحديثة في الاسلام . لقد حققت نتائج كبرى ما تزال بعيدة الأثر في خط حركة اليقظة وتطورها وفي مقدمتها : (أولاً) محاربة التقليد وفتح باب الاجتهاد والتخلص من الجمود . (ثانياً) كشف المصلحون حقيقة أساسية هي أن ضعف المسلمين إنما كان مرده إلى انصرافهم عن تعاليم الاسلام الصحيح . (ثالثاً) التماس منابع الاسلام الصافية وتطهير الاسلام من الشوائب . (رابعاً) متاهضة استبداد الحكام ومناصحتهم وتأكيد مشورة أهل الحل والعقد . (خامساً) لفت النظر إلى أن الاسلام قد اشتمل على نظام اقتصادي اجتماعي يكفل توزيع الثروة بالعدل ويمنع استبداد الغنى بالفقير . (سادساً) الجهر بأن التعليم لا يكفي وأن التربية أعظم أهمية لبناء التعليم على أساس أخلاقي . (سابعاً) دعوة المسلمين إلى الاقتراب من القانون المستمد من الشريعة وللوصول إلى ذلك يجب العمل إلى أن يصبح منظوراً للفقهاء الاسلامي أصولاً وفروعاً كمادة لتشريع مدني عام . (ثامناً) العمل على مقاومة الاستعمار وابداء وحدة فكرية إسلامية . (تاسعاً) إدخال الاصلاحات في مختلف المجالات وبحث نور العلم في جميع أرجاء العالم الاسلامي . (عاشرأ) رفع لواء الانبياء الاسلامي من القرآن ، والعودة إلى التماس القرآن كمنهج إنساني اجتماعي كامل صالح للمسلمين وأصلح لهم من مختلف المذاهب والمناهج.

الباب الخامس

الثقافة في العالم الإسلامي

(١)

التعليم

كانت أعقد المشاكل التي واجهها العالم الإسلامي هي مشكلة «التعليم والثقافة» : فقد أحسن المسلمون مدى حاجتهم إلى توسيع مجال التعليم وتجديد مجال الثقافة كعامل هام من عوامل النهضة . وعرف النفوذ الاستعماري هذا المقتل في حياة المسلمين فحاول أن يفيد منه إلى أبعد الحدود . وكان الاستعمار حين عاد إلى عالم الإسلام في دوره الجديد قد أعد مخطظه على النحو الذي يكفل له تغيير العقيدة الإسلامية والقضاء على مقوماتها الأساسية عن طريق التعليم والثقافة واعتبر هذه الحركة القائمة على الغزو الثقافي والتغريب العسكري هي كبرى معاركة وأعظم عوامل تثبيت قواعده وتنبه المسلمون إلى هذا الخطر فحاولوا من ناحيتهم مواجهة هذا الموقف ببناء مدارس وجامعات لها طابع الحفاظ على المقومات ولكنهم لم يكن ليبلغوا في هذا المجال المدى الذي يحقق لهم ما يريدون ، فقد كان وراء الإرساليات والمدارس والجامعات الأجنبية التي إنشئت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي قوى مادية وأجهزة قوية قادرة على العمل ، تهيء لهذه الطريق ويوسد لها البقاء نفوذ دولها في العالم الإسلامي فهي محمية بالامتيازات الأجنبية مفتوح أمامها الطريق بالإعفاء الجمركي لكل ما تستقدم مما تشاء من أدوات وكتب ، وكانت الدول المختلفة الطامعة في قروض الدول الكبرى تتقرب إليها بمنح الأراضي والإعانات لهذه الهيئات العديدة . ومن هنا نشأ تياران متعارضان : تيار التعليم التقليدي القديم ، وتيار التعليم الغربي الجديد ، وكانت مدارس الدولة في الأغلب في ظل الاستعمار تسير على مناهج أقرب إلى مدارس الإرساليات والمدارس الأجنبية وظلت أزمة «الحلقة المفقودة» التي تجمع بين ثقافة الغرب والثقافة الإسلامية قائمة لما تتحقق بعد على النحو الذي يقضى على تلك الثنائية التي مزقت وحدة الفكر في

العالم الاسلامي وحلقت صراعاً فكرياً بعيد المدى استحبال معه إلتقاء المسلمين على رأى موحد .
والواقع أن القول بأن الاستعمار كان حريصاً من توجيه التعليم إلى تخريج طائفة من المتعلمين
يخدمون في مصالح الحكومة والشركات ، هذا القول قاصر في الحق عن الغاية الكبرى ،
فقد كان الاستعمار حريصاً على أن يرافق الفتح السياسي فتح معنوي بحيث يتقرب أهالي
المستعمرات من المستعمرين إلى أن يندمجوا فيهم إندماجاً ، وذلك بنشر لغة المستعمر ، وتعليم
الأهالي تعليماً ينشئ في نفوسهم حب المستعمر فيستسلمون له عن طريق طواعيه « فذلك
من الحق هو الهدف الأكبر ، ويتصل به هدف آخر هو القضاء على الثقافة القومية وذلك
بالطعن فيها وإثارة الشكوك من حولها والشبهات في أعماقها حتى ينظر إليها المواطن نظرة
الازدراء والاحتقار ويعلى عليها ثقافة المستعمر التي تقدم في قالب براق ، وتعرض عليه
عرضاً حافلاً بالبطولة والقوة ، ولا يتوقف الأمر عن هذا وإنما يتصل بأمور أخرى ترمي
إلى هدم اللغة العربية نفسها بحسبانها لغة القرآن ، ومصدر الثقافة ، جميعاً وذلك بنشر لغته
الأجنبية ، ونشر اللهجات العامية ، وذلك بهدف المبادعة بين الوحدات الاسلامية والأقطار
العربية . وقد حاول المستعمر لتأييد هذا الهدف أن يذيع دعايات براقه أقواها القول بأن
الجماهير لا تعرف اللغة الفصحى فعلياً أن نقرب إليهم وسائل التعليم باللغة المحلية أو العامية .
وهذه كلها أهداف أساسية في خطة الغزو الثقافي والتغريب ترمي إلى إيقاف اللغة العربية
وتجميدها ، إلى القضاء على مقومات الفكر الاسلامي . وفي مصر تبدو صورة هذا الغزو في
مجال التعليم واضحة في الخطط التي رسمها كرومر ونفذها المبشر دنلوب مستشار وزارة المعارف
فقد استطاع أن ينزع من برامج التعليم الدين وروح الأدب العربي وتاريخ العرب وصلة
مصر بالعرب والعربية ، ثم أدخل في برامج المدارس أن مصر فرعونية . وفي كل وحدات
العالم الاسلامي تجد نفس الهدف ، قد أعد بصورة وأخرى ، ففي الهند الاسلامية يحاول التعلم
التركيز على الحضارات الوثنية ، وفي أندونيسيا يجرى الاهتمام بتاريخ ما قبل الاسلام ، في
إيران وأفغانستان وفي تركيا كان الاهتمام بالتاريخ الطوراني والجامعة الطورانية وأمجاد
جنكيزخان وكلها محاولات للقضاء على العوامل الجامعة للعالم الاسلامي وهو تاريخ الاسلام
وثقافته وكل ما يتصل باللغة العربية والقرآن . وقد جرت محاولات لتوحيد برامج التعليم
في العالم العربي ، ولكنها كانت جميعها تدور في نطاق المخططات التي وضعها الاستعمار والتي تنحدر
دون إبراز الذاتية العربية والنفس العربية مستمدة من الفكر الاسلامي . وقد وجدت هذه

المخططات من يعارضها ويقاومها ويحول دون تحقيقها فتبقى في حدود المخططات غير المنفذة والآراء التي لا تستطيع أن ترقى إلى درجة التنفيذ . ولقد حرصت الهيئات الاسلامية وكثير من العلماء والباحثين توجيه النظر إلى استمداد التعليم في العالم الاسلامى من الاسلام ، ولكن هذه المحاولات كلها لم تحقق شيئاً وغاية مناهج التعليم في البلاد المحتلة هو خلق عزلة إقليمية بين الأمم والشعوب فلا تتناول بالدرس إلا الاقليم الذى تعيش فيه ، فإذا عرضت لغيره من الأقاليم فإنما تعرض إلى الخلافات والفوارق التاريخية حتى تخلق جواً من الخصومة والفرقة وقد نشأ المسلمون في ظل هذه المدارس لا يعرفون شيئاً عن العالم الاسلامى إلا ما نوره ككتب أوروبا وصحفها ، وهى كتب مكتوبة بأغراض معينة ، فإذا عرضت لقضايا هذه الممالك والأقطار فإنما تعرضها من وجهة النظر الغربية حيث تبرز ماحقق النفوذ الاستعماري الذى حال بين مناهج التعليم في المدرسة الوطنية وبين اتصال الوطن نفسه ماضيه بحاضره ، واتصال الوطن بالأوطان الأخرى التى كانت قبل الاحتلال وحده كاملة . ويعرف الباحث دون حاجة إلى مزيد من التفاصيل السر في اتجاه السياسة الاستعمارية في وطن من أوطان الاسلام نحو جعل التعليم مجرداً من الدين والأخلاق لأن هذا هو ما تقضى به مصلحته ويؤدى إلى تسلط نفوذ المستعمر بدينه ولغته .

(٢)

أما المدارس الأجنبية في العالم الاسلامى فقد حرصت على أن تقصى ابناءها عن الاسلام واللغة العربية والتاريخ الاسلامى جميعاً ، وعمدت إلى إذاعة تاريخ نابليون وفرنسا وبريطانيا واللغات الانجليزية والفرنسية وآدابها ، بل وذهبت إلى أبعد من ذلك فقد قدمت لطلابها كتباً تتناول بالهجوم والتشكيك مختلف القيم الاسلامية والعربية . وعلى مدى هذا التاريخ الطويل انتقلت الصيحات بالاعتراض على عدد من الكتب التى تدرس في هذه المعاهد والجامعات وكلها حملات ضارية على رسول الاسلام وعلى القرآن وعلى الاسلام نفسه . ومن شأن هذه المدارس أنه تخرج شباب المسلمين على ولاء لثقافة معينة ، ونظراً لتعدد هذه المعاهد بين فرنسية وأمريكية وانجليزية وإيطالية وألمانية وروسية فان شباب العالم الاسلامى ظل يتمزق بين هذه الثقافات وبين الولاء لها على النحو الذى يحول دون قيام وحدة فكر إسلامية أساسية . وقد حرص النفوذ الاستعماري أنه يجعل من جامعاته ومعاهده مصدراً لتخريج

القادة والحكام في العالم الاسلامي ، وكانت خطابات القائمين بأعمال الدول الكبرى في هذه الجامعات في كل عام تكشف عن هذه الأغراض ، يقول اللورد لويد ممثل بريطانيا في مصر حفل كلية فكتوريا بالأسكندرية عام ١٩٢٦ « أن أبناء هذه الكلية من ثمانية أجناس أو تسعة أجناس مختلفة وأن من الطلبة الآن مصريون وانكلوسكسون ويونان ويهود وإيطاليون وأرمن وسوريون وأحباش وغيرهم ، كل هؤلاء لا يمتزج عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ فيكونوا قادرين على أن يفهموا أساليبنا ويعطفوا علينا ، وأود أن أشعر أن كلية فكتوريا تنجب نفعاً تنسى فيهم من الشعور الانجليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرق والغرب ، وهذه المشاكل التي بين بريطانيا ومصر تحل إذا تعلم كل من الانجليز والمصريين أنه ينظر كل منهم إلى رأى الفريق الآخر نظراً مقروناً بالفهم والعطف » وهكذا يكشف العميد الانجليزي عن الغاية من التعليم البريطاني ، إنه يحاول أن يخلق جيلاً مؤمناً متعاطفاً معها ، مغضياً عن استعمارها ونفوذها في بلاده عاملاً على دعم المودة والصداقة بين المحتل والوطني » وهذه غاية خطيرة غاية الخطورة لم تقتصر على كلية فكتوريا ولا على التعليم الانجليزي .

وقد كشفت الأحداث عن خبيثة كثير من هذه المعاهد والجامعات المختلفة في العالم الاسلامي واستعلن ما حاولت أنه تخفيه ، فبين حين وآخر يذاع أن هناك كتاب يدرس يحمل ثمار التبشير أو الشكوك في الاسلام أو الإساءة إلى نبيه أو اتهام القرآن . والمعروف أن هذه المعاهد قد بدأت في العالم الاسلامي في الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، وأنها كانت ذات طابع تبشيري واضح مكشوف ، وكانت تقوم في مختلف أنحاء العالم الاسلامي بالدعوة الصريحة للمسيحية ، وكان لها في هذه الفترة مواقف مؤسفة بالغة الجرأة اعتمدت الارساليات التبشيرية فيها على نفوذها وحماية الامتيازات الأجنبية لها وعلى نفوذ القناصل وضعف الدول الإسلامية غير أن هذه المعاهد لم تلبث أن غيرت أسماءها ومناهجها وحاولت أن تستوى في صورة جامعات علمانية بعد كانت معاهد تبشيرية صريحة ، وقد ركزت مناهجها في كلتا الحالتين على غاية واحدة وإن اختلفت الأساليب ، تحمل ثقافة المستعمر وتاريخه ولغته ودينه على نحو واسع الأغراء للشباب المسلم ، مبعدة به عن تاريخه ولغته ودينه ، بالهجوم والتشكيك وإثارة الشبهات والربط بين تاريخ المستعمر ودينه ولغته ومكانة الحضارة ، والربط بين تاريخ الأمم الإسلامية ودينها وبين وقوعها تحت نفوذ الاستعمار وتخلفها . وقد حدث

في إحدى الجامعات المتصلة بإحدى الدول الغربية في عاصمة من أكبر العواصم العربية أن وقف شاب من خريجي هذه الجامعة ، أن بعد أحرز شهادتها العالية ، في حفلها السنوي الضخم ليظهر الناس على حقيقة هذه الجامعة وأهدافها فقال : « إن هذه الجامعة تظهر أمام الناس في مظهر المدرسة العلمية لكنها في الحقيقة تعمل لافساد عقائد الشباب الدينية وتطعن في الإسلام » . ومن خلال بعض هذه المعاهد انطلقت حركات التبشير ، وقد جعلت من طلابها حقل تجارب لذلك ، وكشفت التحقيقات والأحداث عن نتائج خطيرة . وهكذا وقف المسلمون من هذه المدارس طوال هذه السنوات موقف الحذر ، كاشفين لها ، ولم يستسلموا مطلقاً لاغرائها ، ولم يلبثوا أن استسلموا لها تحت ضغط عوامل مختلفة ، أهمها عجز التعليم الرسمي الوطني عن إفساح المجال للراغبين في التعليم وكان أغلب الذين أقبلوا على هذه المعاهد أبناء الطبقة الحاكمة ذات الثراء التي أنفقت من المدارس العامة وحاولت أن ترضى غرورها النفسي بالالتحاق بالمدارس الأجنبية ، وكان النفوذ الاستعماري حريصاً على إغرائها بدخول مدارسها وذلك حرصاً على أن يربي الجيل القادم من الحكام والقادة على مفاهيمه وقيمه ، وقد تحقق ذلك في العالم الإسلامي كله إلى أبعد حد ، فلما جاء هذا الجيل قبل التفاهم مع الاستعمار ولم يعارضه على الأقل من ناحية علاقة الدين بالمجتمع أو علاقة الدين بالسياسة وقبل مفهومه في فصل الدين عن المجتمع والدولة ، وقد كان الاستعمار حريصاً من إنشاء هذه المدارس والمعاهد أن يضع المسلمين أمام خطرين كلاهما شر وخطر : الأول أن يتخلفوا عن التعليم ويتقدم غيرهم وبذلك يفقدون نفوذهم بحكم أنهم أصحاب الأغلبية في بعض الأقطار كالعالم العربي ومصر أو كانوا حكامها وأمرائها كالمند . (الثاني) : إن يقبلوا على هذه المدارس فيفقدوا إيمانهم بأممتهم وبقدرتهم على مقاومة النفوذ الأجنبي . وقد رضى المسلمون بالأمر الأول ، فتخلفوا في كثير من البلاد خاصة في الهند وسبقهم الهندوس إلى التعليم وإلى مراكر القيادة والحكم ، ولكنهم لم يلبثوا أن عوضوا ذلك بإنشاء معاهدهم الخاصة وجامعاتهم ومدارسهم التي تجمل رسالة فكرهم ودينهم ، ويبدو ذلك جلياً

في مصر والهند والجزائر وأندونيسيا فان جماعات ضخمة من المسلمين اندفعت للبدل والانفاق والتبرع لإقامة مثل هذه المعاهد والمدارس . وقد ساهمت هذه المعاهد والمدارس بنصيب كبير في إضعاف اللغة العربية لدى تلاميذها ، وقد عمدت إلى تنشئة شباننا على معرفة اللغات الأجنبية والجهل بلغتهم الوطنية ، كما أسهمت إلى حد كبير في تلقين أبنائنا تاريخ أوربا والدول الأجنبية المختلفة وامبراطوريتهم ونسبت أو تناسبت أن تلقن هذا النشء ذاته تاريخ أو جغرافية وطنه . ولما كان التعليم الأجنبي الذي قامت به الارساليات التبشيرية مستقلاً بمناهجه وليس خاضعاً لمناهج الدولة ولا إشرافها ، فقد سهل هذا الأمر على الذين أقاموا هذه المدارس توجيه النشء وجهة خاصة دون ما رقابة من الدولة ، وبذلك كانت الكتب المستعملة بهذه المدارس مليئة بتمجيد الدول ، والأُمم والأديان الغربية ، مع معلومات خاطئة ومضللة كلها الشبهات والأخطاء عن الاسلام والعرب والمسلمين والمصريين وعن اللغة العربية والتاريخ ، وكان ذلك كله يدرس للشباب المسلم الذي يلتحق بهذه المعاهد ، حتى لكان أغلب خريجي هذه المدارس يعرف عن الأديان الأخرى كل شيء ، ولا يعرف عن دينه شيئاً ، وكذلك عن اللغات والتاريخ . فإذا به كبير الولاء لما تعلم من دين ولغة وتاريخ ، ناظم ساخر بكل ما يتصل بالعرب والمسلمين واللغة العربية والتاريخ الاسلامي . هذا فضلاً عما كان يتاح لهذا الشباب من فرص إذا أخلص الولاء لهذه الثقافات من بعثات إلى تلك البلاد ، فإذا عاد إقتعد مناصب الصدارة وأما كن القيادة في وطنه بفضل النفوذ الأجنبي المسيطر . هذه صورة الخطر الذي تعرض له العالم الاسلامي في مجال التعليم والذي ما زال أثره قائماً إلى الآن في بعض الأقطار بالرغم من تغيير هذه المعاهد لمناهجها أو توافر المدارس الوطنية . فقد قارب النفوذ الأجنبي وأخوانه بين مناهج المعاهد الأهلية الوطنية وبين مناهج هذه المعاهد التبشيرية على نحو كبير ، وإن كانت المعاهد الأهلية والوطنية قد أولت اهتمامها باللغة العربية والتاريخ القومي فإنها حملت معها الخطوط العامة لفكر المستعمر وأهدافه في التعليم وهي أبعاد القيم الأساسية للفكر الاسلامي عن أن تكون القاعدة التي تنبثق منها المناهج ، ولذلك فان أقصى ما كان يطمح فيه المصلحون في المعاهد الوطنية أن تدرس مادة الدين وهي تدرس الآن في أغلب بلاد العالم الاسلامي في المدارس الابتدائية والثانوية على نحو لا يعطي النفس الاسلامية أو العربية أي ربط حقيقي بين الاسلام وبين المجتمع والفكر والثقافة أما في الجامعات فان الفلسفات والمذاهب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية الغربية

فإنها تدرس بحسبانها هي العلوم الأساسية دون أن يوضع موضع التقدير إن للفكر الاسلامي مفاهيم وقيم ونظرات في الاجتماع والسياسة والاقتصاد . والتربية هي أصلح لأهل العالم الاسلامي وأقرب إلى أمزجتهم وعقلياتهم وأقدر على إصلاح مجتمعهم وتهذيب نفوسهم من الثقافات الأجنبية التي يدرسونها على أنها وجهات نظر ربما فشلت في تحقيق نتائج إيجابية في أوطانها . وأمر آخر بالغ الأهمية حرص النفوذ الاستعماري على استدامته وإبقائه وتعميقه في العالم الاسلامي هو «ثنائية التعليم - التعليم الديني والتعليم المدني» وذلك لخلق تمييز طبقي بين المواطنين . ولتحقيق الفروق بين الطبقتين لابتعاد الشقة بينهما في الثقافة والميول والاتجاهات لجعل من أحدهما حاكمة والسبيل أمامها إلى الصدارة مفتوحة في نفس الوقت الذي أبعد فيه الأخرى عن مجال القيادة أو العمل المباشر « والاستعمار يهدف في ذلك إلى تأصيل بقاءه وخلق طبقة تسانده ويختبئ وراءها لإرغام المواطنين على استساغة وضعه . كما «أقام الفارق بين التعليمين الشعبي والحديث على الفقر والغنى فأصبحت هناك أغراض تعليمية تستهدف الفقراء وأخرى للأغنياء ، وتفاوتت خطوط المواطنين تفاوتها بين الاقطاعيين والأحرار » وقد حرص النفوذ الاستعماري على تجميد المعاهد الاسلامية الكبرى : كالأزهر والقرويين والزيتونة وأنشأ نظاماً آخر مستقلاً عنه له طابعه الغربي الخالص ، وخلق خصومة وصراعاً بين المتعلمين وجعل مدارسه ومعاهده هي التي توصل إلى المناصب والنفوذ والثروة حين أبقي خريجي المعاهد الاسلامية في درجة منخفضة . وقد كان لهذا الازدواج العلمي وهذه الثنائية أثرهما البعيد المدى في الأخطار التي واجهها العالم الاسلامي طوال هذه الفترة . والمعروف أن جميع الثورات والحركات الوطنية والمقاومة للنفوذ الاستعماري إنما انبثقت من هذه المعاهد الاسلامية ، التي قادت دعوات الحرية والتهضة أساساً ، وقد كشف كثير من الباحثين عن خطر هذه الثنائية ودعا إلى القضاء على التعارض وإزالة هذه الهوة الواسعة بين المتعلمين تعليماً مدنياً عصرياً والمتعلمين تعليماً دينياً إسلامياً ولا يكون ذلك إلا بسلم الصبغة الأجنبية عن التعليم المدني وإعطائه صبغة أخرى من لون محبته الاسلامي تكون ملائمة لتقاليد الأمة وعقائدها ، ويكون القسط الأول فيه لاعلان مفاخرها وتنوير تاريخها وإحياء ماضيها وربط الحاضر به ، وكذلك تعليمنا الاسلامي يجب أن يجهز بأساليب العصر ، ومعارفه ليكون أئمة المسلمين من أعرف الناس بزمانهم وأدواته وأسباب معالجتها . وقد عرض كثير من الباحثين للجامعات العصرية التي أنشئت في العالم الاسلامي ، وكيف طمع منشؤها في أن

تكون وسيلة لدعم الوطنية والقيم العربية الاسلامية ، لكنهم عجبوا كيف تحولت هذه الجامعات لخدمة النفوذ الاستعماري وأبرز مثل لذلك الجامعة المصرية الأهلية التي أنشأها المصريون بأموالهم دعماً لليقظة الوطنية فاذا بها تقع تحت سيطرة التغريب ، وتصبح مصدراً للشبهات التي تثار حول الاسلام واللغة العربية والتاريخ الاسلامي العربي على النحو الذي قام به الدكتور طه حسين وزملائه وتلاميذه والتي كشف عنها عام ١٩٢٥ كتاب «الشعر الجاهلي» و«حديث الأربعاء» ، ومن بعدهما «مستقبل الثقافة في مصر» . فقد حملت لواء الدعوة إلى الفرعونية والتشكيك في القرآن ، ومحاولة خلق جيل من الشباب المثقف يتنكر لعروبيته وإسلامه وقيمه واعلاء شأن الأدب الغربي والثقافة الفرنسية والدعوة إلى الفرعونية. وعن الجامعة بأقلام تلاميذها صدرت رسالة طه حسين في نقد ابن خلدون والتشكيك في مكانته العلمية ورسالة زكي مبارك عن الغزالي واتهام آرائه ، ورسالة منصور فهمي عن المرأة المسلمة وفيها حملات على الاسلام والرسول . وقد حرص المسلمون في مواجهة المدرسة الوطنية الخاضعة للنفوذ الاستعماري والمدرسة الارشالية الخاضعة للنفوذ التبشير وكلاهما يهاجم الثقافة الأساسية وفي مقدمتها الاسلام والقرآن ، حرص المسلمون إلى سد هذا النقص بإنشاء المدارس الأهلية ، وقد جرى هذا العمل بهمة بالغة في مختلف أنحاء العالم الاسلامي وحقق نتائج طيبة ، كان أقل قدر منها أنها استنقذت جانباً من الشباب من قصور المدرسة الأهلية وتدمير المدرسة التبشيرية ، وقد كان للجمعية الخيرية الاسلامية في مصر والجمعية المحمدية في أندونيسيا ومدرسة دار العلوم في لكتو بالهند ومدارس جمعية العلماء في أندونيسيا أبعد الأثر في هذا المجال . ولا شك كان للجامعات الاسلامية التقليدية في هذا المجال دور هام وخطير ، هذه الجامعات التي انبثقت منها جميع حركات المقاومة للنفوذ الاستعماري والحركات الوطنية ومواقف المواجهة لكل حركات النفوذ الاستعماري ودعوات الالحاد والتبشير والاباحة ومعارضة مختلف الآثار المكتوبة التي أثار أصحابها شبهات حول الاسلام واللغة العربية . وفي مقدمة هذه المعاهد : الأزهر والقرويين والزيتونة ، ومعاهد النجف . أما الأزهر فقد عمل على حفظ التراث العربي الاسلامي في وجه الحملات الصليبية وغارات التتار ومحاولات العدوان المتكررة على العالم الاسلامي فضلاً عن أنه قاوم الحملة الفرنسية والاستعمار البريطاني وكان له مواقف في الثورة العربية وثورة ١٩١٩ كما قاوم الأمراء المستبدين من المماليك حتى قال عنه اللورد لويد في كتابه (مصر خلال حكم كرومر) : إن أهمية الأزهر بوصفه مركزاً من

مراكز الدعاية المعادية لبريطانيا كبيرة متعددة الإمكانات ، وقد أدرك الوطنيون ذلك فحاولوا استغلاله ، لتأييد مآربهم وترتب على ذلك نمو روح المعارضة الشديدة لسيطرة الانجليز على التعليم به . إن التعليم الوطني عندما قدم الانجليز مصر كان في قبضة الجامع الأزهر الشديد التمسك بالدين والذي كان أسلوبه الجاف القديم يقف حاجزاً عن طريق أى إصلاح تعليمي وكان الطلبة الذين يتخرجون منه يحملون معهم قدراً عظيماً من غرور التعصب الديني « ومن الطبيعي أن يكون رأى المندوب البريطاني في الأزهر سيئاً وأن يكيل له عبارات الجمود والجفاف ، فقد كان الأزهر هو الصخرة التي وقفت أمام مطامع الاستعمار ومن بورتها قامت كل الحركات المعارضة للاستعمار على طول المدى ولقد كانت سياسة النفوذ البريطاني في مصر إزاء الأزهر وفرنسا إزاء القرويين والزيتونة ، العمل على تجميد هذا النوع من التعليم مع المحافظة على بقائه . تجميده على النحو الذي يعزله عن الحياة الاجتماعية والسياسية والابقاء عليه لخلق الثنائية والتضارب والحيولة دون قيام ثقافة وطنية أو قومية موحدة . وكما فعل النفوذ الاستعماري البريطاني في الأزهر ، فعلت فرنسا بالنسبة لجامعة « القرويين في فاس فقد أثر عن الحاكم الفرنسي ليوطي - صنوكرومر في مصر قوله : إذا تم لفرنسا القضاء على القرويين فقد ضمنت لنفسها الخلود في المغرب ولذلك فقد تسلط النفوذ الاستعماري الفرنسي عليها حيث توجد بها « الطاقة التي تكون فيها قوة المغرب » فأوحى إلى عملائه فمنعوا دراسة العلوم بها واكتفوا بالقشور وتحولت كلية القرويين إلى شيء لا فائدة منه « فدراسة أحوال اعراب » ما تستغرق شهرين وقد حاولت الحكومة المغربية أثناء السيطرة الاستعمارية أن تحقق بعض الاصلاحات التعليمية فيه فكانت دائماً تجد معارضة شديدة من الاستعمار وهكذا عمد النفوذ الاستعماري إلى القضاء على نفوذ الأزهر في مصر والقرويين في فاس والزيتونة في تونس ، فوضع خطة محكمة تستهدف إضعاف هذه المعاهد وتهوين مركزها وإضاعة نفوذها ، حيث وقف المستعمرون « في طريق علمائه وحالوا بينهم وبين مراكز القيادة ، ومناصب الحكم ، ووظائف الارادة وأشاعوا بين الناس أنهم يهدفون إلى تكريم الدين ، على أن يكون الاسلام على حد تعبيرهم بعيداً عن السياسة وبمعزل عن الحكم . فأغفوا علماء الدين من التجنيد وأسقطوا الجهاد عمن يحفظ كتاب الجهاد « القرآن » وكانهم أرادوا أن يبعدوا السلاح عن أيدي أولئك الذين يتعاملون بالقراءة وبذلك أبعد القرآن وتعاليم الدين عن المدارس والمحاكم وسائر دواوين الحكومة . واستطاع النفوذ الاستعماري أن يجعل عدداً

من أبناء هذه المعاهد في موقع أكبر الخصوم لها الحاملين عليها الساخرين بها : مثل على عبد الرازق وطه حسين ولكن هذه المعاهد لم تجمد برغم ما قدر لها المستعمر أن تجمد ، فإنها خرجت رجالاً كباراً متحررين قادوا خطوها إلى الأمم أمثال محمد عبده والمراغي وشعيب الدكالي ومحمد العلوي العربي والطاهر بن عاشور ، وعبد الحميد بن باديس وعبد العزيز الثعالبي . وقد حدد الأستاذ المراغي أهداف الأزهر في أهداف أربع كبرى كبرى اعتقد أنها هي رسالة الجامعات الإسلامية : (أولاً) تعليم الأمم الإسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الإسلامي وتاريخ الإسلام ورجاله . (ثانياً) إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الإسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية وهي مجموعة مرتبطة بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات . (ثالثاً) عرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضاً صحيحاً في ثوب نقي خال من الغواشي المشوهة لجماله ، وخال مما أدخل وزيد فيه الفروض المتكلفة التي يابأها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية . (رابعاً) العمل على إزالة الفروق المذهبية أو تضيق شقة الخلاف بينها ، فإن الأمة في محنة من هذا التفريق ومن العصبية لهذه الفرق ، ودراسة أسباب الخلاف دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي يهدي إلى الحق .

(٢)

الثقافة

يشكل الفكر الإسلامي أساساً موحداً للدراسات العقلية والروحية في العالم الإسلامي كله ، ومنه تنبثق الثقافات المختلفة التي تتصل بكيان الأمم التي برزت معالمها الاجتماعية والنفسية باختلاف اللغات . ذلك أن اللغة العربية ، لغة القرآن لم تتح لها الفرصة لكي تكون لغة العالم الإسلامي كله ، ومن ثم فقد ظهرت ثقافات مرتبطة باللغات العربية والفارسية والتركية وهي الثقافات الثلاث الكبرى ، ثم برزت ثقافة المسلمين الهنود باللغة الأردية وثقافة المسلمين في جزائر الملايو. باللغة الملاوية غير أن هذه الثقافات المرتبطة باللغات والأمم قد احتفظت ولا تزال تحتفظ بأساس موحده هو الإسلام وإطار موحده هو القرآن . وفي العصر الحديث - وفي عصر اليقظة بدت فوارق مختلفة بين هذه الثقافات حيث غلب على بعضها الطابع الروحي أو الصوفي وظلت الثقافة العربية تقوم في أساسها على جوهر الإسلام جامعاً بين جناحي

العقل والروح . وقد كان للاستعمار الغربي ونفوذه الضخم المسيطر منتصف القرن الثامن عشر على أغلب أجزاء العالم الاسلامي أثره البعيد في تجميد اللغة العربية في الوحدات الاسلامية القديمة والنامية فقد جعل من قواعد مخططة الأساسية تنمية اللغات الأوروبية واللهجات واللهجات الاقليمية ، كما عمد إلى إجراء مبادعات وفواصل كثيرة بين الثقافة العربية والثقافات التركية والفارسية والمندية . وكان لحركة التغريب العاتية التي جرت في تركيا بعد الحرب العالمية الأولى آثارها البعيدة في تقارب ثقافات الاسلام ولغات الاسلام فقد عمد الكماليون حكام أنقره على كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية ، وكذلك أجبر النفوذ الاستعماري الهولندي « جزائر الملايو وأندونيسيا » على مثل ذلك حيث كانت الحروف العربية تمثل جامعة اللغات الاسلامية المختلفة . كما جرى هذا التباعد في مجال الثقافات التي انحرفت عن مفاهيم الاسلام ، ولكن كثيراً من هذا التباعد لم يلبث أن ضعف وحل محله تقارب ، من حيث خفت يد الضغط غير الطبيعي على تمزيق وحدة الفكر الاسلامي الجامعة بين العرب والترك برباط الاسلام ، وحينما يضعف ضغط نفوذ الاستعمار أو نفوذ وريثه التغريب فان الثقافات الاسلامية في مختلف أنحاء عالم الاسلام تتقارب من حيث ارتباطها وتوحيدها باللغة العربية والقرآن ، ذلك أن الجذور الاسلامية ما زالت عميقة في هذه الأمم مهما فرقتها لغات أو نزعات سياسية أو عرقية ، ذلك أنه بالرغم مما غلب بعد الحرب العالمية الأولى وانحلال الرابطة الاسلامية الجامعة واستعلاء طابع القوميات من نزعات إقليمية مصدرها « الدافع الوطني » . الذي اتخذت منه الأمم سبيلاً إلى مقاومة الاستعمار فأعلنت من شأنه وربطته بالماضي القديم لتؤكد ذاتها ، أقول : بالرغم من هذه الدعوات الإقليمية فسدت ظلت هذه الاقليميات ذات رابطة أكيدة بالوحدة الاسلامية الكبرى ، وعاشت الأمم الاسلامية المختلفة في ثلاث دوائر متداخلة مترابطة ، لم تقهر إحداها ولم تنقطع ، وأن غلب طابع واحدة منها ، تلك : هي دوائر الوطنية المرتبطة بالأرض ، ودائرة القومية المرتبطة بالأمة أو الجنس والعرق ودائرة الفكر والعقيدة المرتبطة بالاسلام والقرآن والثقافة وقد حاولت بعض الأمم والثقافات إعلاء ماضيها قبل الاسلام وحيائه والاعتزاز به ، وكان ذلك في الأغلب بدافع من تيارات الغزو الفكري والتغريب ، ولكن هذه المحاولات لم تقطع الصلة الاسلامية الجذرية ، أعرق هذه الروابط وأقواها لاتصالها بالعقائد والعقليات والكيانات الاجتماعية والنفسية ، وأقد كان هدف دعوات إحياء ما قبل الاسلام من تاريخ الهنود أو الفرس

أو الترك أو العرب أو المصريين أو اللبانيين أو المغاربة هو تمزيق وحدة هذه الأمة لتطرح العامل الجامع لوحدها والقاسم المشترك لرابطتها وهو الاسلام ، ولكن الثقافات تسامحت وتوسعت فشملت الماضي القديم المدارس الوثني إلى جوار الماضي القريب الاسلامي إلى جوار الوافد من الثقافات الغربية الحديثة ، وأجرت تدويراً للعناصر الثلاث في بوتقتها وصهرها لكل هذه المعطيات . وقد استطاعت بعض هذه الثقافات أن تحتفظ بمقوماتها وعجزت بعضها الأخرى وغلب عليها الطابع الأثني ، أو الطابع الاقليمي الذي استعل في الجنس والدم والعرق . وقد كانت كتابات شبل النعماني ، وأمير علي واقبال في الهند بعيدة الأثر في تعميق مفهوم الاسلام ، وكانت دراسات معاهد الشيعة وتجديدات الفقهاء الجعفريون في إيران وفي أندونيسيا هيئات إسلامية لها دراسات وأعمالها الفكرية الاسلامية التجديدية أما في مجال الأمة العربية فقد أثرى مجددو الاسلام الفكر الاسلامي بنظرات شاملة تمثلت في كتابات محمد بن عبد الوهاب والسنوسي والمهدي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وفريد وجدي والقاسمي والكواكبي والجزائري وشكيب أرسلان وحسن البنا وكان للهيئات الاسلامية : الأزهر والجماعات الاسلامية والاخوان في مصر والزيتونة (في تونس) والقرويين في فاس وديوبند في الهند ومعهد النجف في العراق وجمعية العلماء في الجزائر ، وجمعية أهل الحديث في دلهي واتحاد الاسلام في سومطرا وشركة اسلام جاوة والجمعية المحمدية في جاكرتا وجمعية ترقى الاسلام في الصين . وقد عملت هذه المدارس والجماعات في مختلف مجالات الفكر الاسلامي فهناك المدرسة الفقهية ، التي حاولت الكشف عن جوهر الشريعة الاسلامية ، وأبرزت طابع الاجتهاد في الاسلام وقدرته على مواجهة العصور المختلفة والبيئات المتعددة ، وهناك المدرسة اللغوية التي عملت على إدخال المصطلحات الحديثة والكشف عن عظمة اللغة العربية ومكانتها وهناك المدارس التاريخية والاجتماعية والتربوية التي قدمت عشرات الأبحاث في هذه المجالات وكان الذي يطبع هذه الدراسات الاسلامية المتعددة طابعان (١) الكشف عن قدرة الاسلام على الالتقاء بالفكر الانساني والحضارة الحديثة ومدى حيوية قيمة الأساسية في منح الانسانية زاداً جديداً وحلولاً مرنة سمحة لمختلف معضلات المجتمع الحديث على نحو يفوق الأيدولوجيات الغربية واقناع أهل الاسلام بصلاحيته لهم صلاحية تتناسب مع أفرجتهم وعقليتهم وأرواحهم ، على نحو يفوق التطلع إلى اقتباس مناهج المجتمع والحياة من الغرب ، وفضلا عن ذلك فهو مفتوح الآفاق لتقبل العلوم وعوامل الرقي المستحدثه وتقبل كل فكر

إيجابى صالح لتزقية المجتمعات ودفعها إلى الأمام ٢- الرد على حملات التعريب والتبشير والشعوبية ، هذه الحملات الضارية التى تحمل طوايح الشبهات والتشكيك للقيم الاسلامية الأساسية وإثارة المغالطات حول اللغة العربية والقرآن والتاريخ والفكر الاسلامى . ويمكن القول بأن جانباً كبيراً من عمل الحركة الثقافية فى العالم الاسلامى كان منصّباً على مهمة الدفاع عن الاسلام فى مواجهة حملات خصومه ، والمعروف أن النفوذ الاستعمارى الغربى قد حرص عند سيطرته على مختلف وحدات العالم الاسلامى إيجاد نوعين من التعليم بالإضافة إلى التعليم التقليدى الذى حرص على تجميده ومنعه من النمو وعزل خريجه عن مجال الحركة فى المجتمع . هذان النوعان هما : ١- التعليم التبشيرى الذى تقوم به الارساليات الأجنبية . ٢- التعليم المدنى الذى أشرف عليه مستشارون من المحتلين يرسمون مخططاته ويحولون بينه وبين دعم ثقافة القرآن وفكر الاسلام واللغة العربية والتاريخ الاسلامى ولقد حرص المسلمون فى مواجهة هذه النظم التغريبية إلى سد الثغرة بانشاء المدارس الأهلية والوطنية والقرآنية . وجرى فى بعض أجزاء العالم الاسلامى محاولات للتقريب بين المدارس الاسلامية والمدارس الوطنية ، والتوفيق بينهما لصالح الاسلام كما فعلت ندوة العلماء فى لكنو بالهند كما كان حرص المجددون للثقافة العربية المستمدة من الفكر الاسلامى وكذلك الثقافات الهندية الاسلامية ، والأندونيسية الاسلامية ، على تأكيد عدة معانى أساسية لها أهميتها فى مجال التعريب والشبهات المثارة : (أولاً) وهو أن الاسلام ليس ديناً بالمعنى المألوف لهذه الكلمة ولكنه دين ونظام اجتماعى فى آن واحد ، وقد حرص النفوذ الاستعمارى فى مدارس ومعااهده وخريجيه على دعم هذا المفهوم الخاطىء والحيلولة دون تعمق المفهوم الأصيل (ثانياً) حرص المجددون المسلمون على تأكيد مفهوم الجهاد فى الاسلام باعتباره فريضة من فرائضه وكان النفوذ الاستعمارى يحرص على الإغضاء عن هذا المفهوم بل إن الاستعمار البريطانى فى الهند قد حرص على ظهور جماعات تحمل لواء الدعوة إلى الاسلام تعلن أن الجهاد ليس أساساً من أسس الاسلام ، فضلاً عن حرص الاستعمار على إبعاد آيات الجهاد ودارساته عن مجال المدارس والجامعات والمعاهد . (ثالثة) الاهتمامات هى تأكيد مفهوم صلاحية الشريعة الاسلامية للعالم الاسلامى وامتيازها عن القانون الوضعى ، وخاصة بعد أن أعلن مؤتمر لاهى ١٩٣٧ ومؤتمر سان فرنسيسكو ١٩٥١ أن الشريعة الاسلامية شريعة تامة وأفرد لها كرسياً فى محكمة العدل الدولية تولاه مستشار مسلم . (رابعة) ومن الاهتمامات كانت الدعوة إلى استمداد التربية

والتعليم في العالم الاسلامي من مناهج التربية الاسلامية القائمة على الاخلاق والسياسة والرابطة بين الدين والمجتمع . (خامسة) هذه الاهداءات تؤكد اعتبار اللغة العربية الفصحى لغة أساسية في المدارس والجامعات وأساس أكيد للثقافة ومقاومة دعوات العامة أو الكتابة بالحروف اللاتينية . وكانت أكبر أهداف حركة التغريب والتبشير والنفوذ الاستعماري والغزو الثقافي هي القضاء على هذه المقومات ورفع شعار (العلمانية) في التربية باقصاء الدين أساساً من برامج التعليم ومناهج المجتمع ، ورفع شعار (الأمية) في مجال الفكر ، في محاولة القضاء على المقومات الأساسية للثقافات العربية والتركية والفارسية والهندية المستمدة من الاسلام بدعوى مضللة هي « وحدة الثقافة العالمية » ، وكان مفهوم هذه الدعوة هي إذابة الثقافات الاسلامية في الثقافة العربية المستعمرة والمسيطرة . وقد عرض كثير من الباحثين لهذه التحليلات ، وأشار إليها (ساريدار بابنكار) في كتابه (مشكلات الثقافة الأفريقية والآسيوية) فقد أبان أن الاحتلال الأجنبي الذي عانت هذه الدول عمل على سيطرة اللغة الأجنبية على التعليم . ففي كل مكان ما عدا العالم العربي كان التعليم يجرى بلغة أجنبية ففي الهند لأول مرة وضع نظام تربوي شامل بلغة أوروبية وفي أندونيسيا لوحظ أن عدد الذين أنهوا علومهم الثانوية باللغة الهولندية لا يتجاوز ١٤ ألفاً . وفي السودان هبط مستوى التعليم إذ لم يكن يوجد إلا كلية واحدة في الخرطوم وفي المغرب وتونس كان التعليم الفرنسي سطحيًا . وكانت التربية في ظروف الوضع الاستعماري محافظة جامدة لأنه لم يكن من مصلحة الأجنبي المستعمر الذي ينبغي استغلال البلاد أن تروج تربية حيوية ، وكانت الكتب المستعملة في المدارس والنفوس التي كان يراد خلقها لدى النشء تميل بالطبع إلى التقليل من قيمة الثقافة الوطنية مع تمجيد فضائل السيد الأجنبي ، وكان أبرز أهداف التربية الاستعمارية إثارة الروح الانهزامية في المواطنين لتتمكن من التحكم فيهم . وكان التعليم يتم في مختلف بلاد العالم الاسلامي باللغة الأجنبية . كالانجليزية في المستعمرات البريطانية ، واللغة الهولندية في أسبانيا والفرنسية في الهند والصين والمغرب وتونس . فضلا عن تضيق نطاق التعليم حتى يصبح قاصراً على الطبقة العليا التي ستحكم وإلى هذا المعنى كانت دعوة لطفى السيد في مصر (١٩٠٧-١٩١٤) بايحاء من النفوذ الاستعماري في مصر . وتبدو صورة الاستعمار الثقافي في أفريقيا أشد وطأة وأبعد أثراً حيث ما تزال حركة الغزو الفكري قائمة على أشدها ، في أفريقيا بالذات بينما تحررت كثير من وحدات العالم الاسلامي من الاستعمار وإن لم تتحرر من النفوذ

الثقافي والتغريب. ويمكن الاستعمار الثقافي في مجالات ثلاث : التعليم ، الصحافة ، الثقافة والخطة الأساسية للغزو الثقافي : هو توجيه الإنسان الأفريقي إلى الخضوع للاستعمار وتقبل حضارتهم والتعاطف معها . فالثقافة في مختلف المناطق المحتلة تقوم على نفوذ مدارس التبشير والاستعمار ، هذه المدارس التي كانت سبباً أساسياً في تفهوق الثقافة الإسلامية . حيث أبعد الإسلام واللغة العربية نهائياً وقدم بدلامنها لغة المستعمر ودينه وثقافته وتاريخه . وإعلاء شأن بعض المناطق للقضاء على اللغة العربية وللتسهيل للغة الأجنبية وقد أجبر البريطانيون مختلف المناطق التي احتلوها على استخدام الحروف اللاتينية في كتاباتهم ، كما التهمت نيران الجيوش في مدن أفريقية الغربية كثيراً من المكتبات الإسلامية القديمة كما نقلت مئات من كتب التراث الإسلامي والعربي إلى أوروبا وذلك لقطع التيار العربي والإسلامي نهائياً وتحويل هذه المناطق عن الثقافة الوافدة من شمال أفريقية ومصر كما تدرست الزوايا والمدارس الإسلامية والكتاتيب للمحاصرة ، والانراض لعجزها عن الوصول إلى إعانات . ويستهدف الاستعمار من هذه المخططات الأساسية أن يوجد مفهوماً ثقافياً قوامه الالتقاء بين الوطنيين والمستعمر ، في تعاون وتقبل للوجود الاستعماري ، وهو نفس ما دعا إليه كرومر في مصر عند احتلالها في عبارته المرنّة الدقيقة « التقاء أهل البلاد بالمدينين بالغربيين في منتصف الطريق » هذا المنطق الذي خلق أجيالا ترى العلاقة بين الأوطان والمحتلين ليست احتلالاً ولكنها تمديناً وتعاوناً وصداقة ، وهذا يتطلب تقارباً فكرياً وثقافياً يتم عن طريق اللغة الأجنبية وعن طريق عقائد المستعمر الدينية والاجتماعية وقوانينه . بحسبان أن هذه هي أمانة الرجل الأبيض الذي عهدت إليه العناية الالهية (١) تمدين الأمم المتخلفة . وهذا يتطلب أساساً إبعاد الإسلام واللغة العربية بحسبانها أساس المقومات الداعية إلى مقاومة المستعمر ومعاداته ورفض وجوده الشرعي . وقد جرى التركيز على أفريقيا في خلال المائة عام الأخيرة تركيزاً أساسياً باعتبارها هي الجبهة الأخيرة للاستعمار على حد تعبير جون جنتر . ويهدف المناهج التعليمية والثقافية والصحفية إلى إعداد السكان الوطنيين على نحو يحقق فهم روح الطاعة والاستسلام والذلة . وتربية روح الخضوع والاستسلام مع الاعجاب والعرفان والتقدير للرجل الأبيض صاحب الفضل في تمدين البلاد والمفقد الذي أدره القدر . وقد كان نظام الارشاليات من العوامل الفعالة في تنفيذ هذا المخطط ويبلغ عدد الارشاليات الأوربية والأمريكية في أفريقيا رقماً يزيد على ١٠ آلاف إرسالية . ويصور هذا التحدي الخطير مؤلف كتاب الثقافة

الأفريقية حين يقول : « ما من ثقافة أفريقية إلا وتأثرت باحتكاكها بالأوروبيين ولكن في الوقت نفسه لم تستسلم أية ثقافة استسلاماً كلياً للغزو الثقافي الأوربي » .. ولا ننكر هنا أنه يجري تدريب عدد متزايد من الأفريقيين على النظر إلى دين أجدادهم كما لو كان ضرباً من الخرافة وأن ينبدوا المعتقدات والتقاليد الأخرى على اعتبار أنها بالية ولم تعد تجارى العصر الحديث » . ولكن هذا المخطط الاستعماري التبشيري على الرغم من اتساع نطاقه ووسائل دعمه فإنه واجه تحدياً أشد قوة حال وما زال يحول دون تنفيذ مخططة على الوجه الذى يرضاه الاستعمار ، فان حركة انتشار الاسلام تحطم كثيراً من هذه المخططة وتفرض نفوذ الاسلام وثقافته ، فما تزال زوايا التعلم القرآنى المتواضعة تؤدى دورها ، وكل الذين تعلموا في الأزهر عندما عادوا إلى بلادهم أنشأوا عدداً من المدارس الاسلامية .. وما زالت الفرق الصوفية : التيجانية والقادرية والشاذلية بنفوذها الواسع الممتد تقوم بأنشطة المدارس وما يزال « القرآن » يشكل حجر الزاوية في البناء الثقافى وأغلب سكان نيجيريا وأفريقيا الغربية يكتبون مراسلاتهم باللغة العربية وتسير حركة الإصلاح الاسلامى جنباً إلى جنب مع انتشار اللغة العربية في بلاد أفريقيا . والحركات الوطنية جميعها مرتبطة بالثقافة الاسلامية ، حيث ارتبطت الدعوات التبشيرية الأخرى بالاستعمار ، ومن ثم فقد حمل الاستعمار في أفريقيا طابع الحرية والمقاومة والكفاح ضد النفوذ الأجنبى . ويرجع جون جنتز في كتابه « داخل إفريقيا » السر في ذلك إلى « أن الاسلام نظام اجتماعى كما هو دين ، نظام اجتماعى يمنح المؤمنين اعتقاده بالمساواة مع جميع المؤمنين الآخرين ، وكثيراً ما يوصف الاسلام بأنه الأكثر ديمقراطية بين ديانات العالم الكبرى ، وليس في الاسلام تمييز عنصرى ولا يحول دون تحوله (البانتو) إلى رحابه ، لقد انتشر الاسلام انتشاراً شاملاً عملياً بين عبادة الأثان والحيوان » لأن شعائره مبسطة للغاية بقدر ما فيه من جاذبية أصيلة راسخة » . هـ

(٣)

اللغة العربية في العالم الاسلامى

اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم ولذلك فقد رافقت رحلة الاسلام وانتشاره إلى مختلف أنحاء العالم الاسلامى وكان لها تأثيرها الواضح في لغات الأمم على عدة أوضاع : (أولاً) ورثت في مصر اللغة القبطية وفي سوريا اللغتين اليونانية واللاتينية واللغة السامرية . واللهجات اليرامية

العربية ، وفي العراق وبلاد الجزيرة ورثت اللغة السريانية وغيرها من اللهجات الآرامية وغيرها من اللغات التي كانت شائعة في العالم العربي ، كما تغلب الخط العربي على خطوطها . (ثانياً) كانت بعيدة الأثر في اللغات الإسلامية الكبرى الثلاث الفارسية ، والتركية ، والأردية أما بالنسبة للغة الفارسية فقد أنشأت لغة جديدة هي الفارسية الحديثة التي يتكلم بها الفرس الآن ، وهي غير اللغة الفارسية السابقة قبل الإسلام والتي تسمى البهلوية التي انقرضت تماماً . أما اللغة العربية وحلت محلها الفارسية الحديثة التي تميزت بكثرة الألفاظ العربية التي زادت زيادة كبرى خلال حكم الدولة العباسية كما أن الفرس كتبوها بالحروف العربية والخط العربي وقامت أساساً عن طريق إدماج اللغة الفارسية بالألفاظ العربية ، وقد ظل شعراء الفرس لا يقدرون الشعر نحو قرنين إلا باللغة العربية وما تزال اللغة العربية في إيران تحتل مكانة واضحة في مجال الدراسات الإسلامية ، وبها تؤلف الكتب ويتحدث بها المعلمون والأساتذة وما زال الإيرانيون يعلمون أبناءهم في مدارسهم الإسلامية باللغة العربية ويعظمهم يقول الشعر باللغة العربية الفصحى . وقد استعمل الأفغانيون الحروف العربية لكتابة لغتهم الباميرية . (ثالثاً) أما بالنسبة للغة التركية فإن العربية تؤلف الجزء الأكبر من الأجزاء الثلاثة التي تتألف منها اللغة التركية العثمانية (وهي اللغة الفارسية-اللغة التركية الحديثة العربية) . وقد دخلها من الألفاظ العربية أكثر من خمسين في المائة من مجموع ألفاظها بل إن قواعد صرفها ونحوها مستمدة من القواعد التي اقتبسها العجم من العرب . ولما كانت اللغة الفارسية هي لغة العلم والأدب والسياسة في عصر السلاجقة فقد كانت مصدراً أساسياً للأدب التركي واللغة التركية ، ولما كانت اللغة الفارسية أساساً تحوى عناصر كبرى من اللغة العربية وآدابها فإن هذه الآثار قد انتقلت بالطبع إلى اللغة التركية فضلاً عما نقله الأتراك العثمانيون من اللغة العربية رأساً فياً بعد ، ولذلك فإن الألفاظ العربية في اللغة التركية تبلغ أضعاف الألفاظ الفارسية فيها . ولقد كان المسلمون ينظرون إلى أن الدولة العثمانية تأخذ باللغة العربية لغة للدولة ، غير أن التحول الذي واجهته تركيا بعد الحرب وانسلاخها عن العالم العربي وعن الإسلام قد دفعها إلى التخلص من الأثر العربي ، وكان أساس الانقلاب هو كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية بدءاً من عام ١٩٢٧ ثم جرى تصفية اللغة من الكلمات العربية ، حيث عقد عدد من المؤتمرات التي قامت بإخراج ١٣٦٥٠ كلمة عربية حلت بدلاً منها كلمات تركية حيث اعتبرت الكلمات العربية كلمات أجنبية ، وقد أشار

الباحثون إلى مدى الأثر الخطير الذي حققته هذه التجربة حيث فقدت تركيبتها شيئاً من استقلالها وتمثل في مئات المجلدات في الأدب والنقد والثقافة التي كتبت باللغة التركية العثمانية ، فضلاً عن استعمال الأتراك للحروف اللاتينية أفقدهم تصوير الأحرف المشابهة كالفاء والحاء والصاد والضاد والظاء والعين فإن هذه الأحرف لا يمكن أن تجد في اللاتينية ما يصورها بحرف واحد يقوم مقامها . (رابعاً) وكذلك كان أثر اللغة العربية دائماً في اللغة الأردنية (التي كانوا يطلقون عليها الهندوستانية) ويتكلم بها أكثر مسلمي الهند وهي مأخوذة من اللسان الهندي ومن الألفاظ العربية والفارسية . وتأثير العربية فيها من تأثير الفارسية . (خامساً) وللعلم العربية أثرها الواضح في لغات سكان أرخبيل الملايو فقد اتخذوا حروفها لكتابة لغتهم كما استعملها المسلمون والصينيون لكتابة لغتهم المحلية ، والأمم التتارية لكتابة لغاتهم الخاصة في مناطق بين سيحون وجيخون الممتدة حول بحر قزوين شمال البحر الأسود وجنوب الأورال وجنوب روسيا . وكذلك لها مكانها في لغة الفكر وأخواتها التركية في الشمال ولغة الأكراد وغيرها من اللغات الفارسية . (سادساً) واللغة العربية لها مكانها الأصيل في لغات أفريقيا فهي في السنغال لغة المسلمين وتعتمد بقية اللغات الوطنية على الحروف العربية في كتابة لغتها (تقويم العالم الإسلامي لماسنويون) وهي شائعة في السودان الفرنسي وعلى شاطئ العاج ويعتمدون في التهجئة على الحروف العربية ، وكذلك في نيجيريا ، والعربية ميسرة في أفاليم تشاد وجيبوتي والحيشة واللغات الوطنية أغلبها يكتب بحروف عربية . والسواحلية والهوسا في أفريقيا هي والعربية أعضاء في أسرة اللغات الإسلامية تتقارب في المفردات والمصطلحات وتلقى اللغة العربية في بلاد الصين إقبالاً عظيماً حيث يوجد ٤٠ ألف من مسجد تدرسي فيها العلوم واللغة العربية .

(٢)

واجهت اللغة العربية منذ اتسع النفوذ الأجنبي للعالم الإسلامي مقاومة بعيدة الأثر من اللغات الثلاث : الفرنسية والانجليزية في أنحاء العالم الإسلامي والهولندية في أندونيسيا فقد قطع الاستعمار العربي الطريق على توسع اللغة بين مسلمي العالم حيث كان من الطبيعي أن يتسع انتشارها في مختلف المناطق التي يصل إليها الإسلام لارتباطها العضوي به : بحسبانها لغة الصلاة والدين والثقافة وقد استطاع النفوذ الاستعماري أن يضرب عدة ضربات خطيرة : (الأولى) نقل كثير من اللغات إلى الحروف اللاتينية وفي مقدمتها اللغة الأنغلو سينية واللغة

الفرجية . (الثانية) توسيع نطاق لغته وجعلها اللغة الرئيسية كما فعل في الهند الإسلامية والملايكةستان وفي قلب أفريقيا . (الثالثة) تجميد اللغات الإسلامية القادرة على النمو كالأردية في الهند مع الحصة عليها وتحريض الهنود على اتخاذ لغة أخرى باعتبار الأردية لغة الثقافة الإسلامية واعلاء اللغات الأوروبية وتقليدتها . ومن حيث أن اللغة العربية هي لغة القرآن فان الاستعمار والنفوذ الأجنبي يعمل لهدمها وتجميدها وإيقافها بحسبانها لسان الاسلام وما تزال اللغة العربية عاملاً مساعداً لنشر الاسلام وتعميقه . وما تزال اللغة العربية قائمة بقيام كتابها ودينها ولان غوت كما ماتت لغات أخرى انفصلت عن دينها وكتبها المنزلة (الرابعة) استخدام الدعوة إلى العامة والتحريض على جعلها لغة للتأليف والكتابة كما فعل اللورد دوفرين النيسلي البريطاني حين طالب في أوائل الاحتلال البريطاني لمصر بتدوين العلوم باللغة العامة للمصريين وكما حاول الاستعمار في الجزائر . وليست اللغة العربية الفصحى لغة دينية بالمعنى الذي يلجأ إليه بعض المبشرين والمستشرقين وإنما هي لغة فكرية ذلك أن اللغة العربية تحمل أفكار الفكر الإسلامي الذي يشمل على الدين والاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية جميعاً وهي كلها فروع تتصل بأصل واحد هو الاسلام الذي ليس ديناً فحسب ولكنه دين ونظام حياة . واللغة العربية ليست لغة أمة فقط ، ينطبق عليها قوانين اللغات الخاصة بالأمة وتطورها وإنما هي لغة ثقافة مرتبطة بكيان كامل من الفكر الإسلامي وهي لغة كل مسلم عربي كان أم غير عربي يعلم أن القرآن كلام الله ، وأن على المسلم أن يتعلم لغة القرآن ليفهمه . وإذا كانت اللغة العربية الفصحى هي الرباط الذي يجمع الأمة العربية ويحميها من التفكك ، فإن اللغة العربية هي لغة الوحدة الفكرية للعالم الإسلامي كله وهناك قاسم مشترك مع البلاد الإسلامية غير العربية هو القرآن كلام الله ولذلك فان الاستعمار يحاول أن يحول دون أن يجتمع العالم الإسلامي على لسان واحد هو اللغة العربية . وعند الإمام الشافعي أن العلم بالعربية كالعلم بالسنن ولذلك فقد تعالت الصيحات منذ وقت بعيد بالدعوة إلى أن لغة القرآن هي لغة العالم الاسلام وبحسبان أن اللغة العربية هي (إمبرانتو الشرق) . ومن هذه الصيحات صيحة وشيد رضا في العقد الثاني من هذا القرن بدعوة المسلمين إلى استعمال لغة واحدة بينهم ، هي اللغة العربية لغة الاسلام ولغة القارة الأفريقية الشمالى عن الغرب إلى الشرق وشرق آسيا المشرقى من البحر الأحمر إلى خليج فارس ، هذه اللغة التي يتلقى بها المسلمون الثقافة الإسلامية على جميع الأقطار . «ولما كان الإسلام دين التوحيد» ديناً عاماً لجميع البشر ، وكل من

مقاصدة أن يؤلف بينهم ، فرض عليهم توحيد اللغة فخرجت هذه اللغة عن أن تكون لغة شعب واحد منهم ولولا ذلك لم تؤثرها جميع الشعوب الإسلامية على لغاتها حتى عم انتشارها في المشرق والمغرب مع الاسلام . ولنا هنا في مجال عرض المؤامرات التي قامت من أجل القضاء على اللغة الفصحى ، وذلك عن طريق دعم العامية أو بعث الحروف اللاتينية وقد واجه كتاب الاسلام والعرب وعلمائها هذه الحملات بابرار الحقائق ودخض الشبهات حتى أن بعض المستشرقين أبدوا الاتجاه العربي الاسلامي وفي مقدمتهم كارلو ا. نلينو الذي أكد أن الحروف اللاتينية لا تصلح للكتابة العربية حين قال : « قد حفظ الخط العربي للآن وحدة اللغة العربية ، حيث أن الحروف اللاتينية مبنية على أساس أن صوت الحرف واحد غير متبدل ، أما في العربية فهناك أصوات لكل حرف لا سيما فيما يختص بالحركات . فاذا تغير الخط العربي بالخط اللاتيني أصبحت النتيجة خطيرة للغاية ، فكيف يكون مصير الكنوز العظيمة التي خلقتها الآداب الاسلامية في الدين والفقه والفلسفة والعلوم والآداب والفنون وغيرها وكلها منونة بالخط العربي » . وفي العصر الحديث جرت محاولات كثيرة متعددة في سبيل دفع اللغة العربية إلى مكانها الأول في العالم الاسلامي : بحسبانها لغة القرآن : لغة عالمية لجميع المسلمين مع وجوب تعلمها وتعليمها . وفي مقدمة ذلك القرارات التي اتخذتها المؤتمرات الإسلامية التي عقدت في القدس وباكستان وغيرها من العواصم الاسلامية بأن تكون اللغة العربية لغة دولية في العالم الاسلامي تتفاهم بها الدول الاسلامية في مكاتباتها . ولذلك فلا بد أن تكون عادة إجبارية تدرس في مدارس العالم الاسلامي كله . غير أن عقبات كثيرة وقفت دون هذا الهدف ، فما يزال النفوذ الأجنبي وقوى التغريب والتبشير والشعوبية تسيطر على كثير من الجهات التي تحول دون تحقيق هذا الهدف . وقد واجهت اللغة العربية في شمال أفريقيا وفي الأقطار التي احتلها فرنسا (تونس - الجزائر - المغرب) محاولات متعددة للقضاء عليها ، أما في الجزائر فقد كان الأمر أشد خطورة حيث كادت اللغة العربية أن تمحي محو تاماً ، حتى أتيح لجمعية العلماء الجزائرية وقادتها : عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمي وغيرهم ، أن تعيد بناء اللغة العربية من خلال ثلاثمائة مدرسة اقيمت في المساجد على نحو بارع استطاع أن يتحقق تحت مدافع الاستعمار وفوهات بنادقه وقد كان لهذا العمل المخاطر أبعد الأثر في التحول التاريخي الذي شهدته الجزائر وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الفرنسي « جاك بيرك » حين قال : « إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب

هي اللغة العربية ، بل اللغة العربية الكلاسيكية (الفصحى) بالذات ، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا ، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الاصلية الجزائرية وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية . « ١ . هـ

اللغات الإسلامية واللغة العربية

في الباكستان والهند الإسلامية

كانت اللغة العربية في الهند الإسلامية هي لغة الثقافة ولغة الدين ، بالإضافة إلى اللغة الفارسية التي كانت حصيلتها وحروفها عربية ، وكانت اللغة الفارسية في الهند هي اللغة الرسمية طوال العصور الإسلامية وكانت تحمل في طياتها ذخيرة هائلة من التراث العربي . ثم كانت اللغة الأردية الغالبة في المناطق الإسلامية فقد حملت الثقافة الإسلامية قرابة تسعة قرون وذهرت بالكلمات العربية والفارسية ، ولما كان في القارة الهندية (التي انقسمت من بعد إلى الهند والباكستان) نحو اثنين وثلاثين لغة مستقلة عن الأخرى لأن كل لغة إقليم لا يعرفها إقليم آخر ، بينما كانت اللغة الأردية غالبة على مجتمعات المسلمين ، وكان هناك عدد كبير يتكلمون اللغة العربية الفصحى ، منهم من يجيدون الخطابة بها ويحفظون أشعار شعرائها ومنهم من يقرأها ويكتبها كما كان هناك مؤلفون بالعربية في الفقه والتفسير والحديث وكانت هناك معاهد كثيرة في أنحاء الهند الإسلامية تجرى فيها الدراسة باللغة العربية . غير أن الموقف قد تغير تغيراً شاملاً بعد الاحتلال الإنجليزي للهند فحسب جعل الانجليز في مقدمة أهدافهم تجميد اللغة العربية والحيولة دون قيام لغة واحدة للمسلمين والهندوس وفرض اللغة الانجليزية للهند كلها وإعلانها لتصبح اللغة الأولى الجامعة للهند كلها . وقد تحقق ذلك خلال فترة احتلال الهند الطويلة إلى أبعد حد فقد قرر حاكم الهند لورد دويسلي عام ١٨٠٠ إنشاء كلية (فور دويليم) في مدينة كلكتا بالهند وأُسند مهام إدارتها إلى المستشرق الدكتور دان جيكرست وقد تولت أول الأمر تدريس العربية والسكريتي والأردية والبنغالية بالإضافة إلى الإنجليزية واللاتينية واليونانية . ثم لم تلبث أن قصرت مهمة هذه الكلية على اللغات الشرقية حيث حاول الانجليز لأول مرة في تاريخ الهند بذور الشقاق بين المسلمين والهندوس ، لأنهم شرحوا لهم عن طريق خططهم المدبرة أن كلا من المسلمين والهندوس هما حضارتان مختلفتان ، وثقافتان متباينتان ، مستقلتان ، وعلى هذا الأساس فقد دفع الانجليز

الهندوس إلى رفض اللغة الأردية كلغة موحدة للهند وجعلوا حاجتهم التي ترضى الهندوس بإثارة القومية الهندية القديمة على أساس أن الأردية لغة إسلامية وحاملة للفكر الإسلامي ومن هنا فلابد من إيجاد لغة هندية للهندوس يشقونها من نفس اللغة الأردية مع شطب الحية الكبيرة من الكلمات العربية والفارسية وحروفها من ناحية وإخراجها من اللغة وإدخال كلمات سنسكريتية وحروفها من ناحية أخرى وبهذا شكل الانجليزية لغة جديدة للهندوس ، تكون بمثابة اللغة القومية لهم وقسموا هذه الكلية إلى دراسة لغتين : الأردية والهندية وأسندت مهام الرئاسة للغة الأردية إلى أستاذ مسلم ومهام الرئاسة للغة الهندية إلى كهنوت هندي . وتطورت هذه المؤامرات حتى أصبحت بمرور الأيام مشار خلاف بين الهندوس والمسلمين وبذلك تكونت في مستهل القرن التاسع عشر لغتان مع أنها لغة مشتركة واحدة وقد كان من نتيجة ذلك أن شعر الهندوس بأنهم تحرروا من سيطرة المسلمين ولابد لهم أن أن ينفضوا عنهم جميع الآثار الإسلامية التي رسخت بهم طوال القرون الماضية وتغلغت في نفوسهم ، وظهر هذا الشعور من النفور من مظهر اللغة المشتركة فبدأ ينفرون من اللغة الأردية لأنها حافلة بالآثار الإسلامية . وأنشأوا لغة جديدة هي «الهندية» وكرسوا لإحيائها ونشرها جميع جهودهم وطاقاتهم ، كما أخرجوا جميع الحروف العربية والفارسية التي كانت تستخدم في اللغة الأردية من بعض الولايات التي كانوا يتمتعون بها بأغلبية ساحقة ، ثم وجهوا عناية كبرى إلى الأدب الهندي القديم وإحيائه وإتخاذه نبراساً لمستقبل اللغة الهندية ، ثم كان أن فرض الهنود «اللغة الهندية» لغة مشتركة على المسلمين . وقد اتسع هذا الخلاف بعد إنشاء دولتي الهند وباكستان وظهر الخلاف بين المسلمين حين اتجه الرأي إلى إتخاذ الأردية اللغة الرسمية ذلك ، لأن باكستان الشرقية تتكلم اللغة البنغالية ، وباكستان الشرقية أقرب إلى الهند منها إلى باكستان الغربية كما أنها تتغذى بالإنتاج الفكري للهندوس البنغالية بدلا من الأردية ، لذلك رفضت باكستان الشرقية (الأردية) لغة رسمية وحيدة لدولة الباكستان . أما باكستان الغربية فهي أكبر معقل للفكر الإسلامي وفيها ظهر (إقبال) وفيها ولاية (السند) التي بدأ فيها الإسلام الضخم وحيث أبناء باكستان الغربية الذين يمتازون بأصالتهم في الإسلام والإنتاج الضخم في الفكر الإسلامي . ومما يتصل بهذا التحول الخطير أن غاندي زعيم الهندوس كان قد أعلن أنه من الخير لسكان الهند ألا يلجأوا إلى اللغة الأردية لأنها تكتب بأحرف القرآن وهو كتاب المسلمين وحدهم وعلى الهند أن تختار اللغة المحفوظة

عن الأمهات فقط وهي اللغة السنسكريتية . وقد عارض المسلمون ذلك الرأي وقالوا إن لغة الأمهات هي اللسان العربي المبين ، وكان الهدف التغييبي يرى إلى تنويع المسلمين مع الهندوس في اللغة السنسكريتية ، نعتصاً ضد الأردية التي تحمل الثقافة الإسلامية وضد العربية وفتحاً للطريق أمام اللغة الانجليزية التي سيطرت على الهند كلها بعد الاستقلال . وترجع صلة الثقافة الإسلامية باللغة الأردية إلى مدى تسعة قرون وإن لم تبلغ اللغة الأردية مكانة واسعة في الهند الإسلامية بعد آلت دولة المغول إلى الزوال ، واندثرت لغتها (الفارسية) في أوائل القرن التاسع عشر ، حيث تركزت عناية المسلمين على اللغة الأردية وحظيت بعناية الشعراء والكتاب ، وبفضل التأليف بها والترجمة إليها أصبحت سهلة ميسرة عذبة في أسلوبها ، وترجع غزارة مادة اللغة الأردية إلى اتصالها بالثقافة الإسلامية فقد ترجمت إلى الأردية أمهات الكتب الفقهية للمذهب الحنفي وأمهات كتب السنة ومنها (الموطأ والبخارى ومسلم) . وقاد هذه النهضة أعلام المسلمين الذين أخذوا بنصيب موفور من الثقافة العربية ، ويعد العلامة شبلى النعماني ومدرسته في لكنو ودار العلوم بها وندوة لكنو وخريجها الأفاضال الذين عرفتهم الصحافة العربية وعرفهم ميدان التأليف من أقدر من كتبوا باللغة العربية كما كتب بها عدد كبير من الأعلام . وفي اللغة الأردية تراث إسلامي حديث قدمته أقلام كثيرة في مقدمتها الطاف حسين الذي صور بالشعر قضايا المسلمين والحرية ودعا إلى أدب القوة وهاجم الجبرية ومن أبرز إنتاجه قصيدة (مسدس حالي) حيث يروى الحضارة الإسلامية ومجدها ويصور تخلف المسلمين وأسباب انحطاطهم ذاكراً أسباب النجاح وعوامل التقدم خاتماً المسلمين على إعادة مجدهم ومسائرهم موكب الحضارة الحديثة وتفوقهم في العلوم المعاصرة . وتدرس اللغة العربية في الجامعات الإسلامية الهندية وباكستان كلفة أكاديمية لنيل الشهادات العليا في الآداب وقد عني بها الكثيرون باعتبارها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف كما أعد بعض الباحثين دراسات مقارنة مشتركة بين اللغة العربية واللغة الأردية مثل محمد حسن الأعظمي صاحب المعجم الأعظم الجامع بين اللغتين العربية والأردية ويوجد في حيدر أباد الدكن مركزاً هاماً لنشر العربية حيث يوجد مائة ألف أو يزيد من العرب ويوجد ببهاكستان مئات الألوف من دارسي اللغة العربية وفي باكستان الشرقية نصف مليون تلميذ يدرسون العربية ولا شك كان للغة العربية تأثيرها الواضح في مختلف اللغات الهندية بصفة عامة وخاصة اللغة السنندية عن طريق الجيوش العربية التي دخلت السند بقيادة محمد

ابن القاسم (٩١ هـ) وتوسع سلطانهم فيها بعد إلى ملقان وما جاورها حتى أصبحت العربية في السند لغة التخاطب وما تزال السندية تكتب بالخط العربي وتضم مفردات عربية تتجاوز الحصر ويرى الباحثون أن تأثير اللغة العربية غير المباشر في اللغات الهندية إنما يأتي عن طريق الفارسية التي غمرتها العربية مادة واشتقاقاً وغلبيتها نفوذاً وانتشاراً. أما اللغة الأردية فقد تأثرت باللغة العربية تأثراً كبيراً ، والكلمات العربية في الأردية تفوق عددها في الفارسية وتتراوح نسبتها بين عشرون وستين في المائة وتبلغ الكلمات العربية في الأردية عشرات الألوف وتتراوح الألفاظ العربية في جميع لغات باكستان المحلية بين ٣٠ و ٦٠ في المائة وهي الأردية والسندية والبنغالية والبلوشية والكشميرية والبشتية ومعظمها يكتب بالخط العربي وقد كان لقيام دولة الباكستان الأثر البعيد في إحياء اللغة العربية فقد تأكد أنه إذا كانت الأردية لغة رسمية للباكستان إلا أن اللغة العربية هي لغة الثقافة الإسلامية ، وقال «اقبال» إنه إذا استثنينا اللغات الأوربية فلا مستقبل لأي لغة شرقية غير اللغة العربية . والواضح أن المسلمين في الهند يتلهفون على اللغة العربية كلغة لهم ، والبنغاليون شديداً الاقبال على تعلم العربية . وقد علت صيحة (أغاخان) بالدعوة إلى اتخاذ اللغة العربية لغة أساسية للباكستان بدلا من الأردية . وقد خطت باكستان خطوات واضحة في هذا الشأن ، فقد قرر المؤتمر الإسلامي في كراتشي (١٩٥١) باتخاذ اللغة العربية لغة دولية في العالم الإسلامي تتفاهم بها الدول الإسلامية في مكاناتها الرسمية (باكستان- إيران- تركيا- أندونيسيا) وإنشاء معهد لتعليم اللغة العربية في كل من باكستان وأندونيسيا . وأكد كثيرون من مفكرى الباكستان بأن معرفة اللغة العربية أمر ضروري جداً لكي تتخذ «الوحدة الإسلامية» صورتها العملية أنه ليس في مكتبة العالم الإسلامي أن يحكم اتصالاته وأن يدعم روابطه إلا إذا اتخذ اللغة العربية لغة مشتركة ومن الضروري أن تتخذ الحروف المطبعية حروفاً للغات الإسلامية وفي سبيل دعم هذه الغاية قامت دولة الباكستان عام ١٩٤٨ بإعادة الحروف العربية إلى اللغة البنغالية حتى تزيد التقارب ، عن طريق جمعية حروف القرآن الثقافية وإن كان هناك بعض دعاة التغريب الذين دعوا إلى استعمال الحروف اللاتينية للغة الأردية بدلا من الحروف العربية كما حدث في تركيا وفي أندونيسيا ويعلق كثير من الباحثين أهمية كبرى على استعمال حروف لغة القرآن لكتابة اللغات الإسلامية المختلفة مما يزيد قوة الروابط الثقافية ، خاصة وأن المسلمين جميعاً يشتركون في لغة واحدة هي لغة القرآن الكريم وتجرى الدعوة

في تركيا إلى استعادة تعلم اللغة التركية بالحروف العربية حتى تتمكن الأجيال الحاضرة والقادمة من قراءة التراث الاسلامي التركي الفنى المكتوب بالحروف العربية ولا يزال هذا الاتجاه . « استعمال حروف القرآن لجميع لغات المسلمين » ركيزة هامة من ركائز الوحدة الاسلامية الفكرية .

اللغة الأندونيسية واللغة العربية

اللغة السائدة في أندونيسيا هي لغة الملايو ويسمونها اليوم « اللغة الأندونيسية » وهي لغة التعليم في المدارس الأهلية ، إسلامية كانت أو حرة . وقد كانت هذه اللغة بعد دخول الاسلام إلى أندونيسيا تكتب بالحروف العربية ، بعد أن كانت تكتب بالحروف الأندونيسية القديمة التي لا تزال موجودة حتى اليوم ، وتكتب بعض اللغات الاقليمية في أندونيسيا مثل الجاوية ولغة سوندا في جزيرة جاوة ، وقد ظلت اللغة الملاوية تكتب بالحروف العربية خلال ستة قرون كاملة . غير أن النفوذ الاستعماري الهولندي الذي سيطر على أندونيسيا أكثر من مائة عام كان له أثره البعيد المدى في إلغاء الحروف العربية عن الأندونيسية وكتابتها بالحروف اللاتينية غير أن هذا التحول اللغوي الخطر لم يقلل من أهمية الثقافة العربية بحسبان أن العربية هي لغة الدين والقرآن . وقد ظلت اللغة الأندونيسية تكتب بالحروف منذ دخل الاسلام أرخبيل الملايو فعاشت تترجم إليها الكتب الفارسية والهندية والعربية وتقدمت دراسة اللغة فألف بها كثير من العلماء . وأثر اللغة العربية ما زال قائماً في اللغات في الملاوية حيث تجد آلافاً من الكلمات العربية . « وقلما يتكلم إنسان في الملاوية جملة واحدة دون أن يلفظ بكلمة عربية وتأثير العربية في الملاوية أكبر وأقوى من تأثيرها في لغات أندونيسيا الأخرى : الجاوية والسوندانية وقد ألف بعض العلماء الأندونيسيين كتباً باللغة العربية منهم العالم السومتری الشيخ خطيب فنانكبوا والشيخ محفوظ .

حاضر اللغة العربية في أفريقيا

دخلت اللغة العربية إلى القارة الأفريقية قبل الاسلام وتركت آثارها في لغات الحبشة والصومال وزنجبار ثم انتشرت اللغة العربية في أكريقيا كنتيجة طبيعية لانتشار الاسلام واعتناق شعوب البلاد له . ولتعدت على أيدي العلماء والفقهاء . وأصبحت بعد توقف التوسع لغة الأقطار الكبرى شمال الصحراء ، وتركت طابعها الواضح على لغات باقي الأقطار

والأجناس. وقد قامت المساجد التي أنشئت والكتاتيب والإرياء بتحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة ، ويؤكد أغلب المؤرخين على أنه في القرن الرابع الهجري (١٠٠٠ م) تغلغت الثقافة العربية في أفريقيا (العربية) وأصبحت اللغة العربية لغة التخاطب في المراسلات الرسمية للدول الأفريقية الإسلامية بالإضافة إلى أنها كانت اللغة المستعملة في التجارة التي كانت بآنيديج العرب وكان للعرب في عاصمة غانة القديمة اثني عشر مسجداً ألحق بكل مسجدة مدرسة لتعليم اللغة والفقه الإسلامي ، ثم أصبحت اللغة الغانية لغة التدوين في شتى أنحاء القارة وأن السلاطين الأفريقين كانوا يتحدثون العربية وكذلك الأمراء الأفريقيون يستعملونها في مكاتباتهم الرسمية وقد عقدوا معاهداتهم مع المستعمرين بالفرنسية والعربية ، وقد اصطحب السلطان موسى الأول صاحب مالي ١٣٣٢ م. من القاهرة بعد مقابلة محصلين قلاوون عدداً من الفقهاء والعلماء ، كما أرسل هذا السلطان البعوث العلمية إلى القاهرة وأقام علاقات طيبة مع الميرنيين في فاس ، وقد عاد المتعلمون في هذين البلدين ليعملوا في القضاء وفي إقامة المساجد وأصبحوا نواة للمراكز الثقافية الإسلامية في بناني عاصمة مالي وكوسى صالح عاصمة غانا وفي تمبوكتو ودينية في النيجر الوسط وكان قوام هذه المراكز الثقافية الإسلامية ، وكان القرآن هو المحور الأساسي الذي تدور حوله علوم التفسير والقراءات والفقه والنحو والصرف . وكانت اللغة العربية الوحيدة المستعملة في التكلم ، وقد امتد أثرها إلى اللغات الأفريقية المحلية التي كتبت بحروف عربية أو تسربت إليها بعض الكلمات العربية ، ويوجد في مكتبة المعهد الفرنسي في دكار منذ عام ١٩٠٠ أكثر من ثلاثمائة مخطوط باللغة العربية وهي قسم مما استولى عليه المستعمرون الفرنسيون أثناء احتلالهم للسودان (جمهورية مالي حالياً) عام ١٩٨٣ وقد سرق الفرنسيون جميع المخطوطات التي كانت في حوزة السلطان أحمد بن الحاج عمر وقد ساهمت الطرقات الصوفية في إنشاء أعداد كبيرة من المساجد والكتاتيب ونشرت بعض العلوم الحربية باسم الجهاد والمقاومة للنفوذ الاستعماري ، في السنغال ظهرت في القرن الخامس الهجري (١١ م) « الرباط » وهو مدرسة دينية عسكرية ثقافية ومستشفى ودار للمسافرين ، فلما احتل الفرنسيون مالي أغلقوا (١٣٩٠ م) ومعهداً وكثيراً من المكتبات ونقل الفرنسيون محتوياتها إلى فرنسا . وقد صور هذه المرحلة فرنسيس مور في كتابه «رحلات إلى ربوع أفريقيا» الصادر عام ١٧٣١ : حين قال : في كل بلد من جانبي النهر (نهر كاتينا) توجد جماعات ذات بشرة سمراء تدعى القبلي أو القلا وهم يشبهون العرب ومعظمهم يتكلم

اللغة العربية لأهم يتعلمونها في مدارسهم ولأن القرآن وهو أيضاً شريعتهم مكتوب هذه اللغة . وأشار توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) إلى اللغة العربية وهي لغة الديانة الإسلامية قد بلغت حداً يفوق كل وصف بل إنها أصبحت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة الأفريقية وهي إلى ذلك لغة شريفة مكتوبة ، كما أشار أرنولد إلى التقرير الذي عرض على مجلس العموم البريطاني عام ١٨٠٢ . والخاص بمستعمرة سيراليون وقد جاء فيه : « إنه منذ سبعين عاماً استقرت جماعة صغيرة من المسلمين في الشمال من سيراليون فتحو مدارس تدرس فيها اللغة العربية والعقائد التي جاء بها « محمد » وجروا على عادة المسلمين في عدم بيع أبنائهم دينهم بيع الرقيق وقد أقاموا لأنفسهم شرائع استخرجوها من القرآن وجلبوا إلى البلاد حضارة بلغت درجة عظيمة وقد تمتع المتعلمون بكثير من الاحترام ، ثم أصبحوا معلمين يسجلهم الناس بعد أن يعودوا مزودين بالعلم الكثير من مساجد القيروان وفاس وتلمسان وطرابلس والأزهر » . وقد أشار شاريت كانيا المؤرخ الفرنسي في كتابه تاريخ أفريقيا : « إن أهم ما يعتمد عليه في تاريخ أفريقيا هي المصادر العربية التي ألقت في هذه الفترة (القرن ١٦ و ١٧ الميلادى (١٠ - ١١ هـ) باللغة العربية لمؤلفين أفريقيين هما عبد الرحمن السعدى (كتاب تاريخ السودان) ومحمود كاني : ويقول انتاروب : لقد تغلغل العرب إلى أفريقيا السوداء سليماً وأثروا في الأفريقيين دينياً وفكرياً وكانوا على وفاق مع العرب . »

٢- توسعت العربية وسيطرت بحكم أنها لغة الإسلام على عديد من اللغات الأفريقية : (الهوسا ، الماندينجو ، الوولوف ، السواحلية ، الصومالية ولغات النيجرة والدانا كل في أثيوبيا وأرتيريا ، وما بقي من هذه اللغات) فقد استعار الكثير من الألفاظ العربية وخاصة الألفاظ الخاصة بالشرائع والنظم الإسلامية ، وكان لانتشار التجار العرب في الأسواق التجارية أبعد أثر ، وكذلك إنشاء الخلوات والكتاتيب ومعظم هذه اللغات كانت تكتب بالحروف العربية ، وقد تداخلت العربية والسواحلية حتى أن ٣٠ في المائة من مفردات السواحلية من الكلمات العربية مباشرة . واللغة السواحلية أكثر اللغات انتشاراً في شرق أفريقيا وتمتد المنطقة التي تتكلم اللغة السواحلية فتشمل زنجبار والمناطق الساحلية في كينيا وتنجانيقا وتمتد في الداخل حتى المناطق الشرقية من حوض الكونغو . وقد دخلت إليها الألفاظ العربية وانصهرت فيها . وفي مستعمرات شرق أفريقيا البريطانية (كينيا وتنجانيقا وزنجبار يكتبون السواحلية بحروف عربية) . فقد عمد الاستعمار إلى دفع هذه القبائل إلى استعمال الحروف اللاتينية في كتاباتهم .

بدلاً من العربية . وجميع اللهجات الأفريقية الموجودة في غانة والسنغال ونيجيريا والكونغو البلجيكي وبنوغندا وتنزانيا وكينيا وزنجبار قد طعمت باللغة العربية على مر العصور ، والعربية في جميع هذه المناطق هي لغة القرآن والثقافة وتنتشر فيها كتابات تحفيظ القرآن وتنتشر بين قبائل الطوارق وشعب الهوسة وفي أنحاء نيجيريا وبحيرة تشاد ، وهم الطوارق - التي لها لهجتها - باللغة العربية ومعها فقهاؤها الذين يعلمون أطفالها القرآن والحديث ، وللهوسة أيضاً لغتهم الخاصة التي هي تحريف للألفاظ العربية وفي مقدمتهم (كانوا-كادونا) حيث تنتشر المدارس التي تعلم اللغة العربية . وإقليم تشاد عريق في ثقافته الإسلامية ، ومن أهل هذا الإقليم كثير من علماء اللغة والدين الذين تركوا مؤلفات لها قيمتها في الفقه والتفسير ومعظم قبائل الدينكا والشلوك والنوير والباريا والزاندي رطانتها عربية فيها حروف الحلق وخاصة العين والحاء ، وجوهر الكلام عربي يحتاج إلى جهد صادق لكي يتجلى عن عربية قد تماثل عربية المغرب الأقصى . وشعوب البانتو تتكلم لغة تعتبر فرعاً مباشراً من اللغة العربية ومن اللغة السواحلية وهي في مجموعها أقرب اللغات إلى الرطانة العربية في السودان الجنوبي ولكنها تمتاز عن تلك الرطانة بأنها لغة مكتوبة (٣) وترتبط اللغة العربية في أفريقيا بالثقافة العربية والفكر الإسلامي ، وهي تستند أساساً إلى القرآن وعلومه ، مما يعطيها شخصية متميزة من العسير أن تذوب في مؤثرات الثقافات الأخرى ، وهي قوية بالنسبة للثقافات الأفريقية الساذجة التي يستطيع الإسلام أن يصهرها في بوتقة . ومن هنا فإن حرص الاستعمار على اضطهاد اللغة العربية ، إنما كان يهدف إلى القضاء على الثقافة العربية المستمدة من الفكر الإسلامي عقوماته وشخصيته . وقد اتبع كل من هذه القوى الاستعمارية خطة مختلفة في ظاهرها ، ولكنها تلتقي عند هدف موحد هو صرف الأنظار عن تعليم اللغة العربية ، إلى تعليم لغاتهم الأجنبية . فالفرنسيون اتبعوا سياسة مباشرة في القضاء على اللغات المحلية واللغة العربية على حد سواء وهدفهم هو امتصاص الشعوب وفرنستها فأهملوا المحلية والعربية وقصروا التعليم على الفرنسية في المدارس وأقروا اللغة الفرنسية أيضاً كلغة رسمية في المصالح والشركات الانخراط في الوظائف على الملين بالفرنسية ، وكذلك اتبعت بلجيكا والبرتغال ذلك في مستعمراتها . أما الإنجليز فقد هدفوا إلى إيقاف تيار الثقافة العربية وتأثيرها بإحياء الثقافات الأفريقية الأصلية وصبغها بصبغة قبلية تساعد على إثارة العصبية والقوميات المحلية المحدودة في نطاق قبلي ، هادفين من إحياء هذه الروح إقامة سد في وجه انتشار الثقافة العربية التي

يعدونها خطراً على نفوذهم ومصالحهم الاستعمارية . وقد عمد الإنجليز إلى تشجيع دراسة اللغات المحلية على يد المبشرين وعلماء اللغات ، وتكوين لغات جماعية لمواجهة احتياجات التعليم بحيث توضع لغات جديدة مختارة تنظم ببعض الألفاظ من لغات أخرى قريبة منها أو لهجات من نفس اللهجة . وعندما تقوم المحاولات لإيجاد لغات أفريقية شبه موحدة ، يتجه الرأي إلى اختيار إحدى اللهجات ويجرى إحياءها ونقلها على سائر اللغات بترجمة الكتاب المقدس إليها وتعليمها في المدارس ، مع العمل على تشجيع اللغة الإنجليزية المحلية (Pidgin English) كتمهيد لسيادة اللغة الإنجليزية . وتعد اللغة الإنجليزية هي لغة التعليم في مختلف المدارس العالية تدرسها تلك الصفوة التي يختارها المستعمر ليعملها لشغل الوظائف البسيطة في المصالح والشركات . ويتصل بهذا - في سبيل تجميد اللغة العربية وإيقاف نموها - إبعاد الذين يتخرجون من المدارس العربية وعدم تقديم العون للتعليم العربي وعدم الاعتراف به ، وذلك كوسيلة للضغط على المسلمين للاتجاه إلى المدارس التبشيرية والمدارس الاستعمارية حتى يقفوا في أخطبوط التغريب والاستعمار . وهكذا كان للنفوذ الاستعماري في القارة الأفريقية الذي امتد خلال قرن كامل أثره العميق في إيقاف نمو اللغة العربية التي كان انتشار الإسلام ذاتياً في أفريقيا عاملاً هاماً في انتشارها وذلك بإدخال اللغات الأوروبية وإحياء اللهجات المحلية . ونظراً لتعدد اللغات الأفريقية الوطنية ، فقد أصبحت اللغات الأوروبية هي لغات التفاهم العامة ، وما تزال اللغة عاملاً هاماً في مخطط الاستعمار للاحتفاظ بسيطرته الثقافية على عقول الأفريقيين واتجاهاتهم . ففرنسا تعمل على خلق أجيال من المتحدثين بالفرنسية ، وبريطانيا تدرب المدرسين في إنجلترا تدريباً خاصاً ثم تبعث بهم إلى هذه الأقطار الأفريقية (أبريل ١٩٥٣ : درب ١٦ ألف مدرس) . وفي مناطق كثيرة حال المستعمرون بصورة عامة بين المسلمين والتعلم إذ كانوا يشترطون على المسلم أن يغير اسمه إلى اسم لاتيني ويشترطون حضور الصلوات في الكنيسة ودراسة التاريخ الاستعماري . (٤) وقد عمدت بريطانيا في شرق أفريقيا إلى إحياء اللغة السواحلية لإيقاف اللغة العربية التي كانت تنتشر مع انتشار الإسلام ومع تزايد عدد العرب المهاجرين إلى هذه المناطق ، وبذلك صرف الناس عن اللغة العربية وأدخلت اللغة السواحلية في التعلم . ولما كانت كتابة السواحلية باللغة العربية عاملاً هاماً في ربط الساحلية بالثقافة العربية فقد انبعثت الدعوة إلى كتابة اللغة السواحلية بالحروف اللاتينية عام ١٩٣٢ ووضعت الأسس والقواعد لكتابتها بالحروف اللاتينية

وتم ذلك عام ١٩٤٨ . وصدرت عشرات الكتب المدرسية باللغة السواحلية الحديثة . وفي شرق أفريقيا عمدت بريطانيا إلى القضاء على الثقافة العربية التي تقوم على نظام الحصص القرآنية وذلك لإفساح الطريق أمام اللغة الإنجليزية فوضعت خطة لإحلال اللغة الإنجليزية تدريجياً في زنجبار وكينيا وتنجانيقا . كما جرى تطعيم اللغة السواحلية بالألفاظ الإنجليزية لإيجاد لغة أفريقية إنجليزية مختلفة (٥) وبالرغم من هذه الحملات العنيفة المشهورة على اللغة العربية والحرف العربي في اللهجات واللغات الأفريقية ما زالوا يرون أن اللغة الإنجليزية أو الفرنسية غريبة عنهم وأنها لغة المستعمر ، وما يزال إقبال أهالي شرق أفريقيا على اللغة العربية وإن قلت فرص تعلمها ، وهم يقولون عليها باعتبارها لغة القرآن . وهم يطلقون عليها (ريباني قرآني) أي لسان القرآن لأنها لغة العقيدة : « الإسلام » . وقد استطاعت الشعوب القريبة من المغرب أن تستقدم المعلمين وحفظ القرآن الكريم وخاصة شعب غانا والسنغال . وما تزال اللغة العربية في أفريقيا أصحح اللغات لتحقيق وحدة القارة الأفريقية وهي منتشرة في أنحاء كثيرة من القارة وبخاصة بين المسلمين الذين يسكنون في جهات كثيرة من أفريقيا فيما يلي الصحراء وتستظل اللغة العربية طلبه المسلمين في أفريقيا خاصة حيث يوجد أساس من اللغة العربية في أكثر اللغات الأفريقية ، نتيجة العقيدة الإسلامية والاحتكاك بالعرب قبل الاستعمار ، ولا زال هناك إقبال عارم لدى الشعوب الأفريقية على تعلم اللغة العربية لإعادة صلاتها بالعالم الإسلامي ، والأمة العربية ، وتركز أفريقيا كثيراً على جامعي الأزهر والقرويين . وقد أجرى الباحث العربي المسلم العلامة محمد عبد العزيز إسحق (رحمه الله) تحقيقاً حياً في هذا المجال فوصل إلى حقائق أساسية تشمل في ترحيب شعب غانا ترحيباً عظيماً بالثقافة العربية والدين الإسلامي وكذلك القسم الإسلامي من نيجيريا وأقرب الأقطار العربية إلى نيجيريا هي ليبيا ، وفي السنغال المجاورة لشنقيط . مصدر الإشعاع القديم - تستمد من المغرب المعلمين وحفظ القرآن ، وفي إقليم تشاد تسود الثقافة العربية القديمة والأزهر حافل بأبناء تشاد ، ويجري تعريب المناطق الشاسعة من السودان الغربي والجنوبي ، وفي مناطق السواحلي يتم إنشاء سلسلة من الكتاتيب والخلاوات ومعاهد تدريب المعلمين على حدود السودان الجنوبي الغربي .

الباب السادس

الاستعمار والعالم الاسلامى

(١) الاستعمار

واجه « العالم الإسلامى » على مجرى تاريخه الطويل تحديات متصلة من القوى المعارضة لم تتوقف . فقد كان الوجود الإسلامى الذى تشكل بظهور الإسلام خلال القرن الأول الهجرى عاملاً هاماً فى تحرك قوى الدولة الرومانية - التى كانت تحتل بعض الأجزاء التى سيطر عليها الإسلام - بالمناوشة والغزو على خطوط الحدود بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية . وقد امتدت هذه المناوشات زمناً طويلاً ، وظلت أوروبا تغلبها دون انقطاع ، فلما آن للدولة البيزنطية أن تضعف ، وتفقد مقوماتها فى مهاجمة أطراف العالم الإسلامى تدافعت أوروبا فى مغامرة ضخمة شرسة تحت علم الحروب الصليبية لغزو العالم الإسلامى باسم تحرير بيت المقدس من سيطرة المسلمين . وقد اتصلت هذه الغزوات قرنين كاملين ، فى نفس الوقت الذى تدافعت فيه قوى الفرنجة من فرنسا والبرتغال إلى استعادة « أسبانيا الإسلامية » الأندلس ، وقد جرت المعارك فى الميدانين فى وقت واحد ، غير أن قوة غازية أخرى لم تلبث أن اندفعت للسيطرة على العالم الإسلامى ، تلك هى قوة المغول والتتار ، التى اجتاحت المشرق واندفعت حتى التقت بالقوى الصليبية فى محاولة لوضع العالم الإسلامى بين شقى الرمح . وانتهت هذه الصفحة أو كادت بانتهاء الحملات الصليبية وعودتها على أعقابها وانصهار القوات التنترية المغولية فى بوتقة الإسلام ، ثم لم تلبث أن ظهرت القوة الإسلامية التركية شامخة لتحمى العالم الإسلامى من محاولات الغزو الأوروبى المتجددة فظلت صامدة تحرس شواطئ البحر الأبيض والأمة العربية فى نفس الوقت الذى تدافعت القوى الأوروبية التى استعادت الأندلس إلى مهاجمة الساحل الغربى لأفريقيا والتوغل فيها وذلك وفق خطة عرفت من بعد أنها تهدف إلى تطويق العالم الإسلامى كمقدمة للسيطرة عليه واحتلاله . وبذلك تكون حركة « الاستعمار الحديث » قد بدأت من نقطة سيطرة الدولة العثمانية على (القسطنطينية) قلعة الدولة الرومانية الشرقية وسقوط آخر معاقل الإسلام فى الأندلس (قرطبة) فى أيدي الفرنجة عام . فقد اندفعت

أوروبا على أثر ذلك في عملية غزو جديدة للعالم الإسلامي ، تعارف الكتاب من بعد على إطلاق كلمة (الاستعمار) عليها ، وهي حلقة جديدة ومرحلة متصلة بالحروب الصليبية القديمة ، وآية ذلك أن اللورد اللنبي بعد أن دخلت القوات البريطانية إلى القدس سنة ١٩١٨ قال كلمته الموحية بهذا المعنى « الآن انتهت الحروب الصليبية » . وقد حفظت النصوص والوثائق مضامين رسمية تثبت كيف أن خطة الاستيلاء على العالم الإسلامي كانت أمراً متصلاً لم تتوقف أوروبا والغرب عن التفكير فيه والسعى له والعمل لتحقيقه خلال هذه المرحلة الطويلة التي تزيد على سبعة قرون ، وكان هذا هو الخلفية الطبيعية للتصريح الخطير الذي ألقى به اللورد اللنبي محاولاً أن يؤكد أن هزيمة الحروب الصليبية وإجلائها من العالم الإسلامي لم يكن هو نهاية الجولة في ذلك العمل الدائب الذي استمر قرونًا طويلة منذ خرجت القوات البرتغالية والأسبانية للسيطرة على سواحل أفريقيا إلى أن تم ذلك اليوم . وكأما قد استطاعت أوروبا المسيحية أخيراً أن تهزم القوى الإسلامية وأن تستعيد (بيت المقدس) إلى نفوذها من جديد ، وإذا كانت أوروبا المسيحية قد استعادت بيت المقدس بالسيطرة على العالم الإسلامي فإن الصهيونية العالمية كانت تدفع هذا العمل بقوة في سبيل نقل هذا النفوذ إليها كما تحقق ذلك عام ١٩٦٧ بسيطرة الصهيونية العالمية وإسرائيل على (بيت المقدس) بديلاً للاستعمار الغربي . وفي هذا تقول الكاتبة اليهودية (بريارة توخمان) في كتابها « التوراة والسيف » .. وهكذا دخل الجنرال اللنبي إلى القدس ١٩١٨ فنجح حيث كان (ريكاردس قلب الأسد) قد أخفق ولولا ذلك الانتصار لما كانت إسرائيل الآن قد أصبحت حقيقة واقعة ، وكذلك لم يكن بإمكان اللنبي أن ينجح لولا محاولة ريتشارد ، أي لو لم تكن النصرانية قد أقامت في الأصل الأساس الذي يحمل النصارى على التعلق بالأرض المقدسة وإن من غريب التهكم أن يكون اليهود قد قد استعادوا موطنهم وإلى حد ما يفعل الدين الذي أعطوه للأمين . وتحاول هذه النصوص أن تكشف المطامع الخفية المتصارعة بين قوى الاستعمار الغربي ، وقوى الاستعمار الصهيوني التي تمثل أعنى صور هذا الاستعمار وكأما كانت هذه القوى المختلفة قد اتخذت من الروابط التي تربط الأديان الثلاثة بالقدس مدخلاً إلى العالم الإسلامي ورأس جسر للغزو والسيطرة عليه ومن عجب أن ثلاثة أرباع الجنود الذين فتحوا الطريق للبريطانيين إلى القدس كانوا من أبناء الإسلام وقائدهم الأمير فيصل بن الحسين . ويمكن القول بأن الغزو الغربي للعالم الإسلامي قد تم خلال مرحلتين : (١) المرحلة الأولى : مرحلة تطويق العالم الإسلامي وهذه هي المرحلة

التي بدأت قبل نهاية القرن الخامس عشر وأبطلها هنري الملاح وفاسكودي جاما وخلفائهم .
وقد وصفها المؤرخ كيرك : بأنهم « كانوا يهدفون إلى السيطرة على الشاطئ الأفريقي من
المحيط الأطلنطي مولين وجهتهم نحو الجنوب ، في محاولة الالتفاف حول ديار الإسلام
وحصرها من الوجهتين الحربية والتجارية مع انتزاع تجارة الذهب وغيره من حاصلات
أفريقيا الغربية من يد المسلمين ، ثم الاتصال مما وراء الصحراء الكبرى جنوباً بنجاشي أنثيوبيا
(برستر جون) والاشتراك معهم في مهاجمة المسلمين من الجنوب » . وقد هاجمت هذه القوات
ثغور العالم الإسلامي التي لم تكن متأهبة لمقاومة الأساطيل الأوروبية ولكنها قاومت طويلاً وسقط
منها الشهداء ، ولم تقبل بالتسليم إلا بعد أن فقدت كل ما كانت تملك من قوى وعناد . وقد
استطاع فاسكودي جاما أن يصل عام ١٤٨٨ إلى رأس الرجاء ثم اتجه إلى الهند وكان أحمد
ابن ماجد هو قائد سفنه إلى ثغور الهند . ومن ثم تحولت التجارة إلى رأس الرجاء الصالح
بعد أن كانت تمر بالبحر الأبيض المتوسط واستطاعت البرتغال أن تستولي على مسقط وهرمز
والبحرين عام ١٥١٥ وأن تصل إلى فاليقوت (كلكتا) أعظم ثغور الهند . ولم يلبث الفرنسيون
والإنجليز أن إن ورتثوا البرتغاليين وأزاحوهم وسيطروا على هذه المناطق وبلغت هولندا جزر
الملايو فاقسمتها مع بريطانيا (جاوه وسومطره في يد هولندا والملايو في يد بريطانيا) كما
سيطرت بريطانيا على الهند : درة التاج البريطاني لأزمان طويلة ومصدر كل الخطط التي
سيطرت بها على مصر والعراق وغيرها وعلى قناة السويس باعتبارها تاميناً لطريق الهند ، وكان
ذلك في منتصف القرن السادس عشر . وفي نفس الوقت كانت روسيا قد بدأت تحقق طامع
بطرس الأكبر في الاستيلاء على أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي حيث استولت على قازان
واسترخان في منتصف القرن السادس عشر حيث بدأ التوسع الروسي في الأراضي الإسلامية
ثم امتد حتى وصل الروس إلى القوقاز وسهول تركستان ثم توالى حركة استيلائها في خط
واحد مع فرنسا وإنجلترا . كانت كبرى الدول الإسلامية في هذه الفترة هي : (١) العثمانية
في الأناضول والعالم العربي والبلقان . (٢) الفارسية في إيران . (٣) المغولية في الهند .
وكان الصراع قائماً بين العثمانية والفارسية وقد استغلته بريطانيا والغرب إلى أبعد حد ،
وحيث أبدت فارس في صراعها مع الدولة العثمانية ومن ثم فتحت فارس أبوابها للنفوذ الأجنبي
مبكرة واتخذت من ذلك ركيزة لحماية درة التاج . وفي هذه الفترة : عصر تطبيق الإسلام
والسيطرة الأوروبية : تركزت انكلترا في الهند والملايو ، وهولندا في أندونيسيا ، وروسيا في
آسيا الوسطى . وفرنسا في البحر المتوسط .

(المرحلة الثانية : مرحلة تقسيم العالم الإسلامي)

بدأت بالحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ وانتهت بهدنة الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ حيث تمت توزيع الأجزاء الباقية من البلاد العربية والتابعة للدولة العثمانية بين فرنسا وإنجلترا وهي العراق والشام بأجزائه وإصدار وعد بلفور الذي أعطى للصهيونية العالمية حق إقامة دولة في فلسطين : وقد تمت عملية التقسيم هذه خلال مائة وعشرين عاماً تحركت فيها الأحداث في طريق إتمام سيطرة النفوذ الغربي على العالم الإسلامي كله ، بالاحتلال العسكري أو المعاهدات ، وكانت هذه هي المرحلة التنفيذية للمرحلة الأولى : مرحلة تطويق العالم الإسلامي التي بدأت منذ انشئ آخر خيط لتحرير أوروبا (البرتغال) من النفوذ الإسلامي وفي أعقاب الحروب الصليبية التي انهمزت في المشرق وانتهت بقيام دولة إسلام شامخة هي الدولة العثمانية التي استولت على القسطنطينية عام ١٤٥٣ بينما استطاعت الحروب الصليبية في المغرب أن تحقق إجلاء المسلمين والدولة العربية عن الأندلس . وقد ترابطت هذه الحركة منذ قيام هنري الملاح بحملته على العالم الإسلامي بادئاً عملية التطويق عام ١٤٥٠ تقريباً حتى دخل اللورد اللبني اللورد اللبني إلى القدس عام ١٩١٨ وأعلن في عبارة قصيرة « انتهاء الحروب الصليبية » . بدأت هذه المرحلة ، انكلترا في الهند ، وروسيا في آسيا الوسطى ، وهولندا في أندونيسيا ، وفرنسا في البحر المتوسط . وقد تحقق في هذه المرحلة خطوات هامة في دعم عملية تقسيم العالم الإسلامي أولاً : عام ١٨٣٠ - استيلاء فرنسا على الجزائر وهزيمة الأمير عبد القادر وقواته بعد أربعة عشر عاماً من المقاومة . ثانياً : عام ١٨٥٧ - القضاء على ثورة المسلمين في الهند . ثالثاً : عام ١٨٥٩ - القضاء على ثورة الأمير شامل واستيلاء روسيا على القوقاز . رابعاً : عام ١٨٦٩ - افتتاح قناة السويس وسيطرة الدول الأوروبية على عنق الزجاجة في مصر في أدق موقع بين آسيا وأفريقيا وأوروبا . خامساً : عام ١٨٦٠ - تدخل الدول الأوروبية في لبنان واشتعال الثورة بين المارون والدروز وخلق كيان خاص تباداً منه حركة الغزو الفكري بالبعثات التبشيرية إلى العالم الإسلامي كافة . سادساً : عام ١٨٣٨ - ننازين وتحطيم القوة المصرية الجديدة المخوفة الثاء . سابعاً : عام ١٨١٨ - تحطيم القوة الوهابية الصاعدة في الجزيرة العربية ثامناً : عام ١٨٦٧ - قيام الحركة الصهيونية وإطلاق وعد بلفور ١٩١٧ . تاسعاً : عام ١٩١٨ - إسقاط الدولة العثمانية . عاشراً : عام ١٩٢٤ - إلغاء الخلافة الإسلامية . ويمكن تقديم الحقائق التالية في إيجاز : أولاً : إن الاستعمار هو الجولة الصليبية الثانية في مواجهة عالم الإسلام .

ثانياً : إن انجلترا سى صاحبة الدور الأكبر من جولة الاستعمار حتى الحرب العالمية الثانية .
ثالثاً : كانت أوروبا هى القارة التى واجهت العالم الإسلامى منذ عام ١٥٠٠ إلى الآن حين تحول هذا النفوذ بعد الحرب العالمية الثانية إلى الولايات المتحدة . رابعاً : بدأ تطويق العالم الإسلامى عام ١٥٠٠ وبدأ الغزو بالحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ . خامساً : كانت الأمة العربية موضع التركيز الشديد والعنيف لأنها حاملة لواء الإسلام واللغة العربية . سادساً : كان إسقاط الدولة العثمانية باعتبارها عروة وحدة العالم الإسلامى هو الهدف الأول وإسقاط الخلافة هو الهدف الأكبر . سابعاً : برزت الحركة الصهيونية عام ١٨٩٧ وبدأت صراعها مع السلطان عبد الحميد الذى عارضها حتى أسقطته عام ١٩٠٩ ثم أسقطت الدولة العثمانية عام ١٩١٨ .
ثامناً : يسقوط الدولة العثمانية (رابطة العقد بين العرب والترك) سقطت كلمة العالم الإسلامى وبدأت كلمة القوميات ، فظهرت القومية الهندية فى مواجهة المسلمين فى الهند ، والقومية الطورانية فى مواجهة العرب والقومية اليهودية بالإضافة إلى تحديات الإقليمية والقبلية والطائفية. تاسعاً : برزت القوميات الإيرانية والتركية والأندونيسية والباكستانية. وقد حاول الاستعمار أن يوقع بينها من ناحية وبين الأمة العربية من ناحية أخرى عاشرأ : الاستعمار قضية كلية ، والسيطرة الصهيونية على فلسطين واجهة لقوة استعمارية جديدة هى الصهيونية العالمية وقد تركزت فى قلب العالم الإسلامى (فلسطين) حيث بدأت عام ١٨٩٧ وعد بلفور ١٩١٧ قيام إسرائيل ١٩٤٨ سقوط القدس ١٩٦٧ . وبعد سقوط القدس فى يد الصهيونية العالمية هو أكبر حدث فى العصر الحديث بعد إلغاء الخلافة : ومن الناحية الأخرى يمكن القول بأن قوة البقطة الاسلامية العربية قد حققت نتائج إيجابية هى : ١- قيام البقطة الاسلامية العربية بالحركات الاسلامية لتصحيح العقيدة وقيادة حركة مقاومة الاستعمار .
٢- قيام دولتين إسلاميتين كبيرتين : أندونيسيا والباكستان ٣- ظهور الحركة الثورية العربية كمنطلق للنهضة وبرزت الثورات المختلفة فى أنحاء العالم الإسلامى . ٤- قيام الجامعة العربية بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٤ ٥- بروز عدد من المجاهدين والقادة الذين حملوا لواء البقطة والنهضة فى أنحاء العالم الإسلامى . ٦- بدأت مرحلة التصنيع والقوة الصناعية والتكنولوجيا فى العالم الإسلامى . ٧- مقاومة الغزو الصهيونى والاستعمارى . ٨- كشف شبهات التغريب والغزو الثقافى المتسلط على الفكر الإسلامى . ٩- بدأ التقارب والالتقاء بين المذاهب الاسلامية وفى مقدمتها : (السنة والشيعة) . ١٠- التقاء الدوائر : العربية والافريقية والآسيوية

في مواجهة الاستعمار .مواجهة الاستعمار.

تاريخ الاحتلال الغربى للعالم الاسلامى

(١)الاحتلال الفرنسى :

١٨٤٧	الجزائر ، حيث بدأ الغزو عام (١٨٣٠)
١٨٨١	تونس
١٨٨٢	السنغال
١٨٨٢	مدغشقر
١٩١١	المغرب

(٢)الاحتلال الايطالى:

١٩١١	ليبيا
١٨٨٧	الصومال وأرتيريا

(٣) الاحتلال الألبانى :

١٩١٤	(الريف) لم يتم احتلاله إلا عام ١٩٢٦ بعد تسليم عبد الكريم .
------	--

(٤) الاحتلال الروسى :

١٥٨١	سيريا
١٦٥٤	دولة استراخان
١٦٧٠	أراضى مسلمى أورال أورال
١٨٦٤	جزيرة القريم بالبحر الأسود
١٨٦٤	بلاد القوقاز (شامل) بعد وقوعه أسيراً عام ١٨٥٩
١٨٥٩	احتلال طشقند
١٨٨٢	إمارتى بخارى وجنوة
١٨٨٤	الاستيلاء على التركستان

(٥) الاحتلال الهولندى :

١٦٢١	جزيرة نجاوه
١٨٧٤	جزيرة سومطرا } وهما تعرفان الآن باسم أندونيسيا

(٦) الاحتلال البريطاني :

البنغال :	١٧٥٧
البنجاب :	١٨٤٩
نيجريا	١٨٥١
مصر	١٨٨٢
السودان	١٨٩٨
العراق	١٩١٩
الأردن (وفلسطين)	١٩١٠
زنجبار	١٨٧٠
جزيرة قبرص	١٨٧٨

(٢) حاول الاستعمار الغربي أن يعزز موقف الغزو العسكرى الذى اجتاح به العالم الإسلامى بنظرية فكرية تهدف إلى أن تعطى الاستعمار مفهوماً فلسفياً قوامه أن الأوربيين باعتبارهم أكثر تقدماً من الأمم المستعمرة فإن الحضارة تكلل إليهم أمانة إنسانية هى تمدين هذه الأمم ، ولذلك فمن حق الاستعمار أن يسيطر عليها وأن يعدها للتقدم ، واتصل بهذا المنطق ذلك القول بأن الجنس الأبيض هو صاحب الحضارة وأن الأجناس الملونة هى أبناء الأمم الواقعة تحت نفوذ الاستعمار وقد تعددت نظريات الاستعمار التى تحاول تبرير سيطرتها وكان غلاة دعاة الاستعمار يحاولون تصوير العلاقة بين البلاد المستعمرة وبين المستعمرين على نحو يمحو شخصية هذه الأمم وينكر حقها فى أرضها فى محاولة للقول بأن هذه الأجناس محرومة من أى قابلية للتقدم ، فمن حق الجنس الأبيض السيادة عليها واستخدامها لخدمة البشرية ، وأن الأراضي ليست ملكاً لمن يسكنها بل هى للبشرية جمعاء ، فإذا كانت مسكونة لشعب غير راق يكون من حق الشعوب الراقية بل من واجبها أن تستولى عليها وتستعمرها لمصلحة البشرية . غير أن هذه النظريات لم تلق تقبلاً علمياً وثبت كذبها وتضليلها وتكشف أنها لم تكن أكثر من محاولة لتبرير الأعمال البربرية التى قام الاستعمار فى السيطرة على البلاد التى تم إحتلالها والمظالم القاسية التى كانت تصل إلى درجة الإبادة بالجملة ، حيث ثبت خلال هذه الفترة الطويلة أن الدولة المستعمرة لم تكن تعمل على تأهيل أهل البلاد للحضارة أو التقدم بل كانت تعمل على تجميدهم فى حالة من الفقر والجهل

لا يمكنهم من التحرر. وقد تصارعت الدول الأوروبية فيما بينها على مناطق النفوذ ولكنها لم تلبث أن اتفقت على اقتسام هذه المناطق وعقدت المعاهدات التي تطلق أيدي بعضها البعض في أقطار في مقابل أقطار ، فعقد عدد من الاتفاقات الودية بين فرنسا وإنجلترا وروسيا . وقد عرف الباحثون الاستعمار بأنه قيام دولة بفرض حكمها ونفوذها أو سيطرتها السياسية والاقتصادية خارج حدودها على شعب أو دولة أجنبية على غير رضا أهلها. وقد اندفع الاستعمار أساساً من أوروبا إلى أفريقيا وآسيا باسم الارتياح والاستكشاف والتجارة فأقام الأسبان والبرتغاليون إمبراطوريات تجارية ثم خلفهم البرتغاليون والفرنسيون فشيدوا إمبراطوريات استيطان وكان للكشوف العلمية وبناء البواخر الضخمة والحاجة إلى الخامات وإنشاء الأسواق للتجارة من العوامل الهامة في توسع نطاق الاستعمار وسيطرته وعمله في القضاء على مقومات الأمم المستعبدة لإدامة استعمارهم ونفوذه ، واستمرار احتكار حاصلات المستعمرات واستغلال مواردها الطبيعية والسيطرة على المواقع الاستراتيجية وقد ارتبط الاستعمار العسكري بالاستعمار السياسي والاقتصادي والثقافي وإذا كان الاستعمار قد بدأ باسم التجارة والتبشير فإنه لم يلبث أن تحول إلى الفتح والغزو والحكم وانتزاع الأراضي من أصحابها ، وإقامة حكومات بديلاً عن الشركات . وقد أقام الاستعمار في العالم الإسلامي دعائه على أساليب مختلفة كان أخطرها توطيد الأوربيين فيها عن طريق التجارة كما فعل في الجزائر التي أوفد لها نصف مليون فرنسي أوروبي ، وكذلك أوفد إلى البلاد العربية مئات الألوف من الأوربيين وأغلبهم من اليهود . وكما أقام الاستعمار القلاع والمعاقل الحربية التي تؤمن بقاءه وتحفظ له السيطرة على البر والبحر وتمكنه من الحصول على الموارد الأولية والحاصلات والزراعية بأبخص الأثمان ، فقد أقام المؤسسات الاقتصادية والبنوك لتوظيف ذهب أوروبا الذي طفحت به خزائن بنوكها في أواخر القرن الماضي وفتح الأسواق لمصنوعاتها ومنتجاتها وخاصة الاستهلاكية والترفيهية ثم عمد الاستعمار إلى إقراض الأمراء والحكومات للسيطرة عليها وتكبيّلها بالنفوذ الغربي ، وإياع ذوى اليسار في الديون للاستيلاء على أملاكهم وتصفية القوى الوطنية وتحويل مختلف الأراضي والتجارات والأموال إلى البنوك الأجنبية وإقراض الفلاح بالربا الفاحش وتجنيد المرابين والصيارف وأصحاب الخمارات في مختلف القرى لسلب الأهالي ، وبالجملّة فإن الاستعمار كان يخفي في أعماق خطه العمل على سلب كل موارد البلاد الإسلامية وإرسالها إلى أوروبا والغرب ، رغبة في إفقار هذه البلاد وإيقاعها فريسة

الجوع والاستبداد لادامة السيطرة عليها ، كما عملت القوى الاستعمارية إلى إحكام السيطرة بإنشاء الموانئ وحفر القنوات التي تمكنها من القبض على ناصية الاستيراد والتصدير ، كشق قناة السويس والاستيلاء على البواخر كجبل طارق وباب المندب وغيرها . توحدت إذن خطط الدول المستعمرة وان اختلفت الأساليب وجمعها هدف واحد هو السيطرة وإخضاع المسلمين للنفوذ الغربى والولاء ومن هنا نشأت فكرة «وحدة الحضارة» ورسالة الرجل الأبيض فى محاولة لإخضاع الفكر الإسلامى والثقافات العربية والتركية والفارسية والهندية والأندونيسية لنفوذ الفكر الغربى والقضاء على مقومات الاسلام والقرآن واللغة العربية وذلك بقيام مؤسسات خاصة لإثارة الشبهات وتدمير الحقوق الداخلية كمؤسسة التبشير العالمية . ويمكن القول بناءً على الحقائق الواقعة أن الأوربي لم يفد إلى الشرق كمدن بل كمتعمر وأن أخوف ما يخافه هو الانبعاث واليقظة عن طريق الاسلام ومن هنا تأتى محاولته للسيطرة على التعليم والثقافة والتربية

(٣) لا ريب أن الخطط التى تقوم بها الدول المستعمرة بالنسبة لعالم الإسلام واحدة الهدف مختلفة الأساليب يجمعها مفهوم واحد هو السيطرة وإخضاع المسلمين لنفوذهم وحضارتهم وفكرهم وخلق جو من الولاء لها . وقد تحقق من الخطط المختلفة التى تكشف أن هناك تنسيقا بين الاستعمار والمستعمرين ، وهناك خططاً متفق عليها للتفاهم والتقسيم كالاتفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا ١٩٠٤ واتفاق سايكس بيكو ١٩١٦ والاتفاق بين انجلترا وهولندا فى أرخبيل الملايو . والدعوة التى يبرر بها الاستعمار اقتحامه واحتلاله للعالم الإسلامى إنما هى دعوى براءة خداعة ، إذ أطلق عليها «حق تحضير الأمم المتخلفة» ورسالة الرجل الأبيض إلى العالم الأسود والأصفر ، شريطة أن يتم هذا التحضير بإخضاع هذه الشعوب لوحدة الحضارة الغربية ، وهى تقضى «على قيم الأمم ومقدساتها ، وتحل محلها مفاهيم الحضارة الغربية والهدف من ذلك إنما هو أن تنتهى مقاومة هذه الأمم للنفوذ الاستعمارى ليحل بدلا منها خضوع واندماج وصدقة وتقدير للاستعمار بحسبانه عمل تمدينى مع الاعتراض على أى مفهوم للاستقلال أو الذاتية أو التحرر من النفوذ . وقد درس الاستعمار وقدر ورأى أن خير وسيلة لإخضاع المسلمين هو تغيير عقليتهم والقضاء على ثقافتهم وتراثهم ، ولما كانت عقلية العالم الإسلامى وثقافته مرتبطة بالاسلام واللغة العربية فقد ركز عليها ، ولما كانت وسيلة التغيير إنما تكن فى التعليم فقد حرص على غزو تعليمى وثقافى ضخم واسع النطاق ،

وذلك عن طريق إرسالياته ومعا هذه الأجنبية ، فاستطاع تخريج أجيال جديدة وفق مفاهيمه وأتاح لهذه الأجيال السيطرة والقيادة والزعامة والحكم في أغلب العالم الاسلامى ، كما أطلق حركة التبشير لتحكم تنفيذ هذه الخطة وفرض على الدولة المحتلة أنظمة تعليمية قوامها تحقيق هذا الهدف . ومن هنا جاء ما وصف بأنه محاربة للاسلام واللغة العربية أن هذا الجانب الثقافى والفكرى من الاستعمار وما يتصل به من شؤون التبشير والتعليم والتربية لم يحظ بأى اهتمام فى دراسات الباحثين عن الاستعمار الذين أولوا اهتمامهم للجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية وحدها . وقد مضت حرب الاستعمار للاسلام لا هوارة فيها باعتبارها العامل الدافع إلى القوة والجهاد والمقاومة ، وكانت هذه الحرب بأساليب مختلفة (أولاً) نقض مفاهيم الاسلام وتحريفها وخلق دعوات تحمل لواء الاسلام وتنكرلاً هم مقوماته وهو «الجهاد» الذى هو ذروة سنام الاسلام ، حيث الغته الغاء أو قللت من أهمية أو عملت على تفسيره تفسيراً خاطئاً . (ثانياً) الطعن على الاسلام والحملة على مقوماته واتهامه بأنه مصدر تأخر المسلمين وضعفهم . أما اللغة العربية فقد استهدفت الحملة عليها إيقاف نموها ، حيث يجرى نموها بنمو الاسلام نفسه والعمل على تغليب اللغات الأجنبية عليها والدعوة إلى العامية لاحتلالها محل العربية والتنادى بإحلال الحروف اللاتينية بديلة للحروف العربية فقد كانت اللغة ولا تزال هى ضمير الفكر نفسه ، وما تزال اللغة الفصحى هى مدخل الفهم إلى القرآن الكريم ، وفى القضاء عليها محاولة للاغراب والبعث بمستوى الفهم عن القرآن والحيلولة دون الارتباط به وقد كانت حركة التبشير هى أكبر الأعمال الأساسية لتحقيق هذه الغاية ، فهى القوة المتحركة فى جيش الاستعمار لغزو العقول والقلوب فى مختلف الجبهات وإثارة الشبهات فى مجالات المدرسة والجامعة والصحافة والثقافة وكانت حركة الاستشراق هى المصنع الذى يعد «أدوات» العمل : الشبهات والطعون والشكوك والاثهامات التى يقدمها العلماء الذين يعملون تابعين لوزارات الاستعمار فى الدول المختلفة ، يقدمونها إلى حقل التبشير لنشرها والاذاعة بها فلما فضحت خطط التبشير ، تخفى التبشير وراء التعليم والصحافة والثقافة ، وإن كان لا يزال ظاهراً ومتحركاً على جبهات كثيرة من العالم الاسلامى وخاصة فى قلب أفريقيا وأرخبيل الملايو . وقد كشف التبشير عن هدفه الذى لم يكن أساساً تحويل المسلمين إلى أديان أخرى بعد أن تأكدت استحالة ذلك للدعاة الذين اقتحموا الأزهر ، ووزعوا نشراتهم داخله ، وعقدوا مؤتمراتهم فى قلاع الاسلام والوطنية مثل بيت أحمد عرابي

في باب اللوق أو في لكنهو معقل الاسلام وندوة العلماء ودار العلوم في الهند ، ولكن الهدف هو إخراج المسلمين من قيم دينهم ومفاهيمه أساساً وبذلك يصبحون عجيبة طيبة للتشكل وفق مفاهيمهم . ولذلك فإن حركة التبشير أساساً هي حركة استعمارية تهدف إلى خدمة النفوذ الأجنبي وتأكيده ودعم بقائه . ولم يقف مخطط الاستعمار عند الغزو الفكري والثقافي عن طريق حركة التبشير الذي ركزت على المدارس والجامعات والتعليم . بل إنه دفع قوى أخرى خطيرة لتكون ركائز له في الداخل: من أهم هذه القوى حركة «الماسونية» مقدمة «الصهيونية» ورببيتها التي مهدت لها الطريق ، و«البهائية» التي حملت لواء الدعوة إلى هدم الأديان بتوحيدها . وكذلك استغل الاستعمار أوجه الخلاف الفرعية بين المسلمين فحاول تعميقها وحرص على الأبقاء عليها خلال فترة حكمه الطويل ، كما أبقى على الأقليات وأغرق بعضها ببعض الآخر . وحرص على تجميد الطوائف والقبائل حتى لا تنصهر في المجتمعات الواسعة ، وأوجد بينها وبين الأكثريات خصومات وأحقاداً ، مستغلاً ذلك كله لتأكيد بقائه . فالاستعمار هو الذي عمق أسباب الصراع بين تركيا وفارس وغذى الخلاف بين السنة والشيعة فوسع شقه الخلاف بينهم . ولم تنفصل المشكلة الطائفية في أى من المراحل عن الاستعمار الذي خلقها وغذاها واتخذ منها أداة سياسية يدعم بها وجوده ، فقد احتضن الاستعمار الأقليات وعمل فيهم على خلق الشعور بكيان خاص ، له انفصال وتميز بحيث لا يلتقي في مجال الوحدة الكبرى كما فتح الباب للتبشير والاساليات . كما أكد الاستعمار في مختلف أنحاء العالم الاسلامي عوامل التفرقة العنصرية والجنسية واستغل في سبيل تثبيت ركائزه كل الوسائل وفي مقدمتها «الامتيازات الأجنبية» التي منحت الأجانب في الأقطار الاسلامية مراكز خاصة ونفوذاً متميزاً بحيث لا يخضعون لقوانين البلاد وتظل مؤسساتهم في حصانة كاملة دون التفتيش أو الرقابة أو التحقيق معها بما يتيح لها أن تنصرف على النحو الذي تراه دون أن تستطيع الحكومات إيقافها أو محاكمتها وقاوم الاستعمار كلمة الاسلام والجامعة الاسلامية والوحدة الاسلامية وشن عليها جميعها حرباً عنيفة ، ووصفها بغير ما كانت على الحقيقة ، وركز حملته على «السلطان عبد الحميد» الذي قاد حركة المقاومة ضد زحف النفوذ الاستعماري حين دعا لمسلمين خارج الدولة العثمانية إلى الالتفاف حول راية الخلافة الاسلامية في حركة جامعة لمواجهة الغزو الزاحف ، ومن هنا كانت تلك الصورة السيئة التي رسمها عملاء الاستعمار للسلطان عبد الحميد وما وصف به وما نشر عنه من أعمال

كشفت الأيام من بعد أن ليس لها نصيب من الحقيقة فقد تضافرت قوى النفوذ الاستعماري وقوى الصهيونية على تدمير هذه الحركة واسقاط السلطان عبد الحميد الذي كان موقفه الصامد حائلا دون تمزق العالم الاسلامي واستيلاء الدول الغربية عليه واحتلاله ، فضلا عن موقفه المشرف من هدف الصهيونية باستيلاء على فلسطين ، بالغ القوة والصمود ، مما حمل المحافل الماسونية في سالونيك وجلبها من البرونمة (اليهود الذين أسلموا تقية) السيطرة على جمعية الاتحاد والترقي ودفعها إلى هدفين : (١) إسقاط النظام الذي يحمل لواء الجامعة الاسلامية . (٢) إيقاع الخلاف الدموي بين عنصرى الدولة العثمانية : الآتراك والعرب . وقد تحقق ذلك عام ١٩٠٨ بتولى الاتحاديين للحكم وحمل لواء الدعوة الطورانية ومحاولة تتريك العرب وتمزيق الدولة ، وفي المرحلة الثانية ١٩١٨ بهزيمة تركيا والغاء الخلافة الاسلامية . وتقسم الأجزاء العربية بين فرنسا وانجلترا وصدور وعد بلفور باعطاء اليهود الحق في إنشاء دولة صهيونية في فلسطين كما ألح الاستعمار على القبائل البدوية وحرص على عدم انصهارها في المجتمعات حتى لا تسود الوحدة الشاملة : وحال دون دفع الوحدات الصحراوية إلى التمدن لتظل الأمم ممزقة بين طبقات مختلفة وقوى متفاوتة . وهناك حقيقة هامة لا سبيل إلى تجاهلها هي .. أن الاستعمار ركز على الأمة العربية أكثر مما ركز على أى جزء آخر من العالم الاسلامي وجعل لمصر في مخطط الاستعمار والتبشير والتغريب قدحاً معلى ، باعتبارها قلب العالم الاسلامي ومركز القيادة من الأمة العربية ، فصحف مصر هي التي كانت تحمل الأفكار والدعوات المختلفة ، وعملاء الاستعمار الذين يكتبون باللغة العربية في المقطم والأهرام والهلل والمقنطف والجامعة وغيرها من صحف اللبنانيين المتآمرين كانت تحمل لواء مخطط التغريب كاملا ، هذه الصحف التي عاشت وامتد بها العمر ، بينما سقطت الصحف الوطنية واحدة بعد أخرى ثم كان لظهور دعائم التغريب والشعبوية في مصر : الأسماء التي لمعت وتصدرت للشهرة أثرها البعيد المدى : طه حسين وعلى عبد الرازق ومحمود عزمي . وقد صور «لوثروب ستوارد» مدى خطر النفوذ الأجنبي في العالم الاسلامي بأصدق عبارة حين قال «إن سيطرة الغرب الحديثة على الشرق لا مثيل لها في التاريخ من حيث القضاة والخطورة والمدي والمجال ، فما كان لليونان ورومية من قبل السيطرة المحدودة على بعض من العالم لا يعد بالاضافة إلى سيطرة الغرب اليوم شيئا مذكوراً .

(٤) انجلترا والعالم الاسلامي :

كانت بريطانيا أشد الدول الأوروبية المستعمرة خطراً على العالم الاسلامي نفسه ، وأن تكن وسائلها أقل حماقة من فرنسا وإيطاليا ، وكان أخطر المناطق التي استولت عليها الهند « القارة الضخمة التي كان يحكمها المسلمون فأصارتهم فيها محكومين متأخرين تعليماً وثقافة وثروة ومصر (قلب العالم الإسلامي) وتقاسمت مع روسيا السيطرة والنفوذ في إيران والاستيلاء على الخليج العربي وسلطنته وقد جندت بريطانيا مئات الألوف من الجنود في الحرب العالمية الأولى من الهند ومصر ودفعت المسلمين العرب إلى محاربة اخوتهم المسلمين الترك مغربة إياهم بإقامة دولة عربية حتى إذا تحررت تلك البلاد العربية من الأتراك احتلها الفرنسيون والانجليز ولقد كان الاستعمار البريطاني أشد قسوة على الاسلام وعالم الاسلام وكان لانتصار انجلترا بعد الحرب العالمية الأولى - ذلك الانتصار الساحق بحسبانها كبرى دول العالم الاستعماري - أثره البعيد المدى في الأعمال التي تمت خلال ما بين الحربين والتي ركزت دعائم الاستعمار في نفس الوقت الذي كانت الثورات تشتعل ولا تتوقف عن الاشتعال في مختلف أجزاء العالم الاسلامي . وفي الحق أن الانجليز هم الذين قضوا على الدولة الاسلامية الكبرى ، والتي كانت تمثل القوة الصامدة للنفوذ الأجنبي وهم الذين أزالوا دولة الخلافة العثمانية وأذلوا المسلمين في كل البلاد . والاستعمار البريطاني هو الذي نظم الهيئات التبشيرية والارساليات الأجنبية وحماها في مختلف أنحاء العالم الاسلامي وأتاح لها الحرية الكافية والفرصة المواتية لتحريف عقلية الشباب المسلم وراء في الهند أو الصين أو مصر والسودان والصومال وفلسطين والعراق وسائر أرجاء آسيا وأفريقيا الاسلامية وأمدّها بالمال وساعدها كما منع المسلمين وعلمائهم من التدخل إلى جنوب السودان وحال بينهم وبين تعليم المسلمين من سكان تلك الجهات أحكام الدين وأداب المسلمين . والاستعمار البريطاني هو الذي هدم دولة المسلمين في الهند وأزاد أهلها المسلمين ومرو الذي أزال الدولة العثمانية (دولة الخلافة) واستعمر بلادها ومزقها كل ممزق وألغى الخلافة وحال بين المسلمين وبين إعادتها ، وإليه يرجع الخطر الأكبر في إقامة دولة إسرائيل في قلب العالم الاسلامي فهو الذي مكن لها ذلك وأتاح لها الفرصة لنقل مليون يهودي اقطعهم الأراغبي وأمدّهم بالسلاح والعتاد وجعل منهم قوة عسكرية ذات بأس تهدد الحجاز ومصر وسوريا ولبنان والعراق وسائر بلاد العرب ثم كان للاستعمار البريطاني وللدول الكبرى لأثر الأسيير في إقامة دولة إسرائيل وتشييد مليوناً من العرب ، ثم ما كان من التوسع الخطير

الذى حقنته الصهيونية باحتلال القدس. والاستعمار البريطاني هو الذى أيد الاستعمار الهولندى على تركيز مقامه فى أندونيسيا سنوات طوال وعلى عودته إليها بعد خروجه منها كما عرف الاستعمار البريطانى بفرض المعاهدات ذات المواد الغامضة ، وفى مقدمتها معاهداته مع السلاطين فى جنوب الجزيرة العربية التى تنص على أنها تنتهى عندما (يشيب الغراب ويبيد التراب) .

(٥) لقد اندفع الاستعمار بأقصى وسائل القمع والتدمير للقضاء على كيان العالم الاسلامى ، ولم يحقق وجوده فى مكان ما إلا بالتآمر والكيد. وقد كان يظن أن فلسفته وأساليبه قادرة على أن تحقق له الأمن وتحقق للشعوب المستعمرة الاسلام ولكن العالم الاسلامى قاوم بحق وآتى بثقله فى مواجهة الغزو والاستعمار وهو لا يملك من الأسلحة ما يجعله كفاء المقاومة ، ولكنه كان يقاتل بكل ما يملك حتى باحتشاد الأجساد ، هذه المقاومة اذهلت الاستعمار ، الذى عرف أن مقومات هذه الأمة وروح إيمانها المستمدة من إيمانها بالله والاسلام والقرآن هى التى تعطىها ذلك الصمود العجيب فى وجه الغزو والمقاومة الرائعة ، غير أن الاستعمار استمر يعمل على قمع هذه الحركات بأساليب بالغة العنف إلى منتهاها ، دون أن يتراجع عن أهدافه وأن غير وسائله مرحلة بعد مرحلة محاولا خلق جو من التهذئة ، وذلك بالتخفى وراء أقنعة غامضة كالانتداب والوصاية مدعياً أنه إنما يدير شئون هذه الشعوب حتى يعدها لحكم نفسها . غير أنه فى طريق تحقيق سيطرته بأساليب مختلفة منها تجزئة البلاد إلى دول ودويلات وإيقاظ الشغرات الطائفية والدينية وإيقاع الطوائف بعضها فى البعض الآخر وإثارة روح الفتنة والخلاف بينها وتأييد طائفة على طائفة ، وإحياء القبلات ودعمها وتعميقها . وكان أخطر أعماله فى هذا الصدد خلق محاور بين المسلمين والمسيحيين ، وبين السنة والشيعة ، وبين العرب والبربر ، مع الدعوة إلى إحياء النزعات القديمة كالفرعونية والبابلية والآشورية والفينيقية ، وإنشاء مؤسسات خطيرة للعمل ضد القوى الوطنية بإثارة الدعوات الهدامة والدعوات العلمانية التغريبية والاحادية ، وقد اعتمد الاستعمار فى ذلك كله على «الارسابات والبعثات التبشيرية» التى ركزت دعائمها فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى وأخذت تسيطر على أسباب التعليم ومناهج التربية والثقافة ، وكانت - ولا تزال - للتبشير مخططات بعيدة المدى فى غزو الفكر الاسلامى والثقافات العربية والتركية والفارسية

والهندية والملاوية وغيرها. وكان أخطر ما عمد إليه الاستعمار في سبيل تأكيد وجوده هو إقامة جسر بشري يمزق وحدة الأمة العربية ويضع أسفينا خطيراً في قلب العالم الإسلامي ، ذلك هو غرس إسرائيل ومن ورائها الحركة الصهيونية العالمية التي هي وليدة الاستعمار نفسه ، وأقوى ثماره وأشدّها خطراً . وكانت بريطانيا في عام ١٩٠٧ قد أخذت تدرس عن طريق رؤوس الاستعمار ومفكريه الوسائل التي تؤدي إلى تدعيم بقاء الاستعمار وتقضي على كل مقاومة ضده ، وقد انتهت طائفة من الاستعماريين إلى وضع مشروع عرف باسم « كامبل » يرى أن أخطر مناطق الاستعمار في العالم وأشدّها تعرضاً للثورة والانتفاض هي منطقة « العالم الإسلامي » وقلبها « الأمة العربية » ولذلك فإن الوسيلة المثلى في نظر الاستعمار للحيلولة دون تماسكها وتلاقي أجزائها في وحدة هو خلق أسفين يمزق قلبها وذلك بإقامة جسم غريب في المنطقة الواقعة شرق قناة السويس ، ولما كان الاستعمار الغربي يضع مخططات الحروب الصليبية أمامه فإنه قد اتخذ من فلسطين ومنطقة القدس بالذات نقطة ارتكاز لإثارة الخلافات بين الأديان الثلاثة فسيطر على فلسطين عام ١٩١٨ في ظل مؤامرة خطيرة تهدف إلى خلق هذا الكيان الغريب وإقامة هذا الجسم البشري من اليهود . وبذلك نفذ الاستعمار خطة تهدف إلى تثبيت وجوده في العالم الإسلامي كله بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني لما لها من الموقع الحربي والأهمية الروحية لجميع الشعوب مما يجعل السيطرة عليها أمراً بعيد المدى في التطورات التي وقعت فيما بعد ، والتي حققت هدف الاستعمار في إدخال عنصر جديد من السكان ، وإقامة استعمار استيطاني يوغر صدور العرب ، وقد امتد هذا وبلغ مداه حين انسحبت بريطانيا من فلسطين وتركت للصهيونية القوة التي تمكنها من السيطرة على النحو الذي تحقق من بعد حتى استطاعت إسرائيل عام ١٩٦٧ في السيطرة على فلسطين جميعها ووضع يدها على بيت المقدس . وقد بلغ الاستعمار حين وضع هذا المخطط موضع التنفيذ ، إلى تأكيد دعائم نفوذه ووضع يده على قلب العالم الإسلامي وبذلك بلغ الاستعمار مراحل السيطرة التي بدأها بتطويق عالم الإسلام ، ثم الاستيلاء عليه ثم تأكيد الوجود الاستعماري على النحو الذي يتيح للاستعمار أن يقبل الجلاء العسكري والسياسي عن هذه المناطق بعد أن تأكد وجوده فيها بنفوذ ثقافي داخلي قائم على تخريج أجيال لها ولاء لوجوده وبقائه . غير أن العالم الإسلامي لم يتوقف منذ اليوم الأول لحركة الغزو الاستعماري عن العمل فعمل في دائرتين : (١) الدائرة الإسلامية الوطنية التي ارتبط فيها الجهاد بالقاعدة الإسلامية وهي الدائرة التي أجهدت الاستعمار فعمل

على تصنيفاتها والقضاء عليها . (٢) الدائرة الوطنية الخالصة وهي الدائرة التي حاول الاستعمار أن يجعل منها بديلاً للمقاومة العسكرية ، والخصومة الكاملة وأن يحولها عن العمل الإيجابي إلى الصراع السياسي وأن يقيمها داخل فكره وتعاليمه (وفي مصر ظهر أمثال لطفى السيد وسعد زغلول بديلاً لأحمد عرابي ومصطفى كامل) وأمثال هؤلاء الزعماء مهما بلغ أمر وطنيتهم فإنهم يتعاملون مع الاستعمار من داخل دائرة الولاء والاقتناع بأنه لا سبيل إلى تحقيق أى قدر من التحرر إلا بالتفاهم مع الاستعمار نفسه . وهذه هي المرحلة التي واجهها العالم الإسلامى كله فى مرحلة ما بين الحربين . أما الدائرة الإسلامية فقد كان لها دورها الخطير الذى أزعج الاستعمار وأدال منه وقد قاد الثورة العسكرية على النفوذ الاستعمارى :- عبد القادر الجزائرى الذى قاوم احتلال فرنسا للجزائر ستة عشر عاماً (١٨٣٠ - ١٨٤٦)

- الشيخ شامل الذى قاوم نفوذ روسيا واحتلالها للقوقاز والقرم والتركستان . قام الشيخ شامل عام ١٨٠٨ بحركة فى مقاومة الغزو الروسى للقوقاز والقرم والتركستان وظل يكافح ويناضل على رأس جيوشه وتابعيه البواسل المجاهدين الذين تجمعوا تحت لوائه من مختلف القبائل والديار الإسلامية خلال تسعة وثلاثين عاماً متواصلة ، وكبد الروس خلالها مئات الألوف من القتلى وكما كبدهم إنفاق الملايين الوفيرة من الأموال ، وكانت مقاومته ترمى إلى تحرير أمة تبلغ ٤٠ مليون نسمة من نير الاستعمار الروسى الزاحف .

- محمد أحمد المهدي قاوم نفوذ بريطانيا فى السودان .
- أحمد عرابي قاوم نفوذ بريطانيا فى مصر .
- عبد الكريم الخطابي قاوم نفوذ فرنسا فى الريف المغربى .
- المسلمون فى الهند الذين ثاروا عام ١٨٥٧ فى مقاومة للنفوذ البريطانى .
- ثورة المسلمين فى أندونيسيا فى مواجهة الاستعمار الهولندى .
- السيد أحمد الشريف السنوسى وعمر المختار فى مقاومة الاستعمار الإيطالى لبرقة .
- ثورة يعقوب فى التركستان .

وعيب هذه الجهود أنها كانت متفرقة غير موحدة بينما كان الاستعمار الغربى موحداً فى مواجهتها مما عجل بالقضاء على هذه الحركات أو إجهادها قبل أن تحقق غرضها . وحين توقف الجهاد العسكرى لم يتوقف المسلمون عن مقاومة الاستعمار فى مختلف أجزاء العالم الإسلامى ، فى مختلف المجالات ، فى مجال التعليم والثقافة والسياسة والاجتماع والاقتصاد

وعملوا على معارضة خطط الغزو المختلفة ، ولم يستسلموا أو يتقبلوا بالوجود الاستعماري ، وبرزت هذه المعارضة في دعوات المعلمين المصلحين ، وفي مختلف الجماعات والهيئات الإسلامية والطرق الصوفية وفي أعمال كثير من المفكرين التي حملت لواء الدعوة إلى تصحيح المفاهيم وتخليص الفكر الإسلامي والثقافات العربية والفارسية والتركية والهندية من شوائب البدع والخرافات . وقد انتظم المصلحون والمفكرون في مختلف أجزاء العالم الإسلامي . ١ - جمال الدين في إيران والهند ومصر وتركيا . ٢ - المهدي في السودان . ٣ - السنوسي في ليبيا . ٤ - محمد عبده في مصر . ٥ - الألوسي في العراق . ٦ - حسين الجسر وطاهر الجزائري والقاسمي والكواكبي في الشام . ٧ - الدهلوي وأحمد خان وإقبال في الهند الإسلامية . ٨ - أبو شعيب الدكالي والعلوي العربي في المغرب . ٩ - ابن باديس في الجزائر . ١٠ - خير الدين والطاهر بن عاشور في تونس . ١١ - إسماعيل عصبير نسكي في القرم . وكان هؤلاء المصلحين الأثر العميق والملي البعيد في يقظة الفكر الإسلامي وخلق روح من الثقة والحيوية والقدرة على مواجهة الغزو الاستعماري في مختلف مجالاته السياسية والفكرية على نحو كشف عن جوهر الإسلام وإيجابيته التي تؤكد أنه هو الأساس الأصل لكل نهضة في العالم الإسلامي ، كما كشف هذا الصمود عن مدى عمق الأثر الإسلامي في النفس الإسلامية والمزاج الإسلامي من حيث ظن النفوذ الاستعماري أن المسلمين سوف يستسلمون للقيم والمفاهيم الغربية وأنهم سينصهرون في بوتقة الفكر الغربي ومفاهيم الاستعمار وفلسفته . وظلت مقاومة الغزو الغربي مستمرة في صمود عالم الإسلام كله ، كرد فعل لمخططات الاستعمار التي عملت على (١) إعمال الإبادة بالقتل والسجن والقضاء على القيادات الفكرية والسياسية القوية القادرة على العمل . (٢) التبشير والتغريب وإثارة الشبهات وقتل مقومات الإسلام العالمية . (٣) حرمان عالم الإسلام من علامات القوة التكنيكية والصناعية وعوامل الثقة بالنفس : وإذا كانت هذه الحركات قد أخذت طابعاً إسلامياً عاماً أم طابعاً عربياً أو وطنياً أو قومياً فإنها كانت جميعها تنبعث من مفهوم إسلامي أصيل ، وإذا كان الغرب قد حول المسلمين عن مفهوم الوحدة ، في محاولتين لتغلب جانب الإقليميات الضيقة والقوميات فإن الاستعمار لم يلبث أن انزعج عندما وجدت حركة الوحدة العربية الذي حاول أن يشجعها أول الأمر ويجعلها بديلاً للجماعة الإسلامية في خلال مرحلة ما بين الحربين . (٤) ركز الاستعمار في مرحلة ما بين الحربين على توطيد نفوذه عن طريق إقامة ركائز ثابتة حتى إذا اضطرت الحركات الوطنية إلى إخراج

قواته العسكرية أو نفوذه السياسي كان له من هذه الركائز عاملاً فعالاً قادراً على تأكيد وجوده . ولذلك عول كثيراً على حركة التبشير وأعطاهما أقصى ما يستطيع من التأييد وكان جل اهتمامها بمعاهد التعليم وبرامج التربية وذلك عن طريق مدارس الإرساليات ومدارس الاستعمار وبعض المدارس الحكومية . وفي نفس الوقت دفع مخططاته إلى القمة بإعلان الظهير البربري في المغرب الذي يفصل البربر عن العرب ويعزلهم ثقافياً وقضائياً وتعليمياً ويردهم إلى منظمات خاصة تستمد قوانينها وأنظمتها من الأعراف القديمة . وكانت حركات التجنيس أيضاً التي نفذها الاستعمار في تونس محاولة أخرى لإخراج المسلمين من جنسيتهم الوطنية إلى الجنسية الفرنسية . وكانت الصهيونية خلال فترة ما بين الحربين هي الخطر النائم بين أعين المسلمين ومسامعهم ، بحماية النفوذ الاستعماري ، ومن الناحية الأخرى كانت الحركات الهدامة تتجمع وتتركز في دعوات وأحزاب وكان أبرزها البهائية التي أولتها بعض الصحف المصرية اهتماماً كبيراً ورحبت بها وأشادت بمفهومها الجامع بين الأديان جميعاً والهادم للأديان جميعاً . وكذلك ظهرت دعوات تحاول أن تفسر الإسلام تفسيراً جزئياً ، كالفاديائية التي ألغت الجهاد من مفهوم الإسلام أو مؤلفات تدعو إلى فصل الإسلام عن المجتمع كدعوة علي عبد الرزاق . وفي نفس الوقت علت أصوات دعوات ابتعثت ما قبل الإسلام من حضارات كالفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان والأشورية في العراق والبربرية في المغرب مع الدعوة إلى عاميات اللغة ومحاولة جعلها تواجه العربية وتنفصل عنها . كما حملت الدعوة إلى القومية الضيقة ، دعوة أخرى إلى إعلاء الماضي الوثني السابق للإسلام وإبرازه وتأكيد ، كما حدث في الهند وأندونيسيا وإيران . وكانت الدعوة الطورانية في تركيا المسلمة دولة الخلافة والامبراطورية العثمانية من أبرز هذه الحركات التي أعادت أمجاد جنكيز خان . وحاولت أن تصور الأتراك وكأنهم مصدر الحضارات وأساس المدنية وأول التاريخ . وقد حاولت هذه الدعوات أن تصبغ الأبطال والأعلام بصبغة الأقطار والأوطان كالفرديسي إيراني والقارايي تركي . وكانت حركة أنقرة وانقلاب مصطفى كمال في تركيا تحولاً خطيراً في مجال التغريب وقدوة بارزة ظلت تؤثر في مجريات الفكر العربي سنوات طويلة وتفتح لدعاة التغريب والشعبوية أبواباً من الإغراء في محاولة دفع الأمة العربية إلى أن تقبل خطوة مماثلة ، وكان هدف هذه الحركات جميعاً هو : « محو الذاتية الماثلة في وجود الأمة بالقضاء على مقوماتها وشخصياتها من لغة وأدب ودين ، جرياً وراء تنفيذ خطة الاستعمار التي ترمي إلى

إزالة سلطان المسلمين من هذه الأرض . كان سلاح إعلاء النزعات الجنسية والعرقية والإقليمية وإحياء القوميات الضيقة ، وإذكاء روح العنصرية والانكفاء على الماضي القديم للأمم التي جمعها الإسلام ووحدها فكرياً وثقافياً وسياسياً هو أخطر سلاح تعامل به الاستعمار مع المسلمين فقد كان المسلمون قد تجمعوا منذ قرون طويلة بالإسلام أمة واحدة وفكراً واحداً . ولما كان الاستعمار يحصل من محاولة التمزيق والتقسيم والتفرقة على ركيزة هامة لإقامة نفوذه . فقد صيغ هذه المحاولة بصيغة لها طابع علمي فلسفي ، فأقام الحواجز من جديد بين أجزاء العالم الإسلامي بالعمل على إعلاء مفاهيم الدم والجنس والإقليم والأرض وابتعث المذاهب القديمة ، هذه المفاهيم التي انطوت وذلك في سبيل معارضة الوحدة الإسلامية الذي قامت أساساً على أساس وحدة العقل والفكر والشعور . وليس عيباً أن يتخذ المسلمون سلاح الوطنية أو القومية سبيلاً إلى مقاومة النفوذ الاستعماري ، ولكن الخطر أن يجرى هذا التحرك خارج إطار الإيمان بالوحدة الفكرية الإسلامية التي أقامها القرآن . فلقد اتخذ المسلمون في خلال حركة اليقظة ومقاومة النفوذ الاستعماري ، ثلاث دعوات متداخلة ومتواترة : هي دعوات الوطنية والأمة والفكر . فالدعوة الوطنية كانت دعوة طبيعية إزاء احتلال الاستعمار للأوطان ومحاولة تصوير هذه الأوطان بأنها ليست ذات كيان أساسي فكان لا بد أن تتخذ المقاومة طابع الدعوة الوطنية بالكشف عن أمجاد الأمم وتاريخها القديم العريق . وكان لا بد أن تبرز الدعوة إلى الأمة كأن يلتقي العرب في نطاق دعوة إلى وحدة الأمة العربية ، ليس في هذا من بأس ولكن الخطر هو أن تصل هذه الدعوات إلى التطرف فتتسبب جذورها وأسسها المرتبطة بوحدة الفكر الإسلامي الجامع للعالم الإسلامي . ولقد تحرك العالم الإسلامي في الحلقات الثلاث خلال هذه الفترة ، ولكن الاستعمار جمد تحركهم في دائرة واحدة وحال بينهم وبين التحرك الطبيعي بين الحلقات الثلاث . (هـ) واجه العالم الإسلامي في خلال القرنين الأخيرين أكثر من قوة من قوى الصراع على السيطرة والنفوذ العالمي وأهم هذه القوى هي فرنسا وبريطانيا وروسيا وهولندا كما واجهت الصراع بين القوى الثلاث بعد الحرب الأولى : الرأسمالية والشيوعية والصهيونية وتقف الحركة الصهيونية في صف الرأسمالية ولكنها حركة ذات أهداف خاصة تختلف في أعماقها عن الرأسمالية ذاتها وتحاول أن تحقق سيطرة عالمية متميزة . ويقف العالم الإسلامي في مواجهة القوى الثلاث التي تحتل بعض أجزائه وتؤثر في وجوده وكيانه ، وما يزال النفوذ الاقتصادي لبريطانيا وفرنسا وأمريكا قائماً في أجزاء كثيرة وكذلك بالنسبة لأفريقيا

حيث ما تزال دول أوربية كثيرة تسيطر على بعض أجزائها . وقد كانت نهاية الحرب العالمية الثانية علامة على هانتاء الاستعمار في صورته القديمة ، التي كانت تعتمد أساساً على الاحتلال العسكري « حين كانت الدول الغربية تتذرع في تقرير شرعية الاستعمار بحق الغزو ووضع اليد . واحتلال رعايا الدولة المستمرة محل أهل البلاد الأصليين » . ثم برز نوع من الاستعمار أطلق عليه الاستعمار الجديد ، وقوامه فرض السيطرة الأجنبية من سياسية واقتصادية على دولة ما ، مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها ودون الاعتماد في تحقيق ذلك على أساليب الاستعمار التقليدية ، كما يطلق على هذا الأسلوب الاستعماري اسم « الامبريالية الجديدة » ويستخدم الاستعمار الجديد في تحقيق أغراضه وسائل خاصة لتحايش المعارضة الوطنية الصريحة ، ومن تلك الوسائل الاتفاقيات الثنائية غير المتكافئة ، وتكبير الدولة النامية بشروط تحرمها من حركة التصرف والضغط عليها في صورة معونات وقروض ، وإقامة القواعد العسكرية وإثارة الاضطرابات الداخلية والانقسامات الطائفية والحزبية في الدول الحديثة الاستقلال لإضعافها وإيقاعها تحت السيطرة الأجنبية وتشجيع الأقليات البيضاء التي تتمتع بامتياز اقتصادي « وثقافي باستلاب السلطة وممارسة سياسة التمييز العنصري فضلاً عن استخدام المنظمات الدولية التي تقوم عليها الدول الكبرى بدور رئيسي في الضغط على الدول النامية وتوجيه سياستها » . هذه العملية هي ما تعرف اليوم باسم الإمبريالية الحديثة التي يقوم جوهرها على محاولة كبار الذين يتحكمون في الصناعة لتوسيع المجرى الذي ينساب إليه فائض ثرواتهم عن طريق البحث عن الأسواق الأجنبية والاستثمارات الأجنبية حيث لم يعد للتركيز الرأسمالي الهائل متنفساً إلا فيما وراء البحار وعلى ضوء هذه المطامع الاستعمارية كان العالم الإسلامي ولا يزال مجال الصراع بين القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية العالمية . وقد حاول الاستعمار أن يصف نفسه بأنه رسالة المدنية والحضارة لرفع مستوى الشعوب والأمم وأن الفتوح والغزو ليس غاية بل وسيلة لإعلاء البشرية والسمو بها إلى آفاق العزة والكرامة والحرية ، غير أن الوقائع كلها أثبتت كذب هذه الادعاءات فإن أوروبا الاستعمارية لم تكن مستعدة بأى وجه من الوجوه إلى منح البلاد المستعمرة ثمرة حضارتها دون مقابل بل إن المسلمين والعرب ما كانوا يستطيعون الاستفادة من النهضة الأوربية دون أن ينزلوا عن رجولتهم وحرمتهم ولا شك أن تحول الاستعمار العسكري والسياسي إلى الاستعمار الجديد المتمثل في الاستعمار الاقتصادي في مختلف أجزاء العالم الإسلامي والاستعمار البريطاني الذي تقوم به الصهيونية

في فلسطين وتمتد منه إلى ما حوّلها بالإضافة إلى الاستعمار الثقافي ، كل هذا يؤكد أن الاستعمار إنما يغير من جلده ، ويتحول عن أساليبه إلى أساليب أشد خفاءً ومكرًا وأكثر عمقاً ، وأبعد عن مواجهة الشعوب في نفس الوقت الذي يحتفظ فيه بخططه وأهدافه الأساسية ويجري التحول الاستعماري اليوم إلى التركيز الصهيوني في قلب العالم الإسلامي بتمزيق وحدة الأمة العربية والحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي وذلك بالفصل بين قارتي أفريقيا وآسيا بحاجز بشري يحمل فلسفة تعتمد على الأساطير الدينية ويهدف إلى التوسع وإقامة امبراطورية إسرائيل في قلب العالم الإسلامي ، وهذا هو الوجه الخطير للتحول الاستعماري باعتبار أن الحركة الصهيونية تطمح في أن تترث النظام الرأسمالي ، وتقيم الحكومة العالمية التي تمهد لها الآن بتدمير كل القيم والأنظمة والأخلاقيات وتحويل المفاهيم الإنسانية التي تحملها الأديان والحضارة إلى أسلوب من الإلحاد والإباحة والتسلط . وكأنما كان الاستعمار الغربي حين وجه كل أسلحته العلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية إلى العالم الإسلامي بقصد إذلاله وتحقيره وإشعاره بالفصالة والخنوع - كما يقول كانتول سميث - إنما يمهّد لنفوذ آخر أشد عنفاً وشراسة ويفسح الطريق لقوى أشد شراً هي قوى الإلحاد والإباحة التي تعمل على سحق المقومات الإنسانية للمجتمعات والحضارة والأديان كوسيلة لإسقاط الشعوب والأمم في براثن نفوذ استعماري أشد خطراً يتطلع إلى السيطرة على العالم كله . ومن هنا تبرز مخططات الغزو الثقافي الذي يواجه الفكر الإسلامي والفكر العالمي كله ، لدحر مفاهيم الدين بعامه ومفاهيم الإسلام بخاصة ، والحيلولة دون قيام الوحدات القومية والتجمعات الروحية والفكرية وخلق أسباب التمزق وتغريب عوامل الإقليمية والقبلية واستيفاء صراعاتها . ومحاربة الإسلام على وجه أخص باعتباره الطاقة التي تدافع الاستعمار وتقاوم حركته وتكشف دسائسه . واللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والمصدر الأول للفكر الإسلامي والثقافة العربية وما تزال القوى الاستعمارية والطامعة في السيطرة على العالم الإسلامي تعمل على تقويض الاستقرار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وخلق جو من عدم الثقة بين المسلمين والعرب لمنع أي تكامل باسم العروبة أو باسم الإسلام وإذكاء العداوة بين الشعوب العربية وحكوماتها . وتقوم مخططات الاستعمار على محاولة إبطال مفعول الوجدان الديني والقولي والخلقي ، وإعلان شأن المفاهيم المادية وإطفاء مفاهيم الفكر والروح . ويعد الاستعمار مسئولاً عن أنه أتاح الفرصة للصهيونية وللدعوات الإلحادية والإباحية والفلسفات المادية المختلفة ، عندما اعتمد الاستعمار على الأقليات المختلفة

لإدخال هذه المذاهب والفلسفات إلى قلب العالم الإسلامي . ولقد أعلن لورنس براون أن تخوف الغرب من كل خطر عالمي سواء أكان الخطر اليهودي أم الخطر الأصفر أم الخطر البلشفي ليس شيئاً بالنسبة إلى ما يصفه بأنه الخطر الحقيقي الكامن في نظام الإسلام وعلى قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته بحسبانه أنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي .

(٢) التبشير

كان الاستعمار الزاحف على عالم الإسلام أن يركز على عمليتين أساسيتين :
(العمل الأول) : هو محاولة إقناع الرأي العام أن ما يقوم به الاستعمار هو عمل حضارى وإنساني يهدف إلى ترقية البشرية باعتبار أن الجنس الأبيض هو صاحب الحضارة المستول عن تمدن الأجناس الملونة . (العمل الثانى) : هو تحويل العقيدة الإسلامية عن مفاهيمها الأساسية وإثارة الشبهات حول مقومات فكرها الإسلامى وذلك كمقدمة لتذويبها فى الفكر الغربى باعتباره هو الفكر العالمى المسيطر ؛ وبذلك يفقد العالم الإسلامى قيمته الأساسية ويستسلم للاحتواء الغربى ويسقط كفريسة ذليلة فى يده . وقد كان لابد لتنفيذ ذلك من إيجاد « جهاز فكرى » له مؤسسات منشورة فى مختلف أجزاء العالم الإسلامى ، هذا الجهاز هو « الإرساليات التبشيرية » التى كان لها دور عميق المدى فى خلق تيار جديد مؤمن بالفكر الغربى مدافع عنه لا يقف من الاستعمار موقف الخصومة بل موقف الولاء والتقدير ، عن طريق هذا الجيل الذى تخرج من مدارس الاستعمار ، وحمل لواء الكلمة عن طريق الصحافة والثقافة فى نفس الوقت الذى سيطر فيه الاستعمار على مناهج التعلم فى المدرسة الأجنبية والمدرسة الوطنية وفى الجامعات وفرض مفاهيمه فى محاولة للقضاء على إبراز مقومات الفكر الإسلامى وهو المقاومة للغاصب وفى سبيل إحلال مفهوم التقبل والرضى للنفوذ الاستعمارى باسم الحضارة والمدنية وباسم دعوى عريضة تقول بأن الأمم المتأخرة والملونة لابد أن تتقبل الحضارة والثقافة الغربية تقبلاً كاملاً حتى تستطيع أن تنهض وأن تصبح متحضرة وأن تكون أهلاً للتحرر من الاستعمار . ولقد أيد الاستعمار هذا النفوذ الجديد للتبشير المتمثل فى الإرساليات بمدارسها ومستشفياتها ومؤسساتها حتى أنها كلما عقدت عقداً مع أى دولة عربية أو إسلامية كانت ننص فى صلب المعاهدة على حماية هذه الإرساليات ودعمها وحتى أن بريطانيا لم تقبل إدخال العراق فى عصبة الأمم إلا بقبولها حماية هذه الإرساليات والمؤسسات.

وقد كانت حركة التبشير من أكبر الأعمال التي اعتمد عليها الاستعمار في تركيز وجوده وبقائه ، ليس فقط في خلال فترة احتلاله لهذه الأقطار ، بل لإهداد ركائز تبقى بعد جلأته عن طريق أجيال تستقطب مفاهيمه وقيمه وتزييفها حتى تصبح حقائق أساسية لا سبيل إلى إنكارها ، وذلك بموالة ترديدتها ولها فرص متاحة من النشر والإذاعة في مجالات الصحافة ومجالات التعليم بصوت عال ، فننفذ إلى القلوب والعقول وتستقر فيها . من وراء حركة التبشير تقف مؤسسة الاستشراق التي هي المصنع الذي يعد الشبهات والطعون ويقدمها للعالمين في حقل التبشير لنشرها والإذاعة بها . وهناك حقيقة يجب تقريرها أن هدف التبشير لم يكن في أساسه تحويل المسلمين إلى أديان أخرى ، فقد تأكد للدعاة منذ أول الطريق استحالة ذلك ولكن الهدف الأكبر هو إخراج المسلمين من قيمهم ودينهم ومفاهيمه أساساً وبذلك يصبحون عجيئة طيبة للتشكل وفق مفاهيم الفكر الغربي والاستعمار ولذلك فإن حركة التبشير هي أساساً حركة استعمارية لخدمة النفوذ الأجنبي وتأكيد وتعميقه . ولقد حمى التبشير وأذاع الدعاوات الهدامة التي انتشرت في العالم الإسلامي سواء ما يتصل بالإلحاد أو الإباحة أو الأحزاب المتصلة بالنفوذ الأجنبي ، مع تعميق الدعاوات القديمة وابتعاثها كالفرعونية والفينيقية والبربرية وغيرها . أو تأريث الخلافات المذهبية في الإسلام أو بين الإسلام والأديان الأخرى أو بين العرب والأجناس الإسلامية الأخرى . وكذلك الدعوة إلى العروبة في مواجهة الروابط الإسلامية أو الدعوة إلى الإقليمية في مواجهة الوحدة العربية : وكانت اللغة العربية والدين بصفة عامة والإسلام بصفة خاصة والتاريخ العربي الإسلامي هي أبرز أهداف الحرب التي أثارها المؤسسات التبشيرية ، وهي حرب لا هوادة فيها باعتبارها الركائز الأساسية للمسلمين والعرب فهي لا تتوقف عن انتقاص مفاهيم الإسلام وإثارة الشبهات حولها وخلق دعاوات تحمل لواء الإسلام وتنكر لأهم مقوماته وهو « الجهاد » حيث تتجاوزه أو تقلل من أهميته أو تفسره تفسيراً خاطئاً ، وكذلك الطعن على اللغة العربية والحملة عليها ، بهدف إيقاف نموها وتغليب العامة عليها أو تغليب اللغات الإقليمية أو اللغات الأجنبية عليها ، حيث يعرف الاستعمار أن الفصحى تنمو بنمو الإسلام نفسه . وتتصل الحملات بالتاريخ والتراث فتشير حولها كثيراً من الشبهات والأكاذيب ، ولقد وضع المستشرقون والمبشرون كتباً متعددة حملوا فيها على الإسلام والعرب والمسلمين حملات ضارية رموهم فيها بكل نقيصة ، وأثاروا شبهات متعددة حول قيم الإسلام ومفاهيمه . وطعنوا على النبي محمد ، كما حملوا حملات شديدة

على القرآن والسنة النبوية وفي مقدمة هؤلاء مرجليوث وهانوتووز وعمر ولامنس وكرومر ولا فيجرى ودنلوب وكان هدف هذه الحملات العمل على تغيير العقلية الاسلامية والقضاء على مقوماتها الأساسية ، فقد أجمعت خطط المبشرين ودراساتهم على أن الهدف من التبشير هو « إنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الاسلامي وإبعاد العناصر التي تمثل الاسلام عن مراكز التوجيه » وقد أشار واحد من مؤتمرات التبشير العالمية إلى أن السياسة الاستعمارية قد استطاعت أن تقضي على برامج التعليم في المدارس الابتدائية حين أخرجت منها القرآن ثم تاريخ الاسلام وبذلك « أخرجت ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقاً » وأشار إلى هذا مدير إحدى الجامعات التابعة للرساليات التبشيرية الكبرى حين قال : « إننا نراقب سير القرآن في المدارس الاسلامية ونجد فيه الخطر الداهم ، إن القرآن وتاريخه هما الخطران العظيمان اللذان تخشاهما سياسة التبشير » ويرددون دائماً أنه إن عجزت إرساليات التبشير عن زحزحة العقيدة الاسلامية في نفوس معتقديها فانها تستطيع أن تقضي لبانتها من هدم الفكرة الاسلامية ببث الأفكار التي تنسرب مع اللغات الأوربية فنشرها اللغات الانجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية بنحلك الاسلام بصحف أوروبا وبتمهيد السبيل لتقديم إسلامي مادي وبذلك تقضي الارساليات لبانتها من هدم الكفرة الدينية الاسلامية .

(٢) كانت الارساليات التبشيرية هي مقدمات الاستعمار وطولعة الممهدة له ، فحيث مد النفوذ الأجنبي رواقه في العالم الاسلامي كانت هذه البعثات هي القوى المتقدمة والطلائع المقدمة فمنذ أوائل القرن التاسع عشر تقريباً بدأت عملية الغزو التبشيري في ببطء وأناة مترابطة بخطوط أخرى كأجهزة عاملة لتحقيق السيطرة الاستعمارية . ولقد وجدت قوى التبشير الطريق مفتوحاً وميسراً مع العوامل التي أعدها لها النفوذ الاستعماري ، وأهمها الامتيازات الأجنبية ونفوذ القناصل وسيطرة الدول الأجنبية على كثير من الأمراء في إيران كالبشاه ناصر الدين في إيران والخليو اسماعيل في مصر وغيرهما ممن فتح لهم الغرب باب الاستدانة . ولما كانت الدولة العثمانية هي أكبر أهداف التبشير كمقدمة لتحزيقها وتوزيعها فقد ركزت القوى الاستعمارية بحملات تبشيرية انطلقت من مختلف الدول الأوربية وبعثات من دول فرنسا وانجلترا وألمانيا وإيرلندا والسويد والدنمرك والروس . وفي خارج الدولة العثمانية تركز الاستعمار في فارس وأندونيسيا (جاوه) والهند الاسلامية . ولما كان المخطط قد رسم أساساً للسيطرة فقد عمد النفوذ الاستعماري أولاً للقضاء على القوى الشابة الجديدة وفي مقدمتها

الحركة الوهابية في الجزيرة العربية والنهضة المصرية التي قادها محمد علي ، وكان أن
أن حرض الاستعمار الدولة العثمانية على دفع إحدى القوتين للقضاء على الأخرى ، ثم تفرغ
من بعد القوة الأخرى ، فكانت عملية التدخل العسكري في الشام عام ١٨٤٠ التي مزقت
الوحدة التي كونها إبراهيم ، وبذلك أهلت سوريا لعملية من أخطر السيطرة الأجنبية في صراع
بين النفوذيين الفرنسي والبريطاني مما دفع الدولتين إلى إثارة الصراع بين الطائفتين : الموارنة
والدروز وقد أخذت فرنسا جانب الموارنة وأمدتهم بالأسلحة ، وفعلت بريطانيا مثل ذلك
بالنسبة للدروز ومهد ذلك للصدام الذي وقع بتحريض الدولتين عام ١٨٦٠ وكان ذلك
مقدمة للمخطة التي أعدتها الدول الأجنبية من اتخاذها لبنان رأس جسر لنفوذها في الشرق
كله وذلك بوضع نظام يكفل للبنان نظاماً خاصاً ، وحاكماً في حماية الدول الأوروبية ،
وفي ظل هذا الوضع الذي أهل لبنان لتكون منطلقاً للغزو الاستعماري سياسياً وثقافياً بدأت
الاراساليات التبشيرية تصل إليها وتعمل في حرية مطلقة وتتخذ منها حقلاً لكل مخططات
النفوذ الأجنبي وفي مقدمته . ١- القضاء على الرابطة الإسلامية الجامعة للمسلمين في العالم
كله . ٢- إعداد خطط الفصل والوقية بين العرب والترك . ٣- إعداد خطط الفتن والخلاف
بين المسلمين وغير المسلمين والعرب . ٤- تمكين الصهيونية من السيطرة على فلسطين . ٥ -
٥- تخريج طبقة مثقفة تفتح أمامها وسائل الحكم والسلطان في مختلف أجزاء العالم العربي ،
وكانت بيدها المدارس الأجنبية وإرساليات التبشير في مختلف صورها ، من معاهد جامعات ، وقد
احتضنت لبنان نفوذ فرنسا وأمريكا ، في نفس الوقت الذي تقدمت كل دولة من ذات
المطامع إلى الدولة العثمانية معلنة نفسها حامية لطائفة معينة : فالفرنسيين لحماية الكاثوليك
والبريطانيين لحماية البروتستانت والروس لحماية الأرثوذكس وهكذا بدأ الغزو الاستعماري
للعالم الإسلامي باسم العلم ورصدت لذلك الميزانيات الضخمة ، وكان لهذه البعثات أثرها الهام
في حل المسألة الشرقية - على النحو الذي أرادته الغرب - كما اعترف بذلك كبار السياسيين
وكان لها دورها في تمزيق الوحدة السياسية التي ظلت قائمة بين الترك والعرب خمسة قرون .
ففي المرحلة الأولى حملوا لواء الدعوة إلى العروبة وتدریس اللغة العربية والالاحاح على الحرية
ومقاومة الاستعمار كوسائل مرحلية حتى سقط السلطان عبد الحميد وتسلمت حكم الدولة
العثمانية جماعة الاتحاديين ثمرة الاراساليات والنفوذ الاستعماري ، وهنا تحول اتجاه هذه
المؤسسات والجامعات من الدعوة إلى العروبة وحماية اللغة العربية إلى اتخاذ اللغات الأجنبية
أساساً للتدریس مع الحملة على الوحدة العربية واللغة العربية وتغليب العامية والحروف اللاتينية

عليها وطبع التعليم طبعاً علمانياً خالصاً . ومن الحق أن يقال إن النفوذ الاستعماري قد اختار في الدولة العثمانية ثلاث مناطق من أخطر المراكز الأساسية لعمله - الأولى : (لبنان) - والثانية (مصر) - والثالثة (سالونيك) في تركيا ، وقد قامت كل منها بدور ضخم ، أما لبنان فقد غطت منطقة الشام جميعاً والعراق أما مصر فقد كانت تمثل القيادة الفكرية للعالم العربي كله ولذلك فقد جاء التركيز عليها في مجالات التعليم والثقافة والصحافة عاملاً أساسياً في إعداد خطط النفوذ الاستعماري في العالم العربي بل الإسلامي كله ، أما سالونيك فقد كانت مقر المخطط التبشيري والاستعماري الذي خلق القوة التي صارعت الخلافة والدولة العثمانية وقضت عليهما نهائياً . وقد اعتبر المبشرون عام ١٩٠٨ من الأعوام الحاسمة في حركة التبشير في العالم الإسلامي كله وإن الانقلاب الذي قاده الاتحاديون الذي أنهى حكم السلطان عبد الحميد هو عمل بعيد الأثر في توسيع حركة التبشير في الدولة العثمانية كلها فقد أصبح تجول المبشرين في البلاد العثمانية والعربية والفارسية غير ممنوع ، وكانت السلطة السياسية على أكثر المسلمين قد انتقلت من يد الخلافة الإسلامية إلى يد إنجلترا وفرنسا وروسيا وهولنده ، كما أصبح بيع كتب التبشير مباحاً بسبب حرية النشر التي أعطاها الدستور العثماني . وقد عقدت الهيئات التبشيرية عدداً من المؤتمرات منذ عام ١٩٠٦ عندما عقد المؤتمر التبشيري الأول بمنزل أحمد عرابي في باب اللوق في القاهرة (تحديداً واستغزاً) . ثم عقدت مؤتمرات في أدنبرة عام ١٩١١ وبيروت ١٩١١ ولكنو بالهند ١٩١٣ ، وفي القدس وبرمانا (لبنان) وقسنطينة في الجزائر وحلوان في مصر عام ١٩١٤ وفي القدس ١٩٢٨ وفي تونس عام ١٩٣٢ وفي القدس عام ١٩٣٥ . وقد شهد هذه المؤتمرات عديد من كبار الساسة وكثير من المستشرقين والكتاب المبشرين وبلغ عدد الهيئات التي اشتركت في كل مؤتمر أكثر من مائة من أربعين دولة . وكان التركيز على فلسطين واضحاً في عقد مؤتمرات الأرساليات التبشيرية بها وتنافسها مع قوى الاستعمار والصهيونية وهو ما أطلق عليه «إعداد الفريسة للالتهام» وهو ما تحقق بعد ذلك . وكانت هذه المؤتمرات تحاول أن تكشف الطريق للهيئات التبشيرية مرحلة بعد مرحلة ، حتى أنهم أطلقوا على حملتهم «فتح العالم الإسلامي» في وجه الثقافة الغربية بحساباته أصبح عالماً ممزقاً مغلوباً على أمره تسيطر عليه حكومات الانتداب أو حكومات لها ولاية للنفوذ الاستعماري وفي ظل النفوذ الفرنسي والبريطاني والهولندي لأغلب أجزاء العالم الإسلامي . وقد أولت هذه المؤتمرات دراسات واسعة لعملها في المجالات الثلاث

١- المدرسة . ٢- المستشفى . ٣- الصحيفة والكتاب . وكانت دائماً تعد أساليبها بما يحقق الغاية وفق ما تسفر عنه المرحلة السابقة وكانت هذه المؤتمرات تذكر دائماً بما في أيديها من قوى : (أولاً) معاهدة فرساي التي نصت في المادة ٤٣٨ على جواز التبشير في سورية . (ثانياً) الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية ومصر (ثالثاً) الوضع الخاص الذي فرضه النفوذ الأجنبي على لبنان منذ عام ١٨٦٠ وقد وصلت هذه المؤتمرات إلى خطط محددة أهمها أن التعليم هو أنجح الخطط في تحقيق الأهداف ، وذلك بوضع الشباب المسلم العربي تحت تأثير التعليم (الغربي المسيحي) وأن يشمل هذا التأثير أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة أوطانهم . كما عمدت هذه المؤتمرات إلى دعم المخططات الفرعية وفي مقدمتها دعوات الفرعونية في مصر والبربرية في المغرب والبحر المتوسط في سوريا والفينيقية في لبنان ، وتنشيط دعوات القاديانية والبهائية والانتفاع بنشاط المحافل الماسونية والسيطرة على الصحف والأندية والجمعيات . غير أن أكبر خطوة للتبشير في العصر الحديث إنما تتمثل في عقد معاهدة لثران التي عقدتها الحكومة الإيطالية مع الفاتيكان . والمعروف أن خطوات التبشير في العالم الاسلامي قد تلاحقت منذ مطلع القرن الثامن عشر غير أن خطواتها الضخمة قد تمت في فترة ما بين الحربين ، هذه الفترة التي يطلق عليها فترة «إنصاج» الثمار التي سيكون لها الصدارة في مجالات القيادة السياسية والثقافية في العالم الاسلامي كله ، ولذلك فقد حرص الاستعمار أن يبقى في هذه المرحلة حارساً لهذه المؤسسات ومدعماً لها حتى تتم مهمتها وتركز أقدامها بحيث يصبح من المستحيل بعد ذلك إجلاءها عن قواعدهما . أما معاهدة تاليران التي عقدت بين الفاتيكان والدولة الإيطالية فقد حققت أن تستولى الفاتيكان بمقتضاها من الحكومة الإيطالية على (٧٥٠ مليون ليرة إيطالية) كتعويض عن حقوقها المالية التي توقفت منذ عام ١٨٧١ عندما وقع الخلاف بينهما . وكذلك على ربح قدره خمسة في المائة لقرض إسمى قدره ثلاثة مليارات ليرة تصدره الحكومة الإيطالية . (اقرأ التفاصيل في كتابنا : مخططات التبشير) وقد نشرت تصريحات أثار ذلك أعلنت أن القسم الأكبر من هذه الأموال ستصرف في تقوية البعثات التبشيرية في المشرق وأفريقيا . وتوقع الكثيرون أنه لن يمضي وقت طويل حتى تبدأ غزوة جديدة للتبشير في العالم الاسلامي . وقد حدث ذلك فعلاً سنوات ١٩٣٢ و ١٩٣٣ في مصر عندما هزتها حركة تبشيرية ضخمة كان لها أثرها البعيد المدى في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية . وقد بلغ من أهمية هذه المعاهدة أن وصفها الأمير شكيب أرسلان

بأنها من أعظم الحوادث التاريخية في هذا العصر . وقد استتبع ذلك أن أعلن القاتيكان عن إنشاء معهد خاص لدراسة الفقه الاسلامي والعقيدة الاسلامية وذلك حتى يمكن المبشرين من مهاجمة الاسلام في بلاده . وقد ركز التبشير تركيزاً كبيراً على مصر بعد انتهاء الحرب الأولى سنة ١٩١٨ لأمرين : (الأول) أن مصر هي مركز الثقل في العالم العربي كله وكل ما يثار فيها من تيارات إنما يكون عاملاً عاماً للتأثير على مختلف الأجزاء . (الثاني) إن المرحلة الأولى في مصر قبل الحرب عن طريق ثمار الإرساليات التبشيرية الأولى قد آتت أكلها عن طريق الصحافة والتي أبرزت ألم نجومها من الصحفيين الغربي النزعة خريجي هذه الكليات من زبدان إلى صروف إلى فرج أنطون إلى سركيس إلى شبل شميل بالإضافة إلى الصحفيين الذين عملوا في فرنسا وبريطانيا . ولذلك فقد اجتاحت في أوائل الثلاثينات مصر والسودان حملة تبشيرية ضخمة عن طريق بعض المعاهد الكبرى للإرساليات وبعض مستشفياتها ، ولم تلبث الحركات العنيفة أن كشفت عن أحداث خطيرة تمثلت في إغراء بعض الشباب والفتيات المسلمين عن طريق التنويم المغناطيسي على ترك دينهم وفي خلال هذه المعركة اندفع المبشر «زويمر» فاقنم الجامع الأزهر ووزع منشوراته بها وتآلفت على أثر ذلك جمعية الدفاع عن الاسلام من صفوة العلماء والكتاب ، وأهدت النصح إلى المصريين بسحب أبنائهم من المعاهد التبشيرية ودعت إلى إنشاء معاهد ومدارس لفقراء المسلمين . وقد رافقت هذه الحركة في مصر والسودان حركات مماثلة في تونس والجزائر والمغرب أهمها حركة الظهير البربري في المغرب وحركة التجنيس في تونس وحركة الإدماج في الجزائر . وقد اهتمت الحركة في هذا بتقارير اللورد كرومر عن التبشير ، الذي وجه أنظار المؤسسات التبشيرية إلى العمل في جنوب السودان حيث الميدان خصيب ويكر ، وقد نفذت الحكومة السودانية الخطة بدقة فأوجدت فاصلاً بين الشمال والجنوب وأطلقت على تلك الأجزاء «المناطق المقفلة» وحالت بين المسلمين الشماليين وبين الجنوب . كما استقدم هذه المناطق كثير من المبشرين وجرت محاولات تجنيس التونسيين بالجنسية الفرنسية ، وفي المغرب صدر الظهير البربري عام ١٩٣٠ الذي استهدف إخراج القبائل البربرية المسلمة من حظيرة الشريعة الاسلامية وإلغاء العلوم التي تعلم باللغة العربية في مناطق القبائل ، والعمل على فصل البربر المسلمين عن العرب ووضع أنظمة خاصة بهم في القضاء والتعليم مستمدة من قوانينهم العرفية القديمة . وفي مصر وعديد من بلاد الشرق اقتحم دعاة (البهائية) المجال وبشروا علناً وكتبوا في الصحف وأقاموا

محافلهم وكذلك اندفع دعاة القاديانية في الهند الاسلامية وغيرها . وفي قلب أفريقيا تدفقت مختلف البعثات التبشيرية الكاثوليكية واليسوعية والبروتستانتية : من السويد وانجلترا وألمانيا ، وكانت خطة (ولفنجستون) هي دليل العمل قال «إن نهاية الاكتشاف الجغرافي هي بداية العمل التبشيري » وفي الهند ركز النفوذ الاستعماري البريطاني على الهند وأفصح للبعثات التبشيرية فيها مطلقاً واسعاً ، فقد وفد المبشرون إلى الهند قبل وصول بريطانيا وفي ظل النفوذ البريطاني المتزايد أنشأ المبشرون في مختلف بلاد الهند المدارس والكتليات والمستشفيات وأسسوا مراكز التبشير وترجموا التوراة إلى معظم لغات الهند ووزعوا منها الملايين من النسخ . ونفذت البعثات التبشيرية منذ وقت مبكر إلى فارس والأناضول والامانة التي صارت منذ ١٨٤٦ مركزاً عاماً آمناً لأعمال المبشرين ، وفي الملايو توزعت البعثات التبشيرية وشغلت مختلف الأنحاء وأولت هذه البعثات اهتمامها للساحل الشرق من الجزيرة وإلى جاوه وسوخطرا وفي الصين بدأت بعثات التبشير عام ١٨١٣ حيث انتشر المبشرون والأطباء التابعون لهم في مختلف المدن . وأولت حركة التبشير (الجزيرة العربية) اهتمامها الواسع جرياً على ما قاله وليم جيفورد بالكراف : متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب حينئذ نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه .

ولذلك فقد ركز التبشير على الجزيرة العربية وطمع في الوصول إلى مختلف أجزائها وقد استغل وجوده في البحرين وفي عدن لهذا العمل ، كما وصلت بعثاته إلى البصرة والشيخ عثمان واتخذ المبشرون من أطراف جزيرة العرب مراكز تمهد لهم سبيل التوغل داخل الجزيرة . كما أذاعت بعثات التبشير نداءً حاراً عام ١٩٢٧ إلى مراكزها في أوروبا تناشدها إرسال مبشرين إلى بلاد العرب حيث تشتد الحاجة إلى مائة مبشر . ومنذ وقت بعيد عمد التبشير إلى العمل في المملكة الفارسية (إيران) وكان التعليم التبشيري هو أبرز هذه المعالم فقد أنشأت الارساليات مدارسها عام ١٨٨٢ في مختلف مدن إيران (طهران ، ميناء بهلوى ، كرماشاء ، تبريز ، همدان) وقد تم لهم شراء أراضى شاسعة خارج مدينة طهران حيث جرى العمل على إنشاء كلية ضخمة افتتحت عام ١٩٢٨ . وفي العراق تنافست بعثات التبشير الكاثوليكية والبروتستانتية منذ وقت بعيد ، واستغلت هذه البعثات جماعات النساطرة للابتياع بينهم وبين المسلمين والعرب وإيجاد فتن وملاحم دموية على نفس النسق الذي اتخذه النفوذ الاستعماري في لبنان بين الدروز والموارنة . وفي أندونيسيا غزا التبشير الجزر الألف وأعانته

حكومة هولندا المسيطرة على مقدرات البلاد وأفسخت مجال الاتصالات ، وأعمال التبشير الأخرى عن طريق المستشفيات والانقضاء على الطلاب والشبان وقد واجه المسلمون أعمال المبشرين في مختلف أنحاء العالم الاسلامي بالكشف عن مخططاته وإقامة الجمعيات الوطنية وإنشاء المدارس الأهلية والرد على الشبهات في مجتمعاتهم وصحفهم بالرغم من نفوذ الاستعمار الغاصب المؤيد للتبشير وقد أشار إلى ذلك الدكتور سنوك هرجريجة حين قال : لا أعتقد أبداً أن الاسلام يسقط أمام النصرانية لأن المسلم محتاط أشد الاحتياط لمقاومة النفوذ الغربي المسيحي وهو يرى أن النصرانية شيء مضي وأن تدينه بها هو خطوة إلى الوراء ، زد على ذلك أن الاسلام يربح تابعين له من الوثنيين ، فالذي يصير مسلماً لا يطلب منه شيء كثير ، إذ لا يوجد تقليد ولا طقوس دينية ولا تعليم طويل ، فكل ما يطلب منه أن يعترف بالله ، وعندما يصير مسلماً يتغير مركزه الاجتماعي ولكنه إذا تنصر فإنه يبيد دون غيره ويظل المرسل الديني غريباً متنجساً عنه . . . وغاية القول في مخططات التبشير أنها بعد أن انكشفت أوراقها في أوائل الأربعينات قد حاولت أن تغير جلدها ، وأن تتحول عن أساليبها الأولى إلى أساليب جديدة أشد خفاءً ومكرًا وربما لم تعد مظاهرها تبدو على السطح ، وهذا مما يؤكد خطورة العمل التبشيري الذي تحول الآن إلى أيدي عدد من أبناء البلاد الاسلامية من أتباعه وتلاميذه ، ويمكن أن يقال أن أخطر تحول في طريق التبشير إنما أدى إلى دعم حركة التغريب وحركة الشعوبية معاً . أما وجود الخطر التبشيري فهو قائم ، وأما عمله فهو مستمر لم يتوقف ، وطالما يطمح الاستعمار في البقاء الطويل فإن عليه أن يقضي على عوامل القوة والمقاومة في العالم الاسلامي ، ولما كان المسلمون والعرب يستمدون عوامل قوتهم ومقاومتهم من أسس فكرهم الاسلامي العربي فإنه يعمل دوماً لتحريف هذه الأسس وإثارة الشبهات حول هذه القيم والمفاهيم والحقيقة التي يجب أن تكون ماثلة في كل عقل ونفس ، هي أن النفوذ الاستعماري الذي ما تزال مصالحه قائمة في العالم الاسلامي والأمة العربية إنما يريد استبقاء هذا النفوذ عن طريق تغريب الثقافة العربية والفكر الاسلامي وسلخ مقوماتها وإضفاء مقومات الفكر الغربي والثقافة الغربية عليهما بحيث ينتزع من هذه الأمة مقدراتها النفسية والعقلية على مقاومته أو معارضته أو التخلف منه وإحلال روح من التقبل له والتشبع به والصداقة معه والدفاع عنه بل والإعجاب به ، هذه الروح تحمل في طياتها أيضاً الغضب من شأن التراث الاسلامي واللغة العربية الاسلامية والشرعية وإثارة الشبهات والاتهامات حولها جميعها وهذا هو الذي تقوم به السمات التبشيرية به وإن غيرت جلدها .

(٣) الصهيونية

تمثل الصهيونية بدءاً جديداً للاستعمار والغزو الغربى المتطلع إلى السيطرة والنفوذ فى العالم الاسلامى ، وهى بمخططاتها تمثل كياناً مستقلاً من كيانات القوى الغازية ، وهى بتعاونها مع القوى الاستعمارية متباعدة منها أصلاً تشكل اتحاداً مع النفوذ الاستعماري الغربى . والصهيونية حركة يهودية قام بها أصحابها فى مواجهة التحديات والأخطار التى واجهت اليهود فى أوروبا والاضطهاد الذى واجههم فى أجزاء كثيرة منها وكان تطلع هذه الحركة إلى إيجاد وطن قومى فى أى بقعة من بقاع العالم للإقامة فيه والهجرة إليه . وقد وجدت هذه الحركة تقبلاً من النفوذ الاستعماري نفسه ، من ناحية لتكون عاملاً معاوناً بخلق استعمار استيطاني ، ومن ناحية أخرى كان متقبلاً من الغربيين للتخلص من النفوذ اليهودى باخراجه من أوروبا . وكان الاستعمار الانجليزى قد فكر وقدر فى محاولة إقرار وجوده فى العالم الاسلامى حين قرر عام ١٩٠٧ إلى أن إيجاد حاجز بشرى بين أفريقيا وآسيا من شأنه أن يحول دون وحده هتذا العالم وتجمعه ، وقد تلقفت الصهيونية هذا القرار وطمعت فى أن تحقق وجودها بالحصول على أرض فلسطين لتكون مقراً للدولة الصهيونية . وقد عمدت بريطانيا فى تبنى مخطط وطن قومى فى فلسطين تمهيداً لإقامة دولة صهيونية إلى تحقيق عدة مزايا كان أهمها تغطية قناة السويس من الناحية الشرقية وحمايتها ضد حركات التحرر العربية ، فضلاً عن كسب النفوذ اليهودى فى العالم كله ، غير أن الصهيونية لم تلبث حين تقرر الاتفاق بينها وبين الاستعمار على تحقيق مخطط السيطرة على فلسطين أن أعلنت فلسفة مستندة من الأساطير تتمثل فى العودة إلى فلسطين ويتصل ذلك بوجود اليهود فى فلسطين قبل ثلاثة عشر يوماً وحاولت الصهيونية أن تجعل من دخول اللورد النبى إلى فلسطين ١٩١٨ وسيطرة الاستعمار على القدس مقدمة لسيطرتهم عليها وحاولت أن تجعل من بعض النصوص القديمة وسيلة لكسب المسيحية إلى صفها . وعمدت الصهيونية إلى وضع مخطط واسع فى سبيل إكساب وجودهم فى فلسطين حقاً تاريخياً وذلك بالتزوير فى كتابات التاريخ وضع الموسوعات والكتب باللغات المختلفة وكذلك القصص المسرحية والسينائية التى تحاول فرض نظريات جديدة قوامها القول بأن إسرائيل هو الشعب المختار الذى واجه الاضطهاد على مدى التاريخ وأن عظماء الفكر فى العالم وكبار المكشقين والباحثين فى مختلف العلوم كانوا من اليهود وإعلاء شأن الجنس اليهودى والدعوة إلى السامية واعتبار كل من يقف فى وجه حركتهم هو من

أعداء السامية وقد استطاعت الصهيونية بوسائلها المختلفة وأساليبها الممتدة وسيطرتها على الأسواق المالية والتجارية وأجهزة الإعلام في مختلف أنحاء العالم من ترديد هذه الدعاوى وفرضها على الفكر العربى وتزييف جذور هذا الفكر نفسه بالمحجوم على المسيحية . وكانت الحركة الماسونية قد سبقت الحركة اليهودية في سبيل تحقيق هدف عريض تسعى له اليهودية العالمية وهو حكم العالم والسيطرة عليه وإقامة الامبراطورية الصهيونية كوريثة للحضارة الغربية والأنظمة الرأسمالية على السواء وقد تكشف هذه المخططات من خلال ما تسرب إلى العالم الاسلامى من نصوص التلمود وما كشفت عنه بروتوكولات حكماء صهيون ويوفيات هرتزل وعديد من الكتابات التى سمحت للصهيونية بإذاعتها بعد الحرب العالمية الثانية وحاولت بها أن تكشف عن مخططاتها الخفية التى كانت سرية ومحاطة بقدر كبير من الكتمان . وظهر عدد من المفكرين الصهيونيين أمثال أميل لدوفيج الذى حمل لواء مهاجمة البطولة وتعريتها وإثبات أن جميع الابطال العالميين كانوا منحرفين وفرويد ودور كايم الذين حملوا لواء العمل على تدمير الشخصية الانسانية فعمد فرويد إلى علم النفس محاولا إثبات أن الجنس واللذة والغريزة هى مصدر كل تصرفات الفرد وأعلن دور كايم عن أن نظام الأسرة ليس من الأنظمة الطبيعية وأن الأديان خرجت من الأرض ولم تنزل من السماء وتولى كثيرون غير هؤلاء دعم المخططات التى استهدفت القضاء على مقومات الدين والأخلاق والمثل العليا فى البشرية كلها تحقيقاً للمخطط الذى كشفت عنه بروتوكولات صهيون بالسيطرة على العالم بعد تدمير مقوماته . وتتصل بهذا حملات نيتشه وكير كجارو ورينان على المسيحية ورميها بأبشع الاتهامات ودعوات الوجودية والانحلال والعبث واللامعقول وغيرها من الدعوات التى تغمر البشرية الآن وتدفعها إلى أن تقع فريسة سائغة فى أيدي القوى الصهيونية العالمية وقد كشف كتابات كثيرة عن أبعاد المخطط الصهيونى فى محاربة المسيحية والاسلام واخضاع الشعوب المختلفة فى العالم وقد تكشف فى السنوات الأخيرة الصلة الوثيقة بين النظريات التى حملت الطابع العلمى سنوات طويلة وبين التراث اليهودى الصهيونى ، بما يؤكد أن هذه النظريات وخاصة (التحليل النفسى) قد استقت من نفس المنبع الذى استقت منه الحركة الصهيونية طاقتها وتوجيهها وأن الحركتين سارتا معاً لى تصلا آخر الأمر إلى غاية واحدة : هى الالتقاء بشعب الله المختار فى أرض الميعاد وفى يقينى أن الكشف سيؤدى إلى مثل هذا بالنسبة للوجودية وغيرها من الدعوات . وقد قال الدكتور صبرى جرجس : إن التحليل

النفسى الذى ابتدعه فرويد مع ظهور الحركة الصهيونية منذ سبعين سنة لم يكن علماً مجرداً كما زعم ، ولكنه وثيق الصلة فى جوانبه المرضية والحضارية معاً بالتفكير اليهودى الصهيونى الذى ظهر فى التراث منذ عهد التوراة وما بعدها . وإنه من أجل ذلك سخرت الصهيونية اليهودية أجهزتها الإعلامية والدعائية لنشر مفاهيمه والدعوة له فى أوسع نطاق مستطاع حتى أصبحت الفرويدية من أقوى العوامل أثراً فى التوجيه الفكرى والخلقى لعالم الغرب ، وقد ثبت أن فرويد كان يهودياً حقاً وعضواً عاملاً فى بعض المنظمات وصديقاً شخصياً لهرتزل ، وأن العلاقة العضوية والمصلحية والمصيرية بين اليهودية والصهيونية والاستعمار الإمبريالى من ناحية وبينها وبين التحليل النفسى الفرويدى من ناحية أخرى قد جعلت من الحركات الثلاث ثالوثاً قوامه العنصرية وروح الاستعلاء ووسيلة الإفساد وهدفه الاستغلال وبشكل تحدياً يواجه البشرية ومستقبلها .

(٢) الصهيونية واجهة المطامع اليهودية العالمية

فى عام ١٨٩٧ أجمع المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بال بسويسرا برئاسة دكتور تيودور هرتزل مؤلف كتاب « الدولة اليهودية » وبذلك انتقلت الحركة اليهودية العالمية إلى مرحلتها الثانية وقد اتجهت الحركة الصهيونية إلى العمل الفورى من أجل تحقيق هدفها فركزت على العمل فى الدولة العثمانية عن طريق المحافل الماسونية التى كانت بؤرتها « مدينة سالونيك » حيث توجد جالية (الدوغة) المعروفة من اليهود الذين هاجروا من الأندلس بعد الاضطهاد وأعلنوا إسلامهم وأقاموا فى هذا الموقع الخطير . ومن خلال المحافل الماسونية تأسس حزب الاتحاد والترقى الذى سيطر عليه اليهود وحولوه إلى هدفهم الرامى إلى تنكيس الدولة العثمانية وتمزيقها وإيقاع الخلاف الدموى بين عنصرها العرب والترك . ومن ناحية أخرى فقد توجه الصهيوينيون مرتين إلى السلطان عبد الحميد بمشروع قوامه السماح لهم بالإقامة فى فلسطين فى مقابل دعم الدولة مالياً بقرض قدره خمسون مليوناً من الجنيهات وقد رفض السلطان هذا العرض صراحة حين قال : « انصحوا الدكتور هرتزل بالآلاتخاذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع ، أنى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض فهى ليست ملك يمنى بل ملك شعبى ، لقد ناضل شعبي فى سبيل هذه الأرض ورواها بدمه فليحتفظ اليهود بملايينهم وإذا مزقت امبراطوريتى فلعلهم يستطعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا غن ولكن يجب أن

لا يبدأ هذا التمزيق في جثثنا فإن لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة». كان هذا العرض في الأغلب حوالى عام ١٩٠٢ مقدمة لإسقاط الخليفة عام ١٩٠٩ بعد انقلاب الاتحاديين عام ١٩٠٨ ، هذا الانقلاب الذى هال له المسلمون جميعاً ظناً منهم أنه فاتحة التحرر بالدستور الذى أعلن في أوائل حكم الاتحاديين . ويكفى في الكشف عن هذه الصفحة أن ننشر ما نقلته مجلة المشرق اليسوعية عام ١٨٩٥ عن مجلة الكلمة عن علاقة اليهود بدستور المملكة العثمانية كاشفاً عن نفوذ اليهود في تركيا منذ إعلان الدستور ، قالت نقلاً عن مجلة الكلمة . « إن الدستور العثماني ككل دستور آخر خطته يد الماسونية (يقصد دستور الثورة الفرنسية « حرية . إخاء . مساواة » قد منح اليهود حق المساواة ، فلم يلبث اليهود في تركيا أن أخذوا يظهررون لدى الملأ ماذا يعنون بهذه المساواة ، فقبل كل شيء انسلوا إلى أعلى الوظائف في المملكة ، ثم لم يمض وقت طويل حتى ظهر أن مديري دفة جمعية تركيا الفتاة (المنبثقة عن حزب الاتحاد والترقي) هم يهود ، أما الحاخام باشي أو رئيس الحاخامات في الأستانة ففي يوم الاحتفال بمرور سنة على إعلان الدستور في المملكة العثمانية أخذ من شدة فرحه بالحرية الدستورية وعظم تعصبه للنصرانية أخذ يدوس برجليه أوراقاً منتزعة من الكتاب المقدس ، ويوجه الإجمال فإن إعلان الدستور في تركيا قد ملأ قلوب بني إسرائيل أجمعين فرحاً عظيماً بهذا المقدار حتى أنهم أصبحوا كالسكارى لا هم لهم ضم إلا الانتقام في السر والجهر من أخوتهم النصارى ، فأخذوا بواسطة أعوانهم لدى الباب العالي ينشرون كامن البغض بين الأتراك المسلمين وبين سائر الشعوب المسيحية في المملكة العثمانية وكلما رأوا نيران هذا البغض بين الطرفين تكاد أن تتمد أوارها بادروا وزادوها وقوداً : ومما يؤيد لنا هذه الحقيقة هو أن جريدة التيمس الإنجليزية إحدى الجرائد المشهورة بمالائهم لليهود واليهودية ، رأت من واجبها أن تذكر اليهود بالدور الذى كانوا يلعبونه دوماً في تهيج الإسلام ضد النصارى وباشتراكهم مع الأولين في ذبح الآخرين ، وكفى مذابح سوريا ومذابح الأستانة ، ولا سيما مذابح أدنة ونواحيها ، وتذكرهم - أى جريدة التيمس - بما استفادته اليهود من وراء هذه المذابح الأخيرة وهو أن أراضي الذين ذبحوا أو هربوا من الأرض قد استملكها أحد اليهود المسيحيين جازيل وأسكنها يهوداً من روسيا وأشارت الجريدة إلى أن جمعية تركيا الفتاة التي أحست من جراء استسلامها للنفوذ الأجنبي مكروهة في أكثر أنحاء المملكة العثمانية وهذا ما جعل جريدة التيمس الإنجليزية تبادر إلى تحذير اليهود في كل مكان ولا سيما في تركيا وخامة

عواقب استعجالهم في التظاهر بأمانيتهم اليهودية « ا . هـ . في هذه المرحلة تحالفت الصهيونية مع الاستعمار بفلسفة واضحة مخططة قوامها استعادة بناء هيكل سليمان . ووجد الاستعمار في المخطط الصهيوني عاملاً هاماً في طريق تحقيق وجوده وضغطه على العالم الإسلامي وذلك بإقامة احتلال استيطاني أخطر أثراً من الاحتلال العسكري والسياسي ، في بقعة من أدق بقاع العالم الإسلامي قلب الأمة العربية : فلسطين ، ولذلك فقد بدأ تحرك النفوذ الأجنبي وقوامه (فرنسا وانجلترا وروسيا) مع الحركة الصهيونية في سبيل تمزيق الوحدة الإسلامية الكبرى (العربية التركية) المثلثة في واجهة المقاومة : الدولة العثمانية . وكان الاتحاديون ثمرة المحافل الماسونية في سالونيك أخطر قوة في سبيل تحقيق هذه الغاية في الفترة منذ إسقاط عبد الحميد عام ١٩٠٩ إلى انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ حين أمكن التمهيد الكامل لصدور وعد بلفور وبدء إقامة كيان صهيوني يهودي في قلب فلسطين . فقد بدأت الصهيونية في حملتها مع الدول العثمانية إلى الإغراء فالتأمر ثم استغلت قوة داخلية تركية أساسية لهدم الدولة ، بعد أن أزاحت السلطان عبد الحميد الذي استطاعت الصهيونية العالمية بالاشتراك مع الاستعمار أن ترميه بكل نقيضة في محاولة إظهاره للمسلمين في أبشع صورة ، بعد أن استطاع خلال أربعين عاماً أن يشغل أوروبا بمشاكلها الخاصة وأن يحبط مؤامرتها وذلك برفع لواء الوحدة الإسلامية . وقد حاول سفير بلغاريا في الآستانة أن يؤلب الدول الأوروبية على عبد الحميد حين قال إنه من طراز السلطان محمد الفاتح الذي سبق له أن طرق بجيوشه أبواب أوروبا وأن عبد الحميد يهدف إلى إعادة عظمة الدولة وإعادة مجد المسلمين ، فعليكم تناسي خلافاتكم ومعرفة أي شخصية تواجهون . والمعروف في هذا الصدد أن السلطان عبد الحميد حين رفع علم الجامعة الإسلامية واستقدم جمال الدين الأفغاني إنما كان يحاول أن يتخذ خطة غاية في القوة والبراعة لولا أن عجل النفوذ الاستعماري والصهيونية بالقضاء عليه ، كانت خطته هي محاولة تعريب الخلافة وإيجاد الكيان العربي في قلب الدول الإسلامية نفسها ، وكان هذا هذا العمل من أخطر ما تنبه إليه الاتحاديون والماسونيون وخشوا أثره لو تحقق والواقع أن عبد الحميد كان بسبيل إحياء سنة السلطان سليم بتعريب الديوان وجعل اللغة العربية : اللغة الرسمية للدولة ثم السعى لتعريب الخلافة نفسها وصرفها عن الأتراك المحدثين ويرجع ذلك في نظر الكثيرين إلى أرومته العربية التي يرتبط بوشائجها عن أمة الهاشمية . والمعروف أن الدونما في مدينة سالونيك المجاورة لليونان حيث مقر المحافل الماسونية ومراكز الاتحاديين .

كانت منطلق حركة خلع عبد الحميد ، كما انطلق فيها بعد ذلك بسنوات الذين حملوا لواء إلغاء الخلافة . وكان واحد من الثلاثة الذين حملوا للخليفة وثيقة التنازل هو أحد الذين حملوا إليه وثيقة الصهيونية في القرض اليهودي نظير سباحة بدخول فلسطين وكان معنى هذا واضحاً أن الصهيونية قد استطاعت أن تزيل من طريقها أخطر عدو لها .

وكان تيودور هرتزل في كتابه «الحل الصهيوني» الصادر عام ١٨٩٥ ثم في المؤتمر الصهيوني العالمي عام ١٨٩٧ قد رأى أن تكون فلسطين أرض الدولة اليهودية ، ثم عقد المؤتمر الصهيوني مرة أخرى عام ١٩٠٨ وأصر على أن تكون فلسطين أرض الميعاد هي مقر الدولة اليهودية . فلما تحقق الانقلاب التركي انفتح باب الأمل أمام الصهيونية في فلسطين ، وقد عاونت الماسونية الاتحاديين في خلع السلطان عبد الحميد عن طريق خطة الزحف على العالم بقيادة ضابط مسلم عربي هو محمود شوكت ومعه عارف حكمه وقاصوه اليهودي وحين ولي الاتحاديون السلطان محمد رشاد كان نفوذ الاتحاديين والصهيونية والماسونية قد قرر كل شيء بالنسبة لتمزيق وحدة الأتراك والعرب عن طريق أخطر رجالهم : أحمد جمال الدين باشا . وقد أثبتت عشرات المصادر أن الماسونية كانوا يؤلفون القسم الأعظم من أفراد جمعية الاتحاد والترقي وإن كانت لهم اليد الطولى فيما أصاب الدولة ، ثم في قيادة حركة الجامعة الطورانية وتتركب العناصر العربية وأنهم أبعدوا العناصر العربية عن جمعية الاتحاد تحرراً من كشف مخططاتهم ، وكانت أخطر أعمالهم شق الأحرار العرب لأيجاد خصومة دموية تقطع كل أمل في الالتقاء بين العنصرين ، وإرغام الدولة العثمانية على دخول الحرب إلى جانب الألمان ، فلما انهزمت تركيا بانهازم الألمان تحقق كل شيء للنفوذ الاستعماري واليهودي معاً : ١- القضاء على الدولة العثمانية . ٢- تقسيم الأجزاء العربية بين فرنسا وإنجلترا . ٣- صدور وعد بلفور بإقامة الدولة اليهودية . ٤- تحويل الدولة العثمانية إلى دولة تركية قومية علمانية معادية للإسلام واللغة العربية . ثم كان للماسونية الصهيونية بالاشتراك مع النفوذ الأجنبي أن تحقق أخطر خطوات تمزيق الوحدة الإسلامية وهي إسقاط الخلافة . فهم الذين حرضوا مصطفى كمال الذي نذل كثير من الدلائل على أنه كان من دومة سالونيك وأنه كان من أخطر رجال الماسونية والاتحاديين ، ومما يذكر في هذا الصدد أن معاهدة لوزان قد رافقها مقررات سرية كانت تحتم إسقاط الخلافة العثمانية وإلغاء وجه تركيا الإسلامي العربي (٣) ما هو الخطر الذي واجه العالم الإسلامي ويواجه نتيجة للحركة

الصهيونية وإنشاء إسرائيل في فلسطين قلب الوطن العربي: الواقع أن الصهيونية كانت تحدياً جديداً للعالم الاسلامي أصبح مع مرور الأيام أشد خطراً من الاستعمار نفسه ، بعد أن قطع المسلمون مراحل طويلة في مقاومة الاستعمار نفسه والادالة منه وتحقيق جانب من الانتصار عليه وهو إنهاء الاحتلال العسكري من أغلب أجزاء العالم الاسلامي وإن بقي الاستعمار الاقتصادي والثقافي مسيطراً ولكنه في طريق المواجهة والمقاومة . أما الاحتلال الصهيوني لفلسطين فقد أخذ صورة أكثر عنقاً من الاستعمار نفسه ، فهو استعمار استيطان من نوع أشد خطورة ، ففي بعض مناطق العالم الاسلامي عمد الاستعمار إلى تنفيذ الاستعمار الاستيطاني وذلك باستقدام مجموعات من الأجانب للإقامة في الأوطان المستعمرة (كما فعل الاستعمار الفرنسي في الجزائر) ولكن الاستعمار الصهيوني يختلف عن ذلك ويتميز بأنه كان أشد ضراوة لأنه طرد الشعب الأصيل ليحل هو محله . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أن الصهيونية عمدت إلى الإعلان عن مخطط واسع لبناء امبراطورية كبرى يجرى تنفيذها من النيل إلى الفرات ، مرت في مراحل مختلفة كان في مقدمتها وعد بلفور ١٩١٧ وإنشاء الدولة الإسرائيلية عام ١٩٤٧ متعدياً الحدود التي رسمها قرار التقسيم الذي رفضه العرب ثم التوسع الجديد الذي وقع ١٩٦٧ بضم القدس والضفة الغربية وصحراء سيناء وهضبة الجولان . هذا هو الخطر الذي واجه العالم الاسلامي منذ خمسين عاماً ، وإن لم تؤثر تحدياته في هذا الوطن كله إلا في السنوات الأخيرة بعد سيطرة اليهود على القدس وانتزاعها من المسلمين والعرب بعد أكثر من ألف عام عندما انتزعها الصليبيون واستردها صلاح الدين وبيدو أن الخطر الصهيوني الذي كان يمثل تحدياً للأمة العربية وحدها إلى ما قبل ١٩٦٧ قد أصبح اليوم خطراً أشد ضراوة بالنسبة للعالم الاسلامي كله ، إذا ما وضعنا في اعتبارنا التوسع الاقتصادي الذي تقوم به إسرائيل في قلب أفريقيا وسيطرتها على بعض الدول الاسلامية وذلك عن طريق النفوذ الاستعماري الذي يفسح لها المجال في كل مكان وهذا هو مصدر الخطر الذي يواجهه العالم الاسلامي ، حيث ينسحب الاستعمار التقليدي اليوم من مناطق كثيرة في نفس الوقت الذي يتسع فيه نفوذ إسرائيل كبديل له أشد خطورة وأعنف أثراً ولقد كان الاستعمار يرى في إسرائيل منذ إنشائها قاعدة لاستمرار سيطرته على العالم الاسلامي ، وكانت بريطانيا وأمريكا من بعدها ترى في الصهيونية بديلاً من الاستعمار الذي انتهى عهده ، ووسيلة لاستمرار رسالتها الاستعمارية والسيطرة الاقتصادية والثقافية على أجزاء العالم الاسلامي

ولا سيما منطقة قناة السويس الاستراتيجية والقدس التي يتمثل فيها نفوذ الأديان الثلاثة الاسلام والمسيحية واليهودية. وهذا ما عبر عنه السياسي البريطاني إميرى حين قال : « إن بريطانيا قد تأكد لديها أنه لن يحى مصالحها في الشرق الأوسط سوى إنشاء دولة صهيونية في فلسطين » غير أننا إذا ألقينا نظرة عميقة على أثر الحركة الصهيونية وقيام إسرائيل في العالم الاسلامي والأمة العربية نجد أن فلسطين كانت بؤرة الانتفاضة العربية الاسلامية . فهي في مفهوم العرب والمسلمين الحملة الصليبية التاسعة على العالم الاسلامي أو امتداد لهذه الحملات لتحقيق أهداف بعيدة المدى أهمها : أن تكون مركزاً انقراض للاستعمار على العالم العربي ، وبها يتحقق بقاء التجزئة والاقليمية وعزل الجناح الاسوي ، وإبادة شعب فلسطين العربي والاستيلاء على أرضه وليس أدل على الترابط بين الحروب الصليبية والغزو الاستعماري الحديث ، والسيطرة على فلسطين من تصريح اللورد اللنبي الانجليزى الذى قال حين دخل القدس : اليوم انتهت الحروب الصليبية ، وقول الجنرال غورو الفرنسى حين دخل دمشق : ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين - وبذلك جدد الاستعمار الرابطة بين وعد بلفور وبين الحروب الصليبية التي انتهت من ثمانمائة عام . وكان قيام إسرائيل في قلب العالم الإسلامى والوطن العربى ، مصدر صدمة خلقت يقظة عارمة حتى يمكن القول بأنها (بؤرة الانتفاضة) التي عرفها عصرنا الحديث ، وقد أرادها الاستعمار مؤامرة للقضاء على الأمة العربية وتمزيقها وتحقيق ما عجز عنه في الفترة التي بدأت منذ صراعه مع العرب ولقد حرصت بريطانيا أن تعد فلسطين لاقامة الدولة اليهودية منذ اليوم الأول لانتدابها ، ولكن العرب لم يستسلموا بالسهولة التي كانوا يتصورونها ، وقد سجل ذلك (وايزمان) في مذكراته حين قال : إن المقاومة الفلسطينية العنيفة أخرت تنفيذ البرنامج اليهودى في فلسطين إلى عام ١٩٤٨ بينما كان مقرراً أن يتحقق ذلك عام ١٩٣٤ على الأكثر . وبالرغم من أساليب العنف والضغط وحرق القرى الكاملة فانه في خلال ثلاثين عاماً (١٩١٨-١٩٤٨) لم ينتزع من العرب إلا ٦ في المائة من مجموع الأراضى وقد قام العرب في فلسطين مقاومة فعالة باسلة طوال الفترة منذ صدور وعد بلفور حتى قيام إسرائيل بالغدر ، دون توقف ولا تردد في تقديم التضحية بالمال والدم. غير أن النفوذ الاستعماري الحريص على قيام إسرائيل في قلب العالم الاسلامي قد حقق هذا الهدف بالغدر والقوة ، والأسلحة والخبراء ، عندما أعلن مجلس الأمن قراره بتقسيم إسرائيل إلى دولتين عام ١٩٤٧ وعندما استولت إسرائيل على

على فلسطين كلها عام ١٩٤٨ . هنالك بدأت يقظة فكرية سياسية بعيدة المدى في العالم العربي كله عمدت إلى تعمق هذا الخطر ومواجهته . حيث علت كلمة القومية العربية وجرت خطوات إلى الوحدة ، وبدأ أن المعركة مع الوجود الاسرائيلي هي معركة حياة أو موت ، غير أن الموقف قد زاد تعقيداً عندما أيد الاستعمار بكل قوته بقاء اسرائيل وعمل على دعمها وبعد أن ضعف نفوذ بريطانيا في المنطقة استطاع نفوذ الولايات المتحدة الذي حل محلها أن يقوم بدور التأييد والدعم لاسرائيل ، وما تزال فلسطين والاحتلال الاسرائيلي والحركة الصهيونية من ورائها هي أخطر تحدى يواجهه العالم الاسلامي والأمة العربية وما تزال فلسطين وبيت المقدس هي بؤرة الخطر الذي يدعو إلى التجمع والمواجهة .

(٤) الحركات الهدامة

ودعوات تغيير مفاهيم الإسلام

واجه العالم الاسلامي حركتين فكرتين : (أولى) هاتين الحركتين ، هي حركة اليقظة التي حمل لواءها دعاة التوحيد والسنوسية والمهدية وما حمل لوائه جمال الدين الأفغاني وعصبر نسكي والكواكبي وسيد أمير على وشبلى النعماني والألوسي والمراغى واقبال ومحب الدين الخطيب وحسن البنا وحركة المنار والازهر والشبان والاحوان المسلمون في مصر والمحمدية في أندونيسيا وحركة العلماء وندوة العلماء في الهند الاسلامية . هذه الحركة الاسلامية الاصلية التي بدأت من نقطة «التوحيد» وعملت على بعث مفهوم الإسلام الصحيح ديناً ونظام مجتمع لا ينفصل والتي أحييت القيم الاسلامية في الاجتاع والتشريع والسياسة والاقتصاد والتربية وجددت مفهومها على النحو الذي عرفه السلف الصالح مستمدة روحها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة أصلاً ، هذه الحركة كان يمكن أن تصل إلى نتائج جد خطيرة في بناء يقظة عالم عالم الإسلام في دعوتها إلى الجامعة الاسلامية وربط الدين بالمجتمع ، وإقامة أنظمة متجددة عصرية في مختلف المجالات لها قاعدتها وجذورها المستمدة من الإسلام أساساً ، لولا أن النفوذ الاستعماري واجهها بحركة أخرى حد عنيفة وخطيرة أيدها بنفوذ السياسي والعسكري وأتاح لها من المؤسسات والأساليب والقوى ما دفعها إلى مكان الصدارة في الجامعة والمدرسة والصحافة والثقافة وساند دعائها وأنصارها بأن أسند إليهم كبريات المناصب في القيادات السياسية والفكرية والاجتماعية بينما عزل قيادات الحركة الاسلامية الاصلية ونحاهما وجملها

في الظل حتى لا تكون ذات فعالية ، ومع ذلك فقد ظلت حركة اليقظة الاسلامية المبعدة عن مكان الصدارة من النفوذ الاستعماري أشد قوة بشعبتها وقد استطاعت بصحفها المتواضعة ومنابرها القليلة أن توقف نحو حركة التغريب والشعبوية وأن تقيد كل خطر من أخطارها وأن تهز الدنيا بصوتها في مواجهة حركات الاستعمار التغريبية التي قصدها إلى القضاء على الرأي العام الاسلامي في مثل حركات التبشير في مصر والسودان والتجنيس في تونس والظهير البربري في المغرب ودعوات الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان والبربرية في المغرب وبالرغم من أن الاستعمار استعان بعناصر الأقليات وقوى الطائفية على إقصاء المسلمين عن التعليم والثقافة والقيادة وتقديم غيرهم ، فقد استطاع المسلمون أن يواجهوا حركة الغزو الثقافي والاستعمار الفكري والتغريب والشعبوية بقوة وأن يكشفوا حركاتها وأن يفضحوها في كل خطوة ، وأن يحذروا منها جموع المسلمين ، وقد انكشفت خطط المستعمر إلى أسلوب جديد ودعوة جديدة وخداع جديد . أما الحركة الأخرى فكانت تمثل تحديات النفوذ الاستعماري مجتمعة في صورة دعوات اتصلت بالدين أو بالجنس أو بالقومية واستغلت نصوصاً قديمة انطوت صفحتها من أجل تعميق الخلافات وإثارة الشبهات وخلق أحزاب فكرية جديدة متضاربة بل وأيقظت خلافات قديمة كانت قد مانت فعلا وذلك حتى تحول دون التقاء العالم الاسلامي على وحدة فكر . وكان أبرز هذه الحركات الهدامة : في مجال الشعبوية والالحاد والاباحية والذهرية وأخطر هذه المؤسسات : الماسونية وارساليات التبشير وأخطر الدعوات البهائية ، ودعوات الاقليمية الضيقة ، والحركات ذات الطابع الاسلامي مظهراً والتي تحمل مفهوماً منحرفاً أو مضللاً كالكاديانية ، وكانت هناك قوى طابع أشد قوة وخطراً تحمل لواء مثل هذه الحركات الهدامة ، كما حدث في تركيا وأفغانستان وإيران وغيرها من بلاد العالم الاسلامي وبرزت وراء هذه الحركات أسماء دعاء وقادة أمثال : الباب والبهاء ومنها غلام أحمد وضياء كوك الب وطه حسين وسلامه موسى وأنطون سعادة . ولقد كانت أهداف مثل هذه الحركات واضحة أمام الرأي العام الاسلامي وليست في حاجة إلى من يكشف عن مخالفتها الصريحة لمفهوم الاسلام ومعارضتها الواضحة لخطر حركة اليقظة الاسلامية الممتد من الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى حركة الجماعات الاسلامية : الشبان والاخوان المسلمين في مصر والمحمدية في أندونيسيا وندوة لكنوفي الهند الاسلامية وحركة السلفية في المغرب وجمعية العلماء في الجزائر . ولكن كان هناك ما هو متداخل المظهر يحمل الخطر في أعماقه

وفي ظاهره يحمل اسم الإسلام مثل الدعوة القاديانية التي وإن كان امتدادها في أحمدية لاهور قد تحول تحولاً عن دعوة غلام أحمد غير أنه ما زال في حاجة إلى مزيد من الارتباط بمفهوم الاسلام ارتباطاً كاملاً . وقد حاولت دعوات الاقليمية الضيقة والدعوات القومية غير ذات المنابع والقيادات الاسلامية أن تفصل العروبة عن الاسلام ، أو تفصل قطراً من الأقطار عن باقي أجزائه العربية أو اخوته الاسلامية ، كالدعوات التي ظهرت في أوائل القرن وحملت شعاراً براق المظهر ولكنه يخفي الخطر كدعوات مصر للمصريين وسوريا للسوريين والسودان للسودانيين وتركيا للأتراك . هذه الدعوات وفي مقدمتها دعوة حزب الأمة في مصر ، الذي رسم المخطط الأساسي للقومية الضيقة إنما كانت تهدف إلى أمرين : ١ - الانفصال بمصر «جغرافياً وسياسياً» عن كيانها : العربي والاسلامى في رابقتها بالأمة العربية وفي رابقتها بدولة الخلافة والدول الاسلامية . ٢ - الانفصال بمصر فكرياً وروحياً عن كيانها الفكري الاسلامى وعن الثقافة العربية ذات الجذور الممتدة بتاريخ الإسلام واللغة العربية والفكر الاسلامى في مجالاته المختلفة : الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية والاعتماد على مفاهيم الفكر الغربى الخالص ذات الجذور المرتبطة بسان سيمون والحريين والليبريين منفصلة تماماً عن جذور الفكر الاسلامى في الثقافة والتربية والاجتماع . ويمثل لطفى السيد في كتاباته التي حملتها الجريدة : لسان حال حزب الأمة منذ (١٩٠٧ - ١٩١٤) مضمون هذه الفلسفة الاقليمية البالغة الضيق والتعصب والتجمل داخل المصرية والمنفصلة عن أبعادها السياسية والتاريخية واللغة والاسلام . وظهرت دعوات تحاول أن تجزئ وحدة وتكامل أرضية الفكر الاسلامى للأوطان الاسلامية ، هذه الدعوات الجزئية : التي حملت لواء التولستوية والغاندية ومن هذه دعوة الانفصال بين الربط الجذرى ، والتكامل العضوى : بين جوانب الاسلام المختلفة خدمة للفرد الاستعمارى بحجب مفهوم الجهاد في الإسلام ، أو إبراز مفهوم الاسلام فيه على نحو يختلف عن تكامل الاسلام في الجمع بين السلام والجهاد في منطق واحد ، ومن هذا ما دعا إليه أمثال عبد الرازق أو مادعا إليه غيره من الفصل بين الدين والضمير ، أو ما حوله الآخرون من إعلاء آراء السلام الذى جمع بين المسيحية وتولستوى وغاندى بحسبانه مذهباً يصلح للفكر الاسلامى ويحرره من مفهوم الإسلام المتكامل : سلاماً وجهاداً وربطاً بين الدين والمجتمع ، وبين الروح والعقل ، وبين الإخاء الإنسانى ومقاومة الغزو الاجنبى والنفوذ الاستعمارى . وقد حملت معظم هذه الدعوات لواء

العناء للإسلام في جانب من جوانبها كما حاولت في إعلاء جانب له ، وتعطيل جانب آخر ولقد كانت البهائية والقاديانية من أخطر هذه الدعوات ، ولقد تلقفها النفوذ الاستعماري الذي دفعها أساساً وأوجد لها كياناً هاماً ، وأذاع بها وخلق لها أنصاراً حتى أن الاستاذ العقاد أضاف حركة البهائية والقاديانية إلى دعوات الإصلاح الإسلامي والتجديد فيه وضمها إلى الوهابية والسنوسية وحركات جمال الدين ومحمد عبده وأحمد محمد المهدي ، بينما غفل عن مخاطر هاتين الدعوتين ، ومن الحق أن يقال إن هذه الدعوات كانت تعمل لتغريب الإسلام أو لتسيحه ونقض الجانب الكفاحي له ، وإعلاء جانب السلام والرحمة على نحو يجعلها الإسلام نفسه ، وكان هذا العمل لحساب النفوذ الأجنبي والاستعمار الذي يعرف أن الإسلام يغذي في المؤمنين به الإيمان بالدفاع عن أوطانهم وحرثاتهم وأعراضهم حتى يموتوا شهداء في سبيلها ، وهو الخطر الذي يواجهه النفوذ الأجنبي والذي يحول دون توسيد الاستعمار وتحويله إلى مودة وصداقة وموالة من جانب العالم الإسلامي . كانت هذه الدعوات وفي مقدمتها : البهائية وهي ترمي إلى توحيد الأديان والقاديانية التي تنقض الجانب الكفاحي في الإسلام ، إنما تهدف جميعاً إلى محاولة تغيير مفاهيم الإسلام والقضاء على فريضة أساسية في الإسلام هي : الجهاد والكفاح ضد المستعمر ونزع الجانب الأعلى الذي يتميز به عن الإسلام عن غيره من الأديان فالإسلام دين ونظام مجتمع ، كما تدعو إلى تمسح الإسلام وإعطائه طابع من الموادة بحيث يجعله يتقبل النفوذ الاستعماري ويرضى به كأنما هو قدر مقدور وإذا كان غاندي أو تولستوي قد حمل لواء هذه الدعوة فإنما كان ذلك في مواجهة تحديات تختلف عن الخطر الاستعماري الجارف الذي اكتسح عالم الإسلام كما تتعارض أصلاً مع مقومات الإسلام الذي يحمل دوماً في جوهر مفاهيمه عنصر المقاومة والجهاد للغزاة والمغربين والمحتلين والمستعمرين ، والحيلولة دون انصهار المسلمين في غيرهم أو القضاء على شخصيتهم الأساسية الجامعة بين الروح والقلب والدين والعلم والدنيا والاخرة وقوامها التوحيد الخالص . ومن هنا كانت دعوة التجديد أو العلمانية أو تحرير الفكر إنما تحاول أن ترمي هذا المفهوم بأنه تعصب ، وكان مفهوم تسامحها وتحررها إنما يهدف إلى تقبل الاستعمار الغربي تقبل الرضى والإعجاب والتقدير والموالة ، وبمالة النفوذ الأجنبي ، ولم يكن ذلك ممكناً إلا بتغيير أصل جذري في مفهوم الإسلام وهو إلغاء «باب الجهاد» ولذلك

فقد كانت الدعوة إلى التماس مفهوم الإسلام الأصيل المستمد من القرآن هي عامل المقاومة الأكبر للنفوذ الأجنبي والتغريب .

١ - البهائية

ظهرت البهائية في إيران والقاديانية في الهند . أما البهائية فتجمعت فيها جوامع الباطنية والحلول والاتحاد وآراء الشيعة الغالبة وفلسفات الوثنية واليهودية والمسيحية وأساطيرها ومزيج من آثار التنجيم والتأويلات ، وقد برزت في ثوبين : ثوب البابية ثم ثوب البهائية الذي استوت إليه . ظهر ميرزا علي محمد (الباب) عام ١٨٤٢ . وقتل الباب عام ١٨٥٠ بعد أن ثار فتنة كبرى وثورة عامة في زنجان ومازندران وتبريز من أعمال فارس ولم يترك الباب منهجاً اصلاحياً وإنما ترك كتاباً عرض فيه لبعض نظريات العقائد وقضايا الباطنية : وفرائض البابية ركعتان في الصباح والكعبة عندهم في مسجد شيراز ، وصوم شهر آخر من نزول الشمس ببرج الحوت . ثم انقسمت البابية إلى رجلين من خلفائه : صبح أزل وعرف أتباعه باسم الأزلية وميرزا حسين الملّقب بالبهاء ، ومات بهاء الله عام ١٨٩٢ مخلفاً في زعامته عباس البهاء الذي تبناه الاستعمار البريطاني وأتاح له الفرصة لإذاعة آرائه منذ سنة ١٩١١ في كل مكان وأقام في القدس فترة ثم زار مصر وزار أمريكا وأوروبا ومات في نوفمبر سنة ١٩٢١ وخطب في كثير من الكنائس والمعاهد العلمية ودعا إلى توحيد العالم البشري وترك العصبية المذهبية والعنسية والسياسية وبين أن مطالب الرسل واحدة وقد منحت الحكومة البريطانية لقب « سير » شكراً له على ما أبداه من الكرم والإكرام للجنود البريطانية خلال الحرب وقد احتفل بدفنه السير هربرت صمويل المدرب السامي البريطاني لفلسطين (اليهودي الأصل) ويمكن أن يقال إن هذه الدعوة في بلادها ربما كانت لها بواعثها وأهدافها التي قصد إلى تشجيعها النفوذ الإستعماري في إيران ، أو ما يتصل بالعقائد والدعوات السارية في بلاد الفرس ولكن براعة النفوذ الإستعماري كانت قادرة على الإعلان بها وإذاعتها والاستفادة بها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي لإثارة الشكوك في النفوس . وقد حملت الصحف المصرية - في هذه الفترة - لواء التبشير به فتحدثت عنه طويلاً ، واهتمت به اهتماماً كبيراً وأطالت عرض مذهبه ودعوته (المجلة الجديدة والهلل والعصور) واستمرت الأهرام زمناً طويلاً تكتب عن هيكل البهائيين في نيويورك ومصر وترجمت عدداً من المؤلفات المختلفة عنه .

وحملت الصحف تفاصيل كاملة عن مبادئ المذهب البهائي ودعت الناس إليه بحسبانه آخر الأديان وأسلمها وأبعدها عن خلافات الأديان واضطهادها . وكشفت الصحف وكتابتها عن موالاته وأمل في أن تجتاح الإسلام وتغري أهله بالدخول فيها وقال سلامة موسى إن هذا الدين أي البهائية يختلف عن المسيحية واليهودية حيث لم يقتل أحداً من مخالفيه لأن مبادئه تدعو قبل كل شيء إلى السلام قال : ونحن نحسب أن يلقي هذا الدين تأييداً في مصر حتى ينتشر بين الطبقات التي لا تجد من الأديان السائدة أو من الآداب والعلوم ما يقنع نفوسها ، وفي الدعوة إلى البهائية كبت للتعصب ودعوة إلى آخاء البشر وإن البهائية تنزل على حاجة العصر الحاضر الذي يكره تعدد الأديان وما يجلب من مخالفة بعضها البعض من تحيزات وتعصب (المجلة الجديدة فبراير ١٩٣٠) . وكذلك كتب اسماعيل مظهر في مجلته «العصور» عن البابية والبهائية وعباس أفندي ثم فصل مبادئ المذهب البهائي ، وكتب في ذلك عباس العقاد وعمر عنایت والدكتور صروف ورددوا إدعاءات البهائية في القول بوحدة العالم الإنساني وأن أساس الأديان واحد ، وأنها جماع المسيحية واليهودية والإسلام وتوحيد لغات العالم ومساواة الرجل بالمرأة ونبذ العصبية وأنها محاولة لاتحاد الشرق والغرب والأديان والأجناس وزوال الحروب » وقد أعلنت مجلة المقتطف ١٩٠٠ عن أول كتاب عن البهائية (الدرر البهية) وقالت فيه بإنكار كون القرآن معجزاً ببلاغته وصاحته وفيه تأويل آيات القرآن على ما ينطبق على بدعتهم ولم تتوقف دعاة اليقظة الإسلامية عن مواجهة هذه الحملة التي كانت تهدف أساساً إلى مهاجمة الإسلام وانتهاز فرصة كل دعوة أو حادث لمعاونة إذاعة شبهات الانتقاص من الإسلام ولم تفلح كل وسائل الدعاية الواسعة في أكبر الصحف وبأكبر الأقلام في كسب واحد من المسلمين لهذه الدعوة ، ولم يحقق التهليل الكبير شيئاً بل ماتت الدعوة البهائية في مصر كما كانت في مختلف العالم الإسلامي وانكشفت أهدافها من بعد ، حين ظهر أنها إحدى فروع الحركة الصهيونية وأنها من روافدها وامتداداتها . ولم يكن يعرف خلال هذه الفترة منذ ودع سير هيرت صمويل مؤسس الدولة الصهيونية في فلسطين جئان عباس البهاء تلك العلاقة بين البهائية والصهيونية والماسونية حتى انكشفت في السنوات الأخيرة حين اجتمع المؤتمر العالمي البهائية في إسرائيل (١٩٦٨) بعد وفاة عباس البهاء بخمسين عاماً . وتكشفت تلك العلاقة في إن البهائية التي تدعى العمل على إزالة جميع الأديان : اليهودية والمسيحية

والإسلام لم تكن في الحق تهدف إلا لمواجهة الإسلام وحده . ولقد كان يعرف ذلك كثير من الدين أولوا هذه الدعوة اهتمامهم ويقصدون إليه ، فليس الإسلام الحق هو الذى فرق بين الأجناس أو أثار الحروب بين الأمم ، أو الذى أضر وحدة الجنس البشرى وليس الإسلام هو الدين الذى بدأ برفضه أصحاب العقول والأرواح والذين يتلمسون المفاهيم الصحيحة عن طريق العلم أو العقل أو التجربة . ولقد اندلعت الدعوة إلى البهائية في العالم الإسلامى ومصر بالذات في نفس الوقت الذى كانت الصهيونية تركز قواعدها في فلسطين ، وحيث كانت الحركة التبشيرية في العالم الإسلامى تؤكد وجودها . وقد كشف عن ذلك بعض كتاب هذه الفترة فقد وصف المرحوم (محمد محمود بدير) البهائية بأنها أشد خطراً من المبشرين . وقال إن أساليبهم تختلف عن أساليب المبشرين وتفوقهم ولهم في إباحيتهم الأخلاقية أكبر مبرر لهم ، وقال : إن الذين يمدون المبشرين بالأموال يمدون البهائيين ، وانه إذا كان ثم فارق بين الحركتين فانهما يلتقيان عند نقطة أساسية مرجوة هي إخراج المسلم من عقيدة الإسلام ، ثم قال إن هذا المخطط في بلاد الشرق وخاصة مصر إنما يمثل مؤامرة واسعة النطاق محكمة الأطراف على الإسلام وتعاليمه ولم تتوقف الدعوة إلى البهائية بل ظلت تتجدد سنوات بعد سنوات ، وفي كل مرة تجد من كتاب المسلمين ما يكشف عن جوهرها يقول العلامة فريد وجدى : إن دعوة البهائية إلى اتحاد الأديان قد سبقت إليها الإسلام وأسمه على أقوى الأصول فقرر إن أصل الأديان واحد ، فوحدة الدين هي الأساس الذى يقوم عليه الإسلام ، وأن طموح البهائيين لأن تكون ديناً عاماً يقضى بالعجب ، لأنها ليست بدين سماوى ، وليس فيها من الأصول والمبادئ ، مما يلفت العقول إليها بعد أن بالغت في عرض نفسها على الأمم فضلاً عن أن البشرية ليست في حاجة إلى دين جديد بعد الإسلام فانه استكمل شرائط الدين العام وأبلى هي من الإسلام الذى تبنى أمماً قوية ومدنيات فاضلة في خلال عصور متعاقبة ولا يزال على مثل حيويته الأولى حتى ليتوقع فلاسفة كثيرون ومنهم برناردشو أن مبادئ الإسلام توشك أن تعم العالم أجمع ، ويقوم الإسلام على أصلية ضمنت لها التعميم والخلود تلك هي : موافقته للفطرة واعتمادها على العقل والعلم ، فأين البهائية من هذا الموقف العلمى الحق ، وهي تقوم على أصلين أحدهما عتيق غامض ، قال به أفراد من محبى السبح في الخيالات ، وهي تصوير ذات الله بصور المخلوقين ، وثانيهما وهو صرف الألفاظ عن ظواهرها في مجال فسيح للظنون والأوهام والخيال «إن كل تجديد في مجالات النظم

الاجتماعية والتطورات الفعلية وكل نجاح يصبه دين أو نظام يكون مناسباً للقدر الذي يحمله الناس من الوفاء للحاجات المناسبة للأمم والشعوب ، تدعى البهائية أنها أتت بجديد من الأصول لم يدر في خلد المصلحين قبلها كاتحاد الأديان وترك العصبية واتحاد الأجناس والسلام العام ومساواة المرأة بالرجل « أما ما سموه باتحاد الأديان فقد سبق إليه الاسلام وأسس على أقوى الأصول وأحاطه بأحكم الدلائل ، فقرر أن أصل الأديان كلها واحد ، وأن الخلافات التي بينها ما حدثت إلا لسبب ما أدخله قادتها من الأوهام . فالاسلام يفرض على أهله القول بوحدة الدين فرضاً ويأمرهم بالاعتقاد بجميع الرسل من غير تفریق . أما السيد محب الدين الخطيب فقد عرض للبهائية من الناحية التاريخية : فأشار إلى هدفهم الأساسي في محاربة اللغة المشتركة في العالم الاسلامي ، وذلك حين أعلن البهائيون انسلاخهم من الإسلام واشتد بهم الحرص على محاربه من كل ناحية ومنها لغة الإسلام العالمية وهي لغة القرآن العربية فكان عن عناصر دعوتهم استنكار عالمية اللغة العربية المشتركة - لغة الصلاة والعلوم الإسلامية في العالم الإسلامي فتامروا على قطع الصلة بين المسلمين وتراثهم العلمي الذي تعاون أعلام المسلمين على تكوينه ، لذلك قام البهاء بالدعوة إلى إيجاد لغة أخرى تكون لغة الأمم فأخذ يدعو إلى اختراع لغة صناعية جديدة وأضاف إلى ذلك أن البهائية تنكر المعجزات المحمدية واعجاز القرآن .

(٢) القاديانية

أما الدعوة القاديانية التي ظهرت في الهند فقد ارتبطت بالدعوات التي عمد النفوذ الاستعماري البريطاني إلى أضفائها على تفسير القرآن والتي ارتبطت بهدف أساسي هو تحريف مفهوم الإسلام فيما يتعلق بجهاد المحتلين والمستعمرين والغاصبين وهو ما حاوله « أحمد خان » في تفسيره المشهور عنه للقرآن ، أما غلام أحمد القادياني فقد كان صريحاً واضحاً حين أعلن أنه ربيب بريطانيا ووليها والمؤمن بوجودها ، وأن دين الإسلام لم يكن دين جهاد بل دين سلام . وقد كان غلام أحمد موظفاً عند الإنجليز ويشيد في خطبه وكتبه بذكرهم ، وما يروى عنه قوله : أن الوقعة في جانب الله أهون من الوقعة في جانب الإنجليز . أعلن رسالته إلى العالم عام ١٨٨٩ وهو في الخمسين من العمر ، وأدعى أنه نبي ومجدد ومهدي ومسيح وأدعى أنه المهدي المنتظر المنتظر الذي يترقبه المسلمون جميعاً ودعا إلى جهاد سلمي لا جهاد تراق فيه

الدعاء مع تأكيد الولاء للحكومة البريطانية . ومن ذلك قوله : « إن مهمة المهدي هو الدعوة إلى السلام ، أما الجهاد فيجب ألا يقوم على امتشاق الحسام بل على وسائل سلمية » وبذلك أسقط فريضة الجهاديين من الفرائض الإسلامية وحبب إلى أتباعه المسالمة والتسامح ونهاهم عن التعصب . وقد أمنت الحكومة جانب هذه الحركة وأيدتها في الوقت الذي كانت تحارب فيه كل دعوة صادقة . وأتاحت الفرصة له في نشر مؤلفاته وإصدار عدد من المجلات وخاصة مجلة الأديان باللغة الإنجليزية ونظم الدعوة القاديانية ملامح من البهائية : فهي تقوم على التوفيق بين الأمم ومن كلام غلام أحمد ما يشبه القول بالحلول فهو يتلبس بروح السيد المسيح وروح كرشنا رب الخير عند البراهمة . وفي مذهبه إنكار صريح لصلب عيسى ورفعته إلى السماء . كما أدعى أنه يوحى إليه وأنكر نبوة محمد ، مع إعلان الولاء للمملكة فكتوريا وإعلان إبطال الجهاد ، وقال أن محاربة الإنجليز حرام في دينه ، وقال عن الدولة البريطانية بالنص في كتابه (الهدى والتبصرة لمن يرى) ص ٢٦ ج ١ : « ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنا من خدامها ونصائحتها ودواعي خيرها من قديم ، وكان والدي غلام القادياني من نصحاء الدولة البريطانية وكان أبي قد أمدها - أي الدولة البريطانية - بخمسين فارساً بخيولهم مدداً منه في أيام المفسدة (أي أيام ثورة المسلمين في الهند على الاستعمار) : ولا شك أن هذه النصوص وحدها كفيلاً بأن تكشف عن دوافع الحركة وأن الاستعمار البريطاني قد قصد بها إلى تغيير مفاهيم الإسلام أساساً ، وأنه اختار لها من أوفى لبريطانيا حتى اعتبر ثورة المسلمين عليها ، هذه الثورة التي تعد من مفاخر المقاومة الإسلامية والجهاد الشريف اعتبرها : « مفسدة » . ومن الحق أن يقال أن ظهور القادياني قد أحيط بالشبهات ولقي من تشجيع الحكام البريطانيين أن لم يكن بايعازهم أصلاً ما لم يكن مألوفاً منهم من معاملته ، ثم جاءت فتواه بقبول الحكم الأجنبي وتفسير الجهاد على هوى بريطانيا مرجحاً عند الكثيرين لتلك الشبهات ، وقد تعهد القادانيون بالدعاية للحكومة البريطانية وانتهزت بريطانيا الفرصة فسادتهم على الدعوة لإلغاء الجهاد وتفريق كلمة المسلمين . وقد هاجم المسلمون المصلحون الهنود هذه الدعوة الهدامة وقال العلامة محمد عبد العليم الصديقي : أن عقيدة هذه النحلة الضارة فاسدة ، وهي التي أضرت بالإسلام والمسلمين ، كما هاجمها المصلحون في كل مكان وكشفوا عن زيفها ومن ذلك ما يقوله العلامة فريدو جدي : لقد جرت سنة الله أن يرسل إلى الناس رسلاً لهدايتهم إلى الطريق

الحق فصحت رسالة واحد منهم انقلابات اجتماعية خطيرة وحوادث تطويرية كبيرة ، تجاوزت باصداء حركاتها في أرجاء الأرض ، فاین ما يدعيه غلام أحمد ، لقد مضت على دعوته ستون سنة فلم يتبعها إلا أفراد من السذج ، لقد تجشمت جهداً لكي يثبت أنه نبي فاصطدم بالنص القرآني الدال على أن النبي محمد خاتم النبيين وأنه لا نبي بعده ، وأنى في هذا الباب بما لا يعقل من ضروب التأويل والتحريف . ولقد أولى الكتاب الأجانب من المبشرين والمستشرقين اهتماماً كبيراً بالدعوتين البهائية والقاديانية وعدوهما من حركات اليقظة الإسلامية وأدمجهما مع الوهابية والسنوسية وحركة جمال الدين الأفغاني حتى يفسدوا بذلك مفهوم حركة اليقظة ويعكروا مجراها الثرى النقي بآراء هذين الدعيين اللذين يحملان مفاهيم خارجة في أساسها عن المقومات الأصلية للدعوة الإسلامية . فادعاء كل من الداعيين بالنبوة لأنفسهما يقطع بأن هاتين الحركتين وأمثالهما إنما تندمج في الحركات الهدامة التي يتصل نسبها بحركات الباطنية والمجوسية والمزدكية وغيرها من الحركات التي قام بها الغلاة والخارجون على الإسلام ، ولا يمكن في تقدير النصفين أن تضاف هاتين الحركتين إلى حركات اليقظة والإصلاح الإسلامي الذي يجب أن تقوم أساساً على التوحيد والاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعيداً عن الحلول والاتحاد ووحدة الوجود أو القول ببطلان الشريعة الظاهرة والأخذ بالحقيقة الباطنة . وقد أشار العلامة أبو الكلام إزاد في كتابه التذكرة إلى ذلك الأمر فقال : ان غلام القادياني لم يدع يوماً من الأيام أنه نبي ورسول بل أتباعه وأنصاره هم الذين استغلوا اسمه وأضافوا إليه أقوالاً غريبة وأسسوا جماعة تبشيرية ، لكي يحصلوا على مركز بين أواسط الناس وإن الاستعمار استغل دعوة القادياني واشترى هذه الطائفة لأغراضه السياسية وتشكيك أبناء المسلمين في القيم الإسلامية . وقال : إن موالاة القاديانيين للإنجليز كانت مبنية على تشتيت القيم الإسلامية وقال الدكتور محمد اسماعيل الندوى : ان القاديانية دعوة سلبية رجعية أساسها المنامات والالهامات والخرافات . ويمكن القول بأن أبرز ما دعا إليه القادياني وركز عليه هو رفض المفهوم الإسلامي الصريح بأن الجهاد فرض مقدس لمقاومة المستعمر من مبادئ الإسلام ومن أهم فرائضه وإعلان تعاون مع الحكومة البريطانية وعدم تأييده لاي محاولة لتعويض أركان السيطرة البريطانية في الهند باسم الإسلام (راجع كتاب المسألة القاديانية : للموددى) . ويرى بعض المؤرخين : إن القاديانية ظهرت في الوقت الذي انتهت فيه الخلافة ، وتحرق المسلمون إلى إعادتها ،

وإن الحركة القاديانية كانت محاولة بريطانية ، وقد دافع نهر عن القاديانية . وكتب إقبال رسالة طويلة جعلها بمثابة دعوى مقامة على القاديانية ، وكانت المهمة الرئيسية أن القاديانيين لا يرون مكة وطنهم الروحي ولكنهم يتجهون بدلاً منها إلى قاديان ، وهذا يتعارض مع روح الإسلامى الدولى . ومن الحق أن يقال إن الحركة القاديانية قد تحولت من بعد وانصهرت في حركة الأحمدية ، التى يؤخذ عليها بعض الأخطاء . وكان أبرز عوامل التحول هو : المولى محمد على اللاهورى (١٩١٤ - ١٩٥١) الذى انفصل عن القاديانيين عام ١٩١٤م وأنشأ ١٩١٤ ما يسمى بالدعوة الأحمدية في «لاهور» وهى حركة لا تقبل بادعاءات القاديانيين وتنكر قولهم بالنبوّة . وتقول فرقة لاهور هذه أن غلام أحمد كان لا يزيد كثيراً عن مجدد للإسلام وتنفر مما تقوله الفرقة الأخرى «فرقة قاديان» من تكفير أهل السنة . وقد اتسمت الحركة الأحمدية بنشاط موفور في سبيل التبشير بالإسلام على نحو بارع واسع وصل إلى أقصى الأطراف وركز على أوروبا وقلب أفريقيا وطبع ونشر العديد من دراسات التعريف بالإسلام باللغة الإنجليزية فاستطاعت أن تكسب إلى الإسلام كثيراً من الاتباع . وكان لهم دورهم في الكشف عن طوائف الأديان الأخرى والدعوات المعادية للإسلام والكتب المنسوبة إليها ، آخذين بمبدأ الشيخ خوجا بنخش القائل باستعمال الأسلحة التى صاغتها أيدي الغرب وقد وضع الأحمدية كتباً كثيرة كما قدم محمد على اللاهورى ترجمة كاملة لمعانى القرآن وأبرز أعمال الأحمدية هى حركة التبشير التى انتشرت على نطاق واسع في الصين وأوروبا وجزر الملايو وجاوه وأفريقيا . ويعترف جميع الباحثين للأحمدية بالخدمة التى أدوها ويؤدونها وهى الدفاع عن الإسلام في مواجهة الدعوات المعارضة له وقد عرف لها النشاط الجهم الذى تبذله بعثاتها في بلاد الغرب للدعوة إلى الإسلام ، حيث تصدر الحركة الأحمدية اللاهورية صحفاً في لندن ومن أبرز دعائها الأستاذ خوجه كمال الدين وقد دافع كثير من نصفي كتاب المسلمين الهنود أمثال محمد اسماعيل الندوى عن السيد أحمد خان الذى نسب إليه رأيته في إيقاف الجهاد ضد الانجليز كمقدمة لحركة غلام القاديانى ، فقال أن مسألة أحمد خان للإنجليز كانت لمصلحة المسلمين وترقية أحوالهم وهو يشبه في ذلك الشيخ محمد عبده في مصر ، أما موالاة القاديانيين للإنجليز فكانت مبنية على تشتيت القيم الإسلامية

(٣) الماسونية

وكانت الماسونية من الدعوات الخطيرة التى أثبتت في أنحاء العالم الإسلامى منذ وطد

النفوذ الاستعماري أقدمه في هذه المنطقة ، وقد ظلت سنوات طويلة تخدع الناس بأنها حركة خير وإحسان ومعاونة تحمل الطابع الإنساني الخالص حتى تكشف مخططاتها في أوائل هذا القرن على أنها أداة النفوذ اليهودي الطامع في السيطرة وفتح الطريق أمام مطامعه ثم تكشف بعد ذلك بقليل أنها مقدمة الصهيونية وطلبتها ، ثم عرف من بعد أنها لم تنطفيء بعد بظهور الصهيونية ولكنها مضت ولها مخطط خاص وعمل كبير . فالماسونية طليعة التحرك اليهودي الواسع الذي أنشأ عدداً من المؤسسات لتحقيق أغراضه منها الحفي كالماسونية والظاهر - بعد أن مهدت له الطريق كالصهيونية والمعروف أن الصهيونية واجهة تخفي وراءها مطامع اليهودية أعطيت طابع العنف والجرأة بينما أعطت واجهة الماسونية السابقة لها طابع الخفاء والغموض ، وكلها تلتقي مع دعوات أخرى ربما كان مظهرها مختلف كل الاختلاف في سبيل فرض نفوذ اليهودية العالمية ، من خلال ايدلوجية تحاول أن تستمد مفاهيمها من التلمود وتقوم على إحياء شعب إسرائيل ولغته ودينه وإعادة بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى . في هذه المرحلة الأولى للحركة اليهودية كانت الماسونية هي الطليعة أو القوة الكاشفة حيث كان ذلك قبل الثورة الفرنسية بأكثر من ستين عاماً والتي كانت الثورة الفرنسية نفسها أكبر ثمارها وأبعدها أثراً ، والتي حققت مساواة اليهود بالمسيحيين في أوروبا ، ومكنت لهم الخروج من الجيتو والمشاركة في الحياة العامة والقدرة السريعة على تسم أرقى المناصب السياسية والاقتصادية والسيطرة في وقت قصير على مقدرات أوروبا واخضاعها فكرياً ودينياً واجتماعياً لنفوذ التلمود كمقدمة للسيطرة العامة وإقامة الامبراطورية والحكومة العالمية على النحو الذي صورته بروتوكولات صهيون ، لذلك فقد كانت صيحة (الثورة الفرنسية) : حرية - إخاء - مساواة . إنما تعني أساساً مساواة اليهود بالعناصر الأخرى وقد تمت خطوة الثورة الفرنسية عن طريق عمل متصل قامت به المحافل الماسونية في فرنسا وأحاء أوروبا المختلفة وحققت بالغدر والقتل إزالة كل من وقف في طريقها . وقد استهدفت الدعوة الماسونية منذ اليوم الأول هدفاً محدداً يتمثل في رمزها « البنائون الأحرار » وقد كثر التساؤل عن هذا البناء الذي يحاولون تشييده وهو الذي يظهر واضحاً من خلال الأنظمة والتشكيلات الماسونية : ويعني بناء هيكل سليمان في القدس . وقد استطاع كثير من المؤرخين الذين تعمقوا الأحداث أن يكشفوا العلاقة الوثيقة بين الماسونية وبين الثورة الفرنسية ، وفي مقدمتهم المسيو تومرو الذي نشر مذكراته التاريخية عام ١٩١٢ والذي أكد في صراحة بأن الثورة

الفرنسية كان ضابط أزمته في أيدي الماسونية وأنهم هم الذين دبروا كل فصولها ولعبوا كافة أدوارها وما كان قبل لويس السادس عشر سوى تنفيذ لأحد مآربهم التي كانوا قد اتفقوا عليها في المحافل الماسونية « يقول المؤرخ نموترو : وبعد أن ملأ الماسون فرنسا دماء وفظائع أدخلوا يعممون الثورة في كل أنحاء أوروبا بواسطة جيوش الجمهورية الماسونية تنفخ روح الثورة حينما تحل فكم ثلث من عروش وكم قلبت من دول وكم عارضت من ملوك ، ومنها الفوضيون وأهل النهلست . وقد أشار المؤرخ هرماغروير : أن الماسونية حركة تكونت في لندن عاصمة الانجليز عام ١٩١٧ ثم وضعت الدستور الماسوني ، وقد انحاز لها ملوك انجلترا الذين وجدوا في الماسونية مساعداً قوياً على تنكيس الدول الكاثوليكية ، وقد أحصى الاحصائيون في مدة مائة عام عدد الملوك والرؤساء الذين قتلوا بمساعي الصهيونية فاذا هو ينيف على الثلاثين ومن إنجلترا تسربت الماسونية إلى سائر أنحاء أوروبا ولم تنزل تقوى وتشتد بكل الوسائل التي في وسعها حتى إنفجر بركانها بالثورة الفرنسية ثم تبعها الثورة الأوربية العامة وكان لها أثرها في البرتغال والدولة التركية. وأشار الأب لويس شيخو إلى الماسونية عام ١٩١٢ في مجلته المشرق كان قد مر عليها مائتي عام بأن لها ما يزيد على ثلاثة وعشرين ألف محفل وأعضاؤها مليون . وقد أشار جرحى زيدان وشاهين مكاريوس مؤرخا الماسونية وأبرز دعايتها في العالم العربي ، إلى أن الماسونية دخلت بيروت عام ١٨٦٢ وتجددت عام ١٨٨٨ وفي عام ١٨٦٩ تأسس في بيروت محفل آخر لغته العربية وأن الذين اشتركوا في هذه المحافل كانوا من الروم والبروتستانت واليهود وبعض أفراد من الكاثوليك والموارنة والمسيكين والأرمن ، وكان للماسونية في بيروت جريدة المشير وكانت رسالتها على حداثتهم : تعاون كل المذاهب والأديان إلا المذهب الكاثوليكي . ثم تعددت المحافل في فلسطين ودمشق وحمص وحلب وانطاكية وأدنة وقد خدع بعض المسلمين خلال فترة نضال النفوذ الأجنبي الأولى فظنوها وسيلة للتحرر من ظلم المستبدين ولكنهم لم يلبثوا أن اكتشفوا أنهم خدعوا ، وعرفوا دخالها وفي مقدمة هؤلاء محمد عبده كما أخبر عن نفسه راجع (مجلة المنار السنة ٦ ص ١٩٦ والسنة ٨ ص ٤٠١) كما كشف حقيقتها السيد جمال الدين الأفغاني خلال إقامته في مصر والأمير عبد القادر الجزائري خلال إقامته في دمشق ، وقد كتب كثير من يقطعة المفكرين العرب والمسلمين عن أخطار الماسونية وكشفوا عن دخالها وفي مقدمتهم [الأب لويس شيخو اليسوعي] في كتابه : السر المصون في شيعة الضمسون (مجلة المشرق م

م ١١ و ١٢) ومحمد بن عز الدين العالمي في كتابه : كشف الظنون عن حال الفريسيين .
وكان في مقدمة دعايتها يوسف الحاج صاحب مجلة الوقائع الماسونية . في لبنان وشاهين
مكاربيوس ونعوم شقير وعزيز ميرهم وقد أجمع الذين اتصلوا بالماسونية عن قرب وحذروا
أهلهم من دخولها أن مبادئ الماسونية عموماً مرجعها إلى ذلك صروح كل مذهب ونقض
كل نظام . ٢- وقد كان للماسونية دوراً بعيد المدى في تفويض الدولة العثمانية ويمكن أن
تعزى أكثر الأحداث الخطيرة التي قامت على التآمر والصراع بين الطبقات والعناصر إلى
عمل الماسون وقد ارتبطت الماسونية بحركة جمعية الاتحاد والترقي وكانت عاملاً هاماً مع
مخطط الاستعمار الأكبر على تمزيق الدول الإسلامية الكبرى والسيطرة عليها . فقد أجمع
المؤرخون وتكشفت الحقائق في الفترة الأخيرة عن أن الماسونية كان لها اليد الطولى في إسقاط
الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة وخلع السلطان عبد الحميد ، وأن دعوتها الأساسية كانت تهدف
إلى بناء هيكل سليمان في مدينة القدس على أنقاض المسجد الأقصى وهو هدف خطير لم يكن
من السهل الإذاعة به ، ولكن جميع مخططات الماسونية كانت تصل في النهاية إلى هيكل
سليمان كرمز أكبر ، وهذا الهدف الذي حملت لواءه الماسونية ما زال هو أكبر أهداف
الصهيونية منذ ظهورها إلى الآن وللماسونية يرجع الأثر الأكبر في إذاعة صورة كربة للسلطان
عبد الحميد الذي يمثل أقوى مراحل المقاومة للنفوذ الصهيوني وموقفه من الصهيونية المشرف
الواضح ما زال يحمل طابع الشرف والكرامة لهذا الرجل الذي أحيط بصورة خطيرة
من الاتهام . فقد وقف موقف المدافع عن القدس ، ورفع لواء الوحدة الإسلامية في وجه
النفوذ الأجنبي الخطير في جبهاته المختلفة . ورفض أن يمنح اليهود شبراً واحداً من أرض
فلسطين بالرغم من العرض الضخم الذي تقدموا به إليه في وقت كانت الدولة في أشد
حالات العجز المالي والالاس . وقد كان الحديث وما زال عن الماسونية غامضاً ، ويحاول
البعض الفصل بين الماسونية والصهيونية ، وبين الصهيونية واليهودية وما يذكر
أن اليهودى واكتشت من كبار دعاة اليهود سئل عام ١٩٢٧ : ما هي الماسونية فأجاب :
الماسونيون الأحرار هم أولئك الذين يبنون المملكة اليهودية العالية والواقع أن أهداف
الماسونية معروفة للمسلمين منذ وقت بعيد وقد تبينوا هدفها في أوائل هذا القرن وقد أشار
رشيد رضا إلى الماسونية في عديد من دراساته في المنار فقال إنها تأسست لأجل هدم الحكومة
الدينية البابوية ، وأن الواضعون لأساسها الأول هم اليهود وغرضهم إعادة ملك سليمان

إلى شعبهم في القدس وإعادة هيكله إلى ما وضع له في المسجد الأقصى ، وأنهم هدموا الحكومات المسيحية في أوربة غربياً وشرقياً والحكومة الإسلامية التركية والقبطية الروسية ، ثم ظهرت بعد ذلك جمعيتهم الصهيونية تستغل خدمتهم للانجليز في الحرب بالتوصل إلى إقامة حكومة دينية يهودية في فلسطين ويقول : أن الجمعية الصهيونية تكونت في أوربا خلافاً لما يزعمون من قدمها لمقاومة إستبداد رؤساء الدنيا من الملوك والأمراء ورؤساء الدين من البابوات والقسيسين وجعلوا رموزها وإشارتها قريبة من رموز المسيحية . وبعد فقد تعددت تيارات الدعوات والأخطار الوافدة إلينا من خارج العالم الإسلامي . من الحادية وعلمانية وقومية عنصرية ووطنية مجردة وإقليمية ضيقة ، ووثنية ، وما تزال هذه الدعوات تغير جلدها وتشكل في صور جديده وتحت عناوين جديدة وبأقلام جديدة ولكنها في مضمونها واحدة وأهدافها ما تزال واحدة وهي القضاء على وحدة الفكر الإسلامي والحيلولة دون التقاء الأجناس والعناصر المختلفة ذات الثقافة الواحدة وما تزال هذه الدعوات والتيارات البالغة الخبث والمكر تتخفى وراء أسماء براقة ومصطلحات لامعة وشعارات مغرية ، تقوم على فلسفات مدروسة ولكنها في أعماقها لا تستهدف إلا القضاء على كيان العالم الإسلامي وقيمه ومفاهيمه ودفعه إلى بوتقة العالمية لصره فيها صهراً كاملاً ومن الدعوات التي ظهرت في العالم الإسلامي وأفسح لها النفوذ الاستعماري وجوداً وأحاطها بالعوامل المختلفة لتبقى إلى حين خادعه مضللة ١- محاولة تغيير مفاهيم الإسلام والقضاء على قيم الجهاد والكفاح ضد المستعمر ولقد كان الجهاد الإسلامي دائماً هو الوسيلة الفعالة في إخراج المحتلين وفرض العين عندما تدخل بلاد المسلمين الغزاة وبذلك استهدفت هذه الدعوات حماية المحتلين وترسيخ أموالهم ، وتفريغ الإسلام من مضمونه الأصل باعطائه طابع السلام الذي لا يقوم على الحق ، وفي هذا الاتجاه استغلت المفاهيم المسيحية دعوات غاندى وتولستوى . وقد برز ذلك واضحاً في البهائية والقاديانية . فقد حاولت البهائية الدعوة إلى إلغاء حكم الميراث تحت ستار المساواة بين الرجل والمرأة بغية خلخلة التشريع الإسلامي كله ٢- محاولة تغيير مفاهيم الإسلام من حيث ترابط الإسلام بالمجتمع ونظامه الأخلاقي وأثر ذلك في التربية والسياسة والاقتصاد ، وذلك بتشجيع الادعاء الباطل بأن الإسلام دين روحاني . وقد برز ذلك واضحاً في دعوة الكمالين وكتابات على عبد الرازق . ٣- محاولة الدعوة إلى نقل الحضارة الغربية مع الثقافة جملة واحدة ، مع تجاهل الفارق بين الثقافة التي هي بطبيعتها

ذاتية قومية ، والحضارة التي هي عالمية وإنسانية ومن حق جميع الأمم . وقد برز ذلك واضحاً في دعوة طه حسين في مصر وأحمد أغايف في تركيا . ٤ - تمزيق وحدة المسلمين الفكرية والاجتماعية والروحية وذلك بإذاعة وتعميق دعوات الأقلية والمتوسطة وفصل العروبة عن الاسلام وإيقاع الخلاف بينهما ومحاولة خلق ما يسمى بالاسلام الهندي والاسلام التركي . ٥ - تدمير المؤسسات الاسلامية وهدم مقومات الاتحاد والترابط باحياء الخلافات بين الأجناس الاسلامية وتعميقها ، وقد كان للماسونية اليد الطولى في هدم الخلافة الاسلامية وفصل العرب عن الترك وخلع السلطان عبد الحميد وإسقاط الدولة العثمانية ، والماسونية تستهدف أساساً القضاء على الأديان في سبيل إبراز نفوذها ، وأن الصلة الوثيقة بين الصهيونية واليهودية العالمية وبين الماسونية لا تخفى على باحث مدقق لتتلاقى المصطلحات والرموز كما أن الصلة الأكيدة بين الماسونية والصهيونية واضحة جلية في الهدف والطابع والتخطيط . ٦ - محاولة الفصل بين الأمة العربية والعالم الاسلامي . فقد أيد النفوذ الاستعماري في العالم العربي دعوات قوية في مجالين مختلفين كلاهما يخرج عن مفهوم الترابط بين العرب والاسلام . الأولى : قومية ضيقة إقليمية تحاول أن تخلط بين مفهوم الوطن الأمة والثانية : قومية علمانية تحاول أن تفصل بين العروبة والاسلام . الثالثة : قومية علمانية تخاصم القوميات المجاورة التي ترتبط معها بأسس من الفكر والثقافة . وقد ظهرت الدعوة الأولى في مصر وسورية فحاولت أن تدعو إلى مصر للمصريين أو سورية للسوريين متجاهلة رابطتين لا سبيل إلى انفصال المصريين أو السوريين عنهما : هي الرابطة العربية بالأمة والرابطة الاسلامية بالفكرة . وقد سقطت كلتا الدعوتين ، وإن ظل الاستعمار يغذيهما كقوى عاملة في خدمته وقد غدى النفوذ الاستعماري هذه الدعوات لتحول دون نمو الدعوة التلقائية التي قامت إلى الوحدة العربية المفتوحة على العالم الاسلامي والتي لا تحمل طابع « العنصرية » الكارهة لغير العرب أو المناهضة لهم في محاولة للسير ضد التيار الطبيعي لالتقاء العناصر والأجناس التي جمعتها ثقافة واحدة وفكر واحد ودين واحد . غير أن مصر لم تلبث أن صححت مفهومها وحملت لواء الدعوة إلى الوحدة العربية ذات المضمون المرتبط بالقيم والمقدرات الملتقى مع الدوائر الافريقية والآسيوية جميعاً . وما يزال مفهومهما ينمو في أنحاء الامة العربية كلها ليكون المنطق الطبيعي في مواجهة الدعوات الهدامة والغامضة والسؤال : هل استنفذت تلك الفرق أغراضها ؟ الجواب : أن لا . فإن هذه الفرق ما تزال تعمل في الضوء تارة وفي الخفاء

تارة أخرى وما تزال أفريقيا حقلاً واسعاً لتحرك هذه الفرق والدعوات وبعد : فقد أوفى البحث عن الاستعمار والعالم الإسلامي إلى غايته في مجالاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية يبقى أن نعرض للتيارين الآخرين الذين واجههما العالم الإسلامي وهما : الغزوة الصهيونية والغزوة الماركسية إلى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى ثم نستعرض تحديات القرن الرابع عشر كله ومطلع القرن الجديد .

المصادر والمراجع (التى لم ترد فى صلب البحث)

- حاضر العالم الإسلامى : لوثرروب ستوارد ترجمة عجاج نوهض تعليق الأمير شكيب أرسلان .
- الإسلام فى التاريخ الحديث : ولفردي كانتول سميث .
- الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامى (موسوعة : الدكتور أحمد شلبى .
- العالم الإسلامى والاستعمار : أنور الجندى .
- الإسلام وحركة التاريخ : أنور الجندى .
- وجهة العالم الإسلامى : مالك بن نبي .
- الاتجاهات الحديثة فى الإسلام : محمد بهجت الأثرى .
- وجهة الإسلام : جب وجماعة من المستشرقين .
- الشرق الإسلامى : د. حسين مؤنس .
- التيارات القومية والمدنية فى تركيا المعاصرة : أحمد السعيد سليمان .
- أضواء على ميادين الفلسفة والدين : صلاح الدين السلجوقى (الأفغان) .
- الحياة الأدبية فى أندونيسيا : محمد فؤاد فخر الدين .
- الدعوة الإسلامية فى الهند : سليمان النبوى (الهند) .
- تقارير السيد عبد العزيز الثعالبى عن المسلمين فى الهند (جريدة البلاغ) .
- الإسلام : الصراط المستقيم : مجموعة من الباحثين (الدكتور دراز وآخرين) .
- النقد الذاتى : علال الفاسى .
- الأمة العربية فى معركة الذات : محمد المبارك .
- أبحاث مفرقة للدكتور جمال حمدان .

- الإسلام على مفترق الطرق : محمد أسد (كيوبولد فابس) .
- المسلمون والعرب : روم لاندو .
- ليل الاستعمار : فرحات عباس .
- إرادة القتال في الجهاد الإسلامي : اللواء محمود شيت خطاب
- الاستعمار والمذاهب الاستعمارية : محمد عوض محمد .
- صفحات من تاريخ الاستعمار : سليمان حزين .
- يقظة العالم الإسلامي : ف . فرنو - ترجمة بهيج شعبان .
- الإسلام : رسالة بقلم هاتو تو ورد محمد عبده وفريد وجدي .
- حضارة الاسلام في دراسة توينبي للتاريخ : فؤاد محمد شبل .
- الخطر الصهيوني : محمد خليفة التونسي .
- الإسلام والتجديد في مصر : تشارلس ادمز .
- سقوط الغرب : شينجلر .
- بين الديانات والحضارة : طه مدور .
- في التاريخ الإسلامي الحديث : محمد ضياء الدين الرئيس .
- الغارة على العالم الإسلامي : السيد محب الدين الخطيب .
- الفكر الإسلامي الحديث : دكتور محمد البهي .
- التبشير والاستعمار : عمر فروخ ومصطفى الخالدي :

الرسالة الثانية

العالم الإسلامي والغزو الصهيونية

بالرغم من مئات الكتب التي صدرت عن اليهودية العالمية وعلاقتها بالصهيونية والماسونية والماركسية وأثر ذلك في قيام إسرائيل وما يتصل بالرابطة بين اليهودية والشيعية وبين اليهودية والمسيحية ومحاولات تهويد المسيحية ثم السيطرة على الفكر الغربي المعاصر واحتوائه فإن دراسة ما ، لم تبدأ من نقطة أساسية هي « مخططات الفكر التلمودي اليهودي نفسه ومحاولاته في غزو الفكر الإنساني عامة والفكر الإسلامي على وجه الخصوص » وأثر هذه المخططات على حركة التغريب والغزو الثقافي الغربية المتصلة بالتبشير المسيحي والاستشراق (بشطريه الكنسي والسياسي) وما يتصل بالمذاهب الغربية الحديثة في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والنفوس والأخلاق والتربية . ومن هنا ، فقد وجب التصدي لهذا العمل الذي يعد بمثابة المنطلق الحقيقي والمفتاح الصحيح لفهم هذه الحركة الضخمة التي تعمل على احتواء البشرية في عقليتها وفكرها وثقافتها وعقائدها وفرض الفكر التلمودي عليها . ولا ريب أن اليهودية العالمية منذ استطاعت أن تمتلك إرادتها بالسيطرة على مجالات الثقافة والصحافة والفكر ودوائر المعارف الغربية ، قد عمدت إلى إبتعاث تراثها التلمودي القديم في محاولة لتقديمه للبشرية في صورة علمية حديثة وعلى شكل نظريات وأيدلوجيات ومذاهب وضعت في دقة وبراعة بحيث أمكن أن تبدو في صورة محايدة فترة طويلة من الزمن قبل أن ينكشف زيفها وهدفها المسموم ومصدرها التلمودي المادى الوثني القديم . ومن ناحية أخرى فهي قد عمدت إلى تقديم خطتها على أنها ليست من عمل اليهودية المعاصرة (بمطامعها وأحقادها) وإنما على أنها عمل متصل بالكتب المقدسة القديمة التي هي موضع تقدير المجتمع الغربي المسيحي المتدين ، وكان ذلك حين حاولوا الربط بين العهد القديم والعهد الجديد في كتاب واحد ، أو بين التوراة والإنجيل في مجلد جامع منذ ذلك الوقت البعيد ، الذي يمتد إلى عصر ما قبل الثورة الفرنسية والذي كان موضع القداسة لدى طائفة البروتستانت في إنجلترا وفي الولايات المتحدة وأجزاء أخرى من أوروبا ، وما يتصل بذلك من فرض ذلك على المناهج التعليمية في تلك البلاد بحيث تتلقى الأجيال الجديدة هذه الفكرة

على أنها عقيدة : فكرة ميراث اليهود وحدهم لأبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام عن طريق ابنه إسحق وحجب ابنه الأكبر إسماعيل وما يتصل بهجرة إبراهيم وإسماعيل إلى الجزيرة العربية وتجديد بناء الكعبة وما يتصل بارتباط العرب بإسماعيل وإبراهيم جيلا بعد جيل حتى ظهور الإسلام على يد النبي الخاتم : محمد بن عبدالله حفيد إبراهيم وإسماعيل والمجدد لدين إبراهيم بعد أن حرقه بنو إسرائيل . ولقد نشأت هذه الأجيال من إتباع البروتستانت على الإيمان بتلك الفكرة التي صاغها كتاب التوراة حين أعادوا كتابها خلال منقاهم في بابل وعلى يد كبيرهم [عزرا] بعد أن دمر تيطس النبطي ملكهم وأباد منهم عدداً كبيراً وحمل البقية إلى السبي البابلي . هناك حرف اليهود التوراة وضعوا هذه الفكرة العنصرية التي تتفق مع دعوتهم الظالمة «شعب الله المختار» واقاموها على أساس أن وعد الله لإبراهيم عليه السلام في أبنائه بإمتلاك هذه الأرض : هذا الوعد قاصر على ابنه إسحاق وذريته وحدهم ومن هنا يجيء الإدعاء التاريخي الباطل بحقهم في العودة إلى أرض الميعاد . لقد أذاعت اليهودية العالمية هذه الفرية المبطلّة في كل كتب التاريخ بالإضافة إلى دراسات الأدیان عموماً في دوائر المعارف العالمية وزيفوا تاريخ الكلمات المتصلة بذلك من أمثال : عرب ، فلسطين ، إبراهيم ، إسماعيل . ولقد امتد هذا العمل الضخم في مجال التعليم والثقافة جميعاً إلى الغرب كله حيث كان لهم هذا السلطان الأوسع على مجالات التأليف والنشر والثقافة والصحافة ومناهج التعليم فكان مقدمة للحركة التي حمل لواءها هرتزل بالدعوة إلى ما أسماه الدولة اليهودية كمدخل للحركة التي عرفت باسم الصهيونية غير أن ذلك الذي تم عام ١٨٩٧ حين عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا وأسفر عن كشف مخططات اليهودية العالمية وهي بروتوكولات صهيون لم يكن هو المرحلة الأولى للعمل كما يتصور الباحثون اليوم وإنما يرجع العمل الأساسي في العصر الحديث إلى ما قبل الثورة الفرنسية بإنشاء المحافل الماسونية في أوروبا ثم إنتقال هذه المحافل إلى العالم الإسلامي ، هذه المحافل التي خدعت كثير من طلاب الحرية فاتصلوا بها واشتركوا فيها ، وقد كانت الحركة الماسونية هي المقدمة الحقيقية والمنهج الأصل لكل محاولات الإلحاد والإباحية وإنكار الأدیان وحرب الأخلاق وإشاعة الفاحشة والتحلل وإن ما جاء بعد ذلك من فلسفات ومناهج وأيدلوجيات لتدمير المجتمع البشري إنما استمد أصوله من فلسفة العمل في الحركة الماسونية ، بالإضافة إلى العمل السياسي الخطير التي قامت به المحافل الماسونية من إغتيال ملوك ورؤساء وحكام

وعظماء رأّت اليهودية العالمية أنّهم حجر عثرة في سبيل تحقيق أهدافها وعن طريق الماسونية أمكن إحتواء عظماء كثيرون في ممالك كثيرة للعمل وفقاً للخطة التي استهدفها اليهودية العالمية وكان أبرز أهداف الماسونية هو إحتواء المسيحية وتدميرها من الداخل والعمل على تزيف الإسلام والسيطرة على ممالكه ومجتمعاته ويمكن القول أنّ الماسونية قد استطاعت أن تحقق ثلاث أعمال كبرى ، هذه الأعمال الثلاث الكبرى هي التي فتحت الطريق أمام الصهيونية لإقامة إسرائيل في قلب العالم الإسلامي وعلى مرمى البصر الخاطف من معقل الإسلام في الجزيرة العربية : أولاً : « الثورة الفرنسية » التي أخرجت اليهود من الجيتو ، وكسرت قوانين الكنيسة التي كانت تحجزهم عن الإشتراك في الحياة الإجتماعية والسياسية ومن ثم أتاحت لهم تلك وجوه النشاط الثقافي والصحفي والإجتماعي ومن ثم السيطرة على رجال السياسة والحكم . ثانياً : إسقاط القيصرية وإقامة البولشفية في روسيا : وبذلك أصبح لليهود نظام مراجعة للرأسمالية التي كانوا هم صناعها من قبل ووضع العالم كله بين فكي الأسد . ثالثاً : إسقاط الدولة العثمانية والخلافة ، وبذلك انفتح الطريق أمام يهود العالم إلى فلسطين وإقامة الدولة اليهودية في القدس ومن هنا نجد أنّ اليهودية العالمية هي أم لثلاثة توائم : هم : الماسونية والماركسية والصهيونية . الماسونية التي فتحت الطريق أمام السيطرة العالمية والماركسية التي أقامت الصراع العالمي والصهيونية التي أقامت الدولة في قلب العالم الإسلامي ومنذ بدأت اليهودية العالمية تصنع حركتها التلمودية قبل الثورة الفرنسية على يد فولثير وروسو وديندرو والموسوعة وعصر التنوير ، بدأت السيطرة اليهودية على الفكر البشري ، الذي كان يمثل في الفكر المسيحي الغربي الذي واجه الصراع بين العلم والدين منذ عصر النهضة ، ومن ثم كانت تحولاته إلى ديانة بشرية وإلى التطور والمذاهب المثالية كمرحلة سابقة للسيطرة التلمودية التي دفعتها دفعاً إلى الفلسفة المادية التي نتج عنها التفسير المادي للتاريخ والمدرسة الإجتماعية الفرنسية والفرويدية والوجودية إلى آخر تلك المراحل التي مر بها الفكر الغربي منذ انبثقت عنه الفلسفة الماركسية وقد اتسع نطاق هذا الفكر التلمودي حتى سيطر على جانب كبير من الفكر الغربي بعامه كما أنّه استطاع احتواء الفكر المسيحي والتأثير عليه ، ونحن نشاهد اليوم في أفق الفكر الإسلامي محاولات واسعة تستهدف طرح شبهات وسموم تلمودية إسرائيلية خطيرة وكل هذا يحتاج إلى دراسة واسعة وإلى تحليل عميق ليكشف الآثار الخفية في كل ما يطلق عليه اليوم المنهج العلمي للبحث في الإنسانيات .

قبل اشراق رسالة الإسلام في العالمين كان الفكر البشري قد وصل إلى درجة عميقة من الاضطراب والتجاوز والانحراف عندما أدخلت على المفاهيم الربانية التي جاءت بها الأديان تفسيرات وإضافات وجرت عمليات حذف وحجب لأصول أساسية من مفهوم الدين الحق ، حيث كانت قد مرت بمراحل متعددة حتى جاءت دعوة عيسى بن مريم كختم لرسول بني إسرائيل وفي خلال هذه المرحلة الطويلة أحيطت الكتب السماوية باضطراب كبير واختلاف كبير : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً) فقد وكلت هذه الكتب إلى أهلها للحفاظ عليها فقصروا عن هذه المسؤولية فأصابته دخائل كثيرة ثم جاء القرآن تصحيحاً . لكل المفاهيم والقيم التي أرسلها الحق تبارك وتعالى على أيدي الأنبياء السابقين من خلال رسالة السماء الممتدة من نوح والتي تركزت في إبراهيم وآل إبراهيم : (إسماعيل وإسحاق) ، دعوة خالصة إلى التوحيد ، ومنذ إبراهيم عليه السلام أطلق على هذه الدعوة اسم الحنيفية حتى جدها محمد صلى الله عليه وسلم : (ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفاً) جاء القرآن - وهو الكتاب الخاتم - ليفصل قصة ذلك التحريف الخطير الذي أحدثته اليهودية في رسالات الله إلى موسى وداود وعيسى عليهم السلام لإخراجها عن ضامينها وتحويلها من التوحيد والإنسانية والحنيفية إلى : « العنصرية : اليهودية الصهيونية » تركيباً قائماً على البغى والتسلط والطغيان والامتياز بمفهوم « شعب الله المختار » وللسيطرة على العالم كله وحيث يكون العالم كله مستعبد له . ولقد كان التلمود هو « دستور » العمل للسيطرة على البشرية وإحتواء الأديان والأمم ، عن طريق إقامة تشريع يعطى يهود ذلك الإمتياز الذي يجعل من حقهم إستلاب الثروات والأمم والبلاد جميعاً وحرق وقتل أهلها واستعباد الأمم والأقوام ولقد جاء هذا الاتجاه في الفكر اليهودي أبان « السبي البابلي » حيث أعيدت كتابة التوراة ، وإعداد التلمود الذي أصبح في تقدير الحاخامات أعلى درجة من التوراة ومنذ أن أخرج اليهود من الأندلس (مع العرب) ١٤٩٢ م وقد بدأ الإعداد لبعث هذا المخطط ، يبدو ذلك في أمر تلك الجماعة التي أقامت في سالونيك وهي من مهاجري الأندلس وقضية دخولهم في الإسلام ، وما يحبط بها من شبهات وشكوك يوحى بأنّها كانت خطة دقيقة محكمة الكتمان تستهدف إقامة دعامة في قلب بلاد الخلافة الإسلامية لإحداث أمر ما فيما بعد . ولا ريب أن دوغة سالونيك كانوا من جزءاً المخطط الذي نفذته اليهودية بعد سقوط مملكة الخزر التي أصبحت من بعد جزءاً من الإمبراطورية الروسية التي اقتلعت اليهود جنوبها . الواقع أن مخطط اليهود في الإمبراطورية

الروسية لإسقاطها ونشأة الدعوين الصهيونية والماركسية في قلبها سنوات وسنوات كان إنتقاماً من إسقاط دولتهم «الخرز» التي حجبوها عن دوائر المعارف الغربية حتى لا يكشفوا خطتهم في إسقاط الدولة الروسية وقد ثبت أن اليهود صنعوا في هذه الفترة كلتا الدعوين ووزعوا أنفسهم عليها حتى يقسموا العالم إلى معسكرين ثمهم من الناحية الأخرى في سالونيك أخذوا يعملون في صست وإستمرار لأمد طويل حتى استطاعوا إسقاط الدولة العثمانية أيضاً لينفتح لهم الطريق إلى فلسطين . ولقد أقام اليهود مشروعهم كله على أساس الإغتصاب والغدر والخيانة وساروا فيه ضد تيار التاريخ وضد طبيعة الأمم وضد نوااميس المجتمعات والحضارات ، وما هذا الوجود القائم الآن وله بريق إلا خداع الصور والأوهام والدعاوى الباطلة فهو بناء منهار من أساسه ، ذلك لأنه لم يقيم على حق مشروع ولا على حقائق ثابتة وإنما قام على وعد وهمي باطل في حقيقته وعلى أسلوب من الاغتصاب والقتل والتشريد ، إستيلاء على الأرض بالقوة وطرد أهلها منها ، وتجير إناس من حثالات الأرض ليس لهم رابطة بها بالخداع والإغراء وإقامة مجتمع شتات ملء بالتناقضات ، مجتمع مهدد يقوم وسط مجموعة معادية ساخطة لا يجذبها لما حوله ، ثم هو مجتمع أساسه المعونة الخارجية ولا يستطيع أن يجد قدرته بعد ربع قرن على أن يقوم بنفسه أو يكتفى بذاته ، والمعونة تأتي من حكومة كبرى ومن يهود بالوعد والوعيد والعمالة ككلب الحراسة ، ومع ذلك فإن قيام هذا المجتمع لم يحل المشكلة اليهودية فلا يزال يهود الدول المختلفة يعيشون على الولاء المزدوج ، وما زالت إسرائيل تعتمد على تأييد يهود العالم مادياً ومعنوياً ومالياً فضلاً عن وجودها في منطقة تتزايد فيها الثورة ضد قوى الغرب وثقافة الغرب وتنصب الثورة على الجار الوافد ، ليس لها أى سند قانوني غير قرار التقسيم ، هذا القرار الذي صدر بخدعة الأعداء المذهبيين ، لقد افترض هرتسل أن قوة الغرب ستسود العالم وأن جميع الكيانات السياسية ستدخل في المستقبل إلى العالم الحديث تحت وصاية الغرب وكأنها إمتدادات له من الناحية الثقافية والاجتماعية إلا أنه بعد إنقضاء القرن الماضي بدأت تظهر دلائل على أن الغرب لن يسود العالم بالضرورة ، ثم تعرض الغرب لتقلبات وتشنجات متزايدة عاقت موجة سيادته السياسية والثقافية وقد تميزت الحلقة الأخيرة من القرن العشرين - كما يقول تويني - بتراجع الغرب عن الرغبة في إعادة تشكيل العالم في صورة يكون هو قائدها وتراجع في تواضع إلى البحث عن التكيف مع أوضاع العالم الاخرى . ولقد تكشفت أكاذيب الصهيونية في كل مجال ،

في الفكر والسياسة والإجتماع والاقتصاد ، ولم نستطيع الماركسية الشيوعية أن توازروهم في السيطرة على العالم وتكشف للدول الكبرى تلك المؤامرة التي ترمى إلى ضرب أحد المعسكرين بالآخر فبات يتحاماها كل منهما كما تكشف من قبل فساد نظرية ماركس في تحريض عمال الغرب الذين استطاعت الرأسمالية أن ترفع مستواهم وتؤمن حياتهم وفشلت نبوءة الثورة في الغرب . واستطاعت حركة البقطة الإسلامية أن تعرى تلك الخدع التي حاولت الصهيونية أن تطويها وانكشف سرها حين فضح مخططاتها في بروتوكولات صهيونية وجاءت عشرات الوثائق مدعمة لها مؤكدة لمخططاتها الرهيبة . ولم يتعلم اليهود من تجارب التاريخ وحاولوا إقامة حركتهم الجديدة على نفس الاسس المعارضة للتاريخ ولطبائع الأشياء ولنواميس الامم والحضارات فانقلبوا من فشل إلى فشل ، ولم يستطيعوا أن يحققوا تقدماً يذكر ، وسوف تصرهم سنن الكون بالهزيمة الماحقة كما ضربوا على يد تيطس والرومان ، وفي الخزر ، وقد كتبت عليهم الذلة والشتات والتمزق والهزيمة جزاء معارضتهم لنواميس المجتمعات والحضارات أينما حلوا ، لأنهم لم يرفعوا الله عهداً ولم يحفظوا لأصحاب الفصل إليهم بدأ ولم يحسن إليهم أحد كما أحسن لهم المسلمون في الجزيرة وفي الأندلس وفي الدولة العثمانية ولم يستثوا هم إلى أحد كما أسأوا إلى المسلمين ، عدواناً وظلماً وفساداً . لقد أقام اليهود دعواهم على الخداع وادعوا أن لهم دوراً في الحضارة العالمية وكل الدلائل تؤكد أنهم كانوا عيالا على حضارات الامم وثقافاتها حتى في عقيدتهم التي كتبوها في المنى وبدلوا بها عقيدة الساء ، كانوا قد نقلوها من الشعوب البدائية . ولم يستطيعوا أن يثبتوا باى دليل أن لهم دوراً في الحضارة الإنسانية ، فهم حاقدون على المسيحيين لأن لهم حضارة باذخة في الغرب وحاقدون على المسلمين لأن لهم وجوداً ضخماً قوياً في الشرق ، وقد كتب عليهم الشتات والذلة لأنهم عاشوا على وهم إقامة إمبراطورية الربا ومن أجل الربا قدموا للناس كل أنواع الفساد والانحلال وبغوا في بيع المال واحترفوا المراجعة وأذلوا أعناق الناس بهذا العمل المهين ، وصدق فيهم بول أوسكار لينى حين قال « نحن اليهود لسنا إلا مفسدى العالم ومحركى الفتن فيه وجلاديه » وما تزال خطتهم هي إبادة البشر من غير اليهود ، وتدمير القيم وإفساد الشباب والنساء ، وإذاعة الفسق والترف وهم أداة الفتن والجاسوسية والحرب والتخريب وهم حملة المذاهب الهدامة

والمنحرفة والمادية والإباحية والإلحاد والتحلل . وقد خططت حركاتهم الحديثة :
المانسونية والصهيونية والمادية على قاعدة : هتدم الدين والأخلاق بهدف تقويض
الحضارة ومحو العقائد وإسقاط الدول والإمبراطوريات والقضاء على الأمم . وأبرز ما تحمله
تعليمات اليهود : نصوص تفيض وحشية وعنصرية وحقدًا على العالم كله وقد غلظت
العقول بهذه الأحقاد على مدى الأجيال فاصبحت قوام النفسية اليهودية وعدة التركيب
الاجتماعي ، وقد استطاعت الصهيونية التلمودية السيطرة على الحضارة الغربية والفكر الغربي
أن تطبعه بطابع الجشع والطمع والحقد وإنشاء منهج التلمود الجشع الذي يستهدف إقامة
إمبراطورية الربا يقول الدكتور إيدر رئيس اللجنة الصهيونية : إن هدف الصهيونية
هو إبادة العرب جميعاً ، ويقول موسى ديان : لقد استولينا على أورشليم ونحن في طريقنا
إلى يثرب وإلى بابل ، وقال نورمان بيوش : في وسع اليهود الامتداد إلى جميع البلاد التي
وعدوا بها في التوراة من البحر الأبيض حتى الفرات . ولا ريب أن هذه كلها عبارات الوهم
التلمودي المضلل الذي لا يمثل حقيقة ولا يجرى مع أصل أصيل من عقيدة أو شريعة واليهود
القاعون الآن بالدعوة إلى الصهيونية ليسوا هم يهود التوراة وإنما هم من جنس خزري آري
وأنهم يستهدفون مطعمًا ولا يلتزمون حقًا . وإن كل أساليبهم من الخداع قد أصبحت
واضحة الآن وأن تاريخهم في التآمر مكشوف اليوم أمام العالمين وقد تبين أنهم كانوا
وراء المؤامرات والأفكار الهدامة والدعوات الضالة . وهم حملة راية النهلية : التي تقوم
على إنكار جميع المعتقدات الأديان والقواعد الاجتماعية والخلقية . ولقد عرف المسلمون
والعرب اليوم الطريق الصحيح إلى المواجهة مع الصهيونية بعد أن سقطت كل محاولاتها لحصر
التعامل في فلسطين دائرة قومية أو عربية ففلسطين ملك المسلمين جميعاً وعرفوا أن الصهيونية
لم تنجح في إقامة إسرائيل إلا لضعف العرب وسيطرة الاطماع المادية والشخصية عليهم
وانقسام حكاهم وساستهم وانقسام عرى الوحدة بينهم وأن تجربة الحروب الصليبية
الصليبية ما تزال قائمة أمام المسلمين والعرب يتعلموا منها أسلوب الوحدة والتكامل
والترابط في مواجهة الصهيونية والتأسي أسلوب الجهاد الإسلامي فهو وحده الأسلوب الصحيح
والعلاج الناجع للمواجهة ، وإن الأسلوب الإسلامي هو وحده منطلق النصر ، ولقد اصطنعه
نور الدين وصلاح الدين فحقق لهم الخروج من الازمة ، وقوامه العودة إلى منهج الإسلام
وتطبيق شريعته ونظامه التربوي ، وإقامة فريضة الجهاد كمعلم بارز من معالم الحياة

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولقد لعب اليهود دورهم في الحيلولة بين المسلمين وبين التماس منهجهم ودعاهم الماركسيون إلى بيع تراثهم في سبيل الانتصار على إسرائيل ، وكان هذا يعنى أن يصبح المسلمون منصهرون في إطار التلمودية الماسونية الصهيونية التي غزت الغرب وسيطرت عليه . ولا ريب أن المؤامرة (الاستعمارية - الصهيونية - الماركسية) تحاول أن تعمل جاهدة لفصل المسلمين عن الإسلام ، وبذلك يفتح الطريق أمام سيطرة المذاهب الوافدة التي تجعل الأمة الإسلامية أمة منهارة أمام الغزو الأممي ، ولكن المسلمون يعلمون أن الإسلام ليس دين عبادة وليس ديمقراطياً ولا اشتراكياً ولا رأسمالياً وأنه وبين عقيدة سهاوية متكاملة في نظام دولة شاملة للنواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية وأنه منظم العلاقات بين الإنسان وخالقه وبين الإنسان ومجتمعه دون أن يحول ذلك الإنسان إلى فردية متعالية أو جماعية مفرقة وأن المسلمين يؤمنون بأنه لا سبيل إلى عودة فلسطين إلا بالجهاد تحت راية الإسلام وبمقاتلين مؤمنين بربهم ودينهم ، لا يحاربون من أجل شيوعية ولا رأسمالية ولا قومية بل في سبيل الله لاستعادة أراضى المسلمين وانطلاقاً لتبليغ رسالة الحق إلى العالمين :

أولاً : مصادر الفكر اليهودي التلمودي

(١)

(التوراة والتلمود)

المصدران الأساسيان للفكر اليهودي : هما التوراة والتلمود .

وتجمع المصادر على أن اليهود أعادوا كتابة التوراة على النحو الذي هو قائم الآن في منى بابل بين ٥٨٦ ، ٥٣٨ قبل الميلاد حيث « تفجرت العنصرية عن الحقد والكراهية للعالم وانبعثت منها الصهيونية بمعنى التطلع السياسي الديني للعودة إلى أرض الميعاد وتأسيس دولة داود فيها جغرافياً وسياسياً ومادياً ، لقد أعاد اليهود كتابة التوراة على النحو الذي رسموه في منهجهم وأخلاقهم وجعلوها منطلقاً لهذا الهدف معارضاً أساساً للتوراة الموحى بها ، على أساس تنزيه بنى إسرائيل من العيوب ، وجعلوا وجهة نظر اليهود في الإنسانية كلها قاعة على أساس : العنصرية ، بحيث تأخذ موقف العداء لكل من يختلف

مع اليهود . وكل ما ذكرته التوراة من تخريب وقتل واستئصال للسكان من فلسطين فهو كذب من وجهة الحقائق التاريخية وهو انعكاس للروح العنصرية المتعالية في العصور المتلاحقة . ويسمى اليهود أنفسهم شعب التوراة . أو شعب الله المختار . وقد حرفت التوراة عقيدة بنى إسرائيل في الإله يهوه حيث تقول أن يهوه قطع وعداً لإبراهيم بتفضيل الشعب اليهودى على جميع الأجناس . كذلك فإن الديانة العنصرية تنكر البعث والآخرة ، وهى قد زيفت موقف بنى إسرائيل بالنسبة لإبراهيم وأبناؤه ، وبالنسبة لميراث إبراهيم حتى يستأثر به إسحق وحده دون أخوه الأكبر إسماعيل ، ويتركز هذا الزيف في دعواهم بإعطاء إبراهيم لإسحق كل ما كان له ، أما بنو السراى اللواتى كانت لإبراهيم (والمقصود هنا ابنه الأول إسماعيل وذريته) فقد أعطاهم عطايا وصرفهم عن إسحق ومن ذلك قولهم : « تسكنوا أنتم فيهم إلا الكنعانيون ، الميراث الأبدي لكم وليس للكنعانيين ، ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته » . ويؤكد هذا المعنى ول ديورانت حيث يقرر أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد وأن اسم الكاهن عزرا مرتبط بتدوين التوراة . ويؤكد المؤرخون : أنه في المنفى في بابل بعد عام ٥٨٦ تحول الدين العبرى إلى الدين اليهودى . أصبح الآله : إله شعب الله المختار وهو يتدخل لا لحماية شعبه فحسب ، بل لإذلال وإخضاع شعوب العالم لشعبه المختار والاستمرار في إستعبادهم على مر العصور . وتقول المصادر الحديثة للدراسات لخاصة بالتوراة أن التوراة الموسوية كانت قد فقدت من المجتمع اليهودى لعدة قرون بحيث صار من المحتمل أن يكون نصها الذى كتبه عزرا (عزيز عند العرب) مختلفاً جداً عما أنزل على موسى فبين الرجلين ما يقرب من ألف سنة من الزمان بل أن الأغلب أن العبريون بعد موسى لم يحتفظوا من ذكره بشيء ، فأضاعوا الرجل وأضاعوا موارثه بحيث مرت أجيال لا يذكره منهم أحد ولا يعرفون حتى مكان قبره ، هذا فضلاً عن أن اللغة العبرية لموسى تختلف عن نصوص العهد القديم العبرى الذى كتبه عزرا . ولا ريب أن هذه (التوراة) تختلف اختلافاً بيناً عن التوراة المنزلة التى ذكرها القرآن والتى هى محتويات الألواح التى كتب الله تبارك وتعالى فيها الشريعة وأن التوراة الموجودة الآن ضمن الكتاب المقدس ليست المذكورة في القرآن بحال ، وإن كانت تحتوى على نبيذ منها بالخطا والتحريف والتبديل . وفي الأرض تورأتان أو ثلاثة ذكرت التواريخ فيها مختلفة من آدم إلى المسيح وقد يكون

الفرق بين اثنتين منهما ألف سنة . وأشار الدكتور محمد وصفي في كتابه (الارتباط الزمني) إلى أن التوراة التي أنزلت على موسى فقدت منذ حريق بختنصر الهيكل بعد حرق أورشليم وسبي اليهود إلى بابل . ويقرر الدكتور هربري لوى اليهودى صاحب كتاب (أديان العالم الكبرى) : أن هناك عقائد دخيلة انسابت إلى اليهودية عن فارس وبابل والإغريق لا سند لها في اليهودية بالذات وأبرز تجاوزاتها أنها لا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب حيث لا يشير اليهود إلى حياة أخرى بعد الموت ولا يرد فيها شيء عن الخلود . ويعتقدون أن الجنة على الأرض وأن كل ثواب وعقاب هو في الدنيا . وأن الجنة الأرضية خاصة بهم دون شعوب الأرض . وفي سفر الجامعة « ليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل يذهب كلاهما إلى التراب وإلى التراب يعود وقد حول اليهود الوصايا الإلهية للإنسانية إلى وصايا لليهود أنفسهم أما الجويم (أى جميع الأمم الأخرى) فلا وأن قانون (لا تقتل - لا تزن - لا تسرق) هو خاص باليهود وحدهم . ويلاحظ الباحثون أن رائحة الوثنية الخالصة واضحة في العقيدة الجديدة (الهيكل - التسابوت - الطقوس) . ويشير الدكتور هربري لوى اليهودى إلى أن اليهودية ليست بحاجة إلى عقيدة إيمان لأن مجال اليهودية - في تقديره ليس فيما وراء هذا العالم ، وأنها تعمل لهذا العالم وحده بغض النظر عن العالم الآتى . ويقول ول ديوارنت أن اليهودية استوعبت أساطير بابل وسومر وأساطير الجزيرة العربية والفكر الفارسي وأن هذه الأساطير كانت معيّنات غزيراً لاسفار العهد القديم . وأن القصص الشعبي في مصر والهند وفارس واليونان ، قد تداخلت فيها تماماً وأن عقيدة المخلص المنتظر موجودة في الديانة الفارسية . ويقول نولدكه في كتاب (اللغات السامية) : جمعت التوراة بعد موسى بسبعمئة عام واستغرق تأليفها وجمعها زمناً متطاولاً جداً تعرضت حياله للزيادة والنقص . وأنه من العسير أن نجد جملة متكاملة في التوراة مما جاء عن موسى لأن التوراة لم تدون في عهده ولا في الجيل الذى تلاه . وتقول دائرة المعارف الفرنسية تحت عنوان « تورا » بالحرف : أن العلم العصري ولا سيما النقد اللساني قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى وإنما كتبها أحبار لم يذكروا أسمهم عليها ، ألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل . ويشير الاستاذ فيشر في كتابه عن تاريخ أوروبا في العصر الحديث إلى الأسفار القديمة ويقول أنها غدت منذ عام ١٨٦٤ تقريباً موضع الفحص الدقيق والامتحان الشديد وغدت

التوراة كتاباً عادياً لا سفيراً مقدساً له مكانته الخاصة . ويقول أنيس فريجة : هناك شبه إجماع أن أقدم كاتب ظهر في يهوذا في القسم الجنوبي من فلسطين في القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد وحاول أن يكتب قصة الخليفة والخطبة الأولى والطوفان ، وقصة

موسى وإخراج بني إسرائيل من مصر ودخولهم أرض كنعان ، ثم جاء بعده كاتب ديني آخر كان يسكن شمال فلسطين ويسمى بالكاتب الألوهيمي ، ثم كاتب آخر من يهوذا يدون تاريخ العبران استعان بالمصدرين اليهودي والألوهيمي ، وفي القرن السابع قبل الميلاد قام كاتب آخر يعرف بكاتب سفر التثنية ثم قام كاتب يعرف بالكاتب الكهنوتي الذي يمثل مدرسة الكهنة التي نشأت بعد خراب الهيكل عام ٥٨٦ ق . م . وتشير الأبحاث إلى أن القسيس الفرنسي (رتشارد سيمون) وضع عام ١٦٧٨ مؤلفاً مبتكراً في نقد التوراة عنوانه : (تاريخ انتقادي للعهد القديم) أشار إلى أن العهد القديم كما هو متداول معروف يعتمد على مخطوطات ترجع إلى القرون الوسطى وأن كثيراً منها ذات مصدر مجهول أو مشكوك فيه وأن النساخ من الرهبان قد أدخلوا فيها كثيراً من الأخطاء والتحريفات . وأشار الباحثون إلى أن النتائج التي حققها العلوم الحديثة والعلوم الطبيعية قد أثبتت خطأ وزيف كل ما أوردته التوراة من معلومات عن عمر الأرض وفلك الشمس والجنس البشري وأصل الإنسان وأن التوراة في نظر هؤلاء الباحثين لم تعد أكثر من أثر أدبي وليس من كلام الله المنزل . (٢) وفي العصر الحديث جرت مراجعات ودراسات واسعة حول التوراة التي عمدت الصهيونية إلى ضمها إلى الإنجيل وطبها تحت اسم الكتاب المقدس وترجمتها وتوزيعها في جميع أنحاء العالم وقد أشارت الإحصائيات إلى أن الكتاب المقدس قد نقل إلى ٤١٢ لغة غير اللغات الأوروبية . وقد أشار محرر المقتطف في أغسطس عام ١٩٢٤ إلى عدم جدية معرفة أول من كتب لتوراة ولا الزمن الذي كتبت فيه ، ويشير

أنيس فريجة (م ٤ مجلة الأبحاث) إلى أن التوراة لم تعد كتاب علم وتشريع ويقول جورج طعمة : أنه جرى نقد واسع لنصوص الكتاب المقدس من أجل معرفة كتابها وأزمته ووضع مختلف أقسامها أدى هذا النقد إلى اكتشاف فوارق في الأسلوب وتناقض في الروايات عن الحوادث الواحد وتباين في الأوامر التي يفرض أنها من مصدر واحد مما جعل القول بان كل كلمة وكل نقطة من النصوص المقدسة هي وحي إلهي حرفياً أمراً بالغ الخطورة وكان الناس يعتقدون جيلاً بعد جيل أن الكتب الخمسة الأولى من التوراة (تكوين ،

خروج، لاويين، عدد، تثنية) كتبها كلها النبي موسى مع أن مثل هذا القول لا يرد في التوراة ذاتها، ولكن حين طبقت مقاييس البحث العلمي التي استعملت في دراسة وثائق القرون الوسطى ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الأمر خلاف ذلك. وأشار أنيس فريشة إلى ما أصاب التوراة من تغيير وتحريف، وقال إن هناك أغلاطاً مصدرها السهو والكلل والملل أو ضعف النظر، وإذا كان الناسخ غير أمين في عمله عندما تعرض كلمة لا يستطيع قراءتها فإنه يعتمد إلى تغيير الكلمة أو تحويل النص بكامله ليستقيم المعنى. ويشير جرجي زيدان إلى أن أقدم ترجمة للتوراة إلى اللغة العربية هي ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومي المتوفي عام ١٩٤٣م وكان إسرائيلياً من الطائفة الربانية وفي العصر الحديث ترجمتان للتوراة قام بالاولى منها المرسلين الأمريكيين، والاخرى الالباء اليسوعيين وبينهما فارق، فإن الترجمة الأمريكية حرفية محصنة، أما الترجمة اليسوعية، فتقوم على المعاني مع تجاوز الأصل العبراني. ويقول الدكتور أحمد شلبي: إن اليهود أرتدوا بعد سليمان إلى عبادة الاوثان وعبادة آلهة الأقوام المجاورين وبنوا مذبحاً للأصنام في فناء بيت المقدس ولم يعد هناك ذكر للتوراة ولا صلة بها وكانت مملكة يهوذا وثنية تماماً وأن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخلقوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة. ومن ذلك كله يتبين أن التوراة الحالية زائفة: وأنها كتبت وفق أهواء اليهود ومطامعهم ورسمت طريقتهم في الحياة إلى آخر الدهر، وأبرز أهداف الفكر اليهودي التلمودي كما رسمته هو: (١) الامتياز الخاص: هم يهود وكل العالم جويم أو أمميون، إعلاء العنصر والجنس، هم السادة الممتازون وكل البشر دونهم في المزايا العقلية والجسمية، كل الدنيا لهم وكل من غيرهم خدم، يحل لهم أخذ الربا من الامميين وقتلهم، وكل ما يملك الامميون من حقهم أخذه، ويعنى هذا التعصب، والتفرد بالجنس، والعنصرية. ومن هذا المعنى نبعت تعاليم التلمود وبروتوكولات صهيون التي تهدف إلى السيطرة على العالم كله. (٢) مفهومهم لله مفهوم زائف فالله يهوه كما وصفته التوراة متوحش شرير شغوف بالخراف والفساد وإراقة الدماء فهو رب الجنود. (٣) إنكارهم البعث والجزاء والحساب والحنة والنار وهذه أخطر مفاهيمهم التي تقوم على اعتبار أن الدنيا هي كل شيء وأن السعى لها هو وحده العمل، فعلى الإنسان أن يسارع إلى النقاط كل لذة وإنكار خلود النفس

وإنكار مداخله العناية الإلهية في أعمال البشر . (٤) تبريرهم الغدر والكذب والوقية كوسيلة للنجاح « الغاية تبرر الوسطة » . وترجع هذا الآراء في الأغلب إلى التأثير الشديد بالفلسفة اليونانية التي استطاعت أن تحتوى الديانة الموسوية وتسيطر عليها ، ويشير المختطف (فبراير ١٩٠٨) إلى هذا المعنى فيقول أنه عندما سادت الفلسفة اليونانية عدل اليهود إلى كتبهم المقدسة فشرحوها وأسهبوا في تفسير غوامضها مدخلين إليها شيئاً من الآراء الفلسفية اليونانية التي كانت زاهية في زمن الاسكندرية وقال : إن إحدى فرق اليهود (الفريسيين) يقبلون كل العقائد والمبادئ والطقوس التي كر عليها الدهر وصارت مقدسة بحكم الزمن وشرعت تدعى القداسة والمصدر الإلهي وخاصة تعاليم الكلدان والفرس . ويقول دكتور محمد غلاب في كتابه (الفلسفة الشرقية) إن التأثير الفارسي والتأثير الأغريقي واضحا في الفكر اليهودي وأن التأثير الأغريقي شديد الأهمية ، لأن قسماً كبيراً من اليهود ألتقى مع الاغريق في مدينة الإسكندرية . وقد تغلغت الآراء الأغريقية في عقائد اليهود الدينية ومذاهبهم الفلسفية ونظرياتهم الأخلاقية والاجتماعية ويقول لورد ماكولي : لطالما إذن فينا التاريخ بيان ما أدخل اليهود قديماً في دينهم من البدع مستسكين بما أملاه عليهم خيالهم الفاسد من ضرورة أن يكون لهم إله محسوس ملموس يقصدونه بالعبادة والإجلال . وهناك مصادر كبيرة تشير إلى إدخال اليهود السحر والتنجيم والأساطير الغريبة في كتب العبادة (الكابالا) اليهودية فهم ينكرون كل ما هو روحي ومعنوي في الحياة مع الإنحراف الكامل إلى المادية الخالصة وإنكار الحياة الآخرة ، وقد عرفوا بصناعة التنجيم والسحر وإرسال الغموض على يوم الحشر والدينونة فضلاً عن الاتانية وحب الثراء . مع روح الغلو والتحدى والخيلاء . وبذلك يمكن القول بأن مصادر الفكر اليهودي هي : الفكر البابلي القديم والفكر اليوناني الهليني معاً . ٢- أما التلمود فهو عبارة عن الوصايا التي كتبها الأحبار وهي تضم (المشنا) وحواشي المشنا (الجمارا) ومن المشنا والجمارا يتكون التلمود ، وهناك تلمود بابل وتلمود أورشليم وهم يضعونه في منزلة التوراة ، ويجعله بعضهم أسمى من التوراة وقد جمع بعد المسيح بمائة وخمسين سنة . وقيل بدأ في كتابة التعاليم الشفوية عام ١٦٦ م وأن التلمود الأخير ألف ابتداء من القرن السادس الميلادي ، ويعتقد اليهود أن العهد القديم (أي التاموس المكتوب) ناقص ومبهم في كثير من المواضع . ولا يكون اليهودي عندهم مؤمناً إيماناً كاملاً إلا إذا

صدق بالتلمود ويقول التلمود : إن الامميون هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار فإذا نفق منهم حماراً ركبنا منهم حماراً . وتقوم فلسفة التلمود على العمل على إذلال البشرية وتسخيرها لليهود ونسف جميع المذنيات والحضارات وإزالة الأديان السماوية من على وجه الأرض لتحل محلها الفلسفة الحاكمة على البشرية وليقوم على أنقاضها ملك إسرائيل ويرد الباحثون وضع المشنا وهي متن التلمود ثم الجمارة وهي شرح المشنا إلى الأثر الذي أحدثه الرومان عندما أحرق الامبراطور الروماني تيتوس أورشليم عام ٧٠ ومثل باليهود تمثيلاً شنيعاً . وذلك على أثر ثورتهم على الرومان ثم لما ثاروا مرة أخرى في عهد الامبراطور أوريانوس ١٣٥ م عندما دمرت أورشليم تدميراً تاماً وحرثت أرض المدينة حرثاً . فقد أعمل أوريانوس السيف وفرق شملهم وشتت جمعهم إلى أنحاء الأرض ، في هذه الظروف وفي ظل هذا التحدي الخطير وضع التلمود ، شبهاً بما فعلوا في المذبحة الأولى عندما استولى بختنصر على ملك الكلدان عام ٥٨٦ ق.م. ونفاهم إلى بابل حيث عاشوا في الأسر خمسين عاماً وحرفوا التوراة على النحو الذي ذكرنا . وتشير الأبحاث إلى أن أول مع جمع هذه التفسيرات « المشنا » هو الحاخام بوخاس ومشنا معناها الشريعة وهي بالإضافة إلى الجمار كونت التلمود والتلمود أقوال الحاخامات وله نفس مكانة التوراة وهو في الجملة مجموعة التعاليم التي قدمها أئمة اليهود شرحاً للتوراة واستنباطاً من أصولها . وأول من ترجم التلمود إلى اللغة العربية الدكتور شمعون مويال : عام ١٩٠٥ وأشارت إلى ذلك مجلة الهلال حيث ذكر محررها أن التلمود نسختان : أحدهما البابلية والأخرى الأورشليمية والفرق بينهما في الشرح وفي المتن وكلاهما في اللغة العبرانية المولدة أو الآرامية وهي مزيج من العبرانية والكلدانية . وقد طبعت النسخة البابلية من التلمود عام ١٥٢٠ في البندقية كاملة في ١٢ مجلداً ضخماً أما النسخة الأورشليمية فقد طبعت مرتين في بومبرج ١٥٢٢ وفي كراكو عام ١٦٠٩ وقد أشار جرجي زيدان إلى أن التلمود قاسى على الأجيال المظلمة بأوروبا اضطهاداً شديداً فذهب فريسة النار مراراً حتى اطمأن وظهر من مطبعة بومبرج في عهد الإصلاح (القرن السادس عشر) بعد أن أحيا معالم العبرانية في ذلك القرن العالم فون روشلين ولكن التلمود لم يترجم كله إلى لغة من اللغات الأخرى إلا مؤخراً ، إلى الانجليزية عام ١٨٨٥ ونشر جزء منه بالفرنسية وقد كان للتشيت الذي وقع باليهود بعد مذبحة الرومان عام ١٣٥ م أثره في بناء هذا الفكر الذي قام على أساس التآمر عن البشرية كلها من أجل السيطرة عليها وهو الخط الذي سارت فيه اليهودية فيما بعد .

«وإلى الآن . ويعتبر أرنولد توينبي : « اليهودية » ظاهرة اجتماعية شاذة بحسبانها قضية متحجرة من حضارة بائدة انقرضت كل مظاهرها ، ويقول : ولما فقدت اليهودية صفتها ككلولة استثار هذا التحدى لبيتدعوا لأمتهم طرازاً من الكيان الطائفي استعاضوا داخل نظامه عند فقدان دولتهم وبلادهم بالاحتفاظ بذاتهم في صورة (نشئت) (وانتشار) بين ظهرائي أغلبية أجنبية وفي ظل حكم أجنبي » . وقد أشار كثير من الباحثين إلى ذلك الاحتواء الخطير الذى وقعت فيه تعاليم الدين الذى أنزل على موسى عليه السلام مرتين الأولى في اتصاله بالفكر البابلى ، ثم بالفكر اليونانى وبعد فيلسوفهم فيلون هو الذى وفق بين التوراة وتعاليم اليونان الوثنية . وفسر التوراة تفسيراً يوفق بين تعاليمها وتعاليم اليونان وفسر العقائد الدينية اليونانية فجعلها مستخرجة من التوراة وفي نفس الوقت ادعى بعض الحاخامات أن الفلسفة اليونانية مقتبسة من عقائد يهودية وأن فيلسوفاً يهودياً يسمى (توراة أرسطوبول) قد أدعى مطابقة أفكار بعض فيلسوفى اليونان أمثال أفلاطون وسقراط مطابقة تماماً لقواعد اليهودية وأوامرها وإن حاخام اليهود وفيلسوفهم المشهور (فيلون) يقول : إن النظريات اليونانية هى نفس ما جاء في دين اليهود تماماً ، وإن الفلسفة العلمانية التى سادت مدينة الغرب وغذت الحركات المعادية للقومية والدين والتاريخ هما من (اليهود) أى من اليهود وشريعة التوراة وإن الحاخامات كانوا يضعون خيوطهم لجر المدينة الغربية النصرانية نحو اليهودية » .

ولا ريب أن هذه النقطة بالذات منطلق الاحتواء اليهودى للفكر الغربى الحديث كله كما سنرى من بعد ويقول سامى النشار ، وعباس الشربيني في كتابهما الفكر اليهودى وتأثيره بالفلسفة الإسلامية : أن اليهود لم يكونوا أصحاب فكر فلسفى وأن ما يبدو في التوراة من مظاهر الفكر الفلسفى إنما هو ما نقلوه من بابل أيام السبي أو ما خرجوا به من مصر أو اقتبسوه من مدرسة الإسكندرية ثم عاشوا في البيئة الإسلامية وبخاصة في الأندلس على الفكر الإسلامى حتى بلغت بهم الجرأة أن اختلسوا كتب الغزالي ونقلوها إلى العبرية ووضعوا عليها أسمائهم . ولما هاجر اليهود من أسبانيا إلى فرنسا وبلجيكا وهولندا نقلوا معهم التراث الفلسفى الإسلامى (وهو التراث الذى عاش به اليهود في أوروبا) . ويؤكد كثير من الباحثين أن الفكر الإسلامى له أبعد الأثر على الفكر اليهودى : « وأن اليهود ليس لهم تاريخ فكرى أو أصالة عقلية أو فلسفية وأن الفكر الإسلامى قد ألهم في مختلف نزعاته الفكر اليهودى ولون في المجتمع الإسلامى كل الاتجاهات إلى عاناها المسلمون ، وأن اليهود كانوا دائماً ذيولاً

لكل مجتمع عاشوا فيه وإمعات لكل جيل انتمو إليه ولم يكن لهم أبداً الروح الخلاق الذى ينشئ ويبدع . وقد شرح كتاب الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية كل فكرة وردها إلى أصحابها وبين ما لليهود فيها من أثر. ويقول بعض الباحثين: بأن « أثر التفكير الأفلاطونى على العقلية اليهودية بدأ فى الترجمة اليونانية للتوراة ، المعروفة بالترجمة السبعينية إذ حدثت فيها تغييرات فى النص الأصلى متعلقة بالمذاهب الدينية والكونية فى التوراة والواقع أن المذهب الأفلاطونى هو أقرب المذاهب الأغريقية إلى العقائد اليهودية » . وأشار جيمس فريزر فى كتابه عن الخرافة : حين تحدث عن قصص التوراة فقال : أن أهم القصص التى يتخذ منها الإسرائيليون عقيدة يستترون وراءها ، قد جاءتهم من أوهام الإنسان البدائى الذى تمثله القبائل السائبة على وجهها فى مجاهل أفريقيا وآسيا وغيرها من القارات . وقال أن الرجل البروتستانتى المتدين عندما نظر فى أساطير التوراة رآها صورة دارجة من أساطير الشعوب البدائية التى كانت ترتاع أمام الطبيعة وتتوهم القصص وتحكى لنوادير وتكرر فى أساطيرها ما كان معروفاً فى أماكن مختلفة من العالم القديم السابق على التوراة . وقال : لقد شهد كثيرون بأن العقيدة التى يتستر وراءها اليهود هى شريعة الغاب التى تقوم على تدمير المدن والقرى وحرق المساكن وقتل الأطفال والشيوخ وقد أجمعت المصادر على أن بنى إسرائيل لم يستمروا على عبادة الله الواحد الذى دعا إليه الأنبياء واتجهوا إلى التجسيم والتعدد . يقول ول ديورانت : يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه على الصورة التى كانوا هم عليه وجعلوا منه إلهاً : الإله يهوه ، فيهوه ليس خالقاً لهم بل مخلوق لهم ، وفى يهوه صفاتهم الحربية : التدمير والسرقة ويهوه قاس مدمر متعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعب بل إله بنى إسرائيل فقط وهو هذا عدو للآلهة الآخرين . كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى ومن خلال هذا المفهوم كانت أعمق المعانى فى نفوس بنى إسرائيل المادية والتطلع إلى أسلوب نفعى فى الحياة . ويقول كارل ماركس فى كتابه (المسألة اليهودية) إن المال هو إله إسرائيل المطاع ، أمامه لا ينبغى لأى إله أن يعيش . ولقد أصبح إله اليهود إلهاً للناس جميعاً وهذا انتصار لليهود . ويؤكد الباحثون إن القول باختصاص شعب من الشعوب إله خاص لهم وحدهم هى فكرة وثنية وقد ظل اليهود متعلقين بهذه الفكرة ويجعلونها أساساً من أسس أيديولوجيتهم التلمودية ، وهذا أبرز مظاهر عنصرية اليهودية وقد عمد اليهود إلى إحياء الأديان الوثنية القديمة التى أخذوا منها هذه الفكرة وهى أديان المنود.

والمجوس القائمة على تعدد إنكار البعث . وقد تحدث جوستاف لوبون في كتابه عن اليهود والحضارة الذى أصدره عام ١٨٨٩ فأكد أن اليهود لم يكن لهم علوم أو فنون ولا حق لهم فى الأرض التى يحاولون احتلالها وهم غرباء عنها وكل تقاليدهم وعاداتهم ودياناتهم مستعارة ومقتبسة ومسروقة من الدول المجاورة لهم وقال أن آية القول بأنهم وحوش وقساة ما نجد فى التوراة من أنواع الوحشية والبدائية . وفى سفر يشوع يقال لهم : أهلكوا جميع ما فى المدينة من رجل وإمرأة وطفل وشيخ حتى الغنم والحمير بحد السيف واحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار . بينما نجد العرب كانوا ينفذون وصية أبى بكر : لا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا إمرأة ولا تدبحوا شاة ولا بقرة ولا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه . ويناقش الكتاب الكثير من الآراء والنظريات التى يدعيها اليهود لأنفسهم ويبطلها العقل بوثائق التاريخ وبما كتبوه هم أنفسهم .

(٢) رحلة الشتات

أبرز المواقف فى حياة اليهودية التلمودية هى : (أولاً) ضربة « السبي البابلى » التى قتلت ونفت وسحقت اليهود ثلاث مرات بقيادة بختنصر الكلدانى عام (٥٧٦ ق.م) وفى هذه الغزوة حرق اليهود التوراة . (ثانياً) ضربة « التدمير الرومانى » التى قتلت ونفت وسحقت اليهود بقيادة تيطس الرومانى (عام ٨٠ م وعام ١٣٥ م) وفى الغزوة وضعت (المشاة - الجمارة) التلمود وكان هذا آخر العهد بوجودهم فى فلسطين وبدأ رحلة الشتات . لقد هاجر اليهود بعد تخريب القدس إلى العراق وفارس والهند والصين والحبشة وفى كل هذه البلاد حاولوا أن يؤسسوا دولة أو مجتمعاً فباعت محاولتهم بالفشل . وكانوا فى خلال الضربتين قد زيفوا رسالة السماء وصنعوا أيلوجية عنصرية طامعة تستهدف إمتلاك العالم كله واتخاذ فلسطين منطلقاً لها . وفيما بين الضربتين كان فيلون عام ٢٠ أو ٣٠ قبل الميلاد استمداداً من التوراة المحرفة قد وضع مبدأه الدينى الفلسفى الذى قال : أن العنصر اليهودى يجب أن يستوطن الأرض المقدسة : أرض الميعاد والزحف منها إلى العالم والسيطرة عليه . وفى ضوء هذه الغاية صيغت العناصر الجوهرية للكتب المقدسة عند اليهود ثم وضع التلمود محققاً للخطوات التى تلت تصور هذه المطامع بعد إعادة كتابة التوراة وكان ما صوره فيلون هو حجر الأساس للفكرة الصهيونية والواقع أنه بين السبي البابلى والتدمير اليونانى لم يتوقف الغزو والتدمير

حتى بدأ عصر الشتات الذي استمر منذ عام ٨٠ ميلادية حتى اليوم وقد كان لهذا العصر تحدياته التي شكلت هذه الفلسفة اليهودية التلمودية الصهيونية ، وقد انقسم هذا العهد إلى مراحل وإلى خطط وكشف عن أن اليهودية يهوديتان هي: يهودية التوراة ويهودية التلمود . وأن يهودية التوراة يتمثل في هذه الجماعات التي هاجرت من المشرق وتدفقت على أوروبا وأن يهودية التلمود هي تلك الجماعات التي نشأت في بولونيا وحوض نهر الرين وهم يهود أوروبا الاشكنازيون الذين ليسوا من نسل إسرائيل والذين يمثلون الآن تسعة أعشار يهود العالم أما يهود التوراة فيطلق عليهم اسم السيفارديون ولهود التوراة في أوروبا رحلة طويلة بدأت في عصر الدولة الرومانية ثم تجددت بعد سقوط القدس حيث تشتتوا في إنجلترا وفرنسا وألمانيا ثم أزيلوا عنها بعد ذلك فاعتصموا بالدولة في الأندلس حتى خرج العرب منها ١٤٩٢ م فلجأوا إلى الدولة العثمانية في سالونيك حيث كانت مؤامرتهم الخطيرة في إسقاط الخلافة والوصول إلى القدس . وأما يهود التلمود فقد أقاموا في دولة الخزر التي عاشت أربعة قرون ثم أسقطها المخطط العام الذي ظل مقاوماً للوجود اليهودي في كل مكان في الغرب . لقد عاش اليهود خلال هذه الفترة منذ عام ٨٠ ميلادية في أوروبا في مرحلتين خطيرتين : الأولى هي مرحلة الاضطهاد المسيحي المستمر الذي واجه اليهود باعتبارهم عنصراً هداماً يحمل لواء الربا والفساد الخلقى وقد قاومت الكنيسة وجودهم وفرضت عليهم العزلة وحرمت اتصالهم بالمجتمع المسيحي وظلوا بين خروج وعودة في فرنسا وإنجلترا وألمانيا حتى استطاعوا أن يتغلبوا على هذه العقبات بالدعوة إلى التنوير : هذه الحركة الضخمة التي حملت النقص لكل قيم الدين والأخلاق تحت لواء الماسونية التي استطاعت أن تحقق أول وأكبر ثمارها بالثورة الفرنسية التي تلتها ثورات متعددة في أنحاء أوروبا وكان هذا هو بداية الاحتواء اليهودي التلمودي الصهيوني للغرب المسيحي (٢) كان دور اليهودية التلمودية في الإمبراطورية الرومانية خطيراً ، فقد تدفقت جموعهم إلى الغرب واختلطوا بالرومانيين وأهالي أوروبا وكان عملهم هو الربا وتجارة الرقيق « وتاجروا بأعراضهم وأعراض غيرهم في سوق الرقيق والفجور حباً للمال وجمع المال فأصبح لهم نفوذ خطير في هذه الإمبراطورية حتى تمكنوا من السيطرة على قيادتها ودفعوها إلى الدمار والانهيار عن طريق الفساد الأخلاقي . يقول فونك دونخبال في موسوعة اليهودية : أن اليهود كان لهم نفوذ خطير في الإمبراطورية الرومانية وقد سيطروا في عصر جوستينيان وكان لهم أثر فعال في سوق الإمبراطورية إلى الفساد والانحلال . وقد

رضيت عنهم الامبراطورية في جميع أنحاء أوروبا وكانت تجارة الرقيق مصدر رزقهم ، وقد اعتنق بعض الرومانيين اليهودية حباً في جمع الأموال عن هذا الطريق : طريق تجارة الرقيق وشجعهم اليهود على مزاولتها . وتشير الأبحاث التاريخية المختلفة إلى أن سبب سقوط الامبراطورية الرومانية راجع إلى السير في الفجور خلف خطوات اليهود في إفساد الامبراطورية كان من أهم الدوافع لهذا السقوط وهذا التدهور ويقول فرنك لي بریتون مؤلف كتاب الصهيونية والشيوعية : بدأ التجار من اليهود والصناع يظهرون على المسرح الروماني بكثرة بعد القرن الثاني للميلاد وأخذ مركزهم في العالم يزداد أهمية . وكانت تجارة الرقيق مصدر معيشة اليهود الرومانيين . وقد شن (سنيكا) حملات عنيفة في كتاباته على روماني عهده لمحاكاتهم اليهود وردجيون في كتابه (انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها) : رد سقوط روما إلى نفوذ اليهود وقال أن بوبيا زوجة نيرون الذي أحرق روما كانت يهودية مرتدة (٣) ومن الأمبراطورية الرومانية إلى أوروبا كلها : لقد امتد نفوذ اليهود الشتات إلى كل أجزاء أوروبا وخاصة إنجلترا وفرنسا وألمانيا ولهم في كل وطن من هذه الأوطان ثلاث مراحل مرحلة الهجرة إليها ثم مرحلة الخروج منها مطرودين ثم مرحلة العودة ، وفي إنجلترا هاجر اليهود إليها عام ١١٩٠ في عهد الغزو النورماني وعملوا في مجال الربا وتدفقت عليهم الأموال ثم طردوا عام ١٢٩٠ ثم عادوا مرة أخرى عام ١٨٥٨ حيث حصلوا على جميع الحقوق البرلمانية وأصبح لهم مجال في تسلم الوظائف الكبرى وقد عين أول يهودي محافظاً لمدينة لندن ١٨٣٨ وبارون يهودي عضو في البرلمان ١٨٤٧ وكان روتشلد أول يهودي في مجلس اللوردات ١٨٨٦ ثم جاء هريبرت صمويل عام ١٩٠٩ وكما استوطن اليهود سائر أقطار الامبراطورية الرومانية فإنهم استوطنوا سائر مستعمرات بريطانيا منذ ١٨٣١ وكان لهم دور خطير في الاحتلال البريطاني لمصر وحفر قناة السويس وديونها وبيع أسهمها الأخيرة وفي فرنسا سيطر اليهود على الاقتصاد وعملوا في مجال القروض بالربا الفاحش ومجال الرقيق الأبيض ثم طردوا عام ١٣٠٦ ثم سمح لهم بالعودة مرة أخرى وفي مختلف بلاد أوروبا واجه اليهود حالة التملك ثم الطرد ويشير المؤرخون إلى أن أوروبا منذ ١٢٠٠ إلى ١٦٥٠ قد تخلصت من اليهود بعد أن أعدم منهم الملك جون في بريطانيا الكثير بعد سرقة ذهب الدولة وصادر الملك إدوار الأول أموالهم بعد أن مارسوا الربا الفاحش على نطاق واسع لغير اليهود . وعندما بدأت محاكم التفتيش أعمالها الإرهابية وقضت على اليهود كجماعة دينية توجهوا

إلى أسبانيا الإسلامية ليلوذوا بالفرار من وجه الاضطهادات وعاشوا بين المسلمين ، ثم هاجروا بعد انتهاء الحكم الإسلامي ١٤٩٢ قاصدين إلى الدولة العثمانية وبلاد البلقان والأناضول . وقد عاد اليهود إلى أوروبا مرة أخرى عام ١٦٥٠ حيث أخذوا في إعلان عصر التنوير بديلاً لعصر النهضة الذي لم يشاركوا فيه ، وكمقدمة للتآمر على أوروبا كلها وتمزيق وحدتها المسيحية والفكرية بإعداد عدة الثورة الفرنسية ممثلة في جماعة الموسوعة الذين هم في الحقيقة جماعة الماسونية الذي مهلوا لهذه الثورة التي قلبت الموازين وأخرجت اليهود من جميع القيود التي فرضتها عليهم الكنيسة المسيحية ولم يكن دورهم هذا متحرراً من مخططهم الربوي ومن تجارة الرقيق ولكنه كان مدعماً له بفلسفة وأبولوجية كاملة ظلت تسيطر على الفكر الغربي حتى كادت تحتويه . يقول : فرنك بريتون : خلال العصور الوسطى التي امتدت من ٥٠٠ إلى ١٣٠٠ بعد الميلاد كان التاجر اليهودي يسيطر على أوروبا بأسرها. وقد شملت هذه السيطرة الاشراف على طرق التجارة الشرقية المؤدية إلى بلدان المشرق ، ولم تتنفس أوروبا الصعداء إلا حيناً طرد اليهود من أوروبا في القرن السابع لعصر النهضة مباشرة . والمعروف أن الكنيسة قد سيطرت تماماً على المجتمع اليهودي وعزلته عزلاً تاماً عن المجتمع المسيحي وأن كتاب أوروبا أشاروا إلى هذا الخطر المائل في (الراي اليهودي) الحاقط على المجتمع وعمليات الانتقام السافرة التي وقعت بهم نتيجة لإفسادهم الحياة الاجتماعية . وكان أخطر مقررات الكنيسة هي عزله في الجيتو . وكانت الكنيسة الكاثوليكية قد أصدرت ١٢١٥م في مجمع لاترين الرابع مجموعة من القيود الضخمة التي استهدفت كبح احتكارهم التجاري ومنها تحديد إقامتهم في أحيائهم الخاصة وتحريم استخدام النصارى أو الزواج منهم أو الاشتغال بأكثر من نوع من أنواع التجارة وكانت الكنيسة قبل ذلك قد سنت قوانين كثيرة في العصور الوسطى تحرم على اليهود الزواج من النصارى . ومنذ قرر مجمع لاترين الرابع هذه القرارات الصارمة ضعف شأنهم وظهرت اليهودية الأوروبية ، وكان لتنبيه أوروبا لخطرهم الجسم وعوامل إفسادهم مدعاة لطردهم من الدول الأوروبية دولة بعد دولة ولما استقروا في الأندلس الإسلامية منذ تلك الفترة جرى طردهم بعد سقوط الحكم الإسلامي ١٤٩٢ فما أن أهلت عام ١٥٠٠ كما يقول (فرانك لي بريتون) حتى كانت أوروبا الغربية بأسرها باستثناء شمالي إيطاليا وأجزاء من ألمانيا والممتلكات البابوية قد تخلصت من الغزوة اليهودية وعاشت أوروبا فترة من الزمن حرة من اليهود الذين لم يعودوا إليها بكثرة إلا عام ١٦٥٠ في هذه الفترة كان السواد

الأعظم من الشعب اليهودى موجود بالشرق فى الإمبراطورية التركية ويقول : أن الفترة التى تميزت بطرد اليهود ١٣٠٠ - ١٦٥٠ تتميز أيضاً بأنها عصر النهضة التى بزغت شمسها على أوروبا بعد ذهاب اليهود وأن عصر الانبعاث لم يبرز فى الحضارة الأوروبية إلا بعد أن انتزعت الأمم الأوروبية السيطرة التجارية من الجيتو . (٤) لا بد لفهم فلسفة الشتات من التفرقة الشاملة بين يهود التوراة ويهود التلمود : يهود الشتات الذين انطلقوا فى القرن الأول الميلادى إلى أوروبا وإلى أجزاء مختلفة أخرى من العالم أما يهود التلمود فهم اليهود الذين نشأوا فى بينات أخرى فى الغرب لا صلة لهم بالنسب بيهود بنى إسرائيل . فاليهودى العربى الحديث كما يقول فرنك لى بريتون : لا يؤمن حقيقة بالتوراة بل بالتلمود وهو لا يتكلم العبرية بل اليهودية الدارجة وهو ليس من نسل إسرائيل بل من حاشاة شرق البحر المتوسط . وقد صور ذلك جولز فى مؤلفه خلاصة التاريخ ج ٣ « أن الفكرة اليهودية كانت ولا تزال مزيجاً غريباً من التسامح الدينى والقومية والعنصرية العنيفة فقد بحث اليهود عن مخلص خاص ، مسيح ليصلح بنى البشر بإعادة أمجاد داود وسليمان الخرافية وجعل العالم فى النهاية تحت تأثير اليهود . كانت الديانة اليهودية حقاً الحمى السياسى المتبقى لدى الكثير من الشعوب المشتتة وجعلها سامية . ومما لا شك فيه أن تقاليد اليهود المالية والتجارية ليست تراث فينيقى ومن الآثار التى خلفها الآراميون فى بابل . جراء هذا الامتزاج نشطت الجماعات اليهودية وازدهرت فى كل مدينة من مدن الامبراطورية وامتد نشاطها إلى أقصى الشرق وبقيت على اتصال بعضها ببعض بواسطة التوراة وبواسطة منظمة دينية وتربوية لعلها « الماسونية » فالقسم الأكبر من اليهود لم ينحدر مطلقاً من سكان المنطقة اليهودية فى فلسطين ولم يخرج منها على الإطلاق ومن هؤلاء اليهود : [يهود التلمود : الخزر] الذين شيدوا فى جنوب روسيا امبراطورية دامت أربعة قرون . وقد تسرب إليها عدد ضخم من يهود بيزنطة . يقول فرنك لى بريتون : إن كلمة خزرى وكلمة يهودى يستعملان مترادفين فى الموسوعات وفى القرن العاشر تحطمت امبراطورية الخزر واستوطن عدد كبير منهم البلاد التى أطلق عليها من بعد (بولونيا) وتوجه آخرون إلى غربى أوروبا وأسبانيا ولقد كان لليهود نفوذ ضخم فى بولونيا استمر حتى عام ١٢٠٠ م حيث كانوا يتولون سك النقود وقد أحرزت روسيا بسبب تقسيم ولونيا أكبر نسبة من يهود العالم فاتصل تاريخها بالقضية اليهودية اتصالاً مستعصياً ، وكان اليهود فى النهاية سبب انهيار الامبراطورية الروسية ، وقد دعت بولونيا المطردون فى غربى أوروبا إلى الإقامة

بأعداد ضخمة داخل حدودها في القرون ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، والحكومة الروسية لم تسمح بمثل ذلك وأقفلت حدودها دونهم . وقد فرضت الحكومة القيصرية لحماية اقتصاد روسيا وثقافتها قراراً عام ١٧٩١ يسمح لليهود بالإقامة في روسيا الكبرى ولكن في أماكن معينة محددة وقد بلغ عدد اليهود الذين يقيمون ضمن هذه الأحياء عام ١٨٩٧ - ٩٣٩٩ في المائة من مجموع سكان روسيا اليهود وتعتبر هذه الأحياء عاملاً من أكبر عوامل التطور الحديث فقد تجمع في هذه البقعة الموحدة المتلاصقة القسم الأكبر من اليهود وبقوا زهاء قرن وديع قرن من الزمان في بيئة مشتركة نشأ فيها يهودى القرن العشرين الذين يتكلمون اللغة اليهودية الدارجة (يدييه) ومنها كذلك ولدت النخلتان الكبيرتان : الصهيونية والشيوعية ، ولقد حرص اليهود على الحي المستقل (كاهال) وحافظوا عليه داخل إطار المجتمع المسيحى العام ، وحمل اليهود الذين طردوا من أوروبا هذه العادة إلى بولونيا وصار (الكاهال) مؤسسة موطن الأركان في بولونيا فلما انتقل اليهود إلى حكم روسيا أقاموا في الكاهال هذه المنظمات المستقلة . وقد امتدت الأحياء الخاصة من القرم إلى بحر البلطيق (من القرم على البحر الأسود إلى بحر البلطيق على الشام) وقد بلغوا حتى عام ١٨٨١ من الأزدهار والنجاح ما يفوق حد التصور فقد حل اليهود على الاقتصاد الروسى مثل أرجال الجراد التى تسطوا على حقن ذرة حديث الغرس وقد امتدت الأحياء اليهودية في سلسلة من شبه جزيرة القرم إلى بحر البلطيق في مساحة من الأرض تعادل نصف مساحة أوروبا الغربية . وقد بلغ عدد الذين أقاموا فيها عام ١٩١٧ سبعة ملايين يهودى يضمون زهاء نصف سكان العالم اليهودى . في هذه المستعمرة ازدهرت « الفلسفتان الثوأماني » : الشيوعية والصهيونية وكلتا الحركتين نمتا من الكرة اليهودى للحضارة المسيحية : مضطهدة الشعب المختار وكلتاها انتشرت حيث هاجر اليهود وكانت الأحياء هى المستودع الذى تدفقت منه قوى الشيوعية العالمية ونصف عدد اليهود الموجودين في العالم يقيم اليوم في الولايات المتحدة - وجميعهم باستثناء عدد ضئيل منهم أما من هذه المستعمرة أو سلالة الذين هاجروا منها ، وفي عام ١٨٤٤ أكتسب القيصر نقولا الأول « عداوة اليهود » بإلغاء نظام الأحياء اليهودية (الكاهال) كما حرم ارتداء اللباس اليهودى التقليدى ، وأجبرهم على لبس ما ينسجم مع التقاليد الروسية . وكانت تلك محاولة لتمثيل اليهود بالحياة الروسية . وكانت نتيجة مشروع الهضم الذى اعتمدته الحكومة القيصرية أن أصبح اليهود في روسيا أفضل عنصر من حيث التعليم وقد أفضى ذلك في النهاية إلى تحطيم

حكومة القيصرية ومنذ عام ١٨٨٠ (عهد اسكندر الثانى) أصبحوا سادة فى المهن المختلفة ثم جرت محاولات اعتقال القيصر اسكندر الثالث حتى قبل عام ١٨٨١ وقد كانت السياسة الروسية حتى عام ١٨٨١ موجهة باستمرار إلى (ترويس) اليهودى تمهيداً لاعتباره مواطناً كاملاً وتمشياً مع هذه السياسة اتبع نظام التعليم الإجبارى لليهود ، وحتى عام ١٨٨٢ استطاع اليهود أن يرسخوا أقدامهم فى الاقتصادى الروسى بحيث أشرفت روسيا على الإفلاس عندما حاولت زحزمتهم عن مكانتهم . فى هذا الجو بدأت الحركتان التوأمان : الماركسية والصهيونية تتحركان بجمهرة اليهود الروس وتسيطر ان عليهما . حكمتا «الصهيونية والماركسية» أول ما أعلننا يهود ألمان : ودخلت الصهيونية (هرتزل) روسيا عام ١٨٨٠ فكانت منافسة للماركسية لكاهنها الأكبر كارل ماركس حفيد أحد الحاخامين وكان لابد فى النهاية لكل يهودى روسى أن يلتحق بإحدى هاتين الحركتين « ولا ريب أن هذه الخطة تكشف عن أشياء كثيرة (١) تكشف عن أن اليهود يحطمون كل من يحاول أن يصهرهم فى المجتمع العام ويفضلون أن يبقوا بذاتيتهم الخاصة حتى يحققوا هدفهم الخطير ، وأنهم يدمرون عوامل تميز المجتمعات بعقيدة خاصة حتى يستطيعوا السيطرة عليها . (٢) إنهم دمروا الامبراطورية الرومانية إنتقاماً لتدمير معقلهم فى فلسطين ودمروا الامبراطورية الروسية إنتقاماً لتدمير دولة الخزر . (٤) كشف حقائق البحث العلمى أن يهود أوروبا ليسوا من ذرية بنى إسرائيل وأنهم يمثلون تسعة أعشار يهود العالم وأغلبهم من منطقة بولونيا وحوض نهر الراين : وهم الاشكنازيم ، ولغتهم (بلش) وهم كانوا يعيشون فى الخزر ، وهم من سلالة جرمانية أوربية محضة ابتدأت تتكاثر منذ القرن الثالث الميلادى ، اعتنق أجدادهم قبل الميلاد بأكثر من قرنين الدين اليهودى الموسوى . وهؤلاء غير الذين هربوا من الشرق إلى جنوب أوروبا وشمال أفريقيا . وقد بحث علماء الأجناس (ريبلى - لامبروزو - رينان) . وتتبعوا هذه القضية : فقال لامبروزو : أن يهود العالم الجديد أدنى إلى الجنس الأرى منهم إلى الجنس السامى وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية واقتصادية وانضم إليهم فى جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ومن مختلف صنوف البشر منهم الفلاشا (سكان الحبشة) والألمان والتامل (اليهود السود من الهند) ومنهم الخزر (من الجنس التركى) . وأشاروا أنه لا يعقل أن يكون اليهود

الموجودون الآن في العالم وعددهم ١٦ مليوناً هم سلالة الخمسين ألف الذين شردوا من عهد أوريانوس والمعروف أن شعب الخزر لم يسكن فلسطين ، ولا الجماعات العبرانية جميعاً ذهبت إلى هناك وقال الأستاذين ريلي وتيار : أن اليهود في ألمانيا يشبهون الألمان شبهاً واضحاً وأن اليهود السلاف لا يختلفون عن مواطنيهم السلافين وكذلك قرر علماء الأجناس : أن بعض الصفات التي يزعم اليهود أنها خاصة بهم كالأنف البارز قد لوحظ أنه ليس شائعاً بين جميع الجماعات اليهودية ويقول : أن تسعة أعشار يهود العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافاً واسعاً ليس له نظير وأن الزعم بأن اليهود جنس نقي حديث خرافة . وبعد عام ١٨٩٧ بدأت مرحلة جديدة في حركة الشتات اليهودي وهي مرحلة دخول الفلسفة التلمودية الصهيونية اليهودية مرحلتها الخطرة : وذلك بتحقيق خطتهم الرامية إلى السيطرة على المجتمع الغربي المسيحي بالثورة الفرنسية التي هي أول ثمار التلمودية الماسونية « وهي تتمثل في الخروج من الجيتو للسيطرة على الحياة السياسية والاجتماعية والدينية في أوروبا كلها بعد أن رفضت أوروبا التسلط القائم على الربا وتجارة الرقيق الأبيض وكان على اليهودية والصهيونية التلمودية أن تلعر هذا المجتمع فكرياً لتخرجه من طابع التدين والخلق حتى يمكن لها أن يستوعبه تماماً وكانت هذه الحركة بمثابة الانتقام من الكنيسة وتحطيم القيود والأغلال التي وضعتها للحيلولة دون نشنتهم في المجتمعات وتأثيرهم فيها وفرض الأيدلوجية التلمودية عليها . وقد كان من نتائج ذلك المخطط : الذي أطلق عليه « عصر التنوير » بعد عصر النهضة الذي لم يشارك فيه اليهود الذين كانوا مبعدين إذ ذاك - من نتاجه قيام الماسونية الكونية التي نجحت في إقامة الثورة الفرنسية كمقدمة للسيطرة على أوروبا ثم الاتجاه إلى إسقاط الدولة العثمانية عن طريق يهود سالونيك الذين أظهروا الاسلام وأطلق عليهم اسم الدوغة ، ثم إقامة النظام الشيوعي في روسيا القيصرية التي دمرت دولة الخزر . لقد عاد اليهود إلى أوروبا ١٦٥٠ للتحضير لها تحقّق عام ١٨٩٧ وليس من ريب أن اليهودية فرضت التلمودية نفسها على المسيحية الغربية منذ وقت باكر عن طريق التفسيرات التي قدمها بولس اليهودي الأصل لتدميرها من الداخل ثم كان الصراع بين اليهودية والمسيحية بعد ذلك حتى استطاعت اليهودية والتلمودية أن تحدث الثغرة الضخمة في الجدار العريض (٥) ويصور أرنولد توينبي هذا اللقاء فيقول : كانت اليهودية في الشكل الذي اصطدمت به مع المسيحية الغربية ظاهرة اجتماعية شاذة بحسبانها فضلة متحجرة من حضارة بادت وانقضت كل مظاهرها فلقد كانت دولة يهودا الإقليمية

السريانية وعنها انبثقت اليهودية - واحدة من الطوائف العبرانية الفينيقية الآرامية ، الفلسطينية ولكن فيما فقدت الطوائف الأخرى شقيقات طائفة يهوذا كيانها كما فقدت كذلك هويتها كدولة بفعل المصائب القاعة التي توالى على المجتمع السورى نتيجة لمصادماته المتوالية مع جارية البابلى والهلينى ، فان هذا التحدى نفسه الذى واجه اليهود قد استثارهم ليلدعوا لأنفسهم طرازاً جديداً من الكيان الطائفى وفى داخل نطاق هذا الطريق الجديد استعاضوا عن فقدان « دولتهم وبلادهم بالاحتفاظ بذاتيتهم فى صورة « تشيت » بين ظهرائى أغلبية أجنبية وفى ظل حكم أجنبى ويقول أن اليهود استطاعوا أن يقدموا للمجتمع الغربى بأدنى حد من الخبرة التجارية والتنظيم . ولكن المسيحيين طمحووا إلى أن يحلوا محل اليهود عن طريق اتقانهم الفنون اليهودية المربحة ومن ثم بذل المسيحيون جهوداً جبارة فى هذا الميدان الاقتصادى الذى كان احتكاراً لليهود . ومن ثم فإن ظهور طبقة من المسيحيين أهل لانجاز جميع الأعمال التى تخصص فيها اليهود ، صاحبه تطلع إلى طرد اليهود وبتمثل شعور المجتمع الغربى لليهود فى مسرحية شكسبير (تاجر البندقية) التى رمز فيها إلى المسيحى الساذج أنطونيو الذى وقع فى براثن اليهودى الماكر شيلوك حتى افترض منه متعهداً بوفاء الدين برطل من لحمه بعد أن عجز عن وفاء الدين نقداً . وأشار توينبى إلى أن اليهود كانوا موضع الكراهية فى المجتمع الغربى بقدر ما كانوا طائفة لا غنى عنها للمجتمع . وقال إن مرحلة طرد اليهود من إنجلترا كانت فى القرن الثالث عشر وفى أسبانيا فى القرن الخامس عشر ، وفى بولنده ، والمجر فى القرن العشرين ، ثم بعد أن توطدت المسيحية الغربية على الفنون الاقتصادية إلى درجة لم يعد تخشى معه عواقب الاستسلام للمنافسة اليهودية عادت فسمحت بالإفادة من القليرة الاقتصادية عند اليهود لخدمة الاقتصاد القومى المسيحى ولذلك أجازت الدول بعد ذلك لليهود البقاء والاستقرار . ولا ريب أن المؤرخ توينبى فى هذا التصور لم يحالفه حظ الإحاطة الشاملة بالخطر التلمودى على بلاد الغرب على التحوى الذى أحاط به غيره من الباحثين فإنه تجاهل تماماً آثار الخطر الذى كان لليهود فى أوروبا قبل أن يطردوا والمخطط الذى طبقوه لعودة امتلاك إرادتهم فى القبض على الغرب مرة أخرى بصورة ماكرة فى ظاهرها وإن كانت أشد عنفاً وأنهم بعد أن عادوا قد سيطروا سيطرة تامة على الاقتصاد الغربى وأن المجتمع الغربى وفكره قد دخل دائرة الاحتمال اليهودى بشدة وكل ما فى الامر أن اليهودية التلمودية فى مرحلتها التى بدأت عام ١٦٥٠ كانت قد غيرت

أساليب العنف التي كانت موضع العقوبة واصطنعت أساليب جديدة امتلكت بها إرادة السيطرة على الملوك والرؤساء وأعضاء المجالس النيابية والقضائية جميعاً عن طريق المؤسسة الخطيرة الماسونية وكان هذا هو عصر التنوير الذي يفاخر بها الغرب المسيحي من غير أن يعرف مدى الخطر الذي طوق به التلموديون عنقه . لكن المؤرخ توينبي يشير في بحثه عن اليهود والغرب إشارات ذات بال عن مدى ما كان للحركة البروتستانتية من أثر في تحطيم جبهة الكنيسة الكاثوليكية الموحدة المعادية لليهود ، وهذا يعني بصراحة لم يصل إليها توينبي أن البروتستانتية قد أصبحت سواء في إنجلترا أو هولندا أو الولايات المتحدة عش الصهيونية مع أن صاحب الدعوة إليها (لوتر) قد حمل على اليهودية حملة جبارة في كتابه المشهور : « أكاذيب اليهود » . ويقول توينبي : أنه مصداقاً لهذا الاتجاه فإن إنجلترا وهولندا إبان القرن ١٧ ترحبان باللاجئين من اليهود باعتبارهم ضحايا الكاثوليكية والبروتستانتية على السواء عدوة هذين البلدين البروتستانتين . ويقول : وقد ترتب على ذلك أن شارك اليهود بصفة عامة « ثمرات روح التسامح » المطرد النمو في البلاد الكاثوليكية والبروتستانتية على السواء . والمعروف أن اليهود خرجوا من الجيتو بخطة الثورة الفرنسية التي حضروا لها طويلاً ثم غيروا بها وجه أوروبا حتى أصبح لهم النفوذ الواسع والسلطان الكبير على جميع المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية في أوروبا .

ثانياً : حركة التلمودية الصهيونية على المحاور الثلاث

تحركت التلمودية الصهيونية على ثلاث جبهات شملت العالم المعمور كله : (١) الحركة الأولى في اتجاه المسيحية والغرب وذلك عن طريق الماسونية وحصيلتها الثورة الفرنسية . (٢) الحركة الثانية في اتجاه الأرثوذكسية وروسيا وذلك عن طريق الماركية وثمرتها الثورة الشيوعية . (٣) الحركة الثالثة في اتجاه الدولة العثمانية والعالم الإسلامي وذلك عن طريق الماسونية وثمرتها الصهيونية .

(١)

أوروبا المسيحية : من الماسونية الى الثورة الفرنسية

كان على اليهودية التلمودية أن تغير من أسلوبها الذي كان مصلحاً طردها من كل

مكان حلت فيه في أوروبا جزأً. وفقاً على ذلك الدور الذي كانت تقوم به : [المراهي]
الذي يسلب الثروات وتاجر الرقيق الأبيض الذي يفسد أخلاق المجتمعات . وكانت
الكنيسة قد فرضت على اليهود حياة في أحياء خاصة وزياً خاصاً وحرمت عليهم الاتصال
بالمجتمع المسيحي أو المصاهرة إليه ووقف منهم الملوك والحكام موقف الإزدراء والاحتقار
والقتل أحياناً عندما يعجزون عن تسديد قروضهم . وقد ارتبطت اليهودية التلمودية
بالربا والبغاء معاً وارتبطت صورة اليهودي بشخصية المراهي عبر التاريخ وهي الصورة
التي خلدها شكسبير في شخصية شيلوك في مسرحية تاجر البندقية أو يهودى البندقية .
ويرى كثير من علماء الاجتماع أن اشتغال اليهود بالربا جزء من طبيعتهم الأرية ونزوعهم
الابدي نحو امتصاص دم الأخرين وكان اليهود يعملون في التجارة فلما اشتغل بها المسيحيون
اعتزل اليهود التجارة وحولوا ممتلكاتهم إلى أموال سائلة وركزوا على العمل في مجال تحويل
العملة وإقراضها . وقد كان هذا العمل مصدر احتقار وامتهان شديدتين لهم في المجتمع
الغربي المسيحي . وكان القانون الروماني ومن بعده القانون المسيحي قد اعتبر أن مسألة الإقراض والإقراض
مسائل شخصية بحتة ؛ ثم استطاع الربويون اليهود أن ينقلوا عملية الربا إلى صكوك يمكن أن
والاقتراض مسائل تخرج من نطاق الدائن والمدين إلى ثالث نظير ربيع ما . وقد كانت المسيحية تحرم
الربا على المسيحية ؛ أما اليهودية التلمودية فهي لا تحرمه إلا بين اليهود أنفسهم ؛ على كان
من عوامل عصر التنوير والضغط التلمودي اليهودي على قوانين الغرب أن سمحت الكنيسة
في القرن الخامس عشر بالربا . وكان اليهود يتقاضون فوائد باهظة تراوحت من ٣٣ر٥
إلى ٣٣ في المائة مقدرين تعرضهم لخسارة أموالهم وفقدان حياتهم . وقد كانوا عرضة
لاستيلاء الملوك والاباطرة على مقدراتهم . وكان بعض الملوك والامراء يعطون المراهي اليهودي
حتى جمع الضرائب من الفلاحين مما زاد كره المجتمعات لهم . وكانت الجماهير تفسر
بؤسها بأنه نتيجة الاستغلال اليهودي ، ومن هنا كان اعتماد المراهين على الملوك والامراء
لحمايتهم من غضب الجماهير وفتكها . ثم نشأت طبقة من أثرياء اليهود تخصصوا
في خدمة الملوك والاباطرة ، واتخاذهم حماية لهم في حركتهم في البلاد التي احتلتها هذه
الدول كما فعلوا في فرنسا وإنجلترا والبلاد التي احتلتها هاتين الدولتين . وعندما ضيق
على اليهود في قلب أوروبا انتقلت جماعات منهم إلى شرق أوروبا في دورة جديدة عبر

أراضى القياصرة الروس وبولندا . ثم كانت التجربة فى النهاية قد وجهت اليهودية التلمودية إلى اختيار طريق جديد : هو طريق إنشاء المحافل الماسونية واستقطاب المفكرين والثقفيين وكبار القوم فيها وتشكيلهم فكرياً جديداً قوامه الإلحاد والإباحية والخروج عن المسيحية والدين والخلق عامة . حتى إذا استطاعت هذه القوة أن تدمر المجتمع الاوربى وتمزقه حطمت معه كل القوانين والقيود التى حالت دون سيطرتهم على المجتمعات ومن ثم أمكنهم الخروج من عزلتهم إلى حيث النفوذ والسلطان الذى يضمن لليهودى : شرعية الربا وتحويله إلى نظام عالمى مع تبرير تجارة الرقيق الأبيض وفرضه على المجتمع البشرى كله . ومن ثم فقد كانت الماسونية التى صنعت الثورة الفرنسية هى المدرسة الفكرية التلمودية التى حولت مفاهيم المجتمع الغربى المسيحى إلى [أيولوجية التلمود] هذه المدرسة التى أنشأت ذلك الرعيل الاول الذى حارب المسيحية حرباً عناناً : فولتير وديدرو وروسو . كان الخروج عن المسيحية هو الهدف ، وهو التدخل إلى اليهودية ، التلمودية ، تحت اسم الفكر الحر ، وفى ظل ما أطلق عليه عصر التنوير بعد عصر النهضة . وقد حملت رياح التنوير من خلال المحافل الماسونية الدعوة إلى إشاعة الإباحة والرذيلة فى العالم ، وفتح باب الزنا والربا على مصراعيه مع فلسفة تبرر الزنا وتقول عنه أنه غير محظور إذا تسامح الرجل بإمرأته لغيره . ويشير المعجم الفلسفى لفولتير إلى مثل هذه السموم وكذلك موسوعة ديدرو وتقول هذه المصادر أن الزنا ليس محرماً وأنه شرعة الطبيعة وأنه لو بقى البشر على سذاجة طبيعتهم لكانت النساء كلهن مشتركات بينهم . ولقد سجل التاريخ أن الملك لويس السادس رأى فى سجنه مؤلفات فولتير وروسو فقال : هذان الرجلان قوضا دعائم فرنسا ، والمعروف أن التراث الوثنى والإباحى البشرى كله الذى عرفته الفلسفات الفارسية والهندية والرومانية والإغريقية والبابلية قد صهره اليهود فى كيان واحد ومنهج واحد هو الماسونية التى أعلنت كذباً أن الأديان هى التى أوجدت الحروب والصراع والقتال . وأن الاسرة ليست من طبيعة المجتمع ، وأن عرى الجسم حرية له وصحة وسعادة وأن الوطن خيال باطل وكذب محض ، وأن الرايات الوطنية هى آية الاستبداد والظلم فيجب أن تلقى فى المزابل وأن الجندية والعسكرية نظامان فاسدان وأن على الابناء أن ينبذوا السلطة الوالدية . وأن معرفة الجميل ليست واجباً لازماً على البنين لوالديهم ، وليست السلطة الابوية بمر دائم أو لازم ، وأنه من الضرورى

تحرير المرأة ونزعها من قيود الدين والأسرة إلى المحافل والمزاقص والاجتماعات المختلطة .
ولقد كانوا يسألون أعضاء الماسونية عن موقف أحدهم إذا وجد في فراش زوجته رجلاً ،
فكان إذا أظهر الامتناع أو الاعتراض ردوه ولم يقبلوه . ويشير مؤلف كتاب الماسونية
وأسرارها : إلى أن الماسونية تعتبر كبهيمة عجماء خالية من النطق فهو على مذهبها آلة
صماء بلا نفس عاقلة ، ويقول : إن غاية الماسونية القصوى أن تسوق البشر إلى فك كل قيد
يضبط شهواتهم ليخلعوا كل سلطة وينبدوا كل دين ، فيعيشوا عيش الحيوانات غير
الناطقة ، وينقادوا إلى أوامر زعماء الماسونية إنقياداً أعمى . وهكذا كان مفهوم التنوير :
رفع سلطة الدين المتمثل في الكنيسة ووصاياها الاخلاقية وخلق روح التسامح بفهم الذلة
والمهانة . يقول كانت : حركة التنوير هي الإفراج عن الإنسان من الوصاية هي فرضها على
نفسه ، والوصاية هي عدم جرأة الإنسان في استعمال قواه الطبيعية بدون استئذان الغير
أما الوصاية الدينية فهي أرذل الوصايات وأشدّها ضرراً . وقد سرت هذه النزعة الأباحية
الإلحادية في الفكر الاوربي وظهرت طائفة من أتباع الماسونية وهم تلاميذ اليهودية
التلمودية وأطلقوا على أنفسهم اسم العقلانيون المتحررون من نير الكنيسة وتعاليمها وهكذا
أخذ اليهود يدمرون المجتمع المسيحي المؤمن الاخلاقي . وكانت وصية موسى مندلسن (المفكر
اليهودي الاول) كخطة للعمل : الاتجاه إلى القومية دون النظر في أمر الدين ، وأن على
المواطن الاوربي أن يصرف النظر عن الدين وأن يتمتع بحرية الفكر وكان هذا
في الواقع هو منطلق اليهود لتدمير قيود الدين والكنيسة لينفتح أمامهم الطريق عن
عن طريق القوميات والوطنيات . وقد ذهبوا في ذلك من بعد مذهباً قضى على وحدة أوروبا
المسيحية وأقام بدلا منها القوميات المتصارعة التي حققت لهم سيطرة أكبر على مجالات
الثقافة والسياسة والاجتماع . ولا عجب في أن هذه الخطة كانت هدف الثورة الفرنسية التي
قررت جمعيتها الوطنية في ١٧-٩-١٧٧١ اعتبار اليهود المقيمين في فرنسا مواطنين لهم
كل حقوق المواطنين وعليهم جميع واجباتهم وقالت وثيقة حقوق الإنسان : « إن الإنسان
خلق حراً ومتساوياً مع الناس جميعاً في الحقوق ، وبذلك انكسرت قيود المسيحية والكنيسة
وتدافع اليهود إلى عضوية البرلمانات في هولندا وإيطاليا وبروسيا بعد فرنسا حتى قيل أنه
في عام ١٨٧٠ لم يبق في أوروبا كلها يهودي واحد غير محرر . (٢) يقول محرر المقتطف :
إن الماسونية بدعة يهودية لأغراض خاصة باليهودي فهي واسطة وغاية ابتدعت بدعاً فائت

وصبغت بصبغة سرية لكي تستهوى الناس لان الناس بطبيعة نفوسهم يبتغون أن يعرفوا الاسرار فدخل فيها الخاصة والعامة حتى الملوك والحكام ، ومنذ ظهرت الماسونية ما رأينا منها عملا عظيما بل رأينا جميع الثورات والحروب الاخيرة في القرن الحاضر قامت بدسائس ماسونية وكان أبطال هذه الدسائس ماسونيين منذ حرب السبعين الألمانية الفرنسية إلى الإنقلاب العثماني إلى الحرب الكبرى السابقة إلى ثورة الانقلاب الروسي ونشوء الشيوعية إلى المسألة الفلسطينية إلى الحرب العظمى الأخيرة ، كل ذلك بدسائس يهودية ماسونية الغرض منها إنشاء دولة صهيونية تنمو إلى أن تسيطر على جميع العالم وأخيراً ظهرت الصهيونية بمنطية الماسونية ، ولولا هذا الغرض لما كان لها وجود وكان مخترعوها مهرة شطاراً فجعلوها بشكل يعم كل العالم لكي يكون كل الناس خدامها وهم لا يدرون فأدخلوا فيها الحكام والساسة العظام وكل من كان ذا نفوذ : دخلوها بطلاء الحرية والاخاء والمساواة وهي كلمات تغر وتستهوى وأدعوا أن عرضها إنساني بحث وبهذه الخدعة استهوا كبار الناس وطوهم فيها وما أدرك الناس أنها الخدمة الصهيونية إلا لما ظهر الكتاب السري الذي يشتمل على البروتوكولات التي وضعها الثلاثمائة شيخ من شيوخ إسرائيل في أواخر القرن الماضي وفيه يصرحون بالصهيونية وباستخدام الماسونية لها وعلى الرغم من إنكارهم لها وإدعائهم أن البروتوكولات مزيفة ومدسوسة عليهم فقد برح الخفاء وظهرت الحقيقة وهي أن الحركة الصهيونية قديمة جداً وغرضها تحيين الفرصة لإنشاء دولة فلسطين وقد أثبتوا أن الماسونية لهذا الغرض ونجحوا . ثم قرروا الفكرة الشيطانية وهي أن يستخدموا جميع الأمم والناس لغرضهم هذا من غير أن يدروا ، ولما نجحت الماسونية بعض النجاح أو كله جعلوها ثلاث فرق : (١) الماسونية الرمزية : مباحة ينتظم فيها الناس على اختلاف جنسياتهم وأديانهم . (٢) الماسونية الملوكية : وهي منفصلة عن تلك وفي الوقت نفسه مرتبطة بها ارتباطاً لا يفهمه إلا الراسخون بالعلم الماسوني وهذه ماسونية تصدر تعليمات أو أوامر تنفذها الماسونية الاولى من غير أن تدري مصدر هذه الاوامر ومآلها . (٣) الماسونية الكونية : وهي أكثر سرية من الاخرى وهي تملئ الإرادة العليا ولا يدخلها إلا نفر قليل وربما لم يعرف بها غير أعضائها وتستخدم الماسونيين الآخرين لنشر القوضى في العالم على قاعدة فرق تسد ليستطيع اليهود بواسطتها أن يعودوا إلى صهيون . وفي نظام كاتم للأنفاس غاية في الإدلال والقسوة يتشكل أتباع الماسونية بالإرهاب

والخوف ، على فلسفة غاية في الخروج عن كل قيم الاخلاق والدين . إن الفلسفة الماسونية كما وصفها دهاقين اليهودية التلمودية ترتكز على أساس نفس جميع المذنبات والحضارات - وإزالة الأديان الساموية لتحل محلها الفلسفة الحاكمة على البشر أو لتقيم على أنقاضها ملك إسرائيل . ولذلك فإن هدف الماسونية الاصيل هو تحطيم العقيدة الدينية بدعوى أنه لا فرق بين دين ودين ولا عقيدة وعقيدة . وبذلك تتحطم الدعائم الاعتقادية في نفس صاحبها ما دام قد اعتقد أنه لا فرق بين دين ودين آخر ، حتى ولو كان في نظره باطلا فليس هناك ما يسدعو إلى الاعتزاز بدينه أو التمسك به ثم تنشئ الماسونية في نفوس أتباعها عقيدة باطلة هي جماع المجوسية والبرهمية والزرادشتية وعبادة الحيوانات .

يقول جرجي زيدان : قد ثبت بالشواهد المتعددة ، أن أولئك الفلاسفة كقولتير وروسو وديندرو ودالميرت وفردريك الثاني ملك بروسه كانوا كلهم من أشياع الماسونية يعدون في محافلهم تلك الأسلحة القتالة التي حاربوا بها الدين من أكاذيب وتشنيعات ، وإذا راجعنا عبارات قادة الماسونية لوجدنا خططهم واضحة صريحة : (١) كل شيء مادي فالله والعالم ليسا إلا شيئاً واحداً وجميع الديانات هي خيالية غير ثابتة اخترعها ذوو المطامع . (٢) العلم هو الأساس الوحيد لكل معتقد ورفض كل عقيدة تقوم على أساس الوحي . (٣) السطو على فكرة الوحدانية أو تشويهها بالتفسير كالفول بـن الطبيعة هي الله . (٤) إنكار وجود الخالق وتأييد قدم العالم . (٥) تخطيط الانبياء والسخرية بهم والقبح في أنسابهم . (٦) الدعوة إلى الإنسانية والعالمية وإلغاء القوميات والحياة العائلية والأديان . (٧) الدعوة إلى الحروب بين الأمم كمقدمة لإنهاكها وتدميرها . وهكذا نحن نجد في فلسفة الماسونية أصول جميع المذاهب المادية والإباحية التي تشكلت من بعد في أيديولوجيات ومذاهب ودعوات فقد حملت الماسونية لواء دعوات وحدة الوجود وأساطير الأولين والشيوصوفية والروحية الحديثة والبهائية . يقول أحد الباحثين : إن أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الماسونية طوال القرن الماضي هي المذاهب الحرة التي تعتبر من نتاج الفكر البشري ، كذلك فإن الأفكار التي تصدر عن الدين الحق فهي تتعرض للنقد اللاذع والعداء المر والأراجيف من قبل الماسون . إن الماركسية والاقومية هما وليدتا الماسونية لأن مؤسساها كارل وانجلز هما ماسوني الدرجة الحادية والثلاثين ومن منشي المحفل

الإنجليزى ، وفى إطار الماسونية مضت حركة التنوير وظهر فلاسفة التنوير الذين جعلوا دعوتهم الاعتماد على العقل ولم يقبلوا إلا سلطانه وهم دعاة الدين الوضعى ، وذلك بعد أن أزالوا مفهوم الدين الحقيقى من الغرب لفرض مفهومهم البديل . فهم قد ورثوا الحضارة الغربية وتسلموها ولم يكونوا قد شاركوا فيها أساساً ، إذ فرضوا أنفسهم على الفكر الغربى وسيطروا عليه سيطرة كاملة ثم أباحوه للادينية واللااخلاقية والإباحية وفق مناهج فلسفية ذات طابع علمى براق . كان هدف الماسونية من ذلك تحطيم أوروبا وعقيدتها لتجعلها مؤهلة للاحتواء داخل الفكر التلمودى الصهيونى لتحقيق هدفها فى السيطرة ، لقد استغلوا كل الفلسفات والآراء وحولوها إلى غايتهم . تحت اسم الفكر الحر والتبرير العقلى وكان فلاسفة الموسوعة هم مقدمة الثورة الفرنسية : ديلرو ، دالمير ، مونتسكيو ، روسو ، والقاموس الفلسفى فولتير . وبرزت فكرة الدين الوضعى أى الدين القائم بالعقل بعقائده وطقوسه ومؤسسته . وكان التركيز على التحرر من سلطان المسيحية بالعمل على التحرر من سلطان الكنيسة ، وكان كل العاملين فى هذا المخطط الفلسفى من خدام اليهودية التلمودية التى تشكلوا فكرياً فى محافل الماسونية ومنهم فولباخ الذى أنكر وجود الله وخلود الروح وحولوا نظرية دارون عن أصل الاجناس والتطور البيولوجى إلى نظرية اجتماعية عامة لهدم القيم الاساسية والدينية . وقد أشارت البروتوكولات إلى مهمة الماسونية فى تطعيم أكبر مجموعة من الكتل البشرية بالفكر المسموم ، بالمذاهب الحرة التى تدعو إلى تحرير الينااء من توجيه الآباء ، والسيطرة على الشباب فى أولى مراحلهم . وقد كانت صيحتهم « دعوا الكهول وتفرغوا للشباب ، بل تفرغوا حتى للأطفال » وقولهم : « لا بد من تربية الاطفال بعيداً عن الدين » ، ولقد أشارت الابحاث إلى أن الماسونية تستعين بالفرق والاندية الرياضية والجمعيات الموسيقية لاستدامة نفوذها فى أوساط الشباب ، وأن هذه الجمعيات هى المرتع الخصيب للتأثير على الشباب عقلياً وجسمياً والهدف هو محاربة كل شئ أسسه الاخلاق .

(٢) الثورة الفرنسية

تقول دائرة المعارف الماسونية : أنه منذ القرن السادس عشر والبناعون الاخراار فى مقدمة القائمين بحركات اجتماعية سلمية كانت أو عنيفة قلبت الأوضاع القديمة واقامت الالبس للديمقراطية .

الحديثة وكانت الثورة الفرنسية في مقدمة الحركات الإصلاحية القومية العنيفة « وتضيف دائرة المعارف الماسونية إلى اعترافها قولها : « قال لامرتين : إن اعتقادي ثابت بأن الماسونية أخرجت الأفكار العالية التي تأسست عليها الثورات الكبرى عام ١٧٨٩ وعام ١٨٣٠ وعام ١٧٤٨ وقال المؤرخ السياسي الاقتصادي لويس ريلان بأن الماسونية كانت معبلاً للثورة وكان أثرها فيها أعظم من أثر موسوعة الانسكلوبيديّة ففسد مكنت الماسونية نحو نصف قرن تعدد محافلها أفكار الشعب الفرنسي للقيام بثورته الكبرى ولا غرابة في الامر فالماسونية قد اتخذت لها شعاراً كلمات ثلاث : « حرية . أخاء . مساواة » اتخذتها قبل أن تتخذها « الثورة الفرنسية » شعاراً . ويشير الباحثون إلى أن الماسونية حققت أول نجاح لها في الثورة الفرنسية ففتحت لليهود مكان المساواة مع الاجناس الاخرى فقد أسست لاجل هدم الحكومة الدينية البابوية أولاً وبالذات ثم هدم كل حكومة دينية وإقامة حكومة لا دينية مقامها بحيث تكون الجمعية رابطة أدبية وصلة تعارف وتعاون بين أهلها المؤلفين من أهل الملل المختلفة دون أن يعرف الدين يزدهيهم هذا الشعار الجميل أن الهدف هو سيطرة اليهود على جميع هذه الملل وإدارة الاعمال لهم وفق خطتهم وطريقهم وبذلك استطاع اليهود أن يهدموا عن طريق الماسونية الحكومات المسيحية الدينية في أوروبا وكذلك الحكومتين التركية والروسية . دخلت الماسونية إنجلترا عام ١٧١٧ وفرنسا ١٧٢١ أدخلها إليها الإنجليز فتغيرت أحوالها وقد اعترف اليهود بأن الثورة لفرنسية هي وليدة الماسونية ، وأعلنوا أنهم صانعوا الثورة الفرنسية ، ويقول لويس شيخو : ما كانت الثورة الفرنسية غير لهيب تلك النار الآكلة الى أخرجوها في أنحاء أوروبا حتى انتهت أقاصى البلاد ، وأبلغ قولهم : « ينبغي أن يشق آخر ملك بامعاء آخر قسيس » . ولقد كان واضحاً منذ اليوم الاول أن الهدف هو إعادة ملك سليمان والسيطرة على القدس ، يقول موسى هيمي جايم في كتابه [روما والقدس] الذي نشر عام ١٨٦٢ « إن ما علينا عمله اليوم لإعادة تأسيس وطن اليهود القومي أن نحفظ دائماً بالأمل الذي بدأ في الثورة الفرنسية في بعثنا السامى وأن نوقظ الامل كلما نام فإذا مكنتنا الحوادث التي تنأهب للوقوع في الشرق من البدء عملياً في إعادة إنشاء دولة يهودية فإن الخطوة الثانية ستكون إنشاء مستعمرات في أرض الاجداد . ولقد كانت الثورة التي بدأت في فرنسا منطلقاً لأوروبا كلها ، وقد سار الشعب الفرنسي في الطريق الذي رسمته له اليهودية التلمودية ، فقد يسر اليهود

للفرنسيين الانغماس في حياة الترف والفجور ، وزينوا باريس لتكون مدينة النور والازياء والخمر ، والملاهي ، والدعارة ، والانحلال والإباحية والوجودية وهي التي كانت تسمى ابنة الكنيسة الكاثوليكية ، وفي أقل من نصف قرن حول اليهود فرنسا إلى ماخور كبير يؤمه جميع طالبي المتعة الحرام من مختلف بقاع الارض . يقول ألبير سوبول في كتابه « تاريخ الثورة الفرنسية ودوافعها » : أخلت الثورة بمنطق الاحداث تدريجياً ، دولة علمانية منفصلة عن الكنيسة محل دولة الحق الإلهي ووحدة العرش والمذبح ، وفي ١٣ نيسان عام ١٧٩٠ رفضت الدولة المحافظة على الكاثوليكية كدين الدولة معتبرة أنها لم تستطيع ولن تستطيع أن يكون لها أية سلطة تمارسها على الضائر وعلى آراء الدينية ، وسرعان ما استطاعت قوى اليهودية التلمودية المتحكمة في مجريات الاحداث من إلغاء التعليم الذي كانت تشرف عليه الكنيسة وفتح الباب واسعاً أمام التعليم العلماني وتقدمت علمنة الدولة تقدماً حاسماً كما يقول المؤلف : بعد (١٠ اب ١٧٩٢) ثم أزالّت الجمعية التشريعية : الجمعيات الدينية المختصة بالتعليم والخدمة العامة معتبرة أن دولة حرة حقاً لا يمكن أن تتحمل أية جمعيات ذات صبغة اعتبارية ووضعت أملاك المستشفيات والمعاهد والجامعات برسم البيع . وصدر قرار بمنع لبس الثوب الديني باستثناء خدام العبادة أثناء ممارسة وظائفهم وفي أيلول ١٧٩٢ أعلنت الجمعية التشريعية : الأحوال الشخصية وأقرت الطلاق معتبرة أن الزواج ليس سوى عقد مدني وقد أدى فصل الكنيسة عن الدولة إلى مضاعفات الحرب الأهلية وإزالة المسيحية رغم التوكيد الرسمي على حرية العبادة فقد استمرت الكنائس مغلقة وقد أدى تخلف الممارسة الدينية إلى تقدم الإلحاد واستمرت الكنيسة والثورة عدوتين وغير متفقتين في الميدان . ولما جاء بوناپرت فهم الدين وسيلة للخضوع الاجتماعي والكنيسة أذاة للحكم ولذلك رفض أن ينص على أن الكاثوليكية في مرتبة دين الدولة ولو أنه اعترف بها دين أكثرية الفرنسيين فقد أخضع الكنيسة للدولة خضوعاً ضيقاً بواسطة القوانين العضوية وزال فصل عن الدولة مدة قرن ، ولكن الدولة استمرت علمانية وقد كان نتيجة لذلك كما يقول المؤلف أن تغير موقف الأكليروس : الذي كان يضم من ٢٠ إلى ٢٥ ألف راهب وحوالي ٤٠ ألف راهبة (٦٢٥ ديراً للبنات) ، عرفت انحطاطاً أخلاقياً عميقاً وفوضى هائلة ، فقد كان الأساقفة يشكون من سلوك هؤلاء الرهبان السافل الخليع . ثم لم يلبث أكثر الرهبان أن أصبحوا من المجازين للأفكار الجديدة يقرأون الفلسفة ، ويقول المؤلف : أن الأكليروس

العلماني نفسه وقع في أزمة حقيقية فالدعوة الدينية لم تعد تستند - كما في الماضي - على أساس الإيمان وحده فقد زعزعت الدعاية الفلسفية منذ زمن طويل . وتقول السيدة فستا ويسترفي كتابها باللغة الانجليزية بعنوان (لويس السادس عشر وماري انطوانيت) إن المساعي الخفية التي قامت بها الجمعيات السرية وراء الستار كانت كالأسياب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عاملا خطيراً في نشوب الثورة الفرنسية . وإن الثورة الفرنسية ترجع إلى جهود الجمعيات الماسونية ومحافل البناء الجبر ، وإن هذه الهيئات السرية لعبت من وراء الستار دوراً عظيماً لإضرام نارها . وتشير أبحاث متعددة عن دور الماسونية في إيفاد نيران الثورة الفرنسية ، وتقول أنه حين قامت الثورة كان المحفل الماسوني الأكبر هو مركز تجمع قادة الثورة وقد وضعت القوانين والأنظمة للثورة الفرنسية في ذلك المحفل . كما تشير إلى أن أوروبا كلها تتأهب لتخطو خطواتها فقد كان حكام الدول الأوروبية وقادتها بما في ذلك روسيا وبولندا عندما قامت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ يتبادلون أنظمة التعليم العلماني وأفكار الإصلاح التي روج لها اليهود وقد قام اليهود بتمويل الثورة وأنها « حين اندلعت كان وجهها يهودياً تلمودياً إذ لم يعرف التاريخ كالغوغاء الذين نظموا أو تأمروا وثاروا ضد كل طبقة من الناس وكانت غاياتهم تدمير النظام ومقوماته من الملك إلى النبلاء ورجال الدين وطمس القوانين وتغيير العملة وعلم البلاد والتقويم الرسمي » ولوحظ أن الثورة لم يقم بها فرنسيون لحماية فرنسا وغيرها بل قام بها أجنب يستترون وراء قوة غريبة ترمي إلى هدم كل شيء في فرنسا . ولم يكن أولئك الأجنب سوى اليهود الذين خططوا للثورة ومهدوا لها بخلق فراغ كبير بين الاسر الحاكمة وبين الشعب ثم بثأقال كاهل البلاد بالديون اليهودية ليظهر الملك الحاكم أمام شعبه مبذراً أنانياً ظالماً ، وسرعان ما شرع اليهود يزيفون التاريخ ويصورون الثورة الفرنسية بصورة العمل التاريخي الذي خدم الإنسانية وأعطى وثيقة حقوق الإنسان . وهي فرية يهودية انطلت على حلايين البشر الذين انخدعوا بالتاريخ المزيف الذي كتبه اليهود وعملاتهم نقول : وهو نفس ما فعلوا بالقبصرية الروسية وبالسultan عبد الحميد وهي الثورات التي نجح اليهود في تأجيحها والحصول على مكاسبها الضخمة التي غيرت وجه التاريخ المعاصر كله وما تزال الثورة الفرنسية حتى اليوم تخدع الكثيرين ويحتفل بها الفرنسيون وهم يتحركون في إطار الماسونية التلمودية الصهيونية . ويقول أحد المؤرخين : إن الثورة الفرنسية غدت في حقيقتها من أسباب شقاء العالم وإزلال الشعوب وتسخيرها لخدمة اليهودية العالمية التي

خططت للثورة ومولتها ونفذتها وجنبت أرباحها ، ويكنى أن نذكر الحقيقة المرة وهي أن فرنسا منذ ثورتها اليهودية الماسونية عام ١٧٩٨ وقد تحولت تدريجياً إلى مزرعة يهودية بمالها وثقافتها وعلمها وسياستها واقتصادها . كما غدت فرنسا بفضل التسامح المخل الذي فرضته الثورة بؤرة فساد توزع الرذيلة والفسوة والفجور على العالم بأسره ، كما تولى اليهود عملية تحويلها إلى مأخور للترفيه عن الأثرياء والأفاقين والمغامرين الذين يرحلون إلى فرنسا للاستمتاع بالفن اليهودي الفرنسي والمدنية اليهودية المدمرة وقد أضحي اليهود بعد الثورة : هم القوة الحقيقية التي ترهب الشعب الفرنسي تحت الستار المزيف وحين انتهت السلطة العليا في فرنسا إلى نابليون انتهز اليهود الفرصة وأخذوا في الاتصال به والإيحاء إليه عن طريق مستشاريه من اليهود وخاصة رجال الدين فيهم ، يقول ليني أبو عسل في كتابه الذي نشره عن طريق اليهود في مصر : « وقد أدرك نابليون بفرط ذكائه ما يمكن أن تنتجه أذهان اليهود وكان يعلم أن إنقاذهم وإعادة نشاطهم في ميدان السياسة ومناحي الثقافة وطن أجدادهم وفي جزء من الأقاليم المصرية لا يقتصر أمرهما على أن يكون حادثاً تاريخياً وإنسانياً فحسب ، بل يجب أن يكون من الوسائل الفعالة ليحقق ما لنابليون من المقاصد الكبيرة والمرامي البعيدة في الشرق وقد تأمب نابليون لهذا الأمر بأن ضم إليه اليهود والذين كان يجب أن يفعلوا ما يطابق الحالة الجديدة التي سيشرع في اتخاذها ولكي يتمكن من احتلال فلسطين من أقصاها وإحاطة جيوشه بسياج من الأمن والطمأنينة » . وقد أصغر نابليون ندائه ووعوده لليهود باقطاعهم أرض مصر وفلسطين لكن أحداً منهم لم يستجيب له لأنه سرعان ما انسحب من عكا عائداً إلى بلاده . ولقد استفحل أمر اليهود بعد نجاحهم في الثورة الفرنسية مما شجعهم على التمدادى حتى خلق الفتن وتدريب المؤامرات وتحريك الثورات وتنفيذ الاغتيالات السياسية . ولقد كانوا دائماً في الحروب والثورات يقسمون أنفسهم على جانبي المعركة ومع طرفيها ليتمكنوا من ابتزاز أموال الطرفين المتحاربين . ففي حرب نابليون مع بريطانيا كان أغنياء اليهود يقدمون القروض للإنجليز والفرنسيين معاً . وفي معركة (واترلو) لعب روتشيلد لندن لعبة يهودية قدرته بأن دبر مع روتشيلد باريس طريقة سرية لنقل أخبار المعركة واستطاع روتشيلد لندن أن يعلم من أخيه في فرنسا رجحان كفة الإنجليز في المعركة فما كان منه إلا أن ذهب إلى (البورصة) مشجهم الوجه فظن الإنجليز أن المعركة خاسرة وأقبلوا على بيع الأسهم الأسهم فهبطت أسعارها في دقائق ليعلن عملاء روتشيلد من يشترونها بأنهم زهيدة ثم تصل أنباء

المركة الرسمية إلى لندن بعد ساعات من شراء الأسهم من المساهمين وفي صباح اليوم التالي يكون خبر النصر قد انتشر في البلاد وتفتح البورصة أبوابها لتعود الأسهم إلى الارتفاع من جديد ليصبح روتشيلد لندن عشرة ملايين دولار في أقل من ٢٤ ساعة . ولقد عرف ضحايا تبايليون في أيامه الأخيرة وقبل سقوطه مدى نجاح اليهود في خداعه والغدر به حتى قال عنهم : لقد عرّضت على تحسين أحوال اليهود غير أنني لا أريد زيادة منهم في مملكتي . لقد عملت بالفعل كل ما يثبت إزدراءي لأحقّ شعب على وجه الأرض . ويقول عزيز ميرهم : إن الثورة الفرنسية مع صنع الماسونية وإذا عدت كبار رجال الثورة وجدتهم من الماسون أمثال : ميرابو - بربسو - كاميل ديمولان - دانتون - كوند رسيه بل أن محرري الولايات المتحدة من الماسون : لافيت ووشنطون والماسون هم الذين حرروا العالم من سلطان البابوية وفرقوا بين السلطة المدنية والسلطة الدينية وفي التاريخ الإيطالي ماسونيين شهيرين : ماتسيني وجاريلباري . هم أساس الوحدة الإيطالية وكذلك الأمر بالنسبة لتركيا فقد تالت دستورها بفضل عمل محافظها الماسونية . (٦) من خطط الماسونية الواضحة : قولها أن الأفعى اليهودية تتغلغل في قلوب الأمم التي تقاومها بواسطة الماسونية وهي تتم تطويق الأرض حين تصل إلى فلسطين . ومن خططها قولها : أن تمجيد العنصر اليهودي يجب أن يكون أهم واجبات الماسوني . وقد أشار البروتوكول الرابع إلى الماسونية عندما قال : من ذا الذي يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها ، هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن : المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم يعمل في غفلة كفتناح لأغراضنا ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة (الماسونية) في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا لا تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيراً . وتقول الماسونية : علينا أن نسمح بالانحلال في المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر ونضعف الروابط المتينة التي تعتبر أهم مقومات الشعوب فيسهل علينا السيطرة وتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية والقضاء على الأخلاق والدين وإثارة الفتن والحروب . ونقول بربارة توخمان في كتابها (التوراة والسيف) : أن المؤسسين الأصليين للوطن القوي اليهودي وبالتالي لإسرائيل في فلسطين هم الماسونيون وفي علاقة الماسونية باليهودية التاسودية . يقول قيندل في كتابه (اليهودية والماسونية) : اليهودية كقوة قاعدة ينبغي أن تخضع الماسونية لها . ويقول دكتور إسحق وايزمان في كتابه إسرائيل وأمريكا : أن الماسونية مؤسسة يهودية . وتقول الصحيفة اليهودية (لافريتا إسرائيل) العدد ٥ ص ٧٤ : إن روح الحركة الماسونية هي الروح

اليهودية في أعظم معتقداتها الأساسية . أنها أفكارها ولغتها وتسير على نفس تنظيماتها وأن الآمال التي تنير طريق الماسونية وتسند حركتها هي نفس الآمال التي تساعد وتنير طريق إسرائيل وتوحيج نضالها سيكون عند الظفر بذلك المصلح الرائع الذي ستكون أورشليم (القدس) رمزه وقلبه النابض . وقد سئل اليهودي راكشيت : ما هي الماسونية فاجاب : الماسونيون الاحرار هم الذين يبنون المملكة اليهودية العالمية . وأشارت كتابات متعددة إلى أن عدداً كبيراً من حكام وزعماء العالم الحاليين يعتبرون من عظام الحركة الماسونية . وفي بحث ضاف للاب لويس شيجو عن الماسونية كتبه عام ١٩٠٩ : يقول لو أردنا تتبع كل الامور التي جرت في أوروبا عموماً وفي فرنسا خصوصاً منذ مائة وعشرين سنة ما وجدنا حادثاً واحداً من الحوادث السياسية إلا وكان للماسون فيه يد مشئومة وسهم فائز ، وأن الماسونية هيكل عظيم كهيكل رومه القديمة (البانثيون) يحفل بجميع الآلهة مرحباً بهم لانه يتألف من مجموعهم كلهم إلا إله واحد فيكون إله الماسون مجموع آلهة الصين والهند وهمج أفريقيا وبرابرة أرقبانية وقد اختار الماسون لله اسماً لا تجد له ذكراً في الاسماء الحسنى العديدة التي وردت في الكتب المنزلة «مهندس الكون» كانه تعالى لم يخلق الكائنات من العدم وإنما هو مهندساً فقط . ويورد ما كتبه أحد أعيان الماسونية عام ١٨٨٢ : الكونت دي كوجتس : لقد تأكدت وعرفت حتى المعرفة أن المساة العظيمة التي ابتدأت عامين ١٧٨٨ ، ١٧٨٩ (يقصد الثورة الفرنسية) مع قتل الملك (يريد لويس السادس عشر) والفظائع التي رافقته إنما كانت نتيجة أعمال المحافل الماسونية وعاصرت سيول الدماء بعد ذلك في كل أنحاء فرنسا حتى صارت أرضها أشبه بمستنقع دم وقد صرح رئيس الماسونية الالمانية في خطاب تلاه عام ١٧٩٤ قال : هنيئاً لفرنسا لسبقها بقية الامم عن طريق الثورات وقال إن جماعتنا الماسونية قد أضرمت في الشعوب الأوروبية نار الفتن فبهيات أن تخبوا لظاها قبل أجيال متعددة وقال الاب لويس شيخو : أن هدف الماسونية هو شل عرش الدين وتقويض أساسه ونفي معتقداته ومعاداه أربابه وتبديد شمل نظامه الالهي وأن كل ما كتبه الفلاسفة « وركايم وغيره يوجد في تعاليم الماسون وقد قال دلامار : أن الماسونية بنشرها أسباب الفساد والخلاعة قد أضرت بفرنسا أكثر من حرب السبعين . وأشار عبدالله التل إلى أن جمعية بناي برث (أبناء العهد) كانت مع الماسونية العالمية وراء الثورة الفرنسية في الاجتماع الذي عقد عام ١٧٨٩ لوضع الدستور الجديد كان هناك ثلاثمائة عضو ماسوني أغلبهم من جمعية بناي برث اليهودية وفي اجتماع اليهود بمؤتمر

فيال عام ١٨٩٧ صرح رئيس الوفد الأميركي لبنائ بيرث بقوله أن الهدف هو : يقول تخريب المدنية المسيحية والإسراع في نشر الفوضى . وقد كان لهذه الجمعية أصعباً في إشعال الحرب العالمية الأولى بتعاونها مع الماسونية والصهيونية ورجال المال من آل روتشيلد وكذلك في إشعال الحرب العالمية الثانية . وقال وزير خارجية بريطانيا (دالاس) عام ١٩٥٦ : إن مدينة الغرب قامت في أساسها على العقيدة اليهودية في الطبيعة الروحية للإنسان ولذا يجب أن تدرك الدول الغربية أنه يتحتم عليها أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن هذه المدينة التي معقلها إسرائيل ، والمعروف أن البروتستانت يؤمنون بخرافات التوراة (العهد القديم) ويجعلونها أساساً لسياسة بلادهم نحو فلسطين .

(٣) الماسونية والمسيحية

استهدفت المخططات التلمودية اليهودية محاصرة المسيحية واحتوائها والسيطرة عليها كخطوة أولى في سبيل تحقيق هدفها في السيطرة على البشرية وقد كانت خطتها التي حملتها « الماسونية » ونفذتها هي : - الانتقام من الكنيسة الكاثوليكية التي فرضت عليها قوانينها وحبستها في الجيتو ، وحرضت على اليهود من كل البلاد الغربية والتنديد بهم من خلال الخلاف القديم الذي بدأ بعد بعثه عيسى عليه السلام وهو خلاف عميق الجذور ، وكان للقديس بولس اليهودي الاصل دوره في خطة احتواء المسيحية وإخراجها عن رسالتها الحقبة التي جاءت بها وتبديل الناموس وإدخال مفاهيم : الصلب والخطيئة والتثليث إليها وقد كان اليهود ينتظرون المسيح المخلص الذي يخلصهم من العبودية بعد تشتتهم ويعيد إليهم ملكهم الدنيوى ، فلما ظهر يسوع أو عيسى في صورة قديس وحاول تخليصهم روحياً وخلقياً من شرورهم ولم يظهر في صورة مالك يعيد ليهم سلطانهم الدنيوى أنكروه واضطهدوه وحتى الآن وهم ينتظرون المسيح المخلص في صورة ملك من نسل داود يخلصهم من الاستعباد والتشتت ولذلك فإن محاولة تدوين التلمود جاءت بعد الخطة الرومانية لإبادتهم عام ٨٠ ميلادية وبعد ظهور المسيحية نفسها وهي إصرار على خطة تفسير العهد القديم الذي يحقق مظالم الشعب المختار في السيطرة على العالم . ولقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تعرف هدف الماسونية ولذلك فإنها كانت تنبذ كل فرد مسيحي يثبت لديها اشتراكه في عضوية المحافل الماسونية فيسقط عنه الإيمان المسيحي وذلك على أساس أن الماسونية عقيدة صهيونية يهودية الغرض

منها محاربة الأديان وتطويع المعتقدات الأخرى للسيطرة اليهودية كما أشار الباحثون المسيحيون. والمؤرخون إلى هدف الظاهرة الخطرة في محاولة اليهود للسيطرة على العقليّة المسيحية وأطلقوا عليها ظاهرة تهويد المسيحية خاصة فيما يتعلق بطبيعة القضية الفلسطينية من الناحية الدينية. وما تزال اليهودية منذ ظهور المسيحية وهي في حرب معها ، وقد وجهت الماسونية هدفها لخدمة التلمودية وحرب المسيحية وكان الفلاسفة الأحرار جميعاً كما أطلق عليهم محاربون للكنيسة. على امتداد التاريخ الأوربي كله ومنذ إنشاء المحفل الماسوني في بريطانيا عام ١٧١٧ والماسونية تحارب التعليم الديني وتسهم في تأسيس مدارس علمانية بهدف القضاء على نفوذ الكنيسة ، وقد صدرت أول نشرة بابوية ضد الماسونية عام ١٧٣٨ وفي عام ١٨٥٦ بعد أن أصبح الماسون في مركز القوة وتولى كثير منهم الوزارات والمناصب العليا أصدروا نشرة صريحة أعلنوا فيها موقفهم من الأديان وما جاء فيها : « نحن الماسون لا يمكننا أن نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان لأنه لا مناص من ظفرها أو ظفرنا ولن نرتاح إلا بعد إقفال جميع المعابد وإذا سمعنا لمسيحياً أو مسلم بالدخول في أحد هياكلنا فإنما ذلك قائم على شرط أن الداخل يتجرد من أعضائيه ». وقد فهم رجال المسيحية الماسونية على حقيقتها ، وظلوا طيلة القرنين الماضيين في حرب لها وكشف لأساليبها باعتبارها خطراً على الأديان كلها وعلى المسيحية بالذات ولكن المسيحية في العصر الحاضر لم تلبث أن غيرت موقفها ولقد كشفت بروتوكولات صهيون عن هدف الماسونية كمؤسسة لليهودية التلمودية ، هذا الهدف الذي يرمى إلى تحطيم الديانة المسيحية تحطيمًا كاملاً ، والقضاء على الحضارة المسيحية الأوربية وتقول البروتوكولات : لقد خدعنا الجيل الناشئ وجعلناه فاسداً متعصباً بما علمناه من مبادئ ونظريات يجب أن نحطم كل عنان الإيمان . وتكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمارة ملحدين . يجب أن نكتسح كل الأديان والعقائد الأخرى وإن كان هذا يؤدي إلى وجود ملحدين ينكرون وجود الخالق . واليوم تسود « حرية العقيدة » في كل مكان ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهياراً تاماً . ولقد كشفت كتابات رجال الماسونية فولتير ورسو ورينان عن رأيهم في السيد المسيح وعباراتهم عنه قاسية ولثيمة . ويتحدث أميل الخوري حرب عن « مؤامرة اليهود على المسيحية » داعياً إلى التمييز بين الموسوية واليهودية . وأشار إلى أن معركة ضارية قامت بين اليهودية حيث وجهت اليهودية والمسيحية غنايتها إلى القدح والذم وتلطّيح المسيحية بأقبح الصور وأنها أخذت تحارب المسيحية بالمذاهب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تخدم الروح

المسيحية والمبادئ القومية وتقويض أركان الدول المسيحية فتحقق اليهودية غرضها بصورة غير مباشرة دون أن تصطدم بها وجهاً لوجه وقد نجحت اليهودية بهذه الخطة إلى حد بعيد . وقال : أن هناك مئات من المجلدات كتبها اليهود تطعن بالمسيح والمسيحية والقديسين والكنيسة والأسرار . وقال أن معالم هذه السياسة أخذت تظهر في أواخر القرن ١٨ مع انتشار الروح الثورية في فرنسا وبعد أن انتقلت الجمعيات السرية الخاضعة لنفوذهم من العمل وراء الستار إلى العمل في وضوح النهار وإن جوجنود وموسو تحدثوا عن تهويد الشعوب المسيحية ومنها كتاب « المسألة الماسونية والمؤامرة اليهودية على العالم المسيحي » الذي كتبه : كوبان الباناسلي (باريس ١٩٩٩) وكذلك كتاب (الكنيسة الرومانية أمام الثورة) الذي كتبه كريبتولي عام ١٨٦٣ . ويقول إلس : إن الكتاب الذين يجرى في عروقهم دم يهودى كانوا في طليعة الداعين إلى المذاهب المنافية للدين والآداب . وفي الثورة الفرنسية لعب اليهود دوراً بارزاً بالنظر لقلّة عددهم وكانوا ممن نظموا نهب الكنائس وقد عمل اليهود إبتداءً من الثورة الفرنسية حتى نهاية القرن التاسع عشر (خلال مائة سنة) على نشر المبادئ الهدامة وإشعال الثورات . ويقول إميل خورى : أنه يجب الكشف عن الفارق البعيد بين الموسوية وبين اليهودية التي تقوم معتقداتها على غير الدين المنزل على موسى عليه السلام والتي تقوم على أن اليهود هم شعب الله المختار وإن الله أعطاهم أرض الميعاد ووعدهم بملكوت العالم ، وإن قاعدة هذا الملك هي أرض الميعاد ولن تتم النبؤات إلا بعد أن يستتب الأمر لليهود على الأرض واليهودية بهذا المفهوم في نظر المسيحيين ديانة فاسدة مقطوعة الصلة بعهد الرب وقال . إن بنى إسرائيل تمردوا على إرادة الرب وخالفوا وصاياه . وإن شعب الله المختار لا يكتب بإقامة ملكه على أرض الميعاد بل ينبغي السيطرة المطلقة على العالم أجمع وقد شنتهم بين سائر الشعوب لكي يكفروا عن ذنوبهم ويعودون إلى أرض الميعاد بعد ذلك ولكن اليهود حرفوا هذا المعنى في تعاليم التلمود التي وضعوها والتي لخصوا مطامعهم في - الأرض كل الأرض ميراث لبنى إسرائيل . - إن كل شريعة غير شريعة بنى إسرائيل فاسدة . - إن كل سلطة على وجه الأرض غير سلطتهم فهي مغتصبة . - إن الرب حرم عليهم الشفقة والرحمة . هذه من وجهة نظر المسيحية في اليهودية التلمودية أما اليهودية فهي تنظر إلى المسيحية نظرة أشد عنفاً تتمثل في وصف كارل ماركس للمسيحية حين قال : (إنها ديانة الكلاب الدليّة الضائعة) وقول شارسكى : نحن نكره المسيحية والمسيحيين وحتى أحسن المسيحيين خلقاً نعهده شر أعدائنا .

إنهم يبشرون بحب الجيران والعطف والرحمة وهذا يخالف مبادئنا والحب المسيحى عقبة فى سبيل تقدم الثورة . (٤) ولكن إذا كان هذا رأى المسيحية الكاثوليكية والارثوذكسية لليهودية التلمودية ، فإن البروتستانتية تختلف عن ذلك وتؤمن بالاسطورة اليهودية فى الشعب المختار . وقد استطاع اليهود احتوائهم وتوجيههم إلى هذا عن طريق نشر (الكتاب المقدس) جامعاً للعهد القديم والعهد الجديد وما يتصل بتدريس هذه المعانى فى مختلف معاهد البلاد التى تدين بالبروتستانتية وقد استطاع اليهود بتفسيراتهم المضللة التى قدموها إلى الغرب المسيحى تحويل هذه الاسطورة إلى حقيقة « ومع أن المسيحية كانت منذ بدايتها دحضاً صريحاً لكل آمال اليهود » قائلة : (هوذا بيتكم يترك لكم خراباً) فإننا نجد أن المسيحية قد تحولت منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أكبر مساند عنيد لتحقيق آمال اليهود ومطامعهم ، خضع البروتستانت أولاً ثم ما نحن نرى أن الكاثوليكية قد خضعت فى السنوات الاخيرة حين أعلنت تبرئة اليهود من دم المسيح وسمحت للمسيحيين بالانضمام إلى محافل الماسونية . وقد كان مبشرو المسيحية يعارضون التفسير اليهودى للعودة إلى فلسطين ، ويكشفون عن أن العهد الجديد (أى الإنجيل) لا يؤيد ما جاء فى التوراة (العهد القديم) وأن هذا الذى يدعيه اليهود مخالف لروح الإنجيل وناشئ عن سوء التصرف فى تفسير مقاصد الله (جيمس ألن) فى كتابه (الادلة السنية فى تفسير الاسفار الالهية) وكانت هذه وجهة نظر الكنيسة المسيحية والبروتستانتية فى الولايات المتحدة « هذا التفسير المسيحى الاصل المعاكس للاهواء اليهودية الصهيونية بالكفر كان هو الخطر السائد فى القرن الماضى عند كل الفئات المسيحية ما عدا فئة ضئيلة كانت مأخوذة بتفسير اليهود أنفسهم للتوراة وكان اليهود قد أخذوا منذ القرن السادس عشر على حمل المسيحيين على تبني تفاسيرهم لتلك النبوءات والاعتراف بحقهم فى الرجوع إلى أرض الميعاد . ثم جاء القس هيكلم الجرمانى عام ١٨٨٢ وكان صديقاً لهرتزل مؤسس الحركة الصهيونية ووضع كتاباً سماه (إرجاع اليهود إلى فلسطين حسب أقوال الانبياء) وكان بعض اليهود فى روسيا وبولونيا أسسوا (جماعة أحياء صهيون) وجمعوا أكبر عدد ممكن من اليهود حول فكرة « الرجوع إلى فلسطين » للتخلص من مذابح روسيا وبولونيا فى القرن التاسع عشر وبعد تأسيس الحركة الصهيونية وعقد مؤتمرها عام ١٨٩٧ أخذ تيار التفاسير اليهودية لهذه النبوءات يتسرب بكثرة إلى عقول المسيحيين وبدأ الدهاء اليهودى والصهيونى يتملق المسيحية ويدس لها السم فى الدسم فاتجه أكثر المسيحيين إلى الاخذ بالتفاسير

اليهودية وكأنها هي التفسير المسيحية الاصلية وكان إرجاع اليهود إلى أرض فلسطين أمر محتوم من الله وكأنه هو ما وجدت المسيحية من أجله . فلما أخذت الصهيونية في ضوء هذا تطالب بارض فلسطين لارجاع اليهود إليها استجاب لها المجتمع المسيحي في الغرب وهكذا استطاع عشرون مليون يهودي أن يحصلوا على تاييد ألف مليون مسيحي ماخوذين بالتفسير الاسطورية التي ضللتهم بها الصهيونية خلال ثمانين عاماً إلى درجة أن هذه الاساطير تحولت إلى حقائق تبجح القتل والتشريد لابناء فلسطين . وهذا هو جانب من خطة احتواء المسيحية أو تهويد المسيحية وقد خطت الفاتيكان خطوة واسعة في سبيل الاستجابة لليهودية التلمودية عندما أعلنت أنها لا ترى مانعاً للكنائس الأوروبية من أن ينتسب أعضائها للمحافل الماسونية وقد أصدر الاساقفة الكاثوليك في روما بياناً واضحاً بالسماح للكاثوليك وبالإلتزام لهذه الديانة اليهودية ولا ريب أن هذه الإتجاه يؤكد الإنحراف الذي تنتجه إليه الكنيسة المعاصرة ويحيى دليلاً قاطعاً على مدى سيطرة النفوذ الصهيوني داخل الكنيسة والذي أخذ يهدد العقلية المسيحية ويحتويها . وقد كانت الكنيسة تفهم أن الماسونية حركة يهودية هدفها القضاء على الاديان : وقد ظلت الكنيسة تقاوم الماسونية خلال القرنين الماضيين في حرب متصلة لانتوقف وتعمل الفاتيكان الآن في سعي حثيث لتبرئة اليهود من محاولة قتل المسيح أو صلبه (ذلك أن المسيح لم يصلب ولم يقتل ولكن رفعه الله إليه) وقد أعلنت الكنيسة الفرنسية تأييدها لآمال اليهود ، من قبل ذلك خضعت المسيحية لليهودية التلمودية وهكذا تكون اليهودية التلمودية قد نجحت في استيعاب الفكر الغربي المسيحي واحتوائه لتصدر عن اقناع بان اليهود هم الشعب المختار .

(٢) روسيا الأرثوذكسية والثورة الشيوعية

انطلقت اليهودية التلمودية إلى العالم في ثلاث محاور : أوروبا الغربية المسيحية للانتقام من الكنيسة الكاثوليكية التي حرمتها السيطرة طويلاً على المجتمع الأوروبي وجزاء عمليات التشكيل الواسعة التي حاصرتها وأبادتها واضطرتها إلى الهجرة : هذه الهجرة التي كانت إلى الاندلس في حماية المسلمين حتى خرجوا منها إلى شمال أوروبا وإلى تركيا ثم كانت لليهود مع القيصرية الروسية وروسيا الأرثوذكسية موقف آخر وقضية كبرى . ثم كان موقفها مع العالم الإسلامي ودولة الخلافة العثمانية وإقامة دولة إسرائيل في فلسطين . في الأولى كانت

الثورة الفرنسية وفي الثانية كانت الثورة الشيوعية وفي الثالثة كان تدمير الدولة العثمانية والسيطرة على فلسطين ، هذا الدور الذي ما زال قائماً ومستعمراً مع العرب والمسلمين أما في محور روسيا بولندا فإن الامر قديم منذ كانت دولة الخزر اليهودية (٨٦٥-١٠١٦ م) . يقول الأستاذ محمد عبدالله النجار : جاءت القبائل الخزرية من الشرق مروراً في المضيق القائم بين جبال الإورال والبحر واستقرت بين نهري الدون وال فولجا وامتدت حتى نهر الدينبر في الشمال من جبال القفقاس واستولت على القريم فانشأت مملكة واسعة عظيمة السطوة والبطش يحكمها خان أو خاقان وأخذت تتسع بالغزوات فشملت أوكرانيا واستولت على البلدان المجاورة حتى البحر الاسود حيث تقوم الان جمهوريات تركمان وأريكستان أذربيجان وجورجيا وأرمينيا وأوكرانيا وما جاورها من أقاليم . وكان يقوم بين هذه المملكة وبين مملكة الروم البيزنطية نزاع متواصل بينما يشتد عليها الروس من الشمال والغرب ، وقد تحول هذا الشعب من الوثنية إلى اليهودية في أبان صراعة مع جيرانه المسلمين والمسيحيين ومنذ القرن العاشر اشتد الروس في الشمال والبيزنطيون من الجنوب في مهاجمة هؤلاء الخزر اليهود حتى انهارت دولتهم في القرن الثاني عشر حوالى عام ١٠١٦ م وقد أقام الروس بعد سيطرتهم على الخزر مستعمرات لهم في مختلف جوانب تلك البلاد بعد أن كانوا قد انتزعوا من الخزر مدينة (كييف) التجارية الكبرى فتفرق ملايين اليهود من الخزر (أو خزاريا) كما كانوا يسمونها ، وقد تشتتوا جماعات في أرجاء روسيا وما جاورها من الاقاليم الغربية (بولندا - أوكرانيا - لتوانيا) وغيرها ، وزاد انتشارها غرباً على أثر غزوات جنكيزخان بين سنتي ١١٦٢-١٢٢٧ وقد وصف بطرس الاكبر قيصر روسيا اليهود بانهم : أشرار غشاشون وقد هاجر كثير من هؤلاء الخزر إلى ألمانيا واختلطوا فيها بالنذر القليل من بنى إسرائيل الذين جاءوها من الجنوب . وقد أثبت المؤرخ اسحق لنفنسن أن يهود روسيا هم سلالة الخزر لا كما كان الناس يظنون خطأً انهم جاءوا إليها من ألمانيا بل العكس هو الواقع وقد عطف القيصر نقولا الاول عليهم تمهيداً لإزالة العزلة وفتح لهم مئات المدارس الخاصة فقاوم متعصبو اليهود بزعامة موسى هس هذه الدعوة وخوفاً من أن تقرب هذه المدارس بين اليهود والكنيسة واتخذوا أسلوب الاغتيال الهلنسى لإيقاف هذه الاذابة فاغتالوا القيصر المسالم المحرر اسكندر الثانى مما اثار عليهم النقمة وأدى إلى هجرة جماعات يهودية إلى غرب أوروبا وأمريكا وكان عدد هؤلاء « يهود الخزر » في روسيا سنة ١٩١٣ حوالى سبعة ملايين (الموسوعة اليهودية) فإذا

أضفنا إلى هذا الرقم عدد اليهود الذين كانوا قد رحلوا منها قبل ذلك إلى غرب أوروبا وأمريكا عرفنا أن مجموع اليهود اليوم يبلغ حوالي خمسة عشر مليوناً حسب إحصاءاتهم أدركنا أن معظم يهود العالم هم من سلالة الخزر لا من بني إسرائيل وقد جاء في كتاب (الستار خول أمريكا) : أن دم إبراهيم واسحق ويعقوب لا يجري في عروق الكثرة التي أتت من شرق أوروبا . ذلك الدم قد يكون أكثر في عرب فلسطين الذين شردهم هؤلاء اليهود الخزريون . وقد ولدت الصهيونية في روسيا عام ١٨٨١ على أثر اغتيال القيصر اسكندر الثاني وفرار كثيرين من اليهود من غضب الروس حاملين على هادى دولتهم الخزرية حقداً شبيهاً بحقد الفرس على العرب الذين قضوا على دولة الالكاسرة ، ولكن الفرس تعايشوا مع العرب وأسهموا في بناء الدولة العباسية ، ففي ٦ نوفمبر عام ١٨٨٤ لأول مرة في تاريخ الصهيونية اجتمع ممثلو اليهود من بلدان عديدة في كانتوتش حيث دبر الخزر مكيده ضد القومية الروسية تولاهما فيما بعد « ترونسكى » واسمه الاصلى (دافيد برونشتاين) وتضافر معه اليهود في نشر الشيوعية لا إيماناً بهم فإنها لم تؤثر في معتنهم الصهيونية بل لإضعاف القومية الروسية (انتقاماً من المسيحيين فيها بإفسادهم دينياً وقومياً) ثم سيطر اليهود على البلدان الشيوعية جميعها في أوائل عهد الثورة الشيوعية (رومانيا - المجر - بولندا - أوكرانيا) وفي روسيا كانت جماعتهم ٥٥٦ منهم ٤٥٧ يهودياً : ولا ريب أن قضية الخزر خليفة ضخمة للثورة الشيوعية في روسيا التي قام بها اليهود ومن أجل هذا ألغى اليهود ذكر (مادة الخزر) في دوائر المعارف الغربية . ويقول هـ ج ولز في كتابه (خلاصة التاريخ) : إن كلمة خزرى تساوى كلمة يهودى في كل كتب التاريخ والموسوعات اليهودية ويستعملان مترادفين وقال إن اليهود شيلوا إمبراطورية في جنوب روسيا في القرن التاسع للميلاد وفي القرن العاشر تحطمت إمبراطوريتهم واستوطن عدد كبير من هؤلاء الخزر اليهود في البلاد التي أصبحت من بعد بولونيا وتوجه آخرون إلى غرب أوروبا وآسيا حيث امتزجوا بالكتل اليهودى ثم قسمت روسيا عام ١٧٩٣ بين بروسيا وروسيا وهكذا ورثت روسيا قضية يهودية تم نموها ، وقد حافظوا على حبههم الخاص (كاهال) داخل إطار المجتمع المسيحى العام وانتشرت الاحياء اليهودية في سلسلة من شبه جزيرة القرم إلى بحر البلطيق على تخوم من الارض تعادل نصف مساحة أوروبا الغربية ويبلغ عدد الذين أقاموا فيها عام ١٩١٧ (سبعة ملايين يهودى) يضمون زهاء نصف سكان العالم باليهود وفي هذه المستعمرة ازدهرت الفلسفتان التوأمان : الشيوعية والصهيونية ، وكلتا الحركتين

نمتا من الكره اليهودى للحضارة المسيحية مضطهدة الشعب المختار وكلتاها انتشر حيث هاجر اليهود وكانت الاحياء اليهودية هى المستودع الذى تدفقت منه قوى الشيوعية العالمية . وقد دخلت الصهيونية روسيا عام ١٨٨٠ فكانت منافسة للماركسية وكان لابد لكل يهودى أن يلتحق بأحدى هاتين الحركتين لقد كانت « الماسونية » هى الإطار الواسع الذى ضم الثورات الثلاث على الكنيسة الكاثوليكية بالثورة الفرنسية وعلى القيصرية الروسية بالثورة البلشفية وعلى الدولة العثمانية بالانقلاب التركى ، وقد جاء فى كتاب المؤامرة اليهودية إشارة إلى الدور الذى قامت به « الماسونية » فى تدمير الامبراطورية القيصرية الروسية : حيث قال المؤلف : « إن زعماء اليهود قد عقدوا مؤتمراً قرر فيه خمسة من اليهود أصحاب الملايين « خراب روسيا القيصرية بإنفاق مليار وتضحية مليون يهودى لإثارة الثورة فى روسيا ، هؤلاء الخمسة الذين تبرعوا بالمال هم : (اسحق مونيمر ، شيشو ، لئى ، رون ، شيف) ومن أجل ذلك فإن الثورة البلشفية كان يطلق عليها فى أول الامر « الثورة اليهودية » وكان يطلق على بروتوكولات صهيون « الإنجيل البلشئى » وقد عزى إلى اليهودية التلمودية كثيراً من الانتفاضات الاجتماعية التى اجتاحت البلاد الأوروبية ، كذلك فقد برر الألمان هزيمتهم بانها طعنة نجلاء قام بها اليهود والمشترون فى المؤامرة اليهودية العالمية . والمعروف أن الهجرة إلى فلسطين ارتبطت بالاضطهاد الدينى الذى واجهه اليهود بعد تدبيرهم مؤامرة قتل القيصر الذى حاول أن يصهرهم فى المجتمع الروسى وأن هذه الهجرة امتدت من عام ١٨٨٢ (تاريخ مقتل القيصر) إلى ١٩٤٠ فى موجات متتالية من روسيا ورومانيا وبولندا والنمسا وقد أرجع المؤرخون هذه الهجرة إلى قوانين مايو عام ١٨٨١ التى حرمت على اليهود الانتقال خارج منطقة الاستيطان اليهودية فى روسيا ، وهى نقطة الزبح الخفية التى دفعت اليهود إلى قتل القيصر ، والتى بدأ معها التكتيف الخطير فى فلسطين الذى واجهه السلطان عبد الحميد بالحد منه حتى عام عزله عام ١٩٠٨ حيث سمح الاتحاديون حكام الدولة العثمانية بعد ذلك باطلاق الهجرة حتى أمكن أن يتجمع فى فلسطين عشية الحرب العالمية الأولى حوالى ٩٠ ألفاً ثم توالى الموجات بعد ذلك وكان أغلب المهاجرين إلى فلسطين من الخزر الروسى الذين قادوا النظام فى إسرائيل من بعد والذين كانوا نواة التآمر على الدولة الروسية وإسقاطها من قبل وهكذا نجد أن خطة اليهود كانت دوماً السيطرة على المجتمعات التى يعيشون منها مع الاحتفاظ لانفسهم بالاستقلال الذاتى ضد احتوائهم أو أذابتهم فى هذه المجتمعات ولم يكن عملهم فى

هذه المجتمعات سوى القيام بدور التاجر والمرايى والوسيط والخمار وبائع الرقيق الابيض . وقد تكررت التجربة في مجتمع غرب أوروبا وفي مجتمع الامبراطورية القيصرية الروسية وبولندا وفي مجتمع ألمانيا وفي كل مجتمع من هذه المجتمعات جرت المحاولات لاذابتهم في السكان وتعليمهم واحتوائهم ، وكان رد الفعل هو الهجرة مع العمل على تدمير هذا المجتمع فقد هاجروا في القرن الثاني عشر إلى أوروبا الغربية ثم هاجروا منها إلى روسيا وبولندا ثم هاجروا منها إلى ألمانيا ثم هاجروا إلى فلسطين وأمريكا وأضرموا الانتقام لغرب أوروبا بالثورة الفرنسية ولروسيا بالثورة البلشفية وللدولة الألمانية بالحرب العالمية وكانت النتيجة هي السيطرة التامة الآن في غرب أوروبا وألمانيا من خلال النظام التلمودي وفي روسيا من خلال الشيوعية .

(٢) يقول فرنك ل . بريثون في كتابه الصهيونية والشيوعية : تختلف الصهيونية عن الشيوعية ظاهراً في ثلاثة أمور : أولهما : التسمية ففي الصهيونية تخصص وفي الشيوعية تعميم يختار المرء بينها بحسب مزاجه والثاني : مركز النشاط ، فمركز نشاط الصهيونية ما أصطلح على تسميته بالغرب وتتزعمه أمريكا (واشطون) ومركز نشاط الشيوعية « الشرق » وتتزعمه روسيا (موسكو) . الثالث : الأسلوب في العمل ، فالصهيونية تتاجر بالمال تدعمه الدعاية عند اللزوم . والشيوعية تتاجر بالدعاية تدعمها المال لدى الاقتضاء . وأما الحقيقة الراهنة فهي أن الصهيونية والشيوعية صنوان مبعثهما واحد وغايتهما واحدة وجوهرهما واحد ، والفئة التي تقوم عليهما من وراء الستار واحدة وما اختلافهما الظاهر سوى ترتيب مؤقت اقتضاه النجاح في السعي إلى الغاية الواحدة حتى إذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدنا معاً للسيطرة على العالم . ويؤيد هذا الرأي كتاب ومفكرون وباحثون من الغرب منهم : هنري فورد والمليونيير الأمريكى المشهور صاحب كتاب (اليهودى العالمى) الذى صدر عام ١٩٢١ وكان من أسبق من كشفوا للأمريكيين وللعالم أن الشيوعية من صنع الصهيونية . قال مؤلف اليهودى العالمى : أن البلشفية الروسية والشيوعية تظهران وجود العنصر الغالب فيهما . وقد انبعثت البلشفية الروسية من الجانب الشرقى من نيويورك حيث تقوت بالتشجيع الدينى والاخلاقي والمالى من القادة اليهود . فلقد كان تروتسكى (بردتشتاين) يهودياً من الجانب الشرقى من نيويورك . وقد تركزت القوى التي دعمت كل ما يمثله في مجلس الطائفة اليهودية (الكهילה) وفي اللجنة اليهودية الأمريكية وقد اهتمت الهيئتان بالعمل الذى ندب نفسه للقيام به وهو قلبنا حكومة مستقرة الاوضاع كانت إحدى حليفتا الولايات المتحدة في

الحرب الكونية الاولى وقد ساند الذهب اليهودى فى أمريكا البلشفية الروسية فى تحقيق أهدافها . ولقد كان من الضرورى لكى نصل حلقات التاريخ بين إسقاط الروس لدولة الخزر ، وبين إسقاط اليهود للقيصرية الروسية أن نتوقف عند ظهور الماركسية فى أوروبا عام ١٨٤٨ حين أعلن ماركس وانجلز اليهوديان البيان الشيوعى المعروف ثم ألف ماركس كتابه « رأس المال » ودعا إلى ما أسماه « الاشتراكية العلمية » ودعا إلى إضرام الثورة وإلى إثارة روح الصراع بين الطبقات كوسيلة لهدم المجتمع الرأسمالى وإقامة المجتمع الشيوعى وقد أقام ماركس نظريته على أساس التفسير المادى للتاريخ . وقد ظن ماركس أن خطته يمكن أن تتحقق فى الدول لرأسمالية الكبرى : بريطانيا ، فرنسا ، ألمانيا ، ولكنه منذ عام ١٨٤٨ إلى عام ١٩١٨ وهو تاريخ قيام الثورة البلشفية فإن أوروبا لم تستجب لدعوته بل أن الامر كان على عكس ما ظن ماركس فإن الرأسمالية عدلت طريقها وأمنت العمال وأفسحت لهم فى أرباح المصانع ورفعت من شأنهم وبذلك عجزت المؤامرة اليهودية الشيوعية عن تحقيق هدفها خلال سبعين عاماً كاملة ، ثم كانت التجربة فى القيصريّة الروسية على نحو آخر مختلف تمام الاختلاف عن الخطة التى رسمها ماركس وانجلز . ولقد ركز اليهود على الماركسية كأسلوب لاقتلاع القيصريّة الروسية انتقاماً منها وعملاً على تمزيق العالم إلى نظريتين متصارعتين : هما : الرأسمالية والشيوعية . وقد أكد هذا المعنى كتاب غريون كثيرون منهم من ذكرنا ومنهم روبرت وليمز فى كتابه اليهود فى أمريكا الذى قال « أن الصهيونية شقيقة الشيوعية وأمها » . ولقد تبدو الشيوعية وكأنها عدوة للصهيونية ولكن ذلك مخطط مرحلى فهما توأمان ولدتها اليهودية التلمودية . ويقول الأستاذ حامد مطاوع : أن الشيوعية ما هى إلا أفكار صهيونية من قبل كارل ماركس بوقت طويل وأن كل ما فعله أنه جمع تلك الافكار وجعل لها ثلاث قواعد فى وقت إنبهار الحضارة الأربية وزعم أنه يعيد بناءها ولكن بأسلوب روائى فهو إمعان فى التخريب فقواعد الشيوعية الثلاث : (١) محاربة الاديان وتفريغ الإنسان من كل عقيدة دينية واستبدالها بتعاليم وشعارات النظرية الشيوعية وهى فى تركيبها اشتراكية متمرحة . (٢) الإنسلاخ من كل انتماء وطنى ليظل الفرد عضو التنظيمات المركزية الشيوعية ذات الفروع والالوان والاقنعة المختلفة التى تنبع من أصل واحد وتلتقى فى ملتقى واحد (٣) مقاومة التفضيل بالدرجات حتى يستوى الذين لا يعملون وإلغاء الامر الإلهى فالله سبحانه قد فضل الناس بعضهم على بعض درجات والتفضيل له عناصره هى العلم والعمل

والتقوى . (٣) طرد اليهود من أوروبا في القرن الذي سبق عصر النهضة مباشرة بعد أن ظلوا مسيطرين عليها في الفترة من عام ٥٠٠ إلى عام ١٣٠٠ ، وقع هذا التحول بعد قرارات مجمع لاترين الرابع ١٢١٥ الذي قيد وجود اليهود في المجتمع المسيحي هناك فاتجهوا إلى شرق أوروبا وما أن أهدت ١٥٠٠ حتى كانت أوروبا بأسرها باستثناء شمالي إيطاليا وأجزاء من ألمانيا قد تخلصت من اليهود ولم يعودوا إلا عام ١٦٥٠ وكان وجودهم في الشرق في الامبراطورية البولونية والتركية . وكانت دولة الخزر اليهودية قد تحطمت في القرن العاشر أصبحت من بعد تسمى بولونيا حيث أصبح لليهود نفوذ ضخم وصل إلى حد سيطرتهم على سك العملة وفي عام ١٧٩٣ قسمت بولونيا بين بروسيا (ألمانيا) وروسيا وورثت روسيا ميراث اليهود الاكبر حيث أحرزت أكبر نسبة من يهود العالم ، وأصبح اليهود (الخزر) المقيمين في بولونيا داخل روسيا من ذلك التاريخ ، ومع تصاعد سيطرة اليهود على عالم المال الروسي فرفضت القيصرية قيوداً لحماية الاقتصاد فصلت قرارات ١٧٩١ التي عارضها اليهود ، وكانوا ١٨٨١ قد بلغوا حداً عالياً من الازدهار والنجاح وكان على الحكومة القيصرية (اسكندر الثاني) أن تواجه الموقف فاستهدفت بعملها هذا عداء اليهود فجرت ثلاث محاولات لاغتيال القيصر ١٨٦٦ ، ١٨٧٩ ، وفي ١٨٨١ نجحت المؤامرة ، ثم عمت حوادث الشعب المعادية لليهود مختلف أرجاء الامبراطورية فطرد كثير من اليهود وتقول الدراسات (فرنك بريتون) وآخرون أنه في فترة لا تتعدى ٩٢ سنة حتى ١٨٨٢ استطاع اليهود وهم لا يمثلون إلا ٢٪ في المائة من السكان أن يرسخوا أقدامهم في الاقتصاد الروسي بحيث أشرفت الدولة على الإفلاس عندما حاولت أن ترحزم عن مكانهم ، وفي هذا الجو بدأت الحركتان التوأمين الماركسية والصهيونية تتحركان بجمهرة اليهود الروس وتسيطران عليها فجرت ثورة ١٩٠٥ الماركسية ثم ثورة ١٩١٧ حيث سيطرت الشيوعية ودمرت القيصرية في نفس الوقت الذي انطلقت فيه الصهيونية إلى أرض فلسطين في هجرة استيطانية هي مقدمة لقيام الكيان الصهيوني وقد شهد الكثيرون بذلك الارتباط العضوي بين الحركتين وبالمصدر الواحد القائم خلفهما وكيف أن تعاليم ماركس وفردريك انجلترا ولينين وستالين لا تختلف في كثير أو قليل عن تعليقات بروتوكولات حكماء صهيون بل أن الالفاظ والعبارات والمفاهيم التي صيغت بها كل من الشيوعية والصهيونية متشابهة متماثلة ولعل من أعجب ضروب التشابه في الوقت ذاته أن يكون الرواد الشيوعيون الاوائل جميعاً منحدرين من أصل يهودي فضلاً عن التشابه الصارخ

بينهما كحركتين سياسيتين تهدفان إلى السيطرة على العالم كله والتشابه في وسائلهما وغاياتهما ومفاهيمهما وأخلاقيتهما والتشابه بينهما في ميدان التطبيق العملي « تشابه الفلسفيات : الصهيونية والشيوعية تشابها كاملا في نظرتهما إلى الاخلاق ، فالاخلاق ، عندهما ليست ما اصطلح عليه الشرفاء من مفاهيم تمجد المثل الاخلاقية العليا ومبادئ الفضيلة وكرامة الإنسان التي ينبغي أن تصان دائما إنما الاخلاق عندهما تتمثل في شيء واحد هو القوة وتحقيق أهدافهما بشئ الوسائل مهما انحرفت هذه الوسائل عن جادة الصواب والمثل الاخلاقية ومبادئ الفضيلة . ثم تنادى الفلسفات الصهيونية والشيوعية بأن الغاية تبرر الوسيلة ، فكل شيء مباح ما دام يؤدي إلى نصرته الشيوعية أو الصهيونية والتشابه في نظريتهما إلى أساليب الحكم : من التوسل بالسلطة الاستبدادية التي لأحد لها في العنف والظلم . وتشابه الفلسفتان في نظريتهما إلى القانون فهو عندهما ليس أداة من أدوات نشر العدالة وإنما مجرد تغيير قانوني زائف عن الدكتاتورية والظلم والاستبداد والقمع والإرهاب والكبت ويرى كلاهما أن العالم يجب أن يكون كالسائمة وأن يكون كقطع الشطرنج بحركتها اللاعبون هنا وهناك وتنادى كلاهما بجعل الصحافة مجرد أداة من أدوات الخداع والتضليل ، وهما يتفقان في النظرة إلى الحرية ، والحرية لا تعني ما اصطلح عليه الناس وإنما تعني : السلطة الحاكمة هي وحدها التي يحق لها أن تستمتع بالحرية ، وضرورة احتكار الحياة الاقتصادية وتسخير كل القوى الاقتصادية لتحقيق أهداف الصهيونية أو الشيوعية وتنادى الشيوعية والصهيونية بضرورة تحطيم نظام الأسرة والقضاء على الروابط العائلية ، والصهيونية تطالب بالقضاء على كل الاديان غير اليهودية وتعمل على نشر الإلحاد وكلاهما تدعو إلى الثورة العالمية بغية إخضاع العالم كله للسيطرة الصهيونية أو الشيوعية . (٤) وقد أجاب فورد في كتابه « اليهودي العالمي » على سؤال خطير وهو : لماذا تؤيد اليهودية وهي تجسيد الرأسمالية الحركة البلشفية التي تمثل العدو الأكبر للرأسمالية فقال : أن رأس المال غير اليهودي هو الذي يتعرض وحده لهجوم البلشفية ، فإن اليهودي الذي أقدم على عبادة العجل الذهبي يود أن يظل على أحسن الصلات مع اليهودي الشرقي (اليهودي المنغولي) الذي يحاول تحطيم أنظمة المجتمع القائمة . المفيد جداً عند ما تنشب ثورة في باريس فعلا أن توفر الجماهير الثائرة التي تعمل في الحريق وإشعال التيران حماية بيوت آل روتشيلد كما وقع أبان الثورة الفرنسية . وقال :

الشيوعية في كل مكان في العالم وليس في روسيا وحدها حركة يهودية ولعل مثال فلسطين

أكثر وضوحاً وجلاءً ، وليس ثمة مكان ظهر فيه الاتحاد على هذا الشكل من القوة بين اليهودى الثورى واليهودى الرأسمالى كفلسطين ، ولقد كانت كل مدينة أمريكية كبيرة ممثلة فى أول حكومة بلشفية فى روسيا ولكن ما زالت هناك حكومة تنتظر فى أمريكا لتقديم خدماتها عند الحاجة » . وقد أشار الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار فى كتابه (الشيوعية وليدة الصهيونية) إلى أن هذه الظاهرة ، ظاهرة : إن الثورة الفرنسية لم تتعرض لممتلكات اليهود فقال : إن الثورات الشيوعية التى حدثت فى روسيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولندا لم تتعرض للرأسمال اليهودى فيها بأى أذى بل كانت بيوت المال اليهودية تحمى من قبل الثائرين الشيوعيين لئلا يتعرض لها غيرهم من الغوغاء لها . كما كان الرأسماليون أحراراً محروسين فى معتقلاتهم والثورات محتدمة تأكل الأخضر واليابس ، قال كاجانوفتش : اليهود الاثرياء فى موسكو لم تتعرض لهم الثورة البلشفية إلا بالإجلال بل رفعت مكانتهم إلى أعلى قمة فى الاتحاد السوفيتى . والثورة الشيوعية الصينية استصفت كل أصحاب السلطة وأرباب المال فى الصين ولكنها لم تتعرض لرؤوس الاموال اليهود من أمثال إسرائيل انشتاين وميخائيل شابيرو وديفيد كروك ، وفرانك كو ، وسوفى ريتنبرج الذين أكرمتهم الثورة . هذا وأمثاله مما وقع فى كل الاقطار التى إلتهمتها الشيوعية أثر ثورة جامحة برهان على أن الشيوعية فى كل مكان هى من صنع اليهود . وقد تنبه لهذه الحقيقة أمثال روبرت ولیمز الذى قال : الصهيونية صنو الشيوعية ومرضعتها وحاميتها وكلتاها تقصد إلى إضرار ثورة عالمية والشيوعية التى وضع تعاليمها يهودى عريق هو كارل ماركس ونفذت فى روسيا بفضل اليهودية هى من نتاج العقل اليهودى ، والصحف الشيوعية تحارب كل حركة معادية للصهيونية بحجة أنها حركة « لا سامية » كأنما عدم كره اليهود دين عالمى يفرض إحترامه على كل الناس . وإذا كانت الصهيونية التى يعد موسى هيس منشئ فكرتها وسابق كل من أتوا بعده فى مرحلتها العملية ليتودور هرتزل فإن أمام الشيوعية كارل ماركس نفسه قد تتلمذ على يد الصهيونى الاول هيس وقد جذبته إليه آراؤه فى الاشتراكية وتأثر به وأفاد منه وجعله أحد أئمتة فى مذهبه الهدام وهرتزل نفسه قد تأثر بموسى هيس وكتاب الدولة اليهودية لهرتزل الذى دعا فيه صراحة إلى قيامها بفلسطين مسبوق بكتاب « روما - اورشليم لموسى هيس وكتاب أمثال دانيال دروندا وجورج اليوت قد تأثرا بكتاب موسى هيس فقطباً للصهيونية والشيوعية تجمعهما اليهودية اللثيمة . وموسى هيس يهودى متعصب معروف بتطرفه ، وكارل ماركس

يهودى صميم ابن حاخام يهودى ومارده والده عن اليهودية وصبوءه إلى المسيحية ليس إلا نفاقاً عرف به اليهود فى جميع مراحل التاريخ ، وما كان صبوء الدكارل ماركس إلى المسيحية ناجماً عن اعتقاده فى صحتها ولا فى اعتقاده فى بطلان اليهودية ولكن المصلحة حملته إلى إثبات المسيحية على اليهودية التى كان اتباعها منظوراً إليهم بعين السخط والحقد والمقت لما طبعوا عليه من صفات اللؤم والخسة والغدر والطمع وكل الصفات القبيحة . فالخروج على اليهودية والدخول إلى المسيحية كانا من أجل الحصول على مغنم دنيوية ما كان ليتاح له الظفر بها لو بقى على دينه فتركه ليجر إلى نفسه المغنم ويبعد عن نفسه المضار .

(٥) وهكذا تؤكد كل الدراسات والابحاث التاريخية والعلمية إن الشيوعية تنظم يهودى : بالمال والانفس وإن أعظم زعماء الشيوعية الذين قاموا بالثورة يهود شديداً التعصب لليهودية وأن اليهود أنشأوا الخلايا فى روسيا منذ وقت مبكر كمقدمة لثورة عام ١٩٠٥ التى كانت تمهيداً لثورة ١٩١٧ وقد أكد لينين هذا حين قال بعد قيام الحكم الشيوعى فى روسيا « لولا التجربة النهائية لسنة ١٩٠٥ لكان فوز ثورة أكتوبر محالاً . » وقد بدأت مجلة اسكرا (الشعلة) فى سويسرا توقد بنيران الثورة هادفة إلى تدمير عنصرية وإقامة الدولة الشيوعية منذ عام ١٩٠٠ وقد تولى مجلس إدارتها سبعة من أقطاب الشيوعيين وهم : لينين ، بينانون ، يوتريسوف ، تروتسكى ، مارتون ، أكسلرود ، تسازولتش وهؤلاء السبعة يهود أما سكرتيرة المجلس فيهودية متعصبة هى كروبسا كايا وهى زوجة لينين . كما تأسس فى روسيا خلال هذه الفترة أخطر منظمة يهودية يتولاها إرهابيون من غلاة اليهود . وكانت مهمتها القيام بالاغتيالات وقد ذهب ضحيتها بعض ذوى الاسماء البارزة فى روسيا . ومنذ ثورة ١٩٠٥ والحركة فى يد اليهود هم ممولوها والدعاة لها . وكانت ثورة فبراير عام ١٩١٧ انفجاراً شديداً أعقبه سقوط القيصر وتآلفت بعد ذلك أول حكومة مؤقتة لحماية الثورة برئاسة اليهودى كيرنسكى ثم أعلنت ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ ، وعندما تم تشكيل الحكومة كان أكبر رجالها هم اليهود : - أوليانوف الملقب بلينين . - برونستين الملقب تروتسكى - بنشامكس الملقب ستوكولوف - زينو مفيف الملقب وازنفلد - كامنيف الملقب فورتنبرج . والمجلس الشيوعى العام كان قوامه ٥٤٧ عضواً منهم ٤٤٧ من اليهود الغلاة المتعصبين . واللجنة المركزية ٣٨٨ منهم ٣٧١ يهودياً والمعروف أن البارون هيرش اليهودى هو الذى كون الفرق العسكرية اليهودية ومول كل المستعمرات اليهودية فى فلسطين ومول ثورة اليهود فى روسيا

وَأَنَّ اليهودى المليونير يعقوب شيف فى أمريكا وضع مخطط الثورة البلشفية وأمدّها بالمال والسلاح ومرو الثوار فى الاراضى الامريكىة على الاغتيالات والقتال . ورب آلاف الشباب اليهودى وزودهم بجوازات سفر أمريكية وأرسلهم إلى روسيا وهؤلاء هم الذين أثاروا الفلاحين العمال ضد الحكومة الروسية . وكذلك فإن الثورات التى قامت فى بولندا وألمانيا دبرها اليهود وهم الذين تولوا قيادتها ورئاسة الحكومة فيها وكذلك الامر فى المجر وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا : وقد كشفت الثورة الشيوعية فى روسيا منذ اليوم الأول بشعبها اليهودى وموقفها من الصهيونية فى صراحة عجيبة تؤكد العلاقة العضوية بين الشيوعية والصهيونية والهدف الذى ترمى إليه اليهودية العالمية فى السيطرة ماركسياً وصهيونياً على العالم كله . فمنذ تولى الشيوعيون السلطة فى روسيا بعد الانقلاب الشيوعى (٨ أكتوبر ١٩١٧) هاجمت الشيوعية جميع الاديان وخاصة الإسلام وغضت الطرف عن الديانة اليهودية كلية . وقد كان ذلك موضع دهشة المراقبين الذين تساءلوا هل هناك علاقة بين الشيوعية واليهودية . وقد أجاب عن ذلك الزعيم الشيوعى (لينين) مفسر الماركسية ومقننها والذى أطلق على برنامجه كمرحلة جديدة « الماركسية اللينينية » أجاب لينين على ذلك بما يضع أمام المؤرخين والباحثين إضافة جديدة تؤكد العلاقة الجذرية بين الشيوعية والصهيونية . وكان المظنون أَنَّ الشيوعية والصهيونية حركتان توأمان تتحركان بجمهرة اليهود الروس وتسيطران عليهما ، وقد أعلن الصهيونية زعيمها (تيودور هرتزل) ودخلت إلى روسيا حوالى ١٨٨٠ فكانت منافسة للماركسية لكاهنها الاكبر (كارل ماركس) وكارل ماركس يهودى اسمه (كاي مردخاي) ولكنه غير دينه واتبع المسيحية ليستطع أن يهاجمها بجرية . يقول لينين « أن حجر الزاوية فى رأى كارل ماركس وانجلز فى الدين هو قولهما الماثور (أن الدين أفيون الشعوب) لقد كان رأى الماركسية فى الدين والمعاهد والكنائس والمساجد وكل نوع أنواع المؤسسات الدينية ، أنها صدى للرجعية والبرجوازية ، لا هدف للاديان إلا الدفاع عن سياسة الاستغلال والتخدير وتبرير تصرفات الملوك التى يتخذها الرأسماليون نحو الطبقات الكادحة . أما (الخرافات اليهودية) وإن كانت لا تختلف عن باقى الاديان ولكن بقاءها لليهود البؤساء أمر ضرورى للمحافظة على يهوديتهم حتى ينالوا حقهم فإن اليهود إذا نبذوا دينهم حينئذ يشبهون فى الاقوام المجاورة لهم وبمرور الزمن يفقدون إسرائيليتهم كمجموعة كاملة ومتحدة فإن الدين أمر ضرورى لهم فلم يجمع بنى إسرائيل غير الدين ، والمحافظة على الدين اليهودى أمر ضرورى

لحياة الشعب اليهودى المختار ريشما ينالوا حقوقهم . ويعلق الدكتور محمد عزت نصر الله الذى نشر هذه الوثيقة فى كتاب الثورة العربية « على ذلك فيقول : إن هذا التجاوز الشيوعى للدين اليهودى واستثنائه من مخطط محاربة الاديان يبرهن على أن الشيوعية إنما تعمل لتحقيق الهدف الصهيونى فى السيطرة على العالم ابتداء من فلسطين العربية المسلمة فإذا كانت الحرية الدينية محرمة على المسلمين والمسيحيين ومباحة لليهود فإن الاجيال المسلمة والمسيحية القادمة ستصبح بلا دين ولا تعبد غير المادة ، وذلك بخلاف الاجيال اليهودية التى تستطيع عندئذ أن تسيطر على الشعوب التائهة التى كانت مسلمة أو مسيحية فيما مضى . وقد تابع ستالين هذا الاتجاه وعمقه ونمائه حين أعلن « أن دولة السوفيت الشيوعية لا يمكنها الوقوف موقفاً محايداً تجاه الدين ، فالحزب الشيوعى يقف بجانب المادة ، فى حين أن الدين يناهض المادة ، والدين والشيوعية مثلهما مثل الماء والنار فكما أن هاتين المادتين لا تتحدان وإحدهما تقضى على الثانية فلا مكان للدين فى الديار الشيوعية أبداً فكل دين من الاديان هو والمادة على طرفى نقيض » . ومن هنا فقد أجاز القانون الشيوعى تعليم الدين إلى النشء بعد اجتيازهم سن الرشد (٢١ سنة) ونص على أن تعليم الدين للأطفال قبل سن الرشد جريمة يعاقب عليها ، هذا هو معنى الحرية الدينية فى الاتحاد السوفيتى ، وهذه الحرية لا يسمح بها إلا فى الظروف التى يجيزها مبدأ الانتهازية السياسية للشيوعية . فقد جاء فى كتاب التعليقات على القسانون الجنائى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية فى الطبعة الثانية بموسكو سنة ١٩٤٦ . ص ١٦٧ ، ١٦٨ ما يلى : « إن كل تعليم مدرسى أو كنسى أو مسجدى دينى للقصر ، دون سن الواحدة والعشرين أى سن البلوغ يعد تعدياً وخيانة على حرية الغير المكفولة بنصوص الدستور السوفياتى ويعاقب الآباء والأمهات والمعلمون بالعقاب الجنائى » والعقاب الجنائى فى الاتحاد السوفيتى هو النفى أو السجن أو الإعدام يقول الدكتور محمد عزت نصرالله : إن سياسة التربية الشيوعية تفرض على الإنسان أن يتزجرع ويكبر ويشب فى بيئة ملحدة وثقافة تستهزئ بالدين وتسخر بتعاليمه وبالكتب السماوية إلى أن يبلغ سن الرشد السوفياتى (٢١ سنة) ثم بعد ذلك يسمح له بممارسة الحرية الدينية ولكن بقيود رهيبية تصل إلى درجة خطيرة من التعجيز الذى يستحيل معها ممارسة الشعائر الدينية وقد أدت هذه السياسة إلى ظهور جيل مسيحي لا يؤمن بالله . ولا يؤمن بدين ما باستثناء الدين اليهودى إذ يسمح لليهود فقط كما قال لينين : بممارسة حريتهم الدينية الكاملة لأن الدين اليهودى أمر ضرورى

الحياة الشعب اليهودى المختار ريثما ينالوا حقوقهم) وهكذا برز لينين الحماية الشيوعية للدين اليهودى ويقول : أن لينين يعترف باليهود كشعب مختار ولعل هذا ما دفع الحكومة السوفياتية فى بداية حكمها عام ١٩١٧ إلى إصدار جملة قرارات كلها التأمين الكامل لحق اليهود فى وطن قومى لهم فى فلسطين ، وإذا سألنا ما هى حقوق اليهود فالجواب هو - ماركسيا وصهيونيا - تنفيذ مرامى وأهداف الأيدلوجية اليهودية القائمة على فكرة الشعب المختار والدافعة بالتالى للإعتبارات : أولاً : أن الأرض وما فيها ميراث لبني إسرائيل تلزمهم مشيئة الرب بأن يستولوا عليها . ثانياً : ان كل شريعة غير شريعة بني إسرائيل فاسدة . ثالثاً : ان كل سلطة على وجه الأرض غير سلطتهم هى مغتصبة . رابعاً : أن كل شعب حر ، غير شعبهم قابض على ذروة من السلطة هو غاضب . خامساً : أن الرب حرم عليهم الشفقة والرحمة . وهكذا يكشف ما أوردناه عن العلاقة الجذرية بين اليهودية كأهم والشيوعية والصهيونية كأبناء لها . بل أننا لنجد ما هو أشد عنفاً من ذلك وأشد قسوة حين يرى ماركس أن الحل اليهودى الصهيونى هو الماركسية وحدها . ويرى موردخاى (أن حل المشكلة اليهودية يستلزم أن يسيطر اليهود على جميع الناس) وذلك بتطبيق ما أسماه « التحويل الاشتراكى للعالم بأسره » وإذابة الأديان والقوميات فى بوتقة الماركسية ، ذلك - فى تقديره - أن المشكلة اليهودية قائمة تحت ضغط الاختبار القاتل بأن اليهود هم « شعب الله المختار » وبما أن الماركسية حركة تهدف لإخضاع المجتمع البشرى إلى قيادة طليعة اشتراكية ماركسية واحدة ترتبط بها كل الحركات الماركسية فى العالم ، يرى اليهود أنهم أصلح البشر بصفة كونهم « شعب الله المختار » لإحتلال مركز القيادة الطليعية التى هى الاسم العصرى لعقيدة « الشعب المختار » من اليهودية ، ولقد استطاع السكر اليهودى أن يؤسس الحركة الماركسية لتتم السيطرة على العالم بالتحويل الاشتراكى وأن يؤسس الحركة الصهيونية لتتولى عملية مخادعة العالم (وخاصة الولايات المتحدة وأوروبا الغربية) بأن الحركة لا صلة لها بالشيوعية العالمية وأنها تحمل لصالح الاستعمار الغربى وخدمة استراتيجيته الدولية العامة وبذلك تتمكن من احراز عطفه ومساعدته على إقامة الوطن القومى اليهودى ثم الالتفاف - بعد تحقيق ذلك - للانقضاض على الغرب وتحقيق السيادة اليهودية العالمية بالسيطرة (ماركسياً وصهيونيا) على العالم كله وهكذا يتحقق التصور اليهودى للعقيدة اليهودية ، وما هذا الخلاف الظاهر بين الاتحاد السوفيتى - قاعدة العمل الماركسى - والصهيونية سوى « تكتيك مرحلى » تتطلبه خطة السيطرة اليهودية فى الوقت

الراهن . ويقول الدكتور محمد عزت نصر الله : طبيعى أن السيطرة اليهودية لا يمكن أن تتم إلا بعد تهديم العالم الإسلامى واضعاف الشعوب الإسلامية . « . هذا هو المخطط اليهودى (الصهيونى الماركسى) المشترك كما استخلصه الباحثون من كتابات الصهيونيين أنفسهم . وهو المفتاح الحقيقى لكل تحركات السياسة الدولية فى العصر الحديث وقد ينتبه له كثيرون فى مقدمتهم عباس العقاد ومحمد خليفة التونسى فى مقدمته لكتاب بروتوكولات صهيون وكان أول من ترجمها إلى العربية ، وقد جاء بعد ذلك فرانك بريتون وهو مفكر غربى كاشفاً لهذه العلاقة الغامضة التى ترتبط أساساً بالماسونية وقد كشف هذا الجانب الكولونيل عبد الله التل فى كتبه العديدة ومنها « جذور البلاء » و « الأفعى اليهودية فى معازل الإسلام » كما كشف هذا مؤلف كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج » ومؤلف كتاب « الحكومة الخفية » . وهى كتب متداولة فى السوق العربية ولكن قادة الرأى لم يكونوا قادرين على تبين هذا الاتجاه حتى كشفه المرحوم جلالة الملك فيصل حين قال : « إن الشيوعية وليدة الصهيونية » . وهناك دراسة موسعة لهذا البيان للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار تتناول جذور هذه القضية وإذا نظرنا فى ضوء هذه المفاتيح إلى الحقائق الراهنة وجدنا إن دعاة الشيوعية فى مصر فى مطلع هذا العصر كانوا يهوداً : (هنرى كوريل ، ورؤل كوريل ، وريمون أجيون) وكان هؤلاء وغيرهم يمولون الحركات الشيوعية بالمال وقيل بالجنس أيضاً وقد تعاقدوا مع الدكتور طه حسين على إصدار مجلة الكاتب المصرى وكان الدكتور طه حسين قد أعلن تأييده لفهوم اليهودية التامودية باكراً حين أنكر وجود ابراهيم واسماعيل وكذب القرآن والتوراة ولم يكن يعرف فى هذا الوقت الباكر إن ذلك كان تمهيداً لتحقيق أهداف الصهيونية (٦) ويتساءل فرانك بريتون : هل الشيوعية ضد الصهيونية ؟ ويقول : بقى هناك اتهام يجب إزالته وهو فيما قد يتطرق إلى الذهن من كون اليهود كلهم شيوعيون والحقيقة أن ليس كل اليهود شيوعيين فإن الشيوعية والصهيونية تسربت إلى الإحياء اليهودية المحصورة فى روسيا كحركتين متنافستين منذ ١٨٨٠ فلما تسلم البولشفيك الحكم عام ١٩١٧ حاولوا فرض فكرتهم الخاصة على سائر السكان اليهود فهم مع إنهم يهود ارتأوا أن يحتفظ اليهود بقوميتهم ضمن الشيوعية ولكن مع تحوير هذه القومية لتتنسج مع الشيوعية وتستقر فيها ، فعلموا ذلك لأنهم اعتقدوا أن فكرة الصهيونية المندمجة فى الاستعمار البريطانى لا يمكن تصفيتها . أما الصهيونيون وهم الأشد تشبهاً بالفكرة الدينية المتزمتة فرفضوا هذا الرأى بناتاً ، وكانت

النتيجة أن الشيوعيين أنشأوا دائرة خاصة بمعالجة الصهيونية وجربوا أن يستميلوا النشء اليهود بأن جرموا تدريس الصهيونية لمن دون العشرين منهم . والتنافس بين الشيوعية والصهيونية مستمر حتى يومنا هذا فرغم تقييد السماح بهجرة الألوف من اليهود من روسيا وملحقاتها إلى الدولة اليهودية منذ قامت فإن السلطات الروسية قلما تسمح للشبان من اليهود بالهجرة كون اليهودى شيوعياً أو صهيونياً أو كليهما معاً - وكثير منهم كذلك - لا ينبغي كونه يهودياً وليست الشيوعية والصهيونية سوى مظهرين لقومية واحدة هي القومية اليهودية التي لا تفتأ تناوئ سائر العالم غير اليهودى . (٧) وإذا ذهبنا نستقصى العلاقة بين الشيوعية والصهيونية وصلنا إلى مجموعة كبيرة من الحقائق وأولى هذه الحقائق إن العقلية اليهودية صاحبة المذاهب الرأسمالية هي صاحبة الصهيونية والشيوعية . ويقول كودمين : إن اسم تروتسكى (زعيم الشيوعية) واسم روتشيلد (زعيم الصهيونية) يمثلان التможات العقلية اليهودية تروسكى علم على الشيوعية والسوفييت ، وروتشيلد على الرأسمالية والغرب الليبرالى أن لثنين زعيم الشيوعية الأكبر كان من مخططى الصهيونية ومن واضعى بروتوكولات حكماء صهيون وأنه حضر مؤتمر الحكماء فى سويسرا وأن الثورة الدولية ليست من طبقة البروليتاريا بل هي من طبقة اليهود وأن أول رئيس فى دولة روسيا زعيمه اليسار العالمى كان اليهودى (كلينيف) وتلاه الإرهابى اليهودى (مضرولوف) وبعهما اليهودى (زيتوفيف) وقال أن الذين يحكمون روسيا الآن ليسوا من الروس ولكن حفنة من اليهود الإرهابيين العالميين ، وأن الشعب الروسى هم يعيش فى فقر وحرمان فى حين يقتنى قادة الكرملين السيارات الأمريكية الفارهة ويعيشون عيشة القياصرة . والسؤال هو : هل نفذ اليهود ذلك الحلم الزائف : ان التمييز على أشدة فى هذه الدول فهناك طبقة قياصرة الكرملين الذين يعيشون عيشة الملوك وطبقة أعضاء الحزب المميزون فى جميع أنحاء الدولة ثم طبقة الشعب الذى يعيش ليأكل فلا حريات مساواة بل معتقلات تضم آلاف فى سيبيريا وكل ما حصل عليه أفراد الشعب أنهم أصبحوا تروساً فى آلة الإنتاج العام فلا كيان للفرد وإنما عليه أن يكذب ويخدع ويغش ويتجسس لمصالح الحزب الشيوعية . (٨) يقول الأستاذ عبد السلام العمرى : أن حقيقة الماركسية لا يجب فصلها عن كونها فكرة يهودية قصد من وراءها (كارل موردخاى - ماركس) واليهودية لعالمية السيطرة على العالم عن طريق عقيدة فكرية هدامة تحارب الدين والاخلاق والقيم تحت راية العلم والموضوعية والاحتمية والتاريخية . وأن اليهود بذلك كانوا مدين أن

(الردة) عن الدين كانت لقرون طويلة ردة قصيرة لا يلبث المرتدون فيها أن يعودوا لاعتناق ما كانوا يدينون به من قبل بعد إشباع نزواتهم ورغباتهم وكان لابد من نظريات وأفكار ومبادئ تربط عقول الناس وتغرقهم في ردتهم مبتعدين عن الدين بحجة أن العلم هو الذى قرر ذلك بصورة لا رجوع عنها ولا شك فيها والتخطيط اليهودى يرسم أهدافه عن طريق مفكرين ورجال بارزين حملوا دعوى الافكار والنظريات العلمية ليحققوا أهداف اليهود ، وهكذا كان ماركس وفرويد ودوركايم وسارتر جنوداً بارزين في هذا الميدان . أن ارتباط التخطيط اليهودى بالماركسية إذن هو الذى يعطينا الجواب الشافى لماهية السبب الذى قاد تصور ماركس لدعوى افتراض بدء الشيوعية في أوروبا الغربية وبريطانيا كما تقدم لنا التعليل الكافى للإعتقاد بتحول التخطيط اليهودى ناحية روسيا لتطبيق ما رسموه لها وللعالم من خطة تدميرية . وحقائق التاريخ تثبت أن اليهود سيطروا على بريطانيا لفترة زمنية طويلة ، عاد اليهود إلى بريطانيا باعتبارهم أصحاب المال والنساء في حركة كرومويل الذى ظهر عام ١٦٤٧ وقاد ثورة ضد الملك شارل الاول وخلعه عن العرش وأعلن قيام الحكم الجمهورى وقد أصدر عام ١٦٥٧ أمراً بعودة جميع اليهود المطرودين إلى بريطانيا ومنحهم جميع الحقوق المدنية ، كما انتقم كروويل لليهود من الأسرة الملكية بصورة رهيبية لطخت المعتقد القائل بتدرج السياسة الإنجليزية وتحضر الحياة فيها وأصدر كرومويل قانوناً منع بموجبه العمل يوم السبت وأرغم المسيحيين على قراءة التوراة طيلة أيام الاحد وألغى الطقوس الدينية المسيحية ودام حكمه حتى عام ١٦٦٠ م. أن رجعة اليهود إلى الجزر البريطانية وسيطرتهم المحكمة من جديد على مختلف الحقوق الاقتصادية الدينية والسياسية يتساوى تماماً مع ظهور الافكار الماركسية اليهودية التى كانت بصورة بدئية تشير إلى توقع أن يكون المنطلق الاول للشيوعية إنما هى دولة بريطانيا بالذات قبل غيرها. هكذا إذن ليست وسائل الإنتاج المتغيرة ولا أساليب الإنتاج المتبدلة هى التى حسمت ضرورة قيام الشيوعية في بريطانيا وإنما هى السيطرة اليهودية المحكمة على بلاد الانجليز هى التى دفعت ماركس لما أشار إليه في كتاباته في هذا الشأن . ومع ذلك يتبادر سؤال هام في هذا المجال . ما هو الدافع إذن لتغيير المخطط اليهودى والاتجاه نحو روسيا ، واتخاذها المنطلق الاول لقيام الشيوعية في العالم قبل غيرها . ومع صعوبة الجواب القاطع عن الدافع الباعث لتعيين المخطط اليهودى إلا أن دراسة الظروف السياسية والإجتماعية والاقتصادية تقدم لنا دليلاً هاماً لذلك الدافع . فتغير الظروف المحيطة التى تطورت بعد إعلان

ماركس لافسكاره وما صاحبها من إجتماع الزعماء اليهود في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ لمدارسه كيفية السيطرة اليهودية على العالم أدى إلى القرار الحاسم بضرورة توجيه ثقلهم نحو روسيا بعد أن يتقنوا بعدم الحاجة لقيام دولة شيوعية في بريطانيا ما داموا يطبقون عليها تماماً بما لديهم من وسائل وأساليب محكمة . وقد كان لابد من قيام ثورة شيوعية في روسيا لاسباب :

أولاً : الجهل والفقر المطبقان على سكانها مما لا يمكن استثماره لصالح الحركة الثورية .

ثانياً : وجود كنيسة مسيحية لها نفوذ بين طائفة ضخمة من المسيحيين في العالم وتحطيمها ولابد أن ذلك يسهل إمكانية تقريب الهدف اليهودي في التحقيق بصورة أسرع وأكثر فاعلية .

ثالثاً : موقعها الجغرافي ومساحتها الهائلة وعدد سكانها الكبير ومصادرها المعدنية والزراعية الضخمة مما شكل عوامل أساسية لدور عالمي كبير متوقع في السياسة الدولية . ويقول : أن تكشف ارتباط الاصابيح اليهودية ودورها في الافكار الماركسية هو الذي أراح ستر (العملية) التي حاول اليهود جهدهم إخفاءها على كتابات ماركس وأتباعه طيلة عشرات السنين . وتقول ونفس الامر كان بالنسبة لكتابات فرويد كما سنبين من بعد . (٩) ونصل من هذا كله إلى ما أطلق عليه « الثورة العالمية » وهي نتاج المؤامرات اليهودية عن طريق الصهيونية والشيوعية . ويصور الأستاذ محمد عبد الله عنان أبعاد الثورة العالمية فيقول : أما اليوم وقد حطمت البلشفية دولة القياصرة ودست تعاليم ماركس إلى كثير من نواحي الحياة الروسية وغدت الاشتراكية والشيوعية قوتين سياسيتين عظيمتين . إن كل أساليب التقويض والهدم التي تهدد بالفناء كل المجتمعات والنظم الحاضرة تجتمع في الدعوة إلى الثورة العالمية ، فالفلسفة والدولة الشيوعية والاشتراكية واللاحكومة وغيرها من الدعوات والمصادر الثورية كلها قوات هائلة تعمل لغاية واحدة . إن الثورة الفرنسية التي هي وثبة من أعظم وثبات الهدم في العصر الحديث ترجع إلى نشاط هذه القوات الخفية ومهارتها في استغلال سخط الجماعات أكثر مما يرجع إلى الاسباب والحوادث المادية التي ينسب إليها انفجارها عادة . وقد كانت الثورة الفرنسية ثورة عالمية في معنى من المعاني . ذلك أنها قصدت بالهدم والتجديد كل النظم القديمة من أساسها وقصدت إلى تغيير الحياة العامة من جميع مظاهرها . وقد قطعت الثورة الفرنسية مرحلة كبيرة في هدم المجتمع نظم الإقطاع وحطمت الملكية وأقامت النظم الجمهورية وسحقت سلطان الكنيسة وقررت ضروباً شتى من الحريات السياسية والاجتماعية وكانت مبعث الوحي لطائفة كبيرة

من الثورات السياسية والاجتماعية التي اضطرت بها معظم الدول الأوروبية في القرن الماضي . هذه الروح الهدامة تجلت بأشكال رائعة في الثورة الروسية الاخيرة ، فقد حمل سيل البلشفية كل ما صادره من تعاليم ونظم وأمعن البلاشفة في الهدم والتدمير فأبادوا معالم المجتمع القديم بأسرها ، ودكوا كل مظاهر الحياة العامة فقط ، بل قصدوا فوق ذلك إلى تغيير عقلية الافراد وإلى استبدال التعاليم والتقاليد الاخلاقية بتعاليم وتقاليد جديدة وقد فاز البلاشفة في هذه الناحية أما فوز ، وإن أخفقوا في تطبيق النظم الاقتصادية الشيوعية فشادوا في بضعة أعوام مجتمعا غريباً في تفكيره أبحاثاً في اعتباراته وتقديراته ثورياً في عقليته وغاياته ، وهذا المجتمع هو الذي يبرز اليوم إلى الطليعة رافعاً لواء الثورة العالمية : فهل تكون البلشفية والثورة العالمية اسمين لمسمى واحد ؟ إن عبارة (الثورة العالمية) كثيراً ما تجرى على لسان أقطاب موسكو وزعماء البلشفية بل قلما تسمع لاحدهم حديثاً أو تقرأ مقالا لا يخلو من الإشارة إلى الثورة العالمية وثورة الكتلة العامة وغيرهما ، وما زلنا نذكر آخر تصريح لنسيفينف رئيس الدولة الشيوعية : فاه به في مؤتمر الدولية الاخير إذ قال : « إن بوادر الجزع والاضطراب تجتاح العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وأن في الاضطرابات التي تعصف اليوم بالصين والهند وسوريا وفلسطين ومصر وتونس ومراكش للدليل على أن الجماعات المهيضة تقطع مرحلة جديدة في سبيل إضرام نار الثورة العالمية واستخلاص الأكرية الهائلة لحرياتها من قبضة الاقلية الطاغية . غير أن ما يقوله رئيس الدولية أو غيره من زعماء البلشفية ، وما يقوله على الشخص (لينين) في كتبه عن ثورة الكتلة العامة لا يعنى أن الجمعية السرية التي تقبض على مصائر روسيا تعمل دون وحى يلقى إليها من وراء ستار وتسير في جهودها الهدامة مستقلة دون توجيه ، فما هو المصدر الخفى الذي يغذى جهود البلشفية ؟ وما هي غايته الاخيرة التي يدفع الحركات الثورية المختلفة إلى رعايتها والعمل على تحقيقها ؟ إن البناء الحر والمالية الدولية والجامعة الجرمانية كلها قوات حقيقية لا مرية في وجودها تؤثر في شؤون العالم أما تأثير وفي وسعنا أن نعين منها أساء الزعماء وطرق العمل ومراكز الوحي والإرشاد ولكننا لا نستطيع أن نفعل بالمثل في مسألة الثورة العالمية ومع ذلك ، فالثورة العالمية ، حقيقة يشعر العالم بوجودها وبغالب جهودها . إن ثورة الكتلة العالمية وتحريرها من نير البرجوازية وتحطيم النظم الرأسمالية وإضرابها من العبارات الشيوعية كلها ستار

لغاية واحدة ، هى غاية هدم شاملة ، فتحطيم المجتمع الرأسمالى معناه تحطيم المدنية الحاضرة وكل ما احتوت من أديان وتعاليم وتقاليد وهدم المدنية غاية عملت لها جميع القوات الخفية والجمعيات السرية خلال القرون ، ولكن الحرص على تنفيذ هذه الغاية والدقة فى تنظيم القوى التى تعمل لتحقيقها ، واستعداد المجتمع الحاضر لتلقى تعاليمها كأنها ظواهر جديدة لم تظهر من قبل يمثل ما تظهر به اليوم من جلاء ووضوح ، ذلك لأن عقلية المجتمع الحاضر قد تأثرت بمؤثرات جديدة عميقة ، وقد بعثت البأساء الطاحنة آلام الحياة ومصاعب العيش فى كثير من البيئات روحاً من اليأس والنقمة لم تعرفها من قبل . وهذه الروح هى التى يستغلها دعاة الثورة العالمية وهى التى مهدت السبل لروسيا القيصرية لفوز البلشفية وتمهد اليوم سبلا شتى لنشاط الدعوة الشيوعية . إذن فالدعوات الشيوعية والاشتراكية واللاحكومية نواح من نواحي الثورة العالمية تعمل كلها من سبل مختلفة إلى نفس الغاية . ويقولون : إن الثورة العالمية والخطر اليهودى أسان لمسمى واحد وإن دعاة الثورة العالمية هم دعاة السيادة اليهودية العالمية وأن الفكرة اليهودية القديمة فى سحق المدنية الحاضرة هى التى تجثم وراء الثورة العالمية . فإما كون اليهودية تقصد بالهدم والمحو كل النظم الحاضرة وتقصد بالاحص إلى هدم التعاليم الدينية والأخلاقية نصرانية كانت أو إسلامية فإمر لا ريب فيه . ولكن ليس ثمة ما يؤيد أن اليهودية تختفى وراء البلشفية والشيوعية والاشتراكية وما إليها من دعوات الهدم وكل ما هنالك أن اليهودية تعمل لنفس الغاية والظاهر أن اليهودية ما هى إلا إحدى القوى التى تعمل للهدم إلى جانب الحركات الأخرى وأنها تدين بنفس التعاليم الحرة الهادمة ، وأن هذه القوى ترعى جميعها مثلاً واحدة هى الجماعة بينها وهى التى توجه نشاطها وتوحد بين غاياتها وإذا كان من المستحيل أن نعين ذلك المصدر والمصادر الخفية التى تغذى دعوة الثورة العالمية بالنصح والإرشاد وتمدها بالدعاة والأموال فقد لا نذهب بعيداً إذا قلنا أن البلشفية هى أقوى وأمنع عناصر الثورة العالمية وأنها هى التى تبرز إلى الطليعة بالقول والفعل وأنها واسطة الوحي فى تغذية العناصر الأخرى التى تحرض على تحقيق غاية موحدة شاملة هى هدم المجتمع الحاضر من الأساس واستبداله بمجتمع يقوم على مبادئ الشيوع والإباحة وتحقيق أعظم ما يستطيع من مثل ماركس ولينين . وإذا كان هذا ما كتبه الأستاذ محمد عبد الله عنان عام ١٩٢٦ فقد تكشف فى خلال الخمسين سنة التى تلت ذلك وحتى اليوم حقائق كثيره لم تكن واضحة

إذ ذاك وإن كان في دراسة هذه يعتبر متقدماً تقدماً كبيراً نحو فهم علاقات الشيوعية والصهيونية باليهودية العالمية . وعلى الذين يرددون كالبغاوات اسم « الثورة العالمية » أن يعرفوا أبعاد هذا التغيير ومدها .

(٣)

العالم الإسلامي والصهيونية

كانت الحركة الأولى في اتجاه أوروبا الغربية : عالم المسيحية الكاثوليكية والحركة الثانية : اتجاه روسيا وعالم المسيحية الارثوذكسية ، أما الحركة الثالثة فكانت في مواجهة العالم الإسلامي من أجل الهدف الأكبر الذي قامت من أجله خطة التلمودية : الوصول إلى أرض الميعاد . ولما كانت دولة الخلافة العثمانية هي العقبة التي وقفت في وجه الاطماع الصهيونية فقد تقرر إزالتها وفتح الطريق إلى القدس التي يملكها المسلمون منذ الفتح الإسلامي والتي ظلت في حمايتهم أربعة عشر قرناً كاملة ، لم تنتزع منهم إلا فترة أولى سنوات الحملة الصليبية ثم استعادها صلاح الدين . وعندما أوقد النفوذ الاستعماري والصهيوني الخلاف بين المسلمين : عرباً وتركاً وأوقع بينهم إنما كان يتطلع إلى الاستيلاء على القدس لتسليمها إلى يهود وأن هذه المناورة التي تمت كلها بخطوطها التي رسمها لورنس واللشب وغيرهم إنما كانت تستهدف تمزيق الوحدة الإسلامية العربية والتركية للسيطرة على فلسطين وتفتيتها هدية لليهودية التلمودية ووليدتها الصهيونية . ولا ريب أن الوصول إلى فلسطين هو بمثابة المرحلة الثالثة في برنامج السيطرة العالمية الذي أضمرته بروتوكولات صهيون التي تكشف أمرها عشية المؤتمر الصهيوني الأول في بازل (بال) عام ١٨٩٧ والتي تستهدف إلى إقامة حكومة عالمية تسيطر من النيل إلى الفرات وتستوعب المجتمع الإسلامي كله وتعد العدة لهذه السيطرة ببرنامج غزو فكري وعقائدي ونفسي يستهدف تدمير المجتمعات الإسلامية والعلمية جميعاً من أجل تحقيق السيطرة العالمية التلمودية . والصهيونية هي الواجهة السياسية لأهداف الأيدولوجية التلمودية اليهودية ، وهي ثمرة عمل الماسونية سنوات طويلة وهي التجسيد الواقع للمخططات اليهودية ومنطلقها السيطرة على أرض فلسطين وإقامة دولة إسرائيل . وهي بمثابة تحقيق النبوة الزائفة التي رددتها التوراة التي كتبها عزرا وخطط لها التلمود وتعتبر الحركة التلمودية *

اليهودية خادمة لها فتكون هي بدورها نواة الدولة العالمية اليهودية . ومن أجل تحقيق هذا الهدف كان لابد لليهودية العالمية من السيطرة على الدولة العثمانية التي تقع فلسطين في نطاقها . ومن أجل هذا بدأت المحاولات لإقناع السلطان عبد الحميد بالسماح لليهود بالإقامة في فلسطين في مقابل أن تقوم اليهودية العالمية بتحقيق عدد من المشروعات والخدمات منها تسديد ديون الدولة وإقامة عديد من المشروعات التجارية والاقتصادية . وقد رفض السلطات عبد الحميد عروض اليهود رفضاً باتاً فكان أن اتجه اليهود إلى تخزيق الدولة العثمانية عن طريق إثارة الثغرات العنصرية وإيقاع الفريقيين المسلمين اللذين يشكلان الدولة : [الترك والعرب] في صراع شديد انتهى بانضمام تركيا إلى ألمانيا وانضمام العرب إلى (فرنسا - إنجلترا) وبذلك تمزقت تركيا بعد نهاية الحرب وقسمت ممتلكاتها العربية بين فرنسا وإنجلترا وأقيم نظام الانتداب البريطاني في فلسطين مع إعلان وعد بلفور الذي مهد لتسليم فلسطين لليهود وقد تم هذا خلال (١٩١٨ - ١٩٤٨) حيث قامت دولة إسرائيل وشرد العرب من أهل فلسطين ثم أمكن لإسرائيل أن تسيطر على بيت المقدس عام ١٩٦٧ . وبذلك حققت الصهيونية العالمية هدفها الأول من انبعاثها كحركة سياسية في العصر الحديث وإقامة الوطن القومي اليهودي وتهجير الآلاف من اليهود الذين هاجروا من روسيا ورومانيا وبولندا منذ عام ١٨٨٢ على أثر مقتل القيصر وقد توالى هذه الهجرات واتسع نطاقها بعد سقوط السلطان عبد الحميد وقيام حكومة الاتحاديين في تركيا وهي الحكومة التي ناومت خطة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها السلطان عبد الحميد والتي تكونت أساساً في محافل الماسونية اليهودية في سالونيك ، والتي فتحت الهجرة إلى فلسطين واسعاً حتى تجمع في فلسطين قبيل الحرب العالمية الأولى ٩٠ ألفاً ثم توالى الموجات بعد ذلك في ظل الصراع بين اليهود وألمانيا النازية منذ عام ١٩٤٤ . ولم يكن موقف ألمانيا النازية من اليهود هو العامل الاساسي في الهجرة ولكن الهجرة كانت بدأت قبل ذلك بوقت طويل من روسيا ورومانيا وبولندا أثر المذابح التي دبرت ضد اليهود في روسيا بعد اغتيالهم القيصر ، وحينما استولى النازيون على الحكم في ألمانيا وقعت مصادمات اضطرت اليهود إلى الهجرة من ألمانيا هرباً من الاعتقالات التي لم يتجاوز عدد الذين قبض عليهم فيها وعذبوا أو قتلوا بضع آلاف وليس كما يدعى اليهود أنهم بضع ملايين . وتشبت الوقائع أن الصهيونية استهدفت من إثارة هذه الازمة النازية تحقيق

عدة نتائج خطيرة تحت ستار دعوى التعذيب والاضطهاد . فقد استطاعت الصهيونية أن تحقق مكاسب اقتصادية كبرى وأن ترحل عدداً أكبر من اليهود ، وقد عقدت بين ألمانيا النازية والمستوطنين الصهيونيين في فلسطين اتفاقية صرحت بمقتضاها لليهود بالهجرة وتم الإتفاق على طرق الإفراج عن أموالهم وذلك مقابل كسر الصهيونية للحصار الإقتصادي الذى فرضه اليهود على البضائع الألمانية وقد فتحت ألمانيا لليهود امتياز احتكار البضائع الألمانية المصدرة إلى فلسطين وبلغ ما حولته ألمانيا ما قيمته ١٤٠ مليون مارك مما أنعش اقتصاديات المستوطن اليهودى . وكان هذا من أكبر دعائم الاساس الإقتصادي للاستيطان اليهودى في فلسطين . وكان تهجير « اليهود » هو الأرض المشتركة الأيدولوجية بين الصهيونية والنازية فكانت وزارة الاقتصاد الألماني تدعم الهجرة ، ثم الهجرة غير الشرعية بعد أن توقفت الأولى ، وهذا الذى نقوله تقرره مصادر كثيرة منها موسوعة المصطلحات الصهيونية وغيرها بما يكذب الإدعاءات الباطلة التى مازالت الصهيونية العالمية ترددها عن مذبحه النازية وعن ما أسماه « عقدة الذنب » التى استولت بها على مئات من الملايين المارك الألماني .

(٢) الواقع أنه ليست أزمة القيصريّة الروسية هى المنطلق الحقيقى للهجرة إلى فلسطين وليست الأزمة النازية هى التى وسعت أفق الهجرة إلى فلسطين وما هذه كلها إلا مقتضيات ومبررات أريد بها خلق تحديات وخلق واقع يبرر العمل المرسوم المرتب المخطط من قبل ولقد كان فى الإمكان حل قضية الهجرة اليهودية من روسيا عام ١٨٨٢ ومن ألمانيا عام بوسائل أخرى وإلى مناطق أخرى ، ولكن الفكرة التلمودية التى أيقظت دعوى العودة إلى أرض الميعاد قد تلاقت مع مخططات الاستعمار الغربى والروسى فى الاطباق على موضع القلب من أرض المسلمين ووجودهم الجغرافى فى جولة جديدة شبيهة بالجولة التى قامت بها أوروبا المسيحية من خلال الحروب الصليبية ، وقد كانت الجولة الأولى تحمل اسم استخلاص قبر المسيح أما هذه المرة فهى استخلاص أرض الميعاد . إن الهدف هو أن تضع الصهيونية العالمية يدها على أدق نقطة وأخطر موقع فى عالم الإسلام كله بحيث تستطيع أن ترث الإمبراطوريات الرأسمالية وأن تكون قادرة بالسيطرة على المواقع الاستراتيجية والجغرافية فى ملتقى القارات الثلاث وأن يتاح لها السيطرة على مقدرات هذه المنطقة الغنية بالبترول والمنجنيز والفوسفات وكل أدوات الصناعة حتى يمكن لليهودية التلمودية

أن تضمن امتلاك مصادر الثروة العالمية التي تحتوى كل موارث الأمم وعقائدها ومعطياتها . ويبدو هذا واضحاً من عشرات التصريحات والكتابات التي تم عن أن الايدولوجية الصهيونية تخطط لإمبراطورية في هذه المنطقة تتولى إسرائيل مركز النقل فيها وعندما نرى واحداً منهم مثل (غازار وايزمن) : أنه لا عطف ولا رثاء حتى ننتهى بالحضارة العربية التي نبى على أنقاضها حضارتنا ، عندما نرى ذلك نعرف الغاية البعيدة من الاستيطان اليهودى على أرض فلسطين ، ونتبين مدى ما تهدف إليه « المؤامرة اليهودية العالمية » التي تطمع في الاستيلاء على العالم وإنشاء حكومة عالمية يكون مركزها القدس وأنها تلتهم من أجل ذلك أساليب الغزو الفكرى الخطير الذى يستهدف تخريب الاخلاق وإفساد النفوس . على النحو الذى كشفت عنه بروتوكولات صهيون ، ومهما قالت الصهيونية وأيدتها الماركسية والشيوعية - ونحن نعرف نسبهما - أن هذه البروتوكولات باطلة فإننا نجد في قسائمه ملامح ذلك المخطط بل إننا نجد أن كثيراً مما أشارت إليه قد تم تطبيقه وتنفيذه . وتذكر البروتوكولات أن حاخامات اليهود وقادتهم قد عقدوا مؤتمراً سرياً يهدف إلى وضع خطة محكمة بالتعاون مع الماسونيين الاحرار (ليبراليين أو شيوعيين) لإقامة وحدة عالمية مقرها القدس ، وأن ذلك المخطط يتم عن طريق تقويض دعائم الاسرة وصلات القرابة وهدم الاخلاق والإيقاع بالنزول الأوربية وتخريب المؤسسات المسيحية وتدمير العواصم الاوربية وإفساد أخلاق العالم المسيحى الاوروبى . وأنه في المرحلة الاولى يسيطر اليهود على الصحافة ودور النشر وجميع وسائل الإعلام حتى لا يتسرب للرأى العام إلا ما يريده اليهود . كما أنها ترى أنه يجب على اليهود أن يحاولوا السيطرة على الدول الاستعمارية وتسخيرها حسب أهوائها (وهذا قد تم فعلاً) وأنه لا بد من تمزيق العالم إلى معسكرين متنازعين (وقد تم هذا فعلاً) وأنه لا بد من إثارة موجة عارمة من موجات تدمير الاخلاق والحملة على الاديان وإثارة روح الإلحاد والإباحية والكشف والعري والفساد الخلقى (وهذه الموجة في أبنائها الآن) . وقد دعت البروتوكولات إلى السيطرة على الفلسفات والاديان وأشارت إلى أثرها في بعض المناهج والايديولوجيات حين قالت : (إن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل وأن الاثر غير الاخلاقى لاتجاهات هذه العلوم لدى غير اليهود سيكون واضحاً ولكن ينبغي أن يدرس أثرها على أخلاق الأمم والجماعات) كذلك فقد كشفت الصهيونية العالمية في السنوات الاخيرة عن هدفها حين أعلنت أنها

أوقدت الحرب العالمية الثانية لكي تحقق لروسيا مكان الصدارة والمساواة بالغرب الرأسمالي ، وأن الحرب العالمية الثالثة ستكون هي الحرب التي تحقق سيطرة اليهودية التلمودية على العالم . وقد أشار إلى هذا المعنى الحاخام عمانويل إيفانوفيتش عام ١٩٥٤ في تصريح له في بودابست حين قال إن اليهودية العالمية تعمل على إثارة روح الحرب بين أمريكا وروسيا حتى يضعف الخصان وتتضعف قواهما ثم تتم السيطرة اليهودية على العالم ويفرض الشعب الإسرائيلي سلطانه وينشر العقيدة الإسرائيلية . ومن هنا نعرف أبعاد الخطة الصهيونية التي هي مرحلة من مراحل المؤامرة اليهودية التلمودية والتي تهدف إلى جواز السيطرة على « الأرض - المقدرات - الثروة » إلى تحطيم المعتقدات الإسلامية والمسيحية وسحق القيم الروحية والمعنوية وإثارة الشكوك حول المعتقدات وإدخال الإسرائيليات والسموم التي صنعها مفكرى اليهود إلى الفكر البشرى لاحتوائه وتدمير الأصول الاصيلية من الفكر الرباني الذي جاء به رسالات السماء . ومن هنا كان لابد من دراسة الايدولوجية التلمودية أساساً دون التوقف عند الجوانب السياسية وحدها ، على النحو الذي يفعله الباحثون ، من حيث التركيز على الصورة الظاهرة التي قد نخدع كثيراً . والواقع أن هذه الصورة الظاهرة ليست في الحقيقة إلا وسيلة للتعرف على أبعاد المخاطرة الصهيونية والمؤامرة اليهودية التلمودية التي تحاول تغيير العقلية البشرية القائمة فعلاً واحتوائها كاملاً للسيطرة عليها كمقدمة لتحقيق السيطرة اليهودية العالمية . والواقع أن « إسرائيل » ليست هي كل الحركة الصهيونية وما هي إلا واجهة للايدولوجية التلمودية الضخمة : يقول الدكتور أيدير رئيس اللجنة الصهيونية « أهداف الصهيونية هي إبادة العرب جميعاً » ويقول « موسى ديان » : « لقد استولينا على أورشليم ونحن في طريقنا إلى يشرب وإلى بابل ، ويقول نورمان نيتوتش اليهود الإنجليزى : في وسع اليهود الامتداد إلى جميع البلاد التي وعدها بها في التوراة من البحر المتوسط حتى الفرات ومن لبنان إلى النيل فهذه هي البلاد التي أعطيت لشعب الله المختار . وليس أدل على ما كان يبيته اليهود من وراء الاستعمار البريطاني بعد دخول القدس عام ١٩١٧ من قول بربارة توخمان اليهودية في كتاب (التوراة والسيف) : وهكذا دخل الجنرال اللبني إلى القدس ١٩١٨ فنجح حيث كان ريتشارد قلب الاسد قد أخفق ولولا ذلك الانتصار لما كانت إعادة إسرائيل إلى الآن قد أصبحت حقيقة واقعة وكذلك لم يكن بإمكان اللبني أن ينجح لولا محاولة ريتشارد

أى لو لم تكن النصرانية قد أقامت في الاصل الاساس الذى يحمل النصارى على التعلق بالارض المقدسة وأنه ن غريب التهجم أن يكون اليهود قد استعادوا موطنهم وإلى حد ما ، بفعل الدين الذى أعطوه للآيين . (٣) كان دور اليهودية التلمودية بعيد الخطر في التأثير على العالم الإسلامى منذ نهاية الحروب الصليبية . فمئذ اتصلت أسباب الماسون بالدولة البريطانية فقد امتدت علاقة الربا والاقتصاد وتأثيرات اليهودية العالمية في مختلف المناطق التى امتد إليها نفوذ بريطانيا. يقول المرحوم الدكتور محمود صالح رائد الدراسات الإسلامية التى كشفت عن نفوذ اليهودية ومحاذيرها منذ الثلاثينات : مع تقدم الصناعات والاكتشافات في إنجلترا أول بلد ظهر ببقوته الصناعية في العالم كثر عدد المهاجرين اليهود فتكونت منهم الشركات التجارية والسفارة والتجار وأصحاب البنوك . وأول هذه الشركات : شركة الهند الشرقية الى نافست البرتغال وهولندا وانتصرت عليهم . فقد وضعت أقدامها في الهند وخليج فارس ثم تضاعفت جهودها للقضاء على الصناعات المشهورة في الهند كالنسيج والصننى وسنت لذلك قوانين حرمت صناعة القطن الهندى ثم شجعت واحتكرت بيعه لبريطانيا فقط . ظهر في هذه الفترة كثير من رجال الاقتصاد وأولهم اليهودى آدم سميث فمن هذه اللحظة واليهود يسودون الهند ثم احتلت بريطانيا مالطة وقناة السويس وخليج فارس وعدن وجزائر سيشيل وسنغافورة وسواحل الهند وجبل طارق ورأس الرجاء الصالح . وذرزائلى اليهودى رئيس الوزراء البريطانية عام ١٨٦٥ هو الذى أعلن الهند درة التاج البريطانى تحت حكم الملكة فيكتوريا . وقد اشترى قناة السويس بمساعدة (روتشيلد) بعد أن سبق المزابين اليهود (ابنهايم) وغيره من التجار حين أقرضوا الخديوى اماعيل ١٢٦ مليون جنيه انتهت بوضع المراقبة الأجنبية على مصر وتعيين وزيرين أجنيين في الحكومة المصرية . وقد غلرت السياسة اليهودية بسكان جزيرة العرب فقسمت بلادهم وجعلت فلسطين وطناً قومياً حسب إدارة الوزير الإنجليزى بلفور . وقد أكثر اليهود والماسون من تأسيس المعاهد اللادينية والجمعيات التى تعمل دائماً على نشر الدعوة حتى أن اليهود في العالم هم الذين يتحكمون في العمل السينمائي وكتابة الروايات ونشر المودة حسب ما يرونه لائقاً . ويسيطرون على أقلام هوليوود التى تعتبر أقوى عامل للتأثير الاجتماعى والاقتصادى العالمى وقد تسترت الصهيونية تحت لباس الماسونية ، وأول اتجاهات الماسونية هى محاربة الديانات بالدعوة إلى حرية الفكر والدعوة إلى الجمهوريات والحكم الديمقراطى وبذلك يستطيع اليهود أن يكونوا

رؤساء الجمهوريات ، وبعد أن كانت المسيحية سياسة بابوية أصبحت كل أمة مستقلة داخلياً في سياستها وقد اشتعلت الماسونية دائماً بالقرب من القصور الملكية ، وداخلها وعينت بالتدخل في وزارات الحربية والخارجية ووجهت سياسة الأمم حسب ما تراه وأظهرت قوتها منذ أربعمئة عام في انجلترا وقد أسس الثورة الفرنسية جماعة الماسون وهم العقوبيون الذين يطفح بذكورهم التاريخ الفرنسي ، ولم يستطع نابليون التخلص من سلطة اليهود الإنجليز ، لأن حربه كانت ددوية كما كانت اقتصادية بمناجزة انجلترا تجارياً ، لقد انطفأ نجم نابليون على أيدي فرنسيين كانوا يعملون لحساب الأمم الأجنبية منهم وزير خارجيته : تاليران . ومن أشهر الثورات بعد الثورة الفرنسية : ثورة عام ١٧٣٠ و ١٨٤٨ في فرنسا وعام ١٨٤٨ في فرنسا وألمانيا وعام ١٨٦٠ في إيطاليا وقد تزعم هذه الثورات : كارل ماركس اليهودي الشيوعي ولاسال الاشتراكي اليهودي ولو قرأنا برنامج الثورة الإيطالية لوجدناه حرفياً كبرنامج روسيا الشيوعية عام ١٩١٧ ولكي يضمن اليهود السلطة طالبوا بحق الانتخاب لجميع السكان فوافق الأوروبيون على هذه الفكرة وأصبح يبحث عن يدفع مالا أكثر ويقوم بدعاية أكبر وبهذه التطورات جميعاً ساد اليهود البرلمانات والوزارات وأنشأوا الصحف والمجلات للدعاية والإعلان وجاءت الحرب العظمى بأمر اليهود بعد أن انتزعت من الملوك ورؤساء الجمهوريات سلطة إعلان الحرب وتعيين الوزراء مما قاد ١٥ مليوناً إلى المذبحة البشرية بين المسيحيين والمسلمين ١٩١٤ - ١٩١٨ . وقد قام بها اليهود ترويحاً لأموالهم وصناعاتهم كما قالت جريدة أكسيوس فرانكس بتاريخ ١٦-٣-١٩٣٨ نقلاً عن مجلة انجليزية . وكتبت مجلة جويش وورلد اليهودية في ١٦ يناير ١٩١٩ : قامت الدولة اليهودية بعمل هذه الحرب العالمية لا من أجل اختزان الذهب وجمع مبالغ طائلة من الأرباح فقط ولكن عملتها لتستطيع القيام بحرب ضروس لا تنبى ولا تنذر ، فاليهودية العالمية هي التي أشعلت الحرب ووضع ويلسون شروط الصلح كما أملت عليها اليهودية الدولية « أه(٤) كانت الماسونية في العالم الإسلامي هي الإطار الواسع الذي تحركت فيه اليهودية التلمودية فأفرزت الصهيونية وقد أدخلها اليهود في الدولة العثمانية ونشروها في كل أجزاء البلاد العربية وخاصة الشام ومصر وكان قادتها هم الدوغة وهم اليهود الذين هاجروا من الأندلس عام ١٤٩٢ واستوطنوا سالونيك وأعلنوا إسلامهم تقية ومن خلال مراكرهم التي أقاموها في الدولة العثمانية استطاعوا السيطرة على حركة الاتحاد والترقي (تركيا الفتاة) وأفسحوا لها في محافلهم التي كانت بعيدة عن رقابة الدولة (الدوغة ٥٠ ألف

يهودى ولم خمس محافل ظهرت الاتحاد والترقى) كذلك فقد استطاعوا احتوائهم بحيث جعلوا دعوتهم القومية موجهة ضد الإسلام والوحدة الإسلامية ودولة الخلافة فكانوا هم أعوان الصهيونية في هدم الدولة العثمانية وتمزيق الرابطة بين العرب والترك وإيقاد نار الخصومة بينهما وقد استطاعت اليهودية النامودية عن طريق الماسونية إسقاط السلطان عبد الحميد وتمزيق الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة . وقد أشار صاحب المنار إلى أن بعض المسلمين خدعوا بالماسونية أيام الاستبداد وظنوها الوسيلة التي ينجون بها من ظلم المستبدين وجورهم ولكن كثيراً منهم بعد أن اختبروا الماسونية وعرفوا دخيلتها انفضوا عنها وهكذا فعل الشيخ محمد عبده كما أخبر عن نفسه . وجعلها قبله الشيخ جمال الدين وعرفنا بعض نخبة القوم من مسلمين ودروز كانوا بعد دخولهم في الماسونية يحذرون أصحابهم ويشيرون على كل من طلب رأيهم منها أن يبعثوا عنها طاقتهم معلنين انخداعهم بها (المنار ٨م ص ٤٠١) . ويشير جرجى زيدان صراحة في رده على سؤال : أجمعيه الاتحاد والترقى ماسونية ؟ إلى أن الماسونية مولت الاتحاديين في مؤامرة قلب حكومة السلطان عبد الحميد وإن الماسونية سعت أولاً في جمع كلمتهم لما كان هؤلاء الضباط « في حاجة إلى المال والبراهم لتنفيذ ما قصدوه من قلب الهيئة الحاكمة فكان الماسون وكثير منهم من اليهود المثيرين يعدونهم بامدادهم بالأموال » ثم يقول : فلما تم الانقلاب الدستوري رفعت الماسونية رأسها وعزت الفوز إلى مساعيها وصورت جمعية الاتحاد والترقى كجمعية ماسونية محضة وكان أعضاؤها إذا ساروا في عواصم أوروبا يبحثون عن المحافل الماسونية ، ويسلمون على رؤسائها . وهكذا نجد أن الماسونية التي تشكلت في أحضان الدوغم : الخمسون ألفاً من اليهود الذين عاشوا منذ عام ١٤٩٧ في سالونيك والذين أعلنوا إسلامهم في وقت باكر استعداداً لهذه الخطة وقد احتضنوا حركة الاتحاد والترقى وحولوها في الاتجاه الذي خططوا له والذي تم على مراحل على الوجه الآتي : أولاً : السيطرة على الحكومة وإسقاط السلطان عبد الحميد الذي رفض قبول اليهود في فلسطين ولم يرحضه الوعد أو الوعيد عن خطته وإقامة الحكومة الاتحادية التي أفسحت لليهود الدخول في فلسطين والإقامة فيها وشراء الأراضي . ثانياً : إيقاع الصراع والخصومة بين عنصرى الدولة العثمانية تمهيداً لتدميرها وإدخالها في الحرب العالمية دون حاجتها إلى ذلك حتى يمكن تمزيقها والاتفاق مع العرب لملاة البريطانيين في سبيل إقامة دولة لهم ثم الوقيعة بين العرب والترك وإدخالهما في حرب وقتال وتعليق اليهود للعرب على المشائى

في محاولة للفصل بينهما : ثالثاً : إثارة روح العرق والعنصر في الأتراك تحت اسم الطورانية ومحاولتهم تتركب العرب وتغيير لغتهم وثقافتهم بما يدفع العرب إلى الدعوة القومية العربية واحتواء الدعويين بمفاهيم غريبة . رابعاً : خداع العرب بعد الوعد لهم بالدولة وتمزيقهم إلى احتلالين فرنسي لسوريا وبريطانيا للعراق وضع فلسطين تحت الإنتداب البريطاني وإعلان وعد بلفور لليهود بإقامة الوطن القومي : وهكذا تحققت للماسونية الخطة التي استطاعت بها إقامة الصهيونية على أرض فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل على مرحلتين : (الأولى) : بعد الحرب العالمية الأولى بإدخال أعداد ضخمة من المهاجرين وإقامة الكيان الصهيوني بها . (الثانية) : بعد الحرب العالمية الثانية وذلك بإعلان دولة إسرائيل وإجلاء العرب الفلسطينيين عنها . ثم توالى الخطوات حتى استطاعت إسرائيل أن تسيطر على القدس عام ١٩٦٨ وتلك هي ذروة هذا المخطط الصهيوني الذي بدأ عام ١٨٩٧ في بال بانعقاد المؤتمر الصهيوني الأول وإعلان هرتزل قيام الدولة اليهودية قال هرتزل : إذا ما أردت تلخيص معنى مؤتمر بال وهو ما لن أفعله علناً فإنني أقول : في بال أقيمت الدولة اليهودية ، وإذا ما قلت هذا القول اليوم بصوت مسموع فسأقابل بالسخرية في العالم ولكن من المحتمل بعد خمسة أعوام وبالتأكيد بعد خمسين عاماً سيري الدولة كل إنسان . ولما توفي هرتزل في يوليو ١٩٠٤ خلفه : ماكس نوردو ، وديفيد ولفسون ، وأوتو وأربورج ثم ظهر حاييم وايزمان في لندن وبه دخل العمل الصهيوني في مرحلة التنفيذ حين أقام الوكالة اليهودية التي عملت على (١) تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتعزيزها . (٢) تلبية الاحتياجات الدينية لليهود . (٣) تطوير اللغة العبرية والثقافة العبرية . وكان أبرز العاملين في هذه المرحلة : وايزمان ، بن جوريين ، ناحوم جولدمان وتتمثل خطة اليهودية العالمية في هذه المرحلة في عناصر أربع متداخلة : (ماسونية - صهيونية - لا سامية - شيوعية) للسيطرة على العالم والمعروف أن وعد بلفور لإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين صدر عام ١٩١٦ وان الإنقلاب الشيوعي تنفذ عام ١٩١٧ وبذلك تحققت مقومات المؤامرة اليهودية التلمودية في السيطرة على الغرب وتمزيق وحدته السياسية وإقامة الصراع بين الرأسمالية والشيوعية ثم بدأ الصراع مع العالم الإسلامي . ودور الماسونية في بناء الصهيونية واضح : تقول الصحيفة اليهودية (لأقاربنا إسرائيليت) العدد ٥ ص ٧٤ : « إن روح الحركة الماسونية هي الروح اليهودية في أعماق معتقداتها الأساسية : إنها أفكارها ولغتها وتسير على نفس تنظيماتها وإن

الامال التي تساعد وتنير طريق الماسونية وتسند حركتها هي نفس الآمال التي تساعد وتنير طريق إسرائيل وتتويج نضالها سيكون عند الظفر بذلك المصلى الرائع الذي ستكون أورشلیم (القدس) رمزه وقلبه النابض وفي البروتوكولات إشارة إلى المحفل الماسوني المنتشر في أنحاء العالم والذي يعمل « في غفلة كفناح لأغراضنا » وكذلك قول بربارة توخمان في كتابه اليهودية والسيف : (إن المؤسسين الأصليين للوطن القومي اليهودي وبالتالي لإسرائيل في فلسطين هم الماسونيون) . (٥) منذ أصدر هرتسل كتابه (الدولة اليهودية) عام ١٨٩٥ بدأت خطة محاصرة العالم الإسلامي والدولة العثمانية وقد سجل هرتزل في مذكراته التي بدأها في أيار عام ١٨٩٥ واستمر يكتبها إلى أيار عام ١٩٠٤ الذي توفي فيه ذلك الجهد الضخم الذي بذله في سبيل إحتواء الدولة العثمانية ، وقد مهد لذلك بالمخططات التي سبقته إلى تحقيق هدف الحركة الصهيونية وهو أن تصبح اليهودية التلمودية مرتكزة على الأرض واللغة وذلك بالاستيلاء على أرض فلسطين بالقوة وطرد أهلها وقتلهم وإبادتهم على النحو الذي فعله الأوربيون في الاستيلاء على أرض أمريكا وإبادة الهنود الحمر . ولقد تعددت محاولات الاستيلاء على أى أرض سواء في بريطانيا أو جزر الهند الشرقية أو أمريكا الجنوبية أو على نهر نياجرا أو الأرجنتين ومن هذا الاستعراض تبين أن فلسطين حتى منتصف القرن التاسع عشر لم تكن المطلب الوحيد لإقامة الوطن القومي لليهود فقد - كانوا نتيجة الاضطهاد وخاصة الاضطهاد الروسي الذي بدأ عام ١٨٨٢ وهاجر من جرائه مليونين ونصف يهودى من روسيا - كانوا يحلمون بأى مكان يجتمعون فيه . ويبدو ان خطة إحتلال فلسطين كانت فكرة في نفوس الدعاة الدينيين أمثال شبتاى لبي الذي دعا إلى ذلك عام ١٦٢٦ ، وان هذ الفكرة صادفت هوى في نفوس الاستعماريين الذين وجدوا فيها حلاً لمشكلتين في وقت واحد : (الأولى) : إخراج اليهود من أوروبا والتخلص نهائياً من التحدى اليهودي في المجتمعين الغربي والشيوعي معاً . (الثانية) : إيجاد كلب الحراسة الذي تستطيع الدول الغربية الاستعمارية أن تتخذه وسيلة لضرب حركات التحرر واليقظة في العالم الإسلامي . ويرى الماركسيون : « إن الدعوة إلى إنشاء « دولة يهودية » لم تبدأ في صفوف اليهود وإنما بدأت بين المفكرين والزعماء وأصحاب المصالح الاستعمارية في الشرق ومما له دلالة إن من أوائل الداعين لعودة اليهود إلى فلسطين لتأسيس وطن قومي لليهود لم : نابليون بونابرت مثل المطامع الاستعمارية الفرنسية في الشرق ، كما أن الفكرة كانت مطروحة بين المفكرين الاستعماريين في إنجلترا

وأوروبا عامة ، ولقد كانت الدعوة لذلك غريبة على الجماهير اليهودية على المفكرين اليهود لأنهم كانوا إما متدينين تنتظرون مقدم « الماشيخ المخلص » ليعود بهم ليؤسس هو الدولة دون أى تدخل بشرى ، أو علمانيين يدافعون عن الاندماج . قد طرح هيس الصهيونى الفكرة فى منتصف القرن ١٩ فى كتابه ذى الطابع الواضح ، (روما والقدس) وعالج بنسكرك الفكرة ذاتها فى كتابه (الانعقاد الذاتى) ثم تعرض هرتزل لنفس الموضوع فى كتابه : (الدولة اليهودية) وقد واجهت الفكرة معارضة من اليهود الاصلاحيين واليهود الأرثوذكس ولم يكتب للفكرة التحقيق إلا حينما تبنت الدول الامبريالية الحركة الصهيونية وفرضت التجمع الاستيطاني الصهيونى على الواقع العربى . وأشار هرتزل إلى قبرص وإلى شرق أفريقيا أو الأرجنتين وأشار ليون بنسكر إلى وطن قوى لليهود فى أى مكان تخلصاً من الإضطهاد الأوروبى لليهود ، وفى لقاء هرتزل وتشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا عرض الأخير أن تجمعهم الحكومة البريطانية فى أوغندا أو نيروبي . ويقول هرتزل فى يومياته : لم نقل فى بادئ الأمر أن فلسطين هى البلد الذى يجب أن تقوم فيه الدولة الصهيونية . وتقول أنه بعد تأسيس الدولة الصهيونية وعقد عدد من المؤتمرات السنوية كان لا يزال يرحب بإنشاء الدولة اليهودية فى أى مكان وإن لم يكن ذلك المكان فلسطين حتى ولو كان شرق أفريقيا . وقد أشارت مذكرات هرتزل إلى لقاءاته المتعددة مع الملوك والحكام من أجل الدولة اليهودية وخاصة غليوم الثانى امبراطور ألمانيا والبابا وعدد من حكام أوروبا . ولقائه الخطير الحاسم مع السلطان عبد الحميد ويتمثل فى يوميات هرتزل « أسلوب الفكر الصهيونى المراوغ باستمرار فى سبيل الأغراض والأهداف » . والمعروف أنه بعد إنعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى بال عام ١٨٩٨ والذى وضع مقرراته بإنشاء الوطن اليهودى والذى تكشفته بعده « بروتوكولات صهيون » بدأ هرتزل جولته فى العمل لاحتواء السلطان عبد الحميد عن طريق الترغيب ثم الإكراه وقد كان موقف السلطان عبد الحميد واضحاً صريحاً : « بلغوا الدكتور هرتزل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة فى هذا الأمر (التوطن بفلسطين) فإنى لست مستعداً لأن اتخلى من شبر واحد من هذه البلاد ليذهب إلى الغير : فالبلاد ليست ملكى بل هى ملك شعبي روى ترابها بدمائهم فلتحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب » وعرف اليهود أن طريق السلطان محفوف بالخطر ، إذن فليزول السلطان وليفتح الطرق أتباعهم الاتحاديون ، وقد كشف السلطان عن تامر الاتحاديين مع الصهيونية فى خطابه إلى شيخ الطريقة الشاذلية : « محمود

أبو الشامات » : حين قال : إننى لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أننى بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة بإسم جون تورك وتهديدهم اضطرت وأجبرت على ترك الخلافة . أن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا على بأن أصادق على تأسيس وطن قوى لليهود فى الأراضي المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم ، فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيراً وعدوا بتقديم ١٥٠ مليون ليرة إنجليزية ذهباً فرفضت هذا التكليف . لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين أبائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء . وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى وأبلغونى أنهم سيبعدوننى إلى (أسلانيك) فقبلت هذا التكليف الأخير وحمدت المولى وأحمدته أنى أقبل أن أطلع الدولة الثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية فى الأراضي المقدسة : فلسطين (٢٢ أيلول ١٣٢٩) . وكان إسقاط عبد الحميد ١٩٠٩ هو التمهيد لإلغاء الخلافة عام ١٩٢٤ . وكان الذى أبلغ السلطان قرار الخلع (قرة صو) عضو حزب الاتحاد والترقى : اليهودى الأصل . كان موقف السلطان الأخير ١٩٠٢ وكان عزل السلطان ١٩٠٨ حيث تمكن اليهود من تأليب الدول الاستعمارية على الدولة العثمانية ، وإثارة السوم والفساد حول السلطان ورميه بمختلف الاتهامات يقول مؤلف كتاب الماسونية الحرة الذى صدر فى باكستان عام ١٩٧٢ . Fres Masonyey a chitical elday . إن المتآمرين اليهود فى الدولة العثمانية (١٢٩٩ - ١٩٢٠) كانوا يتلقون مساعدات فعالة من قبل الماسونيين الأحرار كما ثبت من عدة مصادر أخرى أنهم قد تغلغلوا فى صفوف الجيش التركى وأغروا العناصر المتمردة فى معسكرات مقدونيا وهنا أصبح من الأسير لهم أن يتآمروا مع بعضهم البعض وأن يتصلوا بالماسونيين الأحرار : ويقول برنارد لويس فى كتابه (ظهور تركيا الحديثة) أكسفورد عام ١٩٦٥ لقد كانت المحافل الماسونية أكبر من مجرد غطاء لإجتماعات الشباب الأتراك فى نوفمبر عام ١٩١١ قام أبو ضياء توفيق لأول مرة بربط المحافل الماسونية بالمطامع اليهودية ، وقد كان من قبل كثيراً ما يعرب عن اهتمامه بالصهيونية وكشف المؤلف كيف تواطئت اليهودية الماسونية سرّاً للقضاء على السلطان عبد الحميد لأنه كان شديد العداء لليهود وأنه رفض السماح لهم بالاستقرار فى فلسطين فأخذوا يعملون على إعادة مراد تبعاً لصلاته السابقة بالماسونية . ويقول إن الماسونية والصهيونية هما وجهان لعملة واحدة فالموضوع الذى يدور حول الماسونية هو التاريخ اليهودى وأن جميع طقوسها مشتقة من التراث

اليهودى . ويعتبر الهيكل وتاريخه وبناءه وهندسته وتدميره وإعادة بناءه وتدميره للمرة الثانية والتطلع إلى بناءه من جديد كل ذلك يمثل الفكرة الأساسية ومركز كافة المراسم والطقوس الماسونية . ويقول طه الولى : كانت غاية اليهود إزاحة السلطان عبد الحميد من طريقهم الموصل إلى فلسطين ، ولذلك تمكنوا من رشوة بعض رجال الدين وأوعزوا إليهم بالخروج إلى الشوارع والمناداة بتطبيق الشريعة المحمدية وهو ما يسمى يومئذ بحركة الارتجاع قاصدين من وراء ذلك إحراج السلطان ودفع الاتحاديين إلى الثورة عليه والتخلص نهائياً منه تمهيداً للتخلص من الإسلام نفسه فيما بعد ، وقد واثت هذه الحركة الارتجاعية أملاً بالنصر لليهود . فقام الجيش بحركته الحاسمة متقدماً نحو يلدز طالباً إزاحة العرش من تحت سيده الذى رفض النزول عند مغريات اليهود لتحقيق مطامعهم . ومنذ سقط السلطان عبد الحميد فقد فتحت فلسطين أبوابها للهجرة اليهودية وجرذ المخطط فى طريقه . إلى غايته عن طريق خلفاء هرتزل أما لورنس فقد تولى تمزيق الوحدة بين العرب والترك حرص على إقتتال المسلمين فى الجزيرة العربية حيث أعلن العرب الثورة على الترك فلما خرجوا من القدس دخلها اللورد اللنبى ولما خرجوا من دمشق دخلها الجنرال غرو أما بالنسبة للدولة العثمانية التى دخلت الحرب العالمية الأولى بلا مسوغ فقد فرضت عليها الهزيمة والتقسيم وقيام النظام التركى الذى صنّى الإسلام تماماً وكان أتاتورك ورجاله هم الوجه الآخر للاتحاديين : أعوانهم وخلفائهم « وفى انقلاب مصطفى كمال أتاتورك وهو من اليهود الدوثة جرت المجازر للمسلمين وسلمت البلدان الإسلامية التى كانت تابعة للدولة العثمانية إلى المستعمرين الصليبيين بتحريض من اليهود ومؤامرتهم » . وعندما أصدرت الحكومة البريطانية عهداً بإنشاء الوطن القومى اليهودى (وعد بلفور) فى ٢ من نوفمبر ١٩١٧ كانت القوات البريطانية بقيادة اللورد اللنبى فى طريقها إلى بيت المقدس ، وفى التاسع من ديسمبر من ذلك التاريخ استولى الإنجليز على بيت المقدس ووقف اللورد اللنبى يقول : الآن انتهت الحروب الصليبية . ولم يكن هذا فى حد ذاته إلا تطبيقاً للمشروع الذى وضعه كامبل بثرمان وزير خارجية بريطانيا عام ١٩٠٧ عندما دعا مجموعة من العلماء والمؤرخين للبحث عن أسلوب يطيل عمر الاستعمار البريطانى فأشار العلماء بإقامة حاجز بشرى يفصل آسيا عن أفريقيا ويعزل مصر عن بقية الدول العربية شرق سيناء ، وكان هذا هو مشروع البريطانى بالمرستون أيام محمد على وحربه مع الدولة العثمانية . وكان الحاجز هو تجمع اليهود فى فلسطين وإقامة وطن قومى لهم فيها بحماية بريطانيا ورعايتها

وقد بعث اللورد اللنبي عام ١٩١٨ إلى لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني بعد احتلال القدس يقول : أن بريطانيا تحكم الآن في الشرق الأوسط ونحن لا نستطيع أن نكون أصدقاء للعرب واليهود في وقت واحد ، وإلى أقترح منح الصداقة البريطانية لليهود وحدهم باعتبارهم الشعب الذي سيكون المخلص الموالي في المستقبل وسوف يكون حجر الزاوية في الشرق الأوسط وبناء على توصيات كاهيل بترمان كانت بريطانيا مقتنعة تماماً بأن وجود دولة يهودية في فلسطين يمكن أن يؤدي دوراً في حماية المصالح البريطانية في المنطقة العربية وطرق مواصلاتها إلى الهند . (٦) كشف وايزمان في مذكراته اختلاف وجهات النظر بينه وبين هرتزل : وقال أنه كان يرى هرتزل رجلاً ساذجاً « أما أنا فكنت اعتبر الحركة الصهيونية عملية ارتقاء حيوية يجب أن تنمو كما تنمو (الغرسة) علينا أن نراقبها ونعني بها إلى أن تصل درجة النضوج ولم أكن أو من بأن الأمور يمكن أن تسير بسرعة . كان الصهيوني الروس يتمسكون بما قاله حكماء اليهود : [إن الذي لا يمكن للدكاء أن يفعله فإن الزمن (أي العمل والسعي) سيعمله] ولم يكن هرتزل من الشعب لذلك لم يدرك القوى الكامنة الموجودة فيه ، وبالفعل فشل هرتزل في خطته المبينة على الأغنياء والطبقة العليا فقد كان هرتزل يعتمد على الأغنياء وأصحاب النفوذ وأصحاب البنوك والمولين اليهود وبني آماله على الامبراطور و... ووزراء الخارجية ، أما نحن فلم يكن لنا إيمان أو ثقة بتلك الطبقات ، اعتمد هرتزل على المساعي الدبلوماسية لإعطاء فلسطين لليهود ، وحاول الحصول على اعتراف دولي بالفكرة (فكرة هجرة يهودية واسعة) ولم يتم شيء من نتيجة مساعي هرتزل الذي كان يحاول أن تستعيب عن أراضي فلسطين بأراضي يوغندا « الخ . وهكذا كشف وايزمان عن خطته التي تختلف عن خطة هرتزل والتي تقوم على الاتصال الوثيق بين الاستعمار واليهودية العالمية : محاولة « تسليم فلسطين لليهود بدون سكان » عن طريق الرشاوى والتحايل على القانون والدعايات المضللة والتهريب والمؤامرات السرية والعلنية وأفطع طرق التعذيب والوحشية وعمليات الإبادة بالجملة ويعتقد وايزمان أن الحركة الصهيونية في حقيقتها وجوهرها نشأت في روسيا وأن يهود روسيا يمثلون العمود الفقري للكيان اليهودي في فلسطين منذ قيام الحركة « . وقد تواتر عن الباعث الأعظم الذي حقق حلم الصهيونية فيما رواه لويد جورج رئيس الوزراء البريطانية الأسبق في مذكراته عن النور الذي قام به « وايزمان » في خدمة بريطانيا أبان الحرب العظمى . يقول : « إن مادة الأسيتون التي تستخدم في صنع الذخائر الحربية كانت تستخرج من خشب الأشجار »

وكان استخراجها بكيات كافية يحتاج إلى مقادير هائلة من الخشب وليس في إنجلترا غابات كثيرة تفي بهذه الحاجة ، فكانت تستورد بقية ما يلزمها من أمريكا ، ولكن الأسعار ارتفعت إلى درجة باهظة وصار المتعهدون الأمريكيون يبيعون الكمية الواحدة من الأستيون مرتين لفريقين ، ويطلبون الثمن مقدماً ، ولا ينجزون تعهداتهم أحياناً ، ثم تبين أن كمية الكحول المستخرج من الخشب لصنع الأستيون لن تكفي مطالب الجيش المتزايدة سنة ١٩١٦ فتخرج الموقف وأخيراً أهتدى لويد جورج وكان يومئذ رئيس لجنة الدخائر إلى أستاذ بارع في الكيمياء وضع مواهبه تحت تصرف بريطانيا ، وإن كان قد ولد على شاطئ نهر الفستولا وهو الدكتور وايزمان الذي أصبح بعد ذلك مشهوراً ، وكان وايزمان مقتنعاً بأن أمل الصهيونية وهين بانتصار الحلفاء فاستطاع بعد بضعة أسابيع أن يستخرج المادة المطلوبة من عناصر أخرى غير الخشب مثل الحبوب على العموم والذرة على الخصوص وبذلك حل لبريطانيا أعوص مشكل عاتته في أثناء الحرب ورفض الدكتور وايزمان لنفسه كل جزاء وود لو تصنع بريطانيا شيئاً في سبيل الوطن القومي اليهودي ، ولما تولى لويد جورج رئاسة الوزراء خاطب بلفور بأن بريطانيا تريد أن تجتذب إلى صفها اليهود في الدول المجاورة وكانوا ميالين إلى ألمانيا لسخطهم على روسيا . وكان لذلك أثره على وعد بلفور . كان الثمن هو وعد بلفور : إعطاء مالا يملك شيئاً لمن لا يستحق يقول أرنولد توينبي في هذا : كيفما فسر وعد بلفور عام ١٩١٧ وكيفما كان معنى الوطن القومي لليهود والحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، فإننا أخذنا على أنفسنا أن ننزع شيئاً لم يكن لنا ثم نعطيه نعطي للغير ، لقد وعدنا بحقوق من نوع ما في بلاد العرب الفلسطينية ، لفريق ثالث ، لقد دعمنا وعد بلفور في وثيقة في نفس الوقت رضينا أن يكون هذا الإنتداب من صنف (أ) وهو نوع الإنتداب الذي يلزم القوة المنتدبة أن تعطي الاستقلال لسكان البلاد المنتدب عليها حالما يكونون ناضجين سياسياً لذلك الاستقلال ، وما أن ٩٠ بالمئة من سكان فلسطين غربي الأردن ، في ذلك التاريخ كانوا عرباً (وفي شرق الأردن نسبة العرب أعلى) فقد كان التعهد ضمناً أنه هما كان معنى وعد بلفور فإن فلسطين لا بد أن تصبح دولة مستقلة بأغلبية ساحقة عربية من السكان وكان لا بد أن نجلو عن فلسطين كما حدث في مصر ، ولكننا تركنا فلسطين في ظروف جلبت على العرب نكبة قومية كانت أعظم من أشد ما كانوا يخافون ، إن مسئولية المأساة التي حاقت بالفلسطينيين العرب تنقسمها وألمانيا والولايات المتحدة ، إن

هتلر وقع في أيدي الصهيونية حينما جرد نفسه لإبادة اليهود في أوروبا فأصبح الصهيونيون قادرين على أن يوجهوا نحو فلسطين ضغطاً يهودياً عظيماً ليجدوا ملجأً هناك ففقدت بريطانيا سيطرتها على الحالة في فلسطين وكان هذا الخطأ برمته خطأ بريطانيا نفسها . (٧) إن أبرز معلم يكشف عن موقف الرأسمالية والشيوعية من الصهيونية يتمثل في الاعتراف الفوري الخطير من أمريكا وروسيا بإسرائيل بمجرد إعلانها وبعد إعداد مؤامرة تمريرها من الأمم المتحدة المتحدة بمشروع التقسيم الذي لم ينفذ . لقد اعترفت الدولتان بإسرائيل وكشفت عن موقفهما من الصهيونية وما يزال هذا التأييد منهما قائماً ، لقد جاء الدور على أمريكا بعد أن قامت بريطانيا بالمرحلة الأولى تماماً ولما تحول الموقف بعد الحرب العالمية الثانية نقلت الصهيونية نشاطها إلى أمريكا واعتصمت بنفوذها الخطير . ثم كان موقف روسيا الشيوعية في دعم إسرائيل والتنسيق مع أمريكا من أجل حماية الصهيونية بما يمكن القول معه أن هناك تحالف واضح بين الديمقراطية الغربية والشيوعية الروسية والصهيونية التلمودية على تمزيق الدول الإسلامية واستدامة هذا الخطر ماثلاً في قلبها وعلى مرمى القذيفة من الكعبة البيت الحرام فالإستعمار والشيوعية يريان في الصهيونية خطة للسيطرة وفي إسرائيل قاعدة لإدامة السيطرة ولا يمنع هذا من القول بأن الصهيونية هي الجهاز التنفيذي لليهودية العالمية التي تسعى إلى تدمير العالم والتحكم في مصائره . حيث لا يوجد سياسي واحد غربي أو شيوعي يعارض الصهيونية وأهدافها التي ترمي إلى تأسيس امبراطورية يهودية كبرى في قلب البلاد العربية والعالم الإسلامي ، وما يراه السياسيون الاستعماريون هو ما تراه اليهودية العالمية من أن الاستيلاء على فلسطين يحقق قاعدة الانطلاق للإستعمار اليهودي حيث تصبح اليهودية التلمودية مرتكزة على الاستيطان في قلب العالم الإسلامي بين القارات وعلى طريق المواصلات العالمية وبين مواقع الطاقة والخامات والأسواق العالمية . وبذلك يبدو مدى هذا الخطر الذي أقام هذا الإستعمار الاستيطاني بديلاً للإستعمار العسكري ومتعاوناً معه في السيطرة الاقتصادية واتخاذ الأيدلوجيات الفكرية والثقافية منطلقاً لدعم هذه السيطرة وتأكيدها . ولقد قامت الصهيونية بزرع إسرائيل في قلب العالم الإسلامي بغير حق تملكه أو يملكه الاستعمار نفسه . يقول مؤلف كتاب « التحدي الصهيوني » : أنه عندما منحت بريطانيا اليهود وعد بلفور لم تكن تملك أي حق ذلك ولكنها منحتهم رغبة في الحصول على معونة اليهود أثناء الحرب في ميدانين : كجواسيس في صفوف الأعداء وكقوة ضاغطة على الولايات المتحدة كي تدخل الحرب في جانب بريطانيا وقد

تحقق لبريطانيا المهدفان . كانت بريطانيا تأمل أن تقدم للدولة اليهودية مزيداً من الحماية لطريق بريطانيا إلى مستعمراتها عبر قناة السويس ولمصالحها في الشرق العربي . وفي سنة ١٩٢٢ عهدت عصبة الأمم لانجلترا بالانتداب على فلسطين ولكنها أكدت على بريطانيا بأن فكرة إقامة دولة يهودية فيها يجب أن تستعيد تماماً كما فرض صك الانتداب على بريطانيا ، وعين «صمويل هور» أول مندوب سام لفلسطين ومنذ عام ١٩٣٩ نشطت الولايات المتحدة في دعم الصهيونية العالمية بسبب ضغط الأوساط اليهودية البالغة فيها ، وكانت الولايات المتحدة ترى بدورها في قيام دولة يهودية في فلسطين قاعدة عسكرية لحماية نفوذها المكتسب في المنطقة وقاعدة ضد الاتحاد السوفيتي ورأس جسر لتوسعها في منطقة الشرق الأوسط . ويقول جون بيتي في كتابه الستار الحديدي حول أمريكا سنة ١٩٥٠ إن الرؤساء الأمريكيين ومعاونيهم ينحنون أمام الصهيونية كما ينحني المؤمن أمام قبر مقدس وقبيلت الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة درجة من السلطان والطموح تجعل أمريكا مهددة بأخطار متصلة وبحرب عالمية ثالثة . ويرى الباحثون أن إسرائيل هي امتداد لأوروبا في قلب الوطن العربي وأنها بمثابة كلب الحراسة الذي يحمي مصالح الاستعمار وأنها ليست لها وجود حقيقي ، فهي تعتمد في تمويلها على المعونات الخارجية والأسلحة الخارجية ، ولم تستطع حتى الآن وبعد أكثر من ثلاثين عاماً أن تعتمد على مواردها الخاصة وأنها تجمع بين كيان عنصري قائم على فلسفة خاصة وبين إنها مشروع استيطاني أوروبي يستمد وجوده من الاستعمار العالمي وهو امتداد له يعتمد على التوسع المتصل في البلاد العربية ويستهدف بالمطامع السيطرة على البترول وعلى مقدرات الأمم الإسلامية والعربية وإنها محاطة بالدول العربية التي لن يقبل التعامل معها أو السماح لها بالبقاء أو النمو الطبيعي لأنها كيان غريب في محيط لا يتقبلها ولا يعترف بها ولا يزال اعتماد الصهيونية على فكرة الوعد الزائف الذي كتبه متعصبوا التوراة من مروجبات الترمويه السياسي . يقول (أوتو وأوبورج) : إن الحق التاريخي الذي يستند عليه إمتلاكنا لفلسطين قبل أثنى سنة لا مفعول له وحده في حد ذاته بنظر الدول الكبرى بل يتوجب علينا إيجاد صيغة عصرية لذلك الحق كي نضاف إليه ، هذه الصيغة يقوم على أن تظهر إن لم يكن شرعياً أو حقوقياً فبحكم الواقع الفعلي بأن فلسطين تخضع لنفوذنا الاقتصادي وإن جميع ما أحرزته البلاد من تقدم يرجع في الأصل إلى مبادرتنا وقوة وسائلنا الاقتصادية وفعاليتها ولم يتم إلا بفضلها » . وجملة القول أن الحركة الصهيونية هي حركة تلمودية

يهودية طبيعية للسيطرة على العالم الإسلامي بوصفه مسلماً أولاً وبوصفه ملتقى القارات وبه الطاقة والثروة وكل ما تريد يهودية الربا في السيطرة عليه ، وإن الظروف السياسية التي وجدت والتي صنعت صنفاً قد واثت على تحقيق الهدف في ظل ضعف العرب والمسلمين وسقوطهم تحت سلطان الاستعمار الغربي أكثر من قرنين من الزمان ، أما التفسير الماركسي والتفسير الغربي لما فذلك ما لا تؤكده وقائع الأحداث ولا الحلقات التاريخية للحركة التلمودية اليهودية وهدفها في السيطرة على العالم وخطواتها في أوروبا الغربية وأوروبا الشرقية من قبل وليست الصهيونية إلا الصيغة الحديثة والعصرية للمطامع اليهودية في إقامة الدولة العالمية مستخدمة كل الوسائل والأساليب سواء منها الدينية والأسطورية أو العلمية والعصرية لتحقيق هدف التوسع والسيطرة والأدالة من الإسلام وأهله ولقد يبدو ذلك واضحاً في الحديث عن إطلاق اسم «خيبر» على معركة عام ١٩٦٧ وما يتصل بالمحادثات التي جرت مع جلالة الملك عبد العزيز عن طريق روزفلت بشأن الأراضي القديمة التي أخرجهم منها المسلمون من الجزيرة العربية . وما يتصل بالإسلام والمسلمين والقرآن ، ولذلك فإن مخطط الأيدلوجية التلمودية كله يتركز في الغزو الثقافي وإحلال يهودية تلمودية محل المفاهيم القرآنية والإسلامية .

ثالثاً

المخططات اليهودية الهدامة

في مواجهة الأديان والحضارة والتاريخ

لما كان هدف التلمودية الصهيونية هي السيطرة العالمية عن طريق إمتلاك مقدرات الشعوب والأمم فقد كان الربا هو مدخلها الأول ، وكان هدم القيم الدينية والأخلاقية هو الأسلوب الوحيد للسيطرة عن طريق تدمير معنويات الإنسان وسلب إرادته وإعلاء غرائزه وشهواته ومطامعه حتى يكون عاملاً أساسياً في مخطط الهدم : ولقد سار هذا المخطط في محاور ثلاث : أولاً : هدم الأديان لإعلاء اليهودية التلمودية . ثانياً : تزييف التاريخ للإدعاء بوعد في فلسطين . ثالثاً : تدمير الإنسان عن طريق الأخلاق (فرويد) والمال (ماركس) والأسرة (دوركايم) . . . رابعاً : فرض المادية على الفكر البشري . وقد لعبت اليهودية دور التاجر والمزايي والوسيط والخمار والقواد على مدى التاريخ وتلك هي مهمتهم الأساسية التي جردوا

أنفسهم لها في سبيل السيطرة على الذهب والتعامل الاقتصادي ، وذلك مطمحهم الأكبر وتكاد تكون مخططاتهم ومشروعاتهم كلها موجهة لخدمة هذا الهدف . لما كان [الربا] هو المدخل الطبيعي لهذا المخطط كله فقد كان التركيز شديداً على فتح الباب أمام إغراء الربا بالاستدانة والإسراف وكان لا بد من تبرير هذه المقاهيم وإغراء الأمم والشعوب بها حتى تندفع إليها وقد استطاعت اليهودية التلمودية فعلا محاصرة المجتمع الغربي والسيطرة عليه ونقله من مفاهيم المسيحية التي تحرم الربا والحرب والفساد إلى الإندفاع شوطاً بعيداً في السيطرة الاستعمارية والإبادة وقتل الأبرياء والسيطرة على مقدرات الأمم على ذلك النحو الذي عرفه تاريخ العلاقات بين الغرب وعالم الإسلام في القرنين الماضيين . وكانت التلمودية هي التي أفسدت تفسيرات الدين والفكر « وهودت » الحضارة الغربية من حيث الحروب والاستعمار والربا وكان هذا هو عمل التلمودية الدائب في نشر مفاهيمها وأيدلوجيتها وبثها في الفكر والمجتمع وتحويلها إلى مذاهب وأيدلوجيات والسيطرة برجالها ودعاتها وأتباعها على قيادات الأمم . وقد كشفت كتابات التلمودية والصهيونية منذ وقت باكر أن « الأيدلوجية الصهيونية » تخطط لامبراطورية تنولى إسرائيل فيها مركز الثقل ، وذلك سعى إسرائيل إلى السيطرة على الشرق العربي وقد سار المخطط طويلاً حتى حقق قيام إسرائيل في قلب العالم الإسلامي ملتصقاً تفكيك هذه القوة إلى كيانات إقليمية أو قومية حيث تلتقى الصهيونية مع الاستعمار والشيوعية في غرض موحد ولقد كان واضحاً للمسلمين هدف الصهيونية من زرع إسرائيل في قلب العالم الإسلامي وهو تدمير الحضارة الإسلامية جرياً وراء هدف معروف صوره بون جوربون حين قال : لقد قاومت اليهودية الحضارة اليونانية ، والأمبراطورية الرومانية والمسيحية أخيراً الإسلام . « لقد صنع اليهود نهجاً خاصاً هم سادته ورسموا منهجهم الديني على أساسه ثم جعلوه منهجاً عالمياً وحاولوا أن يدخلوا فيه المسيحية وأهلها كما وحاولوا ذلك بالنسبة للمسلمين أيضاً . وقد جمع هذا النهج كل ما حملته الفكر البشري من وثنية والحاد وتعدد واحتقار للأخلاق وأنكار للبعث والجزاء والحساب لكي يشيدوا منهج عبادة المال والتكالب على الحياة وإقرار الربا وجعله نظاماً مشروعاً للعالم كله وبذلك سيطر اليهود على الفكر البشري كله وكان لهم دورهم في تحريف الأديان . وينزول القرآن بالإسلام عرفت الإنسانية أن هناك منهجين منفصلين : منهج القرآن الذي تبناه الإسلام والمنهج البشري الذي احتضنته التلمودية اليهودية الصهيونية وعملت في سبيله عن طريق المنظمات المختلفة : الماسونية والصهيونية وغيرها . ولا ريب أن الأيدلوجية التلمودية هي فكرة وفلسفة ومنهج

حياة معارض تمام المعارضة للفكر الرباني ولمنهج الإسلام . إن الفكر اليهودي التلمودي كله قد صيغ في أسلوب نظريات ذات طابع علمي خادع براق وطرح في أفق الفكر البشري كله في محاولة لإحتوائه والسيطرة عليه وجندت له قوى كبيرة في الصحافة والجامعات ودوائر المعارف ، وكان علينا نحن المسلمين أن نواجه هذا الفكر . نظراً لفقدان الحصانة المانعة من الإحتواء في مجال المدرسة والصحافة والثقافة ونظراً لما تعجز عنه مناهج التربية والتعليم في أغلب أنحاء العالم فقد استطاعت هذه المفاهيم أن تجد مجاًلاً للتنقل لإتصالها بأهواء النفس ولتبريرها مداخل الرغبات والغرائز .

أولاً : هدم الأديان

منذ أن حرفت يهود توراتهم في أبان سبي بابل فقد كان لهم موقفهم من الأديان المنزلة جميعاً وخاصة المسيحية والإسلام . بل إن موقفهم من المسيحية قديم قدم نزول رسالة السيد المسيح نفسه فقد كان اليهود ينتظرون مسيحاً يعيد لهم مملكة داود وسليمان ، وكذلك كان موقفهم من النبي محمد ﷺ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل فقد كانوا يظنون أنه من نسل إسرائيل وكانوا يستفتحون به قبل بعثه على خصومهم فلما عرفوا أنه من نسل اسماعيل حرفوا صفته في التوراة وكذبوه وتآلبوا عليه كما تآلبوا من قبل على عيسى عليه السلام ، وما زالت دعواهم أن دينهم هو الدين الوحيد وهم لذلك يعملون على تحريف المسيحية وتحريف الإسلام . وما موقفهم من الإسلام والقرآن ومحاولة إلتقاط أشياء وكلمات من القرآن وردها إلى اليهودية هو من قبل معارضة الدينين الكبيرين اللذين جاءا بعد الرسالة التي أنزلت على موسى عليه السلام . وتحريف التوراة ثابت وأكد اعترف به عشرات من الباحثين الغربيين وقد استهدف إنكار ما أنزل على عيسى ومحمد عليهما السلام كما استهدف تحويل الرسالة السماوية التي أنزلت على بنى إسرائيل إلى عنصرية تفرض لهم وجوداً خاصاً متميزاً عن العالمين ، كما ترمى إلى تحريف وعد الله لإبراهيم عليه السلام وذريته في أبنائه اسماعيل واسحق إلى وعد خاص لبنى إسرائيل وحدهم . ومن هذا المنطلق كانت حملتهم على الدين بعامة فهم الذين حملوا لواء محاربة الأديان وتصويرها بأن البشرية لم تعد في حاجة إليها وأنها كانت مرحلة في تاريخ البشرية انتهت . واليهود هم الذين يوجهون إلى الأديان أقسى الاتهامات وينسبون إليها الحروب والمصادمات بين الشعوب ، وهم الذين

حملوا لواء الدعوة إلى القوميات والعنصرية والدماء والاعراق ليخطموا وحدة الفكر القائمة على أساس الدين وقد حمل اليهود لواء الفكر البشري الزائف كله والمعارض للدين الحق وللأخلاق فهم دعاة السحر والتنجيم والأساطير والخرافات وهم المنكرون للبعث والنشور . وقد أشار سير جيمس فريزر في كتابه عن الخرافة : إن أهم القصص التي يتخذ منها الإسرائيليون عقيدة يستترون وراءها قد جاءتهم من أوهام الإنسان البدائي الذي تمثله القبائل السائبة على وجهها في مجاهل أفريقيا وآسيا وغيرها من القارات وأن أساطير التوراة هي صورة دارجة من أساطير الشعوب البدائية التي كانت ترتاع أمام الطبعة وتقوم القصص وتحكي النوادر وتكرر في أساطيرها ما كان معروفاً في أماكن مختلفة من العالم القديم السابق على لتوراة » وقد شهد كثيرون بأن العقيدة التي ينسب وراءها اليهود هي شريعة الغاب التي تقوم على تدمير المدن والقرى وحرق المساكن وقتل الأطفال والشيوخ وأنهم يبيحون الربا للنسبة للجويم (أى غير اليهود) وهم الذين جعلوه شريعة الاقتصاد الحديث وحملوا لواءه على طول القرون . وقد أكدت عشرات المصادر أن الربا كان صناعة اليهود منذ انحرفوا عن رسالة موسى ، وأنهم قد أشربوا العجل الذهبي ، وهم يرون أنه لا جناح عليهم في امتصاص دماء الأميين من غير اليهود (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) وقد أقاموا الرأسمالية الغربية على أساس الربا كما أقاموا علماء الاقتصاد الحديث على أساس الربا والذي يمتد أضعافاً مضاعفة ، وليس لدى اليهود كتب تعود لعهد موسى ، وكل ما لديهم الآن يعود لعصر (عزرا) وما بعده وبين هذا وبين موسى أحد عشر قرناً ، ومفهومهم الإله يختلف عن مفهوم الدين الحق فهم يرون الإله خاصاً بهم وحدهم وأن لهم إلهاً خاصاً هو إله الحرب أو إله الجنود وهو الإله الذي يدعون أنه أباح لهم كل شيء وكل أرض وكل الناس وجعلهم شعباً مختاراً هو سيد الشعوب وكل الشعوب عبيد له ، وقد زيف القرآن هذا المفهوم الذي قامت عليه التلمودية الصهيونية . يؤكد كثيراً من الباحثين أن اليهودية التي كونها اليهود تحريفاً عن الديانة الماسونية هي مزيج من وثنية قديمة ومن فكر بابل ومن فلسفة يونانية ، خليط مضطرب من العقائد . وقد بدأ هذا التحريف بعد موسى ثم جاء أنبياء بني إسرائيل جبلاً بعد جيل جاهدين تخليص الدين الماسوي المنزل من الدخول وإرجاعه سيرته الأولى غير أنهم عجزوا وكان آخر أنبياء بني إسرائيل المسيح عيسى بن مريم الذي حاربه اليهود حرباً عواناً وألبوا عليه ودبروا مؤامرة لقتله لولا أن رفعه الله عليه وقتل شبيهه وتؤكد

الدراسات أن السامريين خلطوا تعاليم التوراة بأفكار وثنية جاعوا بها من البلاد التي سباهم الملوك الأعداء إليها وأشد ما تأثرت به اليهود تأثرها بالتفكير البابلي القديم . وأبرز ما أخذت الديانة اليهودية من الوثنية : عقيدة التشبيه : قولها بمشابهة الإله للإنسان . وعقيدة الجبر التي تقول بأن الإنسان ليس له اختيار مطلق فهو مجبور ، وعقيدة الدهرية وهي تقوم على إنكار البعث والحساب والجزاء وعقيدة الرجعة وقد انتقلت هذه الشبهات إلى الفكر الإسلامي في فترات مختلفة واعتنقها بعض النحل والمذاهب . وهكذا نجد أن مفهوم اليهودية المائل الآن مخالف تمام المخالفة للمقررات رسمها الدين الموسوي الموحى به من عند الله ، وخاصة في أمر : (١) الإله الخاص باليهود . (٢) الشعب المختار المتميز الذي وعد بالسيطرة العالمية على الأمميين . (٣) إنكار البعث والجزاء والحساب والجنة والنار . وهذه هي أبرز مفاهيم اليهودية بعد تحريفها . وقد سجل اللورد ما كولي موقف اليهود من الأديان فقال : لظالمنا أذن فينا التاريخ ببيان ما أدخل اليهود قديماً في دينهم من البدع مستمسكين بما أملاه عليهم خيالهم الفاسد من ضرورة أن يكون لهم إله محسوس ملموس يقصدونه بالعبادة والإجلال وقد أخذ الفكر اليهودي ، من أساطير بابل وأساطير الجزيرة العربية والقصص الشعبي في مصر والهند والفرس واليونان والفكر المصري القديم وقد أخذوا عقيدة المخلص المنتظر في الديانة الفارسية . وتدور فلسفة العقيدة اليهودية التي استحلشها اليهود حول الامتياز الخاص الذي يمكنهم من السيطرة على كل مقدرات العالم : هم يهود شعب الله المختار والعالم كله (جويم أو أميون) هم السادة المتنازون يحل لهم الربا وكل ما يملكون من حقهم أخذه ولا بأس بالغر والوقعة إذا كانت هي طريق النجاح وقد دعا دزرائيلي الانجليز أن يتخلوها قاعدة ذهبية لسياستهم مع الشعوب ولا سيما في المستعمرات . ومن أجل السيطرة يكون استحلال الربا والتحريض عليه بإشاعة الفسق والفجور وإنكار البعث الذي من شأنه أن يشكل في الناس مفهوم الخوف من حساب الله . ومفهومهم في إنكار البعث يقوم على اعتبار أن الحياة الدنيا كل شيء وأن السعي لها هو وحده وأن كل ثواب وعقاب هو في الدنيا العمل فعلى الإنسان أن يسارع إلى التقاط كل لذة . وأن الجنة على الأرض . وقال دكتور هربرت لوى اليهودي : مجال اليهودية ليس فيها وراء هذا العالم . أي عالم الروح أي العالم الآتي : وهذا هو الفارق بينها وبين المسيحية التي تجعل من العالم الآخر وما وراء هذا العالم مجالها . ويرى اليهود أن المسيحيين داخلون في زمرة الجويم بل هم المستهدفون بكل صنوف الحقد والاضغان ، يقول

جون كويج سكوت ليس هناك إلا مخرج من مظلم هذا التناحر الحار البارد ، الظاهر والخفي بين الصهيونية والمسيحية ، هذا المخرج سوف يتقرر في ليل طويل مظلم مليء باليأس والقنوط .

(٢) وقد كان اليهود أداة تخريب للأديان ، دخل شاول المسيحية وأحدثا بها أحداثا خطيرة فنقلها من ديانة خاصة ببنى إسرائيل إلى ديانة عالمية ، ونقلها من التوحيد إلى التثليث وقال بألوهية المسيح واخترع قصة الغداء للتكفير عن خطيئة البشر . وقد وصف بأنه استهدف غاية اليهود في الدخول إلى المسيحية ليحاربها من الداخل بسلاح الهدم والتدمير متعاوناً في ذلك مع أبناء دين اليهود في سبيل القضاء عليها . وفي الإسلام دخلت جماعة في مقدمتهم عبدالله بن سبأ استهدفوا التقاط أخبار المسلمين والتعرف إلى خططهم ، وإثارة الإسرائيليات والشبهات والشكوك لاضعاف إيمان المسلمين وثقتهم بالإسلام وخلق روح الجدل وقد نبه الإسلام إلى هذا : لود كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم] . وهذا هو الخط الذي سارت عليه التلمودية منذ قديم وما زالت تسير عليه ، ومن دعوات الهدم التي حملها اليهود دعوة عبدالله بن ميمون بن ديصان وولده وكانا يعملان في بث مبادئهما السرية في الإلحاد والهدم والباطنية بتحريض وتعضيد من الدعاة اليهود (راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٩) . وقد أشار مؤلف كتاب اليهود والجمعيات السرية إلى أنه لما هاجر اليهود من فلسطين إلى أوروبا حملوا معهم بذور الدناء للعمل في الخفاء ويقرر علماء الغرب أن حركات الهدم التي اجتاحت أوروبا واشتعلت بها مدى قرون ثلاثة لم تكن سوى أثر للجهود السرية التي يقال أن اليهود يبذلونها منذ ظهور النصرانية والإسلام في سبيل هدمها انتقاماً لدينهم . وقد أشار الكثيرون إلى قصة يهوذا الأسخريوطى الذي كان من بين حوارى السيد المسيح وعمل جاسوساً لليهود وساوهم على تسليمه نظير ثلاثين من الفضة وقصة عبدالله بن سبا ليست في حاجة إلى مزيد فقد كان يهودياً أدعى الإسلام وانتهاز فرصة ما وجه لسياسة عثمان من النقد في بعض التصرفات فأشعل الفتنة وأنزل بالعالم الإسلامى ناراً ظلت متعججة مئات السنين . فهو الذى طرح في أفق الفكر الإسلامى مذاهب الرجعة والوضعية ووضع أحاديث يدعم بها رأيه كما أشاع نظرية الحق الإلهى . ويعتقد بعض الباحثين أن عدداً من الكرادلة في الفاتيكان ينحدر من أصل يهودى تدفعهم الأغراض اليهودية إلى تحقيق أهداف الصهيونية وإلهم يرجع عدد من القرارات الحاسمة في مقدمتها قرار تبرئة اليهود من محاولة قتل المسيح . والنسبة من دسائس اليهود الذى تتغير به الأشهر الحرم

بأشهر غيرها فيكون في كل أربع وعشرين سنة تسعة أشهر توقيفا لأشهر القمر بسنوات الشمس وكان يتولى ذلك النسيء من كنانة المعروفين بالقلامس وآخرهم أبو ثمامة جناده بن عوف بن معاوية بن قلع الكناني وأول من بدأ هذه البدعة فيهم ابن فقيم بن عدى بن عامر أخذه عن اليهود قبل الإسلام بقريب من مائتي سنة فأعاد الإسلام هذه السنة إلى ما كانت عليه قبل التأثير اليهودي . ويشير الباحثون إلى أن محاولة اليهود لإحتواء الإسلام بدأت منذ وقت باكر بادعاء بعض اليهود اعتناق الإسلام ومحاولتهم إحداث الفتن بين المسلمين وإفساد عقيدتهم ، ومن أول ذلك : وضع الأحاديث وكان لعبد الله بن سبا دوره في هذا وفي الفتنة على عهد عثمان فقد وضع تعاليمه لهدم الإسلام وألف جمعية سرية لبث تعاليمه . ومن أعماله تأليب أهل مصر على عثمان وفي الفكر الباطني والمذاهب الضالة المستترة بالشييع من هذه المفاهيم الكثير . وقد جرى إتصال الخبر بأن (الاعتزال) كان له صلة باليهود ثم كانت الدوغة في تركيا والعمل على هدم الخلافة الإسلامية وزعيمهم شبتاي الذي ادعى عام ١٦٤٨ أنه المسيح الذي ينتظره اليهود وقد اتجه الدوغة إلى تحطيم الخلافة العثمانية في تركيا بعد فشلهم في حمل السلطان عبد الحميد على موالة هدفهم . وقد كان أحد الثلاثة الذين أبلغوا السلطان عبد الحميد عزله النائب اليهودي (قرة صو) نائب سلايك وهو نفس النائب الذي أوفده اليهود لمقابلة السلطان . وكان اليهود الدوغة هم الداعون إلى الدعوة الطورانية في تركيا للتخلص من الإسلام واللغة العربية وفصم عرى الروابط بين الترك والعرب .

(٢) تزيف التاريخ

من أجل أن تحقق التلمودية الصهيونية هدفها كان عليها أن تزيف التاريخ من جهات كثيرة : أولاً : دعوها بإنكار حق آل ابراهيم من الوعد الإلهي وقصره على بني إسرائيل . وإنكار رحلة ابراهيم وإسماعيل إلى الحجاز وبناء الكعبة . ثانياً : تزيف دور الابراهيمية الحنيفية في الأرض العربية الممتدة من العراق إلى مصر وإلى أفريقيا ونسبة هذا الدور إلى جد أعلى هو سام وذلك ما أطلق عليه الجنس السامي واللغة السامية وغير ذلك . ثالثاً : تزيف تاريخ السلطان عبد الحميد ووصفه بالسلطان الأحمر والحاكم المستبد وتآليب القوى المختلفة عليه .

(٢) أعادت اليهودية كتابة التوراة في منى بابل وحرفت حقائق التاريخ :

١ - لم تذكر ذهاب إبراهيم إلى الحجاز وصمتت صمتاً شديداً عن كل ما يتصل بعلاقة إبراهيم واسماعيل بالجزيرة العربية ومكة وبناء الكعبة . والمهدف الذى هدف إليه كهان اليهود أن يخرجوا أبناء اسماعيل من حقوق الوعد الذى تلقاه إبراهيم من ربه وقصره على بنى إسرائيل دون بنى اسماعيل ومن هنا كانت دعواهم بالقول بأنهم شعب الله المختار وكان اليهود ينفسون على العرب إن صار لهم بيت محرم منذ أيام إبراهيم بينما لم يصبح لهم هيكل في بيت المقدس إلا في أيام سليمان بن داود ولم يقف أمر اليهود عند حرمان أبناء إسماعيل من حقوق الوعد الذى تلقاه إبراهيم من ربه فادعوا أن الذبيح هو إسحق وليس اسماعيل مع أن التقاليد كانت تقضى بتقديم الإبن البكر قرباناً لله . وقد كشف القرآن عن هذه الحقيقة وربط بين إبراهيم عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه وسلم على أساس أن إبراهيم هو صاحب الإمامة الكبرى في الدين ومنه تفرغت الأديان السماوية الثلاث المنزلة : الدين الذى أنزل على موسى والدين الذى أنزل على عيسى والدين الذى أنزل على محمد . ويرجع التاريخ عهد إبراهيم إلى عام ١٧٠٠ قبل الميلاد وقد هاجر إبراهيم بإبنيه اسماعيل وزوجته هاجر إذعاناً لأمر الله واستجابة له إلى جزيرة العرب حيث ترك اسماعيل وهاجر في مكة وكان البيت مرتفعاً من الأرض تأتبه السيول ثم عاد بعد أن كبر ابنه اسماعيل وأقاما معاً القواعد من البيت وكان اسماعيل قد شب وأصهر إلى جرحهم وقد انتشر أبناء اسماعيل الإثني عشر في المنطقة الممتدة ما بين الشام ومصر وأعلنت ألواح الطين التى كتبت بالخط المسارى والتى وجدت في أطلال بابل ونيوى وبلاد ما بين النهرين أن بنى اسماعيل كانوا حقيقة واقعة وقد صار أبناؤه الإثني عشر قبائل قوية تناوىء بابل وآشور ومصر والأغريق والرومان. كذلك زيف اليهود دور « الحنفية الإبراهيمية » كله من إبراهيم إلى محمد ووقفوا موقفاً مضللاً من الهجرات المتوالية التى امتدت منذ ١٧٥٠ قبل الميلاد إلى ظهور الإسلام ٦٥٠ ميلادية (أى خلال قرنين ونصف قرن تقريباً) وهى الهجرات التى أنشأت حضارات بابل والعموريين والكنعانيين وسينا فقد نسبوا ذلك كله إلى جد أعلى حتى لا يثبت الفضل لأهله العرب ، والمعروف أن الهجرات التى تمت منذ جاء إبراهيم واسماعيل إلى الحجاز قد قذفت بموجات متوالية من العرب أهل الجزيرة إلى مختلف أجزاء المنطقة العربية الممتدة ما بين النهرين إلى الشام إلى مصر إلى المغرب وأن هذه الموجات العربية هى التى وسدت للإسلام الهجرة الكبرى وهى التى استقبلت الفتح.

الإسلامية وقد كانت حضارات هذه الأمم الصادرة من الجزيرة العربية عريية ، وقد اكتشفت هذه الحضارات وأثبتت الأحافيز والكشوف الأثرية أنها عربية خالصة ولكن اليهود التلموديون في سبيل الغرض من قذر العرب والإسلام قد نسبوها إلى جد ليس هناك مصدر لإثباته إلا التوراة التي أشارت إلى (سام وحام ويافت) نسبوها إلى سام حتى يطمسوا أمجاد الحنيفية الإبراهيمية الممتدة من إبراهيم إلى محمد والتي حرفها اليهود حين حولوا دين موسى إلى عنصرية شعب الله المختار ، وقد أطلق العالم الألماني الذي كان على ولاء للصهيونية الحديثة (سلويتشر) اسم السامية على هذه النهضة كلها حتى لا تنسب إلى إبراهيم واسماعيل أو إلى الحنيفية الإبراهيمية . والمعروف أن الإسلام كان ختام الرسالات وأنه ارتبط بالحنيفية السمحاء التي دعا إليها إبراهيم فكان مجدداً لها ومكملاً : (وأوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً) وكان بذلك مصححاً للرسالات التي انحرفت عن طريقها ، فكان القرآن مصدقاً لما بين يديه من كتب ورسالات ومهمناً عليه ، وكان ناسخاً لكل الأديان : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) وقد أشار القرآن إلى أبوة إبراهيم للعرب (ما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) كما أشار القرآن إلى أبوة إبراهيم للأنبياء الذين جاءوا من بعده (ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ، واسماعيل وإلشع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين) . ويتبين من هذا النص القرآني أن إبراهيم هو جد اليهود والنصارى والمسلمين . ويؤكد الباحثون أن دين موسى ودين عيسى لم يستطع القائمون عليه أن يواصلوا رسالته على النحو الذي أراده الله تبارك وتعالى فالعبرانيون جعلوا من انفسهم طائفة قائمة بذاتها متميزة وأعلوا شأن العصبية والعنصرية بإدعاء أنهم شعب الله المختار . أما المسيحية فإنها مالت إلى الانحصار في الذات فجاء الإسلام ليحقق رسالة التوحيد الحق لله تبارك وتعالى ، وهكذا بدأت الرسالة الحنيفية بالعرب وانتهت بهم ، وإن كانت قد انحرفت في منتصف الطريق فإن الإسلام أعادها مرة أخرى إلى الجادة « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » . يقول الدكتور الفاروق : أن القول بوحداية القيم هو نفسه القول بوحداية الله ، وهو أمر تفرد به العرب دون سواهم ، وهو مدرك عربي صحيح طرأ على الوعي العربي مصطحباً جانبه الأخلاقي ولب هذه الرسالة أن

الله موجود وأنه واحد ، أما وجوده فمعناه عند العقل العربي وجود القيم وجوداً مستقلاً عن الإنسان ووجوده ، أعني أنها ليست من صنع الإنسان يصنعها كما تقتضى ظروف عيشة . ومعناه كذلك أن حياته على هذه الأرض لم تكن عبثاً أما كون الله واحد فمعناه أن القيم تحمل « معياراً واحداً » لا يتأثر باختلاف الزمان والمكان فالمعيار واحد لكل إنسان أى كان وحيثما كان فليس لكل مجموعة من الناس معيارها الخلق ومعيارها الذى يعيش به الحق ، بل الخير بالنسبة لكل البشر والحق حق بالنسبة للناس أجمعين فالقول بوجود الله وبوحدانيته إذن هو فى صميم الاعتراف بموضوعية القيم وتخليصها من قيود « النسبية » التى تفر اختلاف المعايير باختلاف الظروف . فالإنسان أمام الله هو الإنسان ، لا اختلاف بين فرد وفرد إذا ما قيس الافراد بمقياس الاخلاق الذى هو مقياس القيم . وهنا نجد الامر واضحاً تماماً فى تزيف اليهودية التلمودية لفهوم التوحيد ولفهوم ثبات الاخلاق ولفهوم استقلال القيم وتجد أن الفلسفة التلمودية المطروحة الآن فى العالم العربى كله ترمى إلى نسبية الاخلاق وتدعى أن القيم ليس لها معياراً واحداً وأنها مختلفة باختلاف الزمان والمكان. (٣) أما تزيف تاريخ السلطان عبد الحميد فقد كان من أكبر أهداف الصهيونية : ذلك لان هذا الرجل هو الذى حمل لواء الجامعة الإسلامية التى تجمع المسلمين تحت لواء واحد فى مواجهة الزحف الاستعمارى وإلى خارج نطاق الدولة العثمانية فقد كانت هذه الصيحة من أخطر ما واجه الاستعمار والصهيونية الزاحفة التى كانت تطمع فى السيطرة على فلسطين وقد وقف منها موقفاً حاسماً كريماً مشرفاً وكان يعلم أبعاد الدور الخطير الذى تقوم به الدوغة اليهود المتسلمين فى سالونيك) لحساب الصهيونية العالمية ويعرف مدى ما تدبر مخططات الماسونية واحتوائها لجماعة الاتحاد والترقى . ولقد كان لموقفه مع هرتزل الذى عرض عليه عرضاً سخياً قوامه خمسون مليوناً من الجنيهات لخزانة الدولة وإقامة مشروعات تجارية لإنعاش الاقتصاد العثمانى وغير ذلك فى مقابل السماح لليهود فى الإقامة فى فلسطين وكيف كان رده حاسماً فى مواجهة ذلك كله ، وكان مما قاله السلطان : (لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد لأنها ليست لى بل لشعبى ولقد حصل شعبى على هذه الإمبراطورية بإقامة الدماء وبذغذوها بعدد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن يسمح لاحد باغتصابها منا . الإمبراطورية التركية ليست لى وإنما للشعب ، لا أستطيع أبداً أن أعطى أحد أى جزء منها . ليحتفظ اليهود بملايينهم فإذا ما قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود

على فلسطين بدون مقابل . إننا لن نقسم إلا جثثنا ولن أقبل بتشريح أجسادنا لاي غرض كان . فكان على اليهود العمل على إسقاط الخليفة وتدمير الخلافة وتحطيم الدولة العثمانية من أجل تحقيق مطلبهم ثم كانت تلك الحملة الضارية على السلطان عبد الحميد الذى عرفتها كتب التاريخ الحديث واتهامه بالمتسلط والتعصب والعنف فى سبيل تبرير إسقاطه على النحو الذى حدث بالنسبة له

(٣) تدمير الانسان

استهدفت التلمودية الصهيونية الأخلاق وهى التى نشرت فى الفكر البشرى فكرة الانتهازية ودعت إلى التنكر للأخلاق الفاضلة وقالت أنها خير وسيلة للنجاح السياسى وأن السياسة لا تتفق مع الأخلاق ودعت القادة إلى اللجوء إلى الحيلة والنفاق فى السياسة . وأعلنت إزديادها للأمانة والصدق وعمدت إلى استغلال الضعف الإنسانى فى إخضاع الناس لمبادئها الهدامة واستغلال مواطن الضعف فى الإنسان أمام إغراء المال والجنس واللذات ودعت إلى عدم التورع فى نشر الأفكار الهدامة المنافية للأخلاق لأنها الوسيلة إلى السيطرة على الناس وإذلالهم ونادت بالحرص على استخدام الإذلاء لكى تظل قبضتها ممسكة عليهم فى كل وقت وعمدت إلى نشر الأفكار غير الأخلاقية القائمة على الغش والخداع والغدر ودعت فى كل ما نسب إليها من مصادر (التوراة والتلمود والبروتوكولات) إلى إفساد أخلاق المجتمعات بغية خلق أوضاع اجتماعية تدفع أعداءها للوقوع فى براثنها . كما عمدت إلى نشر حب المال حباً جنونياً حتى يسهل عليها شراء الذمم بالذهب والمال الوفير .

(٢) نادى التلمودية الصهيونية بالقضاء على حكم الأسرة والقضاء على روابط الولاء بين أفراد الأسرة الواحدة ، والتضحية بالأفراد من أجل السلطة كما دعت إلى الاستبداد والخداع والتضليل وتشكيك العقول واستخدام التعليم والثقافة والصحافة فى تنشئة أجيال جديدة لا تؤمن بالفضائل والمثل الأخلاقية العليا . ودعت إلى نشر الإلحاد باعتباره الوسيلة التى تؤدى للقضاء على الأديان الأخرى ، والمناداة باستخدام حرية العقيدة فى سبيل القضاء على العقائد غير اليهودية والعمل على انتقاص رجال الدين والخط من قدر القيم فى نظر الشعوب وقد جمعت مخططات التلمودية الصهيونية لواء دعوات : وحدة الوجود وأساطير الأولين والشيوعية والبهاية والروحية الحديثة . ودعت إلى تعبئة البطولة التاريخية للأمم وتجريدها

من عظمتها وتتبع العورات الصغيرة والنقائص لهدم إعجاب الأمم بأبطالها ، كما دعت إلى هدم ثبات الدين وثبات الأخلاق وثبات الأسرة وسيطرة التلمودية الصهيونية على صناعة السينما في هوليوود وفي العالم كله ووجهتها نحو تثبيت مفاهيم معينة أبرزها الجريمة والجنس والعنصرية وهدم الأسرة وتحقير الآباء . وكذلك كانت سيطرتهم على المسرح والقصة في دعوة صارخة إلى الانحلال الخلقي والإجرام المعقد من وراء ستار وقد اتخذوا من الصحافة أداتهم الأساسية وفق خططهم التي أعلنوها والتي تقول : « علينا أن نشجع الانحلال في المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر وتضعف الروابط المتينة التي تعتبر أهم مقومات الشعوب فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كما نريد » . والهدف هو تدمير المجتمع البشري قبل السيطرة عليه وأهم تركيزهم موجه إلى الشباب والأجيال الجديدة بل لقد أمتد في السنوات الأخيرة إلى الطفولة بتقديم برامج مسموعة تهدم نفسية الشباب وعقليته وتدمرهم تدميراً خطيراً وقد كشفوا عن خططهم حين قالوا : لقد خدعنا الجيل الناشئ وجعلناه فاسداً منتفعاً بما علمناه لهم من مبادئ ونظريات ، يجب أن نحطم كل عنان الإيمان وتكون النتيجة المؤكدة لهذا هي أن يكتسح الإلحاد والازدلال كل الأديان والعقائد الأخرى ، واليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهياراً تاماً . (البروتوكولات) . وعن طريق سيطرة اليهود على الصحافة ودور النشر ، وعلى البنوك والشركات وتسلطهم على اقتصاديات الدول الكبرى كانت لهم مقدرتهم الفائقة على السيطرة على مذاهب العلم والفلسفة والفن والمسرح والسينما والمدرسة ونظم التعليم . يقول جوزيف وست : تصادف في كل التعبيرات الفكرية الكبرى تقريباً عملاً يهودياً سواء كان ظاهراً واضحاً أو خفياً سرياً وعلى هذا فإن التاريخ اليهودي يمتد بامتداد التاريخ العالمي بجميع مجالاته حيث تغلغل فيه بالآلاف الدساتير . وفي عديد من مواقع بروتوكولات صهيون يؤيدها زعماء الفكر الصهيوني تؤيد ذلك التركيز الشديد على تدمير الإنسان : « إن الغاية تبرر الوسيلة وعلينا - نحن نضع خطتنا - ألا نلتفت إلى ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي وما هو خير وما هو شر بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد . « إن موازين المجتمع وتقاليد القديمة ستنهار سريعاً لأننا على الدوام نفقدها توازنها كي تسقط بسرعة . « وحيناً نمكن لأنفسنا ونكون سادة الأرض لن نسمح بقيام أى دين غيرها ديننا وسنكون قد خططنا كل الأديان الأخرى . ويفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأثمية » . هذه الروح الشريرة التي تسيطر

على المخططات التلمودية الصهيونية للكشف بوضوح عن الرغبة المحمومة في القضاء على دعوات الأخلاق وموازين الخير والمثل والمدنيات في العالم إرضاء لاستعلائهم وفسادهم وتمشياً مع اتجاهاتهم المادية في الحياة . ولا ريب أن مذاهب دارون وماركس وفرويد ودور كايم كلها تستهدف تحقيق هذه الغايات وتحول البشرية من الدين والأخلاق والقيم المعنوية إلى المادية الخالصة .

(٤) فرض المادية على الفكر البشرى

صنع الغربيون حضاراتهم في أوائل النهضة وأطلقوا على القرن الخامس عشر عصر النهضة (الرينسانس) ثم عاد اليهود من منفاهم فسيطروا على هذه النهضة وحولوها إلى الوجهة التي يريدونها وأطلقوا على القرن السادس عشر وما بعده عصر التنوير ولم يكن التنوير التلمودي الصهيوني إلا فرض المادية على الفكر البشرى وتحطيم الدين والأخلاق وصولاً إلى الهدف الأكبر وهو السيطرة على الحياة الاجتماعية في الغرب كله وإقصاء المسيحية والكنيسة عن النفوذ وإسقاط القوانين والمقررات التي تحول بين اليهود وبين السيطرة على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وقد أطلق عصر التنوير على الدور الذي قامت به الماسونية في تحويل الفكر الغربي إلى المادية وهدم كل ما يتصل بالدين وتحريره من كل قيود المسيحية والكنيسة وإنشاء المدارس العلمانية والقوانين العلمانية وفي هذا المجال ظهر كثيرون من رجال الماسون : فولتير ، وديدرو ، وروسو ثم أوجست كونت ورينان وعشرات آخرون . وقد كشف كثير من الباحثين هذه الحقيقة فأشاروا إلى أن (التنوير) لا يقصد به إلا أبعاد الدين عن مجال التوجيه وإحلال العقل محله قالوا : إن التنوير هو إخضاع الدين للعقل وأشاروا إلى أنه بالتنوير بدأ عهد الحس ، وإن قيام المذهب الوضعي إنما يستهدف معارضة الكنيسة ومن التغطية باسم العلم وهو بمثابة معارضة الميتافيزيقا (وما وراء الطبيعة) وقد أنكر المذهب الوضعي دين الكنيسة وأعلن عما أساءه (دين الإنسانية الكبرى) . وقال كانت : التنوير هو الإفراج عن الإنسان من الوصايا التي فرضها هو على نفسه ، والوصاية هي عدم جرأة الإنسان على استعمال قواه الطبيعية بدون استعمال الغير ، وقال أن الوصاية الدينية هي أرذل الوصايات وأشدّها ضرراً . وكان هذا هو بداية السيطرة التلمودية الصهيونية على الفكر الغربي المسيحي ونقله إلى مجال المادية حيث ارتفعت الدعوات بأنه لا حاجة للعقل الإنساني بأن يرجح إلى

الوحي أو المعرفة الماورائية لإدارة حياته وشؤون الدنيا . وقال العقلانيون أنه إذا ارتفع الدين فلا فارق بين البشر وأن كل ما اصطنع من فرقة بينهم يجب أن تزول سريعاً وهكذا مهدت المادية لليهود في اقتحام المجتمع المسيحي ثم السيطرة عليه . وكان ذلك هو التمهيد للثورة الفرنسية التي خطمت كل القيود حيث سيطر اليهود على مقدرات الدول الغربية كلها من بعد : وهكذا كانت أولى خطوات الأيدلوجية التلمودية اليهودية هي إحتواء الفكر المسيحي الغربي باعتباره الفكر العالمي في ذلك الوقت ولذلك جاءت حركة التنوير التي هي ماسونية صهيونية تلمودية صميعة لدحر القيمة الأساسية للفكر العربي المسيحي وضربه في جوانبه القوية حتى يسقط بصريعاً مثغناً بالجراح مستسلماً لمخطط التلمودية وكانت التلمودية هي التي أنشأت الدين الوضعي Religion Positive الذي يقيم سلطان الحس والذي يتصل بالقيم الثلاث البدائل للثالوث المسيحي : الحق : نقد العقل النظري . الخير : نقد العقل العملي . الجمال : نقد ملكة الحكم . وقد استخدمت هذه المدرسة المادية كل ما استطاعت وكان التركيز على نظرية دارون وجرى إخراجها من مجالها البيولوجي إلى المجال الاجتماعي حيث أنشأ « سبنسر » نظرية التطور الاجتماعي ، التي غامها كانت ثم دور كايم حيث فرضت مفهوم الخروج من دين الله جملة بالهجوم على الغيبات والقول بنسبية الأخلاق وفصل الدين عن المجتمع والدولة . والهدف حجب مفهوم الدين والأخلاق عن الأسرة والمجتمع . وهذا كله في مجموعة يرمي الحياة الاجتماعية والبشرية . وقد سيطر المذهب المادي على الفكر الغربي كله وأصبح اليوم هو أساس للفكر الغربي الليبرالي والفكر الماركسي جميعاً وأصبح التفسير المادي للتاريخ مفهوماً شاملاً معترفاً به وأصبحت هناك معارضة شاملة للروحانية والمعنوية والمثالية وأصبح التفسير المادي للسلوك والحياة والمجتمعات والتاريخ هو الأساس . بل إن المادية أعلنت أن العقل صفة طارئة لبعض حالات المادة وأن العقل يولد من المادة فهو مدين لها وأصبح الفكر الغربي في قمة ماديته يؤمن بأن البداء الجنسي والبداء الخاص بالطعام هما اللذان يحكمان البشرية وكما تجسد المادية وجود الخالق وتنكر الروح والجزاء ولقد كان لهذا كله أثره البعيد في التربية والأخلاق والمجتمع والاقتصاد حيث علت كلمات الحرية والتجمل والإباحة والربا والدعوة إلى السعادة والتمتع بالحياة والانطلاق بدعوى أنه لا توجد حياة بعد هذه الحياة .

(٥) التآمر على البشرية

حمدت التلمودية الصهيونية منذ أن خططت لهدفها البعيد في التآمر على البشرية: يقول أحد المؤرخين أن من يدرس التاريخ الإنساني دراسة استقصاء وتثبت يجد خلف كل ثورة أو مؤامرة دموية أثراً يهودياً أو ينداً يهودية فقد كان اليهود وراء الحروب الصليبية ووراء الثورة الفرنسية ووراء الثورة الروسية ووراء النظريات المادية والماركسية والرأسمالية والاستعمار وفي محيط التاريخ الإسلامي نجد ابن سبا وابن ديسان والمأنوية وابن ميعون القداح وحمدان قرمط وبابك وحسن الصباح والحشاشين كل يتصل بنسب إلى اليهودية التلمودية ولقد بات واضحاً مما أعلنه اليهود أنفسهم من مخططاتهم الثلاث الكبرى : الثورة الفرنسية والثورة الروسية وإسقاط الخلافة والدولة العثمانية : ولقد هدموا في الطريق إلى تحقيق غايتهم في الوصول إلى فلسطين ليتطلقوا منها للسيطرة على العالم كله كثيراً من الدول والتيجان والعروش وحطموا كثيراً من قوى المقاومة . وتكاد تكون الحرب العالمية الأولى والثانية من مخططات توسيع الطريق إلى احتلال السيطرة العالمية وقد أعلن أحد رجال حكومتهم الخفية أنهم يمهّدون للحرب الثالثة للقضاء على كل نفوذ وامتلاك السيطرة العالمية ولم يتحقق لهم ذلك إلا عن طريق الدس والمكر والخداع والتآمر وشراء الدم واستعمال سلاح المرأة والمال والاغراء والترهيب والتمسك والسيطرة المالية والاقتصادية على مقدرات الأمم ، وكان سلاحهم القوى : الغزو الفكري والسيطرة على القيم وتحويل المجتمعات من طابع الدين والأخلاق إلى طوابع التحلل والإلحاد والإباحة وأدواتهم في ذلك هي دعوات القومية والعنصرية والفكر الماركسي والوجودية والفرويدية والمادية والصراع الطبقي والطوابع الإباحية المتصلة بالعرى والفساد والأغاني والفن والمسرح الذي هو عندهم بديل دور العبادة وإذا كانت الماسونية هي مدخلهم إلى العالم كله . إلى الأديان والأمم والتقاليد حتى قال جورج زيدان في كتابه تاريخ الماسونية العام (أن الماسونية كانت مصدراً لكثير من التعاليم التي أصبحت من أقوى دعائم التمدن الغربي الحديث) فإن الاشتراكية والماركسية والشيوعية هي أكبر مفصح عن خططهم وأقوى دعامة لتدمير العالم والسيطرة عليه . ولقد كان مدخل المؤامرة التلمودية الصهيونية إلى العالم الإسلامي ، ركيزتهم التي نموها وأعدوها في قلب الدولة العثمانية « الدوغة » التي أقامت محافل الماسونية وأحشوت رجال الاتحاد والترقي وجميعه تركياً الفتاة وأخرجت فيهم طبقة مصطلية

كمال أتاتورك بعد الحرب لتدمير الإسلام في تركيا العثمانية دولة الخلافة . ولقد لعبت التلمودية الصهيونية دورها بجدارة في استخدام كل ماهو مطروح في أفق الفكر البشرى من مذاهب متناقضة ، وبين الرأسمالية والشيوعية وبين الفرد والجماعة ، وبين الإلحاد والروحية الحديثة وهم الدعاة إلى الوطنية المتطرفة والعالمية ، وهم دعاة التسامح الدينى والتعصب فهم يستخدمون المذاهب المتناقضة لخدمة مصالحهم ما دامت تؤدي إلى احتلال العالم والقضاء على أخلاقه ونظمه وأديانه وقومياته ومن مصلحة التلمودية الصهيونية التصادم بين الديمقراطية والشيوعية ، في حرب عالمية ثالثة لتحطيم القوميتين معاً وبذلك نزول العوائق أمام سيادة اليهود العالمية ودور التلمودية الصهيونية في التجسس دور خطير فقد عملوا لكل الدول في مختلف الجهات المتعارضة مع الفرنسيين والإنجليز أبان خلافهم ومع الرأسمالية والشيوعية في الوقت الحاضر ، وبذلك تمكنوا من الحصول على أسرار الدول والجماعات ليقدموا بها مصالحهم ويتمكنون بها من تدمير مصالح غيرهم وقد اتخذوا الدخول في الأديان سبيلهم إلى ذلك فلنخلت جماعات منهم في المسيحية قديماً ودخلت منذ أكثر من مائة سنة جماعات في الإسلام وانصهرت فيها تقية لتؤدي دوراً ما في وقت معين . وقد عرفوا بأنهم وراء كل منظمات الاغتيال والتآمر ، وقد قتلوا كل من وقف في طريقهم ، في روسيا أو في المشرق (اللورد موين والكونت برنادوت) . ولما كان لليهود منذ قديم الزمان عناية عظيمة بالتجسس فقد أنشأوا مصالح خاصة لهذا الغرض وقبل أن سر الأثراء المالى لهم هو السبق إلى المعلومات الصحيحة ومن يراجع تاريخ الثروات التي جمعتها بعض الأسر اليهودية المشهورة يجد أن منشأها هو الحصول على معلومات سياسية أو حربية والانتفاع منها قبل انتشارها بين الجماهير . وفي سبيل تحقيق الهدف كانت جميع الأنظمة الغربية : الملوك لا يحكمون ولا يرأسون الجيوش أبان القتال ، والفصل بين الدين والدولة والأنظمة الديمقراطية التي تسمى باسم سلطة الشعب وتغذى بالرشوة في سبيل الوصول إلى كراسى الحكم ، وفي مختلف القوانين التي تحكم المجتمعات لليهود أصبح في وضعها أو تعديلها أو تفسيرها ونشرها وهي قد وضعت بواسطتهم أو بواسطة أتباعهم في المحافل الماسونية أما لمصلحة رؤس الأموال أو لمصلحة طائفة أخرى من أهل القوة والتأثير أو الترويج لنزعة من النزعات التي يرتاح لها فريق ويسخط لها فريق ، والنظام الديمقراطي ، والقانون الغربى ، ونظام الاقتصاد ، ونظام التعليم قائم على تبادل المنفعة سواء أوافق هذا التبادل القيمة الخلقية أم خالفها والحق عندهم

هو الذى يمشى مع القانون ولا تعاقب عليه المحاكم ، وهذا كله يختلف مع مفهوم الدين المنزل ومع مفهوم الإسلام. وقد كشفت الأبحاث فى خلفية مؤامرة الثورة الفرنسية التى ما زالت تخضع للنفوذ الصهيونى حتى الآن ليردد دائماً أنها هى مصدر الحرية للعالم كله فى العصر الحاضر بينما قامت هذه الثورة على مخطط صهيونى حقق لليهود السيطرة على المجتمع الغربى وكسر قيود الكنيسة التى حصرت اليهود فى أحياء خاصة وجعلت تعاملهم مع المجتمع المسيحى على نحو خاص وكانت مقدمة لتدمير وحدة الغرب المسيحية بعد السيطرة على البروتستانتية التى أقنعتها الصهيونية بما زيفه الأخبار من وعد بالعودة إلى فلسطين عن طريق سيطرة الصهيونية التلمودية على مناهج الجامعات والمدارس فى مختلف البلاد الخاضعة للمذهب البروتستانتي وخاصة إنجلترا وأمريكا . وقد حذر الرئيس الأمريكى بنجامين فرانكلين شعب الولايات المتحدة عام ١٧٨٩ فقال : هنالك خطر عظيم يتهدد الولايات المتحدة ذلك هو الخطر اليهودى. نعم حينما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمته الشعب ويزعزعون الخلق التجارى الشريف . أنهم لا يندمجون بالشعب ، لقد كونوا حكومة داخل الحكومة وحين يجدون معارضة من أحد فإنهم يعملون على خنق الأمة مالياً كما حدث للبرتغال وأسبانيا وإذا لم يستثن اليهود من الهجرة بموجب الدستور فى أقل من مائة سنة سوف يتدفقون على البلاد بأعداد ضخمة يجعلهم يحكموننا ويدمروننا ويغيرون شكل الحكومة التى ضحينا وبذلنا لإقامتها دماننا وحياتنا وأموالنا ، إن عقليتهم تختلف عنا حتى لو عاشوا بيننا عشرة أجيال . والنمر لا يستطيع أن يغير لونه واليهود خطر على هذه البلاد وإذا سمع لهم بالدخول فسوف يخربون دستورنا ومنشئنا » . وهذا الذى توقعه فرانكلين قد وقع فقد احتوى اليهود هذا المجتمع الجديد وسيطروا عليه ، وهى سيطرة تمت فى أوروبا كلها أولاً ، وكان اليهود قد سيطروا على فرنسا أولاً ثم على بريطانيا ثم أمريكا فى سبيل تحقيق مخططهم وأهدافهم .

(٢) إن أثر التلمودية الصهيونية واضح فى مخطط الثورة الفرنسية وتعترف دائرة المعارف الماسونية أنه منذ القرن السادس عشر والبناعون الأحرار (أى الماسون) فى مقدمة القائمين بحركات سلمية كانت أو عنيفة قلبت الأوضاع القديمة ووضعت الأسس للديمقراطية الحديثة وكانت الثورة الفرنسية فى خدمة هذه الحركات الإصلاحية القوية العنيفة وتضيف دائرة المعارف الماسونية إلى اعترافها قول لا مارتين : « إن اعتقادى ثابت بأن الماسونية أخرجت الأفكار العالية التى تأسست عليها الثورات الكبرى سنوات ١٧٨٩ ، ١٨٤٨ . وقال المؤرخ

السياسى الاقتصادى لويىس ريلان : بأن الماسونية كانت معملاً للثورة وكان أثرها فيها أعظم من أثر موسوعة الأنسكلوبيديا وحقاً قال فقد مكثت الماسونية نحو نصف قرن تعد محافلها أفكار الشعب الفرنسى للقيام بثورته الكبرى ولا غرابة فى الأمر فالماسونية قد اتخذت لها شعاراً كلمات ثلاث : (حرية ، مساواة ، أخاء) واتخذتها قبل أن تتخذها الثورة الفرنسية شعاراً . أما تمويل الثورة فتعترف دائرة المعارف اليهودية : إنه كان وزراء الثورة عدد من اليهود قاموا بتمويلها « وحين اندلعت نيران الثورة الفرنسية كان وجهها يهودياً توراتياً تلمودياً إذ لم يعرف التاريخ كالتفوغاء الذين نظموا وتآمروا وثاروا ضد كل طبقة من الناس ، وكانت غايتهم تدمير النظام ومقوماته من الملك إلى النبلاء ورجال الدين وطمس القوانين وتغيير العملة وعلم البلاد والتقويم الرسمى ولوحظ أن الثورة لم يقم بها فرنسيون لحماية فرنسا وخيرها بل قام بها أجانب . (حاشية : كل هذه الحركات التى تولها اليهود قام بها أجانب ومثال ذلك الانقلاب العثمانى والدعوة إلى الطورانية والثورة العزبية بقيادة الشريف حسين) : هؤلاء الأجانب يستترون وراء قوة سرية ترمى إلى هدم كل شئ فى فرنسا ولم يكن أولئك الأجانب سوى اليهود الذين خططوا للثورة ومهدوا لها بخلق فراغ كبير بين الأسر الحاكمة وبين الشعب ثم بإتقال كاهل البلاد بالديون اليهودية تظهر بما يطر الملك الحاكم أمام شعبه مبذراً أنانياً ظالماً ، وسرعان ما شرع اليهود يزيغون التاريخ ويصورون الثورة الفرنسية بذلك العمل التاريخى الذى خدم الإنسانية وأعطى وثيقة حقوق الإنسان وهى فريفة إنطلقت على ملايين البشر ، فالثورة الفرنسية فى حقيقتها من أسباب شقاء العالم وإذلال الشعوب وتسخيرها لخدمة اليهودية العالمية التى خططت لها ومولتها ونفذتها وجنت أرباحها . وهكذا كانت الثورة الفرنسية مقدمة لفتح الطريق أمام اليهود للمساواة مع الأجناس الأخرى وللسيطرة على مقدرات الشعوب والأمم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وهدم الحكومات الأوروبية فى روسيا وفى تركيا . ولقد أسلمت الثورة الفرنسية الشيوعية مقاليدها ، واستطاعت الصهيونية أن تنشئ الشيوعية وتسيطر بها على جزء ضخم من العالم المسيحى ثم تضرب الغرب الرأسمالى بالشرق الشيوعى لحصر العالم بين القوتين دافعين الأمم التابعة للغرب بالضغط إلى الإرتواء فى أحضان الشيوعية .

(٦) السيطرة الاقتصادية

يعد « الربا » المدخل الحقيقي للسيطرة التلمودية الصهيونية على العالمين الرأسمالي والشيوعي ويعد الذهب الذي يحتكره اليهود أقوى الأسلحة لإثارة الرأي العام وإفساد المجتمعات والقضاء على الضائكر والأديان والقوميات ونظام الأسر ، وعن طريق المال يسيطر اليهود على الأعلام والفكر وفي عديد من أنحاء الغرب (أوروبا وأمريكا) يملك اليهود البيوت التجارية والأسواق ، وهم نفوذ قوى ومؤثر على الصحافة والتليفزيون ويوجد في العالم حسب آخر إحصاء ٩٥٤ جريدة ومجلة خاضعة للنفوذ الصهيوني وفي بريطانيا وحدها ٦٩ جريدة خاضعة للصهيونية . ودعاة المذهب الرأسمالي وعلى رأسهم (آدم سميث) يهود ودعاة الماركسية الشيوعية وعلى رأسهم (ماركس) يهود . واليهود هم الذين أقرضوا الخديو إسماعيل ١٢٥ مليوناً من الجنيهات لم يصل إليه منها سوى أربعة وخمسين مليوناً فقط ، وقد قبضوا ٦٥ في المائة منها أرباحاً وسمسرة . والماليون اليهود هم الذين ارتهنوا الأراضي المصرية وملكو الجمارك والضرائب واشتروا ممتلكات إسماعيل وأساهم لا تزال مسجلة في أحياء القاهرة : (سوارس ، موصيري ، شملا ، بلانش- ، شيكوريل ، قطاوي ، كوهين ، ليفي) . وفي العالم كان أبرز اليهود المسيطرين اقتصادياً هم : (فروهلنج ، جوش ، أونيهام ، روتشيلد) ويشير المؤرخون إلى أنه منذ عام ١٨٦٣ استغل اليهود اضطرابات الحالة الداخلية في مصر بعد حروب محمد علي فاستولوا على اقتصاديات البلاد وما حدث في مصر ، وقع في كل مكان وصل إليه الاستعمار الغربي فقد كانوا أداته في السيطرة على البلاد المستعمرة في أفريقيا وآسيا . وفي الغرب كان اليهود هم مصاصوا الدماء ، سيطروا على التجارة والمال ثم استطاعت القوى المسيحية انتزاعها منهم فتوقف اليهود عند مسائل الإقراض بالربا فكانوا موضع كراهية الشعوب واحتقارهم . يقول أرنولد توينبي : لقد بذل المسيحيون في الغرب جهوداً جبارة في الميدان الاقتصادي الذي كان حكراً لليهود وتكشف مسرحية شكسبير « تاجر البندقية » عن ذلك تسلط اليهودي في قضاء الربا . ووفاء الديون والمعروف أن اليهود حولوا عملهم الربوي إلى نظام مصرفي له قوانينه واعتراف الدول به واختفوا وراء الأسهم والسندات حتى ينقلوا أنفسهم من عمليات القتل والسطو والإبادة التي كانوا يتعرضون لها . وقد أشار اليهود في كل وثائقهم إلى سيطرتهم على الذهب في العالم وقيامهم بامتلاك مصادر الاقتصاد والمال . وهم أنفسهم أصحاب القوة الرأسمالية والسيطرة الاقتصادية

الذين صنعوا الماركسية والاشتراكية ، التي تبدو ظاهراً معارضة للرأسمالية . إن الباحث المتخصص يجد أن المحاولات لمقاومة النظام الرأسمالي بدأت منذ وقت بعيد وإن صوراً مختلفة من الاشتراكية ظهرت في أوروبا على أيدي جماعات تستهدف تخفيف ضغط الرأسمالية سواء في مجال العمل أم في مجال الفكر المسيحي الغربي نفسه ، ومن ذلك فكرة « الفابية » التي كان يدين بها برناردشو ، هنالك تقدم اليهود ليضعوا منهجاً اشتراكياً يضرب كل هذه القوى ويدمرها وينشئ ذلك الطريق الجديد لتقسيم العالم توطئة لتدميره ومقدمة لتحقيق هدفهم في السيطرة عليه . ذلك أن الدعوة الماركسية قصدت أساساً هدم الدين نفسه ولم تكن قاصرة على معالجة مشكلة عدالة التوزيع . والدين هنا هو المسيحية بهدف خلق روح الإلحاد والمادية والإباحة أساساً كمصدر لنظام وحياة ومجتمع ودولة . وهذا أول مكاسب اليهودية : هدم المسيحية وإدامة السيطرة على مقدرات الأمم ، كذلك فإن قيام نظام ماركسي يعنى وضع جميع مقدرات الأمة في يد المجموعة الحاكمة وإخراجه من أيدي عشرات الأغنياء والموسرين شريطة أن يكونوا من غير اليهود . ومعنى هذا أن هذه النخبة تستطيع أن تفعل عن طريق تحقيق الهدف اليهودي أكثر مما يفعل الرأسماليون أنفسهم كذلك فإن النظام الماركسي نفسه يحل في العالم روح الشر والقنل والإبادة ويحقق هدفه عن طريق الثورة التي تقتل ونحطم وليس عن طريق التطور والتدرج والإقناع ومن ثم ظهرت مفاهيم لإحداث الانقلابات والثورات فكانت في أغلبها نتاجاً يهودياً للمودياً يستهدف تحقيق الغاية التي يقصد إليها أصحاب امبراطورية الربا . كذلك فإن احتضان اليهود التلمودية للماركسية هو طريقها إلى خلق أجواء من العنف من شأنها أن تصير الحياة الاجتماعية شقاءً مطلقاً فهي تحرم الناس من ثمرات عملهم وتقدمها لقمة سائغة للقوى المسيطرة ثم تفرض على الناس رهبة كاملة فلا تدع لهم حرية الكلمة ، ثم هي بعد ذلك تقتل قوى الإبداع والابتكار نتيجة إحساس الإنسان الممتاز بأن أى عمل يقوم به لا يحقق له أى تفوق شخصي ، كذلك فإن هذا النظام الاقتصادي الذي هو تفسير شامل للحياة والمجتمع يعمل على دفع المجتمع إلى هدم الأسرة وإلى التحلل وإلى إنكار العلاقة بين الله والإنسان تماماً وهذا كله من أكبر أهداف التلمودية ، ومن هنا فإن اليهودية تكون قد صنعت لها مجتمعاً يحقق كل أهدافها في السيطرة على العالم ، ونضغط به في مواجهة المجتمع الرأسمالي الذي هي صانعة أيضاً والسيطرة عليه . ومن هنا لا نجد البشرية فكاً من أن تكون بين حجر الرحى ، منتمية إلى أحد المعسكرين ، ثم هي تجعل

من الأمم الصغيرة أحجار شطرنج تضغط عليها الرأسمالية فتندفع إلى الشيوعية ولما كانت-
الأيديولوجية الماركسية الشيوعية فكرة قلقة فهي غير ثابتة وفي حاجة إلى تعديلات دائمة ،
ومن ثم فهي تنفق الملايين في سبيل الدعوة والاعلام ، وهذه الملايين تفقدها الجماعة البشرية
نفسها لأنها تذهب في سبيل الشيطان ، ولا يمكن لعقل صحيح أن يصدق أن الماركسية أو
الاشتراكية قد صنعت لكي تحرر البشرية من قسوة الرأسمالية والاستعمار فذلك مجرد قول
يقال لخداع بعض الناس ، أما الحقيقة فإن الاشتراكية الماركسية قد صنعت لتذيق البشرية
أهوالاً جديدة أشد قسوة من أهوال الرأسمالية والاستعمار ، وإن هناك الآمال المعلقة على أن
تسيطر الصهيونية على الرأسمالية وبذلك يسقط العالم في يد القوتين اللتين هما من صنع
التلمودية : الصهيونية والشيوعية اللذين هما وجهان لعملة واحدة . وإذا نظرنا إلى قادة السياسة
الاقتصادية في العالم وجدنا اليهود يحتلون أغلب هذه المناصب فقد كان من أبرز من رسم
سياسة الحزب الديمقراطي للولايات المتحدة اليهودي (ورجانتو) ومن أبرز من يرسم سياسة
الحزب الجمهوري للولايات المتحدة اليهودي (فرنكفوتر) وباروخ اليهودي هو الذي وضع
نصوص معاهدة فرساي عام ١٩١٩ وأصبح مستشار روزفلت رئيس الجمهورية عام ١٩٣٥ .
وبالجملة فإن اليهود هم قادة السياسة والاقتصاد في العالم .

رابعاً : إحتواء الفكر الغربي

(١) ميراث الركام البشري

تشكل الفكر الغربي من مصادر ثلاث : (١) الفلسفة اليونانية . (٢) القانون الروماني .
(٣) اللاهوت المسيحي . ولا ريب أن المسيحية التي عبرت من الشرق إلى أوروبا كانت عاملاً
هاماً وخطيراً في تطعيم الفكر الغربي بطوابع الإيمان والرحمة والأخلاق ، وذات أثر كبير في
القضاء على روح الوثنية وعبادة القيصر والعنف والقسوة التي عرف بها الرومان ، والإباحية
الدمرة التي قضت على الأمبراطورية الرومانية . ولقد كان للإسلام أثره الواضح فيما بعد
المسيحية في تعديل كثير من جوانب النفس الغربية والعقل الغربي ، وتحويل المجتمع الغربي
من طوابع الرهبانية واعتزال الحياة والمكوف في الأديرة إلى الانطلاق في مجال العمل
والإنشاء وكان للمنهج العلمي التجريبي الإسلامي الذي أنشأه المسلمون ووصل إلى درجة عالية
من القوة في جامعات الأندلس من حيث النتائج التي حققتها في مجال الكيمياء والطب والطبيعية

والرياضيات والفلك ، كل هذا أطلق الروح الغربية من أسار الرهبانية وقيود النسك وكان للأدب العربي الإسلامي آثاره البعيدة في ظهور طوابع جديدة من الحنان والحب والرحمة بدأها شعراء التروبادور ثم امتدت من أسبانيا وفرنسا إلى مختلف مقاطعات أوروبا وأقطارها . ولا ريب كان لانطلاقه المجتمع الغربي بفضل الإسلام - من روح النسك والزهادة والرهبانية التي ابتدعوها وما كتبها عليهم دين الله ، أبعد الأثر في تألق عصر النهضة الذي تشكل على أثر دخول العلوم التجريبية والدراسات الإنسانية الإسلامية بعد أن افتتح المسلمون قارة أوروبا وأقاموا في الأندلس ثمانية قرون وتركوا بصاتهم حية نابضة في كل مكان في الغرب ، وخاصة في قواميس اللغات فضلاً من مواقع الاستيطان والإقامة . ولقد كان هذا الاتجاه الذي سار فيه الفكر الغربي قمين بأن يهديه إلى الإسلام بعد أن جاء عصر العلم ولم تسعفه التفسيرات الغربية للمسيحية ، غير أن محاولة عصر التنوير التي قامت بها التلمودية اليهودية قد دفعت الفكر الغربي إلى " منحى " جديد كان مقدمة لاحتوائه والسيطرة عليه . ولا ريب أن سيطرة النفوذ الاستعماري الغربي على العالم الإسلامي ونقله إلى المسلمين نظرياته ومفاهيمه وقيمه كان من أخطر المعارك التي خاضها الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والغزو الثقافي والاحتواء . فقد واجه الفكر الإسلامي : ليس الفكر الغربي وحده الذي شكلته المسيحية ولكنه واجه ذلك العنصر الجديد الخطير الذي سيطر على الغرب واحتوى مجتمعه وفكره ، ذلك هو عنصر التلمودية الوثنية الإباحية التي جددت مفاهيم الفلسفات القديمة التي جاء الإسلام هادماً لها ومحطماً لقواعدها سواء الفلسفة اليونانية الهلينية الوثنية أم الفلسفة الغنوصية الشرقية بتعددتها وإباحياتها أو ما تشكل عنها من الأفلاطونية الحديثة أو الثيوصوفية أو البهائية والوجودية والماركسية والفرويدية . وإذا كان الفكر الغربي الذي فقد هويته منذ وقت بعيد على النحو الذي مكن للوثنية اليونانية والتلمودية اليهودية من السيطرة ، قد خضع خضوعاً شديداً لهذا فإن الفكر الإسلامي الذي واجهته هذه الحملات الشديدة من التبشير والغزو الثقافي والتغريب - وهو على غير استعداد لها ، لم يستسلم ولم يخضع ، ولكنه استطاع أن يقاوم ويدافع عن نفسه مستمداً من رصيده الضخم وجذوره الثابتة في التربية وأصاله فكره الواضح الهويوي الصريح الغاية الكامل الوسيلة والاداة للدفاع عن نفسه إبان المحن والغزوات وزلازل الاحتواء وإذا كنا لنا أن نعرض لاحتواء التلمودية الصهيونية اليهودية للفكر الغربي فإنما نحاول أن نواجه هذا الخطر المزدوج الذي يواجه الفكر الإسلامي ويحاول أن يلقى في أفقه هذه

الشبهات الضخمة ، وهذا الركam الشديد : ركam الفكر البشرى القديم السابق للإسلام والمتجدد دائماً على أيدي التلمودية اليهودية لإفساد المجتمعات البشرية لقد ورث اليهود ركam الفكر البشرى كله ، وعاشوا حماته ودعائه ومجددوه في كل عصر ، ولقد استطاعوا في العصر الحديث أن يضعوا هذا الركam القائم على الوثنية والإباحية والمادية - في نظريات حديثة لها طوابع علمية براقعة خداعة فسيطروا على مذاهب الفلسفة المادية ، ومذاهب الروحية والبهائية وجماعات الهييز ومخازن الأزياء والزينة والمسارح والسينا والسيطرة على التراث اليوناني الوثني والتراث الشرقي الأسطوري ثم كان لليهودية التلمودية السيطرة على مناهج العلوم الإنسانية : النفس والأخلاق والاجتماع والتدخل في علوم الأنثروبولوجيا واللغات وإثارة نكرة الجنس والعنصرية وغيرها من أجل إعلاء اليهودية وبعثها السيطرة بها على جميع الأديان وهكذا حرصت التلمودية على السيطرة على كل ميراث الركam البشرى كله ودفعه إلى هدم كل القيم الدينية والأخلاقية والحلول محلها والمتتبع لحركة التلمودية في العالم يدرك أن الصهيونية لا تخلق حركة اجتماعية على إطلاقها ولا قدرة على خلقها ولكنها لا تكاد ترى حركة إلا سارعت إلى استغلالها واحتواءها وتوجيهها إلى الوجهة التي تخدم مصالحها . إن أخطر ما تحاول التلمودية اليهودية والصهيونية هدمه هو القيم فهي تحاول أن تفرغ المجتمعات من القوة ، والحيوية ، والرجولة ومفاهيم الجهاد والمقاومة بغية تدمير الشخصية الإنسانية باسم تحريرها ، وفرض مناهج جديدة لإمهاكها ، وتحطيم معنوياتها وحصانيتها فتصبح غير قادرة على مواجهة خطر الغزو والسيطرة الخارجية . ولقد حاولت التلمودية الصهيونية أن تروج مجموعة من المفاهيم الهدامة في الغرب ثم صدرتها إلى العالم برمتها على أساس نقل الفكر الإنساني كله من مجال الأديان والخلق ، وطريق الإيمان بالله والتوحيد والإيمان بالبعث والجزاء إلى الإلحاد والإباحية والوثنية والمادية وهي محاولة بدأت منذ وقت بعيد ، منذ اليوم الذي وصف بأنه عصر التنوير بعد عصر النهضة في أوروبا وهو العصر الذي بدأت تفرض فيه الماسونية فلسفتها ثم تنقلها على أفلام طائفة من الفلاسفة والأدباء الذين كونتهم المحافل الماسونية وكان أبرزهم رجال الموسوعة كمقدمة للثورة الفرنسية

(٢) التلمودية والدعوات الهدامة

لما كان هدف الأيدولوجية التلمودية [إقامة امبراطورية الرب العالمية] فقد رسم اليهود

أهدافهم بدقة حيث أجروا مخططاً كاملاً للسيطرة على العالم أو الانتقام من الأُميين وجعلوا من الدعوات الهدامة سبيلهم إلى تحقيق غايتهم . وكان ذلك طبيعياً فإنه ما دام المثل الأعلى التلمودى هو الربا والسيطرة على الإنسان فلا بد من تدمير الأديان والأخلاق لأنها هى قوى المعارضة الحقيقية للشر والظلم والسيطرة والحقد والجشع ومن هنا كان تركيز التلمودية اليهودية على تفكيك الأخلاق وتسهيل سبل الشهوات وتزيين ذلك للناس بفلسفة مبررة وبوسائل متجددة فى العرض والصياغة ومن هنا فقد سيطر اليهود على الصحافة والسينما والجامعات فأصبحت فى أيديهم كل وسائل التأثير العقلى والإقناع النفسى عن طريق الكلمة المكتوبة والكلمة المسموعة والصورة المرئية فأشطره الصور المتحركة فى أيدي اليهود والرقص ومسابقات الجمال والمواد والأزياء وكتب الجنس والصور العارية وقد نشروا فى العالم كله مجلات متخصصة للدعوة إلى عبادة الجسد ونشر المجون والفسق ونشر القصص المثيرة عن الأسرار والفضائح والجرائم تحت ستار التحقيق الجنائى . كل هذا يهدف إلى هدم الدين والحضارة والأخلاق . وقد وصف مكسيم جوركى أمة اليهود بأنها سيف ذهبي مشهر على رأس أوروبا (مهد المسيحية) . ومن هذا فإن اليهود حملوا كل الفلسفات الهدامة القديمة إلى العصر الحديث وابتعثوها وفق فهم محدد لهدم مقومات الأمم الدينية والأخلاقية وقد حملوا هذه النظريات ونقيضها وعمل بعضهم مع الأصل والآخر من النقيض لتوسيع رقعة المساواة ودفع الأقطار إلى الصراع حتى يحى الوطيس ، وهم يلتقطون كل شئ ويتمشون مع كل الاتجاهات لترويج كل النزعات مادية وروحية ثم احتواءها بعد ذلك . ويرى المؤرخون أن التلمودية الصهيونية مهدت لإستيعاب رأى العام المسيحى ابتداء من ظهور الكتلثة وأنها استخدمت أسلحتها الدعائية فى أعقاب حركة الإصلاح الدينى ووقفت وراء النظريات العلمية لتحويلها من هدفها الطبيعى إلى الغايات التلمودية وأبرز مظاهر هذه الاتجاه ما أريد بنظرية « دارون » التى كانت قاصرة على العلوم البيولوجية لجعلها نظرية اجتماعية عامة تطبق على المجتمعات وتحمل لواء الدعوة إلى التطور المطلق وإنكار الثوابت ثم كانوا من وراء نظرية التحليل النفسى فأختاروا فرويد لأنه علل الاستجابة البشرية بالجنس وحطموا غيره من العلماء الذين جروا فى طريق العلم الصحيح ، وذلك لإشاعة مفهوم الجنس وفرضه على الآداب والفنون والمجتمعات وخلق هذه الأجواء من الإباحية والفساد وفرويد منهم وهم الذين قدموا دور كايم وروجو لنظريته القائلة بأن نظام الأسرة مصطنع وإن الدين نبت من الأرض .

وكانت التلمودية والصهيونية قد أعدت ماركس وهو ينادى بأن لقمة العيش هي مصدر حركة التاريخ وإلغاء الحكومة في المجتمع العالمي ووراء نيته وهو ينادى بسياسة القوة واللارحمة وقد أشارت برتوكولات صهيون إلى هذا صراحة فقالت « لاحظوا أن نجاح دارون وماركس ونيشة نحن الذين رتبناه من قبل ». ويلاحظ أن هدف هذه السيطرة على الفكر والثقافة والفن هو هدم الأديان وقد كان للتلمودية أثرها في المدرسة الاجتماعية (دور كايم ولبني بربل) والشيوعية (ماركس) والوجودية (سارتر) ومذهب التطور (سبنسر وكانت) والسريالية وعلم الأديان والمقارن ، وعلم الاقتصاد السياسي ونشر التوراة والبهاثة والفرويدية والأزياء والقوميات وفلسفة الأجتناس ، ودعوة العالمية متوسلين بهذا كله إلى نشر الإلحاد ونسف الإيمان من النفوس وقد وجدوا في كل بيئة من يروج لأرائهم الهدامة بين الناس تحت اسم العلم والفن ، على ما في هذه الآراء من زيف وما وراء هذه النظريات من سوء النية وكانت دعوة الفكر الحر مصدراً هاماً لتشكيك الناس في الديانات والحط من كرامة رجال الأديان . ويقول الباحثون أن التلمودية الصهيونية قد فجرت ثلاثة قنابل في العصر الحديث . الأولى : أطلقها كارل ماركس أبو الشيوعية حين أعلن للناس أنهم حقراء جائعون ضائعون مأجورون وكان البترول الذي يعتمد عليه ماركس - كما يقول الكتاب - هو الحق والحسد والكسل . والثانية : أطلقها فرويد : الذي أعلن أن في أعماق الناس وحش كاسر هو الغريزة الجنسية والذي قال أنه ليس في النفس إلا الجنس والقبيلة الثالثة : هي القبيلة الذرية التي فجرها أنشتين . وبذلك انفجرت ثلاث قنابل : معركة الخبز ، ومعركة الجنس ، وقنبلة الخوف . يقول الأستاذ محمد خليفة التونسي مترجم البروتوكولات : حيثما ظهر مبدأ أو دين أو مذهب علمي أو فلسفي يهب اليهود ليكونوا من وراءه يتصرفوا معه بما ينفعهم .

(٢) وقد أفلحت الدعاية اليهودية في طبع كثير من العقائد والنحل بما يحقق مصلحتها ففترى روح الولاء والتلهيل لبني إسرائيل ومقدماتهم تيمم على بعض المقدسات المسيحية وما ظهر مذهب فكان يؤدي إلى أن يسهم بالأذى من قريب أو بعيد إلا قبلوه أو أولوه بما يفلسه هو وينفعهم هم وما كان مؤدياً إلى خير لهم روجوه في كل أنحاء العالم ، وكذلك لكل قلم ما دامت آثاره عن قصد أو غير قصد - تساعد على إفساد الناس ورفع شأن اليهود كما فعلوا مع نيشة الذي هاجم المسيحية وأخلاقها وقسم الأخلاق قسمين : أخلاق سادة

كالعنف والاستخفاف بالمبادئ وأخلاق عبید كالرحمة والبر مما يتفق وروح اليهودية وتاريخها ويمهد لها في الأذهان ويجعلها سابقة عن نيتشة ، وكذلك روجو لمذهب التطور وأولوه. تأويلات ما خطرت لدارون واستخدموه في القضاء على الأديان والقوميات والفنون باعتبار أن كل شيء بدأ ناقصاً شائها بشير السخرية والاحتقار ثم تطور فلا قداسة إذن لدين ولا وطنية ولا قانون ولا فن ولا لمقدس من المقدسات وهم يعبثون بعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم مقارنة الأديان ويسخرونها لمصلحتهم ويقصد إفساد الآداب والنظم والثقافات والعقول في كل أنحاء العالم ويدسون فيها نظريات مبهرجة لا يفتن إلى زيفها إلا الموهوبون ذوو العقول المستقلة وهم من وراء كل زى من أزياء الفكر والعقيدة والملبس والسلوك ما دام ينفعهم ولا سيما إذا كان يفسد غيرهم إلى جانب ذلك . ويقول : أنه لن تفهم المدارس الحديثة في أوروبا ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لا شك فيها وهي أن أصبغاً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترى إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان . ولعل أضخم ما أثاره اليهود في العالم كله دعوى الجنس والقوميات وإحياء العروق والدماء وكانوا من وراء ظهور نظرية العنصرية في أواخر القرن التاسع عشر وكانوا يقصدون بذلك العمل على إحياء جنسهم وعرقهم وقوميتهم ، من ناحية وتلميز الروابط القائمة على الدين وإحلال صراع القوميات محلها وإثارة العصبية والخلاف بين الأجناس مما أدى إلى كثير من المعارك والحروب وباسم الأجناس والقوميات قامت أضخم حربين في تاريخ الجنس البشري هي الحرب العالمية الأولى والثانية وقد استغلت هذه الدعوة إحياء التراث الوثني القديم قبل الإسلام . وكذلك كانت محاولات الماركسية والإشتراكية تستهدف إيقاع الصراع بين أصحاب رؤوس الأموال والعاملين ودفع العمل إلى الثورة على أصحاب رؤوس الأموال وانتزاع مصادر الإنتاج منهم . وكانت الدعوة إلى العلمانية تستهدف صرف المجتمعات إلى اللادينية باسم الحرية والدعوة إلى بعث الوثنيات وأفكار الغنوصية والإباحية وعمدت مختلف النظريات المادية التي قلمها اليهود: ماركس . وفرويد ، دروكايم ، سارتر على أن الإنسان ابن المصادفة وأنه لا غاية في وجوده ولا هدف لذلك فلا معنى للحياة البشرية ولا المثل العليا الإنسانية وأن الحياة تخبط ليس فيها إلا المتاع والجنس وقد زاد من تعميق هذا الرأي ما أثاروه بعد الحروب المتوالية من تخويف الناس

بالموت والقنابل الذرية ليدفعوهم دفعا إلى الفساد والفاحشة ثم يجمع اليهود ملايينهم الكثيرة. وقد صدق الدكتور أوسكار لينى حين قال : نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ومحركى الفتن فيه وجلاديه . ولا ريب فى أن التلمودية قد اتخذت من إغراء الناس بالشهوات وإشاعة الرزذيلة والانتحال وسيلتها لاستنزاف قوى « الآمين » استنزافاً يستهدف تدمير القيم فى الأمم والدول ، مع إبقاء الجماعة اليهودية متماسكة بعيدة عن التأثير بالتعاليم ، وقد استطاعت التلمودية بعد نضال طويل مع الفكر الغربى أن تقرر فى داخله عدداً من المفاهيم منها أن هتلر ذلك الرجل الشرير الذى قتل ستة ملايين من اليهود المساكين ، أما ضحايا الإنجليز والفرنسيين والروس والألمان والطيالان من مئات الملايين فليس لهم حساب ، ولم يكن اليهود قد فقدوا إلا أنفسهم معدودة ، ولكنهم هولوا فى هذا الأمر ليتخذوا منه ذريعة إلى تحقيق غايات بعيدة فقد استطاع اليهود أن يفرضوا على ألمانيا عقدة الذنب وملايين من الرويلات ، وأن يتبنوا هم ما أدعوه من قبل قتل فى معاملاتهم مع العرب فى فلسطين ، وأن ينقلوا ويهجروا مئات الألوف إلى فلسطين تحت ستار وهمى هو الاضطهاد النازى ويقول كتاب الغرب : أن اليهود استطاعوا تحويل أنظار العالم أجمع عن مأساة من أفظع ماسيه فى حرب من أقسى حروبه ، وتركيزها على صراع اليهود مع هتلر رغم كل ما أحاط بتحقيقه هذا الصراع بين الصهيونية والنازية وغلف أبعاده من خفايا وأسرار لم تفسر غوامضها المريبة حتى الآن ، بل وإصابة شعوب أوربا قاطبة بعقدة ذنب لا تمنحى تجاههم والتوصل إلى ضرب لم يسبق له مثيل فى التاريخ كله من « الإرهاب الأخلاقى » باستخدام السلاح البتار لتهمة معاداة السامية التى باتت مردافة فى الغرب لتهمة الخيانة العظمى وأكل لحوم البشر وتلك هى قبضة الصهيونية الخائفة على ضمائر كتاب الغرب ومثقفيه وعلى جيوب الناشرين مستهلفين استعبد عقول الأوربيون وضمائرهم وطمس بصائرهم مستغلين الحصيلة الأوربية التى وصفها دستوفسكى بأنها عبودية أخلاقية للمشاعر النبيلة . ولقد صدق الباحث الغربى الذى قال : إن الفكر الصهيونى فكر مراوغ براق يحاول أن يضع أكاذيبه وأضاليه داخل مناهج علمية ولعل الذنب الأكبر الذى وضع هتلر موضع الحملات الشديدة المستمرة هو قوله فى كتاب كفاحي : « ولكن قلداتهم المادية ليست شيئاً مذكوراً بالنسبة إلى قذارة نفوسهم فقد اكتشفت مع الأيام إن ما من فعل يغاير الأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا لليهود يد فيها واستطعت أن أقيس مدى تأثير الشعب المختار فى تسميم أفكار الشعب وتحذيره وشل جيوبته يتبعى نشاطه فى

الصحف وفي ميادين الفنون والآداب والتمثيل فقد أمتد الأخطبوط اليهودي إلى هذه الميادين جميعاً وفرض سيطرته عليها ووسمها بطابعه فمعظم المؤلفين يهود مثلهم الناشرون والفنانون والفنانون وهذا التغلغل في كل ميدان من ميادين النشاط التوجيهي يشكل طاعوناً خلقياً أدهى من الطاعون الأسود وأشد فتكاً ذلّف أن تسعة أعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التي تروج للأباحية المطلقة وللماركسية من صنع اليهود ، ولقد طالعت بحقائق لم تنخطر لي على بال : منها الدور الذي يمثله الشعب المختار في ترويج سوق الدعارة وفي الاتجار بالرقيق الأبيض ، وهذا الدور الذي يؤديه بمهارة « هذا الفهم الذي كشف عنه هتلر في ألمانيا شبيه بالفهم الذي كشف عنه زعيم أمريكا وكلاهما يستمد مصدره من معرفة عميقة بالتلمذة الصهيونية وأسلوبها في الهدم .

(٣) ماذا تريد التلمودية الصهيونية :

إن ما أوردته بروتوكولات صهيون يكشف عن هذه الخطط الهدامة تماماً : أولاً : القضاء على الإيمان بالله . ثانياً : إحتكار العمال وإفساد الرأى العام . ثالثاً : استنزاف جميع الثروات . رابعاً : إثارة الصراع بين الأمم . خامساً : خلق أزمة اقتصادية عالمية بكافة الطرق بواسطة الذهب الذي يملكه اليهود . سادساً : فصل الدين عن الدولة . سابعاً : تبصير قاعدة الربا في الفكر والمجتمع . ثامناً : تحطيم المعتقدات الإسلامية والمسيحية وسحق القيم المعنوية : تاسعاً : إثارة الشكوك ضد كل المسلمات والعقائد . عاشراً : الدعوة إلى إشاعة الأباحية والرذيلة . حادى عشر : الحماس لكل جديد وتهديم القديم والحملة عليه . ثانى عشر : القول بأن التطور يحول دون بقاء أى شئ ثابت . ثالث عشر : القول بتغيير الأخلاق بتغيير البيئات والعصور رابع عشر : إطلاق الحريات من جميع القيود . خامس عشر : القول بأنه ليست هناك قيماً ثابتة . سادس عشر : الدعوة إلى صراع الأجيال وإيقاع الخلافات بين الأبناء والآباء . سابع عشر : إشاعة كلمات التعصب والرجعية والجمود . ثامن عشر : معارضة المعنويات والروحيات والغيبيات . تاسع عشر : إدخال الشبهات والإسرائيليات إلى العقائد والتاريخ . عشرون : استغلال جميع النهضة والحركات الوطنية والقومية واحتوائها . واحد وعشرون : القول بلا أخلاقية الحياة والعالم . إن محاولات الذعوات الهدامة عن طريق مناهج لها بريق العلوم وأسمائها وهى تقوم في أصولها ومقوماتها على إدخال

السموم التلمودية والزيوف والشبهات إلى الفكر البشرى كله : ١- هدم التوحيد عن طريق علم مقارنة الأديان : ٢- هدم الأخلاق والأسرة عن طريق علم الاجتماع الذي يراد به تزيف حقيقة التاريخ بالقول بأن البشرية كانت وثنية ثم وجدت التفسير المادى للتاريخ عن طريق النظرية الماركسية العنصرية . ٣- عن طريق علم الأجناس الذي يراد به تزيف حقيقة وحدة الجنس البشرى والقول بأن هناك أجناساً ممتازة بحكم الوراثة كاليهود مثلاً . وهكذا نجد معارضة كاملة للفطرة الإنسانية يمثلها الفكر التلمودى الصهيونى : * فرويدس عارض الفطرة الإنسانية فى نظريته عن الجنس والنفس . * دور كايم عارض مفهوم الفطرة الإنسانية فى نظريته عن الجماعة والدين . * ماركس عارض مفهوم الفطرة الإنسانية فى نظريته عن التاريخ والمادة . * لينى بريل عارض مفهوم الفطرة الإنسانية فى نظريته عن الأخلاق . * أميل لدوفيج عارض الفطرة الإنسانية فى مفهومه عن العظماء .

(٣) اليهود وراء العلوم والفنون

حرصت التلمودية إلى احتواء العلوم والفنون والآداب وذلك باحتواء مفاهيم الانحراف فيها والسيطرة عليها وإبراز مجموعة من صهيونى الفكر سواء أكانوا يهوداً أو مسيحيين وفرضوا آراهم ومفاهيم على الجامعات وأذاعوا بها فى الصحف وهللوا لها وركروا عليها وأعطوها حجماً أكبر من حجمها العلمى والحقيقى من أجل تطعيم الفكر البشرى بمفاهيم التلمود وسمومه وقد احتضنت عشرات من المفكرين فى مقدمتهم اليهود : برجسون وشبنجلر وانشتين ، واسبونزا وكارل ماركس ، ودور كايم ، وماكس نوردر وهويتمان ، توماس مان ، أندرية مروا ، وماركوز ووردينسون ولودفيج وكانت وجهة هؤلاء الكتاب : الهجوم على الحضارة الغربية المسيحية والنيل منها وتدمير مختلف القيم المسيحية والإنسانية ، ولقد أعد كثير من هؤلاء داخل المحافل الماسونية وكانت فى مقدمة الطبقة الأولى : فولتير ، وروسو وديندرو وهؤلاء هم الذين مهدوا للثورة الفرنسية والظاهرة التى يشترك فيها هؤلاء جميعاً هى عداوتهم للدين والأخلاق . وهم يرون أن فولتير هو أول من هاجم « المسيحية الغربية » ووصفها بأنها مخالفة للإنسانية وأنها سبب الاضطهاد وسفك الدماء وأنها مخالفة للعقل لأن فيها أسراراً لا يستطيع العقل أن يفهمها وعنده أن الديانات ديمقراطية فهى من خصائص الطبقات المنحطة ولا تتصل بالطبقات العليا . ويرون أن روسو هو أبو الثورة الفرنسية بكتابة العقد الاجتماعى وأنه هو

الذى دعا إلى حقوق الإنسان التى كانت الثورة الفرنسية مستمدة بالحرف مما كتبه ويقول طه حسين أن روسو هو الذى هدم سلطان الكنيسة فى فرنسا . أما ماكس نوردو فقد هاجم الحضارة الغربية باعتبارها حضارة مسيحية فى كتابه (الأكاذيب المقررة) الذى وزع على أوسع نطاق فى كل مكان وكتب عنه فى البلاد العربية المازنى والعقاد واسماعيل مظهر . وقد سفه نوردو النظم الاجتماعية وأسس الإصلاحات العمرانية السائدة فى عصره وهاجم النساء (امبراطورية هابسبورج) التى كانت تضم بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا ورومانيا وإيطاليا ، وقد تولى قيادة الحركة الصهيونية بعد وفاة هرتزل ، وقد أخذت القصة اليهودية حيزاً واسعاً من مشاغله الأخيرة وبعد فى نظر المؤرخين من أقوى دعاة الصهيونية . وهنرى برجسون واحد من أعلام اليهود فى الفكر الحديث وهو الذى أعلى شأن العنصر الجرماني على سواة من العناصر الأخرى وله كتاب (ساعة التصميم) . يقول بتييمان فى كتابه اليهود المعاصرون : أن (هينه) أفسد أخلاق باريس و (نوردو) حلل المبادئ والنظم التى تدعم المدينة وأظهر قساده وتعفننها و (شبنجلر) : أنذرنا بضرب زوال الحضارة (وفرويد) خلق الإباحية الحديثة على نمط الوثنية الأغريقية ومجد الغريزة .

(٢) ويقول أحد المؤرخين : أن (باروخ اسبنوزا) فى القرن السادس عشر ما جاء به قومه اليهود من الأندلس من مؤلفات ابن ميمون ، ابن عزرا ، موسى القرطبي ولما بدأ اسبنوزا عهد نشاط الفلسفة السامية جاء من الفيلسوفين اليهوديين كارل ماركس عام ١٨١٨ وماكس نوردو عام ١٨٤٩ فوضعا ختاماً لتلك المرحلة النظرية ، وقامت الشيوعية من ثمار ماركس وقامت النازية من آثار تيتشه ومن قرأ كتاب (هكذا قال زرادشت) لتيتشه يستطيع أن يميز مجموعة من الآراء المثالية التى تظاهرت من المحمرة الإسرائيلية فى الشرق والغرب وتديننت بها بعض الشعوب الآرية ، وكان كارل ماركس ونوردو عضوين عاملين فى الهيئة الصهيونية ومؤتمراتها لحساب قوميتهما الخاصة ، كان ماركس عضواً بالجمعية اليهودية بباريس أما نوردو صاحب كتاب الإنحلال فكان فى بودابست من أكبر أعوان (هرتزل) وبالنسبة للحضارة وأثر بعض اليهود فيها فإنه يجلس على قمة بعض النظريات وفرويد واضع فكرة التحاليل النفسية وصاحب نظرية العقل الباطن ثم يذكر برجسون اليهودى الفرنسى أبو الفلسفة الحديثة وصاحب نظرية مقاومة المادية فى أوروبا . وبردناشو تلميذ صموئيل بيكر الفيلسوف اليهودى الإنجليز الذى نادى بإعطاء أفراد الأسرة من الأم والفتيات والعلماء حق التصرف

على هواهم رغم إرادة الأب . ومن كتاب اليهود صمويل بيكيت داعية الصهيونية وهو يهودى من إيرلندا عاش في باريس مع الصعاليك ودعا إلى مسرح اللامعقول وهو يحارب العادات والمفاهيم والقيم ويعمل على تحطيمها . ويقول (إلس) إن الكتاب الذين يجرى في عروقهم دم يهودى كانوا في طليعة الداعين إلى المذاهب المنافية للدين والآداب والمجتمع ، لقد تميز أكثر من واحد منهم بالأسلوب المنحط ، وفي الثورة الفرنسية لعب اليهود دوراً بارزاً بالنظر لقلّة عددهم وكانوا ممن نظموا نهب الكنائس وفي القرن الـ ١٩ ساهموا في نشر الثورة في أوروبا وهم الذين قضوا على الطابع المسيحى ، يقول دستوفسكى عام ١٨٨٠ : فاليهودى ومصرفه هما الآن سيدا الجميع وهما اللذان يهددان أوروبا والتعليم والتمدن وبالأخص الاشتراكية إذ أن اليهودى يعتقد أنه بالاشتراكية يقتلع أصول المسيحية ويلاشى تمدنها وهم عاملون على بث الدعاية الخبيثة للمبادئ المماثلة للفرائز باسم المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية بحيث تسود روح هذه المبادئ على روح الإنجيل مع كتمان هذه السياسة وعدم إذاعة خطبها . ويشير كثير من الباحثين أن إلى الصهيونية العلمية تستعين بالإساءة الكبرى في العلوم والآداب والفنون وأنهم يذكرون ثلاثة : اينشتاين : اليهودى صاحب نظرية النسبية أوينهايمر : اليهودى أبو القنبلة الذرية . وايزمان ، اليهودى أبو القنبلة مخترع مادة الأسيتون . وهم يستفيدون من ضم هذه الأسماء اللامعة إلى الصهيونية : يرتراند رسل ، فرنسو مورياك ، ألبرت شفايتزر . وهم يغيرون أسمائهم ومعتقداتهم حسباً تشاء الظروف وحتى ينسئ الناس صفتهم الأولى : ذرائبى يصير لوردبيكو نسفيلد . بزواتشين يصبح تروتسكى . بلومفيلدين يصبح بلوم . جولد بيزج يصبح جولدنج وفي مجال الفن . شارلى شابلى يهودى هاجر من غالسيا إلى أمريكا ، وقد عرف بإضحاك الناس وخداعهم والسخرية بهم ويصفه القاعون بأمر الإعلان عنه بأنه الفيلسوف الذى يملأ العالم ضحكاً وجميع أفلامه تزعزع العقائد وتصرف الناس عن العواطف والإحسان والرحمة وتصف إنغماسهم في الشهوات والماديات .

(٤) السموم في الآداب والفنون

كانت التلمودية الصهيونية وراء الأدب والفنون حيث تخصصت في تفرغها من الأصالة والقيم وكانت صناعتهم الغالبة هى القصة والرواية وما يتصل بها في المسرح والسينما . حيث أقاموا قاعدة الأدب الخالى من كل دين المجرّد عن اعتقاده وجود ديان يقضى بين البشر

ولما مبناه على اعتبار الإنسان لذاته والعمل على مقتضى المنفعة والمطعم الفردى وقد عمد كتاب الصهيونية إلى توفير أسباب الفساد فى الروايات المكشوفة والصور العارية والأغاني البدئية . وكان لهم تأثيرهم الواضح فى الموسيقى - يقول هنرى فورد فى كتابه (اليهودى العالمى) : الموسيقى الشعبية الرخيصة هى احتكار اليهود وليست موسيقى الجاز إلا احتكاراً يهودياً . وليست هذه الحركات المثيرة بما فيها من قذارة والتي تتسق مع النغمات التى تبعث الغرائز إلا من عمل اليهود ، ولعل من الغريب أنك حيث التفت للتحرى عن الخطوط المؤذية للنفوس التى تسرى فى المجتمع تجد جماعة من اليهود خلفها ، ف وراء الفساد فى لعبة الكرة جماعة من اليهود و وراء الاستغلال المالى جماعة من اليهود و وراء الدعاية للمشروبات الروحية جماعة من اليهود والسيطرة على السياسات القومية الحزبية فى أيدى جماعة من اليهود وثمانون فى المائة من مستغلى الحروب هم من اليهود ومنظموا المعارضة الفعالة للقواعد والعادات المسيحية هم من اليهود . وفى هذا التعفن المسمى بالموسيقى الشعبية الذى يجمع بين تفاهة التفكير وبين الفجور الجنسى نرى أن اليد العاملة هى اليد اليهودية وهناك إجماع أن صناعة السينما تكاد تكون مشروعاً يهودياً بحتاً ، ومن الوسائل التى تقف خلفها التلمودية الصهيونية نجوم السينما والمسرح وفى هذا المجال تستطيع أن تقدم للعالم أفلاماً وروايات تحمل سموماً وأفكاراً تلمودية مضللة يأخذها المشاهدون وهم فى نشوة السرور والفرح دون معارضة « تقول البروتوكولات . سنلهى الجماهير بأنواع شتى من الملاهى والألعاب لملء الفراغ وسندعو الناس للدخول فى مباريات شتى فى كل أنواع المشروعات كالقن والرياضة وما إليها . وكذلك عمد كتاب اليهود إلى التأليف فى التنويم المغناطيسى والسحر وتحضير الأرواح والتنجم وكذلك رؤية الأشباح وظروف وجودها وجهودها ، يقول الأستاذ سعد الخادم « شجعت هذه الأساليب من الخرافة والأوهام على تكوين جمعيات لا حصر لها أضاع فيها الشباب والشيوخ أعمارهم فى الدجل حيث علقت آمالهم على كشف وهمية مزعومة . ويقول : لقد أوهموا الأدباء والشعراء بأن الانغماس فى الشهوات والانزواء فى شتى الانحرافات يهين نوعاً من الفكر أو يعلى البصيرة عن عالم تندمج فيه الحقيقة بالخرافة ، ويتضح فيه رغم تناقضه معان مجازية مثآلفة وقد انساق الشباب المهوبون فى أنحاء العالم وراء الفسق باحثين عن مشيرات لشهواتهم وأحاسيسهم بغية كشف عالم المتناقضات ، ولقد أضاع فى مجال العريضة أيضاً من لا حصر لهم من شبان باحثين عن شهوات رخيصة قد تثير فى آدبهم أو شعرهم تلك الأساليب

الاستحدث في التعبير التي يتميز بطابع الغرابة ويقول : قامت في مجال الفن التشيكي جماعات تنادى بالفوضى والحياد بعيداً عن كافة المفاهيم القديمة للفن مع تجنب التعليم والمراة والحذق في الأداء بل السعى وراء تعبير طليق مجرد من سائر هذه العوامل فيعبر الفنان عن انفعالاته الطارئة بالسبل التي يراها مهما كانت مثيرة للناس غريبة عنهم مفاجئة لمداركهم وقد جرت وراء هذا الركب جموع لا حصر لها من الشبان أضاعوا أعمارهم في الهذيان محاولين استنباط مثيرات تذهل على حد زعمهم تلك العقليات الجامدة التي حادت عن تقبل أي تغيير في مقاييس الفن . وجاءت النزعة السريالية وفقاً لهذه الخطة التي - وإن أحرزت السبق الفني المطلوب على يد جماعة من الصهيونيين - انحرفت بعد قليل عن أهدافهم . ويؤكد الباحثون أن اليهودية لم يكن لها فن خالص أو أدب خالص إلا ما نقلوه من العرب ، يقول الدكتور أحمد موسى أن اليهود تأثروا بالعرب في مصر وشمال أفريقيا وأسبانيا وغيرها ونقلوا عنهم وكان الفضل فيما توصلوا إليه راجعاً إلى علوم الإغريق التي اشتغل العرب بترجمتها وقال ابن ميمون في كتابه (مرشد الحائرين) أن ما اقتبسه اليهود من العلم والفلسفة كبصيص من النور وصل إليهم عن طريق العرب وقال العالم اليهودي مونك في كتابه (مزيج من الفلسفة العربية واليهودية) أنه يزيد فضل العرب على اليهود ويقرر بأنه لم يكن لبني إسرائيل فيلسوف سوى ابن ميمون . ونقول أن ابن ميمون كتب باللغة العربية وعاش الفلسفة الإسلامية

(٥) إعلاء الجنس

وفي علم النفس كانت التلمودية الصهيونية من وراء مفهوم فرويد الذي أرجع كل الميول والاداب والدين والخلق والفن والصرفية والأسرية إلى الغريزة الجنسية كي يبطل فداستها ويسلب الإنسان الإيمان بسموها ما دامت راجعة إلى أدنى ما يرى في نفسه من غرائز وهذا تنحط في نظرة صلاته ومجتمعه والكون وما وراءه . ومن يقرأ فرويد يدرك تماماً أن ينفذ مخططاً يهودياً جباراً أراد أن يضم الجنس البشري بأنه جنس متحلل ينطوى على أسوأ التوايا وأخس الرغبات وقد حمل مذهبه الناس إلى التشكك في كل فضيلة وكل عاطفة رقيقة ولا ريب أن الحضارة بهذا قد وصلت إلى مرحلة الحيرة وعندما ينهك الفكر يكون الوقت قد أزف لكي يتقدم اليهود للاستيلاء على العالم . وقد أثبت كثير من الباحثين أن جذور الفكر الفرويدي ينبعث أصلاً من التراث اليهودي الصهيوني والمنتج إلى تقويض الأسس التي تقوم

عليها حضارة الغرب والذي يعمل على تقديم هذه المفاهيم التي سيطرت على الآب والفن على نحو يغري الناس بالتحلل ويبسر لهم سبيله . وإذا كان فرويد قد بدأ بالتحليل النفسي وأدعى أن الجنس هو مصدر كل تصرفات الإنسان : فإنه لم يلبث أن قدم نظرية متكاملة عن الحياة والتاريخ والحضارة هي تفسير جنسى للتاريخ كله . قامت على أساس المفهوم المادى واستهدفت هدم الدين والأخلاق من حيث رأيه أن الإنسان حيوان جنسى وأنه لا أصالة في الحياة البشرية وإنما هي إنعكاس لشيء مادى وحيوانى وقد هاجم فرويد : الدين والتدين عموماً في كتابه (مستقبل وهم) ويقول مؤلف كتاب (اليهودى طبقاً للتلمود) أن فرويد كان متشبعاً بالروح الصهيونية وقد إضلع بمهمة القضاء على المسيحية (موضوعياً وعملياً) كما اضطلعت اليهودية الصهيونية منذ ألى سنة بمهمة القضاء عليها أيدولوجياً وعملياً وينشر المؤلف أن فرويد انضم وهو في التاسعة والثلاثين من عمره إلى جمعية بناء برث اليهودية وواظب على حضور إجتماعاتها على مدى عدة سنين وألقى فيها أولى محاضراته عن تفسير الأحلام وهي جمعية في أهدافها المعلنة أنها جمعية خيرية لا تهتم بالمناقشات الدينية والسياسية وقد احتوت الحركة الصهيونية هذه الجمعية فيما بعد ويقول المؤلف : كان فرويد يعرف (هرتزل) أول رئيس للحركة الصهيونية معرفة شخصية وبوليه الاحترام وقد أرسل إليه أحد كتبه مع عبارة إهداء شخصية إليه ويرجع المؤلف أنه كتاب تفسير الأحلام الذى ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٠٠ وقد كشف الدكتور صبرى جرجس في كتابه (التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى) عن أن مفاهيم التحليل النفسى كانت أداة لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية وقال أن التراث الصهيونى يتألف من ثلاث مصادر ١- التوراة : وهي وثيقة سياسية عنصرية استخدمت العقيدة الدينية لتحقيق مخططاتها السياسى العنصرى . ٢- التلمود : وهو تفسير المؤامرة في إطار الفكرة السياسية العنصرية التى بدأتها . ٣- نوع جديد من التراث لم يدون ولم ينشر لا بين اليهود أنفسهم ولا على الناس ، وإنما نقل خلفاً عن سلفاً في تلقين شخصى محوط بطابع السرية ومن هنا نعلم أن الوجود اليهودى كله فكرياً ووجدانياً واجتماعياً وحضارياً يرتبط من جميع الوجود بمجموعة التعاليم والتقاليد والتفسيرات والتوجهات والمحرمات التى يتكون منها ما يعرف باسم « التراث اليهودى الصهيونى » الملعن عنه والخفى . وحيث أن الوجود اليهودى يستمد مباشرة من التراث الدينى اليهودى الصهيونى فإن تلك الموجودات (بما فيها فرويد بطبيعة الحال) إنما تسلك طريقها وفقاً للتراث الدينى اليهودى الصهيونى .

ولما كان التحليل النفسى نتاجاً لأحد هذه (الموجودات اليهودية) الذى هو فرويد ، كان من المحتم أن يكون التحليل النفسى فكراً يهودياً صهيونياً . ويقول الدكتور جرجس : هل كان من الميسور لفرويد ، وهو يخطط للإنسان شخصية ويرسم له طريق حياته أن يتحرر من يهوديته ومن أثر التراث اليهودى والصهيونى الذى كان سائداً على نحو قوى فى البيئة التى نشأ وعاش فيها ، أنه ما كان مستطيعاً طبقاً لنظرية الوجود اليهودى ويقول الدكتور صبرى جرجس : إن اليهودية استطاعت إيجاد نقط التقاء أيدلوجية بينها وبين القوة الدينية النامية فى عالم الغرب : قوة المسيحية البروتستانية حتى ليتمكن القول أنها مضت فى احتوائها الى حد غير قليل ويتضح ذلك من اقتناع البروتستانية بأن التوراة هى المنبع الروحى للمسيحية وأن نقطة الالتقاء الأساسية هى اضطهاد الكاثوليكية . ويقول : احتضنت المسيحية البروتستانية اليهودية بجامع المشاركة فى الاضطهاد الكاثوليكي ومن هنا كانت بريطانيا فى عهد أوليفر كروميل أول بلد أتاح لليهودية فرصة السيطرة على أقداره . . ويقول : أن التوراة لا تزيد عن كونها مجموعة من الخرافات والقصص التى صيغت فى نسق أسطورى حافل بالإثارة مجاف للعقل والمنطق غاص بالتناقضات مشبع بالسخرى مفعم بشاعر العدوان والتعطش إلى الدماء وهى تعكس تفسيراً بشرياً محضاً من اللون الذى كان سائداً فى الشرق الأدنى القديم فى ذلك الحين ومرادف لأمثاله من الأساطير والطقوس والاتجاهات الفكرية والعقائدية المميزة لحضارات ذلك العصر ، كل ذلك فى إطار سمات نفسية تغذيها نزعات الجشع والغرور والاستعلاء وبحكمها دافع العرق والعنصرية والعدوان الذى لا يهدأ حتى مع الدم المراق .

(٦) هدم المجتمع

فإذا ذهبنا ندرس الأيدلوجية اليهودية التلمودية فى محال المجتمع وجدنا أخطر مقرراتها . فالدعوة إلى هدم الأسرة والأخلاق والدين دعوة تلمودية صهيونية والدعوة إلى الإبادة من صميم ماخططت له بروتوكولات حكماء صهيون لفرض السيطرة على العالم ، باستخدام كل الوسائل وإشاعة الأدب المريض القذر : يقول البرتوكول ١٣ : سننشر بين الشعوب أدباً مريضاً قذراً تغنى له النفوس ويساعد على هدم الأسرة وتدمير جميع المقومات الأخلاقية للمجتمعات المعادية لنا وسنستمر فى الترويج لهذا الأدب وتشجيعه حتى بعد فترة قصيرة من الاعتراف بحكمتنا . ومن هذا الأدب المريض القذر تنطلق الدعوة إلى الإبادة المطلقة لهدم الأسرة وتدمير الأخلاق

في المجتمع . ولا ريب أن هدم الأسرة وتدمير أخلاق المجتمع هما هدم لمناعة الأمة للمقاومة وقدرة الدولة على رد التحدى . أنهم يجدون في هذا التهديم الاجتماعى قوة فاعلة أكثر من التهديم الأيدلوجى الذى يرجون له فى الحركات الفلسفية والاقتصادية والعلمية التى يطلقونها بتوقيت معين . أن اصبعا من الأصابع اليهودية وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الإنسان فى جميع الأزمان . خلق فرويد الإباحية الحديثة على نمط الوثنية الأغريق ومجد الغريزة بحيث أطلق عنان الشهوات البشرية ورخص للرجل والمرأة أن يفعلا بجسدهما ما شاءا ، وبرر توماس مان عشق الذكور فى قصة (الموت فى البندقية) ووصف مرضى الصدر بأنهم حيوانات متعانقة تتخذ من يأس الشفاء عنراً للتسافد فمصححات الجيل مواخير للمرضى تحت مراقبة الأطباء الذين لا يملكون منهم . وتنادى التلمودية الصهيونية بضرورة تحطيم نظام الأسرة والقضاء على الروابط العائلية وجعل الولاء مقصوراً على السلطة الحاكمة التى تملك كل شئ بما فى ذلك عقول الناس وضمائرهم ، وأن النظام الأمثل للأسرة هو النظام المفكك الذى يجعل الأسرة أفراداً متفرقين يرتابون فى بعضهم البعض وتدعو التلمودية الصهيونية إلى الزواج العقيم لاستنزاف قوة الأمة ، قال دالمار : أن الماسونية بنشرها أسباب الفساد والخلاعة قد أضرت بفرنسا أكثر من الحرب السبعينية فخرت عنداً وافرأ من الرجال ، وأن التعليم اللاديني يفسد قلوب الشباب ويعرض لأخطار الرزية فضلاً عن المضاربات والمقامرة وألعاب البورصة . ويعد أميل دور كايم من أخطر العاملين فى حقن الهدم الاجتماعى . يقول دور كايم : الأخلاق ليست قيمة ذاتية ولا ثابتة وإنما تأخذ صورتها من المجتمع الذى توجد فيه ، وأن الدين والزواج والأسرة ليست نزعات فطرية فى الإنسان وقد ركز دور كايم على نقي القداسة عن الدين والأخلاق وشكك فى قيمتها وخلاصة مذهب دور كايم أن الفرد لا قيمة له ولا معنى وأن القيم كلها للمجتمع يقول دور كايم : أن الجريمة ظاهرة سوية أما الزواج فهو ليس من الفطرة . ويرى العقاد أن دور كايم هو رسول الماركسية فى ميدان العلم الاجتماعى تكفل بنقل آراء كارل ماركس من مباحث الاقتصاد والسياسة إلى مباحث الاجتماع والأخلاق وخلاصة مذهبه أن الفرد لا قيمة له ولا معنى للحرية الفردية وأن القيم كلها للمجتمع الذى يخلق الأديان والقيم الروحية وكلها عبث لا قيمة مالم يكن فى نطاق من نظم الاجتماع .

(٧) الفلسفة المادية

يرى كثير من الباحثين أن الفلسفة كان في استطاعها أن تشق طريقها حتى تصل إلى العلم من ناحية وإلى الدين من ناحية أخرى ولكن تداخلات التلمودية اليهودية منذ اسبنوزا قد حالت دون ذلك وحولت دفة الفلسفة إلى المادية والإلحاد وأنه كان من أهم آثار إنشاء المذهب الإنساني العمل على سلخ الفلسفة عن الدين والعمل على إقامة فلسفة خصيمة للدين فقد صاحبت ظهور ما أطلق عليه الدين الطبيعي موجة التشكيك في أصول الأخلاق ومبادئ المعرفة وإذاعة الإلحاد . وإنكار ما وراء الطبيعة والتمسك بالتجربة والمحسوس . وقد تشكلت المذاهب المادية لتضرب الدين والمسيحية والمثالية التي كانت ذات ارتباط ما بالدين والمسيحية ، وترى المذاهب المادية إن الوجود الأصلي للأشياء هو المادة . وتعارض المادية مفهوم المثالية الذي يعترف بوجود العقل والروح وترى الفلسفة المادية إن العقل متولد من المادة ، والعالم في رأى الفلسفة المادية مكون من عنصر واحد هو المادة وحسب وليس في الكون عنصراً آخر غيرها . ولا تؤمن الفلسفة المادية بالدين وهي ترى أنه نظام من وضع البشر ولا تؤمن بوجود الخالق ولا الحياة الأخرى وترى أن الموت ما هو إلا تغيير يطرأ على المادة فيحولها من حالة إلى أخرى . والمادية تنكر الغائية وترى أن الكون آلة كبيرة جاءت عن طريق المصادفة وستبقى دائمة على العمل من دون هدف تسعى إليه . وليس المذهب المادى جديداً فقد كان معروفاً في العصر اليوناني ولم يزد اليهود عن أنهم جدوده ، واستغلوه في تدمير الفكر الغربي الغربي المسيحي ، والهدف الأكبر هو هدم الدين . ولذلك فإن الثلاثة اليهود الكبار كانوا يستهدفون هدم الدين يقول ماركس : الدين أفيون الشعوب . ويقول فرويد : إن الدين ناشئ عن الكبت ويقول دوركايم : إن الدين ليس فطرة . وقد استغلت التلمودية الصهيونية علم مقارنات الأديان لعرض مفهومهم الزائف ومحاولة إحتواء مفهوم التوحيد والسيطرة عليه بمفاهيم الإله القبلي والتعدد . وأخطر مفاهيم التلمودية هو إنكار البعث فليس في تعاليمهم ولا شريعتهم ذكر الروح ولا اعتراف بحياة أخرى بعد الموت ، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود وهم يؤمنون بالإله يهوه وهو إله خاص بهم وحدهم دون البشر ، وهكذا تطفئ النظرية المادية على عقيدتهم طغياناً كبيراً ولذلك فهم يحاولون أن ينفثوا في الثقافات العالمية أنه لا حياة بعد الموت وأن على الناس أن يستمتعوا باللذات في حياة ليس بعدها جزاء ، ويقولون أن ليس للإنسان خير من أن يأكل ويشرب وهم يطالبون بالحرية الدينية ويعنون بها التحرر من الأديان حتى

لا يكون هنا يهودى ومسيحى ومسلم وإنما «مواطن عالمى» ولكن اليهود أنفسهم من أشد الناس تعصباً لدينهم فهو دين مغلق عليهم يتوارثونه وحدهم . ومن هنا كانت دعوتهم إلى العالمية : تعنى إنهم يطالبون بتحطيم كل ما هو قوى فلا يجد اليهود أنفسهم قومية ضئيلة أمام قوميات هائلة وهم فى نفس الوقت أشد الناس تعصباً للصهيونية أى القومية اليهودية ويرون أن كل يهودى فى أى مكان هو صهيونى . وهم يخشون من الأديان لأنها تجعلهم الدرجة الثانية بعد أصحاب البلاد سواء أكانوا مسيحيين فى الغرب أو مسلمين فى الشرق . ومن هنا قولهم المضلل بأن الدين فقد مركزه ودعوتهم إلى إبعاد الدين دفعاً للحروب وقد استطاعوا فى الغرب بمحاولاتهم المتكررة أن يسقطوا قيمة الدين فى نظر الأوروبيين ، واستطاعوا أن يوجهوا إلى المسيحية شبهات كثيرة منها أنها لا تنفى بحاجة النفس الإنسانية ولا تحقق غاياتها وأنها تحرم الإنسان الكثير من اللذات حين تدعو إلى الزهد ولكن التلمودية لا تستطيع أن تجد لذلك كله مجالاً فى محيط الإسلام .

(٨) الحضارة : وهل لهم دور فيها

لقد شغل الباحثون أنفسهم بدراسة موقف اليهود من الحضارة : وهل كان لهم دور فيها وتكاد تجمع هذه الأبحاث أن دور اليهود فى الحضارات كان متصلاً بانهارها لأنبيائها . وأنهم لم يقوموا على بناء حضارة ما وإنهم هدموا كثيراً من الحضارات التى خضعت لمفاهيمهم الهدامة ولأسلوبهم فى إقامة الربا أساساً للاقتصاد وفى أخلاقياتهم التى تدعو إلى الوحشية والبداية وإهلاك الحرث والنسل . ولقد أشار جيون وتوينبى إلى دور اليهود فى هدم الحضارة الرومانية حين أثاروا الفساد فى المجتمع الرومانى مما عجل بانهار الحضارة أما فى الحضارة الأوربية الحديثة التى قامت أساساً فى عصر النهضة وهم مطرودون من أوروبا ، فإنهم ما لبثوا أن عادوا فى القرن السادس عشر حتى أعلنوا المادية إنطلاقاً إلى التحلل والأباحية التى سادت المجتمع الغربى من بعد ثم سيطرت عليه سيطرة تامة حتى اليوم . وتجمع المراجع المختلفة للدراسات الحضارة عن أن اليهود لم تكن لهم علوم أو فنون ولم يكن لهم حق فى الأرض التى يحتلونها ولم يخلقوا وراءهم آثاراً حضارية ما وأنهم كانوا يستولون على ميراث الأئمة وينسبوه إلى أنفسهم كما فعلوا حين نقلوا تراث البابليين واليونان القدامى وسيطروا على الفكر الغربى الحديث وحولوه وجهتهم التلمودية . ولقد عاش اليهود حياة التشريد والنفى منتقلين من مكان إلى مكان لم يقر لهم قرار فكيف يمكن أن تقوم لهم حضارة أو تكون فنون وآداب وهم فى

كل أرض عزباء ولذلك فقد كانت تقاليدهم وعاداتهم ودياناتهم مستعارة ومقتبسة ومسروقة من الدول المجاورة كما أشار إلى ذلك جوستاف لوبون في كتابه عن اليهود والحضارة الذى صدر عام ١٨٨٩ الذى ناقش الكثير من الآراء والنظريات التى أدعى اليهود لأنفسهم فى مجال الحضارة وأبطلها بوثائق التاريخ وما كتبوه عن أنفسهم . ويركز جوستاف لوبون على طابع القسوة العنيف الذى عرف عن اليهود ، فى صراعهم مع الأمم وكيف إن من شأن هذا الطابع أن يببّد الحضارات ويهدمها ولا يكون عاملاً فى بناءها يقول : « إقرأ التوراة تجد فيها جميع أنواع الوحشية والندائية وفى سفر يوشع يقال لهم : أهلكوا جميع ما فى المدينة من رجل وإمرأة وطفل وشيخ حتى الغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار بينما نجد العرب كانوا ينفذون وصية أبى بكر « لا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا إمرأة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا تعفروا نخلاً ولا تحرقوه » .

ولقد كشف كتاب الغرب عن دور اليهود فى تهديم الحضارات والأمم وتاريخهم فى البشرية هو تاريخ التهديم والإبادة : يقول فينسكى فى تاريخ الوطن القوي لليهود : أنهم يبحثون عن وطن منذ الخليقة إلى الآن فحاولوا الاستقرار فى العراق وأراضى الكلدانيين وفى اليمن وفى سهول روسيا وتركيا واليونان وبولندا وانكلترا وكل بلد تظله السماء ولكنهم دائماً فى قلق وحريرة لا يشعرون بالهدوء لقد طلبوا الوطن فى أرض كنعان فأهلكوا الحرث والنسل وأبادوا الشعب تقريباً ثم نرحوا إلى أورشليم فهدموها وأغاروا على قبرص وذبخوا فى يوم وليلة مائتى ألف نفس حتى صبغوا البحر الأبيض بالدماء ويقول بلاكهم فى كتابه الحضارة واليهود : لا الذكاء والمكر ولا الجمال والنفوذ بقادرة متفرقة أو مجتمعة على أن تعيد مجد اليهود الذى فقدوه بأطماعهم وأثرهم واستغلالهم للبشرية على مدى الأجيال والقرون ويقول برنزويك . إن سبب كراهية الإنسانية لبني إسرائيل كراهية لا يوجد مثيل لها بين شعوب الأرض واعتقاد الطائفة أنها شعب الله المختار وأنها ملح الأرض فانتفضت أدمغتها وذهنت أن أمم الله مسخرة لخدمتها . وأشار بيتان فى كتابه اليهود المعاصرون إلى مؤامرات اليهود فى سبيل هدم الحضارة ، وفى مقدمة ذلك قضية دريفوس الذى تجسس وهرب أسرار الحرب والجيش ، ثم كان موقف اليهود فى إنقاذه فقد دفع روتشيلد أكثر من مليون جنيه كما دفعوا عشرة ملايين روبل ذهب لإنقاذ بوحروف اليهودى الروسى الذى اتهم فى أوديسا بأنه ذبح صبياً ليلة العيد ليخلط دمه ببطير الفصح .

(٢) أما دورهم في الآداب فقد حددت هدفه المدمر مؤلفات ماكس نورودو وفرويد وكلها تدعو إلى التحلل الأخلاقي وخاصة فرويد الذى دعا إلى الإباحية الحديثة ودعوه توماس مان إلى عشق الذكور . وكان للربا آثاره البعيدة وأخطاره القاسية فقد أشار كلمان دوبلكس فى كتابه حرب اليهود والعالم : لقد دلت التجارب الاقتصادية والاجتماعية على أن البلاد التى ازدهر فيها الربا فقدت التعاطف والتراحم من بينها وحلت القسوة فيها محل الحنان والعسدر حتى أن الفقير ليموت جوعاً ولا يجد من يسعفهم رمة . وهكذا نرى أن الحضارة الأوروبية قد صيغت بألوان النفسية اليهودية ففشت فيها الأطماع المادية حتى صاروا لا هم لهم إلا جمع المال . وفى سبيل إقامة امبراطورية الربا عمد اليهود إلى تهديم الحضارة بتفكيك الأخلاق وتسهيل سبل الشهوات فى المصايف وملاعب القمار والملاهى وصنع أشراط الصور المتحركة للشهوات والحث على الجرائم واللذات البهيمية واختراع أنواع الرقص الخليع بأنواعه وإعداد المغانى والغوانى والقيان والقنانى للراغبين وابتداع مسابقات الجمال والاتجار بها واختيار ملكات المحاسن فى الشرق والغرب وعبادة المادة فى كل شئ ونشر صحف المجون والفسوق مثل جاذبية الجنسين . وما لا تجوز تلاوته إلا بين عاشقين وهم أصحاب الكتب المحظورة والصحف الفاسقة الكاشفة للقناع عن أسرار الجرائم تحت ستار التحقيق الجنائى وما هى إلا تحريض خفى لإقترانها بطريقة الإيحاء التى يجيد اليهود توجيهها نحو الجماعات والأفراد بفضل شيخ الطريقة المضللة : فرويد وقصص الفسوق التى حذق تأليفها أمثال موريس ديكوبرا ، وجوزيف كيسيل ، وأندرية مروا وعشرات أمثالهم وقد رددت كتابات الأوربيين هذه الظاهرة الواضحة : ظاهرة خلو تاريخ اليهود من بناء أى حضارة فهم لم يساهموا قط بظهور الحضارة الأوروبية أو تطورها وإنما استغلوا دور الإنحلال الذى تمر به وقاموا بالسيطرة عليها وتوجيهها لخدمة أغراضهم هذا إلى أن النازية كانت أول من نبه إلى دور اليهود فى سرقة واقتناص الحضارة الأوروبية ، فقد برهنت النازية العالم أجمع على أن اليهود دخلوا هذه الحضارة من باب المال والربا والانحلال الخلقى وليس عن طريق الجهود الخلافة وباندحار الحركة النازية عاد اليهود بسرعة أكثر وقوة أشد إلى متابعة عملية سرقة الحضارة الأوروبية والسيطرة عليها بواسطة نفوذهم المتشعب فى أوروبا وأمريكا والمذموم بالتعصب المستمد من النكبات والثورات وساعدتهم الظروف على ذلك عندما انتقل مركز الثقل فى العالم فى عقب الحرب العالمية الثانية من أوروبا إلى أمريكا ولا شك

أن اليهود قد ساهموا في هذا الانتقال بعد أن استجابت لهم الرأسمالية الأمريكية بسرعة ما كانوا يحملون بها . وتشير الأبحاث إلى ما يسمونه (عملية تبادل منافع بين الحضارة الأوروبية واليهود) فالحضارة الأوروبية تستخدم اليهود ودولة إسرائيل كأداة عدوان وتحطيم ضد الشعوب الناهضة كما كانت تفعل ذلك كل حضارة في دور انحلالها الباطني . واليهود يستخدمون الحضارة الأوروبية بأنظمتها واختراعاتها ومنتجاتها لتحقيق أغراضهم الخاصة ، ومن ثم فقد استطاعوا التغلغل إلى جميع مراكز هذه الحضارة وإثبات وجودهم في كل مظاهرها والسيطرة على كثير من أجهزتها ولذلك فإن كل كفاح موجه إلى إسرائيل هو موجه أيضاً إلى الاستعمار الأوربي والأمريكي فالاستعمار واليهود وإسرائيل قوة واحدة تهاجم معاً وتدافع معاً . ومن هذا كله نرى فساد النظرية التي تطرحها الصهيونية والتي تقول بأن لليهود فضل على الحضارة الإنسانية . ذلك أن اليهود لم يلعبوا دوراً إيجابياً في بناء الحضارة وإنما استغلوا معطيائها التي وصلت إليها وحاولوا توجيهها لمصلحتهم ولتحقيق هدفهم وأنهم عندما ظهروا على مسرح التاريخ عام ١٢٠٠ قبل الميلاد كزراعة رحل كانت الأمبراطورية الفرعونية قد شيدت مئات المعابد والأهرام والسدود وأبدعت علم الفن المعماري وعلوم الفلك وأن المملكة العبرية الموحدة على يد داود ظلت مملكة صغيرة تتنازعها الأمبراطوريات المختلفة المجاورة لها . ولا توجد أى مساهمة حقيقية من جانب اليهود القدامى في ثراث العالم القديم وأن الأقليات اليهودية في شرق أوروبا التي تبنت الصهيونية كانت أكثر القطاعات البشرية تخلفاً في أوروبا وينظر اليهود في حقد بالغ إلى امتلاك المسلمين والعرب لموارد بشرية عظيمة وموقع استراتيجي باهر ويحاولون في دأب ومثابرة تدمير هذا الوجود ، وهم من وراء الغاية المدمرة التي أحاطت مشعل الحضارة من نور يهدى إلى نار تحرق وتاريخهم وأفكارهم ودعوتهم وخطتهم أكبر شاهد على ذلك ولا ريب أن فكرتهم عن الحضارة المستقبلية التي تراث الحضارة الغربية المسيحية هي فكرة مسموعة ذلك أنهم يرون أن الحضارة الغربية في طريقها إلى التفسخ لكي تقوم بدلا منها حضارة يهودية أكثر إيماناً في المادية وتاريخ الحضارات يؤكد بطلان هذه المظاهرة فإن الحضارة الغربية المسيحية اليوم حضارة محتواة من الصهيونية التلمودية وسيكون ذلك نهاية الدور الغربي وبدأ دور آخر جديد لن يكون اقتصاد الربا من أهدافه ولا ريب أن هناك أكثر من نذير قوى يقول أن : أسلوب الحضارة العالمية الحديثة مهدد بالإنهيار مادياً ومهنوياً ومهدد بالإفلاس الأخلاقي الساحق ، بالرغم من توسع المعرفة واتساع نطاق العلوم

والتقدم المذهل في الصناعة والثراء العريض والقوة الهائلة في هذه الحضارة ذلك أن هذا التقدم كله لم يحقق قيام المجتمع الرباني ولم يشجع اتجاه النفس البشرية إلى الخير والتقوى ولم يوقف سبيل الفساد والخطايا التي تدمر حياة الإنسان . وقد جاء ذلك نتيجة الدور الذي قامت به الصهيونية التلمودية بالسيطرة على الفكر الغربي المسيحي وتحويله إلى نطاق الفكر المادي الوثني الإباحي الذي عرفته الحضارة الرومانية في مرحلة فسادها وانهارها . فقد أعادت الصهيونية العالمية بسلطانها العالمي على الفكر الغربي إحياء ما كان الفكر الغربي نفسه قد رفضه أولاً أعادت إحياء (بيرون وفضائحه) وأعادت نشر مذكراته الفاضحة وإحياء (أوسكار وايلد) ومذكراته بعد أن حوكم وأمين وسجن وأعادت إحياء قصة ليدي شترلي بعد أن هوجمت عندما ظهرت أول مرة وقد أصبح اليوم معقولا ومباحاً كل ما كان في نظر الأدب الغربي انحلالاً نفسياً واختلافاً في السابق فقد استطاعت التلمودية الصهيونية بعثة اليوم وتجديده على أنه قمة من قمم الفن والأدب الرفيع وهذا مؤشر خطير يؤكد التحول المدمر الذي وصل إليه المجتمع الغربي في ظل المادية الإباحية التي فرضتها مفاهيم فرويد وماركس وسارتر وكلها تنصل بسبب إلى الأيدلوجية التلمودية التي تستهدف تدمير العالم . وجملة القول: أن اليهود عاشوا حياتهم على مدى التاريخ بين السبي والشتات والاضطهاد وأنهم أقاموا دائماً في الجيتو الخاص حتى أخرجتهم الثورة الفرنسية

خاتماً

المخططات الصهيونية التلمودية في غزو الفكر الإسلامي

(١) التاريخ القديم

جدد اليهود الأبحاث في التاريخ القديم والأديان والأنثروبولوجيا (علم الإنسان) واللغات وحاولوا أن يزيّفوا ويبدّلوا ويغيروا ، يلتمسون ما يستطيعون التماسه من القرائن والمعارضات والتناقضات بفكر مسبق يستهدف إثبات أن لهم حقاً في فلسطين وأن لهم تاريخاً متصلاً وأثراً في الفكر الإنساني ودوراً في الحضارة . يحاولون ذلك من خلال إعادة كتابة تاريخ البشرية وتاريخ الأديان وتاريخ اللغات في معارضة واضحة للتاريخ الإنساني الصحيح وتشويه للفكر الإسلامي ومحاولة لهدم الحقائق التي كشف عنها القرآن الكريم إزاء ما زيفته التوراة المكتوبة بأيدي الأحبار في بابل إبان السبي البابلي أو ما قرره زعمائهم في خطط التلمود بعد

زعمائهم في خطط التلمود بعد تدمير الهيكل عام ٧٠ ميلادية بدأت هذه المحاولات بنشر التوراة متصلة بالإنجيل على ما بينهما من تناقض واختلاف وذلك لحمل المسيحيين على تبني دعواهم الباطلة في الوعد الإلهي لإبراهيم الذي يحاولون قصره على اسحق وأبناء إسرائيل وحجب اسماعيل أبي العرب والمسلمين وابن إبراهيم الأكبر ثم محاولة إيجاد تاريخ لهم في فلسطين في حين أنه لم يكن لهم وجود قائم أو مستمر في فلسطين والحقائق التاريخية الصحيحة تدمغ اليهود بأنه لم يكن لهم وجود قائم أو مستمر في فلسطين وأن العرب أقدم منهم في استيطان فلسطين وأن الفترة التي قضاها العرب في فلسطين قبل وبعد الفتح الإسلامي هي أطول كثيراً من تاريخ اليهود فيها وأن الإسلام قد ألقى إليه ميراث النبوة كله وأن الحق تبارك وتعالى أورث محمداً صلى الله عليه وسلم الأرض المقدسة وجعلها لأُمَّته إلى يوم الدين وأن عمر بن الخطاب أجلى فلول اليهود من فدك وتبء ووادي القرى . وأن الثابت تاريخياً أن العبريين الذين عبروا نهر الأردن إلى فلسطين بين ١٤٠٠ و ١٢٠٠ قبل الميلاد لم يحكموا فلسطين إلا مدة ١١٣ عاماً خلال تاريخها كله الذي يمتد أكثر من أربعين قرناً وقد استولى العبريين على السلطة في فلسطين من عام ١٠٥٠ إلى عام ٩٣٧ ق. م ثم زال حكمهم نهائياً وأن الآشوريين قضوا على مملكة إسرائيل في الشمال بعد خمسة عشر سنة من قيامها وقضى (نبوخذ نصر) على المملكة الثانية عام ٥٨٦ ق م ثم قامت دولة عبرية بالغة الصغر عاشت حوالى القرن حتى الغزو الروماني عام ٦٣ قبل الميلاد وفي العام السابعين بعد الميلاد أخذت جماعة من اليهود تقوم ببعض الفتن فسحقهم تيتوس الروماني قال جورج ايبير في كتابه (السراب الصهيوني) : لم يكن اليهود أول من احتل فلسطين ولم يقطنوها قط وحدهم وأن فلسطين اجتذبت إليها كثيراً من الغزاة منذ فجر التاريخ بسبب كثرة خيراتها وموقفها الاستراتيجي إذ أنها أحد الجسور الرئيسية التي تصل بين أوروبا وآسيا ، كذلك فقد أثبتت الوقائع التاريخية أن اليهود لم يجتمعوا كلهم قط في فلسطين فقد كانوا موزعين في بلدان كثيرة من العالم كما هم اليوم وهم لم يحكموا فلسطين كلها في يوم من الأيام والفترة التي أقاموا فيها مملكة كانت فترة قصيرة جداً (مملكة داود وسليمان) ولم يشكلوا أكثرية في فلسطين وليسوا هم سكانها الأصليين وإنما كان وضعهم الطارئ فيها دائماً وضع المحتلين وهو شبهه بوضعهم اليوم وأن اليهود الذين قدموا ويقدمون إلى فلسطين في السنوات الأخيرة مهاجرين من أوروبا الشرقية وروسيا لا يمتنون إلى اليهودية بصله . يقول دانيال بلس المؤرخ الكاثوليكي لفجر المسيحية : كانت

هناك ملايين من اليهود تعيش خارج الأرض المقدسة وهذه حقيقة كان يعرفها كل من عاصر المسيح . كذلك فقد أثبتت الحقائق التاريخية في مواجهة أباطيل الصهيونية بتزييف التاريخ أن اليهودية ليست دما وليس يهود اليوم هم أبناء أولئك الذين سكنوا فلسطين فترة قصيرة من الزمن فاليهود اليوم قيمان : اليهود الشرقيين الذين يعرفون باسم (السفرديين) وهم يتناقضون تناقضاً صارخاً مع اليهود الآخرين في امزجتهم وتقاليدهم . والقسم الثاني من اليهود : هم الغربيون المشهودون وإليهم تنسب الغالبية العظمى من الصهيونيين . وقد أثبت (ماسنيون وريسلى) أن الغربيين المتهودين يختلفون عن اليهود الشرقيين حتى في سماتهم الجسدية ولا صلة لهم إطلاقاً بقداى العبريين فهم قوم يهودوا في فترات من التاريخ الوسطى خاصة وهم يعرفون باسم الاشكنازيين ويتكلمون لغة تسمى (البدش) وهي إحدى اللهجات الألمانية العامة المحشوة بكلمات عبرية محرفة على الأغلب .

(٢) وهناك تلك الحقيقة التي يحاول اليهود إخفاها للمراوغة وللإدعاء بأنهم يهودى بنى إسرائيل وتلك هى وتلك هى أصل يهود أوروبا ولذلك فهم يحولون بين ورود مادة (الخرز) فى معظم دوائر المعارف العالمية حتى لا ينكشف أن هناك شعباً يهود قبل المسيح بقرنين أو ثلاثة فى الحوض الشمالى لنهر الرين بأوروبا ثم تفرع هذا الشعب الذى اعتنق اليهودية إلى جماعات متعددة ، استوطنت بولندا ووسط أوروبا وروسيا الغربية وقد تضخم عدد هؤلاء القوم حتى صار تسعة أعشار العالم اليهودى وقد لقب علماء الأجناس البشرية هذا الشعب اليهودى باسم (الاشكنازم) ومن هؤلاء جاء أصحاب الدعوة الصهيونية إلى فلسطين مهاجرين بعد مقتل قيصر روسيا ومعنى هذا أن تسعة أعشار يهود العالم هم من سلالة غير سلالة يعقوب (الذى هو إسرائيل) وأن هؤلاء اليهود الذين يتصلرون الدعوة إلى الصهيونية من سلالة جرمانية سلافية أوروبية محضة بدأت تتكاثر منذ القرن الثالث الميلادى . ويقول لامبروزو : أن يهود العالم الجديد أدنى إلى الجنس الأرى منهم إلى الجنس السامى وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية واقتصادية وانضم إليهم فى جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ومن مختلف البشر منهم الفلاشا سكان الحبشة والألمان والشامل اليهود السود من الهند ومنهم الخزر من الحبشى التركي . وقد أيد هذا القول (ريبلى ورينان) . ومعنى هذا أن تسعة أعشار يهود العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافاً واسعاً ليس له نظير وأن الزعم بأن اليهود جنس نقي حديث خرافة . وجملة القول أن اليهود القاطنين بحركة الصهيونية ليسوا من بنى إسرائيل وإنما من هم

جنس خنزرى آرى وأنهم دخلوا فى صراع مع المسيحية الأرثوذكسية فى روسيا وبولندا وأنهم قتلوا وشتتوا بعد اغتيال القيصر .

(٣) إن التوراة التى يثير اليهود حولها ضجة كبرى ويحاولوا أن يجعلوها مصدراً من مصادر التاريخ هى كتاب بشرى كتبه أحبار اليهود بأيديهم فى متفاهم البابلى وليس لها أى قيمة علمية أو تاريخية وليس فيها أى نفحة من نفحات الروح أو الإيمان أو الخير فهى تصور اتجاهات عنيفة قاسية مستعلية على البشرية ، يريد أن يسيطر ويدمر ويقتل ، وترسم طريقاً عنصرياً يحجب حقائق التاريخ الأصيل وينكر صحاح الأمور ومن أبرز وجوه بطلانها إنها لا تعترف بإسماعيل أبى العرب ولا تعترف من أبناء إبراهيم إلا بإسحق ويعقوب وأنها تقوم على العنصرية . وأنها تجعل العلاقة بين الأنبياء وبين الله تبارك وتعالى علاقة صراع قائمة على عدم الثقة وقد أشار كثير من الباحثين إلى التشابه بين التوراة وبين أساطير اليونان ومن المقارنة بين قصة بدء الخلق كما وردت فى التوراة وبين الأساطير السومرية وبين ملحمة الوجود البابلية لا نجد اختلافاً جوهرياً ، هذا فضلاً عن التباين بل التعارض الذى اشتمل عليه سفر التكوين فى وصف بدء الخليقة حيث تتكرر إزدواجية الروايات التى توهم بأنها استقيت من نصين متقابلين إحداهما إسرائيلى المصدر والآخر يهودى (نسبة إلى مملكة يهوذا فى الجنوب) . ومن هذا التباين بين وجهات نظر مختلفة مثبتة هنا وهناك لم يسع الخبراء آخر الأمر إلى إلا أن يقطعوا بأن النصوص التوراتية إنما تعود إلى توليفات مستقاة من أربع مصادر رئيسية على الأقل . غير عدد من روافد وفروع ربما امتد بعضها إلى ما ثارت لم تكن تمت إلى بنى إسرائيل أو إلى بنى يهوذا أصلاً إلا أنها صارت بمرور الزمن شائعة مشتركة بين شعوب المنطقة جميعاً . وقال الباحثون أنه منذ أن أخصعت التوراة للنقد فى القرن السادس عشر كائى كتاب بدأ فريق من العلماء المسيحيين فى دراسة التوراة دراسة نقدية وخرجوا من دراساتهم ببعض نتائج أهمها أن التوراة لم تكن من عمل موسى وإنما كتبت بعده بقرون طويلة . وأن الاختلافات الجوهرية بين المسيحيين واليهود فيما يتعلق بكثير من النصوص الواردة فى هذه الأسفار وأن نظرة المسيحيين إلى العهد القديم تختلف بين الكاثوليك والبروتستانت الذين يضيفون إليها سبعة أسفار لا يعترف بها الآخرون وأن بين البروتستانت واليهود توافقاً فى بعض المضامين وأن عقيدة التوحيد التى تقدمها التوراة قائمة على ركائز من وثنيات موهلة فى القدم حين كانت الأقوام تتمثل الرب أحياناً فى صورة مزدوجة متراوحة بين خير وبشر

وهكذا نجد أن كل ما أورده اليهود في تورا ، استقوه من يتابع عديدة وحضارات مختلفة وبالإضافة إلى هذا التزييف نجد أن التوراة صممت إزاء كثير من الحقائق التي أوردها القرآن فالتوراة لم تذكر عبارة البعث التي ذكاها القرآن ولم تفصل خلق آدم . وتصور التوراة خطيئة آدم تصويراً بشرياً صرفاً والفكرة عن الإله في التوراة لا تختلف عن فكرة البابليين عن الإلهة الذين يمشون على الأرض ويخشون من منافسة البشر في سلطانهم وقد نقل اليهود عن السومريين خرافة أن الله تبارك وتعالى يستريح في اليوم السابع بعد أن خلق السموات والأرض دون أن يفتنوا إلى الله تبارك وتعالى لا يجوز عليه التعب (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) . وأشارت التوراة إلى أن حواء هي التي أغرت آدم على الأكل من الشجرة ولكن القرآن دمج هذا الوهم حين أشار بأن الشيطان هو الذي أغرى آدم . كذلك فإن اسم حواء لم يرد في القرآن كذلك فإن قصة سفر التكوين في التوراة ما هي إلا بمثابة أسطورة سورية قديمة وجدت في ملحمة (أونو ما أيليش) وأن قصة الطوفان منقولة عن الأساطير السومرية . وقد أوردت الصحف (جريدة العلم المغربية ٦ يونيو ١٩٧٢) أن الحكومة الأردنية تسلمت مخطوطات أثرية ذكر أنها لا تتفق تماماً مع ما ورد في التوراة حول تاريخ منطقة غور الأردن في القرن السابع قبل الميلاد ويؤكد ذلك تزييف اليهود للتوراة الأصلية وكانت بعثة هولندية قد عثرت على هذه المخطوطات في أبريل عام ١٩٦٧ وقامت بإجراء الدراسات والبحوث عليها في هولندا طوال السنوات الخمس الماضية وقد قام رئيس المنطقة الهولندية للأبحاث في لاهاي بتسليم المخطوطات إلى وزير السياسة والآثار الأردني الذي صرح بقوله أن المكتشفات تقوم لأول مرة بتصحيح أخطاء التاريخ التي كانت تاتي على لسان الصهيونية . والمعروف أن الصهيونية تتخذ من التوراة وسيلة لخداع الغربيين زعماء وشعوباً في محاولة اكتسابهم إلى جانبها في معركتها مع العرب باسم الدين وقد زينوا لهم أن توراة هي أم الإنجيل ومصدر إلهامه فأطلقوا على التوراة (العهد القديم) وعلى الإنجيل (العهد الجديد) وأوهموا مسيحي الغرب أن إيمانهم يظل أبتر ما لم يؤمنوا بكل ما جاء في العهد القديم وقد أدرجوا التوراة في المناهج الدراسية في دول الغرب على أنها مادة تاريخية تدرس كما تدرس آثار هيرودت وغيره من المؤرخين ولم يصبح عسيراً على اليهود بعد ذلك أن يدخلوا في روع الرأي العام الغربي أن فلسطين يهودية وأن لهم فيها حقوقاً تاريخية ودينية ما دام كل مواطن يدرس في طفولته في مدارس حكومية نصوص التوراة بكل ما فيها وقد استطاعوا

التأثير على البروتستانت في هذا الصدد . وما يزال التوراة تغذى الأساطير والخرافات التي تنسب الغرور والأنانية والحق في الوجدان اليهودي ، ليس ضد العرب فحسب بل ضد الأسرة البشرية جميعاً . وبالرغم مما كشفه الفكر الغربي من زيف التوراة فإن جزءاً كبيراً منه ما زال مخدوعاً بها وبالرغم من استنارة عصر العلم والدليل والبرهان فإن الفكر الغربي ما زال خاضعاً لاساطير بدائية ساذجة لفقها شراذم اليهود في بداوتهم الأولى لأغراض وأطماع خاصة وما زال العلم الذي يحلل ويدقق غير قادر على أن يفضح هذه الأكاذيب . ولقد قال جوستاف لوبون قبل مائة عام « الملاحظ من الأسفار الإسرائيلية وترتيبها ميل ظاهر إلى استخراج نظرية من انتظام الحوادث غايتها إثبات شيء » ، هذه الأسفار جميعاً إذا رصفت بصيغة الجزم بدأ حسن النية فيها هزلاً » . وتكاد تجمع المصادر الغربية العلمية على أن اليهود أعادوا كتابة التوراة في المنفى بعد أن تفجرت العنصرية عن الحق والكراهية للعالم وانبعثت منها الصهيونية بمعنى التطلع السياسي الديني إلى العودة إلى أرض الميعاد وأنهم أعادوا كتابة التوراة على النحو الذي رسموه في منتهجهم وأخلاقهم وجعلوها منطلقاً لهذا الهدف معارضاً أساساً للتوراة الموحى بها : فالوجهة هي تنزيه بني إسرائيل من العيوب والغاية هي العنصرية : واتخاذ موقف العداء مع كل من اختلف مع اليهود ويشير الباحثون إلى الأثر اليوناني الأفلاطوني على العقلية اليهودية في الترجمة اليونانية للتوراة المعروفة بالترجمة البسعينية وقد حاول فيلون التوفيق بين التوراة وتعاليم اليونان الوثنية بل أن حاخامات اليهود قاموا بتفسير الفلسفة اليونانية وأدعوا أنها قطعة متكاملة من الشريعة اليهودية . وبالجمله فإن علماء التاريخ شكوا في مصداق التوراة ودعا بعضهم إلى تمحيص الحقائق في ضوء القوانين العلمية .

(٣) ماموقف الإسلام من هذا التاريخ القديم الذي حاول اليهود إعادة صياغته على نحو جديد مختلف مع الوقائع الصحيحة لإتخاذهِ وسيلة للدفاع عن دعوتهم الصهيونية ؟ أولاً : يقرر الإسلام أن اليهودية خرجت عن أصولها وغرقت في الوثنيات القديمة فشككت منها فكراً يستهدف غاية اليهود الباطلة في السيطرة المادية ونشر الإباحية والفساد وأن اليهودية قد انحرفت إلى المادية الطاغية وأصبحت مفاهيمها قائمة على الربا والإباحية وفلسفات التحلل والكشف ودعوات الدهرية وإنكار الآخرة والحساب وإنكار ثبات الأخلاق . ثانياً : كشف الإسلام عن فساد دعوى اليهود في الإمتياز الخاص الذي أدعوه لأنفسهم بإعلاء العنصر والجنس والقول بأنهم يتميزون على البشر ، وقد أثبتت الأبحاث العلمية فساد هذا الإدعاء . ثالثاً : كشف

الإسلام فساد مفهومهم للالوهية وأنهم قد غيروا المفهوم الرباني الذي أنزل إليهم عن الله رب العالمين وأدعوا إلهاً خاصاً لهم هو الإله يهوه وهو كما وصفته التوراة متوحش شرير شغوف بالفساد وإراقة الدماء (يهوه رب الجنود) . ويعد إنكار البعث من أخطر مفاهيمهم ويقوم على اعتبار أن الدنيا هي كل شيء وأن السعي لها هو وحده العمل . رابعاً : كشف الإسلام خطأ مفهومهم عن جواز اتخاذ الوسائل الشريرة في سبيل تحقيق الغايات العليا كالكذب والغدر والوقعة واعتبارها طريق النجاح وكذلك دعواهم بتطور الأخلاق . والإسلام يؤمن بثبات الأخلاق والتمسك أخلاق الخير والبر والصدق سبيلاً إلى تحقيق الغايات العليا وإنها هي وحدها سبيل النجاح الحق . خامساً : كشف الإسلام عن تزيف اليهود للصلة بين التوراة والأديان التي جاء بعدها وخاصة ما يتصل ببعثه النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء وصفه في التوراة وقد حرف اليهود هذا النص لكي يجعلوا من اليهودية ديناً نهائياً وأنكر عليهم الإسلام دعوى الجبر التي يدينون بها ودعوى التشبيه وما يعتقلونه عن الرجعة فإن فإن كل هذه المفاهيم ليست من دين الله الحق . وكذلك كشف الإسلام خطأهم بالنسبة للأنبياء وقرر عصمة الأنبياء وسلامة مواقفهم وبعدهم عن الشر والفاحشة أثبت القرآن الكرامة لموسى وداود وسليمان ولوط وغيرهم من الأنبياء الذين وصفهم اليهود بما لا يليق بعصمة الأنبياء . كذلك أكد الإسلام وجود موسى وعيسى اللذين تحاول بعض كتابات اليهود التشكيك في وجودهما . كما قرر أنها نبيان مرسلان ومن عباد الله وخلقه كذلك صحيح القرآن فكرتهم عن النبوة التي صورتها التوراة المكتوبة على أنها كذب وغش وزنا وفجور وفق . خامساً : قرر القرآن أن التوراة المتداولة قد أصابها التحريف والتعديل والنسيان والإخفاء فهي ليست التوراة الإلهية الأصلية ذات التعاليم المقدسة والشريعة الربانية . (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرقون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به) . وآية تحريفها أنها لا تشير إلى الروح ولا إلى الروحانية أو البعث لليوم الآخر أى إشارة كذلك خلت من الإيمان بالغيبيات مما يدور في الحياة الأخرى ، كما جسدت الإله سبحانه وتناولت على مقام الأنبياء . فقد صورت الذات الإلهية في صورة بشرية ضعيفة والحققت بها صفات الجهل والغفلة والضعف . كذلك قرر اليهود أن لهم إلهاً خاصاً وللشعوب الأخرى آلهة أخرى . وأنهم أولاد الله وأحباؤه كما اتخذت التوراة المحرفة : أحبار اليهود ورهبانهم آلهة تعبد أو تشارك في العبادة واتهمت التوراة سيدنا إبراهيم بالكذب وألصقت به أحسن الصفات وأقبح الفعال

أما القرآن فقد وصف إبراهيم بأنه بلغ المرتبة المثالية في الصدق وأنه وصل إلى درجة الصديقين . سادساً : أكاذيب نفاها القرآن وكذبها : فقد اتهمت التوراة الموضوعة لوطاً وسليان وداود بالباطل وادعت الشريعة في أسفار اليهود تقوم على التفرقة العنصرية وتجعل اليهود هو الشعب المختار وتنظر إلى ما عداه على أنه أقل في الدرجة وتضع قوانينها ونظمها على هذا الأساس (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) وقد ادعوا أن اخذ الربا مباح لهم قبل غير الإسرائيليين وكذلك غزو الشعوب الأفريقية بحد السيف وقد دمغ القرآن اليهود في آيات تقترب من الألف وكشف زيفهم في التاريخ والعقيدة وفضح مؤامرتهم وعرى نفسياتهم وأبان تنكرهم للدعوى الإلهية وحجاجهم ولجأهم وما قاموا به من تحريف وزيف وحجب للحقائق وألباسهم الحق ثوب الباطل واستثنى منهم قلة قليلة من اليهود الذين آمنوا برسالة النبي محمد . (دكتور محمد بن الشريف)

(٢) تاريخ الإسلام

كانت علاقة اليهود بالمسلمين سلسلة من التآمر والبغي فقبل تآمر اليهود على الدولة الإسلامية التي حمتهم من بطش الرومان والغرب المسيحي تآمروا على الدعوة الإسلامية والنبي وأنكروا وصفه في التوراة وتحالفوا مع أعدائه من المشركين في مختلف المواقع ، حتى اضطروا النبي إلى إجلائهم عن المدينة وكانت آخر كلماته صلى الله عليه وسلم تدعو إلى إخراج اليهود من جزيرة العرب وقد أخرجهم عمر بن الخطاب من فدك وتيماء ووادي القرى وأقطعهم أرضاً قريباً من الكوفة وكان اليهود قد هاجروا بعد تدمير أورشليم حيث قتل منهم عدد كبير عام ٧٠ ميلادية ، إلى أرض العرب للاحتباء بها حيث لم يتوقفوا عن الدس والتفرقة بين أحياء العرب وخاصة في المدينة بين الأوس والخزرج وعندما هاجر النبي إلى المدينة كان بها ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع في داخل المدينة وبنو قريظة وبنو النضير في ضواحيها الجنوبية وعندما أحس المسلمون بتآمر بني قينقاع الشرقية ، حاصروهم وأكروهم على الهجرة إلى حدود الشام وفي معركة أحد لم ينفذ بنو النضير شروط المعاهدة المعقودة بينهم وبين النبي بالدفاع عن مدينتهم إزاء كل غاز فضلاً عن اكتشاف مؤامرة دبرتها يهود لاغتيال محمد . وقد بعث الرسول إليهم من يطلب إليهم الخروج من يشرب لنقضهم العهد فلما امتنعوا حاصروهم المسلمون عشرون ليلة اضطروا بعدها إلى التروح من يشرب بعد أن آمنهم الرسول على دماهم ولكن حي بن أخطب زعيم اليهود قصد إلى مكة يحرض قريش على حرب محمد وقال

إن بنو قريظة أقاموا بالمدينة مكرًا بحمد حتى تأتى قريش فيأتهم معها وصرحوا بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد ونجحت مؤامرة اليهود الذين ألبوا عرب الجزيرة على المسلمين وسارت جيوش الأحزاب تحاصر المسلمين في المدينة في غزوة الخندق كان مفتاح النصر في المعركة بيد بنى قريظة إذ أن منازلهم وحصونهم في موقع ممتاز بين جيوش المسلمين والأحزاب فسعى حيي بن أخطب لنقض المعاهدة بين بنى قريظة والمسلمين وفي اليوم الذي انسحبت جيوش الأحزاب من المدينة وفك الحصار عنها أمر النبي بمحاصرة منازل بنى قريظة واستمر الحصار قرابة شهر اضطر بعده بنو قريظة إلى قبول التحكيم في تقرير مصيرهم فاختاروا حكم زعيم الأوس : سعد بن معاذ وحكم سعد بقتل الرجال وسبي النساء ومصادرة الأموال وكان حيي بن أخطب صاحب فكرة الأحزاب قد انضم إلى بنى قريظة ولما قدم للقتل وجه كلامه إلى النبي قائلاً : « أما والله ما لمت نفسي على عداوتك » ونزلت في أمر حصار المدينة وبنى قريظة سورة الأحزاب وفيها الآية الكريمة : (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً). وقد كشف القرآن أمر بنى إسرائيل واستحقاقهم لسلب الملك العظيم الذي أعطاهم الله إياه وتدمير المجتمع الإسرائيلي نتيجة أشياء كثيرة منها ضعفهم عن حمل لواء الجهاد وتراخيهم في القتال وتحريفهم آيات الله وأكلهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل من أجل ذلك أسقط الله سيادتهم على البشرية لانحرافهم وأقام أمة أخرى بديلاً عنهم تحمل رسالته الحق : وهم المسلمون : [كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله] ولما انتهت المعارك بانتصار المسلمين وثبات الإسلام حيث دانت له الجزيرة العربية كلها بدأت مؤامرتهم بالكيد والدس وتزييف الحقائق بما أطلق عليه الإسرائيليات وبالاغتيال والقتل فكانوا وراء مقتل عمر وعثمان وعلى ومؤامرة الخلاف بين الصحابة التي قادها عبد الله بن سبأ وكان له فيها دوراً خطيراً حاول اليهود في التاريخ الحديث إنكاره حيث حرضوا أمثال طه حسين وغيره على الإدعاء بأن عبد الله بن سبأ شخصية خيالية وهمية أو أنه على الأقل لا يمكن أن يكون له هذا الأثر الضخم في الفتنة الذي تصورها كتب التاريخ وحاولوا التهوين من شأنه كما جاء في كتاب الفتنة الكبرى وكان لهم دور خطير في التأمر خلال حكم الأمويين والعباسيين ثم اتسع هذا الدور في العصر الحديث . وقد حاول اليهود تزييف الرابطة الصحيحة بين دين إبراهيم ودين محمد وذلك بإنكار فرع اسماعيل وبناء الكعبة والتركيز على اسحق وابنة يعقوب كورثة لإمامة

إبراهيم بعد أن حرفوا مفاهيم الرسالة التي كانت إليهم والكتاب الذي استحفظوا عليه .
 واتخذوا من توجه المسلمين إلى بيت المقدس وعودتهم بأمرهم إلى الصلاة نحو البيت الحرام سبيلاً للدين
 والتأمر حتى أنهم أثاروا ذلك في السنوات الأخيرة حين اقتحم المبشر زويمير الأزهر الشريف
 ووزع منشورات زائفة مسمومة تحت عنوان (عودوا إلى قبلة بيت المقدس) . ولقد رغب
 النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغ المدينة أن يسالم يهود المدينة وعقد معهم عقداً وأدعهم فيه
 واتفق معهم على المسألة وعلى التناصر ضد من يهاجم المدينة أو يقتحمها غير أن اليهود
 تغلبت عليهم عنصريتهم وتآمرهم وآثروا الشبهات حول الإسلام والقرآن والنبي وحاولوا
 الوقيعة بين الأوس والخزرج وبين المهاجرين والأنصار فضلاً عن التأمر على
 النبي ومحاولة اغتياله وقد انتهى ذلك بإجلاء بني قينقاع بعد غزوة أحد وإجلاء بني قريظة
 بعد غزوة الخندق وكانت آخر كلمات النبي قبل اختياريه الرفيق الأعلى قوله : (لا يجتمع
 في جزيرة العرب دينان) وكذلك عمد اليهود إلى إثارة الشبهات والتشكيك لإضعاف إيمان
 المسلمين وثقتهم بالإسلام [ود كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند
 أنفسهم] واليهود هم الذين نظموا مقاومة الإسلام منذ ظهوره وحشدوا الدعاة لإفساد تعاليمه
 وكانوا حلفاء القرامطة والباطنية والغلاة من الشيعة . وقد ترك عبد الله بن سبأ في الفكر الإسلامي
 بصمات اليهودية التلمودية بدعوته إلى الوصاية والرجعة ونظرية الحق الإلهي ومن دعائهم عبد
 الله بن ميمون الذي قاد أخطر الحركات الهدامة التي عرفها الإسلام . وقد تسترت اليهودية
 وراء النزعات المعادية للإسلام وأدعى بعض اليهود اعتناق الإسلام لأحداث الفتن بين
 المسلمين وإفساد عقيدتهم وقد وضع كثير منهم في العصر الأول الأحاديث فضلاً عن أنهم
 نشرُوا الأساطير اليهودية بين العرب والمسلمين . ولقد عاش اليهود في كنف الدولة الإسلامية
 في الكوفة وغيرها بعد أن أن أجلاهم عمر عن المدينة . ثم عاشوا في كنف الدولة العثمانية
 بعد أن طردهم النصارى من الأندلس وبعد سقوط الحكم الإسلامي وكانوا في كل مكان
 كل مكان يتآمرون على الدولة الإسلامية وكانت أقوى جزرات تأمرهم : حركة الدوغم
 التي عملت في داخل الدولة العثمانية وكان لها دورها الخطير في إسقاط السلطان عبد الحميد
 وإزالة الخلافة وفتح الطريق للصهيونية إلى فلسطين عن طريق التعاون مع الاتحاديين ثم
 تأمروا على المسلمين لمصلحة بريطانيا فكانوا عوناً للاستعمار البريطاني ينقلون إليه أخبار
 الجيوش العثمانية ومراكزها وتحركاتها وكانوا عوناً له في الحرب العالمية الأولى على المسلمين

في بلاد العرب وفلسطين . حتى استطاعوا أن يحصلوا على وعد بلفور . يقول أحد المؤرخين : وجدت اليهودية أنه ليس من الحكمة أن تستمر في صراعها مع الغرب المسيحي لأن ذلك يبدد طاقتها ولا يعود عليها بأية فائدة ولهذا أخذ اليهود يعملون للتحالف مع الغرب المسيحي لاستغلاله في تحقيق أهدافهم وألقى اليهود في روع الغربيين أن هناك عدواً مشتركاً لليهود والنصرانية ألا وهو الإسلام فإن لم يتحالف الاثنين على صده فإنه سوف يزحف على الحضارة الغربية ويقضي عليها وقد اجتمعوا كما يقول درزائيلي في القضاء على النصرانية والإسلام ولن يستطيعوا ذلك إلا بمساعدة وتعاون المسيحيين والمسلمين الذين غطت بصائرهم الماسونية اليهودية .

تمزيق الوحدة الإسلامية

لم يكن في مقبور الصهيونية العالمية السيطرة على فلسطين لإقامة دولة إسرائيل إلا بالسيطرة على الدولة العثمانية . وكان هرتزل هو الذي تصدى لمواجهة السلطان والحوار معه ثم انتهى هذا الحوار إلى الرفض مما دفع اليهود إلى وضع السلطان في مكان الاتهام والحملة الشديدة والتآمر لإسقاطه (راجع كتابنا : الإسلام والغرب والعروبة والإسلام) فقد جرت المؤامرة منذ عام ١٨٩٧ وسقط السلطان عام ١٩٠٩ واستطاعت الصهيونية أن تجند الاتحاديين لخدمة أهدافها وهم الذين تسلبوا سلطة الحكم في الدولة العثمانية بعد السلطان ومكنوا للصهيونية بالهجرة على فلسطين وبدأت مرحلة السيطرة عليها وكان أحد الثلاثة الذين دخلوا على السلطان يحملون وثيقة التنازل (قره صو) النائب اليهودي ، وانتخب حاييم ناحوم حاخاماً أكبر عقب سقوط السلطان واستطاع أن يحصل لليهود على عدة امتيازات في البلاد التي تتألف منها السلطة العثمانية ، كما أرسلته الحكومة التركية التي تولاهم مصطفى كمال مندوباً لها إلى لاهاي وناطت به الحكومة معالجة القضية التركية ، فمهد السبيل إلى الصلح الذي أقرت فيه تركيا بالتنازل عن صيغتها الإسلامية وعن اللغة العربية والشرعية الإسلامية . وكان العمل لاستقاط الدولة العثمانية وإزالة الخلافة العثمانية من الأعمال المشتركة بين الصهيونية العالمية والاستعمار وكان هدفها هو قيام القوميات لتمزيق وحدة الإسلام . وكانت الحركة الطورانية في تركيا والتي حملت لواءها جمعية الاتحاد والترقي هو أولى التنظيمات التي استهدفت تمزيق البلاد الإسلامية إلى قوميات وتقسيمها إلى وحدات تتصارع وتكون سهلة هينة في وجه التآمر الاستعماري والصهيوني . ولقد سلم الاتحاديون طرابلس الغرب إلى الاستعمار الإيطالي ، كما

دخلوا الحرب العالمية دون حاجة إلى دخولها لتدمير الاقتصاد العثماني. وفي انقلاب مصطفى كمال أتاتورك - خليفة الاتحاديين وشقهم الثاني - وهو من اليهود الدوغة، نصبت المجازر للمسلمين وسلمت البلدان الإسلامية التي كانت تابعة للدولة العثمانية إلى المستعمرين بتحريض من اليهود ومؤامرتهم . ولا ريب أن الانقلاب العثماني الذي وقع عام ١٩٠٨ قد أسلم زمام تركيا لليهود الماسون الدوغة : طلعت وجاويد وجمال ونيازی وكمال ، وقد دفعوا تركيا بتوجيه (وايزمن) لخوض حرب لاناقة لهم فيها ولا جمل وقد كان اليهود يرون في السلطنة العثمانية والخلافة والإسلام شبحاً مخيفاً خطراً على مستقبلها وعندما رفض السلطان مآرب الصهيونية قرر المحفل السكوني خلع عبد الحميد وكلف فرسان تركيا الحكماء المستترين بالإسلام على حد تعبير الدكتور الزغبی - تنفيذ القرار فنفلوه عام ١٩٠٩ ويقول بعض المؤرخين : إن الانقلاب العثماني أمر بيئت له يهود سالونيك منذ نصف قرن حتى يتم على أيدي مسلمين كانوا يهوداً في الأصل فأسلموا لأجل هذه الغاية . ولا ريب أن خطة الدوغة في التقية بإعلان الإسلام والإقامة في سالونيك البعيدة عن الرقابة كان عملاً مرتباً مدروساً فقد قامت في سالونيك الأوكار السرية حيث نفذ المرتلون أبشع التعاليم التي تستهدف إشاعة الفرقة والاستغلال وتدريب الأتراك على الرشوة والاختصاب وشهدت تركيا ولادة الدوغة المؤلفة من اليهود المتظاهرين بالإسلام وقد حفل التاريخ الحديث بعدد منهم عمل على تحطيم الأمبراطورية العثمانية وتحويلها إلى أشلاء ممزقة . وفي خزائن وزارة الخارجية التركية عدد كبير من الوثائق التي تثبت أن الذين قادوا حملة تمزيق الأمبراطورية هم من الدوغا وهناك قوائم كاملة بالعائلات اليهودية التي تظاهرت بالإسلام لتغطي تأمرها . وجاء لورنس على خطى هرتزل في سبيل إكمال المهمة وإتمام الخطوات . كان يعمل للصهيونية العالمية داخل العمل للاستعمار البريطاني ، وراح يتخيل نفسه فارساً صليبياً بعد أن درس الحروب الصليبية وظروفها وأحوالها وقد أعلن أن هدفه الرئيسي هو تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الأمبراطورية العثمانية والعمل على وضع العرب في دوامة القوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتنافرة وغير قابلة للتماسك على حد قوله . لقد كان لورنس يعرف كيف ينقل العرب من الوحدة الإسلامية إلى القوميات المتنافرة ليقيم الحواجز بين الأجزاء العربية حتى لا يتحقق لها وحدة ولا كيان ، ومن هنا كانت دعوته إلى استبدال الخليفة بواحد من أهل البيت كالشريف حسين والمزايدة عليه والدعوة إلى خلافة عربية بديلاً عن الخلافة الإسلامية . ولقد زج لورنس بالعرب في معركة

مع الترك لحساب الاستعمار والصهيونية العالمية بعد أن أعلنت خدعة إقامة الدولة العربية بعد الحرب واستطاع هذه الخدعة أن يمزق وحدة العرب والترك في الدولة العثمانية وأن يعلن الاقتتال بين المسلمين حتى إذا ما تحررت سوريا وفلسطين من نفوذ الأتراك سيطر عليها الإنجليز والفرنسيين وأعلنوا أن الحروب الصليبية التي كانت قد جاءت منذ ثمانمائة عام قد انتهت .

(٣) الفلسفة الماسونية المسمومة

كانت الماسونية هي الواجهة الأولى الى اتحضنت حولها اليهودية التلمودية لنفث سمومها في المجتمعات والفكر وتغيير القيم والمفاهيم وقد استطاعت بها السيطرة على المجتمعات الغربية والفكر الأوربي ثم انتقلت المحاولة إلى مجال الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي بعد أن تشكلت المحافل الماسونية في البلاد الإسلامية بدعوى أنها عامل من عوامل مقاومة الاستعمار والاستبداد . وجل الذين دخلوا في هذه المحافل كانوا يستهدفون اتخاذها وسيلة لمقاومة الاستبداد الذي فرضه حكام الشرق وأمرائه ، أو النفوذ الأجنبي الذي فرضه الاستعمار ظناً منهم أن هذه الجماعة قد استطاعت أن تقضي على مظالم الناس في الغرب حين استطاعت إشعال الثورة الفرنسية والثورات الأخرى وكانت هذه هي بعض أساليب الإغراء التي حملها دعاة الماسونية إلى أهل العالم الإسلامي فخدعوهم بها ، ولم تكن قد تكشفت بعد تلك الخلفيات البعيدة المدى للمحافل الماسونية أو الثورة الفرنسية . ويمكن القول أن أول من تنبه لخطر المحافل الماسونية هو السلطان عبد الحميد ولكن أسرار هذه المحافل وخلفياتها ظلت خافية على المسلمين والعرب حتى سقوط السلطان عام ١٩٠٩ وقيام حكم الاتحاديين ربائب المحافل الماسونية الذين احتوتهم الصهيونية العالمية لخدمة أهدافها . ومن ثم بدأت تتكشف قليلا قليلا تلك المخططات وعرف في هذا أن الإنقلاب العثماني كان ثمرة المحافل الماسونية وإن الدوامة واجهة اليهود في تركيا قد استطاعت إحتواء جماعة الاتحاد والترقي لخدمة أهداف متبادلة يتحقق بها للاتحاديين الوصول إلى الحكم ويتحقق بها للصهيونية العالمية الوصول إلى فلسطين . ونحن في سبيل دراسة مخططات الصهيونية التلمودية حيث لاتعنيان الماسونية غير مخططاتها (وقد تناولنا تاريخها في كتابنا : الإسلام والدعوات الهدامة) نجد أن التلمودية قد استطاعت أن تطرح مفاهيم الإلحاد والمادية والمادية وسموم الهدم والتدمير والإلحاد

والاختصار للأديان في تضاعيف تلك التعليقات التي كان يتلقاها أتباع المحافل والتي كانت أساساً لنجاحهم وفوزهم في كسب عضوية المحافل أو رسومهم . ذلك أن فلسفة الماسونية قد حرصت على ابتعاث الفكر الوثني والإباحي والباطني القديم كله وإعادة صياغته من جديد على حد قول القائل : لقد نبشت الماسونية قبور أبيقور الكلبي وأحييت ما بلى من عظام مذهب الدهريين ونبذت كل تكليف ديني وغرست بذور الإباحية والإشترار وزعمت أن الآداب الإلهية عمليات خرافية كما زعمت أن الأديان مخترعات أحدثها نقص العقل الإنساني وأنكرت الألوهية ورفع روادها وخاصة (فولتير ورسو وديدرو) عقيدتهم بالتشنيع على الأنبياء وألف فولتير الكتب في تخطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح في أنسابهم وعيب ما جاءوا به فأخذت هذه الأباطيل في النفوس مأخذها ونالت من العقول مناها فنبذ الناس في أوروبا الديانة المسيحية ونفضوا أيدهم منها ، ثم جاء طه حسين وجورجي زيدان وسلامة موسى وغيرهم لينقلوا هذا الفكر الوثني الإباحي إلى اللغة العربية بعد أن تحول في المحافل الماسونية إلى عقائد . وابتدعت الماسونية عبارة مهندس الكون الأعظم ، لتحل محل اسم الله تبارك وتعالى بدعوى أنها توافق ذوق كل من يطلب الدخول إلى الماسونية سواء أكان مؤمناً أم مادياً أم كافراً وهي خدعة ماسونية التجاؤ إليها بينما هم في أعماقهم وفي الدرجات العليا من الماسونية ينكرون وجود الله ويفرضون ذلك على أعوانهم . إن الهدف الأساسي للتلمودية الصهيونية الذي تتولى تحقيقه المحافل الماسونية هو سيادة الانحلال الروحي والفساد الأخلاقي حيث يقول البروتوكول الثالث : إن فصلحتنا تقتضي بالحلل الشعوب غير اليهودية . ومن هنا يمكن تقييم مدى الخطر الذي نفض إلى المجتمع الإسلامي عن طريق هذه المفاهيم التي انطلقت في الصحافة والثقافة وحاولت أن تكون لها تياراً خطيراً كان بعيد الأثر في الهزائم والأخطار التي حاقت بالمسلمين والعرب في السنوات المتصلة منذ بدأت الصهيونية التلمودية تركيز على الفكر الإسلامي لاحتوائه وقد أجمع قادة الماسونية على أن الماسونية تعتبر الإنسان كبهيمة عجماء خالية من النطق فهو على مذهبها آله صماء بلا نفس عاقلة . وإن غاية الماسونية القصوى أن تسوق البشر إلى فكرة فك كل قيد يضبط شهواتهم ليخلعوا كل سلطة وينبذوا كل دين ويعيشوا عيش الحيوانات غير الناطقة وينقادوا إلى أوامر زعماء الماسونية انقياداً أعمى (كتاب الماسونية وأسرارها) من هنا نرى كتابات مازكس وفرويد وسارتر ودور كايم وغيرهم تستهدف تحقيق هذا الهدف وتحويل هذه الغايات التلمودية البعيدة المدى في استعباد الشعوب وتدميرها إلى نظريات في

النفس والأخلاق والأدب والاجتماع ثم جاءت تبليغة كتابنا أمثال : أمين الريحاني وفيلكس فارس وطه حسين وسلامة موسى ولويس عوض وغيرهم محققة لهذا الهدف بترجمة تلك القصص المكشوفة الفاجرة ، وإشاعة هذه الروح من التحلل في الثقافة والأدب والفكر جميعاً . تقول الفلسفة الماسونية : إن حرية الآباء لا تتفق مع مصالحنا وعايائنا أبداً ، ولذلك يجب تربية الأطفال وفق مناخ مقدر من قبل دولتنا : والسيطرة على الشباب هي من أولى غايات الماسونية وأهدافها يقول : دعوا الكهول والشيوخ جانباً وتفرغوا للشباب بل تفرغوا حتى للأطفال فإنه لا بد من تربية الأطفال بعيداً عن الدين وعندما ترى الآن كيف تصدر الكتب عن الشباب وعن الأطفال وكيف يدعون إلى كراهية الآباء والأسرة وكيف تتعالى الصيحات بأن الاجيال يجب أن تكون حرة وإن هذه الاجيال ليس لها أساتذة أو معلمين وحين نجد ازدياد الصراع بين الآباء وآبائهم نعرف كيف استطاعت هذه الآداب أن تفسد الاجيال الجديدة . وتقول نشرة مجلة فرنسا الجديدة الماسونية : إن ذوى الغرائز السافلة أكثر عدداً من ذوى العواطف الشريفة ، كل يتطلب السلطة ويود لو كان صاحب الأمر والنهى وقليلون هم الذين يقيمون الخير العام فوق منفعتهم الشخصية . ولا يخفى أن مجموع الشعب يسير وراء الأميال المتغلبة والخرافات والعادات والتقاليد والمذاهب المؤثرة في العواطف ، وما منزلة فضيلتي الصديق والاستقامة في الأمور السياسية سوى منزلة عيوب ونقائص (الغاية تبرر الوسيلة) ومعنى هذا هو إفساد أخلاق المجتمع ونظم الحكم في الشعوب . ويؤكد الباحثون أن الفلاسفة الذين ظهوروا في أواسط القرن ١٨ قد عملوا وضع الفلسفة الماسونية المسمومة التي تنكر وجود الخالق والزعم بقدم العالم وعدم الحاجة إلى الأخلاق والفضائل . وإن هذه الفلسفة الماسونية قد ظهرت بعد ذلك في كل بلد على السنة بعض الكتاب ونشرتها صحفهم وذاعوا بها ومن دعواهم : الوطنية لينفسح أمامهم الطريق إلى السيطرة ويقولون أن الاخلاق خيال باطل وكذب محض وأن الرايات الوطنية هي آية الظلم والاستبداد ويقولون أن الوطنية هي العامل الذي يقف أمام غاياتنا وهم يهاجمون أيضاً نظام الجندية وشرف العسكرية . ويدعون إلى خراب الألفة البشرية ومحاربة الأسرة والمهجوم على رب العائلة ، وإن الأمر الجوهري في استمالة الناس إلى جماعتهم إنما هو لإفراد الرجل عن عائلته وإفساد أخلاقه والدعوة إلى الخلاعة وإفساح الطريق له حتى يقضى على نظام الزواج فتنتهدم الأسرة ، وهم يدعون إلى تسامح الرجل في أمر زوجته ويصفون الزنا بأنه شريعة الطبيعة وتقول كتاباتهم : أنه لو بقي البشر على سذاجة

طبيعتهم لكانت النساء كلهن مشركات بينهم . وهكذا تصل عملية المدم للمجتمع والأسرة والشباب إلى أبعد الغايان والفلسفة الماسونية هي التي حاولت أن تربط بين الغدد والأخلاق وتلغى إرادة الإنسان وأخلاقه وقدرته الخاصة على الاختيار بين الخير والشر وهم يجددون الفلسفة الأغريقية القائمة على عبودية الناس للناس ويجعلون من المرأة أداة للمتعة ويدعون إلى تقديس الجمال وعبادة الجسد . وينشرون هذه المعاني الفاسدة بعد أن هدمتها المسيحية وسحقها الإسلام ونشر بدلا منها الأخاء الانساني وتكريم المرأة وتقديس الأخلاقيات على المعاني الجمالية . وقد ثبت بوثائق أكيدة في بعض محافل الماسونية قولهم : إن إبليس هو رئيسهم وأنه هو قائد الإصلاح البشري وهو المطلق لحرية العقل ويقول اليهودى لمن : أشيد بذكرك يا شيطان يا ملك وليمتنا وأقرئك سلامى الطيب يا إبليس وأرفع إليك بخورى المقدس أنت الذى قهرت يهوه إله الكهنة . وقد حاولت النشرات الماسونية أن تربي أسلوب التحلل والفساد في أتباعها ومن ذلك ما وجهته إلى أعضائها : ما رأيك في الحب الحر أو الزواج الحر المحرر من شرائع الدين ، هل عدم التعدى على حياة الأفراد هو عندك مبدأ مقرر ، ما رأيك في إسقاط الجنين وقتل الطفل ، ماذا تفهم بحرية الفكر ، لو أمرت بعمل ما يصاد آراءك فماذا تصنع ولا ريب أن هذه أفاق من الشر والفاحشة والحق على البشرية جد خطيرة تحاول الفلسفة الماسونية آثارها في نفوس أتباعها . وهكذا نجد التلمودية الصهيونية قد نشرت تحت لباس الماسون أول اتجاهات الهدم للمجتمعات ومحاربة الأديان بالدعوة إلى الفسك الحر ، وبذلك أسقطت القيم الدينية والأخلاقية وفتحت الباب واسعا أمام تحقيق أمبراطورية الريا التي لا تقوم إلا بالفساد . ولقد ترجمه كثير من كتاب العرب مؤلفات أريد بها ترويح هذه المعاني وإثارة مفاهيمها في عقول ونفوس المسلمين والعرب ومن ذلك كتاب (هكذا تكلم زرداشت) الذى ترجمة فيلكس فارس عن نيشة كما ترجم أيضاً (إعرافات دى موسى) وقد أشار في مقدمة كتابه أنه يود أن يقدم لشباب الشرق العربى هذه المعاني التى يرى أنها علاجاً أدبياً لداء العصر ، كذلك تجد في كتابات أمين الريحاني تقديره البالغ لهذه المعاني وترويحاً لها ودعوة إلى تكريم فولتير الذى جاهر بحرية العبادة وطعن الأديان . يقول الدكتور متعب مناف : إن الجمعيات الماسونية عصابة دولية قصد منها إلى إماتة الشعور القومى والخلقى لدى أعضائها وإيقاعها فريسة الخوف والطلاسم حتى يبقى كل منهم مشلوداً بالجمعية وعلى استعداد للتضحية بقيم الدين والأخلاق والخلق والقومية

في سبيل تحقيق الأهداف التي ستطلبها رغبات الطغمة الموجهة ، وقد فسروا هذه المعميات بالشكل الذي يضيع كل القيم الدينية والقومية وللتأكد من ضرب هذه القيم لابد من انتزاع كرامة الإنسان عن طريق إيقاعه تحت عامل الخوف بجو رهيب بين الهياكل العظيمة ومناظر الموت والجحيم حيث يلف العضو الجديد ويوضع في تابوت وقد استغلت التلمودية الصهيونية نوادي الروتاري والليونز في سبيل بث التعاليم الهادفة للسيطرة على العالم عن طريق حصر الجنس والمال والقوة السياسية في أيدي حفنة من اليهود وجعل هذه المنبهات القوية لبني البشر وسائل تتحكم عن طريقها الأطماع اليهودية في تغيير تركيب العالم السبائي والاقتصادي والفكري بما يتفق مع المخططات اليهودية . وهكذا نرى كيف أن موجة عاصفة من التحلل الخلقي والإلحاد والإباحية والشكوك قد ألقيت في أفق الفكر الإسلامي ، تحت أسماء مختلفة منها الأدب الغربي ومنها مدرسة العلوم الاجتماعية ومنها مذاهب التحليل النفسي والتفسير المادي للتاريخ والوجودية وغيرها وهذه كلها ليست في حقيقتها إلا صياغة لها طابع علمي براق وكذاب للمخططات التلمودية التي نفثت سمومها تحت اسم الفلسفة الماسونية وكونت عليها أجيال وأتباع وقد وجدنا هذه التجربة ومن يكتب عنها في بلادنا حين كتب الدكتور أحمد غلوش يكشف بعض أسرار الماسونية ويقول أنها تخالف مبادئ الإسلام ويقول : كنت قد دخلتها وتركتها من زمان بعيد لما تبينت منافاتها للأصول الاجتماعية ومخالفاتها لوصايا الأديان السماوية وأن أتباع هذه الطقوس يتنافى مع جميع الأديان لأنه يتنافى مع الكرامة الإنسانية (المصور ١٤-١٩٣٩) ولكن الصحف التي كانت على ولائ كامل للفكر التلمودي في الفترة وخاصة الهلال والمقتطف والمقطم والأهرام فإنها لم تترك هذا الرأي يمر هكذا دون أن تحشد له من ينقده من أتباع الماسونية الذين أشاروا إلى أن عدداً كبيراً من أعلام مصر كانوا من أتباع الماسونية وفي مقدمتهم كما ذكرت المصور : الخديو توفيق ، حسين فخري باشا ، سعيد زغلول ، إدريس راغب ومحمد عبده ، قاسم أمين ، محمد بخيت ، جمال الدين الأفغاني ، الأمير محمد علي ، أحمد ماهر ، حسن نشأت ، مكرم عبيد ، حسين صبري ، فؤاد أباطة ، علي جمال الدين ، علي عبد الرازقي ، حامد الشواربي ، محمد خالد حسنين ، فارس عمر خليل مطران ، حبيب لطف الله ، فهمي ويصا ، يوسف وهبي ، وقد تأسس أول محفل في مصر ١٨٣٠ وعرف بتبعيته إلى محفل يورك في لندن ولا ريب أن هذا يعني أن للماسونية دوراً كبيراً في الاحتلال البريطاني وفي الخطط السياسية والاجتماعية التي توالى منذ ذلك الوقت .

ويمكن القول أن العالم الإسلامي قد عرف مثل هذه المحافل في هذه الفترة بالذات وبذلك نتعرف الى نفوذ الصهيونية التلمودية ومدى تأثيرها على تزيف الفكر والثقافة وإفساد الأخلاق . وأن غاية الماسونية التي هي تطعيم أكبر مجموعة من الكتل البشرية بأفكار التلمود كانت واضحة في تنفيذ هذا المخطط . وهي الدعوة إلى إشاعة الإباحة والزيلة التي يعتبرها اليهود وسيلتهم الأولى لتحقيق أغراضهم ، وقد تيسر لهم ذلك بتحكهم في التمثيل السينائي وكتابة الروايات ونشر المودة وعن طريق الجمعيات الرياضية والفرق الموسيقية والمسارح والصور الخليفة والروايات الخارجة والإغاني البليئة والمواخير وغيرها من المؤسسات التي تربي الناشئة عقلياً وجسدياً وعن طريق الصحافة والثقافة وتحرير المقالات المخالفة للدين والأخلاق ونشر الأدب المكشوف والعلماني الخالي من كل دين المجرد من كل اعتقاد ويمكن القول بلا تحرج أن ما يسمونه « الفكر الحر » ما هي إلا مؤامرة تلمودية يهودية تستهدف القضاء على كل مقررات الأديان والأخلاق وأنهم هم صانعو نهجها ودافعوا دعائها إلى العمل ولقد وجدنا هذه الدعوة تستشري في أفق الفكر الإسلامي في الثلاثينات والأربعينات وتقدم كل معاول الهدم للقيم .

(٤) الصهيونية : امبراطورية الربا

مهدت الماسونية الأرض للحركة الصهيونية : حتى مكنتها من أن تحقق انتصارات ثلاث : هي السيطرة على المسيحية الغربية وأوروبا بالثورة الفرنسية وعلى المسيحية الأرثوذكسية وروميا بالثورة البلشفية وعلى بلاد العرب والإسلام بإسقاط الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية . وبذلك أصبحت أهداف [امبراطورية الربا] قابلة للتحقيق في تقدير مخططهم وأصبح في استطاعة اليهود أن يعلنوا أنهم قادرون على تنفيذ مخططهم الذي تضمنته بروتوكولات صهيون وفي الحرب العالمية الأولى حصل اليهود على وعد بلفور بإنشاء وطن قومي في فلسطين ، وفي الحرب العالمية الثانية قامت إسرائيل في قلب الوطن الإسلامي ثم استطاعت أن تسيطر على القدس عام ١٩٦٨ . غير أن هذه الانتصارات المتوالية التي تمت في غفلة من المسلمين وقبل أن ينتبهوا إلى المحاذير التي وقعوا فيها نتيجة استسلامهم لمخططات الغزو التلمودي والتغريب الاستعماري طوال أكثر من قرن من الزمان قد صدمتهم صدمة أيقظتهم لكي يكتشفوا هذا الخطر ولكي يتحركوا إلى طريق الإصالة والنماس منابع دينهم وأسلوب فكرهم الذي

هو الطريق الوحيد الذى يستطيع أن يصل بهم إلى تدمير أمبرطورية الربا ولقد كانت معركة العاشر من رمضان علامة على ذلك الطريق . لقد أتاح وقوع بروتوكولات صهيون فى أيدي غير اليهود فرصة لكشف هذا المخطط الدموى الماكر ، وكان خليقاً بالمسلمين والعرب أن يتنبهوا ويأخذوا حذرهم ويلتسمو الطريق إلى المقاومة والمواجهة وبروتوكولات حكام صهيون أو [الإنجيل البلى] كما أطلق عليه سرجى نياوس أول من نشره على العالم باللغة الروسية من سبعين عاماً هو صباغة عصرية لأحكام التلمود وضعت فى روسيا تستهدف إخضاع الشعوب وتأسيس امبراطورية صهيونية برأسها ملك ليكون امبرطوراً للعالم كله على أساس القدرة على السيطرة على الصحافة والذهب فى العالم ، ولقد تعالت صيحات اليهود بمحاولة التنصل من البروتوكولات والإدعاء بأنها زائفة وقد ساعدهم الماركسيون على ذلك ودافعوا عنهم دفاعاً شديداً كما حاولوا التفرقة بين الصهيونية واليهودية . وقد أحصيت تصريحات خطيرة فى تصوير اتجاه المخطط منها قول الحاخام نيبا موزغ : اليهودى لا يقنع بهزيمة المسيحية بل يريد تهويد أتباعها . ومهما حاول اليهود التنصل من البروتوكولات فإنها تفضحهم وتدمغهم ، فإن مجريات الأحداث كادت تجرى وفق المخططات ، وأن نصوص البروتوكولات تكشف أخلاقيات اليهود فى واضحة الدلالة على روح البغضاء والعنصرية والتعصب الدينى والجشع للسلطة ، وأنها لا تتعارض مع أساليبهم ومطامعهم وأهوائهم على نحو يؤكد صلته بهم وصلتهم به فالمخططات تؤمى بما يريد اليهود أن يفرضوه على العالم من قدرة وسلطان على إحداث المؤامرات والانقلابات والمشاكل والثورات وأن دعواهم إلى قسمة العالم إلى معسكرين يتناحran قد تحقت فعلاً . وإن ما ورد من تصريحات متعددة يدل على أن الصهيونية جادة فى العمل للسيطرة على العالم . وما يدل على سلامة نسبة البروتوكولات إليهم أن عدداً من النبوءات التى تضمنتها قد تحققت فعلاً وأهمها نبوءة تدمير القيصرية الروسية ونشر الشيوعية فيها ونبوءة سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية على أيدي اليهود ونبوءة عودة اليهود إلى فلسطين ونبوءة سقوط الملكيات فى أوروبا وقد زالت الملكيات من ألمانيا والنمسا ورومانيا وأسبانيا وإيطاليا ونبوءة إثارة حروب عالمية لأول مرة فى التاريخ يخسر فيها الغالب والمغلوب ولا يظفر بمغانمها إلا اليهود وتلتقى مع البروتوكولات لتزكى مصدرها كل كتابات اليهود فى جميع العصور ، فكتابات [ماكس نوردو] وكتابه الانحلال الذى أصدره عام ١٨٩٣ وحمل حملة شعواء على الحضارة الغربية ثم كتابات : شينجلر ، وجويلز ، وبرادانيف من نفس الطراز وكتابات

هرتزل (الدولة اليهودية) ومذكراته تسير في نفس الخط والاتجاه وتفصح نفس المخطط وتكشف يوميات هرتزل الأسلوب والوسائل التي اتخذتها الصهيونية في تحقيق هدفها وكلها تقوم على الرشوة والكذب والعنف والانتهازية وكأنها هي التطبيق العملي للبروتوكولات وإن ما كتبه هرتزل قبل سبعين سنة تقريباً هو نفسه ما حدث في السنوات الأخيرة وهو نفسه ما نفذته الحركة الصهيونية ولقد كانت محاولات هرتزل كلها تتركز حول إغراء السلطان عبد الحميد وأعوانه فلما فشلت المحاولات بدأت عمليات التهديد ومحاولات الاغتيال وانتهت بالمؤامرة التي نفذت بواسطة الدوثة وحزب الاتحاد والترقي. يقول الأستاذ نجيب صالح أن مذكرات هرتزل تحكي قصة الصهيونية وكيف استغلت ضعف تركيا فأرادت أن تشتري فلسطين منها واستغلت عطف حكام أوروبا والبابا وتاجرت بهم حيث تدعو الحاجة وكيف أن فلسطين لم تكن إلا مجرد أرضية من الأراضي التي تحط عليها الآمال الصهيونية وتحمل المذكرات أنموذج التفكير الصهيوني وأسلوبه المراوغ . ومن يوميات هرتزل يمكن استخلاص حقيقة أساسية هي أن الحركة الصهيونية تنسق مع الاستعمار دون أن تنمي هدفها العنصري وأنها استعملت في تحقيق غرضها وسائل لا أخلاقية وهي تؤكد البروتوكولات وتمضي مذكرات وايزمان زعيم الحركة الصهيونية وأول رئيس في نفس الاتجاه وتكشف النقاب عن التعاون الوثيق بين قوى الاستعمار واليهودية العالمية في محاولة تسليم فلسطين لليهود بدون سكان وقد قامت المحاولات كلها على الرشاوى والتحايل على القانون والدعابات المضللة والتهريب والمؤامرات السرية والعلنية وأفطع طرق التعذيب والوحشية وعمليات الإبادة بالجملة ولقد كان وايزمان أشد مكرراً ودهاءاً من هرتزل ويرى أن هرتزل كان رجلاً ساذجاً ويقول أما أنا فكنت أعتبر الحركة الصهيونية عملية إرتقاء حيوية يجب أن تنمو كما تنمو (الغرسة) علينا أن نراقبها ونعني بها إلى أن تصل إلى درجة النضوج . وكان الصهيونيون الروس يتمسكون بما قاله حكماء اليهود (الذي لا يمكن للذكاء أن يفعله فإن الزمن أي العمل والسعي والتنفيذ سيعمله) وإن هرتزل لم يكن من الشعب لذلك لم يدرك القوى الكامنة وإن هرتزل فشل في خطته المبنية في الاعتماد على الأغنياء وعلى الطبقة العليا وأصحاب النفوذ والبنوك والممولين . أما نحن فلم يكن لنا إيمان أو ثقة بتلك الطبقات هكذا ونجد إن ما رسمته البروتوكولات هو ما يقوم به هرتزل ثم وايزمان ومذكرات ناحوم جولدمان تكشف عن نفس الخط : خط التآمر والغدر وفكرة جولدمان تدور حول اقناع العرب بقبول

الوطن القوي اليهودي وهذا الاقتناع كما يراه جولدمان له وسائل غريبة فصلتها البروتوكولات غير أن هذه المحاولة لا يمكن أن تمر في موازين التاريخ والبشرية وطبائع الأشياء. ذلك لأنها تقوم في أساسها على أسلوب الاغتصاب والإرهاب مما يحول بينها وبين الحياة والاستمرار . حيث يقوم الأمر على إدعاء غير صحيح في واقع التاريخ أو الكتب المنزلة ، والوصول إليه يتم بالتلفيق والباطل ، والوسيلة إليه إبادة أهل الأرض الحقيقيين لإسكان قوم مهجرين من أرض أخرى ، ثم يقوم على دعوى الوعد الذي يدعى أنه أعطى لأبناء إسرائيل قوم ليسوا من بني إسرائيل أصلاً ثم هم اليوم وبعد أكثر من ربع قرن لا يملكون القدرة على الإقامة والاستكفاء الذاتي بالرغم من أنهم اعتصبوا أجود أراضي الشام ، فما زالت أمورهم تدار عن طريق الإعانات التي يأخذونها بالتهديد من أثرياء اليهود وعلى الاتفاق مع الدول الكبرى على أداء دور كلب الحراسة للنفوذ الاستعماري ، وما تستطيع هذه التلفيقات كلها أن تقيم دولة يكتب لها البقاء : ثم إن إسرائيل تعيش داخل عالم عربي يتجاوزها نحو إلى ٢٠ أو ٣٠ مرة وأن هذه العالم في طريقه إلى إمتلاك الثروة والطاقة والتفوق البشري وأنه مع مرور الزمن لا بد أن يزيل هذا البناء الزائف المبني على الرمال (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله خير من أسس بنيانه على شئ جرف هار فانهار به) . يقول ناحوم جولدمان : إن إحدى التجاوزات العظمى في تاريخ الصهيونية هو أنها لم توجه الالتفات الكافي للعلاقات مع العرب حتى الصياغة اللامعة للمسألة اليهودية . أنها مشكلة [تحويل شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب] ترتبط بقدر مزعج من العمى عن رؤية المطلب العربي في فلسطين ، ففلسطين لم تكن أبداً ، أرض بلا شعب حتى في زمن هرتزل ، لقد كانت مأهولة بمئات الألوف من العرب الذين كانوا سيحققون في مجرى الأحداث المعتاد عاجلاً أو آجلاً دولة مستقلة منفردة أو وحدة في إطار عربي كبير » . وهكذا تبدو الصهيونية على أيدي دعايتها وقادتها عملاً إجرامياً وغير أخلاقي ولا أساس له لا من التاريخ ولا من المنطق ولا من طبائع الأشياء وإنما هو قائم بالادعاء والتامر والغصب والسيطرة وكلها عوامل لا بد أن تتحطم بمرور الزمن وتكشف زيفها للناس وحتى بعد عدوان ١٩٦٧ فإن رأى المراقبين أن إسرائيل قد بعدت عن السلام ، وأن هذه الانتصارات العسكرية لا تجلب لها الاستقرار وأن العرب والمسلمين لا يمكن أن يقبلوا بالغزو لا يقيموا على الضيم ولن تحتويهم الخطط التي وضعت لحصرهم في حل عربي وإنما هم ينطلقون الآن إلى حل إسلامي عن طريق الجهاد . ويقف الآن الميربرجر وألفريد لينتال وجارودي

موقف المعارض لبقاء إسرائيل ولكن الحسن العربي الإسلامي لا يرى في ذلك إلا نوعاً من الخداع ومحاولة لأن يقسم اليهود أنفسهم إلى صهيونية وغير صهيونية ليخدعوا العرب ويدعوا إلى الفصل بين اليهودية والصهيونية والواقع الذي تشهد به مختلف وثائق الصهيونية وكتاباتها الأصلية أن الصهيونية واجهة لليهودية التلمودية ، وآية ذلك أن التوراة المكتوبة بأيدي أحبار اليهود تتضمن نفس الهدف والمخطط الذي تسعى إليه الصهيونية الحديثة وتعمل من أجله : هدف الادعاء بالسيطرة على أرض الميعاد من النيل إلى الفرات باعتبارها وعداً خاصاً لإسرائيل وليس وعداً عاماً لإبراهيم وذريته ومنهم إسماعيل والعرب والمسلمين . وأن المحاولة قد بدأت بعد الضربة التي وجهت إلى اليهود في روسيا القيصرية على أثر مؤامرتهم وأنهم كانوا يستهدفون الحصول على أى أرض تأوى هجرتهم وأن فلسطين بالذات لم تكن في مخططاتهم إلى وقت طويل وإنما كان هناك محاولة للوصول إلى أى مكان في ظل إثارة مشاعر العالم حول نكبتهم وخداع المسيحيين البروتستانت بما ورد في التوراة وتجنيدهم للعمل من أجلهم وإذا كانت اليهودية دين والصهيونية حزب سياسى فإن الخلاف بينهما ليس في الأهداف والغايات وإنما في الوسائل حتى تعطى اليهودية للصهيونية إنطلاقاً في الحركة ويمكن القول عند تجاوزها للمخطط المرسومة أن ذلك ليس من الدين ولكنه من السياسة فالأمر كله خداع ، والخطوات كلها انتقال من حق مزعوم إلى أسلوب عجيب من المراوغة . ولقد طرحت الصهيونية بيروتوكولاتها في أفق الفكر البشري أسلوباً من أقسى أساليب الفساد والانتهاك للحرمان والوصولية وإنكار الخلق والرحمة وأقامت ذلك الروح من الانتهازية الذي حملت لوائه من بعد كل المذاهب المادية وفي مقدمتها الماركسية والفرويدية والوجودية ولعلنا حين نقرأ قولهم مثلاً : (كلما وجدنا أنظار الرأي العام العالمى تتجه نحو الحقيقة يجب أن نعمل على تحويله إلى اتجاه آخر ، أن واجبنا أن نشغله عن أى طريق أو تفكير جدى سليم بإثارة موضوعات لها طابعها الإباحى ولتلهيهم وتملأ فراغهم بمختلف أنواع الملاحى والمباريات الترفيحية والفنية والرياضية : شعارنا القوة والرياء وفي سبيلهما وللوصول إلى غايتنا ينبغي أن لا نحجم عن اللجوء إلى الرشوة والخداع والخيالية . علينا أن نقدم دون تردد على اغتصاب ملكية الغير) . هذا الأسلوب في التعامل مع الناس والمجتمعات من شأنه أن يطرح في أفق المجتمعات روحاً خطيرة من الفساد والجريمة ، يتعارض تمام المعارضة مع روح الدين الحق ومع تعاليم الإسلام التى دعت إلى الأخلاق والرحمة والتقوى والسباحة . وحيث نجد دعوة (التلموديين إلى الحط

من كرامة رجال الدين) نغجب لسريان هذا الروح في أفق المجتمع الإسلامى وحين نرى الدعوة إلى اتخاذ وسائل العنف والخديعة والمكر نأسف لسريان هذا الروح في أخلاق المسلمين وحين نرى التلمودية الصهيونية تعمل على إثارة روح الإنحلال والفساد الأخلاقى نجد تقبلاً شديداً لهذه الفلسفة ونجد نتائج ذلك غاية في الخطورة على المجتمع الإسلامى . فلقد شاعت هذه المعانى التى تعمل على تقويض أركان الإيمان فى الشعوب والأمم على نحو من شأنه أن يؤدى إلى زلزلة مكان العقيدة فى النفوس وهكذا نجد أن المقررات الصهيونية فى إفساد المجتمعات الغربية قد تسربت إلى المجتمع الإسلامى مع الفلسفات والنظريات المادية التى تدرس اليوم فى كثير من معاهد الإرساليات والجامعات ، وإلى الآثار المترتبة على ما تطارحه الصحافة والكتب المترجمة من سموم وانحلال وخاصة فيما يتعلق بالقصة والرواية والمسرحية والفيلم السينمائى وما يتصل بذلك من المسارح والملاهى وعلب الليل والمخدرات والسموم والخمر واندفاع مجموعات من الشبات والفتيات فى طريق الإباحة والفساد . ولا ريب أن هذه التجاوزات التى يضطرم بها المجتمع الإسلامى كله هى من أكبر العوامل التى تؤخر تصفية الغزوة الصهيونية وتمد فى أمد الاحتلال الصهيونى الاستيطانى الذى يعتمد على تهديم المجتمعات وفسادها وتحللها وعلى المسلمين فى يقظتهم أن يعلموا أن هدف الصهيونية التلمودية هو إقامة إمبراطورية الربا التى لا تقوم إلا على الفساد والانحلال الذى يؤدى إلى الاستدانة والترف ورهن الممتلكات وبيع العقارات وتحول أملاك المسلمين فى ديارهم إلى مصارف الربا وتسديد القروض التى تتضاعف فوائدها عام بعد عام . أن هدف الصهيونية هو تهويد العالم فكرياً وإحلال مفاهيم المادية فى قلوب وعقول الناس وإعلاء حيوانية الإنسان وإذلال إنسانيته ومنع القوى الخيرة القائمة على بناء المجتمع الإنسانى . إن الربا والإباحة والتفرقة العنصرية واستغلال الشعوب هى دعوة اليهودية العالمية فى كل عصر وبيئة وهم يجدونها اليوم تحت أسماء عصرية ومذاهب أيولوجية . ويستخدمون فى سبيل ذلك ما سموه علوم الأنثروبوجيا والنفس والعلوم الاجتماعية ودعوات الانفجار السكانى وغيره لتبقى هذه المجموعة القليلة من اليهود المسيطرين على مقدرات الأمم وثروات الشعوب هم وحدهم المالكين ويبقى العالم كله بعد ذلك عبيداً لهم وخنما ولا يزال الصراع بين هذا الفكر البشرى الوثنى الإباحى المادى وبين الفكر الربانى المصدر الإنسانى الطابع وسيظل مضطرباً حتى يتم الله نوره ويحق الحق بكلماته ويتحطم هذا الفكر ويدمر هذا الكيان ولا بد للأمة الإسلامية أن.

تصمد في مجال الامتحان وأن تقوم على المواجهة والمقاومة والمرايطة في وجه هذا الخطر .
ثابتة ذاكره الله تعالى ، ملتزمة الأصالة والمنابع الأصيلة وقد كشف الله للمسلمين سنن المجتمعات
والحضارات وكيف يشهار الفساد والظلم فلا يبقى إلا الحق والخير . إن كل دعوة باطلة زائفة
لا بد أن تسقط مهما تمكنت ووجدت من يناصرها بالباطل ولقد يطول بالباطل الزمن ويخدع الناس
البريق الخاطف ولكن الحق لا بد أن ينتصر ولقد عرض الحق تبارك على المسلمين مزائق
الأمم التي هوت وأهمها أنهم خالفوا سنن الله تبارك وتعالى في الثبات على الحق والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر والمرايطة في الثغور فليلتزم المسلمون اليوم هذا المنطلق إلى النصر .
(عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) .

سادساً : الفكر التلمودي الصهيوني

محاولات الكشف عن زيفه .

(١) استكشاف أعماق المخططات

تعددت المحاولات لاستكناه أعماق الفكر التلمودي الصهيوني وظهرت مؤلفات كتبها
مفكرون لم تجربتهم وخبرتهم تكشف زيف هذا الفكر وتشير إلى أبعاده الخفية وإلى غاياته
الخطيرة ولعل من أقدم هذه الدراسات كتاب اليهودي الدولي الذي كتبه هنري فورد ونشرته
مجلة دير تورن عام ١٩٢٠ والتي تحول قرأتها بنشرة من مائتي ألف ٣٠٠ ألف ولقد استطاع
فورد أن يحلل النفسية اليهودية ومطامعها ويكشف خفاياها قال إن شريعة اليهود تسمح
للإهودي أن يعامل غير اليهود بقواعد تباين ما يجب أن يعامل به جاره اليهودي ، وقد
تفرقوا في الشعوب دون أن يمتزجوا بها أو يدخلوا عليهم ما ليس من خصائص جنسهم وأن
اليهود تسللوا إلى المنظمات غير اليهودية ليسيطروا من وراء ستار واستطاعت الدعاية اليهودية
أن تقنع الأمريكيين أن فلسطين هي أرض اليهود وأن اليهود أطلقوا على عداء الآخرين لم
اسم (اللاسامية) أي إن العداء موجه ضدهم لأنهم ساميون . وقد جاءت صيحة فورد بعد أن
حاول اليهود تطويق الإقتصاد الأمريكي فحاول بكتابته أن يكسر الطوق ويحرر الإقتصاد
فقال أن اليهود قد توجه جهدهم للسيطرة على الصحافة والمسرح والسينما بغية توجيه الذوق
العام والتأثير في الجماهير وقد تم لهم تكييف الرأي العام في أمريكا على الصورة التي يريدونها
فهو يملكون ٧٠ ٪ من الصناعات ويعيشون حياتهم الخاصة ويحسون بالتفوق على الشعب

الأمريكي ويسكنون منعزلين وأشار هنرى فوردي إلى الدور الذى قام به اليهود فى مؤتمر الصلح فأشار إلى أن باروخ اليهودى مساعد الرئيس ولسون فى مؤتمر الصلح كان له نفوذه حتى أن الأمور سارت بوحى اليهود الذين اجتمعوا فى باريس لغاية واحدة وهى تحقيق برنامجهم وتنفيذه وقد تمكنوا من تنفيذه كما يريدون دائماً . (وما يذكر أن باروخ لعب الدور الهام نفسه فى الحرب العالمية الثانية فقد كان اليد اليمنى للرئيس روزفلت طيلة سنوات رئاسته وصديقاً لتشرشل) وقال أن الصهيونية اعتمدت فى دعم سلطاتها على وسيلتين هما المال والصحافة وقد استطاعت الدعاية الصهيونية أن تقنع الأمريكيين بأن فلسطين هى أرض اليهود وأن ما يحتاجون إليه هو مساعدتهم فى العودة إليها . وقال فوردي أن اليهودى هو صاحب بدعة السوق المالية (البورصة) وبدعة حاملى السند (السند يدفع لحامله) وإلى بوالص الشحن المجردة من الأسماء والشركات المحدودة . إن اليهودى هو فى الواقع صاحب رمحوس الأموال الوحيد لكنه لا يشيد بذلك فى العادة وقد ساد نفوذ اليهود على سوق الأوراق المالية فى برلين وباريس وفرانكفورت وهمبرج وإن مصرف انكلترا قد أنشئ بإشارة ومعاونة يهود هولندا الفارين الذين أخفوا أموالهم تحت اسم (حامل السند) .

(٢) ويصور وليم جاي كار فى كتابه : « أحجار على رقعة الشطرنج » الدور الخطير الذى قام به اليهود فى تخریب العالم ، فيقول أن المخطط هو تدمير جميع حكومات وأديان العالم ويتم الوصول إلى هذا عن طريق تقسيم الجوبيم (غير اليهود) إلى معسكرات متنازلة تتصارع إلى الأبد حول عدد من المشاكل التى تتولد دوغماً توقف مشاكل اقتصادية وسياسية وعنصرية واجتماعية ويجرى تدبير حادث فى كل مرة يكون من شأنه أن تنقض هذه المعسكرات على بعضها فيحطمون الحكومات الوطنية والمؤسسات والقواعد الدينية . ولتحقيق الهدف أشار المؤلف إلى استعمال الرشوة والمال والجنس للوصول إلى السيطرة على الأشخاص الذين يشعلون المراكز الحساسة على مختلف المستويات فى جميع الحكومات وفى مختلف مجالات النشاط الإنسانى ويعد السيطرة على الصحافة وأجهزة الإعلام هدف أساسى فى تنفيذ هذا المخطط بحيث ينتهى الأمر بهم إلى حملهم إلى الاعتقاد بأن تكوين حكومة أممية واحدة هو الطرق لحل مشاكل العالم المختلفة . وقد أثارَت الصهيونية التلمودية الحروب الاستعمارية لإنهاك الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية وإنهم هم الذين نظموا الثورة الفرنسية عام ١٧٧٩ . ويشير إلى أن كارل ماركس كتب البيان الشيوعى تحت إشرافه جماعة من النورانيين .

التلموديين وفي نفس الوقت كان (كارل رينز) الأستاذ بجامعة فرانكفورت يكتب النظرية المعاكسة للشويعية تحت إشراف جماعة أخرى من النورانيين أنفسهم بحيث يكون كما ظهر في المستقبل في مقبرة رؤوس المؤامرة العالمية استخدام النظرية المتعاكستين في التفريق بين الأمم والشعوب بصورة ينقسم بها الجنس البشرى إلى معسكرين متناحرين ويمهد هذا للمرحلة التالية وهي تسليح كل من المعسكرين حتى يدمر بعضهما البعض ويدمران كل ما لهما من نظم سياسية وروحية . وقد أكمل العمل الذى وضعه (كارل ماركس ، و كارل رينز) فردريك نيتشه الذى عرف باسم فلسفة نيتشه وكان هذا المذهب الأساسى الذى تفرع عنه فيما بعد المبدأ الفاشيستي ثم المبدأ النازى وهذه المذاهب الثلاثة هى التى آذنت بإشعال نيران الحربين العالميتين الأولى والثانية . وكان مخطط التلمودية الصهيونية الذى يطلق عليه المؤلف اسم (النورانيين) يهدف إلى تنظيم ثلاث حركات عالمية . هى ١ - الشيوعية المشتقة من مبادئ ماركس . ٢ - النازية المشتقة من نظريات نيتشه . ٣ - الصهيونية السياسية . وذلك للتمهيد والإعداد لإشعال ثلاثة حروب عالمية والإعداد لإشعال نيران ثورات كبرى فالهدف من الحرب العالمية الأولى هو الإطاحة بحكم القيصرية فى روسيا وجعل تلك المنطقة معقل الحركة الشيوعية الاتحادية وتم التمهيد لهذه الحرب بواسطة الخلافات بين الامبراطوريتين البريطانية والألمانية هذه الخلافات التى ولدها عملاء الصهيونية فى تلك الدول وجاء بعد الحرب الأولى « بناء الشيوعية » كمنهج واستخدمها لنسف ما يمكن نسفه من الحكومات والدول وتدمير المعتقدات الروحية للشعوب . أما الحرب العالمية الثانية فقد مهدت لها خلال الخلافات بين الفاشيين وبين الحركة الصهيونية حتى تتمكن أخيراً من إقامة دولة إسرائيل فى فلسطين كما كان من الأهداف المرسومة ، أن يستمر بناء الشيوعية العالمية وتدعيمها حتى تصل إلى مرحلة تعادل فيها قوتها مجموع قوى العالم المسيحى الغربى ويقتضى المخطط عند ذلك إيقافها عند هذا الحد حتى يبدأ العمل فى تنفيذ المرحلة التالية وهى التمهيد للكارثة الكونية الثالثة والنهائية . أما الحرب العالمية الثانية فقد رسم مخططها على أساس أن تنشب نتيجة النزاع الذى يشور بين الصهيونية السياسية والعالم الإسلامى ويقضى المخطط المرسوم أن تقاد هذه الحرب وتوجه بصورة يحطم فيها الوطن العربى ومن ورائه عالم الإسلام . ويقول المؤلف أن اليهود قد أراحوا تعاليم الدين الموسوى وأحلوا محلها عديداً من المبادئ الهدامة والنظريات المادية والإلحادية التى تستهدف الأديان والشرائع السماوية وكل ذلك لإرضاء للحقد القديم على الإنسان ، هذا

الحقد الذى توارثه المرابون وكهنوت الشر منذ أزمنة سحيقة وللجشع إلى السيطرة على كافة
تخيرات الجنس البشرى وتجريد الجميع مما يملكونه ثم حرمانهم من حق التملك إلى الأبد وقد
تطورت هذه النظريات حتى ولدت الشيوعية وأصبحت قاعدة الهيجان العالمية ، وسلاح محفل
المرابين وقوى الشر الإلحادية لتحقيق مخططهم فى السيطرة على العالم وسكانه ويشير المؤلف
إلى أن الثورة الانجليزية كانت من صنع التلمودية الصهيونية ، فقد تمكنوا من شراء
(كرومويل) زعيم الثورة حتى استطاعوا بعد ذلك الإطاحة بالعرش البريطانى ثم بعد ذلك
نم تصفية كرومويل وسيطر المرابون العالميون على بنك إنجلترا والاقتصاد الانجليزى نتيجة
لما أثارته الثورة من اضطرابات . ويتحدث بعد ذلك عن الثورة الفرنسية وكيف تم تجنيد
الدوق أورليان ابن عم الملك لويس السادس عشر حتى صوت إلى جانب اعدام عمه فى البرلمان
الفرنسى ثم بعد ذلك أحاطوه بالفضائح إلى أن تمت تصفيته ووضع رأسه تحت المقصلة
ثم تلاء بعد ذلك غيره من أحجار الشطرنج التى حركها المرابون العالميون فكان يتم تصفية
كل واحد منهم عندما ينتهى الدور المرسوم له أو عندما يشعرون أنه عرف أكثر مما يجب
فسيق دانتون إلى المقصلة ثم لحقه روبسبير بعد أن أصابته رصاصة أعجزته عن فضح
المؤامرة . ويتحدث المؤلف عن الدور الذى لعبته اليد الخفية فى توصيل نابليون بونابرت إلى
القمة وكيف قامت تلك القوى بتمويل حركات نابليون لتدمير الدول المحيطة لفرنسا وكيف
كانت تلك القوى أيضاً تقوم بتمويل جيوش الدول الأخرى فى سبيل الإبقاء على حالة عدم
الاستقرار ضماناً لاستمرار العائدات المائلة من الأموال والتى تنأى من تجارة الحروب حتى كانت
نهاية نابليون التى خطط لها المرابون والتى تحكى فى ظاهرها غير أسبابها الحقيقية . ويتحدث
المؤلف عن التاريخ الخفى للتغلغل اليهودى فى أمريكا وكيف استطاعوا السيطرة على الاقتصاد
الأمريكى بالسيطرة على بنك إنجلترا وكيف أن أرباب المال العالميين خططوا لاغتيال الرئيس
الأمريكى بنيامين فرانكلين حينما فضح أهدافهم ثم أحكموا سيطرتهم على الاقتصاد الأمريكى
إلى اليوم . يقول المؤلف أنه بعد الحرب العالمية الثانية أضحت الكرة الأرضية كرقعة الشطرنج
عليها قطع من أناس يتخلون أنفسهم زعماء وقادة دول كبرى وكانت اليد الخفية تحرك
ستالين وتشرشل وروزفلت حتى اشتعلت الحرب وانتهت وتحطمت النازية وأنشئت إسرائيل
وبدأ السباق رهيب فلم تنته الحرب بحكم الصراعات الدائرة على الأرض بقدر ما فتحت
مجالات أخرى للصراع تكمن فى نهايتها الحركة الأخيرة فى لعبة الشطرنج الدولية « أ.ه. فإذا

أضفنا إلى هذا تصريح الحاخام عمانويل رايتوفيتش عام ١٩٥٤ نكتمل الصورة حيث يقول « أن هدفنا هو : ١- إشعال نيران حرب عالمية ثالثة . ٢- تحريض الولايات المتحدة ضد الإتحاد السوفيتي . ٣- اعتبار زعماء الدولتين مجرمي حرب . ٤- القضاء على الأجناس غير الإسرائيلية . ٥- قبل عشرات سوف نجعل البشر عبيداً لنا وسنوجه كل مخترعات الرجل الأبيض نحو فنائه .

(٢) وينطلق (شريب سبيريه فيتش) في كتابه : (حكومة العالم الخفية) عن إقناع كامل بوجود هيئة يهودية لها صفة عالمية قذر عدد أفرادها في أوائل القرن العشرين ثلاثمائة رجل يهودي يرأسهم أحدهم نظامهم دكتاتوري استبدادي ويعملون وفق خطة قديمة مرسومة للسيطرة على العالم فهم أشبه بحكومة خفية تحكم الشعوب بواسطة عملائها ولا تتوانى عن قتل أو تحطيم كل من يحاول الخروج عن طاعتها أو يقف في سبيل تنفيذ مخططاتها ولها من القدرة والنفوذ ما يمكنها من إيصال أى خفير إلى الزعامة وقمة المسؤولية وتحطيم أى قائد حينما نشاء وترجع هذه المحاولة في نظر المؤلف إلى أن اليهود لم يستطيعوا أن يقيموا دولة رغم محاولاتهم المتكررة التي كان تعقب كل منها تشتت جديد وتشرذم في مختلف أنحاء العالم ، وفي بابل بعد أن أغار بختنصر على مملكة يهوذا عام ٥٨٧ قبل الميلاد وساق أهلها أسرى اخترع زعمائهم فكرة الوعد ورسخوا في أذهانهم خرافة (شعب الله المختار) . ويشير المؤلف إلى علاقة الماسونية بالصهيونية التي لا يختلف عليها وهو تسلسل الصهيونية إلى الماسونية واستغلالها وهناك كثير من الناس من يجزم بأن الماسونية بجميع محافلها تدار عن طريق التسلسل من قيادة يهودية لا يدخلها غير اليهود . وتحاول الصهيونية الإدعاء بأن اليهودية أول دين محترم أنزله الله على هذه الأرض وإن ما عداه فهي أديان باطلة . وأن هذه الأديان أوجدت الفارقة بين الشعوب وإنهم بمجهوداتهم سيحطمون الأديان ويعيدون الناس إلى دينهم هم .

(٤) وقد استطاع أرنولد توينبي ومجموعة أخرى من المفكرين أن يستكشفوا أعماق المخططات التلمودية الصهيونية على نحو قدم هذه الحقائق : أولاً : إن فكرة الصهيونية والوطن القوي اليهودي فكرة لم يختلج بها قلب يهودى شرقى ، والعملية كلها من صنع أقلية صغيرة من نسل اليهود المرتدين الذين اعتنقوا اليهودية في المرحلة الأخيرة من تاريخها الطويل وإن الحركة الصهيونية تعتمد في زعمائها ودعاتها على اليهود السلافيين المنغوليين من أهل

بولندا ودول أوروبا الوسطى والشرقية . وإن هذه الحركة تنطوي على فكرة لا تمت بصلة إلى التراث التقليدي بل تعتبر من وجهة نظر اليهود المتدينين مناقضة لهذا التراث فكما أنها فكرة رجعية في صميمها ومحوطة بالمخاطر السياسية . ثانياً : إن اليهود الذين أغروا بالهجرة إلى فلسطين هم مجموعة من أخطا صعاك روسيا والنمسا والمجر وألمانيا وأسبانيا أملتهم الجاليات بالمال لتشييد بهم بناء دولة . ثالثاً : إن الحركة الصهيونية في ذاتها لم تكن قادرة على اغتصاب فلسطين وإنما حدثت المسألة لأن الغرب أراد أن يعوض اليهود عن المظالم التي حاقت بهم على الغربيين ولكن هذا التعويض لم يكن على حساب الغرب وإنما كان على شعب برى لا ينتمى إلى العالم الغربي ولا يمكن تحميله ما خلق باليهود من مظالم وتعتبر جرائم الصهيونية في حق العرب أشنع من جرائم النازية ضد اليهود . رابعاً : إن المسألة اليهودية عبر التاريخ هي وليدة الصراع بين اليهودية والمسيحية الغربية ولم يكن للعرب والمسلمين شأن في هذا الصراع فهم لم يسهموا في خلق المسألة اليهودية أو تفاقمها بل على العكس أتاحوا لليهود فترات من الأمن والاستقرار ولولا احتواء اليهود بالراية الإسلامية التي كانت حامية لأهل الكتاب لما بقى اليهود حتى الآن لما كان ينالهم من اضطهاد المسيحيين لهم باعتقادهم الفاسد في نبي الله عيسى وقد كانت المسيحية ولا تزال حتى الآن في روسيا وألمانيا والنمسا وأسبانيا بتعضيد اليهود تكن لهم أشد البغض وتعمل على قطع دابرهم ولكن الاسلام ترك لهم حرية عاشوا في ظلها آمنين قرونًا طويلة . خامساً : إن إنشاء الدولة الصهيونية في فلسطين لم ولن يؤدي إلى حل المشكلة اليهودية بل قد أدى إلى تفاقمها في صورة انقسام خطير في المجتمع اليهودي العالمي ذلك أن إمكانية القضاء على مقاومة عرب فلسطين أصحاب الحق الشرعي في البلاد معدومة تماماً لأنهم ليسوا من القلة والتخلف كالهنود الحمر أو سكان استراليا الأصليين وإنما يتمتعون بوفرة عديدة وتراث ثقافي وإنتباء للعالم العربي وكلها أمور تجعل إبادتهم مستحيلة .

(٥) يرى اليهود الذين يدعون أنهم غير صهيونيون فساد الفكرة الصهيونية ومن هؤلاء : الميربرجر الذي يقول : إن الصهيونية حركة سياسية تستخدم التاريخ لأغراضها الخاصة التي تسمى في الوقت نفسه للدين اليهودي كدعوة روحية عامة وتحصرة في دعوة سياسية قومية ضيقة فقيم الدين اليهودي مالا نجده في الصهيونية التي تمارس سياسة عنصرية ضد العرب مثلاً وهذه مخالفة مباشرة لتلك القيم وبالتالي فإن إقامة دولة إسرائيل بشكلها الصهيوني مخالف لصورة أرض الميعاد كما تحدثت عنها التوراة . ويرى الحاخام الميربرجر أنه ليس لإسرائيل

أى حق أخلاقى أو تاريخى بالوجود فى فلسطين ، ويرى خطأ محاولات الصهيونية فى بسط سلطانها على اليهود فى سائر أنحاء العالم ويلدين محاولة المنظمة الصهيونية العالمية باستخدام اليهود الأمريكيين كأداة فى يد السياسة الخارجية الإسرائيلية . أما ألفريد لينتال فى كتابه : (إسرائيل ذلك الدولار الزائف) فيقول إن الكثير من المسيحيين الغربيين اندفع إلى تأييد الصهيونية وإسرائيل كوسيلة من وسائل مقاومة خلق وحدة عربية إسلامية وإن بعض المسيحيين تقبل « الإدعاء » بأن التوراة تطالب بعودة يهود اليوم الموجودين فى منفاهم إلى فلسطين وإن الصهيونية أصبحت قادرة على استغلال المسيحي العادى فى أمريكا والمنظمات المسيحية لأهدافها وخاصة بعد تزايد التزاوج المختلط بين المسيحيين واليهود ، فإن اليهودى عندما يتزوج مسيحية فإنه يدعم قضية إسرائيل بقوة بينما الشريك المسيحي للزواج لا يستطيع إلا أن يبدي تسامحاً كاملاً مع رفيقه

(٢) بصحات التلمودية على النظام الغربى

كشف كثير من الباحثين عن بصحات التلمودية فى النظام الغربى : هذا الأثر الممتد منذ أكثر من مائة سنة فى مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع . حيث استطاعت التلمودية إملاء أوضاع ومذاهب عن طريق الماسونية أولاً (علاقاتها وطقوسها وهياكلها) وآخرها فى الشيوعية ومبادئها وغاياتها ، وفى التجارة والاقتصاد والمال ، هم مخترعو البنك والكمبيالة والأسهم ونظام الفواتير . وهم مصمموا الأزياء وزينة النساء ، وهم الذين أعلنوا نظام المنفعة ، سواء وافق الفضيلة أم خالفها والحق عندهم هو الذى يمشى مع القانون ولا تعاقب المحاكم عليه : هذه المبادئ وضعها اليهود وشاع العمل بها فى الغرب وإن جميع أنظمة الغرب التى كان لليهود أصعب فى وضعها أو تغذيتها أو فى تفسيرها ونشرها قد وضعت أما لمصلحة أصحاب رؤوس الأموال أو لمصلحة طائفة أخرى من أهل القوة والتأثير أو للترويج لنزعة من النزعات التى يرتاح إليها فريق ويسخط لها فريق . ويقول الدكتور سيسيل روث فى كتابه (تاريخ اليهود) : إن اليهودى انتهى بفعل الزمن إلى التخصص فى الاتجار بالمال والربا ، ذلك لأن اليهودى كان محروماً طوال القرون الوسطى من مزاوله أى مهنة أو حرفة أخرى . ويقول بازنب لينفيون مؤلف كتاب (شعب غريب) : أن اليهود يرفضون سيطرة الدين على الدولة أو الكنيسة على الدول لأن هذا معناه أن تصبح الديانة المسيحية مفروضة على أولادهم لذلك كانوا أول من

نادى بفصل الكنيسة عن الدولة في أمريكا وأنهم قد اتجهوا في أمريكا إلى السيطرة على الأعلام بإنشاء الصحف (نيويورك ورلد ، نيويورك تيمس ، واشنطن بوست) ومنهم أكبر عدد من المحامين وأكبر رؤساء المحكمة العليا من اليهود حتى اليوم وقد أفلست بعض الجاليات الأوروبية أمام الشبكة اليهودية المحكمة ، وقد زحفوا على المدارس والجامعات واحتكروا صناعة السينما والتلفزيون وهم لا يتركون هيئة إلا إندمسوا فيها ، ثم يحاولون بعد أن يوجهوا كل شيء فيها إلى ناحية حاجة تنفهم ، وهم الذين مزقوا ملابس السيدات تحت شعارات مختلفة : الوجودية ، والأباحية ، الحرية العارية . وهم الذين يصلحون كل الصحف والمجلات العارية وهم الذين يسيطرون على تجارة الدعارة ويملكون ويديرون أعظم الكابريهات وهم الذين يسيطرون على تجارة النساء في أمريكا وأوروبا وهم الذين ابتدعوا ظاهرة الخنافس في أوروبا وأمريكا ، وهم الذين اخترعوا ظاهرة الهيبز ، والطبيب الذي أعاد تركيب حقن الهلوسة أستاذ جامعي يهودي هو الذي أقام مستعمرات للعرى ومحطات لتدخين الحشيش وقد اتجه اليهود بعد الحرب العالمية الثانية إلى كتابة تاريخ المسيحية وتأكيد أن الدين وليس التفكير الحر المستقل هو الذي جعل المسافة بين اليهود والمسيحية عميقة وأن هذا التعصب الديني هو الذي جعل اليهود مسئولين عن محاولة صلب المسيح ، ولذلك جات كتب ومسرحيات وأفلام ما بعد الحرب تحول بكل قوة أن تغير هذا المعنى واتجه اليهود أيضاً إلى الفاتيكان يحاولون أن يجدوا وسيلة للعفو عن اليهود وتبرئتهم وذهب المليونير جاكوب بلادستاین لمقابلة البابا عام ١٩٤٩ وبحث مشروع العفو عن اليهود وتجددت المحاولات حتى انتهت بقرار المجمع المسكوني بالعفو عن اليهود ويقول أحد الباحثين الغربيين : إن الفصل بين الدولة والدين في الدول الغربية ساعد على إنصهار اليهود في هذه المجتمعات . لقد حلت المشكلة اليهودية في دول غرب أوروبا بتحرر الدولة عن الدين ، ولكن مع تحرر اليهود من الاضطهاد كانت اليهودية تسيطر على المجتمع بأسره وأصبحنا نواجه مشكلة تحرير المجتمع من اليهودية وأوضح ماركس أنه يستحيل تحرير المجتمع من اليهودية إلا بالقضاء على البرجوازية تلك الطبقة التي ارتبطت سيطرتها على المجتمع بسيطرة اليهودية عليه .

(٢) ويقول جاك دوماك وماري لورا في كتابهما : (التحدي الصهيوني) إن النفسية اليهودية قوامها الحقد والقسوة على الجنس البشري وقد اكتسب اليهود هذه النفسية من تعاليم اليهودية كما وردت في التوراة المحرفة فإن نصوص التوراة تفيض وحشية وعنصرية

ومنها استقى اليهود تركيبيهم النفسى وقد استغلت الصهيونية هذه النصوص وغذت عقول اليهود بها وهم قتلة الرب وجلادى المسيح .

(٣) ويكشف الباحثون عن محاولات الصهيونية التلمودية فى احتواء الفكر الغربى المسيحى ويمثلون لذلك بكتاب (فى قلعة ذى اللحية الزرقاء) وهو مذكرات فى إعادة تعريف الثقافة : بقلم جورج شتاينير وهو كتاب صريح تتضح فيه محاولة الصهيونية فى احتواء الحضارة الغربية وتحويل مجراها فى الاتجاه الذى تبغيه دون استخفاء أو استحياء وقد حاول المؤلف إسناد دور حضارى مختلق لليهود لجعل منهم حملة ألولية المدينة عبر التاريخ ، ويضخم شتاينير من أحداث اليهود فى معسكرات الاعتقال وقيمتها بحيث يراها تصبح محورا للفكر العالمى والمنطلق الذى يبداً منه التمهيد لمستقبل البشرية ويدعو إلى محو الماضى البشرى الحقيقى من الذاكرة كى يهيئ التربة إلى غرس صهيونى جديد ويحاول أن ينفخ فى حادثة تعذيب النازية لليهود وهى حادثة محدودة ثبت أن حجمها لا يساوى هذا التهويل الخطير الذى حاول به اليهود اتخاذها تكةة للهجرة إلى فلسطين وإلى ابتزاز أموال الألمان .

(٤) وهكذا نجد أن الفكر الغربى قد تنبه إلى مخططات الصهيونية وأكاذيبها وخداعها وأن الفكر الإسلامى لا يقل كشافاً ودحضاً لهذه المسلمات المسمومة التى حاولت لتلمودية فرضها وترديدها خلال أكثر من قرن من الزمان . ولا ريب أن مؤامرة اليهودية العالمية هى أخطر مؤامرة على البشرية فى العصر الحديث وليست إلا واجهة من واجهات هذه المؤامرة قد سيطرت الصهيونية على الأعلام العالمى واستطاعت أن توجه أخبار العالم كله الوجهة التى تتفق مع أغراضهم وسيطرت التلمودية الصهيونية على الجامعات التى تصوغ العقول وتكتب التاريخ وقد تمكنت من فرض سيطرة كاملة على المناهج والدراسات بحيث نجد أن الأغلبية الساحقة من أعضاء هيئات التدريس من اليهود والمؤامرة تستهدف إحتواء العالم فالعالم فى نظرهم أحقر من أن ينتمى إلى اليهود ، فاليهودية التلمودية تحتقر العالم كله ، وقد وضعت الصهيونية خططها على أساس الاستيلاء على ثلاث : ١ - المصرف ٢ - الجامعة .

٣ - الصحيفة بالسيطرة على المال وعلى التعليم وعلى الفكر والأعلام وظنوا أن ذلك سيجعل العالم يفكر على الوجهة التى يرسمونها له . ومع ذلك فقد أخذت اليقظة تعم العالم كله ، والفكر الإسلامى الآن يقود حركة اليقظة ويكشف زيف هذه المخططات . وأن أكبر الحقائق

التي يجب أن يتمسك بها الفكر الإسلامي اليوم هي أن الدفاع عن القدس هو من شأن المسلمين جميعاً وأنها ليست قضية عربية فحسب وإنما قضية إسلامية تخص جميع المسلمين في العالم حيث تبلغ الحكومات الإسلامية اليوم ٣٢ حكومة وعليه أن ينسب إلى محاذير السطحية أو الخطأ في فهم أهداف الصهيونية التلمودية التي تعلن الحرب على الإسلام كدين وفكر وثقافة وتراث ومنهج حياة وأنها تعمل على تسميم الآبار وإثارة الشبهات لتدمر هذه القوة التي استعصت على الغارات والغزاة ولا ريب أن حرب الصهيونية التلمودية إنما تستهدف العقيدة والفكر والثقافة أساساً . ولا ريب أن الإضافة التي قدمها (وليم جاي كار) في هذا المجال هي من الوثائق ذات الأهمية الخطيرة في كشف مخططات الصهيونية وأهدافها البعيدة المدى في تنبيه المسلمين أولاً والبشرية كلها إلى ذلك والخطر والطريق الذي يسلكه إلى غاياته المسدومة وفي هذه الدراسات ما يصم كتاب الشيوعية بالخزي البالغ لدفاعهم عن اليهود والصهيونية ومحاولة تبرئتهم من البروتوكولات . وفي كتاب (الدنيا لعبة إسرائيل) مزيد من التحليل الذي قدمه الكاتب في كتابه : (أحجار على رقعة الشطرنج) وأهمها الحقائق الآتية . أولاً : كشف عن أن الشيوعية ومحتوياتها ليست إلا جزءاً من مؤامرة دولية كبرى دعائها التلموديون وهدفها القضاء على الأديان والمثل العليا . ثانياً : ما من ثورة فاسدة قامت إلا كان وراءها اليهود ولا حرب قلدة إلا هم مشعلوا نيرانها وما كل مواخير والأوكار وادوات الانحلال السائدة في أكثر بقاع العالم إلا ولم ضلع رئيسي فيه بل هم كل شيء فيه . ثالثاً : إن العقيدة الجهنمية اليهودية تتجلى في مجموع ترتيبات المخطط الذي اعتمد ثلاثة تنظيمات ظاهرة التناقض يرتدى كل منها قناعاً مختلفاً عن الآخر مغايراً بصورة أساسية للقناعين الآخرين، بيد أنها تدور جميعها في فلك واحد هو الفلك الإلحادي وتنصب غاياتها البعيدة العميقة إلى هدف واحد هو تحقيق مؤامرة الشر الأبدي والوصول إلى إخضاع العالم بأسره لدكتاتورية شاملة مطلقة لإخلاص منها هي دكتاتورية محفل صهيون أما التنظيمان الآخران بعد الشيوعية فهما النازية والصهيونية . رابعاً : مكنت الحرب الثانية الشيوعية من التهام نصف العالم ووصولها إلى درجة من القوة تعادل فيها مجموع قوى العالم العربي . ويتناول أرنولد توينبي في كتابه : (مشكلة اليهودية العالمية) هذا المخطط الرهيب فيأخذ عليهم فساد سرد تاريخهم الذي يكتبونه من وجهة نظرهم البحتة وحدها وسيطرة فكرة شعب الله المختار على أذهان اليهود طوال السنين والأحقاب وأمام هذا يجب إعادة بحث التاريخ اليهودي على ضوء التمهيص العلمي المدعم بما تسفر عنه

الكشوف الأثرية من وقائع وبيانات ، ذلك أن اليهود حين استهوتهم الفكرة المسمومة فكرة : إنهم شعب الله المختار وقعوا في خطأ مميت وانحرف بهم احتضانهم لهذه الحقيقة إلى العقم الفكرى وأن اليهود قد أوهموا مئات الملايين من البشر - بما فيهم الكنيسة المسيحية - (وباستثناء المسلمين) أوهموهم على مدى العصور والأحقاب بأن تاريخهم مقدس . وقال المؤلف : المسيحية والإسلام هما أهم حدثين في التاريخ ولولا ظهورهما لعاشت اليهودية في ظل وثنية هليزية مثلما يعيش اليوم بقية الباريسيين من أتباع زاردشت في الهند وعلى الرغم من عداة اليهودية للإسلام والمسيحية فقد أضفى ظهورهما عليها أهمية واعتباراً ولولاهما ما كانت لتحتذى به بل لقيض للجماعة اليهودية أن تعيش في ظل حجب الغموض والإبهام لا يبالى بها أحد . والواقع أن اليهودية تعتبر حقاً بقية حضارة بائدة يعتبرها الباحثون المدققون الآن مجرد جماعة متحجرة . إن الصدمات العنيفة التي أصابت النفسية اليهودية تعتبر السبب الرئيسى في تحول العقيدة اليهودية القديمة إلى ما أصبحت عليه بعد ذلك من تحجر وكراهية العالم لليهود بالتالى . وفي طليعة تلك الصدمات ما كابدته اليهودية على أيدي نبوخذ نصر ، وانطيوخس ثم الرومان أثناء حروبهم مع اليهود خلال أعوام ٦٦ ، ٧٠ ، ١٣٥ ولهذه الحروب تأثير على تاريخ اليهودية أقوى من تأثير ظهور المسيحية وفي أثناء هذه الفترة أتم اليهود صياغة شريعة التوراة المكتوبة وتفننوا في التعليق عليها بتعاليم كتاب (التلمود) وقال المؤلف أن اليهود بعد أن دمر نبوخذ نصر مملكتهم أخذوا يعقدون الآمال على إقامة دولة يهودية جديدة لهم ، ومن خلال سرد تاريخى سريع ابتداء بالقرن الخامس من قبل الميلاد أثبت المؤلف أن اليهود ظلوا لمدة ستانة سنة يسعون لإقامة دولة بفلسطين باستخدام القوة المجردة فكان الإخفاق حليفهم وقد أورشهم هذا الأسلوب الدمار والتشتت وقد واجه اليهود على مدار ١٤٠٠ سنة ممتدة من القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادى أحداثاً ضخمة وكابدوا تعبيرات بعيدة المدى بيد أنه مهما يكن من أمر جسامة تلك التغيرات فقد سيطرت على العقلية اليهودية فكرة عن طبيعة إلههم لم تتبدل حتى الآن وهم يصورون إلههم في صورة إنسان ويتطلب هذا الكائن الإنسانى (الإله) من أتباعه طاعة عمياء وولاء أكاملاً وقال أرنولد توينبى : إن حرص اليهود على شيوعيتهم دعاهم إلى أن ابتكر أحبارهم فكرة الشعب المختار بعد أن بثوا في أبناء قومهم الإيمان بأنهم شعب مختار وانطلاقاً من مفهوم هذه الفكرة صارت اليهودية منذ ظهورها حتى الآن عبادة قبلية جماعية متفردة شاذة ، وهى أقبح الأمثلة

لعبادة الذات الفانية وإن هذه الديانة تنكرت للمسيح وللإسلام كديانتين وهذا التنكر يعنى شيئاً واحداً هو تنكر اليهود لأصلهم . وقال : إن عداء اليهودية للمسيحية مصدره أن اليهود يعتقدون بأن الغفران يمنحه الرب لليهود وحدهم ، أما كره اليهود للإسلام فنابع من كون الإسلام سلبهم احتكار مبدأ الروحانية ولأنه دين عالمي من حق البشر جميعاً أن يعتنقوه وقد دفع نحو الروح القومية الحديثة في أوروبا اليهود الغربيين إلى اختراع قومية تقتصر عليهم وحدهم هي الصهيونية ومن أولى أهدافها تركيز اليهود المشتتين أو جانب منهم في دولة قومية خاصة بهم ولا تضم إلا سكاناً متجانسين من اليهود : (إسرائيل) وقد أقام معتنقوا هذه القومية الحجة على أنفسهم بأن الدرس الذي تعلموه من النازية قد جعلهم ينتقمون ظلماً وعدواناً من عرب فلسطين باضطهادهم لأنهم شعب أضعف منهم فراحوا يستصفون غالبيتهم التي جاوزت المليون ونصف بطردهم من الأرض التي شغلوها وزرعوها أجيالهم وأباؤهم من قبل ومن ثم أصبح هؤلاء العرب في حالة العدم وغدوا قوماً لاجئين وهذا الاضطهاد الصهيوني ضد العرب أثبت أن الخصائص اليهودية هي حصيلة الملابس التي صاحبت تشتت اليهود في أنحاء العالم الغربي (أوروبا) ليس إلا وأن الصهيونية بنبذها تقاليد (التشتت) اليهودي جملة لتقييم أمة جديدة على ظهر الأرض على غرار ما فعله الرواد البروتستانت المحدثون من المسيحيين الغربيين الذين أقاموا الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد جنوب إفريقيا وأستراليا وتيورييلنده وقال أن القومية اليهودية الجديدة (الصهيونية) قد نشأت لجميع تشتت اليهود وإلغاء منازلهم (الجيتوات) وجمعتها مع بعضها وذلك من أجل تكوين دولة (إسرائيل) تحفظ لليهود ذاتيتهم المميزة بطريقة جديدة مدارها أن يكون لكل صهيوني جنسيان : إسرائيلية لتبعيته الروحية وجنسية البلد الذي يقيم فيه وترمز إلى مصلحته المادية من دولة أقطاب اليهود أن تتولى إسرائيل القبض على ناصية المال والتجارة في الشرق العربي فيحقق لهم السيطرة على العالم وذلك انطلاقاً لتحقيق فكرة الشعب المختار لتصبح حقيقة واقعة . وفي سبيل ذلك تتحالف اليوم الصهيونية مع الاستعمار العالمي ومع الإمبريالية الخاضعة لنفوذ يهود نيويورك وكان وعد بلفور المشؤم ثمرة هذا التحالف الذي تكاتفت على تحقيقه عملية قوى الاستعمار البريطاني والإمبريالية الأمريكية والرجعية « ا.هـ .

(٣) بين الصهيونية والمسيحية

حاولت الصهيونية منذ وقت بعيد تذليل المسيحية لأهدافها وذلك بالربط بين العهد القديم

والعهد الجديد واحتواء البروتستانتية وإخضاعها لمفاهيمها وقد حملت الصهيونية التلمودية على المسيحية وحاولت التشكيك فيها بهدف إحتوائها والسيطرة عليها من ناحية أخرى . ولقد كان هدف الصهيونية التحرر من القوانين التي فرضتها المسيحية على المجتمع اليهودي داخل المجتمع النسخي وكانت الثورة الفرنسية والثورات الأوروبية المختلفة عاملاً على إحلال القومية والوطنية محل الدين وبذلك انهارت هذه القيود وتمكن اليهود في المجتمع الغربي كله من الانطلاق والعمل في مختلف المجالات واستطاعوا السيطرة على الأحزاب السياسية وتوجيهها الوجهة التي تمكنهم من قيادة الأمم والدولة . وقد تمكنت الصهيونية من السيطرة على التعليم والصحافة والثقافة وأجهزة الإعلام الغربية على النحو الذي مكنهم من أن يفرضوا على العقل الغربي مفاهيمهم سواء بشأن السيطرة على فلسطين أو بشأن تدمير مقومات الإنسان الأخلاقية والدينية عن طريق الفلسفات والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية التي طرحوها وأعلوها وأعطوها من المذاهب المختلفة دفعة القوة والتمكين كما فعلوا بمذهب ماركس ومذهب فرويد ومذهب دوركايم ولا ريب أن أخطر ما حققته الصهيونية هي إقصاء الدين عن مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد وإحلال الخبرة والمنفعة والأهلية كأساس لجميع المعاملات والتنظيمات . ومن هنا جاء قبول اليهود على أساس كفاءتهم الشخصية وإقامة النظم السياسية على أساس الوطن لا على أساس الدين ولا ريب أن استطاعة التلمودية الصهيونية بتحقيق هذا الهدف لمن أكبر الأعمال التي حققها اليهود في المجتمعات المسيحية بعد أن اضطهد المسيحيون اليهود أشد الاضطهاد عصوراً طويلة ولم يعترفوا بأن لهم حقوقاً مدنية ، وكانوا قد أقصوهم عن جميع العلاقات الاجتماعية وفرضوا عليهم الإقامة الجبرية في الجيتو . كذلك فقد استطاع اليهود التلموديون أن يحرروا أنفسهم من قيد آخر وهو قيد اتهامهم بأنهم حرضوا على قتل السيد المسيح وقد استطاعوا أن يصلوا في هذا الأمر إلى نتائج هامة وخاصة ما وصل إليه المجتمع المسكوني الثالث الذي انعقد عام ١٩٦٤ والذي أصدر وثيقة تبرئ اليهود من تهمة (قتل الرب!) وشجب أي مظهر عدائي لليهود وقد اعتبرت الأوساط اليهودية والصهيونية وثيقة عام ١٩٦٤ كسباً سياسياً من الدرجة الأولى وسلاحاً عملياً لمحاربة النزعات اللاسامية في الأوساط المسيحية بينما أنكر اليهود المحافظون المذنبون صلاحية الكنيسة الكاثوليكية في تبرئة اليهود بل لقد بلغ الأمر إلى أبعد من هذا حين صرح القاصد الرسولي (الاب مركولي) من قبل البابا حين قال : لقد حدثت تغيرات شتى في الوقت الأخير في العلاقات بين اليهود والحكومة

الإنجليزية وكان من شأن هذه التغيرات أن بعثت اهتمام الدول عامة بمسألة الشعب اليهودى من جديد وبالتالي بدأ الفاتيكان يهتم بالمسألة والبابا ينظر الآن بعين الرضا والإرتياح إلى مشروعات الصهيونية فى فلسطين وهو يراها مصدر بركات للسلام العالمى. ويعتقد البابا بيوس التاسع أنه يحق للصهيونيين أن يحملوا كافة الكنائس الدينية على الاهتمام بأمانهم على إني أؤكد أن الكنيسة الكاثوليكية وهى أكبر كنيسة فى العالم تؤيد الصهيونية وأمانها». وتقول المصادر التاريخية أن التقارب بدأ بعقد مؤتمر عام ١٩٤٧ للمسيحية واليهودية وكان قد دعا إليه فيلسوف يهودى فرنسى هو جول اسحق صاحب كتاب (عيسى وإسرائيل) محاولا تبرئة اليهود من محاولة قتل المسيح، كما ألف كتاباً عام ١٩٥٦ عن نشوء العداء للساميين وله كتاب (تعاليم الأزدراء) حاول به إصلاح التعاليم المسيحية التى كانت تعتمد فى نظره على أغلاط تاريخية وعلى جهل بالتوراة والإنجيل ومن مظاهر التنافر الإدعاء بأن عيسى لم يكن من أصل يهودى بل خليلي ومن ذلك التنافر اضطهاد المسيحيين لليهود فى مختلف حقبة التاريخ وقد حذف من أدعية الجمعية المقدسة أدعية تصف اليهود بالمكر والخداع. وقال الأسقف الألماني (بيا) إن الوقت حان للكنيسة أن تصرح أن مسؤولية قتل المسيح وتعذيبه ليست على عاتق الإسرائيليين وحدهم بل على عاتق سائر الشعوب. والمعروف أن الإسلام يكذب إدعاء قتل المسيح ويرى أن هذه محاولة لم تتم فقد رفعه الله إليه وأنه لم يقتل يقيناً. ولقد كان من محاولات التقارب الواضحة زيارة بابا روما لإسرائيل.

(٢) فى نطاق البحث عن العلاقة بين الصهيونية والمسيحية لابد من التعرض لظاهرة (اللاسامية) التى ابتكرها التلموديون الصهيونيون ليحاربوا بها كل من يعارضهم. واللاسامية فى أوروبا معناها كره اليهود وظهور شعور العداء ضد اليهود مرده إلى سيطرتهم على الاقتصاد لاقتصاد وقيامهم بدور المرائي الجشع وقد ابتكرت الصهيونية كلمة السامية حتى تجعل الأرييون يشعرون بأنهم يعادون جنساً آخر، ويرى المؤرخون أن اللاسامية هى التى ولدت الصهيونية السياسية المستحدثة ويقول المؤرخون: أنه فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر نشأت حركة موجهة ضد اليهود عرفت باسم (ضد السامية) تقوم فى ميدانها على أساس كره اليهود الذى يرجع إلى القرون الخالية ولكن زعماء هذه الحركة ألبسوها ثوباً عصرياً وزحوا

أنهم يقصدون بها منع الأجناس السامية من التغلب على الأوربية وإيقاف تدفق سيل الساميين من آسيا على أوروبا ونادوا بأن غايتها هي إنقاذ المدنية الأوربية من غارة الجاهلية الآسيوية ولا ريب أن اللاسامية هي ثمرة ذلك الصراع الطويل بين المسيحية واليهودية الذي طالما سالت من أجله الدماء وأزهقت الأرواح في القرون الوسطى ، وأنه ثمرة تراث ضخم من قرارات الكنيسة وقوانين الحكومات الغربية التي كانت تعمل على محاصرة هذا الخطر المنتمر الذي أفسد المجتمعات وسيطر بالربا على مقدرات الشعوب مما أحفظ كثيراً من كتابها وزعمائها الذين سجلوا ذلك في صفحات من نار . لقد عاش اليهود آلاف السنين في أوروبا ومع ذلك فما برح سواد الأربيون ينظرون إليهم على أنهم أجانب ودخلاء . والسبب أن اليهود حافظوا على طبيعتهم ورفضوا الانصهار في المجتمعات منحصرين في الجيتو الذي ما لبث أن أصبح مركزاً للاستلاب المالى ولسيطرة الاقتصادية . وقد استطاع اليهود كسر هذه القيود جميعاً والسيطرة على كل شيء ، ومع ذلك فهم يشتهرون هذا السلاح في وجه كل من يعلن عن فسادهم أو مطامعهم والتلمودية اليهودية في سبيل خداع الجماعة الغربية المسيحية ابتكروا نظام البنوك ليتخلصوا من نموذج المرابي الذي كان يقتل دائماً إذا ذهب مطالباً بقرضه ، وهكذا نجد أن الصراع بين المسيحية واليهودية ما زال قائماً وقد كشف في السنوات الأخيرة عن بقطة ووعى من جانب العرب المسيحي بالرغم من كل محاولات الخداع والتضليل التي يقوم بها اليهود في سبيل السيطرة الصهيونية على الاعلام ولم يتوقف الأمر عند قرار تبرئة اليهود ، بل لقد أمتد لأن تعلن الكاثوليكية سماحها بالانتماء إلى محافلها الماسونية وذلك كخطوة متقدمة لفتح كل الأبواب أمام الحركة الصهيونية لتأخذ مسارها المخطط لها في بروتوكولات صهيون ولقد عاشت الكنيسة سنوات طويلة وهي تؤكد الحظر على عدم قبول المشتركين في المحافل الماسونية تحت راية المسيح وتعددت قرارات الحرمان لهم على توالى العصور . واليوم ينكسر هذا القيد وتسمح الكنيسة بالانتماء إلى الماسونية التي قامت في الأساس لمعارضتها بل وللتآمر عليها .

(٤) بين الصهيونية والشيوعية

تقول أضح الأقوال : أن الصهيونية مؤاة شيومرعية والشيوعية مؤامرة يهودية ولا ريب أن «ماركس» أراد حين قدم نظرية التسميه والخداع بأنه لا صلة له بالصهيونية أو اليهودية جملة ولا ريب أن الشيوعية تعمل لتحقيق الهدف الصهيوني في السيطرة على العالم وأن تعاليم

كارل ماركس وفردريك انجلز ولينين وستالين لا تختلف في كثير أو قليل عن تعليقات بروتوكولات حكماء صهيون بل أن الألفاظ والعبارات والمفاهيم التي صيغت بها كل الشيوعية والصهيونية متشابهة متماثلة ولعل من أعجب ضروب التشابه في الوقت ذاته أن يكون الرواد الشيوعيين الأوائل جميعاً منحدرين من أصل يهودي والتشابه في أنهما حركتين سياسيتين تهدفان إلى السيطرة على العالم كله بتآكل مع التشابه في وسائلهما وغايتهما ومفاهيمهما وأخلاقياتهما والتشابه بينهما في ميدان التطبيق العملي ولعل أكبر مثل لتعانق الصهيونية والشيوعية أن بروتوكولات صيون يطلق عليها الإنجيل البلشفي وأن الثورة البلشفية كان يطلق عليها الثورة اليهودية وقد جاء في كتاب المؤامرة اليهودية : أن المحفل الأمريكي الماسوني الذي يدير الماسونية الكونية وكل أعضائه من زعماء اليهود قد عقدوا مؤتمراً قرر فيه خمسة من اليهود خراب روسيا القيصرية بانفاق مليار دولار وتضحية مليون يهودي لإثارة الثورة في روسيا . ومنذ وقت بعيد كشفت حركة اليقظة الإسلامية هذا المخطط ونقلت إحدى صحفها عن مجلة فرنسية موضوعاً تحت عنوان الشيوعية دسيمة صيونية لخراب العالم جاء منها : أن مديري دفعة أعمال الأمة اليهودية هم الذين أثاروا الحرب الكبرى ودبروها بالانسائس بغية جمع المليارات وتقسيم الممالك ثم محق ماليتها وقتل النبوغ في غيرهم وتعبيد السبيل أمام الشعب المختار كما يصف اليهود أنفسهم للاستيلاء على الكون كله . وهؤلاء الزعماء اليهود هم الذين دبروا للبلشفية بالانسائس وعهدوا لها ببذل المال وأثاروها من الشعب الروسي واستكمالاً لأعمال الحرب الجهنمية وأفناء للعناصر البشرية وتحطيم المبادئ الاقتصادية . ومما يذكر أن لينين زعيم الشيوعية الروسية والمخطط الثاني للماركسية ومنفذها في روسيا كان واحداً من مخططي الصهيونية ومن واضعي بروتوكولات حكماء صهيون وقد حضر مؤتمر الحكماء في سويسرا ، وأن الثورة الدولية كانت من طبقة اليهود وأن أول رئيس في دولة روسيا هو اليهودي كليمنيف وتلاوه الإرهابي دي سفروولوف وأن الذين يحكمون روسيا الآن ليسوا من الروس ولكن حفنة من اليهود الارهابيين العالميين . ويرد المؤرخون والباحثون حذور الصلة بين اليهودية وروسيا إلى وقت مبكر ، بل إلى تشكيل الامبراطورية نفسها حيث كان اليهود جزء منها بعد سقوط دولة الخزر ، ولقد كان موقف اليهود حاسماً أعلن القيصر اسكندر الثاني عطفه الخاص على اليهود ومنحهم قدراً وافراً من الامتيازات التي تمكنهم من الاندماج في المجتمع الروسي . فقد أحسوا أن هذا الولاء سرف ينقص من ولائهم للصهيونية وأنه سيعرضهم

للدوبان في المجتمع الروسى ، وكان من نتيجة ذلك اغتيال القيصر عام ١٨٨١ ، وكان اغتيال اليهود للقيصر مقدمة للعمل على اسقاط الحكومة الروسية وسيطرة الصهيونية على روسيا وتحويلها إلى الشيوعية . وكانوا قبل ذلك قد عمدوا إلى تخريب الاقتصاد الروسى ثم بدأت خطة العمل الصهيونى في تدمير المجتمع الروسى كله . وقامت أموال المرابين اليهود بالدور الكبير في هذا المجال يقول عبد السلام العمرى : أن حقيقة الماركسية لا يحب فصلها عن كونها فكرة يهودية تصدر من وراءها كارل مورداخى ماركس واليهودية العالمية للسيطرة على العالم عن عقيدة فكرية هدامة تحارب الدين والأخلاق والقيم تحت راية العلم والموضوعية والحنمية التاريخية . وأن اليهود كانوا مدركين أن (الردة) عن الدين كانت لقرون طويلة ردة قصيرة لا يلبث المرتدون فيها أن يعودوا إلى اعتناق ما كانوا يدينون به عن قبل بعد إشباع نلواتهم ورغباتهم لكان لابد من نظريات وأفكار ومبادئ تربط عقول الناس وتفرقهم في ردتهم مبتعدين عن الدين بحجة أن العلم هو الذى قرر ذلك بصورة لا رجوع عنها والتخطيط اليهودى يرسم أهدافه عن طريق مفكرين ورجال بارزين حملوا دعوى الأفكار والنظريات العلمية ليحققوا أهداف اليهود ، وهكذا كان ماركس وفرويد ودوركايم وسارتر جنوداً بارزين في هذا الميدان ، أن ارتباط التخطيط اليهودى بالماركسية أذن هو الذى يعطينا الجواب النهائية لماهية السبب الذى قاد تصور ماركسى لدعوى افتراض بناء الشيوعية في أوروبا الغربية وبريطانيا كما يقدم لنا الدليل الكافى للاعتقاد يتحول التخطيط اليهودى ناحية روسيا لتطبيق ما رسموه لها وللعالم من خطة تدميرية . وحقائق التاريخ تثبت أن اليهود سيطروا على بريطانيا لفترة زمنية طويلة . عاد اليهود إلى بريطانيا باعتبارهم أصحاب المال والنساء في حركة كرومويل الذى ظهر عام ١٩٤٧ وقاد ثورة ضد المالك شارل الأول وخلعه عن العرش وأعلن قيام الحكم الجمهورى ، وقد أصدر عام ١٩٥٧ أمراً بعودة جميع اليهود المطرودين إلى بريطانيا ومنحهم جميع الحقوق المدنية . كما انتقم كرومويل لليهود من الأسرة المالكة بصورة رهية وأصدر كرومويل قانوناً منع بموجبه العمل يوم السبت وأرغم المسيحيين على قراءة التوراة طيلة أيام الأحد وألغى الطقوس الدينية المسيحية ودام حكمه حتى ١٦٦٠ م . أن رجعة اليهود إلى الجزر البريطانية وسيطرتهم المحكمة من جديد على مختلف الحقوق الاقتصادية الدينية والسياسية يتساوى تماماً مع ظهور الأفكار الماركسية اليهودية التى كانت بصورة بديهة تشير إلى توقع أن يكون المطبق الأول للشيوعية إنما هى دولة بريطانيا بالذات قبل غيرها ،

إذن ليست هي وسائل الانتاج المتغيرة ولا أساليب الإنتاج المتبدلة هي التي حتمت ضرورة قيام الشيوعية في بريطانيا وإنما هي السيطرة اليهودية المحكمة على بلاد الانجليز هي التي دفعت ماركس لما أشار إليه في كتاباته في هذا الشأن . ومع ذلك يتبادر سؤال هام في هذا المجال : ما هو الدافع إذن لتغيير المخطط اليهودي والاتجاه نحو روسيا لتكون المنطلق الأول لقيام الشيوعية في العالم قبل غيرها ومع صعوبة الجواب القاطع الباعث لتغيير المخطط اليهودي إلا أن دراسة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية تقدم لنا دليلاً هاماً لذلك الدافع ، فتغير الظروف المحيطة التي تطورت بعد إعلان ماركس لأفكاره وما صاحبها من اجتماع الزعماء اليهود في بازل بسويسرا ١٨٩٧ لمدارسة كيفية السيطرة اليهودية على العالم أدى إلى القرار الحاسم بضرورة توجيه ثقلهم نحو روسيا بعد أن تيقنوا بعدم الحاجة لقيام دولة شيوعية في بريطانيا ما داموا يطبقون عليها تماماً بما لديهم من وسائل وأساليب محكمة . وكان لا بد من قيام ثورة شيوعية في روسيا لأسباب : أولاً : الجهل والفقر المطبقان على سكانها مما يمكن استثمارهما لصالح الحركة الثورية . ثانياً : وجود كنيسة مسيحية لها نفوذ طائفة ضخمة من المسيحيين في العالم وتحطيمها ولا بد أن يسهل ذلك إمكانية تقريب الهدف اليهودي من التحقيق بصورة أسرع وأكثر فاعلية . ثالثاً : موقعها الجغرافي ومساحتها الهائلة وعدد سكانها الكبير ومصادرها الغنية والزراعة الضخمة مما شكل عوامل أساسية لدور عالمي متوقع في السياسة الدولية . أن تكشف الأصابع اليهودية ودورها في الأقطار الماركسية هو الذي أزاح ستار (العلمية) التي حاول اليهود جهمهم إضفاءها على كتابات ماركس وأتباعه عشرات السنين « أ.هـ. وتكاد تجمع الوثائق التي كانت مدفونة في القديم وتسربت في السنوات الأخيرة على أن الماركسية والصهيونية حركتان توأمان منبعهما واحد وغايتهما واحدة وجوهرهما واحد والفئة التي تقدم عليهما من وراء الستار واحدة وما اختلافهما في الظاهر سوى ترتيب مؤقت إقتضاه النجاح في السعي إلى الغاية الوحيدة حتى إذا تحققت بالنجاح الكامل اتحدنا معاً للسيطرة على العالم ولا عبرة بهذا الفرق الظاهر بين الشيوعية والصهيونية فكون اليهودي شيوعياً أو صهيونياً أو كليهما معاً . وكثيرون منهم كذلك لا ينني كونه يهودياً وليست الشيوعية أو الصهيونية سوى مظهر لقومية واحدة هي القومية اليهودية التي لا تفتأ تنادي سائر العالم غير اليهودي . ويقول فرانك برايتون الذي كشف هذه الحقيقة في كتابه الصهيونية والشيوعية أن وجه الخلاف بينهما يظهر في ثلاث أمور : (الأول) التسمية : ففي الصهيونية تخصيص

وفي الشيوعية تعميم ليختار المرء بينهما بحسب مزاجه . الثاني (مراكز النشاط : مركز نشاط الصهيونية ما اصطلح على تسميته بالغرب وتنزعه أمريكا (واشنطن) ومركز نشاط الشيوعية الشرق وتنزعه روسيا (موسكو) . (الثالث) الأسلوب في العمل : الصهيونية تتاجر بالمال وتدعمه الدعاية عند اللزوم والشيوعية تتاجر بالدعاية يدعمها المال عند الاقتضاء وإن الثورة الشيوعية قامت بتدبير اليهود وتخطيطهم وإن كبار زعماء الشيوعية مثل ماركس ولينين وستالين وفورشيلوف ومولوتوف كل هؤلاء وغيرهم من أصل يهودي أو لهم زوجات يهوديات ، وأن أهداف الصهيونية العالمية هي أهداف الماركسية أو الشيوعية اللينة كلاهما يسعى للسيطرة على العالم وتسخير اليهود شعب الله المختار . وأن أنصار الشيوعية في العالم معظمهم من أنصار الصهيونية وأن ٩٠ في في المائة من أعضاء الحزب الشيوعي الأمريكي من غلاة الصهيونية وأن اليهود هم أول من أدخل الشيوعية بلاد الإسلام وإن روسيا السوفيتية كانت أول الدول بعد أمريكا التي اعترفت بقيام اسرئيل ولقد عرف اليهود لروسيا هذه المكرمة وأعلنوها على لسان الكثير من زعمائهم . والماركسية في حقيقتها ما هي إلا صيغة الصهيونية العالمية ووسيلة من وسائلها لإفساد المجتمع العالمي وبذر بذور الفتن والثورات في أرجائه وأن عداء الماركسية للإسلام مستمد من عداء اليهود له وقد خاضت الماركسية كما يقول الدكتور محمد عزت نصر الله أعنف المعارك المجردة من كل رحمة والمنافية كل المنافاة للإنسانية ضد المسلمين المقيمين بالاتحاد السوفيتي من تعذيب يشيب لهوله الولدان إلى تجويع حتى الموت ومن نفي لمئات الألوف إلى معسكرات الاعتقال بيسييريا إلى أعدام بالجملة حتى تناقص عدد المسلمين من ٤٠ مليوناً في بدء الثورة الشيوعية إلى ٢٢ مليوناً في الوقت الحاضر والمعروف أن اليهود قد ردوا لروسيا الجميل بأن سلموا إياها أسرار القنبلة الذرية التي كانت وحدها هي التي تعرف أسرارها بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد قام جولويس روزنبرج وزوجته أثيل اليهوديين المثجنين بالجنسية الأمريكية وهما من كبار علماء الذرة بنقل أسرارها إلى روسيا وذلك لتمكينها من أن تقف موقف الند من الولايات المتحدة وقام علماء الذرة اليهود المثجنين بالجنسية البريطانية بنفس الخيانة . وبالجمله وفيما يتعلق بعالم الإسلام فإن القنطرة التي عبرت عليها الشيوعية من بلادها في الشمال إلى بلادنا هي الصهيونية فقد كان مروجوا الشيوعية الأولى في البلاد العربية والإسلامية وخاصة مصر وسوريا وفلسطين من اليهود الصهيونيين

(٣) دفاع الشيوعية عن الصهيونية

حاولت الماركسية الدفاع عن الصهيونية وقد كان ذلك واضحاً في الركام الذى طرح في أفق الفكر الإسلامى في السنوات الخمس التى سبقت النكسة والتى تلتها ، حينما كانت الأعلام الماركسية نصب سمومها مشتركة مع الأعلام المادية والإباحية وكتاب الجنس ، كان واضحاً أن الماركسية تدافع عن الصهيونية وتحول دون كشف أبعاد مؤامرتهم ، ولم يكن ذلك غريباً فإن الماركسية والصهيونية توأمان فلا بد أن تحمى إحداهما الأخرى . وكان أبرز الجوانب التى دافعت الشيوعية فيها عن الصهيونية : أولاً : التفرقة بين اليهودية والصهيونية . ثانياً : محاولة التشكيك في بروتوكولات صهيون والماسونية ثالثاً : التركيز على النازية . ومع كل المحاولات المضللة فقد عجزت الماركسية أن تكذب الحقائق التى أكدها التاريخ ومنطق الأحداث . تقول موسوعة المفاهيم الصهيونية التى كتبها واحد من الماركسيين تحت عنوان المؤامرة اليهودية الكبرى أو العالمية ما يلى : يتهم المعادون للسامية لليهود بأنهم يحكون مؤامرة عالمية كبرى لتخريب الأخلاق وإفساد النفوس ثم الإستيلاء على العالم وإنشاء حكومة عالمية يكون مركزها القدس وأهم إفراز لهذا التصور هو الوثيقة المزورة [بروتوكولات صهيون] ساعد على نشر هذه التصورات الباطلة عن اليهود طقوسهم الدينية المركبة كما ساهمت النزعة الانفصالية عن الدين اليهودى إلى تعميق الشكوك من جانب الاغيار . السبب المباشر هو التصورات اليهودية الخاصة بالشعب المختار والمركزية الكونية والتاريخية التى يصنعها اليهود على هذا أنفسهم إلخ .. وهكذا نجد أن الماركسية تدافع عن اليهودية التلمودية الصهيونية بأقوى مما تدافع الصهيونية عن نفسها فهى تعتبر القائلين بالمؤامرة اليهودية معادون للسامية ، مع أنهم عرب ، وهى تحاول أن تكذب هذه المؤامرة وتكذب البروتوكولات فى آن وتصرف النظر إلى طقوس دينية وغيرها فى محاولة ما كره لا تستطيع أن تنهض دليلاً صحيحاً فى مواجهة مئات الأدلة على المؤامرة وعلى سلامة نسبة البروتوكولات إلى الصهيونية بواقع التاريخ نفسه . كذلك فإننا نجد كتابات الماركسية تنى فكرة العجل الذهبى عن اليهود فتقول إن الصهيونيون يستخدمون كرمز لليهود الذين يعيشون خارج الأرض المقدسة ويرفضون الهجرة إليها بسبب المستوى المادى المرتفع الذى حققوه فى المنفى ، ثم تقول الموسوعة : أما أعداء الصهيونية فيستخدمونه للإشارة إلى النزعة الوثنية التى تعتنقها الصهيونية بين اليهود والتى تتمثل فى عبادة العجل الذهبى الجديد : إسرائيل .. وهكذا يكشف الماركسيون أنفسهم فى

موقفهم من الفكر اليهودى التلمودى ويؤكدون الصلة العميقة بين الماركسية والصهيونية ومع محاولة الكتابات الماركسية إتهام وثيقة البروتوكولات فإنها لم تجد بدا من أن تشير إلى أن مخططها هو القضاء على العروش الأوربية مقدمتها عرش القيصرية الروس واتخاذ أوربا قاعدة لسلطة اليهود ونفوذهم والسيطرة على العالم بالذهب والدماء والعنف واحداث المملكة اليهودية وفرض الديانة اليهودية على العالم ومحو الأديان الأخرى وفي مقدمتها المسيحية ثم الإسلام . كذلك فقد أشارت إلى ظاهرة الصهيونيين المسيحيين : وهم فريق البروتستانت الذين يؤيدون الصهيونية نتيجة إيمانهم بالأحلام الألفية وضرورة عودة اليهود إلى فلسطين أو صهيون وتشير هذه الكتابات إلى أن أهم الصهاينة المسيحيين نابليون بونابرت ، نداءات من جانب صهاينة مسيحيين لهم مصالح تجارية : كذلك فقد أشارت الموسوعة اليهودية إلى كذب اليهود في إدعائهم بأنهم فقدوا في موتهم مع النازية ستة ملايين مع أن الرقم الرسمى لا يزيد بضعة آلاف وتحاول الكتابات الماركسية التفرقة بين اليهودية والصهيونية على أساس أن اليهودية دين من الأديان وأن الصهيونية فكرة سياسية والواقع أن الفكرة الصهيونية التى تقول بالعودة إلى فلسطين باعتبارها أرض الميعاد مأخوذة من المفهوم اليهودى الذى زيفه أحبار اليهود بكتابة (التوراة) فى منى بابل وليس من دين موسى الحقيقى الذى أنزله الله تبارك وتعالى ، كذلك فإن التصور اليهودى للخالق على أن إله اليهود وحدهم وليس للعالمين جميعاً هذا كله مخالف لما جاء به القرآن الذى يرى أن اليهود حرفوا الدين والتوراة من أجل إعلاء عنصريتهم وأن الدين كان منطلقاً لدعوة الإخوة البشرية وأن الله تبارك وتعالى رب العالمين . ومن هنا فإن الخلاف بين اليهودية والإسلام هو خلاف أساسى فى مفهوم العلاقة بين الأديان التى أنزلها الله على عباده وأن الانحراف بدأ أساساً فى التوراة ومنه انتقل إلى الصهيونية - يشير فؤاد محمد شبيل إلى هذا المعنى حين يقول : أنها تكشف أن هذا الشعب تحول من عبادة الله الواحد الأحد إلى عبادة ذاته الفانية فلقد اعتبر السمو الروحى الذى بلغه امتيازاً خلعه الرب عليه وحده بموجب عهد أبدي يجعل فيه شعب الله المختار . وهكذا ضل اليهود وتردوا فى خطأ مميت فقد انحرف بهم احتضانهم صفة شعب الله المختار إلى العقم الفكرى فلقد بات اليهود يؤمنون بأن الله كتب لهم أن يسودوا العالم بأسره لأنهم كما يدعون منحدرين من صلب إبراهيم الذى عقد معه الرب ومع نسله بالتالى عهداً وابنى على إيمان اليهود بأنهم وحدهم شعب الله المختار أن إستحال قيام اليهودية بدور العقيدة العالمية التى تهدى

الناس إلى سواء السبيل فكان أن تحجرت العقيدة اليهودية ولقد تغلغت فكرة شعب الله المختار في أعماق النفسية اليهودية حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الديانة اليهودية بحيث أنها تصبح والعدم سواء إن جردت منها .

(٥) الصهيونية والفكر الإسلامى

منذ وقت بعيد حرصت الصهيونية التلمودية على احتواء الفكر الإسلامى والسيطرة عليه قد اتخذت لذلك أساليب ووسائل عديدة : (أولاً) : ما قام به صمويل زويمر منذ عام ١٩٠٦ حين اقترح الأزهر الشريف عام ١٩٢٦ وما بعدها يكشف عن أن حركة التبشير المسيحى منذ ذلك الوقت كانت محتواه للصهيونية . ذلك لأن إيماءات زويمر كلها تكشف هذا الاتجاه وخاصة أن منشوره الذى وزعه فى الأزهر كان تحت عنوان (لماذا لا ترجع إلى القبلة القديمة) واثارة مسألة القبلة التى اتجه إليها المسلمون فى أول هجرتهم إلى المدينة حين اتجهوا إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم أذن الله لهم فى العودة إلى الكعبة وهذه مسألة يثيرها دائماً المستشرقون اليهود . كذلك ما قام به طه حسين منذ عام ١٩٢٦ فى مختلف النقاط التى تناولها تكشف عن خطة العمل التى قامت به الصهيونية التلمودية فى السيطرة على الدراسات الأدبية فى الجامعات فى البلاد العربية فى طريق إقحام المفاهيم التلمودية إلى الجامعات العربية وخاصة مجال الأدب وما حاوله طه حسين : ١ - محاولة التشكيك فى إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ٢ - محاولة إنكار شخصية عبدالله بن سبأ وإنكار دوره . ٣ - محاولة إعطاء اليهود دوراً (باطلاً) فى جزيرة العرب فى مجال الأدب والفكر . ٤ - مسألة إدخال دراسة اللغات السامية التى حاول بها اليهود خداع المسلمين عن الحقيقة الإبراهيمية وحجبها تحت اسم (السامية) . ٥ - ما يتصل بإحياء التراث اليهودى والاعتماد على المصادر التى طبعتها الصهيونية مثل كتاب (أنساب الأشراف) الذى طبع فى إسرائيل وما أفاض الدكتور طه فيه من محاضراته وما كتب عنه (إسرائيل ونفنسون) عن اليهود فى جزيرة العرب والمستعمرات اليهودية فى جزيرة العرب فى محاولة إعطاء دور لها وكذلك تقديم طه حسين لكتاب ولفنسون وهو ما ورد عليه وزيفه الدكتور فؤاد حسنين وكذلك مقاله جولد زيهرفى القرآن المكي والقرآن المئلى ٦ - ما قدمه هلال فارحى وإيزاك شمس من دراسات عن (السامية) وإحياء ذكرى موسى بن ميمون وكتابات إسماعيل أدهم أحمد فى التشكيك فى تراث إبراهيم عليه السلام . ٧ - ما كتبه عمر عنایت

في مجلة الصور وغيرها عما أسماه الحضارة اليهودية وريثة الحضارة المسيحية وما كتبه المازني والعقاد واسماعيل مظهر عن (ماكس نوردو) فيلسوف الصهيونية وخليفة هرتزل . ٨- ما كتبه إيزاك شموس في مجلة السياسة الأسبوعية عن الأدب العربي والسلطان عبد الحميد في محاولة تشويه تاريخ هذا الرجل الذي قاوم الصهيونية وراح ضحيتها . (ثانياً) : السيطرة الصهيونية على الدراسات العربية في أمريكا . يقول الدكتور إبراهيم أبو لغد : أن الإهتمام الحقيقي بالدراسات العربية كان منبعا أصلاً ذلك الحقد الذي ورثه الإنسان الأوربي والأمريكي من تاريخه نحو الحضارة العربية الإسلامية التي أضاعت ظلمات القرون الوسطى المظلمة . فكانت محاولته هذه للتسلح بسلاح يمكنه من التقليل من أهمية هذه الحضارة وليرفع اعتمادها على الحضارات الأوربية السابقة واعتماد الإسلام على النصرانية واليهودية ظناً منه أن هذا الفهم الخاطيء سيحرم الحضارة العربية الإسلام أصولها . ومن المعروف أن المسيطرين على توجيه الثقافة الأمريكية هم أستاذة اللاهوت المقارن وهم من اليهود أو المسيحيين الذين كانوا يعملون في التبشير في بعض بلاد العالم العربي ، وقد ارتبط المبشر المسيحي الأوربي بحكوماته الاستعمارية التي أرادت السيطرة على المنطقة العربية مادياً وبعد الحرب العالمية الثانية توسعت الدراسات العربية في جامعات أمريكا ، وظهرت أهمية التخصص الأمريكي في الدراسات العربية والرعي الأول من هؤلاء المتخصصين هو من مسيحي أمريكا ويتميزون بانحيازهم الواضح للحركات الرجعية وقد كان التحاق الصهيونيين بهذه المراكز مما سمح لهم ببداية السيطرة على الدراسات العربية في جامعات أمريكا وأثر ذلك في تشكيل ذلك الحلف الحقيقي بين المتخصصين في شئون العرب من صهيوني وغير صهيوني . وهكذا توصلت الصهيونية إلى مراكز القيادة وشكلت مراكز قومية هامة لتوجيه الأعلام الأمريكي ولتوجيه الثقافة الأمريكية فيما يتعلق بالتاريخ العربي واجتماعياته وسياسته وأصبحت هذه المراكز في جامعات أمريكا (برنستون - شيكاغو - هارفارد - كالفرينا) أدوات صهيونية وقواعد للتجسس الإسرائيلي ومن ذلك استعانتهم بأستاذة الجامعة العبرية ومن هنا نشأت الهيمنة الصهيونية العلمية على الدراسات العربية في أمريكا وكان لها أثرها العميق في الكتب والدراسات وهي التي عملت على تشويه التاريخ والواقع العربي فقد سيطر الصهيونيون على جمعية دراسات الشرق الأوسط في أمريكا الشمالية وكان رئيسها الأول (جوستاف فون جرونباوم) الشهير بعدائه الطويل للعرب والفلسطينيين والمسلمين وتلاه كثير من الصهيونيين مثل برنارد بايتندر

من جامعة شيكاغو الذى يعمل حالياً فى الجامعة العربية ونتيجة لذلك تمكن هؤلاء من الهيمنة على مجلس العلوم الاجتماعية الذى يستمد أمواله من مؤسسة فورد . (ثالثاً) : هناك محاولات جديدة للاحتواء عن طريق المنظمات والمحافل وهناك واجهات جديدة للجاسوسية مثل منظمة بناء برث . والحركة البهائية وشهود يهوه والمشرق النوراني والروتارى وغيرها . وقد بدأت صلة الصهيونية بالبهائية منذ وقت بعيد ، إذ حرصت الصهيونية على نقل البهائية إلى فلسطين واستوطنتها عكا وحيفا وهناك استغاثا الاستعمار ليمكنها من بث أفكارها المضللة توطئة لخدمته ولخدم الصهيونية التلمودية أيضاً وأخذ الصهاينة يسخرون البهائين لمخططاتهم ويحتضنونها فى محاولة لمناهضة الإسلام وينشرون مفاهيمهم وسمومهم من وراء هذا القناع الجديد فأمدوا (البهاء) بما جاء فى أسفارهم عن بهاء الله بعد أن لقبوه به ودفعوه إلى الزعم بأنه المراد بلقب البهاء . ويقول مؤرخ بهائى كبير : المراد ببشارات الكتب المقدسة هو ظهور بهاء الله الابن وهو معبود البهائين كما أخذت شعار الماسونية والثورة الفرنسية . (حرية — أخاء — مساواة) شعاراً لها لتعاطف به مع الحركة الصهيونية وقد تعاونت اليهودية مع البهائية فى سبيل القضاء على الوجود العربى فى فلسطين وتدمير كل معالم العرب وحضارتهم ومقوماتهم بما مكن للصهيونية من السيطرة أخيراً على فلسطين . (رابعاً) : كشفت الوثائق فى السنوات الأخيرة حقائق كثيرة : أولاً : صلة اليهود العالمية بفرويد وبعنهجه فى علم النفس . ثانياً : صلة الصهيونية العالمية بالفيلسوف نيتشه ودارون وتأثيرها فى تطوير نظرياتهم ومفاهيمهم بما يحقق قيام أصول ودعائم الفلسفة المادية . ثالثاً : ما كشف عن صلة التلمودية الصهيونية بسارتر ومذاهب الوجودية والهيمنة . رابعاً : ما كشف عن الصلة بين ماركس واليهودية العالمية . خامساً : ما كشف عن الصداقة والصلة بين هرتزل وفرويد .

(٦) الغزوة الصليبية والغزوة الصهيونية

قامت كلتا الغزوتين على أساس باطل وفكر زائف وأسلوب مخالف للفطرة ومضاد لطبائع الأشياء ولسنن الله فى إقامة المجتمعات ولابد لكل عمل من هذا النوع أن ينهار وينهزم ويسقط مهما راوغ وحاول استمرار البقاء . جاءت الغزوة الصليبية تحت اسم حماية قبر المسيح وجاءت الغزوة الصهيونية تحت اسم العودة إلى أرض الميعاد وقد استهدفت الغزوتين بيت المقدس من أرض فلسطين : الأرض التى بارك الله حولها ومفناح الكعبة المشرفة والبيت

الحرام ومنازة العالم الإسلامي ومتنزل الرسالات السماوية ومسرى محمد صلى الله عليه وسلم ، وتشابه الغزواتان في أنهما منطلق لقوى زاحفة من الغرب عبر البحر الأبيض المتوسط إلى أرض فلسطين مستهدفة استخراجها من أيدي المسلمين والسيطرة عليها ، فقد جاءت الحروب الصليبية واستمرت قرنين كاملين في سبيل إقامة الإمارات الصليبية لتقتحم عالم الإسلام والسيطرة على هذه المنطقة في محاولة للإمتداد منها إلى أجزاء أخرى وقد استطاع العرب والمسلمون حصارها والإدالة منها حتى سقطت واندحرت . وتتجدد اليوم الغزوة الصهيونية على نفس المخطط والمكان والأسلوب وتحاول السيطرة على هذه الأرض المقدسة متخذة منها منطلقاً للتوسع وتتنادى أجزاء العالم الإسلامي اليوم لمواجهة الخطر وتحاول أن تتخذ في هذه المواجهة أسلوب الغرب فتفشل ثم ترى يهدى الله أنه لا سبيل لها إلا أن تلتصم بنفس الأسلوب الذي أتبعه المسلمون على يدى نور الدين وصلاح الدين وهو أسلوب الإصالة والعودة إلى المنابع وتطهير المجتمعات وإلزامها بشريعة الإسلام ومنهج القرآن . وقد تناول المؤرخون قصة هذا التشابه وحاولوا أن يصلوا منه إلى فهم حركة الغزو الغربى الذى يجتاح عالم الإسلام ولا يتوقف ، والذي تمثل في الحروب الصليبية ثم في الغزوة الاستعمارية ثم في الغزوة الصهيونية ورأوا في ذلك اتصالاً متعمداً وهدفاً مبيتاً مقصوداً ، وفي كل مرة تتقدم هذه الجحافل من الغزاة تحت أسماء مختلفة للسيطرة على عالم الإسلام طامعة في موقعة الفريد وفي ثروته الضخمة وما يزال عالم الإسلام يتطلع إلى المواجهة والمقاومة من أجل تثبيت وجوده وتأكيد ذاتيته ولا ريب أن دراسة الحروب الصليبية من شأنه أن يكشف كثيراً من التشابه في مخططات الغزى باسم الاستعمار ثم باسم الصهيونية . وتحدث مجلة تابلت الانجليزية الكاثوليكية عن أوجه الشبه القوية بين إسرائيل ومملكة الفرنجة عقب احتلال عكا عام ١٠٩٩ ، هذه المحاولات من محاولات المسلمين التي لم تتوقف يوماً واحداً منذ وفدت فلول الصليبية الذين جمعهم المطامع والأهواء عن صدعها ، وهم أشبه الناس بتلك الجموع التي تدفعها الصهيونية إلى فلسطين منذ بدأ الهجرة إلى اليوم : أولئك شذاذ الآفاق الحثالة العالة ، الذين لا هم لهم إلا المغامرة . ومن شأن هؤلاء أن لا تقوم بهم دولة ولا يشكل لهم كيان ونحن حين نراجع وقائع الحملة الصليبية التي وصفت بأنها امتدت على ثمان موجات متوالية تجدها مغامرة عاصفة استخدمت فيها الأهواء العاصفة لخداع الناس تحت اسم الخطر على بيت المقدس فلما جاء الأوروبيون وجدوا كل ما حول بيت المقدس آمناً ، وجدوا المسلمين غاية في السباحة والخلق والعفو والرحمة ، فلما عادوا يحملون هذه المعاني ويشيدون بالمسلمين ضربوا

بعنف لأنهم كانوا بذلك يكذبون ما أدعته القوى التي أرسلت الغزاة بالباطل ودفعتهم ليموتوا بغير حق . وكذلك كان الشأن في الغزوة الصهيونية التي انطلقت من واقعة مضللة كاذبة ، هي واقعة الادعاء بأن النازية قتلت منهم بضعة ملايين ثم اتضح بعد ذلك أن هذه الملايين لم تكن إلا مئات قليلة ، وأن المسألة جسست وشوهت وأعطيت هذا الحجم المضلل لتكون وسيلة إلى فتح باب الهجرة وخداع الناس وكسب عطف المضللين وحتى يستطيع شعب مشرد على مدى التاريخ بغير أرض أن ينتزع شعباً آمناً من أرضه بقوة الحديد والنار ووسائل العنف والظلم ليستولى عليها وليقيم عليها دولة ليس لها أساس لا من حقائق التاريخ ولا من واقع الكيان الاجتماعي الصحيح . وأنى لدولة مثل هذه أن تقوم وتستمر وهي باطلة في دعوتها وفي أسلوب تجمعها وفي انتزاعها الأرض من أصحابها والبقاء اعتماداً على فئات الدول والسلب . وماذا تنفع الصهيونية دراسة مجتمع الصليبيين في فلسطين وهو في حقيقته لا يشكل إلا غارة عدوانية باطلة ، خدع فيها الذين استفدوا وكسب منها أصحاب المطامع والأهواء ومن ورائهم الصهيونية العالمية صاحبة رموز الأموال والاتجار بالربا والأعراض . ولقد كانت الغزوة الصليبية مصدر يقظة للعالم الإسلامي ومدعاة لتكثفه واندفاعه إلى التماس الطريق الصحيح والأسلوب الأصيل للمواجهة حسب علمنا القرآن فكان النصر الذي أزال هذا الواقع الكريه الذي قام به على الباطل والخداع . وستظل هذه التجربة حية في نفوس المسلمين والعرب تدلهم على أن كل عمل باطل لا بد أن ينهار وأن هذه الأرض لأهلها وأن كل محاولة لإزالة أهلها منها مردودة ومنهارة ولن تجدى الصهيونية دراسة تجربة الحروب الصليبية لأنها سوف تواجه نفس المصير على مدى أقرب كثيراً أو أبعد من ناحية الزمن وبأسلوب أشد قوة وصرامة ، ولن تستطيع ملايين اليهود أن تحول بينها وبين الافلات من المصير المحتوم الذي هو سنة التاريخ والحضارة والأمم ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً . فالمسلمون الآن ألف مليون نسمة والعرب منهم مائتي مليون يمتلكون الثروة والطاقة والتفوق البشري وسوف لا يهزمون من قلة . ولا ريب أن الغزوة الصهيونية إنما خططت على نسق الغزوة الصليبية أو حاول دهاقين الصهيونية اتخاذ نفس الخطط والأهداف ليحققوا مطامع التلمود وهي مطامع باطلة مضادة لحركة التاريخ ولطبيعة الأمور وللفطرة البشرية ولن تعود العنصرية مرة أخرى لتسيطر على العالم بعد أن هزمها الإسلام وأدال منها أربعة عشر قرناً وحطم قواعد وقلاعها في كل مكان في الشرق والغرب وأقام بدلا منها روح الأخاء الإنساني وسوف لا تستطيع دعوة الاستعلاء بالعنصر وباسم الشعب المختار القائمة على الأساطير والخرافات البابلية والوثنية

القديمة أن تجد طريقها بعد أن تحررت البشرية باسم المنهج العلمى التجريبي الإسلامى من زيف الوثنيات والماديات والاباحيات التى تحاول الصهيونية اليوم تجديدها وبعثها من الفكر اليونانى والغنوصى القديم . ان هدف الحملة الصهيونية هو نفس هدف الحملة الصليبية المتمثل فى ذلك الحقد الشد على الوجود الإسلامى فى هذه المنطقة الممتازة من العالم استراتيجياً وجغرافياً وبشرياً ، وثروة وسلطاناً قامت بالحق ، ومن هنا تنطلق هذه القوى للسيطرة تحت أسماء مختلفة . وهدفها هو الادالة من الإسلام : تلك القوة الحقيقية التى تملك إرادة الحياة والقوة فى مواجهة الغزو الخارجى ، وما زلت هناك مطامع تستهدف وضع هذه الثروات الضخمة فى أيدي جماعة اليهود التلموديين الطامعين إلى إقامة امبراطورية الربا . ثم هناك موقف القوى الثلاث : الصهيونية والماركسية والاستعمارية الذى تجمع على الحيلولة بين العالم الإسلامى وبين امتلاك إرادته وموقف الخوف الدائم من نمو هذه القوة مرة أخرى لتأخذ مكانها الحق ، ومن هنا كانت كل هذه المحاولات التى تريد احتواء الفكر وتدمير المجتمع عن طريق المذاهب والفلسفات والدعوات المادية والملحدة والاباحية التى يحمل لوأها فلاسفة اليهود : فرويد وماركس ودوركايم وسارتر . أن هناك محاولة ضخمة لتسميم عقول المسلمين والعرب بعد التحول التاريخى الذى اتجه إليه المسلمون والعرب حين التمسوا منهجهم الأصل فى العاشر من رمضان ، هذه المحاولة تستهدف فرض تفسير زائف للتاريخ الإسلامى الحديث يحاول أن يجعل من إسرائيل « وجوداً » إقامته أوروبا والغرب وكأنه ليس وجود قائماً بذاته من وراءه مطامع الصهيونية العالمية ومخططات برونو كولت صهيون ، ولا ريب أن المؤججين لهذه السموم هم الماركسيون والتقدميون واليساريون ، الذين كانت الماركسية فى أيديهم ولا تزال خادمة للصهيونية العالمية وهى من صنعها أصلاً . أن الهدف هو هذه المنطقة الفريدة فى العالم : منطقة دعوة الإسلام ومقدرات المسلمين الضخمة التى تستهدف الاحتواء والسيطرة والغزو التى سوف تظل دائماً قادرة على المقاومة ساهرة على حراسة مقدراتها مرابطة فى سبيل الحفاظ على كيانها ووجودها . وسوف لا يضحى المسلمون والعرب بعقليتهم وتراثهم فى سبيل ما يسمى العلم والتكنولوجيا وأنهم لقادرون على امتلاك هذه القوة وقد أخذوا بها فعلاً فلم يبق هناك ما يسمى بالصراع الحضارى ، ذلك أن الوجود الإسرائيلى هو فى طبيعته وجود غير قائم بذاته بذاته ، لا يعتمد على « أمة » صحيحة ، وليس يهود إسرائيل هم يهود التوراة وأبناء يعقوب ، وليس لدى إسرائيل ما لدى العرب من الطاقة والتفوق البشرى والقوة الاقتصادية ، وأن هذا المجتمع المهلهل المجمع من شذاذ الافاق لا يمكن أن يكون أقوى على الحياة من أهل هذه

الأرض ، فأين إذن التفوق الحضارى وأين يقوم الصراع الحضارى وإسرائيل تعيش على المساعدات الخارجية ولم تتمكن بعد ربع قرن من أن تعيش على مواردها ، أو تكون قادرة بمفردها للدفاع عن وجودها ، ذلك لأنها بطبيعتها العدوانية لا تستطيع أن تمثل مجتمعاً حقيقياً ولا وجوداً صحيحاً ، ولولا دورها الذى تقوم به فى خدمة النفوذ الأجنبى لسقطت من أول يوم ، ومن هنا فإن تلك الأكاذيب والشبهات التى يحاول دعاة التقدم والماركسية واليسار وغيرهم إذاعتها لن تؤثر شيئاً فى النفس العربية التى أخذت فى امتلاك إرادتها وعرفت طريقها الصحيح . ولقد كانت هذه المنطقة منذ تسلمها المسلمون أمانة فى أيديهم للأديان الثلاث وقد آمنت كل القوى بأصالتهم وأحقيتهم بهذا الدور وسوف تعجز الصهيونية عما عجزت عنه الحروب الصليبية من انتزاع القدس من أيدي المسلمين الحماة الأمناء . يقول المؤرخ ريفمان : أن المسلمين لم يقرروا بوجود الدولة الأجنبية الدخيلة فى أرض يعتبرونها ملكاً لهم . نعم هذا هو الحق ومن الحق أيضاً أن المسلمين انتصروا تحت اسم مدرسة التسليح الخلقى على كل الخلافات واستطاعوا أن يتجمعوا لمواجهة الخطر وكان دور الشعب الإسلامى أقوى من الحكومات يقول ريفمان : أخذ العرب يلتمسون الوجهة بمجرد إدراكهم لمغزى قيام الدولة العدو بينهم غير أن هذا التطور كان بطيئاً غاية البطء ، وبقي الصليبيون مدة طويلة وهم قادرون على مهاجمة أى من الأقطار المجاورة لهم . واستطاع الصليبيون أن يصلوا إلى حدود مصر وضواحي دمشق وأن يتوغلوا فى حوران ، غير أن نجاح صلاح الدين فى توحيد مصر وسوريا واليمن تحت حكمه قضى على كل أمل للصليبيين فى التوسع ، وبالرغم من الأعداد القادمة من أوروبا فقد بقي الصليبيون معتمدين على العالم المسيحى فى الرجال والمال واستمروا ما بقي العالم المسيحى يمدهم وذبلوا عندما انتهى هذا الاهتمام " ونحن نجد أن مواجهة العربية الإسلامية للغزوة الإسلامية الصهيونية تسير فى طريق أكثر قوة وعمقاً بالرغم من بطئها فى المراحل الأولى فهى متدخل بعد العاشر من رمضان فى مرحلة الحسم والاقتناع الصحيح بالطريق الاصيل للمواجهة ، المواجهة بأسلوب الإسلام ، بالعقيدة والشريعة والتربية الإسلامية والجهاد . ولن نتخذنا كتابات التلموديين وسوموم التقدميين ومراوغة الماركسيين عن أن نعرف الحقيقة ، التى بدأت يوم عدت الصحافة التى كان يمسك بمقادتها المارونيون اللبنانيين فى مهاجمة السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية والخلافة الإسلامية تمهيداً لفتح طريق الصهيونية إلى القدس . ولقد أشارت مؤرخة يهودية إلى أن دخول اللورد اللنبي القدس كان بمثابة الخطوة

الأولى لتسلم اليهود إياها (دخلها النبي ١٩١٧ وتسلمها اليهود ١٩٦٧) . وهذا الجيب الحديد في لبنان هو حلقة من مخطط الصهيونية التلمودية في العالم الإسلامي يستهدف مزيداً من تمزيق وحدة العرب والمسلمين والتمكين لإسرائيل والصهيونية . ولكن انبعاث عالم الإسلام اليوم وسلامة اتجاهه إلى الأصالة يوحى بأنه قد وضع قدمه على أول الطريق الذي لا ينهزم وإن طال به زمن المقاومة ، أو امتداد المواجهة ، لأنه طريق القرآن الأصيل ، أما الطريق الذي سار فيه المسلمون والعرب من قبل سواء إلى الغرب أو إلى الشرق فهو الذي ضاعف من هزيمتهم ونكبتهم وكاد أن يفقدهم وجودهم لولا أن هداهم الله فعادوا إلى التماس أصالتهم ، ولقد كانت حركة التغريبيين والشعوبيين والماركسيين والوجوديين جميعاً تستهدف القضاء على الأصالة الإسلامية تمكيناً للصهيونية التلمودية فكلهم من خدامها وعملائها وأدواتها وسوف يثبت المسلمون والعرب أمام الأحداث مستمسكين بكتاب ربهم الذي وعدهم النصر ما ثبتوا والتسوا طريق الأصالة والله غالب على أمره وسوف تنكشف الغزوة الصهيونية مهزومة كليله وأشدخزيماً من الغزوة الصليبية .

الرسالة الثالثة

العالم الإسلامي والغزوة الشيوعية

« مدخل تاريخي »

لا يمكن فهم الشيوعية إلا بدراستها من خلال تاريخ الفكر الغربي نفسه ذلك أن الشيوعية لا يمكنهم أن تقدم نفسها للبشرية على أنها مذهب مستقل أو أيولوجية حرة أو عقيدة خالصة ، وإنما هي ثمرة من ثمار الوضع السياسي والاقتصادي الذي قام عليه المجتمع الغربي بعد عصر النهضة بكل ينطوي عليه من مفاهيم وتحديات فهي واحدة من مراحل التطور الغربي الذي بدأ بالثورة على الكنيسة وقيام البروتستانتية ونشأة النهضة الصناعية وما اتصلت به من زحف الاستعمار إلى قارتي آسيا وأفريقيا . وقد نشأت نتيجة تصاعد الرأسمالية الغربية وغلوها وسيطرتها تيار يرمي إلى مقاومة الاحتكارات والسيطرة الطاغية وإقرار حقوق العمال ونشأت من جراء ذلك نظريات ومذاهب حاولت أن تواجه هذه الأوضاع بأسلوب التدرج والإصلاح ، غير أن النظرية الماركسية التي تشكلت من بعد كانت تستهدف أمراً أبعد مما كانت ترمي إليه حركات دعاة الاشتراكية فقد جاءت تستهدف خطة تقوم على العنف والصراع الطبقي وإثارة العمل لإيقاد الثورة وتدمير الأنظمة القائمة . فقد كان هدف الماركسية تمزيق المجتمع الأوربي وإثارة بعضه على بعضه الآخر وإيقاد نيران الحقد واضطرام أوار الخصومة بين جنبااته

سعيًا وراء إسقاطه كلية في يد اليهودية العالمية التي كانت تخطط لهذه السيطرة منذ وقت بعيد والتي كانت تمتلك الذهب والمصرف وامبراطورية الربا وتنحفي وراء كل القوى الزاحفة إلى آسيا وأفريقيا وكان المرابون اليهود هم الذين يتحركون من خلف الاستعمار البريطاني والفرنسي في الهند ومصر والعرب ومن هنا فإن للشيعوية أرضية تاريخية مزدوجة ، تربطها بالمجتمع الرأسمالي الغربي إنها ثمرة تطوره . ثم هناك رابطتها باليهودية العالمية من حيث أنها هدف من أكبر أهدافها وتحجى الثورة الروسية من مرحلة تالية للثورة الفرنسية وامتداداً لها . فإن الثورة الفرنسية هي نقطة البدء في التحرك اليهودي إلى خارج الجيتو فقد استطاعوا تحطيم القيود التي كانت تسيطر على حركتهم والتي وضعتها الكنيسة بهدف عزلهم عن المجتمع المسيحي والحد من نفوذهم الخطير الذي كانوا يسيطرون به على الاقتصاد الأوربي والمجتمعات الأوربية . ومن الثورة الفرنسية بدأت الخطة اليهودية التلمودية تخرج إلى النور لتسيطر على المجتمع الأوربي والفكر الأوربي ثم كانت الخطوة التالية التي كشفت بروتوكولات صهيون عن هدفها السيطرة على العالم ، وذلك بعد تمزيقه إلى قوتين متصارعتين فكانت النظرية الماركسية هي نواة الثورة الشيوعية الروسية . وقد استطاعت اليهودية التلمودية أن تقطع مراحل واسعة في الفترة الواقعة بين الثورة الفرنسية إلى الثورة الروسية في هدم مقررات المسيحية وتدمير الدولة المسيحية الأوربية واحتواء البروتستانتية حتى جاءت الشيوعية لتقهر الفكر التلمودي كله في مذهب متكامل فقد استطاعت الماركسية أن تسوِّع مفهوم الفكر الماسوني التلمودي اليهودي لتظهره في نظرية خادعة تتملق عراطف الجداهير بالدعوة إلى فردوس أرضي كاذب وتستغل ما بين الطبقات من تناوت وركوب التيارات الوطنية والقومية ومهادنة الدين ومحاولة التعايش مع النظم المختلفة لمرحلة من مراحل السيطرة والتمكن . وقد اتخذت اليهودية العالمية من الشيوعية وسيلة للتغلب على العالم ووصول إلى السيطرة وتسخير المواد العالمية وفق أهوائهم وقد كون ماركس رأيه مقدماً بصدده هذه النظرية ثم أخذ يلتبس الأسانيد والمبررات لهذا الرأي فقد أصدر البيان ١٨٤٨ ولم يكن قد قام بتلك الدراسات التي نشرها فيما بعد والتي صدر الجزء الأول منها ١٨٦٧ ويتبين من ذلك أن نظريته لم تكن وليدة بحث علمي بل كان البحث العلمي الذي قام به في هذا الصدد بمثابة دفاع أو تبرر لتلك النظرية التي اعتنقها مقدماً. لقد كانت النظرية يستهدف غايات واضحة : أولاً : الحقن على البشر ، وقتل النبوغ ، التامر وإثارة الصراع بين الطبقات . ثانياً : معارضة الوطنية والقومية والدين

والملكية والفردية وحرية الرأي ثالثاً : العمل على تحطيم نظام الأسرة والقضاء على الروابط العائلية وجعل الولاء مقصوراً على السلطة الحاكمة نفسها . رابعاً : القضاء على كل الأديان غير اليهودية والعمل على نشر الإلحاد ثم جاءت الثورة الشيوعية الروسية كما خطط لها اليهود وبعد إمدادها بالمال والتواطؤ مع أعداء الدولة الروسية حتى استطاعوا إقامة هذا النظام الذى مزق العالم إلى قوتين متصارعتين الراسالية في مقابل الشيوعية وكلتاها مافى يد اليهودية العالمية . ولقد كانت الثورة الفلسفية من تصميم اليهود وكان ما يحقق فى روسيا بفضل العقلية اليهودية التى صنعت الشيوعية وكان زعيم الشيوعية وواضع أسسها الحاخام الأعظم كارل ماركس اليهودى المتعصب تعبيراً عن النفس اليهودية المليئة بالحققد على جميع طوائف البشر ورغبة فى الانتقام بها ، وكان المنفذ للدولة الشيوعية واحد من أخطر الماركسين هو « لينين » وهو واحد من أخطر واضعى بروتوكولات صهيون . ومن هنا فقد تكشف أن الشيوعية هى فكرة تلمودية يهودية لها دورها فى تنفيذ المخطط الخطير الذى يرمى إلى تحطيم الأديان وتأجيج نار العداوة والبغضاء بين الأفراد والشعوب وتجلى ذلك الهدف الواضح من إقامة الدولة الشيوعية فى نفس الوقت الذى يستعلن فيه قرار وعد بلفور بإقامة الدولة الصهيونية فى قلب فلسطين وأن تكون الخطة قائمة على القضاء على الدولة العثمانية كتمهيد لهذه الغاية أو كما يصورها أحد الباحثين بقوله : إن الأفعى اليهودية فى طريقها إلى أورشليم ، قد مرت على القسطنطينية فدمرت الخلافة الإسلامية ولم يكن هناك مفر من تدميرها قبل الوصول إلى أورشليم وإقامة دولة إسرائيل . والمتنبعون لأحوال تركيا قبل سقوط الخلافة وبعد قيام مصطفى كمال بالحكم التركى اللادىنى وانحياز تركيا إلى إسرائيل ضد العرب ، فى كل المواقف السياسية يلمسون اليد اليهودية فى توجيه سياسة تركيا وهذه نبوءة من نبوءات الأستاذ سرجى تيلوس مترجم بروتوكولات حكاء صهيون التى أطلق عليها الإنجيل البلشوى وهو أول من نشره فى العالم باللغة الروسية ويتصل بهذا مما تفصله الوقائع خلال البحث تلك الصلة الوثيقة بين ماركس وبين مخططات الصهيونية التى كان قد أعلنها « موسى هيس » صديق ماركس والذى كانت أيدلوجيته تحقيقاً للهدف المقصود بل إن المؤرخين يؤكدون بأن المسودة الأولى للبيان الشيوعى الذى أصدره ماركس كانت من وضع موسى هيس فيلسوف الصهيونية الأول وأن البيان الشيوعى الذى أصدره ماركس عام ١٨٤٨ كان بأمر من الماسونية فقد كان كارل ماركس صهيونياً ماسونياً . ثم كان تعهد لينين لليهود فى إبان نضاله لإقامة الدولة الشيوعية بالعمل على إنشاء دولة إسرائيل فى فلسطين . ويتصل

بهذا دور «فرويد» في المخطط فقد كان تابعاً للمنظمات الصهيونية وكان دوره مع صديقة هرترزل هو عمل خطة لتدمير العالم خلقياً واجتماعياً ومن ثم كانت نظريته في التحليل النفسى على النحو الذى عرف من بعد دعوة إلى اتخاذ الجنس مصدراً للعواطف والتصرفات الإنسانية وتبنى اليهودية التلمودية لهذا الخط حتى نص على ذلك فى بروتوكولات حكماء صهيون بشأن فرويد منا . ونحن حين نضع الشيوعية فى موضعها الصحيح ونردها إلى مكانها الحقيقى من تاريخ الغرب فى العصر الحديث ومن الأهواء التى تحتاج العالم كله تحت لواء امبراطورية الربا الطامعة فى وراثة الاستعمار الغربى نكشف عن الخلفيات الحقيقية التى لا يمكن مواجهة الشيوعية إلا بفهمها والتعرف عليها .

(٢) هناك رابطة واضحة وأكيدة بين إسقاط اليهودية العالمية للامبراطورية الروسية القيصرية ، وقيام الدولة البلشفية وإسقاط دولة الخلافة الإسلامية وإقامة إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى فهذه جميعها وحدة واحدة لا تنفصل ولا تتجزأ ، وإن بدت فى ظاهر الأمر كأنها قضايا مختلفة ، فقد استطاعت قوى الأعلام الغربى والصهيونى أن تحول دون إلتقاء هذه الأجزاء ، فإذا جاء صوت من أصوات الحق ليعلن أن الصهيونية والشيوعية من منبع واحد ، وأن الشيوعية وليدة الصهيونية بدت الدهشة على وجوه الذين لا يتعمقون الأمور والواقع أن الصهيونية والشيوعية من أصل واحد وهما يتآمران على نشر الإلحاد وبلشفة العالم الإسلامى وأن اليهود هم أول من أسس الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية . وقد أشار الباحثون إلى أن الشيوعية هى إحدى فرق الماسونية ، ويتكون من أعضاء الماسونية الملوكية الذين وصلوا إلى درجة رفيق (لينين - ستالين تروتسكى) ولهذا الفرقة محفل واحد فى نيويورك لا يدخله من اليهود إلا قليل . وهدف الماسونية الحمراء هو إقامة دولة شيوعية عالمية كخطوة لإعلان الدولة اليهودية العالمية لأن إعلانها عن هدفها صراحة يؤلب عليها العالم ولكنها حاولت الدخول إلى العالم بأسلوب مغر براق . والهدف النهائى هو إعلان الدولة اليهودية العالمية وتعيين أحد من ذرية أحد أسباط إسرائيل ملكاً على العالم كله . وقد جاء فى بيان الشرق الأعظم الفرنسى والماسونى عام ١٩٠٤ أن الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية لأن مؤسسها ماركس وانجلر ولقد كان محفل الماسونية الحمراء وراء الثورة الفلسفية فى روسيا - كما كان وراء الثورة الفرنسية من قبل - وأنه على أثر المذابح التى قامت بها روسيا القيصرية ضد اليهود فى نهاية القرن التاسع عشر تقرر تفويض دعائم الدولة القيصرية فى روسيا وإقامة الدولة الشيوعية مكانها .

وقد عقد حاييم وايزمان ١٩١٦ محادثات مع لينين قبل نجاح الثورة تقرر فيها فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية لإقامة وطن قومي لليهود وكان أول عمل للثورة الشيوعية في روسيا ١٩١٧ اعتبار العداء لليهود جريمة يعاقب عليها القانون وإعلان أن الحكومة السوفيتية تؤيد الحق الكامل لليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين وقد تشكلت الحكومة الشيوعية الأولى من ٢٢ وزيراً منهم ١٧ يهودياً . وقد دخلت روسيا الحرب العالمية بجانب الغرب الرأسمالي لتحقيق أطماع اليهود في فلسطين وللقضاء على ألمانيا هتلرية ألد أعداء اليهود والتعاون بين روسيا وأمريكا ليس تعاوناً عارضاً ولكنه تعاون أصيل وجد يوم سيطرت الماسونية على القوى السياسية في كل من أمريكا وروسيا .

(٢)

يقول الدكتور محمد عزت نصر الله : لقد استولى اليهود على مقاليد الحكم في روسيا بعد الانقلاب الشيوعي في ٨ أكتوبر ١٩١٧ ومن الغريب أن الشيوعية قد هاجمت جميع الأديان (وخاصة الدين الإسلامي) . وغضت الطرف عن (الخرافات اليهودية) وقد برر لينين ذلك بقوله : أن حجر الزاوية في رأى كارل ماركس وانجلرفي الدين هو قولهما المأثور أن الدين هو (أفيون الشعوب) ولقد كان رأى ماركس على الدوام في الدين والمعاهد والكنائس والمساجد وكل نوع أنواع المؤسسات الدينية أنها صدى للرجعية وأن لا هدف للأديان إلا الدفاع عن سياسة الاستغلال والتخدير ، أما الخرافات اليهودية وإن كانت لا تختلف عن باقي الأديان ولكن بقاءها لليهود البؤساء أمر ضروري للمحافظة على يهوديتهم حتى ينالوا حقهم ، ذلك أن اليهود إذا نبذوا دينهم حينئذ يتيهون في الأقوام المجاورة لهم ويمرور الزمن يفقدون إسرائيلييتهم ولمحافظة إسرائيل كمجموعة كاملة ومتحدة فالدين أمر ضروري فلم يجمع بني إسرائيل غير الدين ومحافظة الدين اليهودي أمر ضروري لحياة الشعب اليهودي المختار ريثما ينالوا حقوقهم » إن هذا التجاوز الشيوعي للدين اليهودي واستثنائه من خطط محاربة الأديان يبرهن على أن الشيوعية إنما تعمل لتحقيق الهدف الصهيوني في السيطرة على العالم ابتداء من فلسطين العربية المسلمة ، فإذا كانت الحرية الدينية محرمة على المسلمين والمسيحيين ومباحة لليهود فإن الأجيال المسلمة والمسيحية القادمة ستصبح بلا دين ولا تعبد غير المادة وذلك بخلاف الأجيال اليهودية التي تستطيع عندئذ أن تسيطر على الشعوب التائهة التي كانت مسلمة أو مسيحية فيما مضى وقد نشر ستالين مقالة في جريدة (نومسه مولكاييا برافدا) في ١٦ أيلول

١٩٤٤ جاء فيها أن دولة السوفييات الشيوعية لا يمكنها الوقوف موقفاً محايداً تجاه الدين فالحزب الشيوعي يقف بجانب المادة في حين أن الدين يناهض المادة (يقصد المسيحية) الدين والشيوعية مثلهما مثل النار والماء فكما أن هاتين المادتين لا تتحدان وإحادهما تقضى على الثانية فلا مكان للدين في الديار الشيوعية أبداً فكل دين من الأديان هو المادة وعلى طرفي نقيض (ا.هـ. ولذلك أجاز القانون الأساسي الشيوعي تعليم الدين إلى الشيء بعد اجتيازهم سن الرشد (٢٢ سنة) ونص على أن تعلم الدين للأطفال قبل سن الرشد يعاقب عليها ، أن سياسة التربية الشيوعية تفرض على الإنسان أن يترعرع ويكبر ويشب في بيئة ملحدة وثقافة تستهزئ بالدين وتسخر بتعاليمه وبالكُتب السماوية إلى أن يبلغ سن الرشد السوفيتي (٢٢ سنة) ثم بعد ذلك يسمح له بممارسة الحرية الدينية وقد أدت هذه السياسة إلى ظهور جيل ملحد لا يؤمن بالله ولا يؤمن بدين باستثناء الدين اليهودي يسمح لليهود فقط - كما قال لينين - بممارسة حريتهم الدينية الكاملة لأن الدين اليهودي أمر ضروري لحياة الشعب اليهودي المختار لريشما ينالوا حقوقهم وهكذا برر لينين الحماية الشرعية للدين اليهودي . إن لينين يعترف إذن باليهود كشعب مختار ولعل هذا ما دفع الحكومة السوفيتية في بداية حكمها عام ١٩١٧ إلى إصدار جملة قرارات كان أهمها إعلان التأييد الكامل لحق اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين . وإذا سألنا ما هي حقوق اليهود فالجواب هو (ماركسيا وصهيونياً) تنفيذ مرامي وأهداف الأيدولوجية اليهودية القائمة على فكرة الشعب المختار والدافعة بالتالي لاعتبار : ١- إن الأرض كل الأرض وما فيها ميراث لبني إسرائيل تلزمهم مشيئة الرب بأن يستولوا عليها . ٢- إن كل شريعة غير شريعة بني إسرائيل هي فاسدة . ٣- إن كل سلطة على وجه الأرض غير سلطتهم هي مغتصبة . ٤- إن كل شعب حر غير شعبهم قابض على ذروة من السلطة هو غاصب . ٥- إن الرب حرم عليهم الشفقة والرحمة . وهكذا أصبح حل المشكلة اليهودية يستلزم أن يسيطر اليهود على جميع الناس - يقول كاي مردخاي (أو : كارل ماركس) أن المشكلة اليهودية لا تحل نهائياً إلا بالتحول الاشتراكي للعالم بأسره وإذابة الأديان والقوميات في بوتقة الماركسية أو الاشتراكية العلمية أو التقدمية الثورية ، ذلك أن المشكلة اليهودية قائمة تحت ضغط الاعتقاد القائل بأن اليهود هم شعب الله المختار ، وبما أن التقدمية الثورية (فكر وحركة وهدف) تعمل لإخضاع المجتمع البشري كله إلى قيادة طليعة اشتراكية ماركسية واحدة ترتبط بها كل الحركات الماركسية في العالم يرى اليهود أنهم أصلح البشر

بصفة كونهم شعب الله المختار لاحتلال مركز القيادة التي هي الاسم العصري لعقيدة شعب الله المختار اليهودية . وقد استطاع المكر اليهودي أن يؤسس الحركة الماركسية لتتم السيطرة اليهودية على العالم بالتحول الاشتراكي وأن يؤسس الحركة الصهيونية لتتولى عملية مزاحمة العالم (وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية) بأن هذه الحركة لا صلة لها بالشوعية العالمية وأنها تعمل لصالح الاستعمار الغربي وخدمة استراتيجيته الدولية العامة وبذلك يتمكن من إحراز عطفه ومساعدته على إقامة الوطن القومي اليهودي ثم الالتفاف بعد تحقيق ذلك للانقضاض على الغرب وتحقيق السيادة اليهودية بالسيطرة (ماركسياً وصهيونياً) على العالم كله ، وهكذا يتحقق التصور اليهودي للعقيدة اليهودية وما هذا الخلاف الظاهر بين الاتحاد السوفيتي - قاعدة العمل الماركسي - والصهيونية سوى التكتيك المرحلي الذي تتطلبه خطة السيطرة اليهودية في الوقت الراهن وطبيعي أن السيطرة اليهودية لا يمكن أن تتم إلا بعد تهديم العالم الإسلامي وإضعاف الشعوب الإسلامية .

(٤)

بدأت الثورة الروسية في ١٩١٧-١٩٠٩ سلسلة من حركة الاعتصام والأضراب العام في المصانع هدفها هدم العنصرية وسياسة آل رومانوف وقام عام ١٩١٨ في روسيا نظام ديكتاتوري يتجاهل حقوق الأفراد ويستمد من كارل ماركس . وقد ثبت بالتجربة مدى الفارق بين الواقع التطبيقي وبين نظريات كارل ماركس ، وقد وضع لينين تفسيرات جديدة أطلق عليها الماركسية اللينينية وقد أعلن لينين منذ اليوم الأول تصريحه الخطير المشهور : أن الماركسية اللينينية لا تعترف بوجود أي قوى فوق الطبيعة ولا أي خالق ، وأنها تحرر الإنسان مرة واحدة وإلى الأبد من الخرافات والعبودية الروحية ، أن الماركسية اللينينية تنظر إلى العالم كما هو قائم دون أن تضيف إليه مخترعات الجنة والنار . ص ١٦ (ك : أسس الماركسية اللينينية . الطبعة الإنجليزية موسكو ١٩٦٤) وقد أجمعت المصادر على أن الثورة الشيوعية في روسيا قامت بتدبير اليهود وتخطيطهم وأن كل زعماء الشيوعية مثل ماركس ولينين وستالين وفورشيلاف ومولوتوف كل هؤلاء وغيرهم من أصل يهودي أو لهم زوجات يهودات . وقد نشرت مجلة أفريكا هيرو كبرى المجلات اليهودية في أمريكا في ١٠ سبتمبر ١٩٢٠ تقول : أن الثورة الشيوعية في روسيا كانت من تصميم اليهود وأنها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون إلى خلق نظام

جديد للعالم وأن ما تحقق في روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التي خلقت الشيوعية في العالم
ولسوف تعم الشيوعية العالم بسواعدهم ويقول موسى سنيه الزعيم الإسرائيلي : أن كل يهودي
يعلم في أعماق نفسه من كان أعظم وأحرص على صداقتهم : أنه الجمهورية السوفيتية ،
ويقول لا أستطيع أن أتصور يهودياً يقوم بدور العداء للاتحاد السوفيتي ومثل هذا اليهودي
غير طبيعي وتشويه لكل الحقائق . ولقد كانت روسيا السوفيتية هي أولى الدول بعد أمريكا
التي اعترفت بقيام دولة إسرائيل وقد عرف اليهود لروسيا هذه المكرمة وأعلنوها على لسان
كثير من زعمائهم وقد رد اليهود لروسيا الجميل بأن سلموها أسرار القنبلة الذرية التي كانت
أمريكا وحدها هي التي تعرف أسرارها بعد الحرب العالمية الثانية ، هذه القنبلة التي كانت
سبباً مباشراً لإنهاء الحرب مع اليابان بعد إلقاء اثنتين منها على المدنيين اليابانيين في هروشيما
وناجازاكي ولقد عمل أثرياء اليهودية في العالم على تحويل الثورة الفلسفية ودعمها وأن
مجلس الثورة الذي حكم روسيا بعد ثورة ١٩١٧ كان مكوناً من عشرة من الأعضاء من بينهم
سبعة من اليهود وأن لينين وستالين من أصل يهودي وقد كان ستالين متزوجاً من يهودية وأن
أربعة من أعضاء مجلس السوفيت الأعلى من اليهود وأن خورشوف ومولوتوف كلاهما متزوجين
من يهوديات وإذا أردنا أن نتعرف إلى النفوذ اليهودي في الاتحاد السوفيتي فإننا نجد أن هناك
مليون يهودي منبشرين في أوساط البحث العلمي . ويوجد ثمانية آلاف نائب يهودي في مجلس
السوفيت الأعلى والمجالس الاتحادية . ويوجد يهود بين الوزراء وقادة المصالح والمؤسسات
الضخمة وقد هاجر خلال السنوات (١٩٧٠ - ٨٠) إلى إسرائيل عدد كبير من العلماء والخبراء في
الشئون العسكرية والذرة والتكنولوجيا . ويقول دكتور أحمد عوف أن لينين من مخططي
الصهيونية ومن واضعي برتوكولات حكماء صهيون وأنه حضر مؤتمر الحكماء في سويسرا وأن
الثورة الدولية ليست من طبقة البرولتاريا بل من طبقة اليهود وأن أول رئيس في دولة روسيا
زعيم اليسار العالمي كان اليهودي (كليمنيف) وتلاه الإرهاني اليهودي مضروloff وتبعهما
اليهودي زينو كيف . وقال أن الذين يحكمون الآن ليسوا هم الروس ولكنهم حفنة من اليهود
الإرهابيين العالميين والمعروف أن جوليس روزنبرج وزوجته اتيل اليهودية المتجنسين بالجنسية
الأمريكية وهما من كبار علماء الذرة قاما بنقل أسرارها إلى روسيا لتستطيع أن تقف موقف
النند من الولايات المتحدة وقد قدما إلى المحاكمة بتهمة الحياة العظمى وثبتت التهمة عليهما
وتم إعدامهما في ١٩٥٣.٧.٢٠ رغم محاولات الصهيونية العالمية لتخفيف الحكم وقد قام علماء
الذرة اليهود المتجنسين بالجنسية البريطانية بنفس الخيانة .

عملت البلشفية منذ أن سيطرت وحكمت بعد حكم القياصرة على وضع قواعد للعمل الماركسي في الساحة الإسلامية والعربية فكان مؤتمراً باكو الذي أشرف عليه اليهودي الماركسي كارل راديك (يوليو - أغسطس ١٩٢٠) الذي أطلق عليه حركة التحرر الوطني للشعوب العربية الإسلامية . وقد قاد هذا المؤتمر على خدعة كبيرة : فقد وجه نداء إلى المسلمين جاء فيه (يا شعوب الشرق : إنكم تملكون أغنى بقاع العالم وأخصبها وأوسعها ، هذه البقاع كانت مهد الإنسانية ومستودع الغذاء لبقية الشعوب الجائعة : الاستعمار والرجعية التي تفترسكم وهي السبب في تخلفكم : بريطانيا في مصر وبلاد العرب وما بين النهرين والاستعمار البريطاني في فلسطين) وقد وقع بيان باكو مجموعة من اليهود الروس والبلغاريين والفرنسيين والهولنديين تحت زعامة زينو فيف اليهودي . وقد فشل المؤتمر لأن المسلمين في روسيا قد ثاروا لما وجدوا من عنف التحدي للعقيدة الإسلامية . وكانت هذه خدعة موجهة للعالم الإسلامي . وهناك خدعة أخرى وجهت للمسلمين في المناطق الآسيوية وكان ستالين ولينين قد أصدرنا منشوراً يطمئنان فيه الشعوب الإسلامية (١٧ ديسمبر ١٩١٧) جاء فيه : أيها المسلمون : أديانكم وعاداتكم وثقافتكم ومعاهدكم العلمية والقومية مصنوعة من كل اعتداء ، اعتقدوا أن البلاشفة يدافعون عنكم وعن حقوق الشعوب التي تعيش في روسيا كلها ، إننا نرفع علمنا لهذا الشعوب المتعبدة في روسيا . ولم تلبث الحكومة البلشفية أن خدعت المسلمين وأغارت عليهم ، في غدر وخسة ونذالة ففي إبريل ١٩١٨ أصدر لينين أمراً بزحف الجيوش الروسية على البلدان الإسلامية دون سابق إنذار فأخذت الدبابات تحصد المدن والقرى وتفتك بالشعب الأعزل الامن دون تمييز ولم ينته عام ١٩١٨ حتى كانت جمهوريات (إيدل أورال والقوقاز والتركستان وقد غدت تحت حكم البولشفيك المباشر كما هاجم شبه جزيرة القرم ستون ألف مقاتل شيوعي وقد قاوم المسلمون مقاومة مستميتة وفي ١٩٢٠ أتمت موسكو إحتلال شبه جزيرة القرم وفي عام ١٩٢١ هجم الروس على جمهورية بخارى وشرعو في تطبيق أنظمتهم الشيوعية فألغوا الملكيات وصادروا الأموال والثروات وألغوا التعليم الديني واضطهدوا رجال الدين والزعماء والقادة وحولوا المساجد إلى دور للهو ومكاتب للمتلوبين في الحزب الشيوعي وهكذا فرضت الشيوعية بقوة السلاح نفوذها على مناطق إسلامية واسعة في القوقاز وأذربيجان والتركستان وقازان وغيرهما وما زالوا يعملون على صهر هذه المناطق ولكن أهلها عملوا ما في وسعهم على

أن يقاوموا الشيوعية ويترقبون الفرص للتحرر منهم وقد خاضت الشيوعية أعنف المعارك المجردة من كل رحمة والمنافية لكل المثاقفة للإنسانية ضد المسلمين المقيمين بالاتحاد السوفيتي من تعذيب يشيب لهوله الولدان إلى تجويع حتى الموت ، ونفي لثلاث الألوف إلى معسكرات الاعتقال بيسيريا إلى إعدام بالجملة حتى تناقص عدد المسلمين من ٤٥ مليوناً في بدء الثورة الشيوعية إلى ٢٢ مليوناً في الوقت الحاضر وكان عدد مساجد المسلمين في روسيا في بدء الثورة الحمراء ١٩١٧ عشرة آلاف مسجد وعدد علماء المسلمين ٢٧ ألف عالم وقد تناقص عدد العلماء حتى وصل إلى ٤٠٠ عالم وأغلقت الحكومة السوفيتية ٨ آلاف مدرسة إسلامية . وقد بلغت ضحايا الحكم الشيوعي في المسلمين حسب المصادر السوفيتية نفسها ثمانمائة ألف ما بين ١٩١٧ و ٢٧٠ ويمكن القول أن المسلمين في القوقاز والتركستان وغيرهما من الأقاليم الإسلامية في نطاق الاتحاد السوفيتي قد قاوموا طوال خمسين عاماً حفاظاً على دينهم وثقافتهم رغم الإذلال والتعذيب وقد ظل العالم الإسلامي صامداً في وجه الزحف الماركسي ٥٨ عاماً .

(٦)

تجمع المراجع التاريخية على أن اليهود استطاعوا السيطرة على المجتمع الروسي قبل قيام الثورة الروسية وهم الذين قاوموا بتدبير تلك الثورة ثم مارسوا خططهم في بناء مجتمع ما بعد الثورة وهذا يعني إمتداد السيطرة الصهيونية على الشعب الروسي وبالرغم مما منحه القيصر اسكندر الثاني اليهود من امتيازات وعطف خاص عليهم عام ١٨٥٥ فإنهم قابلوا ذلك بالعداء والكيد له فحاول زعماء المرابين اليهود اغتياله خوفاً من استمرار عطفه على الرعايا اليهود من شعبه مما يؤدي إلى شعورهم بالولاء على حساب انتقاص ولائهم للدعوة الصهيونية وخوفاً من أن يذوب هؤلاء اليهود في المجتمع الروسي فتنتهي شخصيتهم أو يندثر كيانهم لأن هدف تخطيط زعماء اليهود كان يقضي بقاء اليهود في عزله مستمرة عن باقي الشعوب ولهذا دبوا اغتيال القيصر صاحب الإحسان إليهم بهد أن أفلحوا في تدبير زيارة خاصة يقوم بها القيصر إلى إحدى الفائنات من بنات الهوى فاغتالوه في منزلها ١٨٨١ وكان اغتيال القيصر الاسكندر الثاني بأيدي اليهود سبباً في سرعة الانطواء اليهودي في المجتمع الروسي وكان هذا هو ما أرادته زعماء المرابين اليهودي وعندئذ تحركت مؤسسة روتشلد بالاتفاق مع الإعلام المسموم للتفريق بالوحشية وبالإجراءات التعسفية التي اضطرت الحكومة الروسية إلى اتخاذها ضد اليهود الغادرين وأرسلت مؤسسة البارون روتشلد وفداً يهودياً إلى روسيا لتقديم احتجاج للقيصر الجديد

بمناسبة عودة اليهود إلى عزلتهم وبدء التضييق عليهم. وكان ذلك بمثابة تغطية على فضيحة المؤامرة التي راح ضحيتها القيصر وقد أصدر القيصر بياناً في ١٨٨١-٤-٣ جاء فيه أن الحكومة الروسية بذلت وأعطت عنايتها باليهود منذ فترة طويلة بقصد حل مشاكلهم إلا أنها لاحظت ما فعله اليهود من أعمال وتصرفات تخريبية في مجالات الحياة وخاصة في التجارة التي احتكروها وفي شراء واستئجار العقارات ومنذ ثم بدأ يتكثرون للعمل السري يقصد تخريب الاقتصاد وسلب مواد البلاد. وبذلك اعتبرت مؤسسة روتشلد أن صدور هذا البيان لظمة كبرى لها ومنذ ذلك الوقت بدأ خطة العمل الصهيوني في تدمير المجتمع الروسي كله . وقد افتعلوا أزمة ١٩٠٥ بين روسيا واليابان ونشطت أجهزة روسيا واليابان ونشطت أجهزة التجسس اليهودية في تعميق الخلاف بين الدولتين ونجحوا في إشاعة روح الارهاب والاعتقالات وانتقموا ممن قاموا بحركة تأمين البلاد ضد اليهود . وأصدر القيصر بياناً عن العملاء والفتنة والمؤامرة اليهودية وإلى المسئولية على عاتق زعماء المرابين اليهود باعتبارهم مسئولين مسئولة مباشرة عن كل الاعتبارات السياسية . وبدأ العداء يشتد بين اليهود والقيصر ، فاتجهوا إلى تكوين خلايا إرهابية هدفها اغتيال القصر وفي هذه المؤامرة أعدم شقيق لنين وكانت أموال المرابين اليهود تدعم الثورة الداخلية ، ، وقد نسقت الصهيونية العمل بين جبهتي الحرب (روسيا واليابان) وتولت مؤسسة روتشلد الحكومة الروسية بالقروض لتستمر في الحرب ضد اليابان وجرت تغذية حركة التدمير في الجيش القيصري والدعوة إلى عدم كفاية القيادة القيصرية ، وتمت الخطة كلها كما رسمها المرابون اليهود مر سيت (زوتلرلد) ونشطت الدعاية الناجمة عن الهزيمة ضد القيصر وفشل حكومته . وحدثت مفاجئة لم تكن تتوقعها الصهيونية إذ قام تروتسكي بثورة مفاجئة ضد القيصر وحكومته فاضطرت الصهيونية أن ترجى ضربتها للقيصر حتى لا يتقاسم معها تروتسكي ثمرة النصر على القيصر ، ووقفت الصهيونية مرة أخرى بجانب الحكومة وعاونتها على استرداد بطرسبرج العاصمة في ١٩٠١٢-١٦ من أيدي ثوار تروتسكي . وبدأت حملة التشهير ضد القيصر وأسرته ودسوا له راسبوتين المحتال العميل وجعلوا من قصص راسبوتين مادة لإثارة الشعب بالسخط على القيصر وكان ذلك عهداً للثورة البولشفية التي قاومت في ١٧ أكتوبر ١٩١٨ . في أثناء الحرب العامة كما أرادها المرابون وانتهت الحرب وروسيا بعيدة عن الاشتراك في معاهدة الصلح التي صاغ نصوصها اليهودي يعقور شف وكان بول داربورج اليهودي هو مستشار الوفد الذي اشترك في معاهدة

السلام وماركس دار بورج هو رئيس الوفد الألماني وهربرت صمويل اليهودى هو أول مندوب سائى لفلسطين ولو شبان وولف اليهودى مستشار رئيس وزراء بريطانيا (لويد جورج) وماندل روتشلد الرئيس كلمنص وموردجيتراد اليهودى مستشار الوفد الأمريكى وتم إعداد العدة لمعاهدة فرسائى ليتولى الفريق المختار من الصهيونيين لوضعها فى القالب المعد لها ، وتمت صفقة الوطن القومى لليهود وتصريح بلفور .

(٧)

ولم تلبث الشيوعية أن تسلمت إلى العالم الإسلامى فى شراع خادع وعن طريق كفاح العالم الإسلامى للاستعمار الغربى والغزو الصهيونى وادعاء الاتحاد السوفيتى مناصرة حركات التحرير ومعاداتها الصهيونية والاستعمار ، وقد استطاعت روسيا الشيوعية الماركسية اللينينة أن تخفى حقيقتها وتخدع بدعواها بعض قادة المسلمين والعرب وعلت صيحة الاتحاد السوفيتى الذى ادعى كذباً وبهتاناً أنه صديق حميم للعرب وعدو لدود للاستعمار والصهيونية وقد تجاهل أو أغفل القادة عن هذه الخلفيات التاريخية الخطيرة ولم يتبينوا إلا بعد وقت طويل أن الماركسية فى أساسها دعوة صهيونية وأن كبار مؤسسيها من اليهود الذين هم أشد عداوة للإسلام وأهله . وقد نشأت الحركة الشيوعية فى العالم الإسلامى (والبلاد العربية) بتمويل اليهود وتخطيطهم ، ومن اليقين أن القنطرة التى عبرت عليها الشيوعية من بلادها فى الشمال إلى بلادنا هى الصهيونية فقد كان مروجو الشيوعية الأولى من اليهود الصهيونيين وأن الحركة الشيوعية فى مصر نشأت بتمويل الثرى الصهيونى المعروف هنرى كوريل وتوجيهاته وأنها كانت تتلقى تعليماتها من الخارج وكانت على عاطفة وولاء للوجود الصهيونى فى إسرائيل وقد كشفت من بعد أن الشيوعية فى روسيا والصهيونية فى إسرائيل قامت بتخطيط من اليهودية العالمية وتديرها وأن لليهود فى كل من الدولتين الكلمة العليا والشوكة النافذة . وأن العلاقة بين بين الإنحاد السوفيتى وإسرائيل علاقة وثيقة لأنها علاقة بين شقيقين ولدتها أم واحدة هى (الصهيونية) وهذه العلاقة يعترف بها اليهود ويفأخرون بها . ومن مؤشرات الأحداث أن الركاكز الشيوعية فى البلاد العربية بدأت وأن الحزب الشيوعى شكل أولى خلاياه فى حيفا وبافا وكان من رأيه قيام دولة يهودية فى جزء من البلاد وقد حمل لواء الاستعطاف لحال الشعب اليهودى المشرد الذى عانى الاضطهاد ثم تعددت المراكز فى سوريا ومصر والعراق وغيرها وكان لها موقعها من الولاء للاستعمار ومن انحيازهم ضد حركات الاستقلال فى سوريا والجزائر

ولبنان في ولاء مع فرنسا ، وقد كان أغنياء اليهود هم مولوا هذه الخلايا والأحزاب ومنذ عام ١٩٢٠ كانت الوجهة واضحة في التخطيط والتنفيذ للشيعوية السوفيانية بمفاهيم تلمودية قائمة على الخيانة والغدر والشر والخداع والدخيل الواضح للأمة الإسلامية والعروبة وقد أشار كثير من الباحثين إلى أن هدف الشيوعيين العرب الأساسي هو التبعية لمخططات الاتحاد السوفيتي في المنطقة العربية والتبعية في التنفيذ لليهودية العالمية لأن الشيوعية وليدة اليهودية ولأن إقامة إسرائيل من النيل إلى الفرات هدف أساسي في الاستراتيجية الثابتة للشيوعية ترى إلى الاشتراك مع الرأسمالية الفردية في اعتصار عالم الإسلام ثروته وقوته . ولقد تبين أن جميع مؤسسي المنظمات الشيوعية في مصر والعراق وسوريا هي منظمات شيوعية روسية ومنظمات شيوعية صهيونية وأسماها معروفة (جوزيف روزنتال ، فيحدور ، ناراب ، هنري كوريل هنري كوريل صاحب بنك كوريل في مصر ، هيكمل شفادتش) وقد بلغ عدد المنظمات الشيوعية في مصر وحدها في عام ١٩٥٤ أربعة عشر منظمة وفي عام ١٩٥٦ دعا الحزب الشيوعي الإيطالي رؤساء المنظمات إلى الاتحاد فاتحدت في يناير ١٩٥٨ تحت إسم (الحزب الشيوعي المصري) . ويعزو الدارسون هذه الحركة أن ظاهرة كثرة إنشاء المنظمات الشيوعية بعد عام ١٩٤٢ أنه هو العام التي بدأت فيه الصهيونية جاهدة لاقامة دولة إسرائيل في فلسطين وقد باركت المنظمات الشيوعية قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ وكانت روسيا أول دولة اعترفت بإسرائيل ثم تبعتها أمريكا وعملت روسيا على مد الدولة الوليدة بالسلاح والعتاد والقوة البشرية بينما قامت أمريكا تمدها بالمال والتأييد الدبلوماسي وقد اتخذت هذه الحركة قراراً بقيادة هنري كوريل صاحب بنك كوريل في مصر والممول الأكبر لهذه الحركة بالدعوة إلى تقسيم فلسطين قبل قرار الأمم المتحدة بعامين ، واتحدت مع حركة ماركسية أخرى يدعها يهودي آخر (شوارتز) ومن العجيب أن رجال هاتين الحركتين قسما زعامة فروع كثيرة في التنظيمات الرسمية التي قامت بعد عام ١٩٥٢ ويعزو الباحثين السبب في نمو البذرة الشيوعية في مصر والعراق وفلسطين والمغرب إلى أن هذه البلدان كانت مركزاً قوياً للنشاط اليهودي ، وأن قيادة الحزب الشيوعي في العراق امتدت في يد اليهود العراقيين طيلة ٢٥ عاماً ، وفي فلسطين كانت بين اليهود حتى عام التقسيم ١٩٤٨ حين انقسمت إلى الحزب الشيوعي اليهودي والحزب الشيوعي العربي ومع ذلك ظلت قيادة الحزب الشيوعي العربي بين اليهود الذين أتت بهم إسرائيل من الدولة الغربية من أمثال جوزيف بيرغر الذي لعب دوراً رئيسياً في تشكيل فروع الحزب في سوريا ولبنان

ولقد كانت الشيوعية في تقدير اليهود عاملاً هاماً في تفتيت الوحدات القومية وزرع بذور الشقاق والعداء في المجتمعات المتمايزة وقد أدركت إسرائيل أنها لتضمن بقائها لابد من أضعاف الكراهية التي يموج بها البحر العربي وامتصاصها وتحويلها إلى حب وولاء لدولة إسرائيل . وفي مدى عشرين عاماً نجحت التنظيمات الشيوعية في أداء واجبها تجاه إسرائيل وبدأت الأحزاب اليسارية في العالم العربي تتجاوب لهذه الدعوى وأصبح محمود درويش هو صلة الوصل بين الحزب الشيوعي العربي الإسرائيلي وبين الأحزاب العربية اليسارية وصرح جورج حبش أكثر من مرة أنه على اتصال دائم بالحركات التقدمية في إسرائيل ومن أمثلة التعاون بين الحزب الشيوعي العربي الإسرائيلي ما وقع في عدوان ٥٦ وعدوان ١٩٦٧ وقد كان معين بسيسو (الحزب الشيوعي العربي الإسرائيلي) وزملائه طابوراً خامساً يساعد إسرائيل على الكشف عن الوطنيين وذوى الاتجاه الإسلامي في قطاع غزة لاعتقالهم . وتتشابه استراتيجية العمل الحزبي للمنظمات الشيوعية إلى حد كبير باستراتيجية الحزب السوري القومي فكلاهما يلتقي على تمزيق المنطقة العربية إلى عدة مناطق : سوريا والجزيرة العربية ووادي النيل وشمال أفريقيا والثابت تماماً من الدراسة الدقيقة أن الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي قد حققت عادة أهداف : أولاً : تقويض الاستقرار الإقتصادي والسياسي والإجتماعي . ثانياً : خلق جو من عدم الثقة بين العرب أنفسهم لمنع أي تكتل باسم العروبة أو باسم الإسلام والتركيز في الدعاية على الخطر الصهيوني . ثالثاً : أدكاء العداء بين الشوب العربية وحكومتها . رابعاً : اظهار الاتحاد السوفيتي بمظهر الحليف للعرب كذلك فان خطة تعاون فلول حزب البعث مع الأحزاب الشيوعية واضحة لا تحتاج إلى بيان وقد صدرت قرارات كثيرة تكشف عن هذا الالتقاء وكذلك هناك مواقف واضحة في هذا الاتجاه لحركة القوميين العرب . وقد أصبحت هناك عملية مزج جديدة بين فرق ستالينية ولينة وتروتسكية وخروتشوفية ، وهناك كثيرون ممن بدأوا حياتهم وطنيين انتهوا ماركسيين وظهرت أسماء جيفارا وهوشي منه ولينين وجيباب وغيرها في أفق عربي ومسلم كان أولاه أن يغترب بخالد وسعد وصلاح الدين . وكانت الروابط التي قامت بين البعث والناصرية والشيوعية هي مصدر أساسي لهذه الموجات العاصفة التي تحطمت على إطاراتها كل مفاهيم القومية والإقليمية واليسار والماركسية والشيوعية وتبين فساد الأنظمة وعماالتها وعجزها في الوقت الطويل عن تحقيق أي شيء للعرب والإسلام وقد صاحب هذا تلك المقاومة الخطيرة التي حجبت الفكرة الإسلامية ومنعتها عن أن تكون عامل تصحيح

للأخطاء والأخطار التي تعرضت لها البلاد العربية بين نكبة ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧ بل أن هذا الاضطراب كان من شد العوامل في الأزمات التي قاساها العرب في مواجهة الاستعمار والصهيونية والماركسية والتي قادتهم إلى هزيمة سقوط القدس والجولان وصحراء سيناء ومن ثم ضاع الوطن الفلسطيني صياغاً تاماً . فلقد كان من أكبر أهداف المنظمات الشيوعية التي وجدت فرصتها كاملة في هذه الفترة ضرب الإسلام وزلزلة عقيدته في نفوس أبنائه والهجوم الإلحادي الخطير الذي جرى شنه على الإسلام وعلى الأديان بصفة عامة ، وفي هذه الفترة ظهر العديد من الأبحاث والكتب والكراسات الزرقاء المليئة بالشبهات والسموم وقد تحقق بعض النجاح في تضليل عدد من أبناء العالم الإسلامي واستغلوا الظروف القزائسة حيث كانت الدول الإسلامية واقعة في قبضة الاستعمار الغربي . بدعوى أنهم أعداء الاستعمار كما أدعوا من بعد أنهم أعداء الصهيونية . وقد كان للاستعمار الغربي دوره الخطير وتبعته البالغة في إفساح المجال للتسلل الشيوعي خلال الحرب العالمية الثانية عندما تآمرت دول الغرب مع الدول الشيوعية في القضاء على ألمانيا النازية وقد وصف عبد الحميد عبد الغنى هذه الفترة فقال : كانت الحركة الشيوعية نشيطة ومتفشية ولها عون كبير في الخارج فقد كان عدد من معركيها في مصر متعاونين مع الحركة الصهيونية وكان من أهمهم بل من قادتهم إثنان من اليهود هم هنري كوريل وميل شوارتز وفي الوقت نفسه كان هناك جهاز شيوعي دولي كبير هو الكومنفورم يغذى الأحزاب والحركات الشيوعية ويمدها بالمعونة المادية والدعائية فنشطت الحركات الشيوعية فكان حزب توده الشيوعي في إيران ولم تكن الحركة الشيوعية في مصر كبيرة من ناحية أعضائها وأنصارها ثم جاءت فرصتهم الأوسع في الستينات ولكن سرعان ما انكشفت أمرهم في نكسة حزيران ١٩٦٧ بعد أن مارسوا عدة مؤامرات للاستيلاء على مقدرات الدول التي إطمأنت لهم وارتبطت بهم ارتباطاً وثيقاً ، فقد ربط اقتصاد هذه البلاد بخطةهم الرامية إلى الاستيلاء على المواد الخام ومناقسة الغرب في احتكاره لها في محاولة للعمل شبيهة بما فعلوا بدول شرق أوروبا التي ساعدهم موقعها الجغرافي على التحكم فيها وضرب كل محاولات التمرد على سلطانهم فيها بمنتهى العنف والقسوة . كانت محاولاتهم الخطيرة هي ربط عجلة الإنتاج في بعض البلاد العربية بعجلة الاقتصاد الشيوعي حتى يتمكنوا من إملاء شروطهم في يسر وسهولة . وقد كانت هذه الفرصة عاملاً هاماً في توسع التنظيم الشيوعي في البلاد العربية واستطاعت الصحف والمسرحيات والمؤلفات وأدوات الإعلام كلها وقد حملت الفكر الماركسي المسموم في مختلف

مفاهيمه المتعارضة مع الدين والأخلاق أن تفرض مفهوماً اجتماعياً سياسياً واقتصادياً وتربوياً معارضاً لمفهوم الإسلام الأصيل . وكان من أخطر مظاهر هذه الحملة تلك المؤلفات التي جمعوا فيها شتى المفتريات التي سبقهم إليها الزنادقة والمستشرقون من أعداء الإسلام ولفقوا في هذه الكتب ركام الفلسفات الباطنية والوثنية والمادية والمجوسية القديمة . ولقد كان للكراسة الرمازية التي نشرت في البلاد العربية وهوجمت فيها الأديان عامه والإسلام خاصة وخص القرآن بقدر أكبر من الهجوم ثم جاء الكتاب الذي ألفه محي الدينوف وزعم فيه مزاعم عن القرآن والإسلام وسارعت وكالة نفوسى الناطقة بلسانهم إلى نفي صدور هذا الكتاب عن طريقهم وقد استهدف نشر هذا الكتاب القيام بعملية اختبار للحس الإسلامى لدى جماهير المسلمين وضرب الإسلام في نفوس أبنائه ومحاولة إثارة موجة جديدة من الجدل والبلبل . وتعتمد هذه المؤلفات المسمومة على الإدعاء بأن الأديان خرافات وأساطير وافيون شعوب وأنها تؤيد الطبقات وتعمل لمصلحة طوائف تبرر القسوة والإدعاء بأن رب الإسلام من آفة العرب القدماء وينتظم هذه المؤلفات أسلوب السباب العنيف بالرغم من دعوى العلمية والمنهجية وقد تبين أن أحداً من الكتاب المدعين لم يرجع إلى أى كتب من كتب الإسلام المعتمدة وليس ثمة مصدر استقى منه معلوماته غير الأقلام الشيوعية والصليبية وقد اعتمد آراء الزنادقة أمثال بشار بن برد والراوندى وفيه بتر للنصوص وقد تبعت هذه الحملة محاولة أقلام عربية أمثال عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد عباس صالح فقد حاول الشرقاوى أن يثبت أن الإسلام دين الفقراء وحدهم وأنه جاء ليحارب البرجوازية العربية وعمد أحمد عباس صالح إلى اثبات أن الإسلام يسارى النزعة لأنه دين الفقراء والبرتولوتاريا الكادحة وقد جرب محاولات كثيرة احتواء الفكر الإسلامى قام بها جارودى وردنسون بمؤلفاتهما عن الإسلام . وقد أشار كثيرون إلى هذه الظاهرة الخطيرة : ظاهرة تمكين روسيا من دخول البلاد العربية فقالوا أن انجلترا هى التى عملت على إخراج روسيا من عزلتها حين أدخلتها إلى الشرق الأوسط في الحرب العالمية الثانية وفتحت أمامها الأبواب . لقد نفذت روسيا إلى الشرق لارتباطها مع الحلفاء في الحرب الماضية واستفادت من الحرب الكبرى أن استغلت الدول المتحالفة في الدعوة لها والإشارة بمبادئها وجيشها وزعمائها وتغلغل الروس تحت هذا الستار إلى كل مكان في الشرق الأوسط ونشط وكلاء السوفييت وخرجوا عن عزلتهم وأعلنت روسيا حمايتها للكنيسة الكاثوليكية وأرسلت بعثة من عملائها إلى الأراضى الحجازية وأعلنوا أن في روسيا ثلاثين مليوناً من المسلمين

يعيشون في سلام وأمان في الوقت الذي يعلن فيه دعاة الشيوعية احتقارهم للأديان ويذيقون المسلمين في الجمهوريات السوفيتية أشد ألوان العذاب والإذلال وقد وضح من اتفاقية سرية اتفاق الشيوعية والصهيونية على العمل معاً في الشرق وكان من مصالح روسيا الوصول إلى البحر المتوسط والبحار الدافئة وقد حاربت روسيا الكاثوليكية الأرثوذكسية ورجلها ثم عادت إلى التفاهم معها على العمل لحساب الشيوعية في البلاد العربية وهكذا نجد أن هناك محاولة شيوعية خطيرة تتبني نفس أخطار الاستشراق الغربي والصهيوني في محاولة الإجهاد على العالم الإسلامي. وهي محاولات لتجديد الحوار العفائي في نفس الوقت الذي تظن القوى الشيوعية أنها أصبحت قادرة في السيطرة على منظمات للشباب والتنظيمات الطليعية وأنها تسوقها إلى الماركسية والنظرية المادية والإلحاد وأن جماعات كبيرة من الشباب قد أوشكت أن تسقط في المصيدة . وفي نفس الوقت كانت محاولات الشيوعية في ضرب التنظيمات الإسلامية وحركة اليقظة بل أن الشيوعيين المسئولين كانوا في لقاءاتهم مع المصريين يتحدثون عن الدين ويطلبون بالتخلي عنه وكان رجالهم في اجتماعات رسمية مشتركة يتناولون موضوع الدين من الزاوية الخطأ ويعتبرونه عقبة في سبيل التقدم وأنه يجب على المصريين حسم موقعهم من الدين كشرط للحاق بالعصر ولاستيعاب روحه يقول أحد المتصلين بتلك المحادثات « وكان مبعث دهشتي أن رجلاً مثل بونافروف يعرف المصريين جيداً ويعرف مدى تأثير الدين على حياتهم هو الذي يقول هذا الكلام وبعد أعوام طويلة من توطد الصداقة العربية السوفيتية وقال خرشوف : لقد مضى زمن القوميات في هذا العصر ليس ثمة صراع الطبقات : طبقات الأغنياء والفقراء وقد عجز السوفيت عن فهم الخطوط العامة لفكر المسلمين والعرب وأن كثيراً من وثائقهم كشفت عن معارضة تامة للمفاهيم السياسية العربية عن الوحدة العربية وقضية فلسطين ووجود الأمة العربية وقد جرت في هذه الفترة محاولات خطيرة للسيطرة على الصحافة والأعلام لادخال نظريات الشيوعية والصهيونية إلى الفكر العربي وكتب كثيرون من عملاء التقدميين في الصحف والكتب محاولين إيجاد هيئات وأنصار وأعوان وسمح الاستعمار للآراء الشيوعية الصهيونية بالنفاذ إلى المجتمع العربي منذ عقد الأربعينات لأنه كان يطمح أن تنحطم الشخصية العربية ويتبلبل الفكر الإسلامي ويتمزق وتنسلخ أهدافه ويتحول اتجاهه : وفي أوائل عام ١٩٦٥ - كما يرى الأستاذ لمي الطيبي أصدرت التنظيمات الشيوعية في مصر بياناً أعلنت فيه حل منظماتهم والانضمام إلى التنظيم الرسمي ، وفي المقابل تم الإفراج عن

جميع المسجونين والمعتقلين الشيوعيين وصدر العفو الشامل عن جميع العقوبات ضد الشيوعيين وفوجيء المجتمع بالقيادة السياسية تفرض الماركسيين في جميع المجالات الهامة وخاصة أمانة الدعوة والفكر والأمانة السياسية للاتحاد الاشتراكي ومعهد الدراسات الاشتراكية ورئاسة مجالس إدارات مؤسسات الكتاب والمسرح والسينما والمؤسسات الصحافية ونقابات الصحفيين والمحامين والنقابات العمالية واللجنة المركزية والبرامج الإذاعية خاصة صوت العرب والتلفزيون والسيطرة تحريرياً على أخبار اليوم ودار الهلال وروز اليوسف وصفحات الرأي والفكر في الجمهورية والمساء والأهرام فضلاً عن ثلاثة دور نشر أصبحت ملكيتها خاصة للماركسيين ومبالغ طائلة رصدتها الدولة ووضعت تحت تصرفهم بدعوى الإنفاق منها على أوجه النشاط والسياسي وغمرت الكتب والصحف والمجلات والمطبوعات والأفلام الماركسية السوق على الأرصفة وقال لمي المطبعي إن وراء هذا العرض من أعلى والسيطرة الماركسية على كثير من المجالات ولترويج لأعمال العناصر الماركسية والصمت الكامل إزاء أعمال الآخرين أحسن المثقفون الآخرون بالاختناق وبدأ الأمر كان السلطة والماركسيين كوجهي عملة واحدة . وحدث ردود فعل في الاتحاد الاشتراكي وبين رجال الدين وفي الجمعيات الأدبية وجاءت محاولات تهديّة وكتبت روز اليوسف أن الشيوعيين قد حلّو تنظيماتهم وأنهم سيعملون كأفراد . وكتب محمد عودة في الجمهورية يقول أن الشيوعية ، لم تطبق بعد في الاتحاد السوفيتي فلا محل للخوف من الشيوعية وكتب أحمد بهاء الدين مقاله المشهور في المصور : (٦٠٠ شيوعي أمام ٦٠٠ ألف رجعي) وكتب محمد حسين هيكّل يناشد المجتمع أن يقبل الأوضاع الجديدة بالنسبة للشيوعيين وأن يفسح لهم مكاناً دون حساسية ، ولم يلبث الزمن أن تقدم قليلاً حتى أعلنت الجهات الرسمية بأن الشيوعيين لهم منظمات ماركسية سرية منها واحد موال للسوفيت والثاني إلى جانب الصين والثالث للثروتسكيين . ويعتبر المراقبون أن هناك علاقة وثيقة بين حرب العرب مع إسرائيل في يونيو ١٩٦٧ وقيام ما يسمى باليسار العربي يحمل كلمات براءة يسميها التقدمية وانتقال الملكية كلها للدولة خطوة خطوة وعبادة الفرد ، وقد أعلن اليسار العربي أنه يحترف الماركسية اللينينية ويأخذ بوجهه نظر لينين في التطبيق السياسي لها وهو الأخذ بنظام الحزب الواحد وهو الحزب الشيوعي وأن التطبيق الاشتراكي عند اللينين هو مبدأ المراحل في التطبيق ويؤثر اليسار العربي في حكمه أن يبتدىء في الوقت الحاضر بالغاء الملكية الفردية ويتخذ ما يسميه اقتصاد الدولة طريقاً لتدعيم حكمه فإذا اجتمع الاقتصاد القومي في يد وأمسك برقابة الحزب الواحد لأجهزة الحكم ووسائل الإعلام في اليد الأخرى ضمن

سيادته من جانب وخضوع الآخرين ومن يراجع تجربة الاتحاد السوفيتي يجد أن اقتصاد الدولة بعد مرور التجربة الاشتراكية الطويلة لم يستطع أن يبرهن على أنه أفضل من الاقتصاد الحر ولكن الإبقاء عليه كان بهدف اتخاذه وسيلة فعالة وعميقة في إخضاع أفراد المجتمع للدولة والحزب ، والمادية الماركسية تختلف في هذا عن كل الاتجاهات المادية كلها إذ تقف عند الاقتصاد وحده وتجعله الإله والخالق والرازق للأفراد والمجتمعات على السواء وتنقل عبادة الله وما له من صفات الكمال إلى الاقتصاد القومي في المجتمع وتملك الدولة الرأس المال ليس نقلاً للملكية الأفراد وحدها إليها فحسب وإنما مع ذلك أيضاً نقل لعبادة الأفراد إليها ولذا فإن الدولة في النظام الماركسي هي المعبود الذي يتجه إليه الأفراد في العمل وفي الرزق والذي يجب أن يطاع ولا يعصى له أمر . إن نقل الملكية الخاصة وتحويلها إلى ملكية عامة للدولة يؤذن بتحويل معنى لعبادة الأفراد من الله جل جلاله إلى الدولة التي لها الملك كله الآن والتي هي صاحبة العمل وصاحبة العطاء في هذا النظام في الوقت نفسه والحزب السياسي الوحيد يضمن على نفسه الآن من قداسة الدولة وأعضاؤه عندئذ أشبه بالكهنة في نظام السلطة الدينية على عهد الوثنية المادية الملكية التي استطاعت أن تحمل الملكيين على عبادة ما لا يزيد على عبادة الأصنام ، وكذلك فإن عدم التصريح بإنكار الله وإنكار دينه الآن ليس إلا مرحلة في تطبيق الماركسية فاحتراف اليسار العربي بالماركسية أو بالمادية التاريخية هو ترويج منه على الأقل للاتجاه المادي القائم على إنكار الله واليوم الآخر وعلى التزام تحريم ما حرم الله ورسوله في السلوك والمعاملات وهم بذلك يساوون خصائص أصحاب الشمال في القرآن . وكذلك فقد فسر اليسار التقدمية بأنها التمسك بالقيم المادية وهجر القيم الروحية والإنسانية والفكرية أو عدم الاعتداد بها وأنه لا يكون تقدماً حقاً إلا إذا عادت الإنسانية إلى معنى المادية والحيوانية إذ أن أفراد الحيوان هم وحدهم الذين لا يربطهم إلا الرباط المادي .

(٨)

لم تقف حركة البقطة الإسلامية موقف الجمود إزاء هذا التيار الخطير بالرغم من تكييفها وتضييق السبيل عليها في مختلف مجالات الصحافة والأعلام والكتابة والكلمة المسموعة فقد عملت على كشف زيف هذه المحاولة الخطيرة وواجهت الفكر الماركسي مواجهة صريحة قوية وأبانت أبعاد المؤامرة وحلفائها ولم تقف بذلك مع الفكر الليبرالي بل أعلنت طابع الإسلام الجامع الذي يرى أن كلا التجريبتين: الليبرالية والماركسية قد كشفتنا عن فسادهما

وعجزهما عن التقبل في أفق الفكر الإسلامي ، لقد كشفت حركة البقظة عن تلك العلاقة الجذرية بين الشيوعية والصهيونية وكان الملك فيصل بن عبد العزيز من أوائل المفكرين المسلمين الذين كشفوا الحقيقة ، كما أبان عن أن الشيوعية ما هي إلا أفكار صهيونية كانت موجودة من قبل كارل ماركس بوقت طويل وأن كل ما فعله ماركس هو أنه جمع هذه الأفكار وجعل لها ثلاث قواعد في وقت انهيار الحضارة الأوروبية وزعم أنه بعيد بنائها ولكن بأسلوب روائى فهو إمعان في التخريب فقواعد الشيوعية الثلاث : (أولاً) محاربة الأديان وتفريغ الإنسان من كل عقيدة دينية واستبدالها بتعاليم وشعارات النظرية الشيوعية وهي في تركيبها اشتراكية متمرحة (ثانياً) الانسلاخ من كل انتماء وطنى ليظل الفرد عضواً في التنظيمات المركزية الشيوعية ذات الفروع والألوان والأقنعة المختلفة التى تنبع من أصل واحد وتصب في ملتقى واحد (ثالثاً) مقاومة التفضيل بالدرجات حتى يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وإلغاء الأمر الإلهى فالله سبحانه قد فضل الناس بعضهم على بعض درجات وقال وإن منكم إلا وله مقام معلوم والتفضيل له عناصر هي العلم والعمل والتقوى والعدل والإحسان وما ينفع الناس فمن أراد أن يقاوم الشيوعية فعليه بغرس العقائد والتمسك بالدين والإصلاح ، أن مجابهة الشيوعية بغير هاتين الوسيلتين إنما هو تمهيد لانتشارها واستشرائها وغزوها النظرى والجدلى والتطبيقي . وأشار الملك فيصل فيما رواه عنه الأستاذ حامد مطاوع رئيس تحرير الندوة : أن أسلوب مقاومة الشيوعية من المعسكر الليبرالى تكشف عن أبعاد خطيرة ، لقد دخلت أمريكا فيتنام من أجل مكافحة الشيوعية ولكنه كفاح بأسلوب يهودى فهو في شكله مكافحة وفي حقيقة موضوعه ومحتواه تمهيد لانتشار الشيوعية وهذا مخطط يهودى وأشار إلى كتاب ويليام ليندراى الكاتب الأمريكى الذى صدر عام ١٦٩١ وقد نصح المؤلف قومه بأن هذه المبالغ الخرافية التى تصرف على الحرب يمكن أن تصرف على تنفيذ برامج إصلاح تخدم الإنسان وتتم في القطاعات المختلفة وتخلص المنطقة من الشيوعية وقال أن السياسة الأمريكية مبنية على حسابات متشعبة ليس من بينها المصلحة الأمريكية الصحيحة وإنما المصلحة العليا للصهيونية واليهود . ومنذ وقت طويل وقبل أربعين سنة كانت صحف الإخوان المسلمين قد كشفت هذه الحقائق وقد قاد المرحوم الدكتور محمود صالح حملة ضخمة على الشيوعية والصهيونية فنشر في مجلة الإخوان ١٩٣٨-٣٠٤ مقالاً ضافياً تحت عنوان (الشيوعية دسيسة صهيونية لخراب العالم) نقلها عن مجلة فرنسا القديمة قال فيه أن مدبرى

دفة الأمة اليهودية هم الذين أثاروا الحرب الكبرى ودبروها بالدسائس بغية جمع المليارات وتقسيم الممالك ثم محق ما ليها وقتل النبوع في غيرهم وهى التى فتحت الطريق أمام شعب الله المختار للاستيلاء على الكون كله . هؤلاء الزعماء اليهود هم الذين دبروا للبشفية الدسائس ومهدوا لها ببذل المال وأثاروها انتقاماً من الشعب الروسى . إن البشفيك وجهوا وكلاءهم وبثوا عيونهم بلورهم على سائر الوزارات الأوربية والأمريكية وكانت خطتهم تتركز فى قولهم • يجب علينا أن نحمل غير اليهود على اتباع الخطة التى أوشكت أن تنال الظفر بواسطة التأثير على رأى العام الذى استملناه إلينا بسلطاننا السرية الواسعة على الصحافة وجملة القول أن الشيوعية هى فى صميمها حركة صهيونية يهودية واسعة . وكتب فؤاد كرم الكاتب اللبنانى عن علاقة ماركس بالصهيونية ، وعن الدور الذى قامت به الصهيونية فى دعم لينين حتى نجح فى اغتصاب السلطة مقابل تعهده بالعمل على إنشاء دولة إسرائيل فى فلسطين ، وكيف أوفدت موسكو شيوعيين من اليهود إلى فلسطين حيث أنشأوا أول حزب شيوعى فى المنطقة العربية ثم طاف عدد آخر من الشيوعيين اليهود بعض العواصم العربية وشكلوا فيها أحزاباً شيوعية فى محاولة لبشفة العالم العربى والإسلامى وقال فؤاد كرم : أن الاتحاد السوفيتى الذى أوجد (إسرائيل) لا يعقل أن يتخلى عنها فالغالبية الساحقة من المهاجرين اليهود إلى فلسطين قدموا من الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية وتم تربيهم بإشراف ضباط سوفيت وقتلوا العرب بأسلحة شيوعية قدمتها إليهم تشكوسلوفاكيا ودول شيوعية أخرى وما زالت الهجرة اليهودية السوفياتية مستمرة حتى اليوم فى محاولة لدعم قوة إسرائيل البشرية وإن تعجب إذا علمت أن معظم المهاجرين - علماء ومفكرون ومحاربون - أى أن إسرائيل تستخدمهم لرفع قنبرتها العسكرية . وقال أن موسكو لا توافق أبداً على التعرض لكيان دولة إسرائيل بعد أن استدرجت العرب إلى هزيمة ١٩٦٧ لكي ترغمهم على الاعتراف بحدود دولية لإسرائيل وأشار إلى أن الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الذى صدر عن الأمم المتحدة قد تنكرت له الأنظمة الشيوعية ولم تطبق أبداً من موارده حتى الآن فى جميع المجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية وبالنسبة إلى الحريات على اختلافها فالإنسان هناك عبد رق لا ينطق إلا بما تحشو به أجهزة الحرب الشيوعى الحاكم فمه من ترهات وأوهام وكشف فؤاد كرم عن أن الازدهار الذى حلم به ماركس ولينين لا يزال حلماً يداعب مخيلات الشيوعية وأن العقيدة الشيوعية أخفقت بعد ٥٤ سنة من التطبيق فى توفير الحد الأدنى من الضروريات حتى عجزت عن تأمين لقمة العيش لهم بعد ما أصيب الاتحاد السوفيتى بقحط خطير أكرهه على استجداء القمح

(الامبريالى) من أمريكا واستراليا وكندا ودول رأسمالية أخرى قامت الشيوعية لهدم أنظمتها واضطرت السلطات السوفيتية لأن تباع كميات من الماس والبلاطين والذهب والفضة المخزونة لديها بلغت قيمتها فى عام ١٩٧٢ حوالى ٨٥٠ مليون دولار لكى تسدد بها ثمن القمح الأمريكى وأشار إلى أن معدل إنتاج الحنطة فى الصين الشيوعية يتضاءل اليوم عما كان عليه قبل سبع عشر سنة نتيجة لعقم الأساليب الشيوعية مما أدى إلى استيراد كميات من القمح من الولايات المتحدة وكندا وهذا نجد أن القمح الامبريالى هو الذى أنقذ الأنظمة الشيوعية من الدمار وما زال العامل الشيوعى يتقاضى أذى أجر فى العالم ويعيش على الكفاف وبأوى إلى أكواخ أو يتقاسم غرفة واحدة مع أكثر من عائلة . وكتب نقولا حداد فى الرسالة ١٩٤٨ مجموعة من المقالات كشف فيها كثيراً عما أسماه (اليهودية للشيوعية) : قال فيها : إن على العرب أن يعلموا أن الصهيونية أخت الشيوعية بل أمها لأن اليهود الذين قبلوا الحكم للقيصرى كانوا كلهم يهودا ما عدا لينين ولما أنشأوا دولة البلشفية جحدوا الدين وطادوا الأكليروس والنصارى واليهود والمسلمين من كنائسهم وجوامعهم وصاروا يدينون بدين كارل ماركس . وبقي اليهود يتحينون تلك الفرصة لكى يملكوا روسيا بصفة كونها اشتراكية ولكن ستالين فطن لمؤامرتهم التى كانوا يدبرونها لكى يقبلوا سلطته فأباد كثيراً منهم ومن يعرفهم فلعل جروميكو فشنكى منهم ، وقال أن اليهود يتلونون كل لون يكون اليهودى رأسمالياً تارة واشتراكياً تارة واستقراطياً وديمقراطياً ونصرانياً ومسلماً وسيرى ستالين أو خلف ستالين أن الشيوعية صارت فى قبضة الصهيونية .

(٩)

كذلك فقد كشف الباحثون عن مخططات خطيرة للدعاية الشيوعية فى دول العالم الإسلامى تقوم على استراجية دقيقة فى الدعاية وتتطور وتبديل بين آن وأن لتتلائم مع ظروف المجتمعات ، ولكنها تقوم فى أصولها ومضامينها على نفس المقومات التى سمها ماركس ولينين وتأخذ طريقها عن طريق الصحيفة والكتاب والمنشور والكلمة وتدور المضامين كلها حول الفردوس المزعوم أو الشيوعية . يقول الدكتور إبراهيم دسوقي أبابطة : أن السنوات العشر ١٩٧٥-١٩٧٥ قد سجلت توسعاً هائلاً فى الوسائل وتجديداً متزايداً فى المضامين حتى أغرقت أسواق العالم بنظرياتهم وبلجاً الشيوعيون فى ذلك إلى شراء ذمم أصحاب الصحف وكتابتها أو خداع القائمين عليها باستغلال ظروفهم الخاصة وقد اتسع هذا النفوذ حتى شمل الآن

حوالى ستون فى المائة من إنتاج الكتب و٥٥ فى المائة من إنتاج المجلات وخاصة المجلات ذات الصبغة العلمية و٤٤ فى المائة من إنتاج الصحف ولا ريب أن محصلة هذه السيطرة المتزايدة على وسائل الإعلام وأجهزته تبدوا فى الحصار الذى ضرب على كل فكر ورأى لا يتفق مع الخط الماركسى. والترحيب بكل رأى يحمل طابع الهدم ولو لم يكن ماركسياً لأنه يتفق والخط الماركسى العام الذى يستهدف أولاً تحطيم ما هو قائم وكل رأى يستخدم قوالب التحليل الماركسى تفسح له المجال حتى ولو لم يكن صاحبه ماركسياً لأن فيه دعاية وتقديراً لأدوات التحليل الماركسى ، أما الأفكار التى تحاول تنفيذ النظرية الماركسية أو التى تطرح قياً جديدة أو تعلى من شأن مذاهب دينية قائمة فلا يمكن أن تجد سوى المحاربة والتضييق . وأبرز مضامين الإعلام الشيوعى فى البلاد الإسلامية : (أولاً) : الحياد المصطنع بالنسبة للدين ، وقد حدث تحول ظاهرى خادع فبعد أن كانت الأديان فى الدعوة الماركسية أفيون الشعوب أصبح يقال الآن أنه لا تعارض بين الشيوعية والإسلام بدعوى أن كلاهما يسعى إلى هدف واحد ، أو الإدعاء بأن الإسلام ثورى . . (ثانياً) محاولة تحييد الدين الإسلامى بابعاده عن دائرة المقاومة للغزو الماركسى وخاصة بعد أن انتكس هذا الغزو مؤخراً فى العديد من الأقطار الإسلامية . (ثالثاً) اتجاه الإعلام الشيوعى إلى هدم القيم الإسلامية ، حيث تلمح كتابات الشيوعية بخواء هذه القيم وعدم تلاؤمها مع روح العصر ومتطلباته . (رابعاً) التشهير بالتعاليم الإسلامية وافرغها فى مدلولاتها الحقيقية . (خامساً) التبسيط الساذج لمشاكل العالم الثالث بطرحها فى قوالب ماركسية توحى للملاحظ العادى بسلامتها وصدقها . (سادساً) تقديم السموم الاشتراكية فى أشكال براقة تستأثر بالعواطف وتطرح الحلول فى قوالب جاهزة تفرض على العقل المادى سلطانها . وقدركب الشيوعيون كل تيار يودى إلى خدمة أغراضهم ، حتى ولو كان مصادماً لجوهرها ، فركبوا تيار القومية وأداروه لحسابهم وركبوا تيار الاشتراكية غير العلمية وسخروها لأهدافهم ، وتعاطفوا مع الأقليات الانفصالية . (سابعاً) المحاولات التى بذلها رواد الاعلام الشيوعى بقصد الحيلولة دون تعرف إنسان العالم المتخلف بحقيقة الدعوة الشيوعية وقطع الطرق وسد المنافذ حتى لا يصل إلى حقيقة التجارب الشيوعية فى بعض هذه الدول وتستهدف كل هذه المخططات تلويب الفكر الإسلامى فى بوتقة الشيوعية اليهودية مما يستدعى البقطة والتصدى والكشف عن زيفها . وهناك محاولة خادعة ترمى إلى الحديث عما يسمونه نقط الالتقاء بين الإسلام والماركسية بدعوى أنهما محاولتين لتحقيق مثل أعلى اجتماعى وفى هذا ما فيه من التضليل والفساد من أكثر من طريق ، ذلك أنه لا سبيل إلى عقد

المقارنة بين الشيوعية والإسلام أساساً . ولا يمكن أن توصف الشيوعية بأنها تستهدف تحقيق مثل أعلى تقترب فيه من الإسلام فالخلفية الشيوعية (الماركسية اللينينية) معروفة سلفاً وقد تكشفت خطوطها الأساسية من اتصالاتها بعوامل الهدم وبامبراطورية الربا وبتدمير المجتمعات والسيطرة عليها . والمعروف أن هناك محاولات متعددة للخداع والتمويه تحاول استقطاب المسلمين والعرب تحت أسماء براقة وكلمات لامعة وخادعة كالتقدمية والتنمية والعصرية وغيرها والإدعاء بأن الشيوعية هي الفردوس الأرضي وقد تبين فساد التجربة كما تبين تبعية العاملين في هذا المجال لتبعية لا وجه فيها للوطنية أو الإيمان بالقيم الأساسية لهذه الأمة وقد أحصى الدكتور إبراهيم دسوقي أباظة : منشورات الشيوعيين في العالم كله وأشار إلى أنها تحمل المركز الأول في إنتاج الكتاب (٣٧ مليون كتاب يومياً أى ما يوازي ربع إنتاج العالم) - بما يساوي ٢٥٠٠ نسخة في الدقيقة وأن مؤلفات لينين تحتل المكان الأول . بلغ مجموع نسخها ٣٣٠ مليون نسخة صدرت بحوالى ٩٨ لغة من لغات شعوب السوفييت إلى عشرات الملايين من الترجمات باللغات الحية . وهناك بناء على هذا إقرار جامع بأن الأعلام الشيوعي أصبح قوة مؤثرة في صنع الفكر وتوجيه الحركة الثقافية في العالم ، وأن لهذا الإنتاج (بالإضافة إلى الأفلام السينمائية والإذاعات) فعالية واسعة في صناعة العقول والسيطرة عليها في مواجهة فراغ واسع في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي من كل مناعة فكرية مجردة من كل سلاح عقائدى . وقد حاول دعاة الماركسية تقديم هذه النظرية على أنها مرادف للتقدم ومقابل للتجديد وأن ما عداها من آراء ونظريات هي محاولة للرجوع إلى الماضى ، مع أن النظرية قد تمزقت وسادها الفساد وأغراها التخلف . ومن أضاليلهم القول بحتمية الحل الاشتراكي وسد المنافذ على كل حل آخر يستهدف الخروج من التخلف مع أن هناك حلولاً كثيرة للخروج من التخلف ، وهم يستهدفون من هذه الصيحات المتلاحقة تجميد الفكر عند الماركسية وحجبه عن أبعاد الرؤية للممكنات البديلة وهم يذهبون في هذا وراء فرضيات ثبت فسادها كالجدلالية والاتجاه الواحد للتاريخ والحتمية التاريخية . وأبلغ حملاتهم موجهة إلى الإسلام باعتباره الصخرة الكبرى التي ترتد عنها رؤوسهم دون أن تنال شيئاً ، وهم يلتفون حول الدين بالقول بعدم التعارض بين الدين والماركسية أو أن الرسول كان أعظم الثوريين الاجتماعيين وكل هذه محاولات مبذلة وسيظل الإسلام قادراً على تزييف هذه المطروحات الفاسدة .

وقد ظهرت في السنوات الأخيرة مجموعة من الدراسات تحاول أن تصور الدور الذي قام به الشيوعيون في مصر والبلاد العربية تصويراً زائفاً خادعاً على نحو ما كتب رفعت السعيد ، طارق العشري ، أحمد صادق سعد ، شهدى عطيه وغيرهم) . ولعل خير ما يقال رداً على هذه الإدعاءات كلها ما أعلنه القائد الشيوعي (لينين) في المؤتمر الثالث للدولة الشيوعية في موسكو وهو قوله « أن الحزب الشيوعي المصري مؤلف أساساً من الأجانب وأنه منفصل عن الطبقة العاملة المصرية وأن الأجانب الموجودين في الحزب لا يزايدون عن أنهم عوامل الاستعمار ويسعون إلى تضليل العمال المصريين . (لمى المطيعي : الأخبار : ١٩٧٦-١٠-٤) والمعروف أن سكرتير الحزب اليهودي روزنتال كان رعية بريطانية كذلك فقد تكشف كذب الإدعاء بأن الاتحاد السوفيتي عرض على مصر أبان ثورة ١٩١٩ أن يدسعد زغول بالسلاح وما يقال أن سعد زغول رفض ذلك للإيجاء بأن عروض الاتحاد السوفيتي قديمة والثابت حتى الآن أن سعد زغول لم يرفض لسبب بسيط هو أنه لم يتلق أى عرض من السوفيت بمدد بالسلاح أو بغير السلاح وليس هناك من سند تاريخي لهذا القول . ويؤكد لمى المطيعي : ما أجمعت عليه مصادر كثيرة صادقة من أن النشأة الحديثة للحركة الشيوعية في مصر جاءت على أيدي عدد من الأجانب واليهود : هنرى كوريل ، أرول كورنيل ما هليل شوارتز ، بول جلاكودى كومب . ووقائع الأحداث تكشف أن الشيوعيين كانوا دوماً في صف القوى المعادية لمصر والعرب وموقفهم من تأييدهم لقرار تقسيم فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة في (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) واعترافهم بإسرائيل فور اعتراف أمريكا بها يؤيد هذه الحقيقة . كذلك رفض الشيوعيون الانضمام إلى الكفاح الوطني المسلح ضد الاحتلال الانجليزي في منطقة القناة سنة ١٩٥١ ووقفوا موقف العداء أمام الحركات الوطنية والإسلامية كالحزب الوطني ومصر الفتاة والإخوان المسلمين . وقد كان الخداع دائماً والتمويه قائماً على الإنقسام تحت أمباء متعددة خادعة : الماركسيون ، واليساريون ، ، الشيوعيون ، أو تحت منظمات سرية موالية للسوفيت أو الصين أو التروتسكية . وقد استطاع الشيوعيون بالتعاون مع مراكز القوى أن يقودوا التنظيم الإشتراكي ١٩٦٠-١٩٦٦ وأن يعطوه صبغة الحزب الشيوعي الروسي وكان أخطر أعمالهم في منظمات الشباب حيث كان الموجهون السياسيون جميعاً من الشيوعيون وكانوا يلقتون بالقوة والإكراه طلبة الجامعة والفلاحين والعمال معاني كارل ماركس وأراء الفوضوى

الإشتراكي برودين والفرق بين مثالية هيجل وواقعة ماركس وانجلز . « وقد نغر الحس الشعبي من هذه المفاهيم ولكن الشيوعيون فرضوها كمسلمات فرضاً فهيرياً لا رحمة فيه ولما رفض الطلاب بقبولها أدخلوا إليهم المذهب المادى الحسى بتوجيه أعلى ليكون منطلقاً إلى الماركسية. وكانت هناك دورات تدريبية فكرية في معاهد موسكو الخاصة لتخريج دعاة شيوعية في البلاد النامية (آسيا وأفريقيا) وكتب لطفى الخولى أن الشيوعية المصرية كانت حامية للحرية

(١١)

ويصور الدكتور عبد القادر حاتم تجربته العملية مع الشيوعيين في مصر خلال هذه الفترة بوصفه مسئولاً عن الأعلام فيقول : بلغ المد الماركسى عام ١٩٦٦ الحد الأقصى وكان على صبرى رجل موسكو القوى أميناً عاماً للإتحاد الإشتراكي ، وكان الشيوعيون قد عمدوا في أعقاب زيارة خروشوف للقاهرة إلى حل تنظيماتهم الحزبية وتسللوا إلى الإتحاد الإشتراكي حتى تسللوا إلى أجهزة الأعلام وتبوأوا مناصب حاكمة فيها كما تسللوا إلى الصحف المصرية تسللاً وضعهم على رأس مجالس إدارتها وأن القوة التي كانت تقف وراء التغيير في أوائل الستينات وحتى نهايتها ، لم تدع مجالاً للاختيار فأما هي وشعاراتها وجماعاتها وأما المفزعة وحتى بعد المفزعة ١٩٦٧ ظل الأمر مرتبطاً بالاتحاد السوفيتي يستفيد من هذا الشعور فيدفع بالعناصر المؤثرة بأمره إلى مزيد من السيطرة على أجهزة الدولة في انتظار اليوم الذى تستطيع هذه العناصر فيه القفز إلى السلطة . ويقول : المفروض أن الأعلام يقدم للمواطن المعلومات الصحيحة التي تساعد على المعرفة من جهة ومن جهة أخرى على تثبيت جذور تقاليده وحضارته وإيمانه والعقيدة التي يعتنقها وقد تعرض الإعلام العربى الذى كان هذا الهدف أساس جهده لهجوم شديد جداً من مصادر متعددة . إلا أن أعنف هجوم تعرض الأعلام العربى له هو الهجوم الذى شنه الملحدون والشيوعيون ، فقد بدأ هؤلاء حملات رهيبة على قطاع الأعلام بالذات سعياً وراء السيطرة على أجهزة كفيلة باقناع العقول العربية وبغرض نشر العقيدة الخاصة بهم . وحدثت في حقبة محددة محاولة لتقسيم العالم العربى إلى غربى وشرقى وإلى رجعى وتقدمى إلى آخر التصنيفات التي برع الشيوعيون فيها . أما العقبة الصلبة التي كانت تعترض طريقهم إلى هدفهم فكانت تتمثل في إيمان الناس بأديانهم السماوية ولما كان مبدأهم الأساسى محاربة الأديان والعمل على محو كل أثر لها من أجهزة

الأعلام . وأن مراكز القوى أقامت وجودها في الاتصال بالمعسكر الشرقي- بشكل مربب وكانوا حريصين على منع الإذاعات الدينية العربية . ويقول : في الفترة من ١٩٦٢-١٩٦٦ كان المد الإلحادى الشيوعى قد بدأ يعمق جذوره فى مصر ، ووجدت أنه لا بد من إقامة محطة تشخص فى القرآن الكريم وكانت ثورتهم على كلام الله قد بلغت حداً لا يوصف ثم عملوا على إضعاف إذاعة القرآن بأن استبدلوا بموجتها القوية موجة ضعيفة ، والتقليل من برامج الدين فى الإذاعة العامة باعتبار أن الأديان وبث القيم الروحية فى الشباب قوة أساسية فى مقاومة الإلحاد ، ثم حاولوا إقفال مجلات عديدة متخصصة بالأبحاث والدراسات الدينية ثم حصلوا على تصريح من مراكز القوى بإذاعة الأفلام الشيوعية التى تحض على الصراع الطبقي ، وأقاموا تنظيماً كثيرة فى الإذاعة والتلفزيون وفى الصحافة وفى الميادين الفنية الأخرى تعتمد على المخططات المنسقة والتنظيم الدقيق والمعروف أن لينين قال عن الدعاية الماركسية أنها يجب أن تبنى أولاً على إيجاد نوع من الدعاة وثانياً على التنظيم وثالثاً على المشاغبين الذين يحركون الجماهير ويدفعون بهم إلى التظاهر أو أية أعمال إجرامية تخريبية وأساس هذه الدعاية استغلال معاناة الجماهير بمختلف الوسائل وإعداد إطارات معينة تستثمر متاعب الشعب خلال كفاحه لبناء نفسه ثم تعتمد بعد أن تتمكن من قدرتها على قيادة عمليات التخريب وطريقتهم فى العمل (فى ميادين الصحافة أو الفن أو غيره) تبدأ تنظيميته وتنتهى إحتكارية أما التسلسل الشيوعى إلى وسائل الأعلام فقد بدأ على أثر الخلاف الذى نشب بين مصر والاتحاد السوفيتى حيث دخل عدد كبير من القيادات الشيوعية السجون فى مصر وسوريا بسبب تأمرهم على الوحدة من جهة والتزامهم بمواقف غير وطنية وفى أوائل الستينات جاء خروشوف إلى القاهرة فى زيارة رسمية وكان من رأيه أن يخرج الشيوعيون من السجون وأن يلتزموا باتجاه الدولة الرسمى وخرجت القيادات الشيوعية وكان كل همهم العمل فى كل أجهزة الأعلام والثقافة فتغلغلوا فيها بدعم قوى من مراكز القوى حتى استطاعوا السيطرة التامة على هذه الأجهزة : المسرح - الإذاعة - التلفزيون - الكتاب - الصحافة - الفنون التشكيلية - الفنون الجميلة كالباليه والرقص الشعبى ، وكان الفضل حليفهم لأن الشعب كان يرفض طبيعة ممارستهم ولا سيما بعد أن ألفوا كتباً دينية كالكُتب الجنسية والكُتب اللادينية وقد تكبدت الدولة نتيجة ذلك خسائر جسيمة فكانت الكُتب تؤلف وتطبع لتودع فى المخازن وكانت المسرحيات تعرض وتحاط بدعاية كبيرة فلا يحضرها سوى عناصرهم ومع ذلك يجعلون منها مظاهرة

أدبية وفنية ضخمة . وقد عرف الناس بعد مايو ١٩٧١ التنظيمات التي كانت وراء ذلك ، كما عرفوا أن هذه التنظيمات التي أرادت لهم السيطرة على أجهزة العلم تنفيذاً لمخططات معينة . وقد جاء تعيين الشيوعيين في مجالس إدارة الصحف بدعوى أن هؤلاء اشتراكيون وأن لا اشتراكية بلا اشتراكيين ومن جهة أخرى لا يجاهر الماركسيون بالقول : نحن نريد بنشر الفكر الشيوعي والإلحادى وإنما ينشرونه وفق مخطط مرسوم ، كان يعينون على أساس أن الاشتراكيين وحدهم هم القادرين على شرح المبادئ الاشتراكية وهم الذين ينفذون التعاليم الاشتراكية ، ولم يفلحوا في هذا المجال لأن أغلبهم أسلوبياً ماركسياً معقداً يتعذر على الشعب فهمه ، بل كان الشعب يتندر بأسلوبهم الغريب في كتاباتهم ، وكانت السياسة المتبعة تفرض إعطاؤهم القلم والميكروفون وجهاز التصوير ، وكانوا يضعون السم في الدسم وبعد ذلك يعيرون عن الصورة ثم يشرحونها وفي النهاية يهدمون ويخربون ، وكانوا يركزون على الصراع الطبقي والمحدد على الدين باعتباره من الغيبات وأفيون الشعوب ولكي يأخذ هذا الصراع الطبقي مداه لا بد أن يكون في البلاد فئتان : فئة الوطنيين الاشتراكيين وفئة الاقطاعيين والاستغلاليين لقد رفع الاستعمار شعار فرق تسد ورفعت الشيوعية شعار الصراع الطبقي أى الصدام الدائى بين أبناء الوطن الواحد أو شعوب الأمة العربية . يقول الدكتور حاتم : بعد عودتي للأعلام ١٩٧١ اكتشفت أن عدداً كبيراً من الماركسيين العاملين في الإذاعة والتلفزيون والصحافة موجودون خارج البلاد في إحدى الدول الشيوعية ولما عادوا اخضعوا لتحقيق تبين من نتيجة أن المعاهد الاشتراكية التي أقامتها مراكز القوى هي التي أوفدتهم إلى المحاضرات وأن الدراسة التي كانوا يتلقونها كانت تتناول العقيدة الماركسية وتعاليم لينين وأسلوب مقاومة الرجعية ووسائل المقاومة وكانوا يعدون إعداداً ماركسياً لصراع طبقي داخل الدولة وبعضهم كان يندفع إلى هذه الدراسات بتأثير رؤسائهم وإرضاء لهم وربما عن غير إقتناع أما الآخرون فكانوا فعلاً في تنظيمات ماركسية . وقال : أن مراكز القوى كانت تأتي بالشباب وتنشئ لهم المعاهد المسماة اشتراكية ثم يبدأ الكلام عن العقيدة الماركسية ، حتى (الميثاق) فسر تفسيراً ماركسياً وكان التركيز الأساسي على أنه ليس في العالم سوى اشتراكية علمية واحدة هي التي تحدث ماركس عنها وعلينا أن نسير على هداها . وبعد هزيمة ١٩٦٧ أصبح الماركسيون في حالة ضياع حقيقى فاطلقوا الشعار القائل (نريد معرفة النغمة الصحيحة) قلت لهم عام ١٩٧١ أن النغمة الصحيحة هي مصر والعرب والاستعداد للمعركة واسترداد حقنا وبث الروح الوطنية الحقيقية

فى نفوس الشباب من واقع أرضه وترايه وفى سبيل بلده . وكانت اللغة العربية أحد أهداف المخطط الماركسى فقد بذل الماركسيون جهداً كبيراً لإلغاء اللغة العربية وإحلال العامية محلها على أساس أنها لغة التعبير الواقعى حتى الشعر العامودى تعرض للهجوم لمصلحة الشعر المنشور غير المفهوم ، هذا الشعر غير الواضح وغير المفهوم الذى لا غرض له غير إفساد أذواق الناس . وكانت الماركسية تسعى إلى ضرب اللغة العربية لأن اللغة هى عماد الوحدة والنظرية الماركسية تعادى الوحدة . وقال : أن التنظيمات السرية فى التلفزيون والإذاعة اشترت أقلام ١٨٠ كاتباً من كتاب البرامج فى التلفزيون وكانوا كل أسبوعين يعرضون فيلمين عن ماركس ولينين وحرب الصراع الطبقي».

(١)

فساد النظرية الماركسية

أولاً : فساد النظرية الماركسية

أطلق ماركس على نظريته إسم (الاشتراكية العلمية) لأنه اعتمد في بناء النظرية على مجموعة المفاهيم العلمية التي كانت مطروحة في أفق الفكر الغربي في هذه المرحلة التي أنشأ فيها مذهبه وقد عاش ماركس بين (١٨١٨ - ١٨٨٣) وهي الفترة التي أزهرت فيها الفلسفة المادية في أوروبا وأقامت أسسها على فرضيات العلم التجريبي التي كانت لا تزال لم ترق إلى مستوى الحقائق العملية التي لم يلبث التقدم العلمى أن جرفها وحطمها وكانت تجارب العلماء في هذه الفترة تتسم بالكراهية الشديدة للكنيسة ورجال الدين على أثر الصراع الشديد الذى وقع بين الفريقين ، وبروز بعض قوانين العلم التجريبي التي حاولت الفلسفة أن تتخذ منها أساساً لبناء قوانين للتاريخ والإجماع وللدراسات الانسانية بحسبان أن الكيان الإنشائى هو كيان مادى خالص وأن قوانين المادة صالحة للتطبيق عليه . وكان هذا أول أعمدة الأساس في النظرية المادية التي انهارت بعد قليل حيث تبين للعلماء بوضوح أن الكيان الإنسانى هو كيان مستقل بذاته وأن قوانين التجارب المادية لا تصلح للتطبيق عليه . كذلك فإن الفرضيات التي قدمها دارون كلها بشأن العلاقة بين الإنسان والفرد لم تلبث بعد ذلك أن انهارت وثبت فسادها . كذلك فإن من أكبر الأخطار الأساسية في نظرية ماركس أنه أقامها في ضوء « حالة عرضية » لم تلبث أن تغيرت هي فقر العمال في ظل بدايات التصنيع التي شهدها ماركس والتي لم تلبث أن تجاوزت كل ما وصل إليه خيال ماركس على نحو أعطى مزيداً من التآمينات والامتيازات والدرجات بحيث خالف ذلك ما كان يتطلع إليه ماركس من انقضاء العمال على أصحاب الأعمال ، كل هذا وغيره من أسس وقواعد لم تلبث أن انهارت كان له أبعد الأثر في اهتزاز النظرية الماركسية وعجزها عن تحقيق نبوءاتها ومن هنا فقد ثبت ثبوتاً حاسماً : « أن الماركسية فلسفة مرحلة وردود فعل للرأسمالية » وكان أكبر الضربات التي وجهت إليها هي (يقين) ماركس بأن تحدث الثورة الشيوعية في دولة متقدمة صناعياً إلى أقصى حد فكان الذى حدث أن وقعت الثورة الشيوعية في أكثر بلاد أوروبا تحلفاً (الاتحاد السوفيتى) . ولقد كان أكبر مقاتل النظرية الماركسية هو أساسها المادى المحض الذى لم تتحقق له النظرة العميقة ذات الأبعاد الواسعة إلى عوامل أخرى مبنوية وروحية ونفسية لها أثرها في تفسير

التاريخ وبناء المجتمعات والحضارات . ويقول الفيلسوف هكسلي : كانت الشيوعية الماركسية أكثر تنسيقاً وملائمة ولكن أساسها المادى المحض قد حد من فاعليتها فقد حاولت أن تنسكز حقائق القيم الروحية وهذه القيم موجودة قائمة . لذا كان على الشيوعية أن تتقبل نتائج هذا الحظ الأيدولوجى فأقبلت فى غيظ وحنق لفتح أبواب الكنائس للجموع المتعطشة إلى الروحية التى نبذها النظام الشيوعى . وأن أخطر ما وقع فيه ماركس وانجلز هو القول بأن تاريخ المجتمع الحاضر كله هو ما إلا تاريخ النزاع بين الطبقات : فالعبيد والأحرار والدهماء ورجال الطبقة العليا والسيد والتابع والمعلم والصانع وفى الجملة كل هؤلاء وقف الواحد منهم ضد الاخرين فى حروب لا هوادة فيها « ولا ريب أن نظرية الصراع بين الطبقات ليست حقيقية تاريخية بقدر ما هى من أهواء اليهودية التلمودية ، بالإضافة إلى معارضة الدين وعداؤه والانتقاص منه وقد دفع هذا بعض الباحثين إلى القول بأن الماركسية مؤسسة على نظريات غير واقعية مخالفة لفطرة الإنسان وواقع حقائق الأشياء . يقول (بربارا وارد) فى كتابه [خمسة أفكار تغير وجه العالم] عن الشيوعية : تمخض عنها عقل يهودى بروجوازي هو كارل ماركس . بعد أن شهد المرحلة الأولى التى أعقبت الانقلاب الصناعى فى إنجلترا وما صاحبها من تضخم فى ثروات أصحاب الأعمال ومن شقاء وحرمان فى حياة العمال فسارع كارل ماركس إلى استنتاج حقيقة كبرى أقام عليها مذهبه هى أن الرقى الصناعى يستتبع حتماً شقاء العمال وتعاستهم . ونقول أنه تبين من بعد فساد هذه الحقيقة الكبرى التى هى دعامة المذهب كله . ويمكن القول بوضوح أن ماركس قد استبطن الأهداف التلمودية الصهيونية اليهودية التى كانت تسيطر على العالم وحاول أن يصنع فيها مذهباً اجتماعياً يرمى إلى إثارة العداوة والتناحر بين الطبقات والمجتمعات وخاصة وأنه قد اعتبر حتمية الجبل هو الثورة الدموية القائمة على التآمر والحقد والعداء الذى يمكن للطبقة التآمرة الاستيلاء على السلطة . لقد كان كارل ماركس تلميذاً أصيلاً للمفاهيم التلمودية الحاقدة على البشر كلها الراغبة فى تفريغ هذا الحقد فى منهج يمكن اليهود من إقامة إمبراطورية الربا العالمية فجاءت نظرية ماركس استجابة صحيحة لكل مفاهيم التلمود التى تحتقر الأديان والبشرية وتحاول أن تفرض وجودها بالتآمر والقتل . ولذلك فقد جعلت منطلقها الصراع بين الطبقات وعلى تحريض العمال على الثورة الدموية على أصحاب رؤس الأموال . وعنده أن جرب الطبقات وعداء الطبقات هى القانون الأول من قوانين التغيير وأن دكتاتورية العمال ستسحق المجتمعات

الرأسمالية. وتقوم الصهيونية كما صورها كارل ماركس على إلغاء القيم الطبيعية التي أقامتها الفطرة الإنسانية : الملكية الخاصة ، الدين ، الأسرة ، وإلغاء الحريات الفردية ، والقضاء على الكرامة الإنسانية ، وسيادة التصفيات الدموية الرهيبة ، ولذلك فإن معارضة الفطرة لا تستطيع أن تثبت طويلاً وسرعان ما تحتاجها طبيعة الإنسان الأصيلة ، كذلك فإن القواعد التي قامت عليها الماركسية من فرضيات العلم ومن ظواهر المجتمعات والحضارات سرعان ما اجتاحتها التغير المتصل فاحتاجت إلى الترميم والإضافة والحذف، كذلك فإن قيام النظرية الماركسية على الميكانيكية التي تحدد قوانينها ولا تتجاوزها قد أنكرت وتجاهلت القوى الإنسانية الحية الفاعلة وكما قال رسل فإن أكبر خطأ وقع فيه ماركس هو إنكار الذكاء الإنساني كعامل من العوامل التي تسيّرنا في حياتنا وأن الناس تتفاوت في هذا القدر من الذكاء . وليس أصدق في الاحتجاج بأن الزمن قد تجاوز الماركسية لأنها قامت على فروض العلم التي تغيرت من بعد، أن أربعين عالماً شيوعياً في الاتحاد السوفيتي اجتمعوا في الستينات في شكل مجتمع علمي استهدف شرح الاسس الماركسية وقد راجع النتائج التي حققها فتفتت الفرة وقرر المجتمع أنه يجب ألا يعول كثيراً على جدل المادة بعد أن تجاوز العلم وقد صدر كتاب تحت إسم (فوند منتل اف ماركزم) ووصل إلى مصر وقد تم جمعه بعد توزيعه وفي الطبعة الجديدة منه رفع الفصل الخاص بعدم التركيز على جدل المادة بعد أن اعتقد الماركسيون القادة إن ذلك من شأنه أن يزعر العقيدة في نفوس الأجيال الجديدة ويضرها في الصميم . وقد جاء هذا على أثر حادث خطير وقع عام ١٩٥٩ حينما تحدثت وكالات الأنباء العالمية أن رئيس معهد الكيمياء العضوية في روسيا (أوبارين) رفع تقريراً بعد ما عبر سبعة وثلاثين عاماً يبحث في أصل الحياة ومدى إمكانية إيجاد الخلية الحيوانية الأولى عن طريق تفاعل كيميائي جاء فيه : لقد تبين بما لا شك فيه أن الحياة لا يمكن أن تبدأ من العدم وقد انهارت تماماً نظرية التفاعل الكيميائي والنوالد الذاتي التي تقول أن الإنسان لم يكن إنساناً منذ الأزل وأن الحيوانات والنباتات إنما نشأت من أصل واحد . وهذا يعني تماماً أن القواعد الأساسية التي اعتمدتها الماركسية من نظرية دارون قد سقطت والواقع أننا عندما تراجع ماركس مراجعة صحيحة ، نجد أن هناك مسبقات واضحة في فكر ماركس وهدف خفي يحاول أن يعالج الوصول إليه بدقة من خلال انتقاء بعض مواقف من التاريخ بل أن كثيراً من نقاد ماركس يرون في صراحة : أن ماركس قد كون رأيه مقدماً ثم أخذ بعد ذلك يتلمس الأسانيد والمبررات لذلك الرأي. وأن بيان ١٨٤٨

عندما صدر كان أولاً بتوجيه من فيلسوف الفكرة الصهيونية التلمودية الأول (هيس) إن لم يكن من وضعه نفسه - كذلك فإن ماركس لم يكن قد قام بتلك الدراسات التي نشرها من بعد تحت اسم (رأس المال) والتي صدر الجزء الأول منها عام ١٨٦٧ أى بعد تسعة عشر عاماً من البيان الماركسى . وبحيث يتبين بوضوح أن نظريته لم تكن وليدة بحث علمي بل كان البحث العلمي الذي قام به بهذا الصدد بمثابة دفاع أو تبرير لتلك النظرية التي اعتنقها مقدماً . ولا ريب أن هناك عدداً من القضايا التي تحتاج إلى تحليل واسع لتكشف أبعاد فساد النظرية في مقدمتها : أولاً : فكرة التفسير المادى للتاريخ وتعد فكرة التفسير المادى للتاريخ من أهم أركان المذهب الشيوعى وتؤكد النظرية الماركسية أن الإنتاج الجماعى لوسائل العيش يربط الأفراد بعلاقات جديدة ضرورية مستقلة عن إرادتهم وأن طريقة الإنتاج هي التي تحدد النشاط الاجتماعى والسياسى والعقل لحياة جماهير الناس . يقول الدكتور صلاح نامق : هنا يمكن النقص الواضح في النظرية فيفسر الوجود الإنسانى كله على أساس أحداث مادية فقط تكشف جانباً من الحقيقة وتخفى سائر جوانبها فمما لا شك فيه أن هناك قوى أخرى غير مادية تؤثر في حياة الناس وعلاقاتهم الاجتماعية والأخلاقية ، بل لعل هذه القوى الأخيرة تأتي في المقام الأول قبل القوى المادية البحتة التي ركزت عليها نقطة التفسير المادى للتاريخ . إن للقيم الدينية والمعنوية والأخلاقية وزنها وأهميتها في المجتمع وإذا كان من الخطأ الظن بأن مجتمعا ما يمكن أن ينهض ويقوم ويتقدم على القيم الأخلاقية وحدها فمن الخطأ أيضاً الظن بأن مجتمعا يمكن أن ينهض بدونها وفي وسعنا أن يقول بأن تعاليم الأنبياء والرسل وآراء الفلاسفة والحكماء لا تعدو أن تكون نتاجاً للبيئة الاقتصادية وحدها . وإذا كان الاقتصاد وحده هو الذى يتحكم في تطور المجتمع فكيف نفسر انشار الحضارة الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها . « ولم يأت الإسلام نتيجة انقلاب في نظم الإنتاج أو في علاقات الإنتاج في قريش وإنما جاء ظاهرة إلهية مستقلة عن فعل البيئة ، لقد جاء الإسلام منذ البداية مقررراً المساواة في الأرض وضمان حد الكفاية للفرد وتحقيق التوازن الاقتصادى بين الفرد والمجتمع ، وجاء مبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ، جاء بكل ذلك في الجزيرة العربية في وقت لم تكن فيه ظروف الإنتاج وعلاقات الإنتاج تدعو إليه بحيث يمكن أن يقول أن ما حدث كان انبثاقاً من واقع اقتصادى وقد تحدى بذلك منطق نظرية التفسير المادى للتاريخ للتاريخ التي تحتم انبثاق كل انقلاب سياسى من انقلاب مناظر في نظام الإنتاج وعلاقاته وخطأ

التفسير المادى للتاريخ أنه يرجع إلى خطأ نزعة التعميم التى تميل إلى أن تتخذ من ملاحظة خاصة بحالة معينة مبدأ عاماً يطبق ويسرى على جميع الحالات . وقد تبين من الدراسة المتعمقة أن هناك عوامل مختلفة تلعب دوراً هاماً فى التاريخ فى مقدمتها المعتقدات الدينية وأثرها فى حياة الأمم والشهداء الذين ماتوا فى سبيل معتقداتهم والعواطف والشهوات والأهواء التى تسيطر على حياة الرجال وتسيطر على تاريخ الأمم ، وغريزة حب السيطرة (قال أدلر أن غريزة حب السيطرة هى التى تلعب الدور الأول فى التاريخ) ولا ريب أن تفسير الوجود الإنسانى كله على أساس الأحداث المادية فقط يكشف جانباً من الحقيقة ويخفى سائر جوانبها فمما لا شك فيه أن هناك قوى أخرى غير مادية تؤثر فى حياة الناس وعلاقاتهم الاجتماعية والأخلاقية بل لعل هذه القوى الأخيرة تنأى فى المقام الأول قبل القوى المادية التى ركزت عليها نظرية التفسير المادى للتاريخ . ويتساءل الباحثون : هل التفسير المادى للتاريخ هو التفسير الحقيقى الذى يفرض نفسه فرضاً على الواقع العالمى . وبإلطبع لا : فللقيم الدينية والمعنوية والأخلاقية وزنها وأهميتها فى المجتمع ومن الخطأ الظن بأن مجتمعاً يمكن أن ينهض بدونها . . « وهل فى الوسع أن نقول بأن تعاليم الأنبياء والرسل وآراء الفلاسفة والحكماء لا تعدو أن تكون نتاجاً للبيئة الاقتصادية وحدها » وإذا كان الاقتصاد وحده هو الذى يتحكم فى تطور المجتمع فكيف نفسر انتشار الحضارة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها . كذلك فقد أصبح مقررأ أنه « لا يوجد سبب مستقل منفصل وفاعل يولد النتائج والظواهر الثانوية إنما هناك عوامل متعددة تؤثر فى بعضها تأثيرات متقابلة وأن العوامل الجوهرية اليوم يمكن أن يكون عاملاً ثانوياً فى الغد . ومن هناك فإن العامل الاقتصادى بهذا لا يصلح لأن يكون إلهاماً تصدر عنه كل الأشياء بينما يمكن للعامل النفسى والعقائدى أن يكون صالحاً على مدى العصور وأن يكون العامل القوى والعنصرى مؤثراً فى بعض الأحيان ونحن حين نراجع تطبيقات نظرية التفسير المادى للتاريخ مراجعة واسعة نجد أنها ليس أكثر من تسجيل لفترات الانتكاس فى حياة الشعوب بما يستتبعه الانتكاس من صراعات على كل المستويات وقد كان موقف الماركسية من العامل الإقتصادى بالذات موقفاً منحازاً لا علمياً كما أنه قدم تحليلات لفترات انتقائية من التاريخ فى بيئة من البيئات ولكنه عجز عن تفسير التاريخ كله فى كل البيئات ، وفى الفترات الأخيرة تراجع الماركسيون فى أهمية العامل الإقتصادى وقالوا أنه ليس هو كل شيء وأنه أعطى أكثر مما يستحق ولكن هذا الاعتذار لم يؤثر فى المناهج

الماركسية التي ما تزال قائمة على اعتبار الاقتصاد مصدراً أساسياً بينا يقرر التاريخ بتطبيقاته فساد أولية هذا العامل ويؤكد أنه لم يكن لعامل من العوامل الإنسانية من أثر أقوى وأعظم من عامل الدين وكل ما عداه من الحركات المؤثرة في حركات الأمم فإنما تنفادت في القوة بمقدار ما بينها وبين العقيدة الدينية من المشابهة في التمكن من أصالة الشعور ومواطن السريرة وهذه القوة لا تضارعها قوة العصبية ولا قوة الوطنية ولا قوة العرف ولا قوة الأخلاق ولا قوة الشرائع والقوانين وتقرر الدراسات ذات الأصالة والبعد عن الهوى باشتراك العوامل الإنسانية وتفوقها على العوامل الاقتصادية في أحداث التغيير الاجتماعي . يقول رستو في كتابه (مراحل النمو الاقتصادي) : يعتبر الإنسان وحده أكثر تعقيداً فهو لا يسعى للمصلحة الاقتصادية وحدها بل للسلطة واللهو والمغامرة وأن صافي السلوك الإنساني لا يعتبر في نظرنا سعيًا وراء شيء أقصى بل موازنة بين أهداف إنسانية بديلة ومتناقضة في كثير من الأحيان أزاء مجالات الاختبار التي يرى البشر أنها مفتوحة أمامه « أ. ه. ويرى كثير من الباحثين إنه إذا كانت هناك عوامل هامة كثيرة تلعب دوراً هاماً في التاريخ فإن في مقدمتها عاملين هامين هما : المعتقدات الدينية والشهوات وحب السيطرة وليس الاقتصاد . أما بالنسبة للمعتقدات الدينية فقد كانت الحروب الدينية قديماً أكثر الحروب طولاً وهناك قصص الشهداء الذين لا قوا المنايا والأهوال وقد احتملوا ذلك في سبيل معتقداتهم الدينية وليس تحت تأثير بواعث مادية واقتصادية . أما بالنسبة للشهوات وحب السيطرة فإن المؤرخ ه. ج. ولز : يقرر أن غريزة حب السيطرة هي التي تلعب الدور الأول في التاريخ . ويقرر الباحثون « أن فكرة العامل الاقتصادي الواحد الذي جعل منه ماركس (إلهاً) تصدر عنه الأشياء وسبباً وحيداً تنداعى من ورائه كل التغييرات التاريخية مما يسمى بالتفسير المادي للتاريخ ، هذه الفكرة قد سقطت علمياً والرأي السائد الآن في ميدان الظواهر الاجتماعية أن لا يوجد سبب واحد مستقل وفاعل ، وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر في بعضها تأثيرات متقابلة ، فالعامل الجوهرى اليوم يمكن أن يصبح عاملاً ثانوياً في الغد ، والعامل الاقتصادي بهذا لا يصلح أن يكون إلهاً تصدر منه الأشياء » (مصطفى محمود) . ومن فساد التفسير المادي للتاريخ ما ذهب إليه ماركس من أن التطور المادي في مكان ما هو وحده الذى يفرض نظام المجتمع الواجب الاتباع (وليس الفكر ولا التربية) وآية ذلك إن فكرته كفكرة مجردة ما استطاعت أن تجد لها طريقاً إلى الوجود في أى مجتمع غير المجتمعات الماركسية بل قد أصبح القول بإسقاط الفكر والتربية من

جواد
فني تصوير

عملية التطور في المجتمع في الواقع المحسوس أمراً لا يستحق النظر. ثانياً: «فساد التنبؤ» ويؤكد الباحثون : أنه لا يوجد أساس علمي للاعتقاد بإمكانه التنبؤ بسير الحدث التاريخي أو بصورة التطور الاجتماعي في المستقبل، ذلك لأن سير الحدث التاريخي أو طريقة تطور المجتمع تتأثر تأثراً قوياً ينمو المعرفة الإنسانية أو بحالة العلم في المستقبل وبذلك فإنه لا يمكن التنبؤ بالصورة التي سيكون عليها المجتمع في المستقبل . هذه المحاولة الفاسدة هي ما يطلق عليها اسم (الحتمية) : ومفهوم الحتمية يعارض حرية الإرادة الإنسانية التي يقرها الإسلام ، ولقد تبين أن الحتمية لا تتفق مع إرادة التغيير ، لأنه مع الحتمية لا تكون إرادة من جانب الإنسان ، ولا يبقى له أراء تطور التاريخ إلا أن يراقب ما يحدث له وللمجتمع وللطبيعة على السواء . وحظا ماركس أنه يرى أن القانون الذي يحكم التطور الاجتماعي قانون مادي ، ولذلك فإن النبوءة التاريخية عنده تقوم على افتراض أن التاريخ يسير في خط معين معلوم ، وذلك على افتراض أن خط الحياة يسير في نحو محيوم . وقد كشفت نبوءات ماركس كلها عن أخطاء قامت على هذه الأسس المنهارة ، وكان أبرزها خطأ التنبؤ بسقوط النظام الرأسمالي ، وقد تبين باستقراء التاريخ إلغاء بعد ماركس أن انهيار النظام الرأسمالي ليس وشيكاً وأن الظروف الاجتماعية لم تتطور إلى مستوى التعارض المادي بين الطبقات بل صاحبها زيادة في عدد الرأسماليين في جميع الدرجات. ومن نبوءات ماركس التي سقطت قوله أن العالم يسير في الصناعة والتجارة نحو الاحتكار بحيث يأكل القوى ضعفاء الملاك وأن هذا الاحتكار يستمر ويطرد في جميع الصناعات وينتهي ذلك إلى إلغاء الملكية الفردية ، ومن العجيب أن الشيوعية في روسيا تحاول القبول اليوم بالملكية الفردية في أشياء كثيرة ومن نبوءات ماركس الزائفة قوله: أن تاريخ البشرية عملية واحدة . ومن حتميات ماركس التي انهارت أمام الواقع و التجربة ، هزيمة قانون رأس المال أمام الإرادة الإنسانية ولم يقع ما توقع ماركس وعدلت الأمم أنظمتها فحققت لعمالها ما لم تحققه الشيوعية في بلادها . كذلك فقد حدث النظام الشيوعي في بيثة غير التي توقعها ماركس ، ولم يستطع الماركسيون تأكيد نظرية القيمة ، وكشف التطبيق عن عجزها وظهر أمثال ليبرمان وغيره من الذين نادوا بأراء جديدة لدفع عجلة الاقتصاد القوي ولقد كان ماركس غمرة عصره وما كان يستطيع أن يقرر شيئاً بالنسبة للمتغيرات التي تفرضها تطورات المجتمع ولا اختلاف البيئات « لقد هبت رياح التغيير فانهارت أمامها النظرية الماركسية ولم تفلح عمليات ترميمها : ومن مزاعم ماركس

ونبوءاته أن الدولة ستزوى لا محالة، ولقد شقت النزعة القومية طريقها مخالفة لما رآه ماركس ولم تذب الدولة بل قويت وسارت النزعات القومية مثل أوروبا وضع إلى من وضع وقامت دول جديدة موحدة مثل ألمانيا وإيطاليا . وأخطأت نبوءات ماركس فلم تخرج الشيوعية في إنجلترا المتقدمة صناعياً وإنما خرجت من الصين الزراعية وروسيا المتخلفة ولم ينقسم المعسكر الرأسمالي أو ينهار أو يتناقص وإنما انقسم المعسكر الاشتراكي نفسه وتناقص وتصارع ولم تتفاهم الهوة بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال بل ضاقت . رابعاً : سقوط فكرة الحتمية : إن أبرز معالم الخطأ في النظرية المادية جملة الماركسية على الخصوص محاولة تطبيق مفاهيم العلوم المادية على الظواهر الإنسانية ، بينما تقوم الظواهر الإنسانية على عوامل معقدة ومتشابكة وعوامل غير عادية (نفسية وروحية ومعنوية) وليس من ريب في أن العنصر الإنساني والإرادة الإنسانية ذات الأهمية الأولى والكبرى في تشكيلها بل هي سبب تميزها عن الظواهر الطبيعية ، وهذا ما يجعل موضوع الدراسة في العلوم الاجتماعية شيئاً مختلفاً تمام الاختلاف عن الدراسة في العلوم الطبيعية والتجريبية . والواقع أن الباحث في دراسة الظواهر الاجتماعية لا يستطيع أن يكون محايداً أو موضوعياً لأنه يعيش تحديات نفسه وظروف مجتمعه وأوضاع عصره وبيئته وأن فكر الباحث (فيلسوفاً كان أو عالماً) هو من وراء آرائه الشخصية وميوله وأهوائه وتطلعاته ومطامعه سواء نحو نفسه أو وطنه أو بيئته أو مصلحته الطبقية التي ينتمي إليها ، كل ذلك من شأنه أن يؤثر في رؤيته للظاهرة الاجتماعية وفي طريق فحصه لها وهو مؤدلا محالة إلى عجزه عن وضع أيديولوجية إنسانية ثابتة ، وقد أكد الباحثون في مجال الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية صعوبة الأخذ بفكرة السبب أو موضوعية البحث كما في العلوم الطبيعية . ولما كانت الحتمية هي فكرة غير علمية في الدراسات الإنسانية والاجتماعية فقد كشفت التجربة التطبيقية والتحول التاريخي عن فسادها وسقوطها وتبين أنها دعوى غير علمية في مجال الإنسانيات والعلوم الاجتماعية وإنما هناك على الأكثر عوامل ترجيح وظن وتخمين واحتمالات متفاوتة . وأنه لا حتمية إلا في حركة الأفلاك والكواكب وكرات البلياردو وتروس الساعات والمادة الصرفة ، وحتى في مجال المادة الصرفة فقد ظهرت قوانين جديدة تخرج فيها حركة الالكترونات من إفسار الحتمية إلى مجال الحرية والاحتمال . ولما كانت الحتمية التاريخية وحتمية الحل الاشتراكي من ألبادى إلى نادى بها ماركس فإن أهم ما يميز الاشتراكية العلمية أى الماركسية عن غيرها من أنواع الاشتراكية ، هو ما يقلمه ماركس

من الأدلة على حتمية قيام الاشتراكية الماركسية سواء كانت آمراً مرغوباً فيه أو مرغوباً عنه من البشرية ، هذه هي فكرة الحتمية أو التنبؤ التاريخي التي يقوم على أساس الاعتقاد بأن ثمة قوانين يسير التطور التاريخي وفقاً لها، على أن الأسلوب العلمي لا يقر الأخذ بمبدأ فكرة الحتمية . « ولقد وجهت يد التاريخ صفعة قوية على وجه تلك الحتمية فكذبتهما أحداثه تكذيباً » . يقول صاحب كتاب [الإسلام ومبادئ نظام الماركسية والديمقراطية الغربية] : على أن ماركس وانجلز قد أدركا فيما يبدوا ما كان منهما من المغالاة والشطط في الأخذ بفكرة (الحتمية) فتراجعا عن بعض ما كان لهما من آراء في هذه الصدد ورغم أن أن فكرة الحتمية لم تقرها البحوث العلمية وقد كذبتها الأحداث التاريخية وأخذ ماركس وانجلز في التراجع عن بعض الخطى في السير في طريقها. رغم ذلك نجد بعض زعماء الشيوعية من بعدهما قد ردودها واليوم نجد أن أشد الناس مغالاة في الماركسية وحراسة لها قد تراجعوا عن كثير مما تقتضيه هذه الحتمية في مجتمعاتهم وأخذوا بكثير مما اعتبروه في نظرهم من مظاهر النظام الرأسمالي . « وفي مواجهة هذا يقرر الإسلام وجود (الإرادة البشرية) . فالمسلم يؤمن بالإرادة البشرية ويعد نفسه لأداء دوره ولا يستسلم للفرائض التي تسيطر عليه ، فالإسلام يدعوه إلى عزم الأمور ، والإسلام لا يتقبل (الجبرية) بمعنى التنازل عن حقه الطبيعي في الاختيار وهو لا يقر السلبية وعدم المجازفة والجبن وإنما يؤمن بالافتحام والعمل ومواجهة الحياة والفرد في الإسلام باعتباره القوة المحركة وأنه هو أحد العلامات الفاصلة عن طريق التقدم ومن هنا نتجت فكرة البطل الذي يصنع الأحداث أو يتحكم فيها : ولقد صنع المسلمون التاريخ ووجهوه إلى الوجهة التي أرادها الله تبارك وتعالى وللфرد في الإسلام كرامته وحرية فكره وليس للقوى أن يتسلط على الضعيف والملكية الفردية مصانة ، وهي الدرع والسند الذي يستند إليه الفرد لمواجهة القوى المضادة ، وتنفيذها هو الشكل الخارجي للكرامة والأمان ولا يقر الإسلام إلغاء الملكية الفردية لأنه يحول الناس إلى إجراء . ولقد سبق الإسلام إلى تحقيق الأهداف الإنسانية في تأكيد الإرادة والتغيير وتحقيق المواطنة والعدالة ، والعمل في إطار المنهج العلمي للإيمان وباتجاه الهدف المتكامل في حرية الفرد وحرية الجماعة ووحدة الأمة . خامساً : « الظروف المتغيرة » : نظراً لأن الماركسية لم تقم على الفطرة والنظرة الجامعة المتكاملة للإنسان (روحاً ومادة) فقد عجزت عن الحركة إزاء الظروف المتغيرة وتحولات الأحداث في العصر والبيئات ، ولقد اعتمدت النظرية أساساً على ظروف كانت

قائمة في القرن التاسع عشر ثم تغيرت كثيراً ، ذلك أن ماركس لم يكن يتصور ما ستحدثه ثورة العلم والتكنولوجيا في القرن العشرين حيث تدار المصانع بعقول ألكترونية وقيام نقابات العمال وقوانين العمال وقوانين التأمين ضد العجز والشيخوخة والمرض وإتاحة فرص التعليم وعلاج والراحة. بل إن الانقلاب الذي حدث بعد قرن كامل من بداية عصر ماركس وانجلز كان بعيد المدى ، فقد انطلقت شرارة الانقلاب التكنولوجي المبالغت في منتصف القرن الحالي ، ذلك الانقلاب الذي لا يقاس بالانقلاب الذي أحدثته الآلة التجارية حين ظهرت لأول مرة في نهاية القرن الثامن عشر : إن ماركس قد عجز عن تصور مثل هذا التحول الذي أحدث تغييرات في جذور النظرية المادية والمفاهيم التي قام عليها العلم نفسه ، فضلاً عن أنه عجز عن تصور قدرة الرأسمالية على التطور واحتواء رغبات العمال بالمشاركة والنخوص في الأسهم وفي رأس المال . كذلك كان من أخطاء ماركس البالغة إصراره على أن تكون نظريته التي هي مجموعة من الفرضيات أقامها على البيئة المحدودة والعصر المحدود - أن تكون فكراً شمولياً تحيط بكل شيء علماً ، كأنما كان يطمح أن تكون ديناً معاكساً لدين الله الحق وذلك حين جعل لها عقيدة مادية ملحدة مرتبطة بمنهج حياة تصل إلى مختلف أبعاد الحياة الاجتماعية والسياسية ويقوم على معارضة التكامل الإنساني الجامع وهو في كل معالجاته يعتمد الصراع الدموي ، والانقضاء والتآمر ، وقد تزعم الماركسية أنها ذات نزعة إنسانية بينما تعمل على خلق طبيعة جديدة من نوع حقوق متجرد من الأخلاق والقيم يعتمد على مجرد العنف وبغير رحمة كما قال لينين ، كذلك فقد كان من أشد عوامل فسادها ، صياغة النظرية في قوالب نهائية ومطلقة تفترض صلاحيتها للملاءمة كل الظروف في كل المجتمعات وترفع في شعارات مثيرة وحماسية لاجتذاب السذج والإغرار والبسطاء الذي لا يملكون مقدرة فكرية كاملة . وقد اعترف لينين بأنه فرض هذه النظرية على المجتمع السوفيتي في ظروف غير ملائمة لها ، وإن هذا كان خطأً من الناحية العلمية الاقتصادية ولكنه كان صواباً من ناحية الإثارة السياسية ، وقد تمكنت الطبقة الجديدة من السيطرة على إمكانيات المجتمع الذي أصبح تحت قيادتها بصرف النظر في قدرتها الفعلية الذاتية لقيادة المجتمع الذي استولت على سلطته السياسة باسم تطويره اقتصادياً واجتماعياً . ومن النظرة الأولى نجد أن هناك استحالة للفصل بين الماركسية والإلحاد ، ولا يمكن أن يكون الماركسي إلا ملحداً بما تقضي به النظرية نفسها . وما أعتقد أن المسلمون في حاجة إلى مثل هذه الفكرة التي لا تستطيع أن تقدم حلولاً عملية

يستفيد منها المجتمع ، وإنما تفرض سيطرتها عن طريق الصراع الدموي الذي لا يمكن أى قوة من بعد أن تضعهم موضع المسألة أو الحساب . سادساً : «التراجع والترميم» ومن شأن هينده النظرية - لأنها بشرية ترتبط بأهواء الصهيونية الطامعة في السيطرة على المجتمع البشرى ، الحاقدة على البشرية المختلفة - أن لا تستجيب لتطور المجتمعات ومن هنا بدأ التراجع في النظرية الماركسية منذ وقت طويل ، منذ عهد انجلز زميل ماركس - في إعداد النظرية فقد اضطر أن يتراجع في آخر حياته عن دعامة أساسية من دعائم النظرية وهي العامل الاقتصادي الذي قال ماركس أنه العامل الوحيد الذي يقرر الكيان الاجتماعى لأى أمة . وقد سارع انجلز لإنقاذ الماركسية فقال : بالرغم من أن العامل الاقتصادي ضرورى فإن عناصر متعددة تدخل في عملية تكوين الأشكال الأخرى . وقد توالى التنازلات والتراجعات فيما بعد. يقول عبد الحميد صديقى : إن حسن حظ البشرية أن أخطاء الماركسية تتجلى الآن أكثر فأكثر بمرور الزمن فقد رفض نظريته المادية للتاريخ حتى أشد الناس إحتراماً له البروفسور جى دى كول : الذى رفض أن يعترف بالعامل الاقتصادي على أنه العامل الوحيد الذى يقرر الكيان الاجتماعى لأى أمة . ويقول : أن إدعاء ماركس بشأن الفكرة المادية في التاريخ خاطيء إلى درجة أن انجلز شعر بضعفها وقل من حدة تعبيرها الجازم بقوله : إن الفكرة المادية عن التاريخ تقول : إن عامل التقرير في التاريخ هو في النهاية الإنتاج وأن الأشكال السياسية والقانونية والفلسفة والأفكار الدينية ، كل ذلك يؤثر أيضاً على مجرى الكفاح التاريخى وفي كثير من الأحيان يكون له الغلبة في تعيين شكلها . ويقول عبد الحميد صديقى : إن ماركس قام كما فعل هيجل وشنجلر - لكى يجعل نظريته تبدو مستساغة بتحريف كثير من الحقائق وتجاهل بعض الحوادث المهمة في التاريخ التى لم تساند ما ذهب إليه ، ولأجل أن يثبت صحة نظريته استخدم الحوادث التى وقعت في الأغوار البعيدة من الزمن مما لا يمكن التحدث عنه بشيء أكيد . وتكاد الآراء التى تناولت الماركسية بالبحث العلمى الصحيح أن تجمع على أن ماركس اعتمد في أسس نظريته على متغيرات اقتصادية وعلمية تكشف من بعد فسادها وسقوطها وأن النظرية لم تكن وليدة بحث علمى وإنما جاء البحث تبريراً ودفاعاً عن النظرية وأنه إذا كانت النظرية منسجمة مع الظروف الاقتصادية السائدة في القرن ١٩ فلماذا لا تنسجم ولا تتفق مع الظروف الاقتصادية السائدة اليوم ، وأن مبالغة ماركس في التركيز على التفسير الاقتصادى كان بمثابة رد فعل ضد أسلوب التفكير الذى كان سائداً

في عصر ماركس والذي كان يتجاهل العامل الاقتصادي ويرى الباحثون أن كل نظرية يخالفها الواقع تصبح عندئذ غير علمية ويجب أن تطرح في سلة المهملات. وقد بالغ ماركس في تقدير فكرة استغلال الإنسان للإنسان واستغلال أصحاب رؤوس الأموال للعمال مما حملة على الدعوة إلى إلغاء الملكية الخاصة . هذه الظواهر التي شهداها ماركس بعد منتصف القرن التاسع عشر وأقام عليها نظريته لم تلبث أن تغيرت تماماً بعد صدور التشريعات الاجتماعية التي شملت حق العمل وحق العامل في أجر مناسب ورعاية صحية ومعنوية في حالة الشيخوخة والمرض والعجز عن العمل كذلك رعاية الدولة للأرملة والطفولة .

(٢)

ثانياً : الماركسية والمجتمع

تنوجه الماركسية إلى المجتمع البشري بأكبر ضربة من ضرباتها من حيث ترى أن الأسرة هي دعامة المجتمع البرجوازي ومن هنا يجب تحطيم هذه الدعامة والقضاء عليها ، ومن هذه النقطة بدأت الدعوة إلى قيام العلاقات الجنسية الحرة مقام الزواج ، وتقرر الماركسية أن الفرد وسيلة وليس غاية وأنه ذرة تفتى في جسم الدولة ومن شأن ذلك إلغاء حق الملكية الفردية وحق التوريث وحق ثمار الكسب وتعد رسالة انجلز عن الأسرة دعامة موقف الماركسية من المجتمع فقد حمل على الأسرة حملة شديدة وهاجمها واعتبرها مدعاة للتهالك على الإدخار والاكتناز، ولذلك أوجب القضاء على هذا النظام ليحل محله نظام الجماعية العامة ، يقول انجلز : أن الأسرة هي وضع من أوضاع المجتمع لا نضوج فيه ولا جدوى ولا محل لاستبقاء هذا الوضع وتأثيره إلا بالقدر الذي يلائم مصلحة الدولة وبالقدر الذي يستطيع استغلاله لتدعيم هذه المصلحة فالطفل لا يولد لأبويه بل يولد للمجتمع . ولا ريب أن القضاء على الأسرة في النظرية الماركسية إنما يستهدف القضاء على كل دعائم القوة والحيوية ويفتح الطريق أمام المجتمع. وقد أدى هذا إلى إضمحلال عقيدة الزواج بعد أن سعت الشيوعية للقضاء على الأسرة بحجة أنها تنمي أحاسيس الأنانية الذاتية وحب التملك وفي هذا معارضة للفطرة ولهدف الدين الحق الذي يرمى إلى حماية الأسرة وتنظيم الزوجية غير أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل ولم تستطع أن تعيش فقد صدمتها طبائع الأشياء فتراجعت الشيوعية عن ذلك كله واحدة بعد أخرى ، وأعترفت بالأسرة كما تراجعت عن الملكية الفردية . غير أن الماركسية بقيت في موقفها بالنسبة للفردية الإنسانية فهي تعارض الاعتراف بكرامة الفرد وذاتيته

وآدميته ، حيث يرى المذهب أن الدولة وقوتها المادية القاهرة هي كل شيء والفرد لا شيء أو هو مجرد آلة مسخرة بيد الدولة والفرد ، الفرد وسيلة والدولة غاية . ولا ريب أن فكرة المشاعية الجنسية التي تقررها الماركسية أمر لا تقره البشرية بطبيعتها فالحياة الأسرية عندها مقدسة ، وهي تستهدف تمزيق الروابط الأسرية والقيم العائلية ، ولا يوجد فيها نعلم مجتمع يأخذ بنظام المشاعية المطلقة في علاقات الرجال بالنساء ، وكل من تصدى لهذا من قبل أمثال أفلاطون وكامبلانلا كان من نصيب دعوتهم الاخفاق والهزيمة حيث رفضت المجتمعات هذا النوع من التقليد . وكذلك فقد أخطأ المفهوم الماركسي الذي اعتبر « الحرية » مجرد تحرير الضروريات من أسر الطبيعة بالعلم أو من قبضة المستغلين ، والغربويون والرأسماليون يطلقون حكم حرية على كل إنقلاب عن مدار الحق والخير ما دام يخدم رغباتهم ومصالحهم المادية ولو كان ذلك على حساب إظلام النفس الإنسانية وتدمير الجانب الرباني منها طالما أن الفرد لا يسبب ضرراً للآخرين وهو فهم خاطيء مصيره تدمير النفس وتدمير الآخرين وتلك هي حرية الربا والاستغلال ، ولا ريب أن الرسائل السماوية وحدها هي التي تحقق الحرية الحقيقية للناس جميعاً بتخليصهم من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة . بل أن مساواة المرأة في الديمقراطية والشيوعية ، هي مساواة جائزة أساسها إنبهار بناء الأسرة ونكول الرجل عن إعالة المرأة واضطرابها إلى أن تعمل مثله لتعيش . وفي الشيوعية عملت المرأة في المصانع والمزارع أعمالاً لا تلائم إلا أقوى الرجال فهي تكتسح الثلوج من الشوارع ليلاً ، بينما أفسح الإسلام للمرأة حق العمل وحق الكسب الذي منحها الشيوعية اليوم منذ أربع عشر قرناً ولكنه أبقي لها حق الرعاية والكفالة في إطار الأسرة ، وقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة من الناحية الدينية والروحية وفي طلب العلم والثقافة وحق التملك والتصرف الاقتصادي . ومن أخطر محاولات الماركسية في ميدان المجتمع هو هدم الفردية : الفردية الواضحة المسئولة لحساب الجماعة الغامضة ومن ذلك خطأ ماركس في القول بأن الفرد نتيجة منفعة وليس بسبب فاعل في الحوادث التاريخية ولا ريب أن مصدر هذا هو ما فسره العلامة جوستاف لوبون حيناً قال : أن الصفة الرئيسية للإشتراكية هي الحقد على جميع الأفضليات : أفضليات النبوغ والثروة والذكاء . وقد كشفت النظرية الماركسية والتجربة الشيوعية في كل مكان وصلت إليه عن إخطار كبرى : (الأولى) إهدار الكرامة البشرية وذلك بالقضاء على مفهوم فردية الإنسان وحرية الخاصة

وكرامته الذاتية وقدراته الحرة التي تمكنت من الإبداع والتقدم والطمأنينة على سلامة العيش وإلى القدرة على وضع مجتمعه في أوج الأزدهار . (الثاني) تدمير الأخوة الإنسانية وذلك بإثارة روح البغضاء والحقد بين الطبقات بما يحول دون رخاء المجتمع أو إندفاعه إلى حركته الجامعة نحو التقدم (الثالث) إذلال الإنسان وتحقيره وذلك يجعله أشبه بترس في آلة ، ليس له حق إحتلال كيانه الخاص ولا مقدراته الحرة في التفكير والعمل ، وخاصة ما يتصل بالقضاء على إنسانية الإنسان وقداسته الأسرة وحرية الفكر ولا ريب أن هذه التحديات الكبرى قد سجلت على التجربة الماركسية الشيوعية أنها ضد الفطرة وضد تيار التقدم البشري : وأن من يقرأ ما كتبه سارتر و (أندريه جيد) وهما من شاهدوا التجربة الشيوعية عن قرب يظهر له ذلك جلياً ، فقد كتب سارتر قصة (الأبدى القدرة) عن أعضاء الأحزاب الشيوعية وقال أنهم آلات مسخرة لا يملكون لأنفسهم شيئاً ، وأن الحرية لا وجود لها في الشيوعية وخاصة الحرية الفردية كما تسميها الوجودية .

(٢) الماركسية وصراع الطبقات

إن أخطر ما حاولته النظرية الماركسية هي إحلال الصراع الدموي والتمزق النفسي بين فئات الأمة الواحدة والشعب الواحد بحيث لا يقر لهذا المجتمع قرار ولا يصل إلى الطمأنينة والسلام الاجتماعي أبداً وقد وضعت هذه القاعدة الخطيرة منذ وقت مبكر وتضمنتها وثيقة البيان الشيوعي حيث قالت (إن تاريخ كل مجتمع قائم في هذا العصر هو تاريخ للصراع الطبقي) . ولما كان مبدأ (الصراع الطبقي) هو الأساس لكل شيء في مفهوم الماركسية فقد حق على تلك المجتمعات أن تتمزق وتنهار وهو مبدأ يقوم على تقسيم المجتمع الحاضر إلى طبقتين يتصاعدان دوماً ولا يجوز التوفيق بينهما أو إقامة السلام لهما : هي طبقة العمال وطبقة المالكين ، بل توجب الماركسية تغذية الأواين بالحقد ليشعروا وينفضوا على الآخرين دون احترام لقانون أو لمبادئ الأخلاق أو حقوق الإنسان أو قواعد الدين كما صرح ماركس نفسه . وفكرة (الصراع الطبقي) هي وسيلة ما كره لحقن العمال بالحقد على كل من عداهم من الناس وتجنيدهم ليصبحوا أداة للشوة الهوجاء ليصبح العمال بأنفسهم الوسيلة الفعالة في القضاء على آخر أمل للعامل في أن يكون مالكاً وحرراً وظيفاً . يقول ماركس وإنجلز : أن الشيوعية تؤمن بمبدأ اجتماعي واحد هو صراع الطبقات وأن صراع الطبقات يعود بالضرورة إلى ديكتاتورية الطبقة العاملة وأن هذا لن يتحقق إلا بإشعال نار الثورة والإنقلاب الشامل المبيد . ويقول لينين : إن رسالتنا أن نشير

الطبقة العاملة وتملاً قلوبها بالحقد والغيط حتى تستطيع هدم المجتمع ، ويقول ستالين : لن
لن تنور الطبقة العاملة إلا إذا ملأنا صدورنا بالحقد والمقت أعلى لطبقات الأخرى وليس
معنى هذا كله الامصادرة السلام وتهديده ومن هنا يتكشف أمر تلك الأكاذيب الكبرى التي
تخدع الماركسية الشيوعية بها الناس في كل مكان عن السلام العالمى ، ومن مفتريات الشيوعية
قولها أنها تعمل للسلام العالمى وتاريخ الشيوعية يثبت عكس ذلك من خلال مذهب قائم
على إثارة القلاقل والفن والحروب فهم المخربون الهدامون ولعلهم لو قيل حقاً فإنهم العاملون
على تهديد السلام العالمى وأمن الشعوب . وقد أقام ماركس حتمية الصراع الطبقي في ظل
الملكية الفردية لوسائل الإنتاج الحديثة في ضوء ثورة الشعوب في أوروبا على الملكية الإقطاعية.
وقد وجزم بعد ذلك في نبوءاته وفرضياته وجبرياته المنهارة بتوفير أسباب ثورة العمال على
البرجوازية في إنجلترا حيث رجح ماركس أن يتخذ منها مركزاً لقيادته وللمراقبة الأحداث
فيها عن قرب ، ولكن ماركس نفسه لم يمت حتى شاهد فشل نظريته العلمية هذه إذ لم يحدث
الصراع الطبقي لافي إنجلترا ولا في أمريكا حيث جزم بحتميته فيهما وقد كان من أكبر الأدلة
على بطلان النظرية إنها لم تستطيع أن تلقى قبولا في البلاد الحرة ، تلك البلاد التي جزم
ماركس بأنها وحدها التي تهيأت فيها أسباب الثورة وبالرغم من صراحته بأن روسيا كدولة
متخلفة لا تصلح لبث دعوته فإنها هي التي أمكن تأمر القوى اليهودية ، والماركسية على
أحداث الانقلاب فيها عقب الحرب الأولى وفي الصين عقب الحرب الثانية . (٢) وتعد
نظرية الصراع بين الطبقات بالإضافة إلى إلغاء الملكية الخاصة ونظرية المادية التاريخية في
مقدمة الخصائص التي تميز مذهب ماركس عن المذاهب الاشتراكية الأخرى ، ويرى ماركس
أن التغيرات التاريخية التي تطرأ على الجماعات الإنسانية إنما تحدث نتيجة للصراع الطبقي
وبسبب انتصار طبقة إجتماعية معينة على غيرها من الطبقات. ويقول المراجعون للفكر الماركسي
أن فكرة الطبقة تعبير غامض فما هي الطبقة ، حيث يرى ماركس أمامه إلا طبقتين :
واحدة تملك وسائل إنتاج الثروة والأخرى طبقة العمل الإجرا . ولقد كان هذا المفهوم
قاصراً على عصره وبيئته التي عاش فيها (إنجلترا) حيث كانت هناك طبقتين ، ودزائيل
كان يقول أن ثمة في إنجلترا أمتين مختلفتين ، فالنظرية هنا محدودة حيث لم يستطع التعرف
على المجتمعات الأخرى ، وتبين سذاجة التنبؤ حينما أشار إلى انقراض الطبقة الوسطى
فالملاحظ أن الطبقات الوسطى لم تأخذ في الانقراض أو الاندماج في طبقة العمال كما تنبأ

ماركس ، كما نجد أن أثر الملكية أخذ يتلاشى كميّاس أو كأساس لتحديد المركز الاجتماعي للفرد وأن أساس تقييم الطبقات لم يكن دائماً اقتصادياً وأن ذلك الأساس كان أحياناً سياسياً وتارة دينياً وتارة عسكرياً . ففي الشعوب التي يسيطر عليها النشاط السياسي نجد أن الطبقة العليا تكون لأصحاب النفوذ والسلطات في شئون الحكم والإدارة وفي بعض المجتمعات الدينية يختلف الأمر وفي المجتمعات التي تغلب عنها الحياة العسكرية تسوطبة أرستقراطية السيف كذلك فقد كشف الباحثون عن خطأ فكرة الصراع الدائم من واقع التاريخ البشري نفسه وتبين أن ما ذكره ماركس غير صحيح من أن التاريخ قد شهد دائماً صراعاً بين الطبقات العليا الحاكمة والمالكة لوسائل الإنتاج من ناحية وبين الطبقة موضع الاستغلال . وتبين وقائع التاريخ : أن الطبقة العاملة منذ نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قد استطاعت في الدول الرأسمالية المتقدمة أن تنال الكثير من الحقوق الاجتماعية والسياسية دون أن تقوم بحركات عنيفة ثورية وإنما نالتها بموافقة الطبقة العليا الحاكمة ذاتها فقد سارت حركة التطور في اتجاه غير الذي تنبأ به ماركس عندما إتجهت الدول إلى تحقيق أكبر قدر من المساواة بين هاتين الطبقتين فعملت التشريعات الحديثة إلى التضييق من حقوق الملكية شيئاً فشيئاً كما وجدناها من الناحية الأخرى تكفل الكثير من ضروب الخدمات الاجتماعية للطبقة العاملة . كما وجدنا أن الطبقة العاملة لم يزد يؤسها حدة أو فقرها شدة كما تنبأ ماركس (في ظل النظام الرأسمالي) بل نجد عن العكس أن مستوى معيشتها أخذ في الارتفاع اضطراد أو كما أفضى إلى تحسين فرصة التعليم المتاحة لأفراد تلك الطبقة العاملة بحيث أصبح نظام تعليمهم قريباً من نظام الطبقة الوسطى وإنه نظراً لما حدث من تطور لم يتوقعه ماركس أصبح من الميسور تسوية ما ينشأ من نزاع أو من صراع بطريقة سلمية . وهذا ما حدث بعضه بوجه خاص في العصر الحديث في بعض البلدان الغربية حيث قام بعض كبار الرأسماليين بإشراك العمال في نصيب من أرباح مشروعاتهم . ويقول الباحثون : أنه إذا كانت ظاهرة الصراع بين الطبقات أكثر صور الصراع التي لفتت نظر ماركس إلا أنه قد فاتته أن التاريخ قد عرف من قبل ومن بعد صور أخرى من صور الصراع يفوق بعضها الصورة التي ذكرها التاريخ من حيث آثارها وتأثيرها في تطور التاريخ ومن هذه الصور : الصراع بين جميع طبقات الشعب في بلد من بلاد ضد جميع الطبقات في بلد آخر . يقول بودان : في كتابه (الوجيز في تاريخ المذاهب الاقتصادية) أن ماركس قد غالى في إبراز الصراع الطبقي داخل

الأمة الواحدة وبذلك أهمل العوامل التي تلتطف من حدة هذا الصراع وعلى رأسها إندماج أفراد الطبقات المتصارعة في إنسانية واحدة . كذلك فقد فات ماركس : أن يشير إلى ما كان معروفاً من أمر الصراع بل الحروب بين مختلف القبائل قبل أن تنشأ القوميات . كذلك فإن الجزيرة العربية قبل الإسلام لم تعرف صراع الطبقات . كذلك فقد فات ماركس أن يشير إلى أهم ضروب الصراع بل الحروب التي عرفها التاريخ قديماً وهي الحروب التي قامت بإسم المعتقدات الدينية . والصراعات التي قامت داخل الطبقة الرأسمالية نفسها والصراع بين رجال الصناعات وأصحاب الأملاك . وهكذا يتبين فساد نظرية ماركس التي تقول أن الصراع بين الطبقات هو المحرك الأول لركب البشرية والعامل الأساسي في تطور المجتمع وتقدمه ، وإنما الحقيقة أن الصراع بين الطبقات هو هدف الماركسية في تدمير المجتمعات . ولذلك فإنه مصدر تدميرها في النهاية . قال سدني وهو أحد مشاهير الكتاب الماركسيين : إذا تطرق الشك إلى نظرية صراع الطبقات فبان فسادها فإن صرح النظرية الماركسية ينهار من أساسه . والحقيقة أن من يراجع الأسلوب الذي اتخذ ماركس في التركيز على هذه الظاهرة الكاذبة الملفقة يعرف الهدف الذي يرمى إليه والخلفية التي يصدر عنها وهي تغذية الحقد في نفوس الكثير من أفراد الطبقة العاملة والعمل على تمزيق روابط الأمة الواحدة . وإذا كانت هذه المحاولة قد وجدت مجالا للانفجار في المجتمعات الغربية فإنها لا تجد مثل هذا الأثر في المجتمعات الإسلامية ذلك لأن الإسلام قرر لصالح الفقير والأجير من الأحكام في مجال التعاون والزكاة والتكامل والتعاطف والرحمة شيئاً كثيراً من شأنه أن يخلق الالتقاء بين الطبقات والفئات بحيث لا تدع مجالا لخلق البغضاء والحقد أو النزاع والصراع .

(٣) الماركسية والدين

تقرر النظرية الماركسية أنه ليس في الكون خالق بل الكون مادة وعبرة ماركس في هذا الصدد واضحة صريحة (لا وجود لله والحياة مادية بحتة) وعندهم أن الأديان مخدر للعقول يجب التحرر منه وإنقاذ البشرية من شره فالدين هو أفيون الشعوب يخدرها ويقضى عليها وأن رسالة الشيوعية هي القضاء على الدين والداعين إليه وأن الدعامة الأساسية هي (الإلحاد - إنكار البعث - طبع الجانب الإجتماعي والاقتصادي والسياسي بالمادية - تحطيم المعايير الخلقية والقيم الروحية) والإلحاد في الشيوعية من سياسة الدولة وهو الحاد إلزامي ،

على أساس أن ضعف الدين هو منطلق استعلاء النزعة المادية. وعندهم أن الدين ليس إلا تفسيراً خاطئاً للظواهر الاجتماعية وهم يعللون إنتشار الدين كذباً بالظروف المادية التي عاش فيها الإنسان الأول وأن جهل الإنسان بظواهر الطبيعة هو الذي جعله يلتمس قوة عليا يسعى إلى كسب عطفها أما بعد تجارب العلم فإن البشرية لم تعد في حاجة إلى الدين وبذلك فإن الدين هو أفيون الفقراء وقد أعلن لينين في صراحة تامة : « إن الماركسية هي المادية ومن ثم فإنها معادية للدين » ومن فلسفة الشيوعية أنه لا حقيقة سوى المادة وإن الإنسان وأعماله مادة ومن هنا فإن الشيوعية الماركسية ترى أن الحرب ضد الدين من أبرز أعمال الثقافة . وتقرر الماركسية أن الدعامة الأساسية في المذهب هي اللا دينية المطلقة وبث الاعتقاد بأن ليس لهذا الكون خالق بل هذا الكون مادة في مادة . يقول كارل ماركس لوجود الله والحياة مادة بحث ويرى في الأديان جميعاً محذراً للقول بحب التحرر منه ، وإنقاذ الإنسان من شروره فكل دين عندهم هو أفيون الشعوب . فالدعامة الأساسية في الشيوعية : هي الإلحاد وإنكار وجود الخالق وإنكار البعث والحساب ويقررون أن ضعف الوازع الديني من شأنه أن يؤدي إلى طغيان النزعة المادية في كل نواحي الحياة. ويؤكد الباحثون أن معارضة الشيوعية للدين تأتي من عدة عوامل هامة : أولاً : أن الشيوعية قد جاءت بوصفها عقيدة أو ديناً يحل محل الأديان القديمة ويحتقرها ويناهضها بالدعوة إلى الإلحاد والمادية التي تنكر الله تبارك وتعالى ورسالات السماء وقد شن الشيوعيون على الأديان حرباً عنواناً لا هوادة فيها واعتبروا الشيوعية ديناً ولنين وستالين أنبياء بدلا من موسى وعيسى وكتاب رأس المال كتابهم المقدس البديل عن التوراة والإنجيل كذلك فإن نظرة الشيوعية الماركسية إلى الدين مادية في كليتها فهي ترفض الروح والمعنويات والغيبيات ورسالة السماء . ويقول أرنولد توينبي : أن الشيوعية دين يكل تأكيد وهي دين خالض وقديم رغم المظهر الأبدلوجي الجديد ، إنها كالفومية شكل من أشكال عبادة الإنسان لنفسه على طريقة جمع المتكلم . إنها آخر تنوع لعبادة الآلهة روما والآله قيصر في الأمبراطورية الرومانية وعباده المالك الإله في قصر الفرعون ويقول أرنولد توينبي أن الحرب بين الغرب والشيوعية هي صراع روحي بين دينين متنافسين يشخلفان في قصة حيوية هامة . إن الغربيين يقاتلون اليوم من أجل مفهومهم للدولة القومية ولعبادة القوة البشرية الجماعية المجددة في شكل أمه ، وهذه هي إحدى ديانات المجتمعات الغربية المعاصرة ولكن اللؤلؤة التي لا تلمع عند الغربي المعاصر ليست قوة أمته بل قداسة الشخصية بحد ذاتها « ولا ريب أن مفهوم الشيوعية للدين في حد ذاته يكشف عن أنه هو العدو الأول لمنهجهم »

ولذلك فهم يتحامونه بقوة ويضربونه بعنف ويجعلون من الشيوعية عقيدة ونظاماً يكاد يكون محل الدين ومن هنا فإن قبولها لأى دين مستحيل والجمع بينها وبين أى دين من أكبر المستحيلات . ذلك أن الماركسية عند المتذممين بها هى دين له سلطان عليهم وله أحكامه ومبادئه الموجهة لأرائهم وأعمالهم وأن أى خروج على مقررات هذا المذهب هو خروج على ناموس الجماعة التى تتمذهب به وتعمل فى ظله ومن هنا فإن الإسلام دين والماركسية دين ومن المستحيل الجمع بينهما إذ أن لكل نظرتة إلى الوجود وتفسيره لظواهره وسلوكه الذى يجرى مع هذه النظرة . ولا ريب تختلف الشيوعية مع الإسلام فى أمور ثلاثة : نظام الأسرة ، والأخلاق والموراث ، فالشيوعية تنكر أن تكون للأسرة قداسة أو أن لها كياناً خاصاً له استقلاله وكذلك تنكر الولاء العائلى لأنه يحول دون تحقيق أهداف الماركسية ، كذلك فإن الماركسية تخالف الإسلام خاصة والدين الحق بصفة عامة فى أخطر الأمور وأعلاها وهو الأولوية وقدرة الخالق وإرادته العليا فى أمر الحياة والناس والكون ومن هنا ينكشف إلحاد النظرية الماركسية التى ترد حركات التاريخ كلها إلى الأسباب الاقتصادية وترى أن الاقتصاد هو الذى يملئ على التاريخ حركته ويسيره حيث شاء فلا مجال هناك للاعتراف بإله خالق أو قوة وراء الغيب توجه البشر إلى مصائرهم ، وليس الدين عندهم إلا تفسير خاطئ للظواهر الإجتماعية وبقية من بقايا النظم الاستغلالية البائدة ولونا من الخلداع صنعه بعض الناس ليستعبدوا به بعض الناس ولا شك أن ماركس يركز فى فهمه للدين وفى رفضه إياه على الأديان التى عرفها وعابشها هو وأهله (اليهودية والمسيحية) ولا ريب فى أنه يصدر عنها حين يقول : إن الدين أفيون الشعوب وأنه وسيلة للاخضاع الروحى ، فوجهة نظر ماركس فى الدين مستمدة من مفهومه للمسيحية وتاريخها وصراع اليهود معها فى أوروبا ويصدر عن قرارة الحقد الذى يمتلئ به قلبه تجاه المجتمع الغربى المسيحى الذى استطاع أن يكون هذه الحضارة الضخمة أما الإسلام فإنه لم يعرفه وقد اختلف رأى الماركسيين الذين عرفوه عن رأى ماركس كما ترى فى كتابات (جارودى) . ويتحدث ماركس عن المسيحية على النحو الذى عرفها به من تفسيرات الرهبان والأجبار فى الغرب وهو ما ليس صحيحاً بالنسبة للدين المنزل الذى جاء به عيسى عليه السلام (مصداقاً لما بين يديه من التوراة) (ورسولاً إلى بنى إسرائيل) (ومبشراً برسول من بعده إسمه أحمد) يقول : أن المسيحية تفرض الجبن واحتقار النفس وإذلالها وتجنبد الخضوع والخسة وكل صفات الكلب الطريد وأن أصحاب المصالح قد

استغلوا المسيحية كلما وجدوا لهم مصلحة في استغلالها فجعلوها دين الدولة بعد قرنين ونصف من ظهورها وجاء البرجوازيون في ألمانيا فابتدعوا البروتستانتية ولم يستفيدوا منها لضعفهم فاستفاد منها الملوك المطلقون وأنها رفعت عنهم سلطان الكنيسة ، والدين جملة هو الغذاء الخادع للضعفاء لأنه يدعوهم إلى احتمال المظالم ولا يزيلها) ذلك رأى ماركس في الدين بعامه الذي أقام عليه نظريته وهو محصور في حدود عصره وحدود بيئته . ولو أن ماركس اطلع على الإسلام وأراد للبشرية الخير لحطم نظريته ولكن ماركس كان يعمل في إطار الحركة التلمودية الربوية الطامحة للسيطرة على العالم عن طريق الشيوعية الماركسية والصهيونية معاً ومن هذه كانت الخطة كما كشفت عنها من بعد بروتوكولات صهيون هي هدم الأوهية والدين ومناعة الأخلاق ونظام الأسرة والزواج . وهي بهذا تهاجم العقيدة والنظام الإجتماعي معاً وتقدم مفهوماً مادياً خالصاً للكون والحياة والمجتمع والتاريخ والحضارة ، يستمد مفاهيمه من ركاز الفكر البشري القديم الذي عرفته الوثنيات المختلفة ، في الشرق والغرب ويقدم تصوراً مادياً أباحياً ملحداً في أمر الحياة والكون والإنسان يرى أن وحده العالم في ماديته وخاصة مادية الحركة القائمة على التناقض فلا يحتاج الكون إلى قوة خارجية ولا يحتاج إلى خالق مسير مدبر . أما الإسلام فيرى أن وحدة العالم في الإسلام النفس له وأن خاصيته المحركة لأجزائه تتمثل في خضوعه لله فالكون بدون مدبر خالق لا يمكن أن يتصوره عاقل فالحق تبارك وتعالى هو الخالق المسير والمدبر لشئون الكون وتقوم الماركسية على الصراع وتجعل من الزوجين (سنة الله في خلقه) نقيضين متضاربين ، بينما يرى إسلام في حركة الزوجين تلاقياً وتكاملاً . وتقوم الماركسية على أن الدين هو نتيجة الضباغ الذي يعانيه الإنسان وأنه هو المخدر والأفيون الذي يستغل به الشعوب وفي الإسلام أن الدين هو الذي يلد الإنسان من جديد ويخلق السكينة والأمن ويبني القوة والإرادة والوعي ويحفز على العمل . والأيدولوجية الماركسية ليست في حقيقتها إلا مدخلاً وتديباً لهدف تدمير نظام المجتمعات القائمة وإبدالها بنظام جديد ، يقوم على إعدادها لإلتهام التلمودية اليهودية العالمية وامبراطورية الربا ولذلك فإنه يقوم على الأهواء والظروف والفرضيات ويتجاوزها المفاهيم العلمية في كل يوم ، فليست هناك اشتراكية واحدة ولكن هناك اشتراكيات وتستهدف الاشتراكية تصفية الملكية الفردية وتسليم الجماعة الديكتاتورية البديلة كل شيء وتجريد الشعوب من كل ما تملك ويقوم هذا التغيير على بحر من الدماء وعلى الصراع الدموي ، وبه يكون الإنسان عبداً لمنهج بشرى حيث

تقوم عبودية الإنسان للإنسان وإذا كانت الرأسمالية نظام بشرى ملئ بالشغرات والأخطاء فإنه ليس بتديلاً للإشتراكية ، ولكنهما ممّا قطاعان فاسدان لأنهما وليدا المنهج البشرى الذى يخرج عن حكم ما أنزل الله . ولقد تجاوزهما التاريخ بعد أن ظهر فسادهما وأصبح يتطلع الآن إلى منهج الله . وليست الماركسية هى أول نظام سياسى واقتصادى واجتماعى يشهدى العقيدة الدينية ويتهمها بأنّها عائق فى وجه الإصلاح ، فقد ظهرت نظم كثيرة تطورت إلى نظم أخرى ثم اندثرت وداستها أقدام الأصالة والقطرة وبقيت العقيدة كامنة فى قرارة السلوك الإنسانى تحفظ الحياة وقيمها الرفيعة فى خضم القلق والثورات والحروب وتلهم الناس أسباب الطمأنينة والثقة بالمعادلة الإلهية والاستقرار النفسى والاجتماعى . وقد تبين أن الإشتراكية كالرأسمالية نظم سياسية واقتصادية أما الدين الحق فإنه عقيدة وإيمان فوق أنه دستور للنشاط الإنسانى ولذلك فإنه لا وجه للمقارنة بينهما ولا ريب أن الخلط بينهما قصور فى فهم العقيدة والإسلام الذى واجه فلسفات وعقائد كثيرة طوال أربعة عشر قرناً وصمد لها وحطمها وكشف زيفها لا ريب قادر على أن يواجه الفلسفة المادية : ماركسية وشيوعية وماسونية وفرويدية ووجودية جميعاً ، ولابد أن ينتصر عليها ، ولقد بان عوار هذه النظريات والأيدولوجيات بعد فترة قصيرة من إعلانها حيث عجزت عن الاستجابة لأشواق النفس الإنسانية ومظامخها فى الأمن والسلام الاجتماعى وسكينة النفس . ومن هنا تسقط كل دعاوى القائلين باللقاء بين الإسلام والإشتراكية أو الإسلام والديمقراطية أو الإسلام والوجودية ، فالماركسية والتدين نقيضان ، والماركسيون الحقيقيون يعلمون هذا ولكن بعضهم اتخذ من الدعوة للتوفيق بين الماركسية والدين أسلوباً لغزو المجتمعات التى ترفض الإلحاد بقوة وهو مجرد أسلوب من أساليب الدعاية لا يرتكز على أساس من الماركسية أو الدين فكل منهما يرفض الآخر رفضاً قاطعاً وما يقال عن تطوير الماركسية لا يتناول جوهر المذهب وموقفه من الوجود والمجتمع والتاريخ وهو جوهر إلحادى صريح .

(٢) يقول الدكتور على عبد الواحد وفى : : إن الشيوعية مذهب كامل متكامل فلها رأى نظرى فى فهم الكون والمجتمع والطبقات وما وراء الطبيعة ولها رأى عملى فيما ينبغى أن تكون عليه الحياة الفردية والحياة الاجتماعية فى جميع ما يشتملان عليه من فروع وأوضاع وهما كذلك مذهب متكامل بمعنى أن نظمها ترتبط ببعضها ارتباطاً وثيقاً ويكمل بعضها بعضاً

ولا يكون الفرد شيوعياً إلا إذا اعتنق ما تقرره الشيوعية من مذاهب ونظريات ويخطئ من يظن أن الشيوعية مذهب مقصور على شئون الاقتصاد وتنظيم الطبقات . ذلك أن أوضاعه الاقتصادية تقتضى أوضاعاً عقائدية واجتماعية خاصة تتسق معها وتسايرها فيما تنتجه إليه . وهى فى وضعها السابق متعارضة تعارضاً جذرياً مع الإسلام بمفهومه الصحيح ، ولا يبدو هذا التعارض فى شئون العقيدة والألوهية وما وراء الطبيعة فتحسب ، بل يبدو كذلك فى كثير من نظم الاجتماع فالشيوعية لا تقر الملكية الفردية ، ولا يمكن للفرد فى فهمه للملكية الفردية وفى موقفه حيالها أن يكون شيوعياً ومسلماً فى آن واحد . ويصور الدكتور أحمد شلبي موقف الماركسية من الدين فيقول : إن ماركس حين يتحدث عن الدين يتصور أن الفرد يبتعد عن حقيقة ذاته حين يعتقد فى الله وفى الديانات المختلفة وأنه إذا أزيلت مثل هذه العوامل استطاع الفرد أن يعود إلى الحياة الإنسانية الحقة ويرى ماركس أن الدين يضعف حماسة العمال فى الثورة ضد البرجوازيين لأن الدين فى اعتقاده يرسم لمعتقديه سعادة خالية فى عالم جالم آخر فيخفف من أثر الظلم الواقع عليهم فى الدنيا ويقلل حماسهم ضد ظالمهم ولذلك حمل ماركس ضد الدين وقال بأنه أفيون يخدر الشعوب لتسهيل سرقته ووصل ماركس إلى قمة الإلحاد حيناً أعلن : لا إله والحياة مادة . وهكذا نجد أن لينين عندما حقق النصر لحركته فى روسيا ووضع النظريات الماركسية مع موضع التنفيذ كان من أبرزها ما اهتم به (عدم الاعتراف بالأديان وعدم السماح لها بالظهور وإلغاء المجمع المقدس) وربما يقال أن ذلك جاء لأن البابا ولأن الكنيسة الروسية أبدت المظالم التى كان يشن منها الشعب الروسى قبل الثورة وهذا صحيح ولكن كلام ماركس وأعمال لينين اتجهت ضد الأديان بوجه عام لا ضد طبقة انحرفت عن الدين أو ساعدت الباطل ويتحتم أن نذكر أن كارل ماركس ينحدر من أسرة يهودية عانت الاضطهاد الدينى فتحول إلى المسيحية بدون اعتقاد حقيقى ، ولذلك لم يكن له دين يحرص عليه ، وربما أمكن القول أنه كان يكره الأديان والتدينين واتخذ الاقتصاد وسيلة لمحاربة الأديان ، وتلك هى طبيعة اليهود فى كراهيتها لكل الأديان ما عدا اليهودية واتخاذ الوسائل للهجوم على هذه الأديان والنيل منها . . وهكذا نجد أن ماركس مع الأسف كان ضيق الأفق الفكرى وأنه لم يكن بين يديه أبعاد المجتمعات أو الفكر الدينى الحقيقى ، ووقائع التاريخ الصحيحة ، وهو يضع نظريته كعالم ، أو أنه إنما كان يستهدف وضع نظريته بفكرة مسبقة ، ولذلك فإن « اتباع الظن وما تهوى الأنفس » مزق نظريته بعد سنوات قليلة

وأحاطها إلى ركام حتى جاء من الماركسيين من يضرب أعنى قواعدها وهو قوله الدين أفيون الشعوب حيناً قال جارودي في دراسته للحضارة الإسلامية . « وهكذا لم يكن الدين (أى الإسلام) أفيوناً يشل المناضلين بل كان بالعكس حافزاً بلهيم القتال والبطولة ، وكان أحد دوافع الحركة الوطنية وحين يعنى الماركسى بموضوع الدين في الظروف التاريخية المحدودة ويعرف كيف يرى أنه ليس فحسب وسيلة للتعبير عن العالم بل هو كذلك وسيلة للحضور في هذا العالم . وأن المتأمل في الدور الذى بلغه الدين وبخاصة الدين الإسلامى في حركات التحرر الوطنى يقود غير المؤمنين في الواقع إلى إعادة التفكير بروح العصر في مشكلة طبيعة الدين ودوره في عصرنا ونقطة الانطلاق في هذا التفكير هي أن الصيغة المشهورة (الدين أفيون الشعوب) والتي كثيراً ما يزعم البعض أنها خلاصة المفهوم الماركسى عن الدين لا يمكن تفسيرها بأنها تعريف للدين . لقد كانت هذه الصيغة ملخص خبرة واقعية في مرحلة تاريخية محدودة ومجال جغرافى محدد ومن ثم فإن القصة القائلة إن الدين في كل الأزمنة وكل الأمكنة يصرف الإنسان عن النضال وعن العمل تتناقض تناقضاً صارماً مع الواقع التاريخي وتزودنا حركات التحرير للشعوب المقهورة في عصرنا بشواهد تؤكد : إن الظاهرة الدينية لا يمكن دراستها في ذاتها وبمعزل عن الظروف التاريخية في كل بلد وعصر فلقد لعبت الحركات الدينية (يقصد في عالم الإسلام) دوراً تحريراً ضد الاستعمار وأن الارهاصات الأولى للنضال الوطنى كانت باسم الله قبل أن تكون باسم الوطن ولقد كان الالتئاء إلى الإسلام في الجزائر في القرن التاسع عشر بمثابة احتجاج ضد السيطرة الاستعمارية وذلك بالرغم من طبيعتها المثالية والإصلاحية التي تربط بين التحرير والتعليم على أن الإسلام بعيد كل البعد عن قيادة الإنسان بالضرورة إلى القدرية واللامبالاة بالحياة بل في إمكانه أن يكون خميرة للعقل والنضال » . (الأهرام ٢٥ نوفمبر ١٩٦٩) .

الماركسية والأخلاق

(٢)

لا ريب أن موقف الماركسية من الدين يستتبعه موقفها من الأخلاق فهي تدعو إلى (لا أخلاقية المجتمعات) وتؤمن بالانتهازية سبيلاً لفرض مواقفها وأهدافها وقد أنكر المذهب الشيوعي كل التراث الخلقى الذى توارثته الإنسانية منذ أقدم العصور وأنكر جميع التعاليم الخلقية التى أوصت بها الأديان ولانجلز موقف صريح واضح فى هذا الشأن حيث يقول « نحن نرفض أن ندعن لأية عقيدة خلقية باعتبارها قانوناً خلقياً خالداً وغير قابل للتبديل والتغيير ، ونرفض أن نعتبر بأن هناك مبادئ خلقية أبدية تتجاوز عصور التاريخ وتتجاوز كل اختلاف بين الشعوب وعلى العكس من ذلك نقرر أن جميع التعاليم الخلقية القديمة إنما هى عند تحليلها ليست إلا ناتجاً اصططنه المستوى الاقتصادى الذى بلغه المجتمع فى عصر معين ولما كان المجتمع الإنسانى إلى اليوم لا يزال يخوض غمار حرب الطبقات فالأخلاق التى يعترف بها المجتمع ليست إلا النظام الخلقى الذى نعتز به طبقة معينة نظاماً كان طوراً يبرر طغيان الطبقة الحاكمة ويدود عن مصالحها أو يبرر طغيان الطبقة التى كانت مغلوقة على أمرها حتى وصلت إلى الحكم ولا يمكن وجود نظام أخلاقى وإنسانى شامل إلا بعد أن تنتهى حرب الطبقات » . ولا ريب أن هذه العبارات تكشف بوضوح أن الأخلاقيات تعوق الهدف الذى ترمى إليه الماركسية التى تجعل من أساسها الأول : صراع الطبقات أو الصراع النموى للطبقات ولذلك فإن لينين الذى طبق الماركسة حين أقام النظام الشيوعى فى روسيا يؤكد هذا الاتجاه حين يقول : « نبذنا الأخلاق والنظم الخلقية ، على الوضع الذى تدعو إليه البرجوازية باعتبار أن هذه النظم الخلقية تتضمنها أوامر إلهية أو منسوبة إلى أوامر إلهية . نحن نرفض كل نظم خلقية مشتقة من مصادر غير بشرية وغير طبقية ويدعو لينين إلى العنف الذى لا يقيده قانون » . ويرى أن نظامهم الخلقى هو النظام الذى ترسمه مصالح الكفاح الطبقي وأخلاقيهم هى التى تملئها مصالح هذه الحرب الطبقة « وأن النظام الخلقى الشيوعى ليس إلا أداة تسخرها لنيل النصر فى هذه الحرب فالأخلاق عندنا هى كل ما يؤدى إلى هدم هذا المجتمع » . ويقول ماركس فى الأعلام الشيوعى : إن القانون والأخلاق والدين ليست فى نظرنا إلا أوهاماً برجوازية ويدعو ماركس صراحة فى إعلانه « إن الغاية تبرر الوسيلة

فكل وسيلة يستعين بها العمال على هذا الهدم فهي وسيلة محمودة ومشروعة ويقول : إن النظام الخلقى في كل مجتمع هو ديانته وقوانينه ليس إلا جزءاً من بناء زائل أقامته ظروف الإنتاج ويعكس مصالح الطبقة السائدة » . ويرى هارولد لسكى : إن أخلاق الماركسية هي الأخلاق التي تميزت بالوحشية والكذب والخيانة والخداع وتشويه الوقائع » . ولا ريب - كما يقول دكتور صلاح نامق : أن الفكر الماركسي يرى أن الأخلاق والدين خدعة برجوازية تستتر وراءها المجتمعات من أجل مطامعها ويؤكد قول لينين : إننا معشر الشيوعيين لا نستمد قواعد الأخلاق والسلوك الاجتماعي من أوامر الله لأننا نخرج على جميع الأخلاق والآداب التي يعتمد عليها المجتمع البشري ونرى أنها خداع وتضليل وبذلك يكشف الفكر الماركسي عن تهالكه على النواحي المادية كأنها الغاية المثلى من هذا الوجود وهذا ما يضفي ظلالاً باهتة على النظم الشيوعية وبيعدها عن كل ما ترنو إليه البشرية من أهداف ومثل عليا . وكل تصريحات لينين وانجلز وماركس بأنهم يرفضون كل ما يقرره الدين من خلق يعنى أن الفلسفة الماركسية اللينينية لا تؤمن بالأديان أو الرسل أو الأنبياء لأن الدين عندهم بقايا من النظم الاستغلالية ولوناً من الخداع صنعه بعض الناس ليستعبدوا به كل الناس ومن ثم فمن أوجب الواجبات في رأى لينين نبذ الدين والتحلل من قيوده . وهنا يمكن التساؤل : إذا كانت الأديان في الفكر الماركسي لا وجود لها فكيف يقال أن الدول الشيوعية تخدم حرية العقيدة وتكفل للمؤمن حق ممارسة الشعائر الدينية . ولا ريب أن من أكبر أخطاء الماركسية الشيوعية إرجاع الدين والأخلاق والفكر إلى انعكاسات الأحوال الاقتصادية والمصالح الطبقيّة حيث تنكر الماركسية جميع العواطف البشرية والمثل العليا والقيم والأخلاق والمعاني الروحية والجوانب الإنسانية . ولقد حاولت الماركسية أن تنكر لثبات القيم الأخلاقية العليا التي جاء بها الدين وأعلنت دعوى نسبتها وتغيرها مع اختلاف العصور أو الهياكل وذلك ما يتعارض تماماً مع الفطرة وواقع التاريخ ، ذلك أن القيم الأخلاقية العليا ثابتة ثبات فطرة الإنسان وكيانه ووجوده وأن تغير الهياكل والعصور لا يغير منها فلا يمكن أن يكون العدل ظلماً أو الحق باطلاً أو الفضيلة رذيلة أو الرذيلة فضيلة ، فقد أعطى الإنسان الفطرة التي تميز بها الخير والشر والعدل والظلم والتقوى والفجور وستظل هذه القيم قائمة ما دامت الحياة الدنيا بمجتمعاتها وحضارتها كذلك فإن الإنسان أعطى الإرادة الحرة والالتزام الأخلاقي وهذا موضع مسؤوليته وحسابه وجزائه . وأعطى مسؤوليته في هذه الحياة كما يستخلف الله في الأرض وعليه أن يقيم المجتمع

الرياني وهذه القواعد الأصيلة في بناء الإنسان والمجتمع تحاول الشيوعية الماركسية أن تدمرها وتمحوها وتقيم بدلا منها أخلاقيات انتهازية ومبعثرة لأنها تهدف من وراء دعوتها إلى تنازع الطبقات ودموية التنازع والتخلص من كل قيم الحق والعدل والرحمة والفضيلة والمجتمعات البشرية لابد أن تتحرك في إطار الأخلاقيات الثابتة العليا وليست هذه الأخلاقيات خاضعة لظروف المجتمعات ومعتقداتها . وبالعجالة فإن الفكر الماركسي يرى أن الدين والأخلاق خدعة للمجتمعات وأن المادية هي نور الطريق . ولا ريب أن منطلق الماركسية هو المادية أساساً والمادية الجدلية التي تقوم على صراع الطبقات وهي بديل الروح عند هيجل وهي منكورة الألوهية وهي التي تعجز عن أن تجعل للمعنويات والأديان والغيبيات والوحي مكاناً في بناء الأفراد والمجتمعات ولا تجعل للمسائل حلولاً بالصراع الدموي وهي التي تصرف الناس عن الأمن والسلام وسكينة القلب صرفاً حتى يظلوا في نار متأججة لا يقر لها قرار وقد اعترف جارودي أكبر فلاسفة الماركسية في العصر الحديث بإلحاد الماركسية وقال إنها وآرثو التراث الإلحادي القديم الذي نشأ مع طفولة الفكر الإنساني ويقول أنها تستهدف إعادة البشرية بعد أن بلغت مرحلة الرشد بالرسالة الجامعة الإسلام مرة أخرى إلى الوثنية والمادية والإباحية القديمة الجاهلية وقال جارودي أن ماركس نبى شعار بروميثوس : أنا ضد كل الالهة وقال جارودي : إن ما يميز الإلحاد الماركسي البحث هو أنه على خلاف سابقه لم يكتف باعتماد الدين خديعة فحسب أو مجرد وهم ولده الجهل . بل تولد عن قوله : أن الأديان انعكاس لشقاء الإنسان وضعفه . وقد أغرق ماركس البشرية في شقاء الانسحاب من التدين وبرر لها الظلم والصراع الدموي وحجب عنها نور البصيرة وطمأنينة القلب وأذاقها الذل والاضواء .

(٤)

الماركسية والعلم

إن تعريفات الماركسية في مفهوم الإنسان والعالم والمصير هي شيء غريب بعيد عن قواعد العلم وبعيد عن الفلسفة المثالية التي تبدأ بنقطة بدء صحيحة هي وجود الله (تبارك وتعالى) وجوداً مجرداً . وقد تبين أن تعريفات الماركسية التي قامت على فروض العلم في القرن التاسع عشر إذا عرضت اليوم على معطيات العلم الحديث تبين أنها في واد والحقائق العلمية في واد

آخر وانكشف عجزها عن إعطاء التصورات الكاملة الشاملة للوجود والحياة . وقد نشأت الماركسية في القرن التاسع عشر ظل التعريف السطحي للمادة بأنها كل ما تقع عليه الحواس ، وقد تقدم العلم من بعد وتوالت الاكتشافات العلمية وتجاوزت ما يقع عليه الحس إلى عالم الذرة ، ومن ثم أعادوا صياغة التعريف بأن المادة هي الوجود الموضوعى خارج الذهن « وهم يقفون حائرين اليوم بعد أن أفلتت جميع التعريفات من أيديهم وفقدت المسلمات النظرية حقيقتها أمام الممارسة العملية من جانب والتقدم العلمى من جانب آخر . وقد فتمح تفجير الذرة الباب أمام تعريفات جديدة للمادة ، ومحاولات أعمق في مهمتها ، قال أرستوالد بأن المادة صورة من صور الطاقة فحسب : وقال ليبون : إن المادة صور مختلفة من الطاقة . وقال أدنجتون : إن المادة مركبة من بروتونات وألكترونات ، أى شحنات موجبة وسالبة من الكهرباء . وقال هوايتهد : إن مفهوم الكتلة في طريقه إلى فقدان امتيازه الواحد الدائم في النهاية فالكتلة الآن اسم لكمية من الطاقة في علاقاتها ببعض آثارها الديناميكية . وقال ليبون : إن عناصر الذرات التي تنحل تفتى تماماً ، فهي تفقد كل صفة للمادة بما فيها ذلك الثقل الذى هو أكثر صفاتها الأساسية . ذلك أن الميزان يعجز عن وزنها ولا شيء يستطيع أن يعيدها إلى حالة المادة فقد اختفت في عظمة الأثير والحرارة والكهرباء والضوء يمثل آخر مراحل المادة قبل اختفائها في المادة ولكن ما هو الأثير : لا أحد يعرف . يقول لورد سالسبورى أنه ليس إله على الفعل يتسوج ، والأثير خرافة ابتدعت لإخفاء جهل المثقف للعلم الحديث فهو غامض غموض الشبح أو الروح . ويقول الأستاذ أدنجتون أحدث حجة في هذا الموضوع « ليس الأثير نوعاً من المادة فهو لا مادي » ومعنى هذا أن شيئاً لا مادياً يحيل نفسه إلى مادة بواسطة بعض الالتواء الغامض أو دوامات ويصبح ذلك الذى لم يكن له بعد أو ثقل بإضافة أجزاء منه بعضها إلى بعض مادة متميزة ويمكن أن توزن . إن ظاهرة الكهرب والذرة قد جعلت المادة تفلت من أيدي العلماء ، وأفلتت من المادة كل شيء ثابت أو كانوا يحسبونه مضرب المثل في الثبوت . ونتيجة تقدم العلم بالكهرب والذرة ، أصبحت المادة كلها كهارب وذرات وإذا بالذرات تنفلق فتنتلق شعاعاً كشعاع النور ، وما زالت الجاذبية فرض من الفروض وما يزال الأثير فضاء أو كالفضاء ولا ريب أن هذا مآزق من أشد مآزق الماركسية . ٢ - ومن المسلمات التي قامت عليها الماركسية وثبت بطلانها افتراض أن المادة أسبق من الفكر ويرى العلماء اليوم أن الحواس هي أبسط أدوات المعرفة ولذلك يشترك فيها الحيوان وبعض

النباتات مع الإنسان في إدراك البيئة المادية من حوله ثم لم يكن مفر من العقل كأداة أرقى في المعرفة حتى انتهت به رؤية للمادة إلى حافة الأثير عندما خرج عن كل صفة معروفة من صفات المادة ولم يبق إلا حسيبة رياضية لها دلالة كبرى وهي أن الإنسان ليس من صنع المادة لأن المصنع لا يحيط بصانعه والإنسان قد أحاط بكل صورة المادة وخرج منها إلى دائرة أوسع منها هي دائرة الأثير وإذا تحولت المادة إلى حسيبة رياضية يحتويها الفكر فإن ذلك يجعل المنطق القائل بأن المادة أسبق في الوجود على الفكر في مأزق علمي شديد التناقض مع معطيات العلم الجديد وفي مأزق أشد خرجاً مع مسلمات الماركسية التي قامت على أساس صحة هذا الافتراض وما ارتبط به بعد ذلك من مصالح سياسية كبرى وما أشد محنة العالم حين يقف حائراً بين دواعي السياسة وأمانة العلم ومن ثم فقد أخذوا يتراجعون خطوة وراء خطوة بعد أن دخلوا عن البحث في أولية المادة والفكر ثم بعد أن تخلوا عن البحث في أولية التأثير المتبادل بينهما انتهوا إلى الوقوف عند النشاط الإنساني فنجدهم يقولون : إن النشاط المادي للإنسان نفيض الذهني غير أن هذين النقيضين يتداخلان كل في الآخر ويؤلفان وحدة ذات وجهين للحياة الاجتماعية غير قابلين للانفصال ومتفاعلين . وقد بحث مؤلفو (أسس الماركسية) العلاقة المتبادلة بين الفكر والمادة وهل الفكر مجرد إنعكاس أم يعمل بطريقة فيها تمييز وقد صرفوا النظر عن أيهما وجد أولاً : المادة أم الفكر . وقالوا : ابتدع ماركس وانجلز (الجدلية المادية) خلال صراعهما ضد النظرية الميتافيزيقية للطبيعة التي تنكر التطور غير أن الوضع قد تغير بعد مضي منتصف القرن ١٩ فقد انتشرت فكرة التطور (بفضل نظرية دارون) وفي الوقت الحالي يقوم بين الجدلية والميتافيزيقية بصفة رئيسية حول معرفة كيف تفهم التطور وليس حول ما إذا كان هناك تطور ويقول لسو : إن تنازلم عن الأصرار على أن المادة أولاً سيفقد المقدرة على الإصرار على أن المادة هي المؤثر الحاكم في عملية التطور وأن ذلك معد لمزيد من التراجع . وقد أشار الباحثون إلى أن كتاب أسس الماركسية اللينينية الذي أخرجه ٢٩ عالماً سوفيتياً عام ١٩٦٣ في موضوع العلاقة بين الفكر والمادة قد أتى بما ينقض المادية الجدلية من أساسها . ٣ - لما كانت المادية نظرية قديمة كانت معروفة قبل العصر الحديث تقوم على أساس أن الوجود مادي وهي تنكر الدين والأخلاق والفكر ومن شأن الإيمان بالمادة أن يتخذها وسيلة لإنكار الخالق ووجوده وإنكار المسؤولية الفردية التي هي مصدر الجزاء الأخروي ، ومن شأن هذا الاتجاه الفاسد إخضاع الفكر والحياة والفن للمادة ،

ومن شأن هذا أن يفسر التاريخ تفسيراً مادياً وأن تعزى التغيرات التي حدثت على وجه الأرض إلى الضرورات الاقتصادية والمادية ، هذه النظرية زيفها العلم وكشف عن فسادها كما زيفها الدين ، فقد تعارضت مع أصول العلم الذي يقرر الآن أن هناك جانب عيني وراء مقررات الذرة والكهربائية والجاذبية وغيرها لا يستطيع العلم أن يصل إليه وليس له إلا أن يسلم به مما يؤكد أن وراء هذا العالم المادى عالم آخر أكبر وأعظم وأن مراجعات علماء التجريب ومقايساتهم كلها تكشف وتؤكد أن وراء هذا العالم قوة كبرى تدبره ساعة بعد ساعة وتحفظه لحظة بعد لحظة من أن ينفرط عقدة وصدق الله العظيم حيث يقول : (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) كما تقرر حقائق العلم أن هذا الكون يتسع يوماً بعد يوم وصدق الله العظيم إذ يقول (وإنا لموسعون) وقد أعلن الطيارون - غير الماركسيين - الذين خرجوا إلى الفضاء إيمانهم بقدرة الله بل إن هناك ما يدل على أن الطيار الماركسى عندما أعلن ذلك اختصرت حياته على نحو من الأنحاء .

(٢) أن اعتماد الماركسية على المادة وأنها أصل الأشياء هو أساس قد اعتوره خلل كبير بعد تقدم كشوف العلم ، بل إن الحقيقة التي بين يدي الإنسانية كلها ، أن الكشوف العلمية التي توالى والتغيرات التي أصابت المنهج العلمى كمنهج معرفة ، قد أسقطت الأصول التي اعتمدت عليها الماركسية من جذورها فلقد وصل العلم إلى حقيقة هي من أمهات الحقائق : تلك هي الاعتراف بأن هذا العلم قوة غير المادة ، قوة غيبية وراء العالم الحسى . والمعروف أن مفاهيم العلم التي كانت قائمة في القرن التاسع عشر (قرن المادية المغرقة) قد تغيرت الآن واضطر العلم إلى التواضع في دعاواه فغاية ما يدعيه اليوم أن يصف ويسجل ويفسر « ظواهر الأشياء » وما يزال العلم حتى الآن نظريات وفروض ، بل لقد نقض العلم اليوم كل دعاوى الفلسفة المادية التي حاولت أن تقول أنها وليدة مقررات علمية بينما ليست حقائق رياضية . ولما كانت الماركسية تعتمد على المادة وترى أنها أصل الأشياء فإن هذا الجدار الأساسى قد تحطم تماماً ، فقد تعثرت نظريات العلم وفرضياته وانكشفت بانشقاق الذرة معالم جديدة تناقض الأسس التي قامت عليها النظرية الماركسية والواقع أن الشيوعية لم تقم على العلم بل قامت على نظريات فلسفية وفروض عقلية حاولت أن تستمد من مفاهيم العلم القديم أساساً ولذلك فقد وقعت الماركسية في أزمة شديدة الخطر حين حاولت تعديل منهجها وأصولها مرة بعد مرة كلما حاصرتها متغيرات العلم ولكنها عجزت مع ذلك كله عن

أن تتجاوب مع الطبيعة البشرية بل إن بعض الباحثين يؤكد أن الشيوعية لم تقم على العلم بل هي تفهر المنهج العلمى فى البحث وتسخره لتبرير أحكام مسبقة وجاهزة . ونحن نعلم أن أول خيط الفكر المادى قد التفتته التلودودية من نظرية دارون وحاولت به أن تجعل الإنسان حيوان الأصل وأن تخرجه من فطرته النقية وأن تدفع المجتمعات إلى فكرة التطور المطلق خارج نطاق الثوابت إلى نسبة الأخلاق وإلى متغيرات كثيرة يراد بها تدمير وجوده ، ثم جاءت الماركسية لتجعله عبداً للطعام ، وجاءت الفرويدية لتجعله عبداً للجنس ولم يكن هذا كله علماً بقدر ما كان فلسفة تعتمد على بريق العلم . ولقد تبين بما لا شك فيه أن العلم لن يستطيع أن يعطى البشرية إلا تلك المعطيات المادية التى تعين على سير الحياة أما القيم العليا فلا يعطيها للناس إلا الدين الحق وأن العلماء اليوم وخاصة فى مجال الذرة والفلك والرياضيات ليقرروا وجود الله تبارك وتعالى ويؤكدون أن هناك جانباً غيبياً قائم فعلاً وراء هذه المظاهر المادية ، ولا ينكر الإسلام المادة ولا ينكر العلم ولا ينكر العقل ولكن يرى أن كل هذه حلقات فى عقد كبير لا يكتمل إلا بالروح والنفس والإيمان وليس من شأن الحواس الخمس القدرة على أن ترى كل شيء وكذلك العقل . ولن يكون العالم مادياً ولا من الصدفة . كذلك فإن الماركسية ليست علماً ولن تكون « ولو كانت علماً ثابتاً ما اختلف الأتباع وما تناقضوا وتقاتلوا ولما خرج السالبنى واللبينى والمآوى والتيتوى ، وراحوا يضربون بعضهم بعضاً وأن هذه العلمية المدعاة ليست إلا قناع كاذب يلبسه الأتباع والمروجون وأن حقيقة الشيوعية علماً ولا فكراً وإنما هي « مؤامرة » طبع وحقد دفين وتاركين للبشرية كلها أن تبحث عن مبررات معقولة ولغة مقبولة تظهر بها . وليس أشد ضللاً من كلمة « الاشتراكية العلمية » وكلمة العلمية هنا خداع شديد تعنى الواقع المادى وحده ، وليست تعنى العلمية فى المنهج الذى يقوم على استخلاص النتائج من التجربة الحقيقية ، فإن المذهب قد تشكل فى ظل صيحات العلم المادى فى القرن التاسع عشر التى كانت تستعمل على مفاهيم المثالية والروحية والعقدية ، وتفرض أنها قادرة على تفسير الكون والحياة والمجتمعات نفسها ، وهى نظرية ثبت فشلها بعد ذلك وسقوطها وقد تبين من بعد قصور العقل قصوراً ذاتياً مالم يستهد بوقود خارجى ، وقصور العلم عن التعرف إلى حقائق الأشياء وثباته على مفهوم التعرف على ظواهر الأشياء ، كما ثبت فساد تطبيق نظرية التجربة فى مجال الدراسات الإنسانية وكل ما يتعلق بالمجتمع والنفوس والأخلاق والحضارات فهذه لا تخضع للقوانين التجريبية . والواقع أن هناك خداع عريض

في إطلاق وصف الاشتراكية العلمية على مجموعة هذه التنبؤات والأفكار الظنية والمذشورات التحريضية التي تروجها الماركسية وهذا التآمر المبني لتدمير المجتمعات تحت اسم « الصراع الطبقي » أي الصراع الدموي . ويقول الدكتور مصطفى محمود : لم يكن كارل ماركس علمياً حيناً انتهى من التاريخ بضع مراحل ولفق منها مذهب طبقه اعتسافاً على التاريخ كله وكان حاله مثل حال اليهودي الآخر فرويد الذي أخذ من مرض المستعرة بضع حالات ولفق منها مذهباً في الغريزة الجنسية طبقه اعتسافاً على الأصحاء والأسوياء من البشر فجعل من البشر مجموعة من القروء تلهو بأعضائها التناسلية في جيلالية كما تصور شقيقه كارل ماركس عجلة التاريخ تحركها يد الصراع الطبقي وقد تعدد ماركس إسقاط مراحل كاملة من التحول التاريخي لأنها ناقضت مذهبه وبالجملة فنحن أمام تلفيق أطلق عليه أصحابه صفة العلم ووضعوا عليه بطاقة « الاشتراكية العلمية » زوراً بهتاناً . ويقول الأستاذ محمد الغزالي أن تقدير الشيوعية كحقيقة علمية ، كذب على العلم وعلى الاختصاص في وقت واحد ، لأن النظريات الاجتماعية بعيدة الصلة عن الحقائق العلمية . فالحقيقة العلمية حقيقة تثبت في عامل الكيماويين أما النظريات فإنها لا تأخذ حكم الحقائق العلمية الثابتة ومن ذلك نظرية فرويد عن الغريزة الجنسية على أساس السلوك ونظرية ماركس إن الملكية سبب بلاء البشرية والقول بأن الشيوعية هي المصير العلمي للناس أو الحقيقة التي يؤيدها العلم لإسعاد البشرية وكان الرد الطبيعي أن هناك شعوباً لا تعرف الشيوعية ولا عاشت في ظلها وهي تحيا على مسوى من الرفاهية والرضا لا تعرفه البلاد الشيوعية وإذا وزنت الشيوعية بمدى ما أفادته الناس منها فإنها تخسر لأن الناس ما استفادوا منها في بلادهم إلا المتاعب وفقدان الحرية ونوعاً من شظف المعيشة لا يحصلون عليه .

(٥)

الماركسية والصهيونية

تكاد الأبحاث الأصلية المحررة تجمع على حقيقة واحدة : هي أن الماركسية يهودية الأصل كالصهيونية وأن الحركة الماركسية والتطبيقات الشيوعية جميعاً حملت بصمات اليهودية التلمودية فقد تشأت الحركة الشيوعية في البلاد العربية خلال الحرب العالمية الثانية في فترة التعاون بين بريطانيا والإتحاد السوفيتي فلم تظهر كحركة وطنية بطاردها الاستعمار

البريطاني بل تغاضى الاستعمار عن نشاطهم ، وكان اليهود أصحاب مصلحة مباشرة في هزيمة النازية وانتصار بريطانيا وكانت النسبة الهائلة من اليهود واضحة في التنظيمات الماركسية وقد حملت الحركة الشيوعية بصمات اليهود حتى أنه لما طرح قرار تقسيم فلسطين وأيده الإتحاد السوفيتي وأيدته الأحزاب الشيوعية العربية بما فيها الحزب الشيوعي الفلسطيني ولقد بدأت الماركسية أولاً في شكل أنصار السلام التي تكونت عشية الحرب العالمية الثانية لمنع الحرب عندما كان التحليل السوفيتي يرى أنها حرب استعمارية وموجهة ضد الإتحاد السوفيتي أساساً فلما مست نيرانها (الروسية المقدسة) تحولت إلى حرب تحرير ودفاع عن الديمقراطية ولقد كان موقف الماركسيين في مصر هو موقف المهادنة أو الملاينة للاستعمار وقد اكتشفت إحدى الدراسات اليسارية أن الاشتراكيين الأوائل في الفترة من الاحتلال حتى الحرب العالمية الأولى كانوا يتخذون موقف المهادنة بل ذهب بعضهم إلى حد امتداح دور الاحتلال في في مصر واعتباره تقدماً وقد دعا الأجنبي هذا التشكيل لكي يضرب به القوى الوطنية الحقيقية والقيادات الشرعية التي ترفض الاستعمار الوافد وترفع شعار الشرعية في وجه الغاصب الذي يسلط عليها اليسار بدعوى مكافحة الرجعية ودراسة تاريخ هذه المرحلة يؤكد ذلك . بل أن حقائق التاريخ تؤكد أن دعاة التيار الليبرالي ودعاة الدولة العلمانية ونظرية التطور (أصحاب المقطم والأهرام ودار الهلال وسلامة موسى وشيلي شميل كلهم) كانوا متعاونون مع الاستعمار بحجة محاربة الرجعية المصرية أو الخديوية ورجال الدين ثم كانوا من بعد أنشط رجال الاستعمار والقصر في حزب الحركة الوطنية ، نصل من هذا كله إلى حقيقة واحدة هي أن الشيوعية أفرخت في حجر اليهودية العالمية . وتقرير فرنك لي بريتون في كتابه الصهيونية والشيوعية أن الماركسية والصهيونية حركتان توأمان يتحكمان بجمهرة اليهود الروس وقد أعلن الصهيونية زعيمها تيودور هرتزل ودخلت إلى روسيا حوالى ١٨٨٠ وكانت منافسة للماركسيين وكاهنها الأكبر كارل ماركس حفيد أحد الحاخامين ويقول بريتون : أن الصهيونية والشيوعية صنوان منبعضهما واحدة وغايتهم واحدة وجوهرهما واحد والفئة التي يقوم عليها من وراء الستار واحدة ، وما اختلافهما الظاهري سوى ترتيب موقف اقتضاها تأمين النجاح في السعي إلى الغاية الواحدة ، حتى إذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا للسيطرة على العالم ، ولا مجال للإنتظار أن العالم اليوم ينقسم إلى شطرين وإن أحدهما يسمى الشرق تسيطر عليه الشيوعية ولكن حصافة الصهيونية حالت دون أن تظهر سيطرة الصهيونية

رسمياً على ما يسمى الغرب، ذلك لأنهم تملك بعد منه كما تملك الشريعة في الشرق فاستعاض عنها بالرأسمالية لتسيطر على الشطر الآخر حيال الشيوعية ولا يخفى أن الصهيونية قد ظهرت تحت الاسم (إسرائيل) لها سيطرة بعيدة المدى على دول الغرب جمعاء فترى هذه تسابير إرادتها على طول الخط ، وكل من الرأسمالية والشيوعية يدعى اعتناق الديمقراطية الحقبة وكل واحدة تتهم الأخرى بالتشويش على السلام العالمي وكلتهما صادقتان ومتفقتان على تشويش الأذهان . وأن اليهودية التلمودية هي نواة الشيوعية والصهيونية اللتين تناهضان المسيحية والملايين من أتباع المسيح قد أزعجوا وعذبوا ونفوا وقتلوا منذ خطر الوحش الأحمر على البسيطة عام ١٩١٧. ويقول الباحثون: أن تعاليم كارل ماركس وفردريك انجلو ولينين وستالين لا تختلف في كثير أو قليل عن تعليقات بروتوكولات حكماء صهيون بل أن الألفاظ والعبارات والمفاهيم التي صيغت بها كل من الشيوعية والصهيونية متشابهة متسائلة . ولعل من أعجب ضروب التشابه في الوقت ذاته أن يكون الرواد الشيوعيين الأوائل جميعاً منحدرين من أصل يهودي ، فضلاً عن التشابه الصارخ بينهما كحركتين سياسيتين تهدفان إلى السيطرة على العالم كله والتشابه في رسائلهما وغايتهما ومفاهيمهما وأخلاقيتهما والتشابه بينهما في ميدان التطبيق العلمي تتمسح إحدهما بالدين بينما تنكر ثانيتهما الدين ولكنها تخلع على نفسها قداسة أشبه بقداسة الدين . ويقول الأستاذ ماهر نسيم : تتشابه الفلسفتان : الصهيونية والشيوعية تشابهاً كاملاً في نظريتهما إلى الأخلاق فالأخلاق عندهما ليست ما اصطلاح عليه الشرفاء من مفاهيم تجدد المثل الأخلاقية العليا ومبادئ الفضيلة وكرامة الإنسان التي تبغى أن تصان وإنما الأخلاق عندهما تمثل في شيء واحد هو القوة وتحقيق أهدافهما بشتى الوسائل مهما انحرفت هذه الوسائل عن جادة الصواب والمثل الأخلاقية ومبادئ الفضيلة ثم تنادى الفلسفتان : الصهيونية والشيوعية بأن الغاية تبرر الوسيلة فكل شيء مباح ما دام يؤدي إلى نصرته الصهيونية أو الشيوعية والتشابه في نظريتهما إلى أساليب الحكم : والتوصل بالسلطة الاستبدادية التي لا حد لها والعنف والظلم وتتشابه الفلسفتان في نظريتهما إلى القانون فالقانون عندهما ليس أداة من أدوات نشر العدالة وإنما مجرد تعبير قانوني زائف عن الديكتاتورية والطغيان والاستيراد والقمع والإرهاب والكبت ويرى كلاهما أن الرأي العام يجب أن يكون كالسائمة وأن يكون كقطع الشطرنج يحركها اللاعبون هنا وهناك تنادى كلاهما بجعل الصحافة مجرد أداة من أدوات الخداع والتضليل والنظرة إلى الحرية لا تعنى ما اصطلاح

عليه الناس وإنما تعنى السلطة : السلطة الحاكمة هى وحدها التى يحق لها أن تستمع بالحربة مع ضرورة إحتكار الحياة الاقتصادية وتسخير كل القوى الاقتصادية لتحقيق أهداف الصهيونية أو الشيوعية وتنادى الشيوعية والصهيونية بضرورة تحطيم نظام الأسرة والقضاء على الروابط العائلية ، وتطالب الصهيونية بالقضاء على كل الأديان غير اليهودية وتعمل على نشر الإلحاد وكلاهما تدعو إلى الثورة العالمية بغية إخضاع العالم كله للسيطرة الصهيونية أو الشيوعية . وتجمع الحقائق التاريخية على أن الثورة الشيوعية قامت بتدبير اليهود وتخطيطهم وأن كبار زعماء الشيوعية مثل ماركس ولينين وستالين ونورشيلاف ومولوتوف كل هؤلاء وغيرهم من أصل يهودى أولهم زوجات يهوديات وأن أهداف الماركسية الإشتراكية هى نفس أهداف الصهيونية العالمية ، أو أن الشيوعية والصهيونية كلاهما يسعى للسيطرة على العالم وتسخيره لليهود شعب الله المختار . وكان الملك فيصل غفر الله له هو أول من دوى بالحقيقة التى كانت موجودة فى بطون الكتب ولكنها كانت غائبة على كثير من زعماء البلاد العربية حين قال : إن الشيوعية والصهيونية لا تتبحان الفرصة لتحقيق أهدافنا من التقدم والإستقرارية وعندما نقول الصهيونية والشيوعية نذكر إسمين ولكن الحقيقة أن الشيوعية وليدة الصهيونية وهدفها الأساسى هو التخريب والتحطيم . ومن القوانين القوية والأدلة القاطعة على صلة الماركسية والشيوعية الوثيقة بالصهيونية العالمية واليهود أن كارل ماركس هو نفسه الحاخام الأكبر واليهودى الذى يمثل فى حياته وفكره كل ما تنطوى عليه النفسية اليهودية من أحقاد وكرهية ورغبة فى الانتقام من البشرية كلها . وأن الثورة الشيوعية بدمويتها كانت من تصميم اليهود وتدبيرهم وأن ما تحقق فى روسيا كان من تخطيط العقيلة اليهودية فى سعيها للسيطرة على العالم وقد اشترك أعيان اليهود فى تمويل هذه الثورة . وقد تبين أن أنصار الشيوعية فى العالم معظمهم من أنصار الصهيونية وتبين أن ٩٠ فى المائة من أعضاء الحزب الشيوعى الأمريكى من غلاة الصهيونية وأن مجلس الثورة الذى حكم روسيا بعد قيام ١٩١٧ كان مكوناً من عشرة من الأعضاء من بينهم ستة من اليهود وأن لينين وستالين من أصل يهودى وكان ستالين متزوجاً من يهودية وأن أربعة من أعضاء مجلس السوفيت الأعلى من اليهود وأن نور شيلوف ومولوتوف كلاهما كان متزوجاً من يهودية وقد كانت روسيا السوفيتية أولى الدول بعد أمريكا التى أعترفت بقيام دولة إسرائيل ولقد عرف اليهود لروسيا هذه المكرمة وأعلنوها على لسان الكثير من زعمائهم . ولقد أدى ترابط هذه الحقائق وتكاملها إلى أن عبر أحد الباحثين

عنها بالماركسية اليهودية وقال أنه بالمجهدات اليهودية وحدها نجحت الثورة الروسية وأنه بهذا الدعم اليهودى المكشوف للحركة البلشفية اتضح أن الماركسية ليست سوى حركة يهودية سرية يربطها ويوجهها التمويل اليهودى والقيادات اليهودية فكرياً وتنظيماً . فماركس فيلسوف الشيوعية الأول كان يهودياً . ولينين زعيم الإنقلاب الشيوعى فى روسيا باسم الماركسية اللينينية كان الآخر يهودى الأصل وغيرهما كثير ، ويكفى كدليل على المشاركة بين الشيوعية واليهودية العالمية فى مخطط واحد وهدف واحد : مشاركة الجميع فى الإتحاد العام للحزب الاشتراكى الديمقراطى اليهودى : حزب البند . ولا ريب أن هذه العلاقة الوطيدة والعميقة بين الماركسية واليهودية العالمية كانت الدافع الأساسى لاندفاع الشيوعية فى العالم ، لأن اليهودية كيان مغلق على نفسه لا يستطيع الانتشار والسيطرة والقيادة إلا بمفاهيم الشيوعية والعلمانية والبرالية والرأىالية (وحرية ومساواة وأخاء) شعار الماسونية والثورة الفرنسية التى حرثت الأرض أمام تحقيق الأهداف الكبرى التلمودية وكان مقدمة للثورة الروسية ولإسقاط الخلافة الإسلامية . وهكذا تؤكد الدراسات العلمية والوقائع التاريخية الصلة الواضحة العميقة بين الشيوعية والصهيونية فإن مفهومهما يستمد من حقد على البشرية ورغبة فى الإنتقام منها وقد أعلن أن الثورة الشيوعية كانت من تصميمهم وأن ما تحقق فى روسيا كان بفضل الفكر اليهودى ذى التموجات الرأىالية والاشتراكية ويستهدف تعاون اليهودية والشيوعية فى الوصول إلى السيطرة على العالم وتسخير المواد العالمية وفق أهوائهم ولقد تبنت أبعاد المخططات العالمية فى هذا الارتباط بين الماركسية والصهيونية فى أحضان اليهودية العالمية ما أثبتته الأستاذ محمد عبدالله عنان الذى كتب قبل خمسين عاماً (عام ١٩٢٦) يعلن عن هذه أن المخطط كشفت عما يسمى (الثورة العالمية) فأشار إلى أن قوى كثيرة تهدد كل المجتمعات والنظم الحاضرة بالفناء تتجمع فى الدعوة إلى الثورة العالمية فالبلشفية والدولية الشيوعية والاشتراكية واللاحكومية وغيرها من الدعوات والمصادر الثورية كلها قوات هائلة تعمل لغاية واحدة . ويربط عنان هذا المخطط بالثورة الفرنسية . (التى هى وثبة من أعظم وثبات الهدم فى العصر الجديد) ترجع إلى نشاط هذه القوات الخفية ومهارتها فى استغلال سخط الجماعات أكثر مما ترجع إلى الأسباب والحوادث المادية التى ينسب انفجارها إليها عادة وقال أن العقوبيون أعظم دعاة الهدم فى الثورة الفرنسية كانوا ينتمون إلى جماعات سرية كانت تعمل فى الخفاء لسحق الملكية الفرنسية . هذه الروح الهدامة تجلت فى الثورة الروسية ، فقد أشادوا مجتمعاً غربياً

في تفكيره أباحياً في اعتباراته وتقديراته ، هذا المجتمع الذي يبرز اليوم رافعاً لواء الثورة العالمية ويتساءل : هل تكون البلشفية والثورة العالمية اسمين لمسمى واحد ، ذلك أن عبارة الثورة العالمية تجرى على ألسنة أقطاب موسكو وزعماء البلشفية . وأن ما يقوله رئيس الدولة وغيره من زعماء البلشفية لا يعنى أن الجمعية السرية التي تقبض الآن على مصائر روسيا تعمل دون وحى يلقى إليها من وراء أستار وتسير في جهودها الهدافة مستقلة دون توجيه ، فما هو المصدر الخفى الذى يغذى بجهوده البلشفية وما هى غايته الأخيرة التي تدفع لحركات الثورة المختلفة إلى رعايتها. أن البناء الحر والجامعة الدولية والجامعة الجرمانية كلها قوات حقيقية لا مرية في وجودها تؤثر في شؤون العالم أيما تأثير وفي وسعنا أن يعين منها أسماء الزعماء وطرق العمل ومراكز الوحي والإرشاد ومما يلفت النظر أن تختلف الدعوات الشيوعية والإشتراكية واللاحكومية (ماركس وبوكونين وبرودون) وهى جميعها تتفق في برامج الإنشاء السياسى وتتفق جميعها في غايات التعويض والهدم . إن ثورة الكتلة العاملة وتحريرها من نير البرجوازية وتحطيم النظم الرأسمالية وإضرابها من العبارات الشيوعية كلها ستار لغاية واحدة : هى غاية هدم شاملة لتحطيم المجتمع الرأسمالى معناه تحطيم المدنية الحاضرة وكل ما احتوت من أديان وتعاليم وتقالييد . و « هدم المدنية » : غاية عملت لها جميع القوات الخفية والجمعيات السرية خلال القرون ، ولكن الحرص على تنفيذ هذه الغاية والدقة في تنظيم القوى التي تعمل لتحقيقها واستعداد المجتمع الحاضر لتلقى تعاليمها كلها ظواهر جديدة لم تظهر من قبل بمثل ما تظهر به اليوم من جلال ووضوح ، ذلك لأن عقلية المجتمع الحاضر قد تائرت بمؤثرات جديدة عميقة وقد بعثت البأساء الطاحنة في بنيانه روحاً من اليأس والنقمة ، هذه الروح هى التي يستغلها دعاة الثورة العالمية وهى التي مهدت السبيل في روسيا العنصرية لظهور البلشفة . ويقولون : « إن الثورة العالمية والخطر اليهودى إسمان لمسمى واحد : وأن دعاة الثورة العالمية هما دعاة السيادة اليهودية العالمية وأن الفكرة اليهودية القديمة في سحق المدنية الحاضرة هى التي تحكم وراء الثورة العالمية ، أما كون اليهودية تقصد بالهدم والمحو كل النظم الحاضرة وتقصد بالأخص إلى هدم التعاليم الدينية والأخلاق نصرانية كانت أو إسلامية فإن هذا أمر لا ريب فيه ولكن ليس ثم ما يؤيد أن اليهودية تختفى وراء البلشفية والشيوعية والاشتراكية وما إليها من دعوات الهدم ، وكل ما هنالك أن اليهودية تعمل لنفس الغاية ، والظاهر أن اليهودية ما هى إلا إحدى القوى التي تعمل للهدم إلى جانب الحركات الأخرى وأنها تدين

بنفس التعاليم الحرة الهادمة وأن هذه القوى تسعى جميعاً مثلاً واحدة هي الجامعة بينها وهي التي توجه نشاطها وتوحد بين غاياتها وإذا كان من المستحيل أن نعين ذلك المصدر أو المصادر الخفية التي تغذي دعوة الثورة العالمية بالنصح والإرشاد وتمدها بالدعاة والأموال فقد لا نذهب بعيداً إذا قلنا أن البلشفية هي أقوى وأمنع عناصر الثورة العالمية وإنها هي التي تبرز إلى الطليعة بالقول والفعل وأنها واسطة الوحي في تغذية العناصر الأخرى التي تحرص جميعها على تحقيق غاية موحدة شاملة هي هدم المجتمع الحاضر من الأساس واستبداله بمجتمع يقوم على مبادئ الشيوعية والإباحية وتحقيق أعظم ما يستطيع من مثل ماركس ولينيا « . وبعد فيمكن أن يقال أن ما كتبه عبدالله عنان هو الخيط الأول لكشف هذه المخططات فقد كان قريباً من مصادر العلم بهذا الأمر إذ كان سلامه موسى وحسن العرابي بعد الحرب العالمية الأولى هما أول من تحدث في مصر عن الاشتراكية والفكر الماركسي وكانا قد اتصلوا باليهود الذين كانوا يديرون هذه المنظمات وفي مقدمتهم هنري كوريل غير أن هذا المفاهيم التي قدمها لم تلبث أن أنكتشفت عن أبعاد جديدة وأعماق عريضة عندما اكتشفت بروتوكولات صهيون وغيرها ، ولقد كان لينين أحد المخططين وواضعي البروتوكولات في مؤتمر حكاء صهيون ١٩٠٢ حيث قال المؤتمر : إن آخر حصن للعالم وآخر ملجأ من العاصفة هو روسيا فإيمانها ما يزال حياً وإمبراطورها المسيحي ما يزال قائماً كحاميتها المؤكدة » وكان الهدف هو التخلص من هذا الإمبراطور وتدمير ذلك الحصين تأكيداً لما قرره المحفل الماسوني الأمريكي في نهاية القرن التاسع عشر وهو الذي يدير الماسونية الكونية وكل أعضائه من كبار اليهود ، ومن ثم تم الاتفاق على إنفاق مليار دولار في سبيل قيام ثورة في روسيا تطيح بالإمبراطور وتبيء الدولة للشيوعية غير عابئين بتضحية أعداد ضخمة من يهود روسيا . وكان ذلك إيماناً بأن الشيوعية هي جناح أيدولوجي للصهيونية العالمية وأن الثورة البلشفية في حقيقتها هي ثورة لليهود ضد القبطية وضد المسيحية وانتقاماً من عمليات الاضطهاد التي قامت بها روسيا بعد أن قتل اليهود اسكندر الثاني . يقول علي منير مراد : وما أن نجح المخطط الصهيوني بقيام الثورة الشيوعية حتى كان اليهود هم القائمين بالاغتيالات السياسية (تماماً كما حدث في الثورة الفرنسية) التي كسرت أمام اليهود باب الجيتو المغلق وأفسحت لهم الإشتراك ثم السيطرة على الحياة السياسية الغربية وهناك حقيقة واضحة أن مؤسسا الدولة الشيوعية في روسيا ليسوا من طبقة البروليتاريا التي ضللت ولكنها من طبقة اليهود المثقفين وكان أول رئيس للدولة في روسيا

هو اليهودى كلمنيف وتلاه سفردلون وبينهما زيتوفيف وكلهم يهود ومن زعمائهم تروتسكى اليهودى المتعصب وقد وضعوا فى كل مصنع ومدرسة مؤسسة قومسيرا يهودا لييطش بنائى معارضة للماركسية وأدعوا أن الشيوعيين هم الشعب المختار وأنهم سادة العالم ، وبذلك خلقت الماركسية التميز على أشده بين الحاكمين والمحكومين فهناك طبقة قياصرة الكرمليين الذين يعيشون عيشة الملوك وطبقة أعضاء الحزب المميزون فى جميع أنحاء الدولة ثم طبقة الشعب الذى يعيش ليأكل فلا حريات ولا مساواة بل معتقلات تضم الآلاف فى سيبيريا وكل ما حصل عليه أفراد الشعب إنهم أصبحوا تروساً فى آلة الإنتاج العام فلا كيان للفرد وإنما عليه أن يكذب ويغش ويتجسس لمصالح الحزب ومن أجل الشيوعية . ولقد كانت روسيا ثانياً الدول إعترافاً بإسرائيل بعد الولايات المتحدة كما كان للأسلحة التى أرسلت إليها من تشيكوسلوفاكيا والدول الشيوعية فى أوروبا أكبر الأثر فى صمود القوات الإسرائيلية فى وجه الدول العربية التى كانت تسعى لشراء الأسلحة من مخلفات الحرب العالمية الثانية بعد أن إمتنعت دول الغرب عن بيع السلاح لها وفى أواخر عهد ستالين قامت بعض التحركات المضادة لليهود ولكن ما انتهى عهد ستالين بوفاة حتى أزيلت تماثيله وأخفيت آثاره بل وأخرجت جثته من مقبرة العظماء ولم يكن ذلك مصادفة وإنما يرتبط بنفوذ اليهود وتغلغلهم فى الدول الشيوعية :

(٣) ويتساءل الدكتور عبد الحليم محمود (الإمام الأكبر وشيخ الأزهر) هل للشيوعية صلة بالصهيونية وهل الشيوعية وليدة الصهيونية ويقدم مجموعة من الحقائق دون تدخل فيها . منها ما سجلته دوائر القضاء المصرى ، فقد ضبطت فى بعض قضايا الشيوعية فى مصر أوراق وتقاير ومكاتبات تثبت أن النشاط الشيوعى فى مصر يدار من الخارج حيث عثر فى ١٩٥٣.١١.٣) بمسكن بعض المتهمين بالشيوعية على تقاير متعددة وصلت إليه من هنرى كوريل الإسرائيلى تحوى تعليمات للشيوعيين فى مصر ، كما عثر مع (ناعوى كاتيل) الإسرائيلى التى قبض عليها فى اليوم نفسه على تقاير شيوعية وإرادة لها من الخارج والبعض من إسرائيل وقد ضبطت السلطات الإيطالية ميلانو فى أواخر سنة ١٩٥٠ خلية شيوعية يكونها بعض الإسرائيليين الذين كانوا يقيمون فى مصر ثم غادروها وأقاموا هناك وثبت من الأوراق المضبوطة إنهم يديرون بعض المنظمات الشيوعية فى مصر وأنهم على صلة بالهيئات الشيوعية فى كل من إيطاليا وفرنسا كما تبين أن لم زملاء من الإسرائيليين يقيمون فى فرنسا ويعملون لتصيد

الشبان المصريين الذين يسافرون إليها لطلب العلم وقد اعترف أحد الأشخاص الذين قبض عليهم في إحدى القضايا الشيوعية بمصر أنه أقام بأوروبا نحو ستة أشهر متنقلاً بين النمسا وإيطاليا وفرنسا على نفقة الشيوعيين هناك وبتوصية من الإسرائيلي « هنرى كوريل » وتصدر المنظمات في مصر نشرات تتضمن مهاجمة نظام الحكم والقائمين على رأس الحكومة وهدفها تعبئة الشعور العام ضد الحكومة والعمل على قلب نظام الحكم وإقامة حكومة شيوعية تخضع لتوجيهات موسكو والصهيونية - وقد ورد هذا النص في كتاب « حقيقة الشيوعية » وهذا يعنى أن اليهود هم الذين عملوا جاهدتين في نشر الشيوعية في مصر لا غربة فيه وهو تأييد لما يوقن به كثير من المفكرين . أما بالنسبة لمواثيق الصهيونيين فإن كتاب بروتوكولات حكماء صهيون ينص في صراحة : « نحن الصهيونيين الذين رتبنا نجاح كارل ماركس » إن كارل ماركس يهودى أمأ وأباً من أسرة يهودية عريقة في اليهودية ولقد تزعم هذا اليهودى فريقاً من يهود ألمانيا عرفوا بالشيوعيين وبدأت بهم الشيوعية وقد تساءل لماذا رتب اليهود نجاحه . إنهم أقاموه أولاً ، ثم رتبوا نجاحه بالدعاية وبالكتب وبالصحف وبكل وسائل الدعاية والنشر : لماذا . إن الصهيونيين لم منهجهم بالنسبة للآخرين أى بالنسبة لمن يسمونهم « الأميين » وهم كل من عدا اليهود ومنهجهم متعدد الزوايا ومن كبريات هذه الزوايا إفسادهم بكل وسيلة ممكنة للمجتمعات . إن اليهود يهدفون - من بين أهدافهم - إلى إفساد الدين على المتدينين مسلمين ومسيحيين ومن وراء إفساد الدين إفساد الأخلاق لأنه إذا فسدت الأخلاق ودب التحلل في الأمم وزالت مناعتها فإنه يسهل السيطرة عليها . ومن هنا ولدت الشيوعية ، وذلك أن الشيوعية تفسد الدين على أصحاب الديانات وتفسد الأخلاق أينما حلت حلت وتهدم النظام الدينى الاقتصادى رأساً على عقب ، وأن كل من يدين بها ويعتقد أنها حق فإن إيمانه بها يتضمن لا مناص إيمانه بأن أوضاع دينه ليست صحيحة . إنه شعر أو لم يشعر ينكر دينه وينكر أخلاقه وينكر ما شرعه الدين من نظام للمجتمع . ولذلك رتب الصهيونيون نجاح كارل ماركس . لقد صنعه كما تصنع المزيفات وساندوه كما هو الشأن في ضرورة مساندة المزيفات والمزيفات لا بقاء لها ولذلك ستزول الشيوعية الحديثة كما زالت شيوعية (مزدك) وكما زال كل مذهب منحرف . ويشير الإمام إلى ما ذكره روبرت وليامز صاحب كتاب اليهودى في أمريكا فإنه ينتهى من بحثه التعيس بقوله : إن الصهيونية ليست شقيقة الشيوعية بل هى أمها . ويسمى فرانك كريتون

الصهيونية والشيوعية فتنى اليهود ويقول ليست الشيوعية والصهيونية سوى مظهرين لقومية واحدة هي القومية اليهودية .

(٣)

فشل التجربة الماركسية اللينينية

(١)

التجربة الماركسية اللينينية

أعد ماركس « الأيدلوجية » والمنهج بالإشتراك مع أنجلز ، وكتب « البيان الشيوعي » المعروف قبل أن يكتب (رأس المال) فقد كان هذا البيان بصدوره عام ١٨٤٨ علاقة على هذه الخطة التلمودية الصهيونية التي كانت نقطة انطلاق في طريق تمزيق وحدة الفكر الغربي المسيحي ووضع فلسفة التغير الاقتصادي للتاريخ والإشتراكية العلمية وتنطلق بهما ضحية الصراع الطبقي وتحريض العمال على الثورة في وجه أصحاب الأعمال والمعروف أن الجزء الأول من كتاب رأس المال جاء عام ١٨٦٧ أى بعد تسعة عشر عاماً من البيان الشيوعي الذي برر فكرة الصراع الطبقي والثورة على الرأسمالية . وقد عرف بأن النظرية كانت محاولة للجمع بين خيوط من الفلسفات الألمانية والإنجليزية والفرنسية وأن الأساس الذي اعتمد عليه ماركس قد التمس من فرضيات العلوم التجريبية في ذلك الوقت والتي لم تكن وصلت إلى درجة الحقائق العلمية وكان واضحاً أن الشيوعية هي الهدف وأن التلمودية الصهيونية هي الطريق . ولقد نمت في الأمبراطورية الروسية التجارب التي كانت إعداداً للثورة الفلسفية التي قادها لينين ، والتي أطلقت على منهجها (الماركسية اللينينية) وذلك بعد الاستيلاء على السلطة بعد وفاة ماركس بأكثر من ثلاثين عاماً . وهي التجربة التي اختلفت أشد الاختلاف بالتطبيق مع النظرية الماركسية واحتاجت إلى تعديلات كثيرة فضلاً عن أن كتابات لينين قد اختلف فيها أتباع تروتسكى وأتباع ستالين وأتباع ماوتسى تونج . والحقيقة المعروفة أن الطبقة الشعبية قامت بإشعال نار الثورة ضد الحكم القيصري والقضاء عله بتحريض من الشيوعيين أتباع لينين وتروتسكى فلما تم لرؤساء الحزب الشيوعي ما أرادوا من سقوط عرش آل رومانوف قبض رؤساء الحزب على زمام الحكم وأزاحوا العمال والفلاحين ليقاسوا تحت سخط الحزب الشيوعي أشد ألوان المهانة والإرهاق ، وقام العمال والفلاحون بعدة

ثورات كانت تقمع بشدة ، وحاول ستالين أن يقضى على ثورات الطبقة الكادحة بألوان شتى من القتل والجس والنفي في مجاهل سيبيريا وخلصت الدولة لتلك الطبقة الدخيلة التي لم تكن من صفوف العمال أو الفلاحين في الأصل . وقد ذكر دوته في كتابه موسكو بلا نقاب : إن الذين يحكمون روسيا ليسو الروس ولكنهم حفنة من اليهود الإرهابيين العالميين . وهم الذين أعلنوا منذ اليوم الأول بأنهم يرو في الأديان خطراً على الحضارة الإنسانية (كما قال لينين) ونحن ملحدون وأن الإيمان بالدين يعرقل تقدمنا (ستالين) وأن اليهود هم الذين قاموا بالاغتيالات السياسية إبان الثورة الشيوعية وأن مؤسسى الشيوعية ليسوا من طبقة البرولتاريا التي ضللت ولكنها من طبقة اليهود المثقفين وقد أعلن الشيوعيون أن أصل المناضل الشيوعي أن يتمرس بشيء من ضروب الخداع والغش والتضليل وأن الكفاح من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة لتحقيق الشيوعية . وقد سادت الشيوعية في روسيا منذ عام ١٩١٧ إلى اليوم (١٩٧٧) خلال ستون عاماً فهل نجحت قط في القضاء على الفقر ، إن الفقر ما زال متفشياً في روسيا وقد سبقها كثير من الدول الرأسمالية كالولايات المتحدة والمانيا وإنجلترا في القضاء على الفقر وبعث حركة الانتعاش الاقتصادى بين العمال وبين الجماهير . ولقد كان من أخطر خطوات التجربة الشيوعية إرتباطها بالصهيونية العالمية منذ اجتمع لينين في بال بسويسرا عام ١٩٠٢ باسم الحزب الشيوعي بحكام صهيون وحضر معهم المؤتمر الصهيونى وكان من المخططين وواضعى البروتوكولات . وكما قلنا فإنه في أعقاب نجاح الثورة الروسية كان اليهود وقد وضعوا في كل مصنع ومدرسة ومؤسسة قومسييراً يهودياً ليبطش بأى معارضة للماركسية ومنذ ذلك التاريخ إنقسم الشعب إلى طبقتين متميزتين : الاولى طبقة مناصرة للكرملين وأعضاء الحزب الذين ينهبون أقوات الشعب الروسى ويعيشون عيشة القياصرة ، وطبقة الشعب الروسى الذى يعيش في فقر وجوع وحرمان وخوف . وقد أغلق الشيوعيون على أنفسهم وأقاموا الستار الحديدى سنوات بعد سنوات وقاموا بتصفيات بعد تصفيات دون أن تستطيع التجربة كما أدعت وبعد أكثر من خمسين عاماً أن تظفر بتحقيق واحد من أهدافها أو تنبؤاتها كما أنها لم تستطيع أن تقضى على الاحتكار والاستغلال ، ولم تستطيع أن تقيم مجتمع الكفاية وعجزت عن أن تفهم قانون الوفرة الذى أثبت أن في الأرض ثروات تكفى البشرية ولو تضاعفت عشرات المرات ولم تزد التجربة الشيوعية عن أن أفقرت الأغنياء ولم تغن الفقراء ، وما زادت عن أن أوغرت الصدور بالأحقاد وأوقعت بين الطبقات في

صراع عنيف بينما يقيم الإسلام روح الوثام والمحبة بين الناس . نعم عجزت الشيوعية أن تنجز ما وعدت بين الطبقات العاملة بل تنكرت لها وسلبتها الحرية وحشدتها للعمل وسخرتها للإنتاج باعتبارها تروساً في آلة أو مسامير في قالب ووجدت الطبقات العاملة من المعطيات في المحيط غير الشيوعي أكثر مما وجدت في البلاد الشيوعية . وثبت كذب الإدعاء بأن مذهب الشيوعية هو الفردوس الموعود للطبقات العاملة في العالم فقد تبين أن الشيوعية إنما تريد أن تجعل من البشرية قطعاناً يقودها سوط الراعي وأن تمحو الشخصية الإنسانية وتذيبها في الدولة وتسلب الفرد حريته وتصب الادميين في قوالب ولم تجد الطبقات العاملة في البلاد الشيوعية غير اللذ والهوان والتجويع وسلب الحرية . ثم رأت أن تتراجع وتراجع فحاولت أن تتنازل عن مسألة الامتلاك الفردى وأذعنت للطبيعة الإنسانية بتشجيع الحافز المادى وسمحت بتحقيق بعض الرغبات الخاصة التي كانت ممنوعة من قبل ولكنها لم تستطع أن تبلغ أشواق النفس البشرية . وقد تبين هزيمة التجربة في حربها للحرية الشخصية وحرية الأسرة ، كما انهزمت التجربة في الركيزة الأساسية للمذهب التي جعلت الملكية الخاصة ينبوعاً لجميع الشرور وقد ضاقت بالمجتمع الشيوعي عواقب الحرمان من هذه القوى الحية : قوة الكرامة والإنسانية في شخصية الفرد وقوة العاطفة المتأصلة في كيان الأسرة والإيمان . وثبت « المجتمع الشيوعي » فرض خيالي قوامه دعوى المدعين أنه سيأتي ذات يوم مجتمع يغير طبقات ، أما المجتمع الإسلامي فهو حقيقة قائمة تزداد كل يوم قوة وسقطت بذلك دعوى الشيوعية بوصفها دين المستقبل أو جنة المستقبل فقد كذبتها حقائق التاريخ وقائعته الحية التي ما تزال نعيشها يوماً بعد يوم وتحلل الشيوعية من كثير من نظمها ومبادئها وخرجت عليها لأنها وجدت إنها لا تقبل التطبيق . بل إن عدداً من المفكرين الذين خدعوا بالبريق عن المذهب والتجربة عادوا فوجدوا أن كل ما هنالك سراب وقبض الريح ومن هؤلاء ريتشارد رأيت ولويس فنتشر وارثر كوستلر : هؤلاء الكتاب الذين خدعوا ثم عادوا إلى رشدهم بعد أن عرفوا الحقائق وليس أقوى من تجربة (أندريه جيد) الذي أعلن في الثلاثينات بعظمة التجربة الشيوعية فلما سافر إلى هناك وشاهد المجتمع في واقعه لم يلبث أن اكتشف الحقيقة كاملة . قال جيد : لا يمكن أن ننحدر الأخلاق إلى الدرك الأسفل الذي تنحدر إليه الشيوعية ولا يمكن أن تصل الدناءة والخسة بالإنسانية إلى الحد الذي تصل إليه الشيوعية وإني أحذر كل الناس أن يندفعوا بالشيوعية وليدركوا بها أسوأ ما عرف تاريخ الإنسانية من مذاهب الهدم والتخريب . وحذر

الكاتب الفرنسي أنلوبه جيد بعد أن عاد من البلاد الشيوعية الطبقات العاملة في كل أقطار الأرض من أن تنخدع بأكاذيب الشيوعية التي قضت على إنسان الطبقة العاملة في بلادها وسلبتها كل حقوقها . وقال : لقد تبين لي أن ما ادعته الشيوعية من أنها منحت العالم حق السيادة ما هو إلا زيف وضلال كذلك ظهر لي زيف دعوى المساواة فما تزال الطبقة العالية المسيطرة التي تعيش في الأعلى تمتلك كل شيء وتنحكم في كل شيء وما تزال حريصة على بقاء المسخرين . أما حرية الفكر فهي معدومة وليس هناك من يستطيع أن يخرج على الحدود المرسومة الملقنة التي لا دخل للعقل في التفكير فيها والتي هي عبارة عن نصوص مقدسة وقد أشار كثيرون إلى فساد التجربة في مجملها وتفصيلها وأشار أحدهم إلى ما تجد هناك من تمزق ستار الحياء وتحول الناس إلى نظام القطيع ومن ذلك في دورات المياه مثلاً حيث تجد صالة واسعة جلس فيها أكثر من أربعين فرداً لقضاء حاجاتهم دون ساتر بينهم ، وفي المجتمعات يتناول الفتية والفتيات الشراب ويرقصون حتى وقت متأخر من الليل ويقترفون بعد ذلك الرذيلة مما يقضى على دعائم الأسرة وهناك أيضاً يجهر اليهود بيهوديتهم بينما لا يجهر المسيحيون بمسيحيتهم وهذا ما يؤكد العلاقة القائمة بين الأحزاب الشيوعية في العالم وبين الصهيونية

(٢) - لقد أفاض الباحثون في دراسة نتائج تجربة التطبيق الماركسي مثلاً في الدولة الشيوعية الروسية فأشاروا إلى أن حصيلة نصف قرن مات بسببه مئات الألوف نفيًا وتشريدًا وسجنًا قد أسفر عن عدم تطبيق النظريات الاشتراكية كما أعدها كارل ماركس ولينين وأنجز لاستحالة تجاوبها مع النفس البشرية فهي نظريات علمية بحتة ، وقد أدى ذلك إلى فقدان القاعدة الشعبية لهذا النظام وخاصة من العمال والفلاحين والاقتصار على عدد من أفراد الحزب . كما تبين تزايد الهرب من الجحيم إلى الدول المجاورة ، وظهر عدم إمكان الأفراد السياسى والاقتصادى عن النظم فكان طلب العون من الدول الاخرى لإمكان استمرار قيام الدولة . فضلاً عن التأخر الزراعى والصناعى والكيمائى والتدهور الاقتصادى ، وكذلك فقد نبين عدم إمكان وجود الإنسان العقائدى في الدول الاشتراكية نفسها لإختلاف التعبير والتطبيق للنظريات مما حمل تلك النظم على الاعتماد كلياً على القوات المسلحة ورجال الميلشيا وأتباع العنف الثورى لتثبيت الحكام ودعم الحكم . وكل ذلك كان من شأنه أن

أبعد الطمأنينة والسلام وهدد التقدم والمدنية وحال دون وحدة الشعب وهكذا أثبت النظام الشيوعي الماركسي فشله على مدى نصف قرن من العمل الدموي ونجد اليوم أن الماركسيين قد أهملوا أغلب النظريات الماركسية الأساسية وفي مقدمتها نظرية القيمة اللازمة مع العمل ولم تتحقق تلك النبوءات التي قالت بتناقض عدد الرأسماليين تدريجياً ، وتساعد الطبقة البروليتارية وطلوع اليوم الذي يتكامل فيه العمال كتلة واحدة وكان ماركس وإنجلز يتوقعان اشتعال ثورة اشتراكية في أوروبا كلما توفرت أسباب إهيار اقتصادي في بلد ما لأن الانهيار الاقتصادي هو خير الظروف لإشعال الثورة الاشتراكية فلم يحدث ذلك ولا مرة واحدة ولم تجد الشيوعية طريقاً لها إلا بالقتل والدم والتآمر والتدبير في الخفاء ، حتى ولو توفروا لها الجو الحر ، فهي تلجأ إلى الغوغاء وتضطهد المثقفين وأصحاب المبادئ ولم يتحقق لهم ما أرادوا فقد أعلنوا أن الثورة الروسية هي فاتحة الثورة الاشتراكية العالمية فلم تلبث الشيوعية أن تراجعت وانحسرت وفي البلاد التي سيطرت فيها الشيوعية كالصين التي وقع الانشقاق بينها وبين السوفيت وبات ذلك ظاهرة من أخطر ظاهرات العصر . وفي أوروبا وقع الانشقاق حين أعلنت يوغسلافيا ١٩٤٨ انفصالها عن الأمية الشيوعية في روسيا ، واليوم تتجه الأحزاب الشيوعية في أوروبا إلى الانفصال عن الكرملين بل إن الأحزاب الشيوعية في مؤتمر جنيف ١٩٧٦ أعلنت انفصالها عن ركائز الماركسية الأصلية : تنازلت عن ديكتاتورية البروليتاريا ، وتنازلت عن الأمية وسمحت بالقوميات وتنازلت عن عداؤها للدين . وقد كشف كثير من الباحثين عن أن التجربة الشيوعية فكراً وواقعاً في العقود الأخيرة أصبحت تعاني على الصعيد الفكري أزمة التحجر والجمود والوقوف عند وقائع معينة كما تكشف أن كلمات الفكر التقدمي واليسار والثورة هي في الحقيقة تعني الدكتاتورية والإرهاب وكبت الحريات ولأن النظرية الماركسية تعيش الآن في مهاب الرياح وإن العالم يتجاوزها كأي فكر بشري يصعد إلى قمة مجده ثم يأتي العلم والتطور ويتجاوزها ، وخاصة بعد أن أثبتت العلوم الطبيعية تناقض جدلي المادة وسقوطه واتساع الهوة بين الفكر الشيوعي والعلم . ويقول خازوربي فيلسوف الماركسية : إن الواقع العملي خطأ الفكر النظري في نقاط عديدة وليست دوماً ثانوية ، ولا يمكن أن يأتي الواقع العملي مصداقاً لما جاء في الفكر النظري وأن التناقض قد زاد بين الواقع والفكر وحدث تباعد بين العمل والنظر وتحولت الماركسية من نظرية الممارسة الإنسانية إلى لاهوت عاجز ، ومن حافظ للبحث والعمل إلى عائق يشل البحث ويحرب العمل . وتشير كثير

من كتابات الماركسية إلى هذا المعنى الخطير وتقول إن تطور الماركسية تفرضه أخطاؤها وتعاقبها ، وتعترف هذه الكتابات بقصور الماركسية الجوهرى فى مجالات العمل والنظر ويتساءلون هل يمكن أن يقال أن الماركسية علم ، أو ما يسمونه علم الثورة الاجتماعية . ويقولون إن ماركس وانجلز أقاما النظرية على مفاهيم تجاوزها البحث الآن سواء فى العلوم التجريبية أو علم النفس والتاريخ والاقتصاد والاجتماع والرياضيات وانها كانت نظرية جاهزة تبعاً لظروف وأوضاع غرب أوروبا وانجلترا بالذات ثم جاء لينين ليعدل ويغير ، ويقول هؤلاء الكتاب : إنهم يريدون أن يجعلوا من ماركس ولينين وانجلز آلهة ، فإذا صيروهم آلهة فقد أفقدوهم صفتهم وهويتهم كعلماء وفلاسفة . ويتساءل المراقبون للتجربة (١٩١٧ - ١٩٧٧) ماذا حققت فى خلق مجتمع جديد لحكم ديكتاتورى استبدادى قام على خنق العاطفة وإسكارها ، للقضاء على الاغنياء دون إسعاد الفقراء . وإنما لخدمة طبقة جديدة . تسخير الطبقة العاملة لطبقة جديدة حاكمة ، القضاء المطلق على الحرية الشخصية وحرية الكتابة والرأى والخطابة . والاضطراب والتغيير المستمر مما يدل على عدم الاستقرار فى كيان النظام نفسه ، مخالفة السنن الطبيعية والنواميس الاجتماعية والنفسية للأمم ، افتقاد الحرية ، اتجاه الفكر كله نحو تأكيد النظرية الشيوعية . لا مجال للنقد ، ليس هناك أدب حر ، التاريخ والعلوم الطبيعية والابحاث والمسرح والسینا موجهة توجيهاً شيعياً ، وهى وقف على أغراض الشيوعية ، وقد زيف التاريخ ونقح ليشتمى مع أغراض النظرية . وقد أثبت التطبيق العلمى من خلال التجربة الشيوعية فى روسيا عدم إمكان التقيد بكل ما جاء فى النظرية الماركسية وقد تمت فعلا تعديلات كثيرة وكبيرة فى النظرية . واليوم يظهر على السطح تقارب بين الرأسمالية والشيوعية ، فقد تطورت أفكار الرأسمالية واقتبست معظم الأفكار الاشتراكية الأفكار الاشتراكية وتطورت أفكار الشيوعية فأخذت تلتقى مع الرأسمالية وهناك من الفلاسفة من يقيم الجسور والقناطر بينها ، كذلك فقد أعلن أن الكاثوليكية تجرى حواراً مع الماركسية ومن حيث أن الكاثوليكية لا تملك تشريعاً اجتماعياً مفصلاً فى أمور الحكم والاقتصاد والاجتماع إلا ما يتصل بالتوجيه الروحى العام فقد أجرت حواراً مع الشيوعية . ويتنازع النظامين الرأسمالى والماركسى السيطرة على العالم ويتصارعان فى أفق عالم الإسلام ولكن أحداً منهما لم يلق القبول فى محيط المسلمين لأنه لا يستطيع أن يحقق الكفاية والأمن ولما كانت الرأسمالية والماركسية كلاهما من منبع واحد بشهادة أصحابها . يقول أحد كتاب الغرب :

إن اسم تروتسكى يعنى أقصى اليسار واسم روتشيلد يعنى الرأسمالية المتطرفة وكلاهما يمثل تموجات العقلية اليهودية وبين هذين المعلمين : مجتمعاً وحضارة فى القرن العشرين ، فالتيار الرأسمالى والتيار الماركسى أبوهما معاً التيار الصهيونى « أما التيار الرابع رغم تمزق رقعته ورغم ضعف موقفه فهو التيار الأصيل ذلك أن الماركسية لم تفلح فى خلال نصف قرن من التطبيق أن تحقق هدفاً واحداً من أهدافها بل كانت فى كل مرحلة تصدر تنازلات عن آرائها وتقبل الواقع ، ولم يتحقق لشعوب المجتمعات الشيوعية الكفاية بين أفرادها ولا تزال تواجه الأزمات وليس الإسلام كالمسيحية فالإسلام نظام كامل يتصل بالروح ويشرع لعالم المادة ومن ثم فلا يمكن أن يقع حوار بين الإسلام وهذه المذاهب ، فهم يملكون منهجاً كاملاً جامعاً قادراً على مواجهة مختلف التحولات والتغيرات .

(٣) ويرى العالم الروسى أندريه سخاروف أبو القنبلة الهيدروجينية فى كتابه (بلادى والعالم) صورة قاتمة لروسيا الشيوعية فيتحدث عن مستوى الأجور المنخفض فى روسيا ، وكيف ينفق الروس الجزء الأكبر من أجورهم على الطعام فى حين أن العامل فى الغرب ينفق ربع دخله على الطعام والباقى على رفاهيته ومدخراته ، هذا مع رداة الخبز ورداءة الأطعمة والتعليم والإضاءة فضلاً عن القيود المفروضة على التنقل داخل البلاد وأشار سخاروف إلى « الإدمان المأساوى » للخمور عند الغالبية العظمى من السكان بما فيهم النساء والشباب ، وإن استهلاك الفرد من الكحول اليوم فى الاتحاد السوفيتى ثلاثة أضعاف ما كان فى روسيا القيصرية ، وإدمان الخمور فى رأيه يجعل الناس أسهل انقياداً ونتيجة لذلك يتساقط عشرة آلاف سكير كل عام ويتجمدون حتى الموت . ويتحدث سخاروف عن السياسة العليا للاتحاد السوفيتى فيقول أنه بالرغم من الموارد الضخمة التى يمتلكها وبعد سبعين عاماً من الجهود الهائلة منها ثلاثين عاماً من السلام المستقر لا تستطيع أن تصل إلى مستوى المعيشة فى الدول المتقدمة . وسر هذا يرجع إلى الإنفاق العسكرى الهائل وتحويل التحركات السوفيتية السرية والعلمية فى جميع أنحاء العالم من الشرق الأوسط إلى أمريكا اللاتينية . . (عن جريدة الأخبار ١١/٢٠/١٩٧٨) ويوجد نصف مليون جاسوس سوفيتى تنفق عشرة آلاف مليون دولار خمسة أمثال الذين يعملون فى مخابرات أمريكا وجميع دول أوروبا الغربية مجتمعين . وتوفير مستويات المعيشة العالية للطبقة المتميزة فى المجمع السوفيتى وتغطية تكاليف الأخطاء الباهظة التى تنتج من طراز الإدارة المتخلف الذى يدير الاقتصاد السوفيتى . ويقول سخاروف : إن المواطنين السوفيت

يخضعون لنوع من التدريب يشبه تدريب الخيول ولذلك فهم يستسلمون خوفاً على حياتهم ، إنهم شعب أسير الخوف . السادة هم الذين تنهب سيارتهم الفارهة المدرعة الشوارع التي أثلّمت من أجّلتهم . ويقول : يخضع الفنانون والكتاب والمثّلون والمدرسون وكل المثقفين لضغط أيدلوجي مخيف وإلى الحد الذي لا يسع المرء إلا يزداد معه عجباً وتحدث عن تأثير العوامل المعادية للفكر على العلوم ، ذلك أن جميع الاتجاهات العلمية والاكتشافات العلمية والتكنولوجية الحديثة قد نمت خارج الاتحاد السوفيتي ، في حين ظهرت على سطح الحياة هناك : الديماغوجية والجهل والدجل والشعوذة . ويقول : إن هناك بين ٢٠٠٠ و ١٠ آلاف مسجون سياسي ، غير من يضطهدون من أجل معتقداتهم الدينية ويؤدى المسجونون السياسيون أعمال السخرة وحكامهم وقد ذهب ضحية هذه السجون والمعتقلات الرهيبة أكثر من ٢٠ مليون شخص منذ قيام الثورة . ويقول : إن الإضطهاد الديني تقليد مخيف في الاتحاد السوفيتي ، ولقد كان الضحايا الأرثوذكس والمسلمين في العشرينات والثلاثينات لا يتبعون تحت حصر . ويقول : إن السياسة السوفيتية هي التي أشعلت النار في الشرق الأوسط واستغلت فكرة القومية العربية على المدى الطويل لإثارة المتاعب والعقبات أمام الدول الغربية في الحصول على البترول وبذلك يتم كسب بفوز عليها وهي خطة وضعت في الكرملين عام ١٩٥٥ .

(٢)

محاولة الماركسية في أفق العالم الإسلامي

وكانت تجربة الغزوة الشيوعية للعالم الإسلامي وللبلاد العربية في الستينات من أخطر الغزوات الشرسة التي حملت معها كل تراث الوثنية والمادية والإباحية وطرحه في مجرى نهر الفكر الإسلامي فضيعة بضيعة رمادية قائمة حاولت التأثير على متطلعاته وأأسسه ، تحت أممابرافقة منها التقدمية والعلمية والأمية وكلها مفاهيم مشبوهة لأنها استحدثت لتحمل بقايا تلميحية قديمة . ولقد كان أخطر ما طرحت هذه الغزوة تلك الفكرة الساذجة التي طرحتها الشيوعية الماركسية في أوروبا وهي رد الدين إلى مجموعة من الخرافات والأساطير ولكنها لم تلبس أثبات تبين أنها أمام حائط صلب لا تهتز لهذه المفاهيم كما اهتز لها الفكر الغربي ذلك لأن الإسلام قام منذ وجوده على حقائق ثابتة فطرية ربانية لم تلعب بها الأهواء ولم تغيرها أيدي كهان أو أجيال . ولقد حاولت الشيوعية في تجربتها اتخاذ أسلوب الخداع والمناورة ، وإخفاء أهدافها وراء عبارات طبيعية مرنة ومن ذلك اعتصامها بكلمة الاشتراكية وكلمة اليسار .

وذلك لتخفى وراءها شيوعيتها وماركسيته اللبينة كذلك فقد كان من أخطر دعاوهم المرحلية فتح باب الحوار مع الدين لخداع الشعوب الإسلامية . ولكن الشيوعية لم تستطع الاعتراف بوجود الله وأنبيائه وكتبه ، وظلت تقرر أن أنبيائهم هم ماركس ولينين وستالين وخروشوف وأعلنت أن إنكار وجود الله ليس أمراً شخصياً ولكنه جذر من استراتيجية الفكر الشيوعي . وكذلك فقد عجزوا عن ستر علاقاتهم بالصهيونية ، فقد تبين من عشرات الوثائق والكتابات الرصينة أن الشيوعية كما ثبت سابقاً هي جناح أيدلوجي للصهيونية العالمية وأن الشيوعية والصهيونية مظهر أن للفكر اليهودي الذي ينادى بالعداء السافر للشعوب وأن لينين منذ عام ١٩٠٢ حضر بإسم الحزب الشيوعي مؤتمر حكاء صهيون واشترك معهم في وضع البروتوكولات . ومن هنا كان موقف الحزبين الشيوعيين في سوريا ولبنان الذي أيد وجود اليهود في فلسطين ودعا إلى حق تقرير مصيرهم بوصفهم أنه في طريق التكوين . ولقد كان كان من الضروري أن يواجه عالم الإسلام كل تجربة في عالم الغرب وأن يتأثر بها حيناً يلتمسها بعض دعاة التجديد الذين يرغبون في اقتباس الأنظمة الخارجية أو الذين تصنعهم رياح السياسة العالمية في طريق التبعية ، وشأن الماركسية في هذا هو شأن الديمقراطية الغربية التي نقلت في العقود السابقة وتبين فشلها وزيفها وعجزها عن العطاء الصحيح في عالم الإسلام ثم جاءت الشيوعية بوصفها تعارض الدول المستعمرة وتؤازر الدول الراحبة في الخروج من فلك الدول الغربية تحت إسم العدل الإجتماعي والخصومة مع الاستعمار في الظاهر ثم لم تنكشف الحقيقة إلا بعد وقت طويل حين عرفت الدول الإسلامية أن لعبة الأمم مقسمة بين الأيدلوجيتين دفعاً وطرحاً وأنه لا فاضل ولا مفضل لأن النظامين الرأسمالي والماركسي خاضعين لقوى أكبر تحركهما في فلك السياسة العالمية : خصومة وتفارباً وأن العالم الإسلامي موضوع بين القوتين كمطعم أساسي بحكم ثروته ونتاجه ووضع الاستراتيجي ومن ثم فقد كانت التجربة الماركسية في العالم الإسلامي وخاصة في (أندونيسيا ومصر وغينيا) أشد فشلاً من التجربة الرأسمالية . ولقد تبين أن الدعوة الشيوعية خارج وطنها تستهدف زرع الفوضى والفساد وقلب الحكومات . ولقد تركزت الحملة على الأديان في عالم الإسلام ، وهي حرب عوان لا هواة فيها غير أن الإسلام ثبت ثبوتاً واضحاً في الميدان وعجزت كل المحاولات عن النيل فيه . ومن هنا كانت دعوتهم إلى التزواج أو الالتقاء بين الإسلام والماركسية وهي دعوى فاسدة سرعان ما تبين زيفها فالماركسية المادية والدين بعامته والإسلام

خاصة لا يمكن أن يمتزجا لأنهما كالزيت والنار . وإذا كانت الدعاية الماركسية قد وجدت تربة خصبة في البلاد الإسلامية المستعمرة المتطلعة إلى التحرر في مرحلة الخمسينات فإن التجربة قد انكشفت بسرعة عن نتائج واضحة لا تدع مجالاً للشك في كذب الإدعاءات والخداع ، وإن كل ما بثته الماركسية بعد أن سيطرت على الصحافة والإعلام والثقافة من سموم على أنها العلاج الناجح الوحيد في القضاء على الاستعمار والتخلف قد ترك آثاراً مريرة ما تزال تحتاج إلى جهود ضخمة للتخلص منها ، وكان من أخطر مؤامرتهم العمل على تزييف الإسلام وتشويه تاريخ الإسلام وذلك لوضعه في وضع ملائم للالتقاء مع الفكر الماركسي الشيوعي ، وقد قام بدور خطير في هذا المجال عبد الرحمن الشرقاوي وأحمد عباس صالح بعد الدور الذي قام به طه حسين من قبل حين مهد لهما الطريق بكتابه (الفتنة الكبرى) وقد عمد الشرقاوي إلى تصوير الرسول مصلحاً بشرياً وألغى صفته النبوية القائمة بالوحي كما قام بتشويه مفهوم البطولة في الحسين شهيداً . وأتهم الرسول في كتابه عنه بأنه اقترب من الخمر والأصنام قبل الدعوة وهو الرسول الذي عصمه الله وحاول عباس صالح تفسير التاريخ الإسلامي على أنه يمين ويسار .

(٢) لقد كانت محاولة الماركسيين لغزو المجتمعات الإسلامية جد خطيرة فقد تكاثفت فيها قوى كثيرة غير القوى المحلية واستخدم فيها فلاسفتهم الذين قدموا إلى العواصم العربية لهذا الغرض وفي مقدمتهم جارودي ورودنسون وسارتر . والهدف هو توسيد الطريق للنفسى أمام المسلم ليرتضى أن يكون مسلماً ومعتقاً للشيوعية وهو محال . يقول الدكتور عماد خفاجي : إن هذه المؤامرة بدأتها روجيه جارودي في كتابه (ماركسية القرن العشرين) حين قال بأن المسلم يستطيع أن يصل إلى الاشتراكية العلمية بدءاً من منطلقات أخرى غير هيغل أو سان سيمن والادعاء بأن الإسلام دين عقيدة أما المذاهب فهي فلسفة واقتصاد واجتماع جاهلين بأن المسلم يؤمن بأن دينه عقيدة وشرعية ونظام مجمع وأنه عقيدة ومذهب في نفس الوقت وأن ذلك المفهوم الانشطاري الذي يعرفه المسيحيون لا ينطبق على الإسلام ذلك أن المسيحية دين لاهوتي عبادى لا يحمل معه نظام مجتمع ولذلك فإن أهلها يلتزمون الأيدلوجيات والنظم البشرية أما المسلم فلا يستطيع أن يعتنق أى أيدلوجية تخرج عن إطار الإسلام وأن الاستشهاد بابن سينا والغزالي وابن رشد هو استشهاد باطل ، فالماركسية ليست من هذا القبيل : وأن المنطلق الفكرى للماركسية يتمثل فيما يطلق عليه في الفكر الفلسفى (المادية الجدلية)

فما هي المادة الجدلية التي انطلقت منها الماركسية وجعلتها منهجاً في التاريخ والاجتماع والاقتصاد وكونت من خلال هذه العقيدة الماركسية التي سادت الأحزاب الشيوعية فالماركسية ترد المادة إلى الاتجاهات القديمة ، إلى نظرية الفيلسوف القديم هرقلط المادية الذي كان يرى أن العالم واحد لم يخلقه إله أو إنسان كان وسوف يظل شعلة حية تتوهج وتنطفئ حسب قوانين معينة . هذا المنطق الماركسي الأساسي يكفر بكل ما تقرره الأديان ويعترف جارودي بالإلحاد الماركسية وبأنها وارثة التراث الإلحادي في القرن الثامن عشر. هذا الذي عناه ماركس في مقدمة أطروحته عام ١٨٤١ بقوله إن الفلسفة تتبنى شعار بروميشوش : أنا ضد كل الآلهة . ويقول جارودي : إن ما يتميز به الإلحاد الماركسي البحث هو أنه على خلاف سابقه لم يكثف باعتبار الدين خديعة فحسب ، اصطنعها المستبدون أو مجرد وهم ولده الجهل بل إن ماركس وانجلز قد بحث في الحاجات الإنسانية التي تلبىها الأديان بهذه الصورة المخادعة « فوصل كما يقول ماركس إلى أن هذه الأديان هي في وقت واحد انعكاس لشقاء الإنسان وضعفه فهي تبدو كمعقدة تفسير للنظام القائم هي تبرير له معاً وهو يستخدم سلاح السلطان ويسمح بتعليم الجماهير أن النظام القائم نظام من إرادة الله وأن الخير أن يستسلم المرء إلى هذا النظام وينقاد له في طواعية وانصياع (الدين أفيون الشعب) . ويقرر المعجم الفلسفي المكتوب من وجهة نظر شيوعية عام ١٩٦٧ : إن الدين أفيون الشعوب وإن الدين الإسلامي يبرر الظلم الاجتماعي ويصد الناس عن الكفاح الثوري ويدفعهم إلى انتظار بليد إلى السعادة في الآخرة . وهكذا فشلت تلك المحاولة الخادعة والمؤامرة الزائفة التي حاكتها الشيوعية لتجد لها طريقها إلى عالم الإسلام وإلى العقل المسلم بالرغم من القصور القائم في المجتمع الإسلامي للتطبيق الإسلامي الصحيح أو الفهم العميق لأصول الإسلام ، فقد كان العلم متيقناً أنه لا يمكن الجمع بين الإسلام والشيوعية وأن محاولة الشيوعية على الصحافة والأعلام والفن لم تستطع هزيمة هذا الإيمان .

(٣) ظنت الشيوعية أنها استطاعت أن تحقق نصراً جديداً بالتوسع في العالم العربي حينما سيطرت على مصر أكبر بلد عربي في السنوات المظلمة الممتدة من ١٩٦٥ إلى ١٩٦٨ حين أخذت في أواخر ١٩٦٤ تخرج الماركسيين من السجون وتوليهم أرق المناصب الإعلامية والصحفية وتترك بين أيديهم الصحافة والسينما والمسرح والأعلام كله . وقد كانت هذه السنوات القليلة كافية لكشف زيف الفكر الماركسي الشيوعي وعجزه عن العطاء وكانت

المحاولة الشيوعية قد بدأت في يوليو ١٩٦١ تحت تأثير إنذار روسي وجه إلى المسئولين وفرض عليهم هذا الاتجاه في الوقت الذي أصبحت الكلمة المسلمة جريمة وقد حوصرت الدعوة الإسلامية تماماً وانحازت بقية من كتاب الإسلام إلى الصمت ، وظهر سمو الفكر الإسلامي وأصالته واستجابته الحقيقية للأشواق التي تحملها النفس المسلمة والعربية ، في هذه الفترة كان الشيوعيون في دور الصحف المسلمة يطبعون القرآن وتفسير القرآن وكتب السنة النبوية لينفقوا منها على مشروعاتهم الإلحادية وظهر أن الكتاب الإسلامي هو الكتاب المكتسح المتداول الذي يتلقفه الجماهير ، وظهر التحدى واضحاً حين أقام المسلمون مساجد الصلاة يوم الجمعة في قلب القاهرة في شارع عماد الدين وعدلى وثروت وفؤاد بالميكروفونات كما أنشئت مئات المساجد في القرى والبلاد بلغت في تعدادها عشرون ألفاً في الوقت الذي لم تكن تملك فيه وزارة الأوقاف سوى ستة آلاف . ولم تكن الصحف الماركسية وغيرها توزع إلا بالأوامر المفروضة على المكاتب السياسية والاتحادات وظهرت أقلام وأصوات عالية هزت الوجود الاجتماعي كله . فهذا ما كتبه عبد الوهاب فايد في الاعتصام وخطب الشيخ كشك ، وكلمات الشيخ محمد الغزالي ، ومع ذلك فقد استشرت تلك السموم التي ألقاها لويس عوض ومحمد سيد أحمد ولطفي الخولي ومحمد عوده وكمال الملاخ ، وعباس صالح ، وغيرهم من الذين سيطروا سيطرة كاملة على المسرح والأعلام والصحافة وقد استعدى الشيوعيين الجهات الرسمية على كل المجالات التي كان لها فكر أصيل كالثقافة والرسالة فوآدوهما ، ولم تبق إلا تلك الكلمات المسمومة التي يكتبها لويس عوض كل أسبوع . وكان أخطر تشكيلات الزيف الماركسي تتمثل في منظمات الشباب التي كانت تعلم الفكر المادى وتقول للشباب أنه لا يوجد في الكون غير المحسوس ، والتي كانت تهزأ بالدين والقرآن والنبوة والوحي (وتعاون الشيوعيين مع مراكز القوى وكان معظمهم من قادة وأعضاء الخلايا السرية ومن أصحاب المخصصات السرية في البنوك وفي عام ١٩٦٥-١٩٦٦ قاد الشيوعيون التنظيم الاشتراكي وأعطوه صبغة الحزب الشيوعي الروسي ، وكان الموجهون السياسيون جميعاً شيوعيون وكانوا يلقبون بالقوة والإكراه طلبة الجامعة والفلاحين والعمال مبادئ كارل ماركس وآراء القوضوى الاشتراكي برودين وقد نفر الحس الشعبي من هذه المفاهيم ولكن الشيوعيين فرضوها كمسلمات فرضاً قهرياً لا رحمة فيه ، ولما رفض الطلاب تقبلها أدخلوا فيها المذهب الحسي المادى ليكون منطلقاً إلى الماركسية ، وجعل الشيوعيون من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية مركزاً للفكر

الشيوعي في مصر ، وبدأت دورات فكرية في معاهد موسكو الخاصة لتخريج دعاة شيوعيين في البلاد النامية (آسيا وأفريقيا) . وقال أحد الشباب (ليسانس حقوق ١٩٦٦) في منظمة الشباب : « ألا يمكن - فرضاً نظرياً - أن يكون واحد - ولو واحد فقط - من بين الخمسين ألف معتقل والذين نكل بهم في السجن الحرب وأبى زعبل وطره بريثاً ، وإذا كان ذلك جائز فلماذا لم تسمح السلطة الحاكمة بعد عشرين شهراً من السجن بإخراج معتقل واحد ولماذا لم يسمح الشيوعيون المسيطرون على أبواق الدعاية بترك مسجون واحد يرفع شكواه » ومع ذلك فقد كتب لطفى الخولى يقول : إن الشيوعية المصرية كانت حامية للحريات وأنه كان يفتح صفحات الطلبة للإسلام والمخالفين للفكر الماركسى عموماً .

(٤) وقد أشار مكسيم ردونسون في كتابه (الماركسية والعالم الإسلامى) إلى أن نشأة الشيوعية الماركسية في البلدان العربية من الحلقات الأجنبية وأنها كانت مقطوعة الصلة منبوذة من الشعب وما زالت رغم تسلم مقاليد أمور الأحزاب الشيوعية للعرب الذين يحملون أسماء مسلمة أو عاشوا بعقلية وسلوك مسلم ولو جغرافياً إلى أن قويت شوكتهم وكثرت اتجاهاتهم . والمعروف أن تسرب الشيوعية بدأ على أيدي اليهود بحضانة الاستعمار ورضاه وأن جهوداً كثيرة مشتركة بذلت في هذا الصدد في البلاد العربية المستعمرة والشرق الأوسط الذى كان موزعاً بين بريطانيا وفرنسا في الفترة التى تآلفت فيها الشيوعية مع الغرب لحساب الصهيونية للقضاء على ألمانيا النازية ، وفي نطاق هذا قامت الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية لخدمة الصهيونية وبدأ تدخل الاتحاد السوفيتى في شئون العرب وقضاياهم تحت شعار الصداقة والمساعدات الاقتصادية والعسكرية والعداء للإستعمار الغربى ، ولا شك أن اليهودية العالمية والقوى الأجنبية (الغرب وفى مقدمته أمريكا) هما اللتان دفعتا بالاتحاد السوفيتى ليكون طرفاً في النزاع والصراع في الشرق الأوسط وذلك حتى تتم لعبة الأمم لتحطيم العرب والمسلمين ، فلولا إسرائيل لما وجد الاتحاد السوفيتى مكاناً بجانب الدول الاستعمارية الغربية ولولا الأنظمة الشيوعية التى أقامتها القوى الغربية لتسهيل مهمة السوفيت في اللعبة لما وجد المجال للماركسية في البلاد العربية والمعروف أن كتاباً غربيون معروفون بولائهم للغرب وللأمريكان هم الذين حملوا لواء الدعوة إلى الماركسية وفي مقدمتهم جلال العظم . ويقول أحد الباحثين أن الشيوعية دخلت العالم الإسلامى لهدفين : أولاً : خلق تيارات ماركسية من المسلمين أنفسهم بتوجيه من اليهود الشيوعيين تنفيذاً للمخطط الصهيونى الشيوعى . ثانياً :

تحطم المجتمع الإسلامى بثورات متعددة متتالية : والواضح أن الصهيونية شرعت فى تنفيذ خططها بعد نجاح الثورة الروسية مباشرة حيث تخلفت عن تحقيق جل هدفها بكامل الدقة ، لأن المد الشيوعى بعد خمسين سنة (٢٠ - ١٩٧٦) وصل إلى جزء من أهدافه ببلوغ كثير من التيارات الماركسية الأخرى من سياسة بلدانها وثقافتها ، ولكن الأحزاب الشيوعية فشلت فشلاً ذريعاً ولم تستطع قط أن تصل إلى الحكم أو تنفيذ رغبات الشيوعية العالمية والصهيونية وظلت منبوذة ومعزولة عن مشاعر الجماهير المسلمة . وقد فهم الماركسيون الشيوعيون بعد الجهود المضنية بأنهم لم يكتسحوا عقول المسلمين وإن اكتسحوا عقول الليبراليين الحاكمين باسم الليبرالية وأنهم لم يغيروا من مجتمع المسلمين وإنما غيروا من مجتمع الليبراليين وأنظمتهم ورغم ما قام به الماركسيون من تهديدهم للإسلام والمجتمع الإسلامى فأقلامهم تنتقد الدين كعمل أساسى لتحطيم المجتمع وتغييره وقد سفهت كتبهم وصحفهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة العقيدة الإسلامية وفجروا حولها الشبهات ورفعوا شعار الدين أفيون الشعوب ولكن عقيدة الإسلام واجهت زيفهم وسومهم بصمود عجب . ولكنهم لم ييأسوا فإنهم حاولوا تغيير أسلوبهم بالدخول فى الإسلام وضربه من الداخل وفى نفس الوقت عملوا إلى الهجوم على الجماعات الإسلامية الواعية وعياً سياسياً وحاولوا إقامة بدائل زائفة من الهيئات والصحف لم تستطع أن تحرز لدى الناس قبولاً أو ثقة . وغاية ما تريد الشيوعية من الشعب المسلم المتدين هى تحويله إلى شعب بلا قيم ولا مثل ولا ماض ولا أصالة . وقد حرصت الشيوعية فى ذلك على أمرين : : على خلق أجواء من الأباحية والفساد الإجتماعى والرشوة وعلب الليل وخلق أجواء موازية لها من الأحقاد والصراع بين الناس ، فى مختلف شؤون العيش ودفعهم دفعاً إلى الجرى وراء أدوات الاستهلاك فى طمع وشره ، كان له أبعد الأثر فى فساد المفاهيم الإجتماعية بين أهل المجتمع الواحد . ثم عمدت الشيوعية إلى رفع شعارات الحق والدم ، وحاولت دفع المجتمع الإسلامى إلى امتهان الكرامة الإنسانية والقيم والأخلاقيات ، ولكن العقيدة الإسلامية كانت عائقاً ضخماً فى وجه هذه المحاولة الخطيرة فقد دعا الإسلام إلى العمل مع المحافظة على إنسانية الإنسان واعتباره ، وكرامته وشخصيته ورفض الضمير الإسلامى الجمعى أن يكون الفرد مجرد ترس فى آلة ، أو رافعة فى منجم ، أو عبداً للتسلل الأخلاق .

(٥) لقد عمدت الشيوعية فى العالم الإسلامى على تقديم أشد سومها خطراً وهى معارضة الدين والأخلاق وتآجيج الحقد فى النفوس وإشعال نيران الصراع بين الطبقات وتحريض

الفقراء على الأغنياء والجهلاء على المنتفعين حتى يتحول الحق إلى ثورة تقضى على الأخضر واليابس وتقوم على آلاف القتل وسفك الدماء ولا يستقر لها قرار إلا في جو الكبت الدائم والتنكيل المستمر بينما يقوم منهج الله الحق على الرحمة التي تعتبرها الشيوعية ضعفاً ، والأمان الذي يقوم على الرحمة والتسامح والأخوة والتعاون . يقول أحد الذين خاضوا التجربة مع الشيوعية : الدكتور مصطفى محمود « إن الصحوة من الحلم كانت حينما سافرنا ورأينا الخراب والبؤس والوجوه الكئيبة المتهجمة في المجر ورومانيا وألمانيا وكافة البلاد الشرقية التي تجرّه في هذا الفلك ولم نجد للرخاء والرفاهية والحرية والفردوس الأرضي أثراً » وكانت الصدمة الثانية الأعظم حينما فتح خروشوف ملف ستالين وأعلن على رؤوس الأشهاد المظالم التي ارتكبتها ستالين والملايين الذين قتلهم في السجون والمعتلات وأعدمهم بالرشاشات وأبقاهم للموت في جليسنيريا وأسلمهم لالات التعذيب بين يدي الجلاد الرهيب برياً . . . » وقد احتاج الأمر إلى سنوات لكي اكتشف أن الفساد ليس من التطبيق « ولكنه في المذهب نفسه وأن تلك الأفكار الثورية لم تكن أكثر من تجسيد وتحريض ودفع لكتل الجماهير نحو ثأر تاريخي العالم من ظلم ليلقى به في ظلم أقبح » . وهذا الذي أعلنه مصطفى محمود هو ما اكتشفه جلال كشك ولعى المطيعي وعبد المغني سعيد في كتابات صريحة واضحة كاشفة تدحض تلك الزبوف التي حاول دهاقنة الشيوعية إلقائها في أفق الفكر الإسلامي والمحاولات المختلفة التي جرى تنفيذها وأخطرها محاولة جارودي في دعوة المسلمين إلى الشيوعية حين أعلن في نوفمبر ١٩٦٩ أن الماركسيين لا يحتقرون هؤلاء الذين يؤمنون بدينهم ولكنهم يمدون إلى هؤلاء المؤمنين يد العون حتى يخرجوهم من مجال ضيق إلى نوع جديد من الإيمان وهو الإيمان العالمي العميق بقيمة الإنسان وكرامته ، هذا هو الهدف الذي نريد إصابته وهو أن الدين أي دين ليس إلا مرحلة من مراحل التطور الإنساني وأنه يمكن أن يتخذ وسيلة يمكن الاستعانة بها لما تنطوى عليه من قيم إنسانية رفيعة لتعجيل مراحل هذا التطور الإنساني ولا ريب أن ما يقوله جارودي لا يخدع المسلمين الذين يعرفون حقيقة الإسلام ، الذي لا يمكن أن يحتاج إلى عطاء جديد يأتي من الماركسيين الملاحدة الذين تمتلئ قلوبهم حقداً على البشرية ورغبة في إيقاد نار الصراع الدموي بين طبقاتها ، هؤلاء الماركسيين المستشارين الذين حين عرفوا أن شباب الإسلام في مصر لم يتقبل النظرية الماركسية نصحووا بتلريس مادة الإلحاد والمذهب المادى في منظمات الشباب والتنظيم الطلابي . والواقع أن ما قاله جارودي زائف وليس صحيحاً

من أنه لا يوجد تناقض بين الإسلام والاشتراكية وكيف يمكن أن يكون هناك بين المنهج الرباني المحرر من كل الأمواء والمطامع والراغب في العطاء الرحيم العادل بين المنهج البشري القائم على الأهواء والمتطلع إلى القضاء على كل قيم الرحمة والعدل والدافع إلى العنف والقسوة والإكراه والثورة المدمرة المخربة وحين يقول ماركس وانجلز في بيانها : أنه لا يمكن تحقيق أهداف الشيوعية إلا بقلب الأحوال الاجتماعية جميعاً بالقوة . أو يقول لينين : أن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء ولكن الشيء الهام أن يصبح الربع الباقي منهم شيوعيون . ولقد وضع أن الشيوعيون لا يستطيعون تحقيق أهدافهم عن طريق الاقتناع بفكر واضح صريح ولكنهم يقيمون خططهم على التآمر والغش والكبد والدس والنفاق وجارودي نفسه هو الذي دعا الماركسيين إلى أن يدخلوا في الإسلام ظاهرياً ويحاربوه من داخله بالحملة على بعض الأوضاع وإثارة الخلاف على النحو الذي عرف في المرحلة التالية يعد أن انتزعت من الشيوعيين سيطرتهم على الأعلام والفن والصحافة . وفي نطاق التجربة المصرية يتبين الآن بوضوح أن الشيوعيون هم مصدر الهزيمة في حرب ١٩٦٧ بمؤامراتهم ومناوراتهم وتنسيقهم مع الصهيونية العالمية حتى لا تستطيع مصر أن تحصل على نصر واضح على إسرائيل . ثم كانت خطط الشيوعية في أجزاء كثيرة من العالم العربي والإسلامي وأفريقيا ومنها تصريح أندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي ١٩٦٧ قبل نكبة حزيران بشهرين حين قال : (بعد انسحاب البريطانيين من اتحاد الجنوب العربي يجب العمل على إنشاء دولة اشتراكية مستقلة لذلك يرى الاتحاد السوفيتي نفسه مضطراً إلى التصرف تجاه أي حل تقرره الأمم المتحدة حيال هذه المنطقة) وقد اعتبر هذا التصريح بمثابة وعد بلفور ماركسي سوفيتي للإنطلاق إلى اليمن والجزيرة العربية برمتها وحين ينظر إلى الموقف جملة منذ اعترف الاتحاد السوفيتي بإسرائيل ١٩٤٨ وحين قدم لها العنوان العسكري الذي مكنها من هزيمة العرب وحين قدم لإسرائيل تلك الأعداد الضخمة من الخبراء المهاجرين وخذل العرب عندما أوقف صفقات الأسلحة المتعاقد عليها كل هذا يكشف بوضوح أبعاد المؤامرة . وقد استهدفت الشيوعية في تعاونها مع الأنظمة العربية والإسلامية العمل على تنفيذ خطة خطيرة في مواجهة الإسلام بوصفه العدو الوحيد الذي يحول دون تقدمها : أولاً : تشويه العقيدة الإسلامية وتقديمها لجمهور المثقفين في صورة منتقصة أو موسومة بالتخلف لا تتناسب مع التقدمية والطموح إلى مواكبة التطور العلمي مع تخدير الإسلام بعبارات طيبة في حق العقيدة الإسلامية التي ساهمت في

مقاومة الاستعمار ولكنها لم تعد صالحة لما بعد ذلك . ثانياً : قمع كل مبادرة للتعلم باللغة العربية ويلدز بنور اليأس في نفوس المثبتين بها واعتبار المطالبة بالتعريب موقفاً غير عملي . وثالثاً : من عاطفة التعلق بالتراث والتزمت والانغلاق عن العصر وإعلاء شأن اللهجات المحلية والتراث السابق للإسلام . ثالثاً : المطالبة بأن تمتد التربية الإلحادية والثقافة الشيوعية إلى فصول رياضة الأطفال بعد أن تركزت ونمت في مراحل التعليم العليا . رابعاً : المبادرة بإلغاء الشريعة الإسلامية في قوانين الأحوال الشخصية والعمل على تفكيك الأسرة المسلمة وتهديم بنيتها وقطع جميع العلاقات الإنسانية (أبوة - أمومة - أخوة - صهر - نسب) بين أعضائها خامساً : المطالبة بمنع قيام الأبوين من القيام بواجبهما في تربية أولادهما عن طريق إنتزاع الأطفال وإلحاقهم بالمؤسسات . . سادساً : إلغاء التزام الزوجة بطاعة زوجها أو معاملة أهله بالمعروف وإلغاء ركني الزواج الأساسيين : الصداق والولي والنفقة الواجبة على الزوج أثناء الزوجية وفي فترة العدة لأن النفقة رمز تفوق الزوج على زوجته مما يتنافى مع الروح التقدمية وقد تبين بوضوح أن التيار الإسلامي وهو الخصم الحقيقي للشيوعية وهو القادر على مواجهة هذه السموم كلها وكشف هذا التيار الذي غيبته القوى المتآزرة ووجهت له في مصر أشرس الضربات حيث صدر في ماسكو الحكم بإعدام عدد قادة الحركة الإسلامية عام ١٩٦٥ هـ .

(٣)

شبهوخة الماركسية

تؤكد الوثائق التي تكشف عنها الأحداث اليوم^(١) أن تجمع على دخول الفكر الماركسي والتجربة الماركسية كلها مرحلة « المحاق » والشيوخة والهزيمة والإنهيار ، فالشبعيون اليوم يواجهون هزائم متوالية في كل مكان في الاتحاد السوفيتي نفسه وفي الغرب الأوربي وفي العالم الإسلامي ففي الاتحاد السوفيتي تبدو هزيمة الفكر الماركسي اللينيني واضحة في التنصل من ماركس ومن الرخصة اللينة ، وهناك تراجع شامل في النظرية والتطبيق وفي الغرب نجد المحاولات الصريحة للتحرر من التطبيق الماركسي اللينيني في تجربة يوغسلافيا وتجربة براغ والأمم يختلف الآن عن عام ١٩٦٨ عندما عبرت دبابات حلف وارسو حدود تشيكوسلوفاكيا من

كل صوب وسحقت التجربة الجريئة تحت جنازيرها (تجربة دوتشيك) أن الأحزاب الشيوعية الأوروبية تعلن اليوم بوضوح وصراحة أنها لا تخضع للكرملين . وقد كشفت بوضوح في كتابات متعددة رفض تنفيذ النموذج المطبق في الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية والدعوة إلى برامج منبثقة من واقع وطنهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وهم يرون أن النموذج السوفيتي قد فشل من الناحية الانسانية خاصة في مجال الحرية الفردية . وقد كشف هذا المعاني كثير من الباحثين في مقدمتهم (سانيا جوكاريلو) في كتابه البوركومبو تزم والدولة (أى الشيوعية الأوروبية والدولة) وأن هذه الأزمة بدأت عام ١٩٥٦ عندما ألقى خروشيف بقنبلته وكشف الحجاب عن فظائع ستالين الأمر الذي أصاب الحركة الشيوعية العالمية بهزة عنيفة أدت إلى إنفصال الصين من الاتحاد السوفيتي عام ١٩٦٠ بعد أن انطلقت منها أيديولوجية خاصة هي الماوية نسبة إلى (ماوتسى تونج) . والآن تولد أيديولوجية جديدة اسمها الشيوعية الأوروبية تنطلق من دول متقدمة اقتصادياً والحريات فيها متوفرة ويرى المراقبون أنها ستكون بعيدة الأثر في تحطيم جدار الحركة الشيوعية . وقد حاول برجنييف جمع شمل الأحزاب الشيوعية بعد إعدام دام سنتين فلما اجتمعت الأحزاب الشيوعية في برلين (يونيو ١٩٧٦) فشل المؤتمر ولم ينجح وبدأت موسكو تواجه انتقادات الأحزاب المنشقة : الأحزاب اليوغسلافية والرومانية والإيطالية والأسبانية وقد أعلنت استقلالها عن موسكو . ولخص ستياجو في كتابه ما يأخذه الشيوعيون الأوروبيون على موسكو فقال إن في موسكو طبقة من البروقراطية للتمتع بسلطة سياسية لا حدود لها إذ أنها تأخذ قراراتها دون استشارة الشعب ولا حتى الحزب . ويقول إن طبيعة المجتمع السوفيتي من شأنها أن تعطل النمو الاقتصادي وبالتالي لن يحقق الاتحاد السوفيتي بوضعه الحالي : الشيوعية ، وأن الخطأ هو أن موسكو اعتبرت الحركة الشيوعية كنيسة وأن موسكو هي الفاتيكان وبالتالي فقد شنت واشنطن هجوماً شديداً على الشيوعية الأوروبية . أما في داخل روسيا فإن الأمر أشد خطورة : يقول أحد المراقبين في تقرير يصف هذا التحول : « إن موسكو الآن تعاني من ثورة عارمة تمردت فيها فصائل اليسار على قيادة الكرملين وقد بدت على السطح مرحلة من المواجهة الساخنة بين الاتحاد السوفيتي وبين التيار المتصاعد للحركة القومية داخل الأحزاب الشيوعية سواء في ذلك الأحزاب الأحرار الأوروبية في فرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال ، أو الأحزاب الآسيوية في الهند وسري لانكا وكوريا واليابان . هذا التيار المتصاعد يشكل الانقلاب النهائي للحركة الدولية في قبضة الكرملين .

وهو الأمر الذى بدت بواكيره الأولى بانشقاق يوغسلافيا ١٩٤٨ ثم أعقبه الانشطار الآخر بالانشقاق الصينى ١٩٦٠ وموضع الخطر بالنسبة لموسكو هو أن انتشار الثورة على (الكرمليين) من جانب الأحزاب الشيوعية فى أوروبا الغربية سوف يؤدى إلى تعقيدات خطيرة عبر الامبراطورية الروسية فى أوروبا الشرقية بالذات حيث تمسك فيالق الجيش الروسى لضمان السيطرة الروسية على دول الستار الحديدى وقد أثبتت التقارير أن للسوفيت واحد وثلاثين فيلقاً من جيوشها المدرية فى دول أوروبا الشرقية وهى آمنة فكيف تكون حاجتها إذا إنتشرت الثورة فى الإمبراطورية الروسية كرد فعل لتمرد الأحزاب الشيوعية الغربية على سيطرة الكرمليين . إن الخطر الذى يواجه القيادة السوفيتية بفقدانها للعالم الشيوعى ليس مجرد خطر سياسى أو سيكولوجى فحسب ولكنه خطر ينطوى على كثير من التعقيدات العسكرية والاستراتيجية بصورة أشد ، ذلك أن موسكو مقبلة اليوم على مرحلة تقع بين محظورين : بين عالم شيوعى قد رفعها عالم رأسمالى لم يقبلها والنتيجة المحتوية هى العزلة العسكرية والسياسية على السواء . وهذه أولى ملامح التغير المرتقب فى ميزان القوى . ويكشف المراقبون أن نتيجة هذا كله هو أن تراجعت الماركسية اللينينة تراجعاً كاملاً فى النظرية والتطبيق وأن عملية التراجع شملت بلدانها تقريباً أولاً : يوغسلافيا ورومانيا . ثانياً : تشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبولندا . ثالثاً : مناطق يسيطر عليها الاتحاد السوفى سيطرة مباشرة : ألمانيا الشرقية وبلغاريا . رابعاً : حركة المشقين والأصوات المطالبة بالتغيير يعلو صوتها وتلقى قمعاً صارماً من السلطات . وفى الصين : أعلن رئيس وزراء الصين أن المعسكر الاشتراكى أصبح شيئاً لا وجود له ، وأن الصين تنتمى إلى دول العالم الثالث وقال إن الوجود الأمريكى فى آسيا مهم لنا وذلك لموازنة النفوذ السوفيتى المتزايد وفى الصين يبنون القومية الصينية ويتركون الروح المحلى ويغلبون الإقليمية على الأمية الشيوعية . وبذلك انهزمت كل تصريحات الأمية والوحدة والطبقة والمادية المحلية وتقهقر الفكر الشيوعى فى غرب أوروبا وارتبط بالفشل فى التطبيق العملى فى شرق أوروبا الذى كشف عن أخطاء النظرية وخيالاتها وضلالها وكذلك فشلت التجربة الاشتراكية فى مصر والعراق والسودان وأندونيسيا وترايبيا وغيرها وتراجعت أكثر البلدان فى مجال التطبيق الاشتراكى وشهد النصف الثانى من القرن العشرين النهاية الحاسمة للشيوعية فكراً وممارسة . وهذه النهاية جاءت على أيدي الشيوعيين أنفسهم فى نفس الوقت الذى انهار فيه النظام الرأسمالى .

(٢) يقول الأستاذ لمى المطيعي جاءت الذكرى السنوية لثورة أكتوبر الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي ١٩٧٧ والخلاف حاد ومستحكم بين الصين وروسيا وينمو اتجاه مستقبل محاييد إزاء الصراع الصيني السوفيتي يتمثل في يوغسلافيا وكوريا وفيتنام ورومانيا وداخل الدول الشيوعية يتصاعد اتجاه الاستغلال من النفوذ السوفيتي ، وفي داخل الاتحاد السوفيتي تظهر حركة المنشقين التي تمتد لتشمل عناصر مرمقة من الكتاب والمفكرين وهناك الشيوعية الأوروبية التي ترفع لواء التمرد على حق الاتحاد السوفيتي في السيادة الفكرية على الأحزاب الشيوعية الأخرى وتعلن التحلي عن مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا وتؤيد الديمقراطية البرلمانية وكل هذه الأفكار خروج صريح على قيادة ثورة أكتوبر وخروج واضح على أفكار ماركس ولينين التقليدية . وتعد ثورة أكتوبر : النموذج العملي لتطبيق الماركسية اللينينية ومن هذا المنطلق أعلن المؤتمر الأول للكونغرس (٧ مارس ١٩١٩) الشروط الأساسية ومن هذه الشروط الأساسية الوصول إلى السلطة بالعنف الثوري وتأييد الاتحاد السوفيتي دون تحفظ . ولم يدر بذهن ماركس ولا بذهن لينين أن يأتي يوم تنسك فيه أحزاب شيوعية لمبادئ الولاء المطلق للاتحاد السوفيتي وديكتاتورية البروليتاريا والعنف الثوري (وقد أعلن الحزبان الشيوعيان الفرنسي والإيطالي التحلي عن مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا وإمكانية الوصول إلى السلطة عن طريق الانتخابات البرلمانية) . وهناك الخلاف بين الصين الشعبية وبين روسيا منذ عام ١٩٥٦ وعدم التقيد بنموذج التجربة السوفيتية أو توجهات الاتحاد السوفيتي وما أعلنه (سانتاجو كاريللو) في أسبانيا من أن النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي نظام لا يصلح للتطبيق في المجتمع الأوروبي المتقدم . ويرى السوفيت أن الشيوعية الأوروبية تمثل تهديداً مباشراً لنفوذهم أخطر من أي تهديد سياسي يمثله الرأسماليون الأوروبيون ، كما يعد اتجاه الشيوعية الأوروبية أخطر انشقاق في صفوف الشيوعية الدولية في العصر الحديث وإن مؤتمر برلين الشرقية قد انتهى هزيمة ساحقة للفكرة السوفياتية التي كانت تقوم على مبدأ قيادة الاتحاد السوفيتي للحركة الشيوعية العالمية » وقد تبني مؤتمر الأحزاب الشيوعية وثيقة جديدة لتحديد العلاقات بين الأحزاب تنص على المساواة والسيادة والاستقلال لكل من هذه الأحزاب وعدم تدخلها في الشؤون العامة على أن يطور كل حزب لنفسه ذاتياً وهذا يعني سقوط قيادة الاتحاد السوفيتي للأحزاب الشيوعية ، وهذا هو التمزق الجديد بعد التمزقات التي مضت ، ماركسيان وشيوعيتان في الصين وروسيا ، ثم أخذت دول أوروبا تتخلص أولاً بأول من نفوذ القيادة الروسية (تيتويوغسلافيا ، رومانيا تشوسيسكو) وهاهو انشقاق الأحزاب الأوروبية عن الفكرة الماركسية اللينينية

كعقيدة ومبدأ والاتحاد السوفيتي كقيادة . هذا وقد أخذ بريق الماركسية بعد مائة وخمسين عاماً من عمرها ينطوي ولم يعد من المسلم به القول بأن الماركسية دين لا يخطئ أو أنها تنفرد بالوحدانية في التنمية الاقتصادية . إن التطبيق الحرفي لافكار انبعثت في ظروف القرن التاسع عشر لابد أن تؤدي إلى موقف رجعي في النصف الثاني من القرن العشرين حيث التقدم العلمى والتكنولوجى المذهل . وقد ثبت أن المادية العلمية والماركسية اللينينة قد فشلت بعد هذا العمر الطويل في أن تكون وسيلة للتفكير .

(٣) ويقول الدكتور مهدي بن عبود : بعد أن تناول بالبحث هذا الطور الخطير من الشيوعية : أن الماركسيون اليوم يدركون أن الشيوعية نوع من الإكراه الذي لا يقوم إلا في فترات الشيخوخة عند الأمم أو شيخوخة الحضارات المتمثل في ذلك الرعب المنشر تدريجياً بين الأفراد ضمن العائلة الواحدة يقول المفكر الفرنسي ديبلسى في كتابه حياة الحضارات وموتها : إن الشيوعية بدلا من أن تكون نقطة بداية هي في الواقع نقطة نهاية لنوع حضارى ، ولهذا يصفها الغرب بكلمة « الأزمة » فهي نوع من أنواع الأزمات في القرنين ١٩ ، ٢٠ بدلا من أن تكون ترياقاً أو علاجاً وقال إن تركيز السلطة في الدولة عرض من أعراض الشيخوخة لهذه الدولة وللفترة الزمنية التي تعيش فيها . يقول ومع هذا فإن القوى التلمودية الصهيونية ما تزال تدفع الدول السوفيتية إلى السبق العسكرى في مجال الصواريخ والتفوق البحرى على النحو الذى تورده وكالات الأنباء ووفقاً لتصريح كبار رجال الحكومة الحفية الذى أعلن أن الحرب العالمية الأولى صنعت الدولة الشيوعية وأن الحرب العالمية الثانية وضعتها على مستوى أقوى الدول الغربية وأن الطريق أصبح ممهداً لحرب عالمية ثالثة تسيطر فيها الشيوعية الصهيونية وقد تنافست القوتين الشيوعية البلشفية والرأسمالية الغربية خلال ما بعد الحرب العالمية الثانية بما انتهى إلى سياسة الوفاق وقد واجه العالم الإسلامى كلا القوتين وانكشف فساد الأيدلوجية الغربية كما تبين فساد الأيدلوجية الشيوعية . وأصبح العالم الإسلامى والبلاد العربية اليوم تتجه إلى تحقيق نظام إسلامى يستمد كيانه من الشريعة الإسلامية وتطبيقات الاقتصاد الإسلامى والنظام السياسى الإسلامى .

(٤) وتحدث الان دراسات الباحثين والمعلقين والمراقبين عن شيخوخة الماركسية وهزيمتها لويتسائل أندري أمانريك في كتاب له : تحت عنوان هل يبقى الاتحاد السوفيتى حياً حتى عام

١٩٨٤ وهو الكتاب الذى تنبأ فيه بأن النظام الشيوعى سوف يتفكك وينحل نتيجة الاختناقات الاقتصادية والعدواة القومية وكذلك بسبب نشوب حرب مع الصين الشعبية وقد نشر الكتاب فى عدة دول غربية عام ١٩٧٠ . كذلك فقد أجرت مجلة يو : اس نيوز أف وورلد الأمريكية (١٩٧٦) استطلاعاً لمجموعة من كبار السياسيين فى الحكومة الأمريكية فيما ينتظر الحركة الشيوعية العالمية خلال الحقبة القادمة ، وقد تكهن هؤلاء المعلقون السياسيون بأن التصدع المستمر والتفكك المضطرب سوف يكونان السمة البارزة للحركة الشيوعية الدولية خلال السنوات العشر القادمة وتحدث التعليقات عن أن الخلاف الأيدلوجى العميق الذى دب بين موسكو وبكين بمثابة بداية النهاية للحركة الشيوعية بغض النظر عن يتولى السلطة فى بكين وموسكو وأن الشيوعية تتعرض للتفكك خلال السنوات القادمة . وقد أشارت برقيات بكين (١٩٧٧.١٣.٣١) إلى ما أسمته هزائم متوالية للسوفيت فى العالم العربى فأعلنت أن دولاً فى العالم العربى أعلنت رفضها ومقاومتها للسيطرة السوفيتية خلال عام ١٩٧٧ فقد ألغت مصر والصومال معاهدتى الصداقة مع الاتحاد السوفيتى وقد اضطر الاتحاد السوفيتى نتيجة لذلك إلى الانسحاب من المراكز الاستراتيجية من قناة السويس ومدخل البحر الأحمر . وقد جاءت هزيمة الاتحاد السوفيتى بعد أن عانى العرب من تدخل السوفيت وسيطرتهم وتحريضهم .

(٥) يقول وحيد محمد عبد الحميد : لقد اضطرت الشيوعية فى مؤتمر الحزب الفرنسى (فبراير ١٩٧٦) إلى إلغاء النص على ديكتاتورية البروليتاريا وكان جورج مارشيه سكرتير الحزب فى كتابه التحدى الديمقراطى قد عارض هذا المصطلح وطالب بإلغائه ، وكذلك طرح الحزب الشيوعى الإيطالى صيغة التسوية التاريخية القائمة على استيعاب التيارات الثلاث الرئيسية فى المجتمع الإيطالى ، وهى الكاثوليكية والاشتراكية والشيوعية . وهذا فى حد ذاته يعبر عن أزمة حقيقية يعانى منها الفكر الماركسى اليوم فى ظروف الثلث الأخير من القرن العشرين : أزمة تناقض بين المقولات النظرية التى كان الماركسيون يعدونها إلى وقت قريب فى عداد المسلّمات وبين الواقع السياسى ومقتضيات الحركة السياسية فى المجتمعات الليبرالية التى تأصلت فيها قيم الديمقراطية إلى حد أصبح من الصعب إن لم يكن من المستحيل اقتلاعها . لقد توارى الحديث عن الاستيلاء على السلطة بالعنف أو الانتفاضة المسلحة التى تميز الأدب الماركسى فى الثلث الأول من هذا القرن ليحل محله الحديث عن الأسلوب البرلمانى . هذه الأزمة ليست مجرد أزمة تناقض ذاتية محصورة داخل كل مجتمع على حدة وإنما هى ذات بعد عالمى هام

يشرك آثاراً واضحة وخطيرة على الحركة الشيوعية العالمية في مجملها وبالذات على علاقات هذه الأحزاب بالاتحاد السوفيتي الذي كان يمثل إلى وقت قريب محور الحركة الشيوعية العالمية . نقول وهكذا أصبحت « ظاهرة تقلص دائرة النفوذ السوفيتية في البلاد الشيوعية حقيقة قائمة ونحن الذين نرفض الأيدولوجيات الغربية : رأسمالية وشيوعية إنما نعرض لهذه الظاهرة لنكشف عن فساد هذه الأيدولوجيات ونضاربها وأنهارها في القريب بعد أن فقدت مسببات وجودها ولم تستطع أن تحقق شيئاً للشعوب التي تطلعت عليها أول الأمر وظنت أنها ستقدم لهم الفردوس الأرضي ، كذلك فهي تصحح مفاهيم العرب الذين تصوروا عندما أدخلوا الاتحاد السوفيتي إلى الشرق الأوسط عام ١٩٥٥ أنه سيساعدهم على تحرير نصف فلسطين فاكشفوا بعد اثني عشر عاماً أنه ساعدهم على إضاعة كل فلسطين .

(٦) أعلن ولتر روستو وشلبرنجر وريمون أرون أن كل النظريات ومنها الاشتراكية العلمية قد عني عليها الزمن وأن السيادة قد انتقلت الآن إلى الأفكار . وكتب أرون تحت عنوان (نهاية الأيدولوجية وبداية النهضة الجديدة للأفكار) : لقد سبق العالم كل الأيدولوجيات القديمة ليصل إلى استراتيجية عالمية أكثر مرونة وحيوية ، وأدان الأيدولوجية الاشتراكية العلمية التي تعبر عن مصالح الطبقة العامة والجماهير الكادحة وقد أصبحت مجموعة من العقائد الجامدة التي تتعارض مع الواقع . وقد أصبحت فكرة الصراع الطبقي باعتبارها الوسيلة الوحيدة لتحقيق مصالح الجماهير الكادحة وقال رستو : إنه يمكن للبلاد المتخلفة أن تتقدم بطريقة مرضية دون نظرية الاشتراكية . وكشفت كتابات أخرى كثيرة عن أن الاشتراكية الماركسية والشيوعية هما إسمان لمسمى واحد ، وإن بدا اليوم أن كل منهما يمثل مذهباً خاصاً إلى حد النضال والخصومة ، والفرق بين الاشتراكية والشيوعية أن الاشتراكية ترمي في النهاية إلى الشيوع بينما ترى الشيوعية أن جميع الثروات الاجتماعية مجموع يستهلك الفرد منه بقدر ما يسد جميع حاجاته وليس فقط بقدر ما يناسب خدماته . ولقد كانت باطلة تلك الدعوى التي حاولت أن تنسب إلى الإسلام مفهوماً اشتراكياً على هذا النحو فإن الإسلام لم يعرف الاشتراكية بمعناها الحديث ، ذلك أن الإسلام من الناحية الاقتصادية يحمي الملكية الشخصية ويحيطها بكل الضمانات الشرعية ويحمي حرية الفرد في الطموح والعمل ويحمي ثمرات عمله وتحصيله ولا يسمح للدولة أن تتدخل في حرية الفرد الاقتصادية إلا في أضيق الحدود ومن الحق أن نظرة الإسلام إلى المال ليست نظرة الرأسمالية ولا نظرة الاشتراكية فالملكية للمال

في الإسلام ملكية خاصة ومنفعة المال الخاصة فيه منفعة عامة وتقوم هذه النظرة على مبدئين : (المبدأ الأول) : استخلاف الإنسان في الحياة الدنيا على المال وتفويضه عن المالك الحقيقي وهو الله تبارك وتعالى في جمعه وتنميته واستثماره وإتفاقه وعلى هذا المبدأ تتأصل الملكية الخاصة للمال أي تكون هي الأصل ولا تخرج عن هذا الأصل إلا للضرورة : كضرورة الحفاظ على وحدة الأمة ، (المبدأ الثاني) : إن منفعة هذا المال الخاص هي منفعة عامة للمالك ولفترة من أصحاب الحاجة في الأمة أي لا تستتبع الملكية الخاصة للمال : المنفعة الخاصة به للمالكه . فالإسلام يجعل المال مملوكاً للفرد ، ولا يلغى الأغنياء ، ولا الدافع الفردي ولا يسحق الفقراء أو يظلمهم : ففي الإسلام الزكاة والصدقة فإذا لم تنهض الزكاة بحاجة المسلمين وبقى منهم محتاج فللحاكم أن يأخذ من مال الله لفقراء الله . والناس متفاوتون في الرزق أو في المال ولهم مستويات مختلفة في ملكية المال .

(٧) كشفت كتابات كثيرة إرتباط الفكر الشيوعي بالصهيونية ، وفي مقدمة هذه الأعمال والدليل الوثيق عليها كتاب محمد سيد أحمد المريب « بعد أن تسكت المدافع » الذي يقترح وضع المال العربي في يد الرأسماليين اليهود . وهو خيط من خيوط مختلفة تتصل بمحاولات الماركسيين العرب في خداع المسلمين والعرب بمحاولة الجمع بين الماركسية والإسلام أو بين الصهيونية والعرب وكل هذا يتطابق مع المعروف تاريخياً من أن ماركس هو تلميذ مؤسس للنظرية الصهيونية (موشه هيس) وأي ماركس هو حفيد الحاخام مردخاي ثم إن فكرة الطليعة الشيوعية هي اسم عصري لفكرة استعلاء شعب الله المختار ويتصل بهذا أن لينين أصدر إبان الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ قراراتين يوضحان العلاقة الوثيقة بين الشيوعية والصهيونية هما . (أولاً) العداء لليهود جريمة يعاقب عليها القانون . (ثانياً) تأييد الحق الكامل لليهود في بناء وطن لهم في فلسطين وأن هذا قد ارتبط بالمؤامرة على الخلافة الإسلامية منذ قيام الانقلاب الماسوني بقيادة الاتحاديين أولاً ثم بقيادة أتاتورك . ولا شيء يزعمج الشيوعية مثل ما يزعمجها المد الإسلامي ، وقد أشارت الصحف إلى ما انتاب الكرملين (يوليو ١٩٧٤) من موجات القلق والتوجس بسبب تزايد انتشار اعتناق الإسلام في الأطراف المترامية على الحدود الروسية وذيوع مبادئ وتعاليم الإسلام ، فقد دفع الغضب من هذه الموجة قادة الحزب الشيوعي لاتخاذ إجراءات عنيفة لصدا تيارات هذه الموجة ووقف مدعها المتزايد سواء في داخل الاتحاد أو في الدول الموالية له في منطقة جنوبي شرق آسيا إلى درجة إلقاء القبض

على كل من أعلن إسلامه ثم صدر الحكم بإعدامه وأكدت الأنباء التي تسربت رغم التشديد بعدم نشرها أن من يصدر عليه الحكم بإعدامه بتهمة اعتناق الإسلام كان يتغنى فرحاً وهو يساق إلى ساحة الإعدام ويردد مزهواً : (لا إله إلا الله . محمد رسول الله) . كما أصدرت قيادة الحزب الشيوعي أوامرها بضرب القوى التي يشيع فيها اعتناق الإسلام وإعدام أهلها وحرق دورهم بالقنابل وتكليف مائة طائرة حربية بالمهمة الوحشية لإبادة القرى التي أعلن الإسلام فإن وكالة (رويتر) ذكرت أن عدداً كبيراً من أعضاء الحزب الشيوعي في إقليم (أوزهاريا) المتاخم للحدود التركية قد أعلنوا اعتناقهم لدين الإسلام وأقاموا شعائره الدينية وأن عدد المسلمين في المنطقة المظلمة على البحر الأسود في تزايد . وما تزال الأيام تكشف كذلك تمزق العلاقات السوفيتية مع الدول العربية بعد أن رفع القناع عن وجهه - قالت صحيفة لورو الفرنسية (عن الأخبار ٢١ أغسطس ١٩٧٧) أن الاتحاد السوفيتي يواجه معارضة من جانب الذين قدم لهم بعض المساعدات أو الذين أرادوا فرض نظامه الاقتصادي والسياسي على شعوب عرفت بروحها التحريرية وقد اتضح فشله الذريع في شمال أفريقيا والشرق الأوسط وبدأ العالم العربي في الابتعاد عنه ففي غضون أربع سنوات فقدت السوفيت مواقع هامة تتمثل في مصر والسودان ثم اليمن الشمالية والصومال وموريتانيا .

(٤)

البقطة الإسلامية تكشف الزيف

كشفت حركة البقطة الإسلامية فساد النظرية التي طرحتها الشيوعية في أفق الفكر الإسلامي وهي أنه لا الشيوعية ولا الماركسية يمكن أن تقيم بينها وبين الإسلام أى لقاء أو تعارف ، لأن كليهما اتباع فكر بشري بينما الإسلام منهج رباني بل إن مجرد المقاومة بينهما لا تصح علمياً إذ كيف يمكن المقارنة بين رأى من نتاج عقل بشري - والعقل البشري يخطئ ويصيب وله أهواءه وتصوره - وبين تنزيل إلهي ، فالإسلام فوق اليمين واليسار والتقدم والرجعية ، ذلك أن الشيوعية إنما جاءت رداً على تحديات الرأسمالية فهي تصلح بالمقارنة إليها ، لاتصالها به وصراعها معه ، أما الإسلام فهو شيء آخر ، بعيد عن هذه عن هذه الصراعات والمقابلات فالشيوعية قامت بحجة مواجهة مجتمع صناعي ، وفي المجتمع الصناعي عنصران : عنصر العمل وعنصر رأس المال . ونحن أمام نظريتين متعارضتين بدت كل منهما على طرف النقيض من الأخرى ، وهما مع مرور الزمن لم يتدابرا ، بل اقتربت

النظريات ، وكلا النظريتين خطأ ، والصواب هو النقطة التي يدعى كل منهما أنه يسمى إليها ، أما الإسلام فإنه يقدم الحقيقة الناصية ، وقد أثبت الواقع التطبيقى خطأ الرأسمالية لأنها لا تصلح نظاماً للحياة وخطأ الاشتراكية لأنها لا تصلح نظاماً للحياة . فى الرأسمالية فكر بشرى أخطأ ويحاول تصحيح نفسه فى التطبيق أما فى الإسلام فإن الذى قدم لنا المنهج حمائاً من خطأ التطبيق . وكشف بطلان النظرية الاقتصادية الرأسمالية والماركسية السواء .

وإذا وجدنا فى مجتمعنا الإسلامى ضعف أو خلل فمعنى ذلك أن تطبيقنا كان خطأ أو أننا لا نطبق ما أمر الله به ، وإذا وجدنا ضعفاً أو خللاً فلا بد أن حداً من حدود الله قد عطل . لقد جاء الإسلام ليجعل الغنى سخياً وليرفع همة الفقير عن السؤال ، ولقد جفت ينباع الخير فى البلاد التى أخذت بالشيوعية وتعطلت بالمواهب وسيطرت فئات بالعرف والعنف على أهل البلاد وشاع الفساد وضعفت المههم ، ولقد تبين أن الادعاء بالاشتراكية هو أقصر طريق للحكم ، لذلك يسير وراءها هوة الحكم والراغبون فى السطرة ، ينشرون البغضاء بين الطبقات تحت شعار تحرير الشعوب . ولقد تبين أنه من الأكاذيب القول بأن الاشتراكية يمكن أن تشكل سداً أمام الزحف الشيوعى لأنها تحقق العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة الوطنية ذلك أن الاستعمار الجديد يعتبر الشيوعية إحدى أدواته الحاسمة ولا تلك الاشتراكية إلا أن تكون جزءاً من التيار العالمى المرتبط بموسكو وبكين . ولا ريب أن أخطر أخطار الاشتراكية تحويل ولاء المواطنين من الدين أو الأرض نحو الطبقة وقد دعا خروشوف المصربين إلى أن تكون الاشتراكية هى أساس الوحدة العربية وليس القومية . وقد كشفت حركة اليقظة الإسلامية : استحالة التنسيق بين الإسلام باعتباره وحياً من الله سبحانه وتعالى وبين الماركسية بما تقوم عليه من إنكار لوجود الله وبما ترتكز عليه من تفسير مادى لأصل الكون ولحركة التاريخ وأن الماركسية تنتهى فى التطبيق إلى تحطيم الفرد والمجتمع عقيدة وأخلاقاً وقد أهابت المؤتمرات الإسلامية المتعددة بالعمل على وقاية أبناء المسلمين من أخطار هذا المذهب والعمل على سد الطرق والمفارق التى يسلكها العمل على استبعاد أصحابه ومحاربة أفكارهم فى أجهزة الأعلام والتربية فى المدارس والمعاهد والجامعات . كذلك تعددت الأبحاث الجادة التى تكشف عن الفراق العميقة بين الإسلام والاشتراكية باعتبار أن الإسلام عقيدة والاشتراكية نظام اقتصادى وأنه لا وجه للمقارنة بينهما فالماركسية فكر بشرى والإسلام دين الله الحق ، والفكر البشرى يجوز عليه الصواب والخطأ والصلاحية لزمان دون زمان . وأن قيم الإسلام

أصلية ثابتة لا يجوز تجاوزها وأن فكرة كون الإسلام يتجدد أو يخضع لعامل الزمن في تطوره هي فكرة استعمارية فالمبادئ القطعية الأساسية في الشريعة لا تقبل التطور : كإداء الأمانات والحقوق إلى أصحابها والتزام العدالة في القضاء والشهادة والتراضي في العقود وقمع الإجرام وسد الذرائع إلى الانحراف . وهذه الأصول الثابتة التي يقوم عليها الإسلام تجعل من العسير على دعاة المذاهب : ماركسية وشيوعية وديموقراطية أن يصلوا معه إلى شيء ، لأنهم يتحركون في إطار دغوات مرتبطة بعصور معينة أو بيئات معينة ، تختلف باختلافها وتعتبر بتغيرها بينما يقف الإسلام كالطود قادراً على مواجهة مختلف ظروف البيئات والعصور . ولا ريب أن هذه المحاولات ترمى إلى سلخ المنهج الإسلامي من صفته الربائية العالمية الجامعة وجعله إقليسياً أو قومياً بهدف الإجهاد على الشخصية الإسلامية التي تستمد وجودها من هذا المنهج فهو على لسان القوميين نهضة عربية في عصر من عصور التاريخ ، وهو على لسان الماركسيين ثورة تمثل مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني القائم على أساس التفسير المادي ، والغرض من هذه التعابير المسمومة هو القول بالباطل بأن هذه الرسالة الخالدة العالمية شأنها كسائر النظريات الوضعية خاضعة لظروف الزمان والمكان وليست بالرسالة الخالدة التي تكسب هذا الخلود من مصادرها الرباني وكما لها المطلق .

(٢) وكشفت حركة اليقظة الإسلامية عن أن تجربة الصداقة الروسية في سنواتها العشر كانت مرحلة حرث لبني إسرائيل كما تقول الدكتور بنيت الشاطي : « تسجل وثائق تاريخنا الحديث أن البولشفية كانت تعتمد على خدمات اليهود وأن نشاطها كان مسابراً لمراحل البرنامج الصهيوني لتحقيق علم بني إسرائيل على أرض المعاد ، السنوات العشر السابقة على قرار التقسيم (٣٧ - ٤٧) شهد ما يشبه موجة مد شيوعي تكلفت مؤسسات وأفراد من اليهود بتوجيهه وتمويله . وفي مصر كانت دار الكاتب المصري للطباعة والنشر منطوقة لخدمة الفكر الإسلامي وإثرائه بترجمات لروائع الدراسات اليهودية للإسلام مثل كتاب اليهودي المجري جولد سيهر عن الشريعة والعقيدة في الإسلام . كانت مكتبة اليهودي كوريل مركزاً لتوجيه الحركة الشيوعية في مصر والسودان وتمويل شعبها وكانت تحمل اسم (دار القرن العشرين) شعاراً للتقدمية وإعلاناً عن عصريتها ودعوة جذابة للشباب الذين كانوا يلتزمون زاداً عصرياً ، قدمت بضاعتها وليس فيها كتاباً عن الصهيونية بل الزاد كله من أدب الدعاية الروسية والفكر الصهيوني باللغات الثلاث . كذلك حملت الخلايا الشيوعية والجمعيات

اليسارية ومجلاتها أسماء (الفجر - البعث - الجديد - الطلبة - الضمير - جماعة البحث العلمى دار الأبحاث العلمية ، النادى التقدمى) وكانوا زملاء دراسة فى الجامعة ليسوا عندى بموضع ريبة أو اتهام . ولقد تبين أن الفكر الماركسى : رجعى متخلف وأن نسج أصحابه بدعوى العصرية فهو يقوم على عبادة الزعماء وإصرارهم على الحج إلى قبر لينين ، أما الإسلام فإنه يفرض حرية الكلمة إلزاماً بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والساكت عن الحق شيطان أخرس ، فهل يباح لمفكر روسى أن يعجره بنقد عمل أو قول لقادة المذهب وهل يسمح لمواطن أن يرفض المذهب . أن الشيوعية قد جحدت الأديان ثم ما لبثت أن صيرت المذهب عقيدة وديناً فهل كانت القضية أن يستبدل الإنسان العبودية لخالفه وحده عبودية لأرباب من البشر . الشيوعية كشفت سوات رجال من الكهوف وبشرت بتحرر الشيوعية من إعلامهم ثم ما لبثت أن أفرزت طبقة من الكهان أخرى ، من الرهبان والأخبار ، فهل كانت القضية أن يبدل الإنسان براسبوتين عشرات ومئات من أمثاله . ولقد توقعت أن ينحسر مد الإلحادية المادية بعد أن يبلغ ذروة العنفوان أو ليس من طبيعة الأشياء أن يغفل الإنسان فى عقله عن زيف نقدية تحكى صدى ما قبل عصر الطوفان وخدع عصرية تتطور بالإنسان إلى ما دون الآدمية . وتقول الدكتور بنت الشاطىء : هل درينا حقاً أن السنوات العشر للصدقة الروسية ٥٧-٦٧ كانت مرحلة حرث لبنى إسرائيل ، فيما ألقت من بذور سامة فى الموقع الفكرى ، فى محاضرات المثقفين الماركسيين وأغاني المطربين والمطربات وما أنتجت العبقريات الفنية من قصص ومسرحيات وقصائد للكتاب والشعراء الذين جاروا التيار وداروا مع الريح ، ومن فتاوى الذين تطوعوا بالتوفيق بين الشيوعية والإسلام وأفواج من شباب جامعاتنا قادة الغد أوفدوا إلى دول شيوعية بعثت للدراسات العليا . أن أغلب من تجردوا لفضح سنوات الشيوعية كانوا من كتاب مرحلة ما قبل التصحيح على امتداد عشر سنوات حين كان هم القيادة السياسية إقناع الشعب بما ربحته صداقة الروس : بناء السد العالى ومشروعات التنمية والتقدم والنفوذ السياسى فى الدفاع بالمحافل الدولية عن حقنا الشرق ورفض الصهيونية ووضع أسلحته المتطورة فى خدمة معركة التحرير وأخذ دعاة الماركسية دورهم القيادى فى مجال الإعلام والتبشير ومراكز التوجيه الأدبى والفكرى فظهروا وكأنتهم وحدهم المثقفون ودعاة التجديد وحواة التقدم وكل من عداهم متخلفون رجعيون يجتروا من تاريخ الإسلام وعلومه أفكاراً بالية ، حتى انتهت تلك المرحلة حصادها المشئوم فى الخامس من يونيه ١٩٦٧

ولم تكن ندرى أنها مرحلة حرت لبني إسرائيل ودفعنا ثمن الصداقة الروسية باهظاً من شرفنا وأمتنا ومن أرضنا ودمائنا .

(٣) وتكشف الوثائق لعبة السلاح السوفيتي في تحقيق حلم بطرس الأكبر في الوصول إلى البلاد الإسلامية والعربية . يقول الأستاذ محمود الدرة : كان من سوء حظ الأمة العربية أن يفكر قادتها بعيوبهم وبالشعارات التي لفقها وزينها لهم الدجالون ليلعبوا لعبتهم الخطيرة على الحصان الخاسر فاعتمدوا لجيوشهم الثورية على السلاح السوفيتي في صراعهم مع عدوهم الإسرائيلي . وجاءت سنة ١٩٦٧ التي برزت على سطحها ظاهرة ضرب طبول الحرب الفارغة عند العرب لتضرب إسرائيل ضربتها القاصحة للظهور حالما أنار لها جونسون رئيس الولايات المتحدة الضوء الأخضر وصحونا على أنفسنا صبيحة (٥ يونيو) الأسود صحوة عبدالله الصغير الذي بكى على ملكه الذي أضاعه بيده في الأندلس فتوصل الضمير العالمي بعودة أرضنا المحتلة لننهي صراعنا مع إسرائيل . لقد كسب الاتحاد السوفيتي عن طريق أعوانه في عراق عبدالكريم قاسم وسوريا (صلاح جديد) وحقق لنفسه حلم بطرس الأكبر بالوصول إلى المياه الدافئة بلا ثمن يذكر ثم حقق ما هو أبعد من حلم ذلك القيصر فأقام قواعد عسكرية على شواطئ البحر المتوسط وفي قلب الشمال الأفريقي ثم بث نفوذه العسكري والسياسي والاقتصادي والعائدي في أكبر من موقع في الوطن العربي مقابل ما قدمه لمصر من سلاح ومضانع أخذ ثمنها أو من رهن انتاج مصر لما تبقى من الثمن » والذي قاله كل الباحثون والمراجعون هو أن عبد الناصر أول من فتح للشوعية باب المشرق العربي الذي أدى إلى وصول هذا النفوذ الآن إلى القرن الاتريقي والبحر العربي المسيطر على شبه الجزيرة العربية ودول الخليج وإيران والعراق . ثم رأى بنفسه كيف خذله الروس وعرضوه للهزيمة ومنعوه من بله المعركة يوم ٥ يونيو حتى بدأتها إسرائيل وألحقت بالعرب أضخم هزيمة في تاريخهم الحديث . فإذا ربطنا هذا بلور الاتحاد السوفيتي من أجل إيجاد إسرائيل وبقائها وتوسعها ، عرفنا مدى الدور الذي قامت به الشيوعية في هزيمة العرب وتأبيد الصهيونية وإسرائيل ، لقد اعترفت روسيا وإسرائيل في الدقائق الأولى لقيامها ١٩٤٨ وأمدتها بالأسلحة عن طريق تشيكوسلوفاكيا وأمدتها بعشرين ألف مقاتل . ولما أعطت روسيا للعرب أسلحة دفاعية أدى هذا إلى أن تعطى الولايات المتحدة لإسرائيل أحدث ألوان الأسلحة الهجومية وكانت الموازنة أن يعطى لإسرائيل ما يفوق ما يعطى للدول ما العربية جميعاً حتى تظل إسرائيل متفوقة على العرب ، وكان

لدور رسيا الخفى من أجل التوسع الإسرائيلى ١٩٦٧ أنها هى التى أخبرت مصر كذباً بوجود
 حشود إسرائيلية على حدود سوريا وهى التى طلبت من مصر ألا تبدأ الحرب قبل فجر ٥ يونيو
 وهذا يكشف عن التنسيق الشيوعى الصهيونى ويكشف كثير من الباحثين حقيقة لا تقبل
 النقص وهى أن تسلل روسيا والشيوعية إلى البلاد العربية والإسلام جاء نتيجة لطبيعة
 السياسة الغربية وكراهيتها الدفينة للإسلام والمسلمين ، ذلك أن الغرب يعد (الأمة الإسلامية)
 شركة لا صاحب لها وهو يتحكم فى علاقتها بدينها ويرغمها على ترك ما يرى من شرائعها
 وإخفاء ما يكره من شعائره .

(٤) كشف الدكتور مصطفى محمود أخطاء الماركسية بعد أن اتصل بها اتصالاً وثيقاً
 ثم نبذها فى عدة عناصر : أولاً : اعتمد ماركس فى استنباط نظريته عن التاريخ عن بعض
 مراحل تاريخية دون الأخرى فكان ينتقى من التاريخ ما يوافق هواه ويهمل ما يتناقض
 فكرة وليس للقوانين التى استخرجها صفة الإطلاق على التاريخ كله ولا تصدق عليها صفة
 القوانين إنما هى تلفيقات وأقوى البراهين على ذلك نشأة الإسلام فلم يكن الإسلام قط من
 إفراز النظام الطبقي فى قريش ولم يكن ديناً رجعياً يحفظ للظالمين المستبدين أمواهم وامتيازاتهم
 ولم يكن مخدراً للفقراء ، دافعاً لهم قبول فقرهم ، فقد دعا الإسلام إلى التمتع بالحياة فى
 اعتدال ودعا إلى قتال الظالمين المستغلين ، ولم يأت الإسلام نتيجة انقلاب مناظر فى نظام
 الإنتاج وعلاقات الإنتاج فى قريش وإنما جاء كظاهرة قومية مستقلة عن البيئة وقد جاء
 الإسلام من البداية مقررراً المساواة فى الفرص وضمان حق الكفاية للمواطن وتحقيق التوازن
 الاقتصادى بين الفرد والجماعة وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد
 الحر الموجه وجاء بكل ذلك فى الجزيرة العربية فى وقت لم تكن ظروف الإنتاج وعلاقات
 الإنتاج تدعو إليه بحيث يمكن أن نقول أن ما حدث كان انبثاقاً من واقع اقتصادى وتحدى
 بذلك منطق الماركسية التاريخى وحساباتها المادية التى تحتم انبثاق كل انقلاب سياسى من
 انقلاب مناظر فى الإنتاج وعلاقاته . ثانياً : حرمانه من الحافز الدينى والمبدأ الروحى ،
 والدين كما هو معلوم يمد الإنسان بأعظم طاقة ليضحى ويبذل بلا حذود عن طيب خاطر
 فقد سلبت الشيوعية الجنة من الإنسان وسرقت منه الخلود فلم يعد يتحمس لشيء . ثالثاً : العامل
 الاقتصادى الواحد الذى جعل منه ماركس إلهاً تصلر عنه كل الأشياء وسبباً واحداً تتداعى من
 وراءه كل التغيرات التاريخية والحضارة فيما يسميه بالتفسير المادى للتاريخ. هذه الفكرة قد

قد سقطت علمياً والرأى السائد الآن أن في ميدان الظواهر الاجتماعية لا يوجد سبب واحد مستقل منفصل ، وفاعل يولد النتائج والظواهر الثانوية وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر في تولد النتائج والظواهر الثانوية وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر في بعضها تأثيرات متقابلة والعامل الإقتصادي بهذا لا يصلح أن يكون إلهاً تصير عنه الأشياء وإنما هناك العامل (القوي ، النفسى ، العنصرى ، العقائدى) يمكن أن تشكل التاريخ بأقوى مما يشكله العامل الإقتصادي رابعاً : كانت دكتاتورية البروليتاريا انتقالاتاً بالمجتمع من ظلم طبق إلى ظلم طبق آخر استبدل الاستغلال باستغلال آخر أشمل وأسوأ وأهم وكان ماركس مبالغاً أشد المبالغة في تلك الحالة الأسطورية التى أضفها على البروليتاريا (طبقة العمل) في كلامه . لقد أقام ماركس نظريته على ظروف القرن التاسع عشر الصناعية المختلفة من حيث أن العامل هو عامل يدوى كادح مطحون مسحق لا يكاد يجد لقمة ولم يتصور ما ستحدثه ثورة العلم والتكنولوجيا في القرن العشرين حيث أصبح العامل رجل مرفه يجلس أمام أزرار وآلات الكترونية ومن ورائه نقابات عمالية وقوانين للتأمين ضد العجز والشيخوخة والمرض تحفظ له حقه . وأن الطبقة العاملة إنشقت إلى طبقتين متناقضتين : نتيجة تفاوت الدخل هما العمال المؤهلون والعمال غير المؤهلين . والنتيجة هي انفصال الفكر الماركسى عن واقع القرن الذى نعيشه ورجعته وتخليقه قياساً إلى ظروف عصرنا . خامساً : تعسف الماركسية وإدعائها أنها فكرٌ شموليٌ يجلوب على كل شيء ويبتكر الحل لكل شيء ويفتح كل باب ثم ادعائها ختمية قوانينها والمعروف أنه لا ختمية في الأمور الإنسانية لأن الناس ليسوا جمادات مثل كرات البليارد ولا هم آلات صماء كتروس الساعات يمكن حساب حركتها والقول بحتميتها والتنبؤ بها . (١) لهذا أخطأ فقال بخروج الشيوعية من مجتمع صناعي رأسمالي متقدم مثل إنجلترا والمانيا فكذب التاريخ وخرخت الشيوعية في بلد زراعي متخلف (٢) وتنبأ باتساع هوة الخلاف بين البرجوازية والبروليتاريا في الدول الرأسمالية بشكل مضطرد إلى أن يتفاهم الوضع إلى ثورة تقلب العالم كله ولكن ما حدث في المجتمعات الرأسمالية كان العكس ، فهو مزيد من التفاوت بين الطبقات عقب سلسلة من الإجراءات الإصلاحية في حين اطلق الصراع وتفاقم بين دول العالم الإشتراكي نفسه كالصين وروسيا . (٣) تنبأ بازدياد تمركز رموس الأموال في احتكارات هائلة يزداد معها غنى الأغنياء وفقير الفقراء ولكن الذى حدث كان اتجاهها إلى تفتيت رموس الأموال عن طريق الشركات المساهمة وتفتيت الملكيات الزراعية من تلقاء نفسها بالميراث .

(٤) تنبأ ماركس بالأزمة الاقتصادية اللاحقة التي تسمح النظام الرأسمالي بسبب إزدياد إجمالي الإنتاج عن معدل الطلب والقدرة الشرائية نتيجة فقر العمال المدقع ، ولكن الملاحظ إلى الآن أن كل أزمات الرأسمالية ذات طابع عرضي . (٥) أخطأ ماركس في نظريته عن فائض الإنتاج وقال إن أجر العامل في النظام الرأسمالي يتحدد على أساس الحد الأدنى اللازم لمعيشته ولكن الواقع كذب هذه التقديرات بفضل التشريعات الجديدة والتعديلات التي أدخلها النظام الرأسمالي على نفسه فارتفع أجر العامل في دول أوربية كثيرة إلى مستوى رخاء ملحوظ سبق بها زميله في الدول الاشتراكية . (٦) حاولت الرأسمالية أن تحمي نفسها بالتعصب وإطلاق الشعارات وادعاء العلمية والتقدمية واتهام المخالفين في أخلاقهم (خونة رجعيون متعصبون) فأصبح الشيوعي مثلاً للجمود والتزمت وضيق الأفق والتبعية في الرأي والصلافة والغلظة .

سادساً : أدى التطبيق الشامل حيناً طبق وفي أي بلد إلى هبوط في الإنتاج وإلى كارثة اقتصادية قول خرشوف (إن البقرة التي يملكها صاحبها تدر من اللبن أكثر من البقرة التي تملكها الدولة) قد هدم نظرية ماركس في التأميم والملكية والاشتراكية وقد جر التأميم وراءه :

اللامبالاة والإهمال والكسل والبيروقراطية وسوء الإنتاج . وقد خرجوا بفلسفة الحوافز إزاء الروتين . لكن الحوافز لم تفعل شيئاً بل كانت نوعاً من الرشوة أدت إلى طمع من يأخذ وحقد من لا يأخذ . ورأينا روسيا التي تملك أكبر حقول القمح في أكرانيا تطلب القمح من أمريكا وتطلب خبراء الصناعات من أمريكا وتفتح بلادها للمصانع الأمريكية لفروع البنوك الأمريكية وبعد أن نزعوا ملكية المواطن الروسي سمحوا بالملكية والاستثمار لرأس المال الأمريكي . إن التأميم قد حكم عليه بالفشل ، وأن الفساد في المبدأ وليس في التطبيق لأنه مضاد للفطرة وأن الحضارة من فكر وفن وصناعة هي في النهاية ثمرة ملكات أفراد ومواهب أفراد وتطلعات أفراد وإذا حرمانها مجالها الحر وسجنائها في البؤس وروتين بلا طموح انتهت إلى الكسل والعقم . وتبين أن نظام التأميم يسد كل أبواب الرزق ولا يبقى للناس شيئاً . وأن ضمان اللقمة يتطلب الانتهازية والتملق ، وبذلك يتحول المجتمع إلى غابة من الناس يأكل بعضهم بعضاً . إن الصراع الطبقي بين الفلاح وصاحب الأرض والعامل وصاحب العمل ينشر كما تنتشر النار في الهشيم فيتحول إلى تمزق المجتمع إلى ملايين يطعن بعضهم بعضاً وإلى جبهات متقاتلة متباعدة يقول تروتسكي : إن بين شكوى الفرد وطموحه وضعاً نفسياً فيه كثير من كوامن الحقد والحقد هو أسهل معاول الصراع الطبقي . فالماركسية تقرر شرعية

الحقد بين المخربين وشرعية استخدامه لقلب المجتمعات . إن التأميم الذى انتزع المصانع من خمسة أو ستة رأسمالين سلمها إلى مائة ألف لص فى المؤسسات والجمعيات فالعيب فى صلب النظرية وليس فى التطبيق . ويدعون أن للماركسية بعداً روحياً وينسون كلمة لينين القاطعة « إننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف كل المعوقة أن أبواب الكنيسة والإقطاعيين والبرجوازيين لا يخاطبهم باسم الله إلا استغلالاً » وعندهم أن الأخلاق والدين خدعة برجوازية تستر وراءها البرجوازية من أجل مطامعها وكلها شعارات تهيج وتحريض يتداولها المخربون فى الدول النامية وتقوم الماركسية على إنكار الإرادة الإلهية القائمة وراء هذه العوامل المادية وإنكار أثرها فى التاريخ والدين فى نظر الماركسية هو المخدر للفقراء وأفقيون الشعوب وقد جعل ماركس القضاء على الأديان على رأس مخططه وبدأت الثورة البلشفية بهدم المساجد والكنائس وإحراق الأنجيل والمصاحف واعتقال رجال الدين وإلغاء التربية الدينية من المدارس وتدريس الإلحاد والماركسية كمادة إجبارية للأطفال والكبار .

(٥) ولقد كشف الباحثون المسلمون جوانب الفساد والزيف فى النظرية الماركسية والتنظيم الشيوعى . وكانت كتابات الدكتور إبراهيم دسوقى أباطة غاية فى القوة والعمق فقد أشار إلى أن ماركس لم يقل غير نصف الحقيقة أما نصفها الآخر فقد جهله وعجز عن استيعابه : « عندما يجيء ماركس بعد قرون ليقول بأن الرأسمالية تعول على الاستغلال وأن الرأسمالى عندما يصادر على العامل حقه فى فائض القيمة فهو لا يقبل ذلك عن قصد منه أو سوء نية وإنما هو مدفوع دفعاً بالنظام للرأسمالى لأن الاستغلال تعبير ذوطبيعة لاصقة بذلك النظام . وعندما يجيء ماركس ليقول هذا فهو لا يقول سوى نصف الحقيقة ، أما النصف الآخر فيمكن فى البناء المادى للرأسمالية الذى يجعل من الربح الحافز وتحرير الإنسان من نوازه وقيمه ليرده إنساناً اقتصادياً . » وليس صحيحاً أن الاستغلال سمة نظام دون نظام (الشيوعية والرأسمالية) وإنما ابتناء النظام الرأسمالى على القيم المادية وإهداره للقيم الروحية هو الذى يؤدى إلى قيام الاستغلال واستفحاله . « فالاستفحال شعور مصدره النفس عندما تتحرر من ضوابطها الروحية فستسقط فى إفساد المادة وتحيل الإنسان فى النهاية إلى عبد يتحرك بتوجيهها وبحكم قوانينها . كذلك فإن الجبرية الاقتصادية التى سقطت فيها الماركسية لا تقل بشاعة وظلماً من الجبرية المادية الرأسمالية فكلاهما رغم تباعد الشقة يحكم إلى المادة ويقيد الإنسان فى دائرتها . وكلاهما

مردود إلى النبع المادى . « ولن يخشى الاستغلال إلا بعودة الإنسان إلى إنسانيته إلى فطرته وإلى الجبل التى جبله الله عليها والاعتراف بتركيبه الحقيقى ، أى بآئنه مادة وروح وكل نظام يبنى على أساس المادة فهو نظام فاسد مهما دلت دقة تنظيمه ومهما حقق من رفاهية مادية لأعضائه » . ويقول : إنه بينما يستخدم الخيرون الدنيا حتى ينالوا السعادة من الله ، يرغب الأشرار على العكس استخدام « الله » حتى يتلذذوا بالحياة الدنيا . ويصل الباحثون إلى تعرية الماركسية وكشف فساد جوانب أخرى منها . وخاصة الجانب الخلقى الإنسانى الذى تهاجمه الماركسية بقوة وتحاول تدميره تماماً . ويرى ماركس أن النظم الخلقية ليست إلا خدعاً وبتناً افتراء الرأسماليون فالأخلاق عنده كل ما يؤدى إلى هدم المجتمع الاستغلال وأن الغاية فى رأيه تبرر الوسيلة فكل وسيلة يستعين بها لهدم المجتمع الاستغلال مشروعة . ويرى أنجلز أن واضعى القيم الأخلاقية هم الدجالون وهذا لا ينقص شيئاً عن شريعة الغاب وعن مفاهيم أشد الطوائف البشرية توحشاً وفساداً وهو ما عرفته الفلسفات البائدة القديمة كذلك فإن الماركسية تقول إن النساء كانت مشاعة فى عهد البشرية الألى ثم تكونت الأسرة بفعل علاقة الإنتاج ولذلك فإن النساء والأبناء علاقات إنتاجية صرفة بعيداً عن الصفة الإنسانية البشرية ولذلك فقد دعت الماركسية إلى القضاء على العائلة باعتبارها دعامة المجتمع الرأسمالى ولذلك يجب تحطيمها والقضاء عليها إذ أن الحب الحرفى نظرهم ينوب عنها ويقوم مقام الزواج ومن قولهم فى هدم الأسرة : إن إشاعة البغاء العلى تقضى على الأسرة . ويرى ماركس أن الدين وما يشتمل من اعتقاد فى وجود الله تبارك وتعالى والخلق والشرائع يراها هذه كلها ماركس بناء زائفاً لإقامته ظروف الإنتاج لتعكس مصالح الطبقة المسيطرة فالقانون والأخلاق والدين أوهام رأسمالية ولا وجود لله (تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً) والحياة مادة بحتة وعندما حمل الماركسيون أفكارهم هذه إلى بلاد الإسلام والبلاد العربية كانوا يحملونها تحت سم التحرر ومحاربة الاستعمار والإقطاع ثم كان إغرائهم للشباب والطلبة والفتيات للدخول فى خلاياهم قائم على إشاعة الفساد الاجتماعى ودعوة الشباب إلى نبذ العادات والتقاليد ومحاربة القيم الاجتماعية على أنها شعارات من عمل الرجعية والإمبريالية فلا توجد هناك نظم اجتماعية ولا تربية خلقية ولا احترام متبادل ولا دعائم أسرية ولا حرمان ولا قيود دينية ثم أحلوا لهم تناو كل شىء فأموال الأغنياء من حقهم ومتعة النساء مباحة . وقالوا إن الدين هو فى المسجد ومن خصوصيات الإنسان ولا علاقة له بالحياة . إن القرآن كان النظام المناسب قبل

مئات السنين لأعراب البادية أما في العصر الحاضر فالمادة هي الأساس . ولقد كان لهذه الأفكار آثارها البعيدة المدى التي هزت الكيان الاجتماعي الإسلامي وعرضته لخطر شديد ولقد حملت حركة اليقظة الإسلامية على هذه المفاهيم الكاذبة والسموم الفاسدة وكشفت عن زيف هذه الدعاوى وبطلانها . واستطاعت أن تقدم مجموعة من الحقائق الأساسية :

(أولاً) كشف الصلة العضوية بين الصهيونية والشيوعية والصلة الجذرية بين الرأسمالية والماركسية والصلة العميقة بين قوى الاستعمار واليهودية والماركسية . وأن الرأسمالية والماركسية هما من منبع واحد والاقتصاد هو معبود اليوم وعجله الذهبي والبنوك معابده وقد تبين في أفق العالم الإسلامي عجزهما عن إرضاء النفس البشرية والاستجابة لداعي الحق (ثانياً) إن الماركسية التي أراد ماركس أن يواجه بها ظروف القرن التاسع عشر المتخلفة وأوضاع العامل البدوي الكادح المطحون لا تصلح علمياً لمواجهة ظروف القرن العشرين حيث قلبت ثورة التكنولوجيا جميع الموازين وخلقت طبقة جديدة من العمال المرفهين ومن خلفهم قوانين للتأمين تحميهم ضد العجز والشيخوخة والمرض . (ثالثاً) لم يمحض على ظهور الشيوعية سوى نصف قرن حتى أخذت التناقضات تدب وأزداد طغيانها بين معتنقي الفكرة أنفسهم وانحرف بها لينين حين أجاز الملكية الفردية بشكل محدود . (رابعاً) أثبتت الدراسات العلمية أنها لا تستهدف إنقاذ الطبقة المحرومة أو الفقيرة ولكنها الأثرة والكرهية للبشرية مستمدة من كراهية اليهودية التلمودية لها وأن الصراع الطبقي هو مظلة الشيوعية . ويستهدف تأجيج نار الخلاف والخصومة والقتال بين المجتمعات . (خامساً) إن تجربة ماركس قاصرة على التاريخ الغربي وحده في العصر الذي عاش فيه ولا يستطيع أن يتجاوزه إلى التطبيق على التاريخ البشري كله ولا يصلح للتطبيق على التاريخ الإسلامي أصلاً ، وهذا هو الذي جعل الماركسية مذهباً ناقصاً لم يلبث بعد قليل أن أهار وتمزق واحتاج إلى تعديل وتعديل دون أن يكون قائماً على استيعاب النفس الإنسانية وتحقيق هدفها في الحياة . (سادساً) تبين أن النظرية المادية الخالصة تحجب عالماً كاملاً من الفكر والنفس والروح وأن العالم لن يستطيع أن يقيم نظامه الاجتماعي على أساس المادة لأن ذلك مخالف لطبائع الأشياء ونواميس الكون وأن عالم الفكر وقيم النفس والروح لها آثار بعيدة المدى . (سابعاً) تجاوز مذهب ماركس في تفسير الحياة أو المجتمع أو التاريخ كثيراً من الحقائق القائمة الواضحة وخاصة في افتراض أن السبب الاقتصادي هو السبب الأول المقدم على كل الأسباب ، كذلك فإن اعتماد الماركسية على

إحدى نظريات العلم التي تبين فسادها من بعد قد أحاطها إلى شيء عاجز ومغلق ، ذلك أن
أن مفترضات العلم ما لبثت أن تغيرت فانهارت القاعدة التي قامت عليها النظرية . وقد أدى
ذلك إلى إعادة التغيير والتنقيح والتعديل للنظرية يوماً بعد يوم دون القدرة على الوقوف
عند حد محدود . ذلك أن نظرية ماركس قامت في ظل طغيان العلم والظن بأنه قادر على أن
يقول الكلمة الأخيرة في كل شيء ثم تبين للعلماء أن العلم محدود القدرة وأنه لا يستطيع أن
يتجاوز ظواهر الأشياء . (ثامناً) لم تتحقق النبوءات التي قدمتها الماركسية بعد ستين عاماً
عاماً من التطبيق وملايين الضحايا الذين ضاعوا نفياً وقتلاً وتعذيباً . وقد أخطأ ماركس
في الاعتقاد بأن تاريخ البشرية عملية واحدة لا تتكرر وتخضع لقوانين يمكن اكتشافها .
(تاسعاً) تبين أن الماركسية فلسفة مرحاية ورد فعل للرأسمالية وأن القول بأن الشيوعية علم
أو أن الماركسية علمية هو تجاوز كبير وكذب على العالم ذلك أن الحقيقة العلمية هي ما
تقرره المعامل . وأن التفسير المادى ليس هو التفسير الوحيد ولا العام الجامع وأن هناك التفسير
الجنسى والتفسير النفسى والتفسير الجغرافى وهناك عوامل أخرى لها أثرها في تاريخ الإنسان
المادية والإقتصادية ولقد كان العامل الدينى ولا يزال من أبرز عوامل التأثير في حركة التاريخ
(عاشراً) تبين أن الشيوعية تقدم تحت ستار الخداع صورة الصديق الميعن لتمكين لنفسها
وتثبيت أقدامها . وقد خدع هذا البريق الزائف أنظار بعض شبابنا لعدم وجود حصانة من
فكر إسلامي يحول دون دخول أى فكر غريب إلى ضمائرهم أو دون الانبهار بأى فكر
واقف . (حادى عشر) تبين أن مذهب ماركس هو رد فعل لحالة المجتمع الأوروبى ، وأن مفهوم
الماركسية هو شطر مكمل للنظرية الرأسمالية ، وأن وجهة نظر ماركس في الدين مستمدة من
فهمه للمسيحية وتاريخها وليس للدين بصفة عامة . وأن تجربة ماركس قاصرة على مرحلة
واحدة من التاريخ الغربى هو العصر الذى عاشه وهى لا تستطيع أن تتجاوزه إلى أن تكون
تطبيقاً على التاريخ البشرى كله ولا تصلح لأن تجد مجالاً للتطبيق على التاريخ الإسلامى .
وقد اعترف جارودى بإلحاد الماركسية وأنها وارثة التراث الإلحادى في القرن الثامن عشر حيث
تبنى ماركس شعار بروميشوش : (أنا ضد كل الالهة) وقد تبين خطأ الماركسية في القول بأن
انهيار النظام الرأسمالى وشيك الوقوع فضلاً عن أنها لم تستطيع تخليص المجتمع الإقتصادى
من كل مساوئ الرأسمالية وأن التجربة التي أقامتها في المجتمع الشيوعية لم تحقق الكفاية
بين أفرادها وبرغم المذهبين لم تطبق الماركسية بشمولها حتى في روسيا ذاتها . كما تبين أن

فساد النظام الرأسمالي هو الذى خلق الماركسية والشيوعية وقد فوتت الرأسمالية على الشيوعية هدفها حين حققت للعمال آمالهم وما يزال الفقر متفشياً في البلاد الشيوعية . (ثاني عشر) . إن أخطر جوانب الشيوعية أنها دعوة مادية : تستهدف الإغراق في الشهوات والمتاع والأهواء على حساب القيم والمقومات الأصيلة للشخصية الإنسانية وللأمم ذات الأصالة ، وأن هدف نشر الماركسية إنما هو العمل على تدمير هذه الأمم وأفرادها بتحويل أنظارتهم نحو المادية والمتعة والترف والأنانية والصراع حول العالم والذات وإلغاء الارتباط بالأخلاق والتراث والماضي كله . وقد جاءت الأديان لتحرير الإنسان من هذه المظاهر التي هي من طفولة البشرية دفعاً للأمم إلى الرشد الإنساني والتحول من الأنانية إلى الغيرية ومن الفردية إلى الإنسانية ومن المطامع والأهواء إلى الإيمان وحماية الحدود والضوابط التي وضعها الدين الحق ورعاية مقاييس الحلال والحرام وإلى العمل على بناء المجتمع الرباني والسعى في الدنيا لتحقيق العدل والرحمة . وهكذا يرى الباحثون وهم صادقون أن هدف الشيوعية الأول هو إغراق الشعوب في الانحلال تحت أسماء التقدم والعصرية والعلم والحضارة وإن الغاية من هذا هو خدمة هدف أصيل لليهودية التلمودية التي تستهدف السيطرة العالمية بعد تدمير المجتمعات البشرية . (ثالث عشر) كشف كتاب حركة البقطة الإسلامية عن أن الشيوعية تعارض الفطرة والعلم وطبائع الأشياء ومصادر الأفكار والعقول وأنها مضادة للطبيعة الإنسانية في أفرادها الذين منحهم الله حق التفكير . وتجاهل الروح وهو شطر الحياة وإنكار لرسالتها الحققة ، وإنكار ما ليس مشاهداً أو محسوساً (إنكار وجود الله والبعث والنشور والجزاء والحساب) والنظر إلى الفرد كأنه شريحة أو صامولة في آلة ودعوى جبرية الإنسان القادر الذي حرره الإسلام من كل قيد إلا قيد الإيمان وعملها على فسخ الفطرة الإنسانية ومحاربة التقدم (سابع عشر) إن من أكبر أخطائها إصرارها على أن تكون فكراً شمولياً يشمل العقيدة . والمجتمع والحضارة والتاريخ وإغلاق الباب تماماً على أى تجربة أو تغيير بالرغم من الصدع المستمر الذى يصيب النظرية ومع اختلاف هذا كله مع الإسلام وخطأها في تصنيف الناس ، إما رأسمالين يمينيين أو يساريين ماركسيين ولا شيء آخر ، هذا مع اختلاف ذلك كله مع مفهوم الإسلام الجامع الذى يفتح باب الاجتهاد أمام الأجيال والعصور فضلاً عن مواسمته التامة للفطرة والعلم ولطبائع الأشياء واتخاذها من عديد من العوامل وأهمها العوامل الروحية المعنوية والدينية إلى جوار الاقتصاد والمادية أساساً لتفسير التاريخ (خامس عشر) تبين أن الوقائع التي اعتمدت

عليها النظرية في إقامة فرضياتها : انتقائية بمعنى أنها جمعت وقائع وافقت الأهواء وتركت وقائع تتعارض مع اتجاهها » فهي لم تستوعب التاريخ كله دراسة إياه مسببة منه ما استظهرت واكتفت ببعض عصوره مغلبة عصوراً على أخرى ووقائع على أخرى لأنها تفسد عليها هواها ، فهي عملية مصطنعة لم تقم على أساس التجرد العلمي ، ذلك لأن المادية التاريخية مادة خادعة وهي بطبيعتها متعددة المصادر ومتناقضة ومتضاربة ولا يمكن استيفائها كلها ولا جمعها كلها يبين كاف (سادس عشر) كان أخطر ما أحدثه المذهب الشيوعي تلك المعركة الطاحنة بين طبقات المجتمع فطبعها بطابع صراع لازمه واتسم معه . صراع في الداخل وصراع في الخارج فقادة الشيوعية وروادها متصارعون فيما بينهم ، ويطغى بعضهم على بعض ويحاول كل منهم أن يستأثر بالسلطة دون سواه مع أنهم يقولون بالقيادة الجماعية وكذلك رفضها التعاون مع المذاهب والنظم الأخرى حتى مع الاشتراكية التي تمت إليها بسبب ومن أوضح صور الصراع : النزاع بين روسيا والصين ولم تستطع الشيوعيات المعاصرة حتى الآن أن ترفع مستوى معيشة الفرد بدرجة محسوسة ، ولا يزال مستواه دون مستوى غيره في البلاد المتقدمة وبالرغم من أن الشيوعية تحارب مفهوم الفردية والتألية والتدين فإنها تقوم على عبادة الأشخاص وتقديسهم وقد حرمت الإنسان من غذائه الروحي ووقفت عند الماديات وألغت التدين وهو جزء هام من حياة الإنسان (سابع عشر) كان الشيوعيون يقولون إن الشيوعية هي شباب العالم واليوم يدركون تدريجياً بأنها نوع من الإكراه الذي لا يقوم إلا في فترات الشيخوخة عند الأمم أو شيخوخة الحضارات . ذلك أنها تقوم على إكراه الحزب الواحد المرفوع فوق الرؤوس مع الإرهاب العسكري والرعب المنتشر تدريجياً بين الأفراد ضمن الوحدة (ثامن عشر) لقد أصدر ماركس حكماً عاماً ظالماً على الأديان دون أي دراسة للدين الإسلامي وبمجرد استقراء محدود للمسيحية في أوروبا وبذلك وقع في خطأ فاحش ولذلك فإن إنكارهم للأديان ما عدا اليهودية كان ضارياً وحرهم للإسلام أشد عنفاً . (تاسع عشر) تبين أن للممارسة ظاهراً وباطناً : الظاهر هو الدعوة البراقة التي تتحدث عن العدالة ونقل الثروة من أيدي الأغنياء إلى أيدي الفقراء والباطن فهو سيطرة قوة ديكتاتورية على مقدرات الدولة وتحويل كل المقدرات والملكيات إليها للتصرف منها تصرفاً لا يملك أحد المعارضة فيه ولذلك فهي لم تقضى على الفقر بل حولت المجتمع كله إلى الفقر حين ألغت الملكييات وثروات الأفراد وسيطرت وهي لم تحرر الطبقة العاملة والفقيرة من سيطرة الرأسمالية ولكنها سلمت الجميع للقيادة

الجماعية التي هي في معناها الحقيقي قيام قيصرية شيوعية بدلاً من القيصرية الأولى وكانت محاولة التأكيد على كرامة الإنسان في حقيقتها هي جعل هذا الإنسان ترساً في آلة كبيرة وبدلاً من أن يكون المجتمع هو المالك الحقيقي للمال أصبحت الملكية لجماعة صغيرة . (عشرون) كشفت الدراسات عن أن التآمر هو جوهر الشيوعية ، وهو لذلك يظل ملازماً للشيوعية حتى في البلاد التي أصبح فيها زمام الأمور بيد الشيوعية وقد عرفت الشيوعية أساساً بأنها حركة تآمر للاستيلاء على السلطة في عهد اضطهاد النظام الرأسمالي وهي من الناحية السياسية تركز على الإرهاب وخداع الجماهير ومن الناحية الاقتصادية إلى تمليك النولة كل شيء . والطبيعة البشرية الشيوعية تقوم على الظلم والتعسف حيث لا تعرف الشفقة طريقاً إلى صدورهم ويتميز علمائهم وكبارهم بالمجاهرة المفضوحة . (واحد وعشرون) يعلن أرنولد توينبي أنه تبين أن الشيوعية هي دين بكل تأكيد ، وهي دين خالص وقديم رغم المظهر الأيدلوجي الحديد الذي تنبئ به ، إنها كالقومية شكل من أشكال عبادة القوة الإنسانية الجماعية ، عبادة الإنسان لنفسه على طريقة جمع المتكلم ، إنها آخر تنوع لعبادة الالهة روما والاله قيصر في الأمبراطورية الرومانية وعبادة (الملك - الاله) في مصر الفرعونية (توينبي) (ثاني وعشرون) إن أخطر وجوه النظر إلى الماركسية والشيوعية والاشتراكية هو الظن بأنها جاءت من أجل إصلاح المجتمع البشري وإن أصدق وجوه النظر هو معرفة الحقيقة الأساسية بأن الماركسية كانت ولا تزال محاولة متأخرة على البشرية لا ريب . (ثالث وعشرون) تلتقي الماركسية مع الفكر الغربي في نظرية التفسير المادي للتاريخ التي ليست من إنشاء الشيوعيين وإنما يرد أصلها إلى هيجل ولا ينفرد الشيوعيون باعتناقها بل يشاركونها الماديون والدهريون والوجوديون أما هيجل فينزع منزعاً ميتافيزيقياً وينزع ماركس منزعاً مادياً خالصاً والتفسير الإسلامي للتاريخ لا يقر هذه الوجهة ويرى أن هناك عوامل غير العوامل المادية والاقتصادية منها عامل القومية وغريزة السيطرة وحب القوة والأديان والدعوات الإصلاحية . (رابع وعشرون) استطاع كثير من الباحثين أن يربط بين الرأسمالية والقومية والديمقراطية والشيوعية والاشتراكية وإنها مطروحات مضللة يراد بها إفساد المنهج الإسلامي الذي هو أسلوب الحياة والمجتمعات الإسلامية الأوحده . ولقد كان للقومية دورها الاستعماري في تفتيت الكتلة الإسلامية أولاً ثم في تفتيت الوحدة العربية وذلك بتفريغها من محتواها العربي الأصل وأصبحت الفكرة القومية كالفكرة الإقليمية دعة مناهضة لفكرة الوحدة الإسلامية ، والشيوعية أيضاً كان لها دورها

في تنفيذ المخطط اليهودي وهو تحطيم الأديان وتأجيج نار العداوة والبغضاء بين الأفراد والشعوب . (خامس وعشرون) ليس بين الإسلام والشيوعية نقطة إلتقاء واحدة ولا حوار فهي مناقضة للإسلام مناقضة تامة . الشيوعية تنفي وجود الله وتهدم كل القيم الانسانية وتلكم بالقسر كل وسائل الإنتاج وتدعو إلى الصراع الطبقي والمعتقد الإسلامي يجعل الشيوعية في مقدمة أعداء الإسلام . إن تطبيق المذهب الشيوعي أكثر من خمسين عاماً أقامت البرهان على فساد وإهدار كرامة الإنسان وحرية . والإسلام وحده هو الذي يستطيع أن يقضى على الشيوعية وأن أعداء الإسلام من غير الشيوعيين أضعفوا حركة الإسلام كما أضعفوا المسلمين وزرعوا إسرائيل في قلب الوطن العربي وبذلك مكثوا للشيوعية ولو ترك الإسلام بقوته الذاتية في وجه الشيوعية لما أمكن أن يبقى لها وجوداً أو كياناً . والمسلم الحق لا يمكن أن يهادن الشيوعية . (سادس وعشرون) ثبت أن المجتمع الإسلامي ليس حقل تجارب للأيدولوجيات الغربية وقد كشف جوهره الأصل حين واجه الليبرالية والماركسية على السواء بنفس القدر من الإعراض بعد أن تمت في خلال السنوات السبعين الأخيرة محاولات فرض الديمقراطية والفاشية والماركسية مكان الدين . لقد جرت محاولة لصياغة مذهب سياسي واجتماعي من مناقضات القومية والديمقراطية والاشتراكية وتبين للفكر الإسلامي فساد النظرية الغربية في التطبيق وعدم صلاحيتها للمجتمع الإسلامي ثم تبين للفكر الإسلامي فساد النظرية الماركسية في التطبيق لأشياء كثيرة مناقضة للإسلام في روحه وجوهره . أولاً :- أولية المادة . ثانياً - الصراع الطبقي . ثالثاً - لطغيان الحزب الواحد داخلياً والاستعمار الروسي خارجياً ، ومعارضة الإسلام لإلغاء الحرية وإلغاء الملكية الفردية ودعوته إلى الإخوة فالرحمة سابع وعشرون : أثبتت الأبحاث العلمية الجادة أن البشرية قد تجاوزت ماركس ، وتابعت سيرها مستجيبة لسنة التطور دون أن تتكون لها الكلمة الأخيرة في هذه التغيرات ، كما تقول الدكتور بنت الشاطيء : لقد تقدم علم الإنسان فأدرك أن الجماعات البشرية ليست قطعاً يخضع لنمط واحد في السلوك ويضبطه في قوالب عامة كالتي تضبط سائر الكائنات سواء ، وشهد العصر الحالي أحداثاً في حياة الشعوب أضافت إلى العوامل الموجهة لحركة التاريخ فيها عوامل إنسانية لم تدخل في حساب المذهب المادي . لقد عرض العامل المادي على تاريخنا فلم يقبله إلا من حيث اتصاله بالعامل الديني الذي تلقاه حيثاً رجعنا البصر في الوجود التاريخي لامتنا العريضة مستقطباً العوامل الأخرى : مادية وسياسية وإقليمية وحضارية في تفاعل مؤثر

لا يحجبه أى عامل منها . ذلك أن الدين - أى الإسلام - عقيدة الأمة الجامعة لأبنائها على مختلف أجناسهم وأفكارهم وتفاوت مستوياتهم وأنماطهم تحت لواء واحد يلوذ به لواء الأمة في صراع البقاء ومخاطر الطريق وتحديات الزمن ويجمع شمل الأمة الجامعة .

(٤)

نظام الإسلام في مواجهة الشيوعية

النظام الإقتصادى فى الإسلام ليس نظاماً مستتباً ولكن قطاع من نظام الإسلام الجامع للسياسة والاجتماع والتربية والعقيدة والأخلاق ، وهو ليس نظاماً شيوعياً لأنه يقر الملكية الفردية ويحميها وليس نظاماً رأسمالياً لأنه لا يطلق العنان لرأس المال بل يجرده من وسائل السيطرة والنفوذ وليس من النظم الاقتصادية المتطرفة إلى اليسار لأنه لا يعمى فى إضعاف رأس المال الفردى فهو يفسح له المجال للقيام بوظيفته فى حدود الصالح العام بوصفه عاملاً هاماً من عوامل الإنتاج وقد أقام الإسلام ببيان اقتصاده على دعائم ستة تعمل متضافرة لتحقيق المساواة بين الأفراد والجماعات (أولاً) تضيق نظام الملكية الفردية لخير الجماعة وفى سبيل الصالح العام . (ثانياً) يحرم الملكية الفردية للأشياء الضرورية لجميع الأفراد ويدخلها فى نطاق الملكية الجماعية . (ثالثاً) يحرم الكسب غير المشروع ، ويجعل الربا والفائدة من الأموال المحرمة . (رابعاً) استغلال النفوذ والسلطات للحصول على المال . (خامساً) تحريم جميع المعاملات التى تنطوى على الغش والرشوة أو أكل أموال الناس بالباطل (سادساً) فى سبيل جعل الملكية الفردية فى نظام متزن لا تطغى وتصبح ثروة مكتسبة أوجد الإسلام نظام الميراث والوصية . يتكفل النظام الأول بتوزيع الثروات بين الناس تنظيماً عادلاً ويحول دون تضخم الأموال وتجميعها فى أيدي قليلة ويعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات حيث يقسم التركة بين أقرباء المالك بحيث تتوسع بذلك دائرة الانتفاع من الملك الذى كان فردياً فأصبح جماعياً ، كذلك الشأن بالنسبة للوصية حيث يمكن لصاحب المال أن يوصى بجزء من ماله لأحد كذلك أمر الإسلام بالزكاة والصدقة حتى يأخذ الفقير نصيبه من مال الغنى وفى هذا حد . لتساعد الملكية . وينظر الإسلام إلى التملك على أنه مجرد وظيفة يقوم بها صاحبها باتفاق المال على مستحقه (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) وحين يقرر الإسلام الملكية الفردية ويحيطها بسياسات من الجماعة ويدلل أمام الفرد سبيل التملك والحصول على المال ويشجع على

العمل ويعطى لكل مجتهد جزاء إجهاده من ثمرات الحياة ، ويفسح المجال أمام المنافسة والرغبة في التفوق والطموح يحقق تكافؤ الفرص بين الناس ، ويقلم أظفار رأس المال ويجرده من وسائل السيطرة والنفوذ دون أن يشل حركته أو يعوقه عن القيام بوظيفته بوصفه عاملاً هاماً من عوامل الإنتاج وتعمل على استقرار التوازن الاقتصادي وتقليل الفوارق بين الطبقات ويحول دون تضخم الثروات ودون تجميعها في أيدي قليلة والمقصود بالمساواة في الاقتصاد الإسلامي هو تحقيق تكافؤ الفرص بين الناس فينال المجتهد جزاء إجهاده وثمرات أعماله وبذلك يتحقق التوازن الاقتصادي فتتضح الفروق الطبيعية ويحصل التقارب بين مختلف الطبقات حتى لا تتضخم الثروات وتتجمع في أيدي قليلة والإسلام يعترف بالملكية الفردية والتفاوت فيها والملكية الفردية شيء طبيعي ولذلك أقرها الإسلام ، وقد اعترف الإسلام بالملكية بشرط : ١ - أن يكون مصدر المال سليماً لم يأت عن طريق الغصب أو الرشوة ٢ - أن يحسن المالك تصريف المال فلا يجوز فيه الإسراف أو الكثر أو الإحتكار أو الاستغلال ٣ - أن تتوقف الملكية عند المال فلا تتجاوزته إلى التسلط على العاملين فيه . ٤ - أن يؤدي المالك حق الفقير ، ليست الزكاة فقط بل أي نسبة من المال يحتاج إليها المجتمع . وسنة الإسلام في اقتناء المال والتصرف فيه ما برحت قائمة على أساس الإباحة فلكل مسلم أن يقتني المال من حله بلا تحديد مقدارله ، ثم أن يضعه في مواضعه الذي أباحها الإسلام لأهله وأن يخرج ذكاته بالنظام الشرعي الذي استقر منذ بدء الإسلام وقد حث الإسلام كل مسلم على السخاء في الأنفاق في سبيل الله وفي مرضاة الله ، ولا شك أن المال في نظام الإسلام وسيلة لسد حاجات الفرد والجماعة فهو في حكم الأمانة لله ، تحت يد من ساقه الله إليه ، يتصرف فيه بالمعروف ومن الخطأ اعتبار جمعه غاية مقصودة لذاتها : هذه الأسس للاقتصاد الإسلامي تكشف عن عمق الفوارق بين مفهوم الإسلام وبين النظامين الرأسمالي والماركسي ومن استحالة اللقاء بينه وبينها فالإسلام قد سبق هذين النظامين فهو ليس واحداً منهما وهو ليس خليطاً منهما وهو ليس مستمداً من مجموعهما ولكل له وجهته الواضحة تضع الرأسمالية الفرد في بؤرة اهتمامها وتضع الاشتراكية المجتمع في بؤرة الاهتمام والاقتصاد حر في النظام الرأسمالي وموجه في النظام الاشتراكي والحكم في النظام الرأسمالي ديمقراطي الوجهة وإن حكمت المؤسسات ورؤس الأموال بينما الحكم في النظم الاشتراكية يقوم على ديكتاتورية الطبقة العاملة ، وعلى حين يضحى الرأسمالي بالعدالة الاجتماعية من أجل الفرد

فإن الاشتراكية تضحي بالفرد من أجل عظمة الدولة ، وهكذا يتنازل كل نظام من النظامين عن شيء في مقابل شيء آخر ، وقد نشأ كل منهما كرد فعل للظروف السائدة في مجتمعه وعصره . أما الإسلام فهو غير ذلك تماماً ، فهو نظام رباني وضعه خالق الكون وخالق الإنسان وهو يربط الفرد بالله ويجعل الولاء لله تبارك وتعالى سابقاً للولاء للنفس والأهل والمال ، وهو نظام يرتبط فيه الفرد بالله ويتلقى فيه التشريع والحكم والقواعد العامة في السلوك ، ويتدخل الإسلام في كل شيء فينظم قواعد العبادة وعلاقة الأسرة والموارث والوصية كما يضع القواعد العامة للحكم والمجتمع ويقوم نظام الاقتصاد في الإسلام على مبدئين أساسيين هما أن المال مال الله وأن المسلمين خلفاء لا أصلاء في إدارة هذا المال واستثماره وفي ضوء هذين الاعتبارين يقر الإسلام الملكية الفردية ومظهرها التصرف والانتفاع فإن شرط بقاء هذه الوظيفة هي الصلاحية للتصرف ويقرر الإسلام في ملكية المال رفضه لأن يحبس في أيدي فئة خاصة من الناس ، يتداول بينهم ولا يجده الآخرون . ومن الخطأ أن نتصور أن الإسلام مع الاشتراكية ضد الرأسمالية أو مع الرأسمالية ضد الاشتراكية ، ذلك أن الإسلام كنظام يقف أصلاً مع نفسه فهو نظام خاص له خلفيته الفكرية التي تصل الإنسان بالله وله أسلوبه في الحكم والسياسة والاقتصاد وله طابع المميز الذي قد تتشابه معه بعض المذاهب والأنظمة أو لا تتشابه . ولفظ الاشتراكية لا ينطبق على الإسلام فإن لفظة الاشتراكية إصطلاح اقتصادي اقتضته الضرورة أما الإسلام فهو وحدة لا تتجزأ ونظام قائم متكامل قد سماه الله إسلاماً . يقول والفرد كانتول سميث : إنه لأمر عظيم أن نقيم حياة اجتماعية سليمة على وجه الأرض ولا شك أن النظام الإسلامي هو أجدى وأوضح تجربة تمت لتحقيق العدالة بين الناس ، ولقد كان هذا النظام حتى ظهور الماركسية أعظم التطبيقات وأكثرها طموحاً . إلا أن هناك فرقاً واضحاً بين الإسلام والماركسية هو أن الإسلام يرى لكل حدث دينوي مغزٍين وقيسه بمقياسين : أحدهما وقفي والآخر أبدي أو آخروي ، كذلك فإنه من وجوه الخلاف التي تحددها مبادئ الإسلام وطبيعته الشمولية نظرته إلى التاريخ فالإسلام كما جاءت الماركسية تحاكيه فيما بعد يعطى أهمية بالغة لتطور التاريخ وحيثيته إلا أن الإسلام يتميز مع تقريره للمغزى الحاسم للتاريخ بأنه يرى أن هذا المغزى لا يذوب إلا في خضم التاريخ نفسه بل يصنع من المبادئ والقيم ما يعملوا على مجريات التاريخ - والحكم على هذه المجريات يمكن بل يجب أن يكون في ضوء هذه المبادئ والقيم وأن هذه القيم والأخلاق

لا تسلّم بها الماركسية مطلقاً بل تدخلها في باب الغيبات والمثاليات زاعمة أنه لا توجد في المجتمع الإنساني المتطور قيم ثابتة وقد غاب عنها أن هذه القيم إنما هي ضوابط منظمة للحركة وليست بالقيود المعوقة لها . ولا ريب أن النظرية الشاملة للإسلام حقيقة مسلم بها بمقتضى هذه المبادئ الكلية التي يقيم بها الإسلام نظامه الخالد لكل زمان ومكان .

ملاحق البحث

أولاً : ثلاثة وثائق خطيرة من وضع لينين وستالين وماركس .

ثانياً : سموم يطرحها الفكر الماركسي في سبيل خدمة الصهيونية

ثالثاً : الإسلام فوق لعبة اليمين واليسار .

(١)

مؤامرة اشترك فيها : هرتزل وماركس ، ستالين ولينين وطه حسين وهنري كوريل ثلاث وثائق خطيرة من وضع لينين وستالين وماركس تكشف جذور العلاقة العضوية بين الماركسية والصهيونية والهدف الذي ترمى إليه اليهودية العالمية في السيطرة ماركسياً وصهيونياً على العالم كله : عندما استولى الشيوعيون على الحكم في روسيا بعد الانقلاب الشيوعي (٧ أكتوبر ١٩١٧) هاجمت الشيوعية جميع الأديان (وخاصة الدين الإسلامي) وغضت الطرف عن (اليهودية) كلية . وقد كان ذلك موضع دهشة المراقبين الذين تساءلوا هل هناك علاقة بين الشيوعية واليهودية ؟ وقد أجاب عن ذلك الزعيم الشيوعي « لينين » مفسر الماركسية ومقننها والذي كمرحلة جديدة « الماركسية اللينة » ، أجاب لينين على ذلك بما يضع أمام المؤرخين الباحثين وثيقة جديدة تؤكد العلاقة الجذرية بين الشيوعية والصهيونية . وكان المظنون حتى قبيل العثور على هذه الوثيقة التي سنعرضها ونقدم تحليلاً وافياً لها ، كان المظنون أن الماركسية والصهيونية حركتان توأمان تتحكمان بجمهرة اليهود الروس وتسطران عليهما . وقد أعلن الصهيونية زعيمها (تيودور هرتزل) ودخلت إلى روسيا حوالي سنة ١٨٨٠ فكانت منافسة للماركسية لكاهنها الأكبر كارل ماركس : حفيد أحد الحاخامين وكان لا بد في النهاية لكل يهودي رومى أن يلتحق بإحدى هاتين الحركتين (راجع كتاب الصهيونية والشيوعية) لفرانك بريتون تعريب نهاد عيسى (بيروت ١٩٥٤) . وكارل ماركس يهودى اسمه « كاي مردخاي » ولكنه غير دينه واتبع المسيحية ليستطيع أن يهاجمها بحرية ستالين يقول : الدين والشيوعية مثل الماء والنار لا يلتقيان وإحدهما تقضى على الثانية . . فلا مكان للدين في الديار الشيوعية .

الوثيقة الأولى بقلم : لينين

« إن حجر الزاوية في رأى كارل ماركس وإنجلز في الدين هو قولهما المأثور (الدين أفيون الشعوب) لقد كان رأى الماركسية في الدين والمعاهد والكنائس والمساجد وكل نوع من أنواع المؤسسات الدينية إنها صدى الرجعية والبرجوازية ، لا هدف للأديان إلا الدفاع عن سياسة الاستغلال والتخدير وتشريع تصرفات الملوك التي يتخذها الرأسماليون نحو الطبقات الكادحة ، أما (الخرافات اليهودية) وإن كانت لا تختلف عن باقي الأديان ولكن بقاءها لليهود البؤساء أمر ضروري للمحافظة على يهوديتهم حتى ينالوا حقهم . فان اليهود إذا نبذوا دينهم حينئذ يتيهون في الأقوام المجاورة لهم وبمرور الزمن يفقدون إسرائيلييتهم كمجموعة كاملة ومتحدة فإن الدين أمر ضروري فلم يجمع بنى إسرائيل غير الدين . والمحافظة على اليهودى أمر حيوى لحياة الشعب اليهودى المختار ريشما ينالوا حقوقهم » . ويعلق الدكتور محمد عزت نصرالله الذى كان أول من نشر هذه الوثيقة في كتابه (الثورة العربية) على ذلك فقول : « إن هذا التجاوز الشيوعى للدين اليهودى واستثناءه من مخطط محاربة الأديان ، يبرهن على أن الشيوعية إنما تعمل لتحقيق الهدف الصهيونى فى السيطرة على العالم ابتداءً من فلسطين العربية المسلمة ، فإذا كانت الحرية الدينية محرمة على المسلمين والمسيحيين ومباحة لليهود . فإن الأجيال المسلمة والمسيحية القادمة ستصبح بلا دين ولا تعبد غير المادة ، وذلك بخلاف الأجيال اليهودية التى تستطيع عندئذ أن تسيطر على الشعوب النائية التى كانت مسلمة أو مسيحية فيما مضى . الشيوعية الروسية تحارب الإسلام والمسيحية وتستثنى الدين اليهودى من مخطط محاربة الأديان السأوية لأسباب

الوثيقة الثانية بقلم ستالين

إن دولة السوفيت الشيوعية لا يمكنها الوقوف موقفاً محايداً تجاه الدين ، فالحزب الشيوعى يقف بجانب المادة ، فى حين أن الدين يناهض المادة . الدين والشيوعية مثلهما مثل الماء والنار فكما أن هاتين المادتين لا تتحدان ، وإحدهما تقضى على الثانية فلا مكان للدين فى الديار الشيوعية أبداً . فكل دين من الأديان هو والمادة على طرفى نقيض » . أجاز القانون الأساسى تعليم الدين إلى النشء بعد اجتيازهم سن الرشد (٢١ سنة) ونص على تعليم الدين للأطفال قبل سن الرشد جريئة يعاقب عليها ، هذا هو معنى الحرية الدينية فى الاتحاد السوفىي وهذه الحرية لا يسمح بها إلا فى الظروف التى يميزها مبدأ الانتهازية السياسية للشيوعية . جاء فى كتاب التعليقات على القانون الجنائى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية فى الطبعة الثانية

بموسكو سنة ١٩٤٦ ص ١٦٧-١٦٨ ما يلي : « إن كل تعليم مدرسي أو كنسي أو مسجدي ذيي للقصّر دون سن الواحدة والعشرين أي سن البلوغ يعد تعدياً وخيانة على حرية الغير المكفولة بنصوص الدستور السوفياتي ويعاقب الآباء والأمهات والمعلمون بالعقاب الجنائي في الاتحاد السوفياتي هو النفي أو الإعدام أو السجن أو الأعدام على أعواد المشاق. يقول الدكتور محمد عزت نصر الله : إن سياسة الترتيب الشيوعية تفرض على الإنسان أن يتزجرع ويكبر ويشب في بيئة ملحدة وثقافة تستهزئ بالدين وتسخر بتعاليمه وبالكاتب السأوية إلى أن يبلغ سن الرشد السوفياتي (٢١ سنة) ثم بعد ذلك يسمح له بممارسة الحزبية الدينية ولكن بقيود رهيبة تصل إلى درجة خطيرة من التعجيز التي يستحيل معها ممارسة الشعائر الدينية ، وقد أدت هذه السياسة إلى ظهور جيل ملحد لا يؤمن بالله ولا يؤمن بدين ، باستثناء الدين اليهودي إذ يسمح لليهود فقط كما قال لينين : بممارسة حريتهم الدينية الكاملة لأن الدين اليهودي أمر ضروري لحياة الشعب اليهودي المختار ريشاً ينالوا حقوقهم) وهكذا برر لينين الحماية الشيوعية للدين اليهودي . ويقول : إن لينين يعترف إذن باليهود كشعب مختار ولعل هذا ما دفع الحكومة السوفياتية في بداية حكمهم عام ١٩١٧ إلى إصدار جملة قرارات كان أهمها إعلان التأييد الكامل لحق اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين وإذا سألنا ما هي حقوق اليهود ، فالجواب هو - ماركسيا وصيونيا - تنفيذ مرامي وأهداف الايدولوجية اليهودية القائمة على فكرة : الشعب المختار » والدافعة بالتالي : لاعتبار : أولاً : أن الأرض ، كل الأرض ، وما فيها ميراث لبقئ إسرائيل تلزمهم مشيئة الرب بأن يستولوا عليها. ثانياً : إن كل شريعة غير شريعة بني إسرائيل هي فاسدة . ثالثاً : إن كل سلطة على وجه الأرض غير سلطتهم هي مغتصبة. رابعاً : إن كل شعب حر ، غير شعبهم ، قابض على ذروة من السلطة هو غاصب . خامساً : إن الرب حرم عليهم الشفقة والرحمة . أورد هذا : إميل الخوري حرب في كتابه « مؤامرة اليهود على المسيحية. والدكتور عمر حليق « وسكو وإسرائيل » والدكتور محمد عزت نصر الله ، البحث عن القومية العربية .

الوثيقة الثالثة بقلم : ماركس

« وهكذا أصبح حل المشكلة اليهودية يستلزم أن يسيطر اليهود على جميع الناس ، يرى كاي مردنхай (أو كارل ماركس كما يجب أن يسمى نفسه) أن المشكلة اليهودية لا تحل

إلا بالتحويل الاشتراكي للعالم بأسره ، وإذابة الأديان والقوميات في بوتقة الماركسية ، ذلك أن المشكلة اليهودية قائمة تحت ضغط الاعتقاد القائل بأن اليهود هم « شعب الله المختار » وبما أن الماركسية حركة تهدف لإخضاع المجتمع البشري إلى قيادة طليعة اشتراكية ماركسية واحدة ترتبط بها كل الحركات الماركسية في العالم يرى اليهود أنهم أصلح البشر بصفة كونهم شعب الله المختار لإحتلال مركز القيادة الطليعية التي هي الإسم العصري لعقيدة « الشعب المختار » كاليهود . ولقد استطاع المكر اليهودي أن يؤسس الحركة الماركسية التي تتم السيطرة اليهودية على العالم بالتحويل الاشتراكي وأن يؤسس الحركة الصهيونية لتتولى عملية مخادعة العالم وخاصة الولايات المتحدة وأوروبا الغربية بأن هذه الحركة لا صلة لها بالشيوعية العالمية وإنما تعمل لصالح الاستعمار الغربي وخدمة استراتيجية الدولية العامة ، وبذلك تتمكن من إحراز عطفه ومساعدته على إقامة الوطن القومي اليهودي ، ثم الالتفاف - بعد تحقيق ذلك - للانقضاض على الغرب وتحقيق السيادة اليهودية العالمية بالسيطرة - ماركسياً وصونياً - على العالم كله وهكذا يتحقق التصور اليهودي للعقيدة اليهودية . وما هذا الخلاف الظاهر بين الاتحاد السوفيتي - قاعدة العمل الماركسي - والصهيونية سوى (تكتيك مرحلي) تتطلبه نقطة السيطرة اليهودية في الوقت الراهن . ويقول الدكتور محمد عزت نصر الله : طبعاً أن السيطرة اليهودية لا يمكن أن تتم إلا بعد تهديم العالم الإسلامي وإضعاف الشعوب الإسلامية هذا هو المخطط اليهودي (الصهيوني الماركسي) المشترك كما استخلصه الباحثون في كتابات الصهيونيين أنفسهم . وهو المفتاح الحقيقي لفهم تحركات السياسة الدولية في العصر الحديث وقد تنبه له كثيرون في مقدمتهم الأستاذ العقاد والأستاذ محمد خليفة التونسي في مقدمته لكتاب بروتوكولات صهيون وكان أول من ترجمها إلى العربية ثم جاء كتاب فرانك بريتون وهو مفكر غربي كاشفاً لهذه العلاقة الغامضة التي ترتبط أساساً بالماسونية وقد كشف المرحوم الكولونيل عبدالله التل في كتبه العديدة ومنها « جنود البلاء » و« الأفعى اليهودية في معازل الإسلام » كما كشف هذا مؤلف كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج ومؤلف كتاب (الحكومة الخفية) وكلها مؤلفات متداولة طبعت في بيروت وتوجد في الأسواق العربية والسوق المصرية . وقد كانت موجودة خلال الفترة السابقة ولكن قادة الرأي لم يكونوا قادرين على تبين هذا الاتجاه ، حتى كشفه المرحوم جلالة الملك فيصل حين قال « أن الشيوعية وليدة الصهيونية » وهناك دراسة موسعة لهذا التصريح للأستاذ أحمد عبد الغفار عطار تناول

للقية جذور هذه القضية وإذا نظرنا في ضوء هذه المفاتيح الحقائق وجدنا أن حاة الشيوعية في مصر في مطلع هذا العصر كانوا يهوداً (هنرى كوريل وراؤل كوريل ومليونير يهودى آخر (ريمون احيون) وقد كان هؤلاء وغيرهم يداون الحركات الشيوعية بالمال وقيل بالجنس وقد تعاقدوا مع طه حسين على إصدار مجلة الكاتب المصرى وكان الدكتور طه قد أعلن تأييده لمفهومهم بتكذيب انقرآن في وجود سيدنا إسماعيل عليه السلام ولم يكن يعرف في هذا الوقت الباكر أن ذلك القول الجريء خلمة للصهيونية .

٢ - سموم يطرحها الفكر التقدمى الماركسى

في سبيل خلمة الصهيونية التلمودية

هناك محاولة خطيرة ترمى إلى أن تطرح في أفق الفكر الإسلامى مفاهيم زائفة وأخطاراً مسمومة تحاول بها عزل العرب والمسلمين عن « طريق الأصالة » الذى التمسوه منذ العاشر من رمضان والذى وصلوا إليه بعد أن سقطت تجربة الاحتواء الغربى والماركسى جميعاً وبعد أن تبين لهم أنه هو الطريق الوحيد إلى امتلاك الإدارة ومواجهة الغزو الاستعمارى الصهيونى الماركسى الذى يحاول اجتياح عالم الإسلامى اليوم . تعمل هذه المحاولة على تقديم تفسيرات للتاريخ الحديث مستمدة من وجهة النظر الصهيونية التلمودية التى هى أشد خطراً من التفسير الماركسى والتفسير المادى الغربى . من حيث أنها تستهدف تسميم عقول المسلمين العرب بشأن العلاقة بين العرب والغرب وبين العرب وإسرائيل والصهيونية في محاولة للقول بأن القضية كلها قضية صراع اقتصادى وهدف مادى أو استعمارى . وأن الغرب هو الذى اصطنع الصهيونية لتكون قاعدة له في المشرق وأنه لا توجد أى علاقة بين ما يجرى الآن وبين الدين أو العقائد . كما تحاول هذه الدعوة المسمومة إعادة تفسير الحروب الصليبية على هذا النحو أيضاً وتصويرها بأنها مطاعم التجار والملوك في الشرق وأن الأغراض الدنيوية كانت أقوى من الأغراض الدينية . ولا ريب أن هذه المحاولة فاسدة ومرفوضة ولا يصدق بها أحد من أصحاب الأصالة الإسلامية . وأنها ترمى إلى الخداع والتزييف للواقع ولا شك أن الهدف واضح من وراء هذه المحاولة . إذ أن القائمين عليه من دعاة العصرية والتقدم والتفسير المادى للتاريخ ، إنما يهدفون إلى خلمة الصهيونية التلمودية الكامنة وراء الفكر الماركسى والفكر التقدمى كله ، فهى وليدته وهى صانعة هذا الفكر لحمايتها والنود عنها . وأى مطلع على

أساليب الفكر الماركسي والصهيوني المادى يعرف هذا الأسلوب الذى ينكر طابع الدين في تفسير التاريخ والأحداث ويحل محله مفهوم الاقتصاد أو المواجهة الحضارية أو غيرها من العيارات البراقة الخادعة إن التلمودية الصهيونية المسيطرة الآن على الفكر الغربى وعلى هذه الطبقة التى تشكلت في أول السبعينات تحت اسم اليسار والماركسية والتقدمية ، والتى تعمل في خدمة العداء للإسلام أولاً وتحت أى اسم آخر من الناحية الأخرى تحاول أن تلغى الأثر الدينى في الحروب والعلاقات والأحداث وتحل محله العلاقات الاقتصادية والسياسية ، ولا ريب أن هذا الاتجاه ليس علمياً وليس صحيحاً . إن موقف الغرب من العالم الإسلامى هو موقف واضح معروف وهو موقف يمكن أى يكون سليماً ومسالمًا لولا هذه القوى التى تحرك الأحداث لخدمة أهدافها الخاصة كالصهيونية والشيوعية . وهى التى تحاول أن تلغى في افق الفكر الغربى مواقف الخوف من امتلاك العرب والمسلمين لإرادتهم ، وهى التى تحاول أن تفسر العلاقات التى تقوم من جانب المسلمين والعرب ، على أساس من الفهم العميق والسباحة والإخاء واليسر والإنسانية تفسيراً باطلاً وزائفاً ولقد كان موقف الغرب مغلفاً بالخصومة والبدان ، وكان الهدف وما زال أن يظل المسلمون والعرب غير قادرين على امتلاك إرادتهم وأن يحال بينهم وبين تحقيق وجودهم الصحيح . إن المسلمين قد قامت أمتهم في هذه المنطقة الخصبة الاستراتيجية الوافرة فهم ليسوا أعداء لأحد ولكنهم ما زالوا يقاومون إغارات الغزو التى تحاول اجتياحهم لأنها تستهدف ثروتهم وترى أن دينهم هو القوة القادرة على حمايتهم من السقوط في براثن العدو ومن هنا كانت حملة الاستشراق الغربى والصهيوني والماركسي على مفاهيم الإسلام وقيمه ولعل موقف لويس التاسع بعد هزيمته في الحملة الصليبية الثامنة هو أكبر دليل على فساد دعاوى هذه الطبقة المحتواه الخادمة لقوى الغزو . فإنه بعد أن فشل عسكرياً دعا قومه إلى السيطرة على الإسلام عن طريق الكلمة والتبشير ودعاهم إلى محاولة هدم القيمة الأساسية للإسلام وهى « الجهاد » ومع ذلك كله توصف الحروب الصليبية بأنها حروب غير دينية . والصهيونية اليوم التى تجعل إسم حملتها عام ١٩٦٧ (خير) وهى تحاول أن تتحدث عن أنها في طريقها إلى حيث كان يهود الجزيرة العربية ، وهى تواجه الإسلام ورسوله وعقيدته والأمة العربية لأنها من أبناء إسماعيل وتحاول أن تنكر رحلة إبراهيم وإسماعيل إلى الجزيرة العربية وبناء بيت الله الحرام والكعبة المشرفة لأن هذا يجعل وعد الله تبارك وتعالى لإبراهيم مشتركاً بين أبناء إسماعيل وأبناء اسحق ، هذه المحاولة التى تقوم على أساسها دعوى إسرائيل والصهيونية العالمية في فلسطين ، ألا تكون هذه ذات صلة بالدين ! نحن لا نشق

بالتفسير الذى يقدمه أتباع الصهيونية والماركسية للتاريخ الإسلامى لأنه يقوم على هوى الخصومة والحقد. ونحن لا نستطيع أن نصدق أن الغرب المسيحى أقام إسرائيل اليهودية من أجل أهداف سياسية استراتيجية اقتصادية ولذلك فإنهم يخدعوننا حين يقصرون الخلاف مع الغرب وحده وليس مع الصهيونية العالمية ، ولكن مدرسة البقطة الإسلامية تعرف أبعاد القضية معرفة جيدة وكتابها قد كشفوا هذه الأبعاد فى عديد من دراساتهم ومؤلفاتهم وهم موضع ثقة المسلمين والعرب ، والأمم فى إسرائيل وإقامتها عميق وله أبعاده وأخطاره التى تتصل بالحملة على الإسلام نفسه ، وبالرغبة فى السيطرة على العالم الإسلامى وثرواته ، ومحاولة دحر فكرته التوحيدية وعقيدته الخالصة ، ومن يقرأ بروتوكولات صهيون وكتابات وتصريحات دعاة الصهيونية التلمودية ومن تابعهم من رجال الفكر أمثال فرويد وماركس ودوركايم ولبى بريل وسارتر يعرف أبعاد الخطر الذى يحاول خداعنا عنه هؤلاء الذين هزموا شر هزيمة فى بلادهم ولكنهم ما زالوا يتطلعون إلى منابر جديدة ذات بريق ليخدعوا منها العرب والمسلمين .. (٢) من هذه الدعاوى التى يسوقها دعاه التقدم قوالم أن هزائم العرب مرهونة بخلافاتهم وانتصاراتهم تتوقف على تضامنهم وهذه دعوى باطلة أيضاً فان مصدر القوة الذى انتصر به المسلمون فى الحروب الصليبية وفى معارك المواجهة والغزو الخارجى تتركز فى التماس منهج القرآن الكريم لإقامته كأسلوب للحياة والحكم وبناء المجتمع . وهذا هو وحده منار الوحدة والتضامن والاتقاء بين أهل القبلة ، لقد هزم العرب ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ لشئ واحد هو أنهم تجنبوا المنهج الأصيل فلما التمسوه فى حرب رمضان حققوا النصر واليوم تجرى المحاولات بقوة لإبعادهم عن هذا المنهج وتفسير التاريخ لهم تفسيراً زائفاً لإعادتهم إلى الاحتواء الصهيونى . أن التناقضات العربية لا يحلها إلا « المنهج الإسلامى » ذلك لأن محاولة الخداع والتضليل وإبعاد المسلمين عن الحلول الصحيحة وعن الأسلوب السليم لمواجهة إسرائيل وامتلاك إرادتهم تأتى من تعدد الدعاوى المسمومة التى توجه إلى العرب والمسلمين وهى دعوات تبدو ناصحة فى مظهرها ولكنها غادرة فى مضمونها ، ذلك لأنها تجعل ثمن تحررهم من إسرائيل هو إلغاء وجودهم وتراثهم وعقيدتهم ودخول دائرة الاحتواء والأمية . إن الواقع الإسلامى اليوم ، يجب أن يكون منطلقاً إلى التماس المنهج الإسلامى ، حتى يتحرر من نفوذ التغريب والاستشراق والغزو الثقافى الذى أضر بهم خلال قرن من الزمان سواء فى تبعيتهم للفكر الغربى أو للفكر الماركسى ، ولا سبيل إلى تحريره والانتقال به إلى الأصالة من التماس مفاهيم الإسلام وقيمته ومنهجه وتطبيق شريعته وإقرار أسلوبه فى التربية والتعليم إن من أكبر

الأخطاء التي وقع فيها المسلمون والعرب بعد نكبة ١٩٤٨ أنهم ظنوا أن الأسلوب الغربي يستطيع أن يحررهم فإذا به يسلمهم إلى الأسلوب الماركسي الذي كان مصدر نكبتهم ١٩٦٧ ولا ريب أن الأسلوبين كانا محتويين من الصهيونية التلمودية التي استطاعت أن تنقل العرب من محور إلى محور لتحول بينهم وبين الوصول إلى الطريق المضيء ، والقاعدة الصلبة ، وهي منهج الإسلام ومن هنا نجد أن الطريق الوحيد : هو حتمية المنهج الإسلامي . (٣) ومن تلك السموم التي ما زال يثيرها دعاة التقدم والماركسية هجومهم على الدولة العثمانية ووصفها بالاستعمار والظلم والاستبداد » ونحن نعلم أن هذه الدعوى باطلة وأنها انطلقت لتعطى الصهيونية الحق في أن تصل إلى القدس وأن تقضى على الامبراطورية التي حملت لواء الجامعة الإسلامية في مواجهة الغزو الغربي كله وأن تقضى على الخلافة الإسلامية . ومن ذلك تفريقهم بين اليهودية والصهيونية لخداع المسلمين عن أولياء الماركسية اليهود ، والمسلمون يعلمون أن الصهيونية في مطامعها وأهوائها ودعوتها إلى السيطرة على فلسطين إنما تنطلق أساساً من التوراة المكتوبة بأقلام الأخبار . ولا ريب أن حملة هذه الشبهات هم تابعون للصهيونية التلمودية مهما ادعوا أنهم دعاة التقدم والعصرية . إن الماركسيين يخدمون الصهيونية يطرح هذه المفاهيم اليوم ومحاولة جعلها مسلمة ونحن نعرف لماذا هم يحرفون تاريخ العرب والإسلام الحديث ، ولماذا يعيدون تفسير التاريخ الإسلامي على نحو زائف مسموم ، إن الغرض هو خداع العرب والمسلمين عن الحقائق التي وصلوا إليها والتي أقاموا عليها منطلقهم الجديد بعد هزيمة ١٩٦٧ التي قضت على كل نظرياتهم المسمومة . ولقد تبين للمسلمين والعرب أن أسلوب الاقتصاد ونظام الربا والقانون الوضعي وأسلوب للتعليم والتربية الغربي هي كلها مصادر الهزيمة التي حافت بالمسلمين والعرب خلال هذه الحملة الصليبية التي بدأها الاستعمار وتقوم عليها اليوم الصهيونية والماركسية ورثتا الاستعمار . نحن نعرف أن الصهيونية تدرس الحروب الصليبية وتحاول أن تطرح لها في أفق الفكر الإسلامي مفهوماً جديداً لتخدع به المسلمين والعرب حتى يحولوا نظرهم عن المفهوم الأصيل الذي عرفوه والتمسوا النصر على ضوئه في حرب العاشر من رمضان وهي « تهويمات » ومراوغات خادعة من مثل قوهم إن إسرائيل ليست إلا قاعدة غربية في قلب الشرق ، وأن الغرب اضطهد اليهود في بلاده ، ولكنه ألقى بهم إلى غيرهم . نحن نؤمن أن القضية ليست كذلك قضية صراع حضارى طويل أم قصير فهذا مفهوم يراد به وضع العرب والمسلمين في متاهات وضباب كثيف . إن المواجهة بيننا وبين

الاستعمار والصهيونية والماركسية هي مواجهة عقائدية لا حضارية ولا سياسية ولا اقتصادية وأن علينا أن نلتزم أسلوبنا الصحيح ومفهومنا الأصيل وعندئذ نجد الإجابات الصحيحة لكل القضايا والتحديات والمواقف . إن السلاح والتكنولوجيا والقوة البشرية والطاقة هي في أيدي العرب والمسلمين اليوم فلا مجال للكلام عن الصراع الحضارى فإن إسرائيل لا تملك من ذلك شيئاً إلا ما يدفعه إليها الغرب ، إن العرب والمسلمين يعلمون أن هذه القوى تريد أن تضع مقادير المسلمين والعرب في أيدي العصابة الباغية التي تريد أن تسيطر على العالم ، ولن ينقذ المسلمين والعرب من هذا الخطر إلا اعتصامهم بمنهج ربهم فهو وحده سبيل الخلاص يجب أن يكون معلوماً للمثقفين والباحثين والمشتغلين بالفكر الإسلامى فى مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والقانونية أن هذا الأسلوب المسموم فى تفسير الأحداث والمواقف والتاريخ على النحو الذى حملت لواءه الماركسية والمادية ودعاة العصرية والتقدم مرفوض ومردود لأنه معارض للروح الإسلامية والأصالة القرآنية : هذه الطبقة التى تشكلت فى السنوات العشر الأخيرة وحسبت أنها تستطيع أن تسيطر على الفكر الإسلامى وتوجهه وجهة جديدة غير وجهته الأصلية ، التى استعانت بالعاملين فى مجال الفكر الغربى الليبرالى لتشكيل جبهة واحدة ذات فروع كثيرة تعمل جميعها فى طريق واحد لمواجهة الفكر الإسلامى فى منهجه الأصيل ومفهومه الجامع ، هذه الطبقة التى سقطت بعد العاشر من رمضان وأثبتت الأحداث فشل خطتها ومنهجها وسلامة منطق المنهج الإسلامى الذى حملته حركة اليقظة وكان هو المصدر الوحيد للنصر ، حين دعا إلى الأصالة وإلى إلتباس المنابع باعتبارها الحصن الحصين الذى عرفه المسلمون فى مختلف الأزمان والتحديات طوقاً للنجاة . والذى صدقهم فى كل مرة واستطاع أن يهزم باطل الغزاة ويردهم على أعقابهم ويثبت الحق وأهله . واليوم تحاول هذه الطبقة أن تجدد دعاوها وأن تنشر سمومها من جديد وبأسلوب جديد لتحويل العرب والمسلمين عن طريق الأصالة الذى التمسوه وتؤكد لهم أنه الطريق الوحيد الذى يستطيع أن يحقق لهم المواجهة الصحيحة إزاء كل القوى التى تشكل اليوم لغزومهم على الجبهات الثلاث : الاستعمار والصهيونية والماركسية . فلتعلم أن هذه المحاولة باطلة وأن المسلمين قد اعتصموا بمنهجهم الربانى فى طريقهم إلى اتخاذهم منطلقهم الوحيد .

٣ - الإسلام فوق لعبة اليمين واليسار

إن أخطر ما يواجه المسلمين والعرب فى هذا العصر هو أنهم يتحركون من خلال الإطار

الذى رسمه لهم النفوذ الأجنبي وأنهم يعانون أشد المعاناة من أجل الخروج من هذه الدائرة المغلقة إلى دائرة فكرهم الأصيل : تلك الدائرة المرنة السمحة التى تقدم لهم الضوء الكاشف الذى يهلبهم إلى معرفة الحقائق محررة من كل تدليس ومن كل زيف . ومن أخطر ما يقع فيه المسلمون أن يلتبسوا تلك الأسماء والمصطلحات التى يطرحها الغزو الفكرى فى محيطهم فإذا هم يضعون أنفسهم وفكرهم فى داخل مربعاتها وقد وقع فى هذا الخطر عدد من مفكرى الإسلام أولئك الذين حاولوا أن يلتبسوا إلى فهم الإسلام والتعبير الجامع : طريق الفلسفة فأعجبته كلمات الديمقراطية والاشتراكية والوجودية وغيرها وحاولوا أى يضعوا مفهوم الإسلام الجامع الوافر فى هذه القوالب الضيقة واليوم يطرح دعاة التغريب كلمات اليمين واليسار ويعملون على إدخال المسلمين فى لعبة اليمين واليسار والإسلام فوق هذه المحاولات والمناورات فالإسلام لا يقارن إلى المناهج الوضعية ولا يوضع موضع المناقشة عقائيسها وتفسيراتها التى ما وضعت إلا من خلال فكر بشرى محدود بحدود القدرة العقلية البشرية القاصرة التى لا تستطيع الخروج من دائرة الزمان والمكان الذى تعيش فيه ومن ثم فإن أى منهج بشرى مهما كان دقيقاً ومحكماً فإنه لا يلبث بعد سنوات قليلة أن يعتوره الفساد والقصور آراء المتغيرات السريعة التى تعمل عملها على تحويل الواقع وتطويره وليس كذلك الفكر الربانى المتمثل فى شريعة الإسلام ونظامه وقانونه الذى يقوم على إطار من الثوابت يسمح بالحركة فى داخله على نحو منضبط يمكن الحياة الانسانية من العمل والتعبير دون أن تخرج على الحدود التى رسمها الحق تبارك وتعالى وأحاطته بالزمان المتجدد والمكان المتغير واستيعابه لكل شئون التطور والتحول التى تواجه البشرية فى مسيرتها . كذلك فإن الإسلام يقدم البلسم لأدواء البشرية فيدعوها أن تصلح وجودها وأن تحرر نفسها من الزيوف والأهواء لتجرى فى مجرى الإسلام الأصيل إذا أنه ليس من الحق أن يدعى الإسلام لتبرير انحراف البشرية فى إنطلاقها نحو الأهواء والاستعلاء والإندفاع بمعطيات العلم إلى تدمير البشرية أو إلى التمييز بالثروة عن الأمم والشعوب أو بالتسلط على الأمم بدعوى التفوق العلمى أو العنصرى ، فإن الإسلام يشجب ذلك كله ويرفضه ويدعو البشرية إلى التماس منهجه الأصيل فى التوحيد والأخوة البشرية إيماناً بوحدة الخلق ووحدة البشرية ، قياماً بأمر الله بالاستخلاف فى الأرض وتعمير الحياة وإقامة المجتمع الربانى على وجه الأرض وكذلك فإن الإسلام يرتفع ويعلو على لعبة الدول الكبرى : لعبة اليمين واليسار ويجب أن يرفع المسلمين عن أن تحتويهم هذه اللعبة

أو يخضعوا لها فإن المسلمين إرادتهم الكاملة التي تمكنهم من أن يكونوا « أمة » قائمة بذاتها لا تخضع للشرق ولا للغرب في منهج من مناهج الاقتصاد أو الاجتماع ، وهي بما تملك من رسالته الحقّة وميراثها الكبير لها منهجها الأصيل وشريعتهما الغنية التي استطاعت أن تقدم للبشرية في العصر الحديث عشرات من المعطيات في مجال القوانين والنظم الاجتماعية التي أشاد بها المفكرون المنصفون والتي سوف لا تجد البشرية أمامها من طريق ، غير طريقها ، عندما تنقشع عن العيون تلك السحابات المظلمة التي تفرضها الآن أهواء التلمودية الخطيرة التي تسيطر على علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والاقتصاد وقد نساقطت هذه القوانين وبان عوارها وأحس الغرب اليوم الذي احتوته التلمودية اليهودية منذ قرابة مائة عام أنه يسير في التيه وأنه بلغ درجة الانحلال والغربة والتدمير النفسي ، يوم استبدل طريق الدين بحثاً عن الدين الحق إلى طريق التلمودية الخطير المظلم ولقد كان من العجب أن يفرط المسلمون في ميراثهم ويلتمسوا الإصلاح مجتمعاتهم هذه المناهج الباطلة المظلمة التي لم تستطع أن تحقق خرة من النور والخير لأهلها في الغرب . واليوم والعالم يبحث عن ميراثهم وقيمهم ليلتمس بها طريقاً ومخرجاً إلى الإيمان نجد المسلمين ما زالوا واقعين تحت لعبة اليمين واليسار ، ونرى تيارات الفكر الماركسي والصهيوني والليبرالي تنصارع على أرض الإسلام تحاول احتواء المسلمين وتخدعهم عن أصالتهم وحقهم وما تستطيع الماركسية أو الليبرالية أن تقدم شيئاً للمسلمين والعرب إلا ما قدمت خلال هذه السنوات الأربعين التي عاش العرب فيها بين التجربتين وشهدتا فشلها وقسادهما . وجنوا ثمار التبعية نكبة ونكسة واحتلالا وسيطرة صهيونية على أرضهم وعلى قلوبهم فعلى المسلمين والعرب أن تكون التجربة المريرة المظلمة التي مروا بها مخدوعين خلال السنوات الأخيرة قد أصبحت كافية لأن تردم عن هذا الطريق وتدفعهم إلى الطريق الأصيل : طريق الله الحق ، طريق الشريعة الإسلامية والمنهج الرباني الجامع الذي هو فوق كل منهج وما تزال الأحداث تثبت للمسلمين والعرب إن هذه المناهج الوافدة التي التمسوها وصدقوها يوماً هي التي فتحت لهم باب الشر واسعاً وأنه لا بد من حسم في المواجهة والتبذ على سواء حتى تقوم النهضة الإسلامية على شريعة الله فهي وحدها التي تجمع المسلمين وترد عنهم خطر الاحتواء والغزو والتدمير الذي تستهدفه المناهج الوافدة لقد كنا نقول منذ ثلاثين سنة أن قوى العدو إنما تتطلع إلى السيطرة من أجل الموارد والأسواق وأنها تكنف والمخضوع من العرب والمسلمين ولكن يبدو أن هذه النظرة كانت ساذجة فإن القوى الجديدة

التي برزت أنبياءها تحت أسماء الصهيونية والماركسية لا ترى هذا ولا تنقف عنده وإنما ترسم لتخزيق رقعة الإسلام من طرفها الغربي طنجة وطرفها شرق باكستان ووسطها فلسطين وأنها تضربها بمعاول الأيدلوجيات التي أخذت تغزو البيوت والعقول والقلوب عن طريق السينما والمسرح والقصة والكتاب . والمهدف (أولاً) إيقاف المد الاسلامي والقضاء على حركة اليقظة الاسلامية التي ثبت الان تماماً إنها الطريق الذي لا طريق غيره للمسلمين (ثانياً) تخزيق هذه الأمة التي جمعها القرآن بالتوحيد حتى تصبح أمة محتواه ليس لها رابطة من لغة أو عقيدة أو فكر ولقد قال سياسي غربي كبير يوماً بعد هزيمة أمته : أن هناك خطراً عتد من طنجة إلى كراتشي ، وإن الإسلام ذو قوة وحضارة وثقافة وهو جدير بأن يكون الوارث لنا . إن المسلمين والعرب اليوم قوة ولليهم كل أدوات امتلاك الإرادة وهم مفتوحون على الحضارة الغربية وعامل هام في التوازن الدولي ولكنهم لا يعقل أبداً أن يخضعوا لآراء أي أيدلوجية أو مذهب غير مذهبهم ، وهم حين يفرضون منهجهم القرآني فإنما يقررون مبدأ السلمة والاخاء البشري الذي يرفع راية المساواة والاخاء بين جميع الأجناس إلا من اعتدى واتبع سبيل التامر والغزو فهذا خارج عن نطاق هذا التعامل « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوهم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم » إن مرحلة التبعية والسيطرة والاحتواء قد انتهت تماماً وزالت إلى غير رجعة وأن مرحلة امتلاك الإدارة والرشد قد بدأت فعلاً وهي بداية مرحلة الانتقال من اليقظة إلى النهضة في عالم الإسلام وهي كبرى علامات القرن الخامس عشر الهجري الذي يطلع فجره اليوم فعلى المسلمين والعرب أن لا يرتدوا إلى الوراء وأن يعلموا أنهم يملكون إسمى المناهج وأنهم الأعلون فوق لعبة السياسة والاحتواء وأن طريقهم هو ذلك الصراط المستقيم : طريق الأصالة والذاتية المتميزة التي تضعهم حيث وضعهم الله شهداء على الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطعمون المحتجعين الراباني في الأرض .

عالم الإسلام المعاصر

في القرن الرابع عشر الهجري

واجه عالم الإسلام المعاصر خلال القرن الرابع عشر خمس ثلاث تحديات هي أخطر ما واجهه من تحديات .

أولاً : التجربة الغربية

كشفت الأحداث المتوالية على مدى ثلاثين عاماً ، أن الكيان الإسلامي ما زال يرفض الجسم الغريب ولا يقبله ، لأنه ليس من معدنه ، ولأنه لا يستطيع أن يقدم له أشواق الروح ، أو يتجاوب معه في أسلوبه ومضمونه وقيمه . لقد رفض الكيان الإسلامي التجربة الغربية . ليس في مجال النظام السياسي الديمقراطي الليبرالي وحده ، ولكن على النطاق الأوسع في مجال الحضارة والمجتمع . لقد جاءت التجربة الغربية في بلاد الإسلام معارضة تماماً لطبيعة تكوين هذه الأمة ، التي شكلها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً في وجوه كثيرة ، وإن كانت في بعض مظاهرها تخدع الذين لا يعرفون جوهر الإسلام ، بالمقارنة بين الديمقراطية الغربية والشورى الإسلامية . وبينهما فروق بعيدة وخلافات عميقة ، ولقد جاءت الديمقراطية الغربية إلى بلاد الإسلام على سبيل القسر والتحكم ، ولم تكن عن رغبة أو طوعية . فقد فرض النفوذ الأجنبي بالاحتلال السياسي والعسكري هذا النظام ، بعد أن عطل منهج الشريعة الإسلامية ، الذي عاشت الأمة الإسلامية في إطاره عمرها كله ، ولم يكن هذا النظام الوافد البديل إلا عاملاً من عوامل تهديم المجتمع الإسلامي وضربه في الصميم ، فقد فرض عليه القانون الوضعي ونظام الربا ، وأباح فيه أسلوباً من التعامل قريباً من الإباحية وحسب التفسخ ، وأتاح لكل عوامل الفساد أن تنمو في حياطة القانون وحمايته ، فضلاً عن النظام السياسي الذي لم يكن إلا مظهراً كاذباً يحمل طابع الديمقراطية وحكم الشعب ، بينما يضمّر في أعماقه تسلط الفرد الديكتاتور . لقد قامت الديمقراطية في الغرب على مفاهيم ميكافلي : الذي قرر أن السياسة لا تخضع للدين ولا للأخلاق ، وأن لها قواعد المتقلبة ، والسياسة عند ميكافلي هي ، الوصول إلى الحكم ، ثم البقاء في الحكم بعد الوصول إليه ، وفي سبيل الوصول إلى الحكم تباح جميع الوسائل بدون استثناء ومن ذلك قولهم : أن السياسة تكذبك ، لا شأن لها بالخير والشر . فمن أراد أن يصل إلى الحكم فهذه هي الوسائل : القتل ، والكذب ، والرشوة ، والمكر ،

والخداع ، ويرى ميكافلي - وقد قامت مفاهيم النظام السياسي الغربي الديمقراطي الليبرالي على ما قعده من قواعد - يرى أن السياسة لا تقوم إلا على الدسائس والمؤامرات لنيل القوة وان الغاية تبرر الوسيلة ، وأن على الحاكم أن يحقق رغبته دون نظر إلى الأخلاق والقيم . يقول ميكافلي : « فليحافظ الأمير على عرشه ، دون النظر إلى الوسائل ، فإنها ستبقى على الدوام معتبرة شريعة يدحها الكل . لأن العامة مأخوذون بالظواهر وبتنتائج الأشياء ، وأنهم هباء لا قيمة لهم ولا يحسب لهم حساب » وبهذا المفهوم جرى تطبيق التجربة العربية في بعض بلاد عالم الإسلام ، ولم تكن الصورة الديمقراطية الظاهرة إلا قفازا حرييراً يخفى وراءه الأظفار المخضبة بالدماء ، والتي لا تسمح للمعارضة أو الرأي الآخر أن يكون له وجود حقيقي ، ومن العجب أن يشهد كتاب الغرب بأن هذه الديمقراطية الليبرالية قد فشلت فشلاً ذريعاً في بلادها ، ومع ذلك فقد نقلت إلى أفق العالم الإسلامي لتلقى مزيداً من الفشل يقول مؤلف كتاب « الثورة العقائدية » : « أن الليبرالية السياسية لم تنم نمواً طبعياً في أية بلاد إسلامية ، وأن بعض المحاولات التي جرت لنقل الليبرالية الأوروبية في القرن الراهن ، إلى بعض البلاد الإسلامية قد فشلت ، ويبرر المفكرون المسلمون هذه الظاهرة : بأن القرار ديمقراطي في جوهره ، كما ينطوي على مساواة بين الناس ، ولما ينص عليه من شورى قبل تقرير الأمور ، ولما يؤكده من اجماع ويضطر عليه من ضرورة خضوع الحاكم للشرع والواقع أن الاسلام لا يقيم نظاماً بشرياً يسمى مبدأ سيادة الأمة ولكنه يقيم نظاماً ربانياً يسمى تطبيق حكم الله واقامة المجتمع الرباني ولذلك فإن الإسلام حين يأخذ مبدأ الشورى لا يهدف إلى تحقيق ما يسمونه : «مبدأ سيادته الأمة» فإن التشريع الإسلامي في الحقيقة ، هو التعبير الأصيل عن إرادة الأمة ، وأن الحاكم في الإسلام إلى أن يكون لهذه الأحكام السلطة العليا . وأن محاولة جعل الأمة صاحبة سلطة السيادة ، إنما هي محاولة مضللة ، لإخفاء وضع هذه السيادة في يد القيصر أو الديكتاتور ، وإنما يهدف إنما يهدف القيصر أو الديكتاتور أن يتخفى وراء هيئة نيابية منتخبة من الشعب ، وليس الأمر في نظر رجال القانون الغربيين ، إلا مجرد رمز أو صورة ، تخفى وراءها سلطة ديكتاتورية مستورة ، وراء ما يسمى : « الاستفتاء الشعبي » ، ويقول الفقهاء الغربيون اليوم بمنتهى الوضوح : أن مبدأ سيادة الأمة لا يكفل منع الاستبداد أو الاستئثار بالسلطة المطلقة ولقد تلائم مبدأ سيادة الأمة مع الأنظمة الديكتاتورية ، فهو لا يمنع الاستبداد بل هو خطر على الحرية ، لأنه ليس من شأن هذا المبدأ أن يهدف إلى وضع قيود أو حدود ، على سلطان السلطة التنفيذية أو السلطة التشريعية . ولقد وصلت الديمقراطية الغربية اليوم ، إلى مرحلة الفشل والهزيمة

والانهار ، بعد أن اقتحمتهما الأخطاء من كل ناحية ، ولم تعد الشعوب في الغرب تثق فيها ، أو تجد فيها نظاماً صالحاً ، ولم تعد أحزاب الغرب تستطيع أن تنال ثقة الناس . وقد كتب كثيرون من أمثال « توينبي » وغيره يكشفون عورات هذا النظام وفساده ونتائجه الخطيرة ، في الاضطراب الاقتصادي ، والتحلل الاجتماعي ، والفساد الأخلاقي ، وتوسيع الهوة بين الفقراء والأغنياء . وعندما ننظر إلى إحدى الدول الأوروبية الديمقراطية ، نجد أن ٤٨٪ من ثروتها في قبضة ٧٪ من مجموع المواطنين . وأنه بينما تسلمت أرملة آخر من فقد حياته من عمال المناجم أثناء عمله ٦٧٥ دولاراً تعويضاً عن حياة زوجها ، حقق لورد كارنجتون (وزير الدولة السابق لشئون الطاقة) ما يساوي ٩٣٢ ألف دولار ربح صفقة واحدة . وقال « دزرائيلي » منذ مائة عام أن بريطانيا أمتان تقع كل منهما تحت مؤثرات مختلفة ، وتحكمها أخلاقيات متباينة ، ولا يجمعهما فكر مشترك ولا حتى في المشاعر ، بل مجتمع للفقراء ومجتمع للأغنياء ، يطفحان بروح الصراع الطبقي العميق . ومن هنا نجد الخطر كل الخطر ، في ذلك الجيل الذي يؤمن بتفضيل قيام النظام الديمقراطي الغربي ، بديلاً عن النظام الإسلامي ، وهذا الجيل الذي لم يتعرف إلى مفهوم الإسلام تعرفاً صحيحاً مع التفريق الواضح بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية ، بعد أن حدث خلط كبير بينهما . ذلك أن الإسلام يجعل السيادة للشرع لا للشعب أو لفرد أو لجماعة : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمون فيها شجر بينهم ، ثم لا يجلدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » النساء : ٦٥ ، فالسلطة التشريعية هي لله وحده تبارك وتعالى ، فلا يجوز للناس أن يشرعوا ، أما السلطة التنفيذية فهي بين يدي أمير المؤمنين ، ونظرة الاسلام إلى الحكم : هي أن يكون الحاكم نائباً عن الأمة في تنفيذ ما تعاقدت معه على تنفيذه . فالحاكم في الإسلام نائب عن الأمة في تنفيذ أحكام الشرع عليها ، لأن السلطان للأمة أصلاً ، تعطيه بالإنابة عنها ، لمن تراه كفؤاً على القيام بأعباء الحكم وتنفيذ أحكام الشرع . ومن هنا فقد بطلت تلك المحاولة التي تهدف تطويع الإسلام تحت اسم الشورى ، إلى مفهوم الديمقراطية على الطريقة الحديثة ، ذلك أن ذاتية الإسلام تعلق على هذه المقارنة ، وعلى المسلمين تطويع مجتمعاتهم لنظام الإسلام ، وأن يعلموا أن الديمقراطية الحديثة تختلف اختلافاً عميقاً وجذرياً عن الإسلام ولا ريب أن محاولات بعض الكتاب المسلمين في إخضاع مفهوم الإسلام للشورى ، للأساليب الغربية خطأ محض ، وهذه الطريقة الغربية تخضع للرشوة وللتزوير ، والتي تمثل البعض من الوصول إلى السلطة بغير

كفاية حقيقية بينما الشورى في الإسلام لا تكون إلا مع من صفت نياتهم وتؤكد الإمام من اخلاصهم حتى يطمئن إلى الأخذ برأيهم والاعتماد على وجهات نظرهم ، فلا يستنبطون من وراءها أمراً ولا يطمعون في مغائس أو مصالح ، ومن ذلك خطأ الذين يقولون أن الديمقراطية تقوم على الشورى ، وأن الشورى الإسلامية يمكن أن تنفذ عن طريق المجالس الشعبية الديمقراطية وبالطريقة التي تعمل بها ، لأن هذه المجالس لا تمارس وظيفة الشورى بل وظيفة الرقابة فليس الحكم الديمقراطي قائماً على الشورى كما يفهم بعض الناس ، ولكنه يقوم على الرقابة وإحصاء الأخطاء أما الطريقة الإسلامية فإنها تختلف عن ذلك تماماً ، ففي الإسلام وحدة الهدف الذي يسعى إليه الحاكم والمحكوم ، وتقيد سلطة ولي الأمر إنما يكون بمقتضى النصوص الشرعية فولى الأمر في النظام الإسلامي لا يملك التشريع إلا في أمور فرعية ، وهو متقيد بالأصول الشرعية وهو منفذ للشرعية ، والعدالة الإسلامية عدالة ثابتة ويجب التقيد بها على مر الزمان ولا يصح طرح الشريعة لمجرد الطعن عليها بالقدم ومضى المدة وتغير الظروف وليس في الإسلام حكومة (ثيوقراطية) والتاريخ الإسلامي كله لم يعرف مثل هذه الحكومة ، فالإسلام يقيم نظام الدولة شاملاً لجميع المواطنين ، ويجعلهم على قدم المساواة في الحقوق والواجبات ، ويكفل حرية الاعتقاد والعبادة لجميع المواطنين ، والقول بأن في الإسلام دولة ثيوقراطية هو من الأخطاء التي يحاول بعض المستشرقين والعلمانيين الصاقها بالإسلام ، بينما هي من عمل التاريخ الغربي والأديان في الغرب ، ومن الحقائق الثابتة الأكيدة ، أن الإسلام لم يقيم الدولة الثيوقراطية على المفهوم الذي عرفه البابوات في حكوماتهم ، ومفهوم الدولة الثيوقراطية التي يتولى أمرها رجال الدين على المعنى المتعارف عليه في الغرب ، لا يوجد في الإسلام ، وشريعته السمحاء لا تقر وجود ما يسمى رجل الدين ، وليس في التوحيد بين السلطين الدينية والدينية في الإسلام ، ما يؤدي إلى شيء من التضارب ، فليس في الإسلام حقائق روحية خالصة ، ولكنه جامع بين الروح والمادة ، وحكومة الإسلام في تطبيق مبادئه ليست إلهية ، بل هي بشرية تخضع للنقد وتقبل الشورى وتقبل رأى الإنسان واجتهاده ، وإمام المسلمين هو بحكم نظام الإسلام من الخيرة بينهم إيماناً بالله ومعرفة بمبادئ الإسلام ، وأكثرهم تجنباً للظلم واحترافاً للحق وإقراراً للعدل لقد سجل كثير من الباحثين المسلمين فساد المنهج البشري ، فكتب أمثال الدكتور محمد عبدالله العربي عن تجربته الخاصة فقال بأدركت - كما أدرك غيري من علماء أوروبا أنفسهم - أن هذه النظم التي تمكنت من هرسنها

وتدريسها أكثر من ثلاثين عاماً عاماً ، كانت من أهم الأسباب في كل ما حاق بالبشرية ، وما زال يحق بها من ويلات وكوارث وشقاء شامل من هذه النظم الأوربية وما فيها من اضطراب وتناقض لأنها من تفكير البشر وصنع البشر ، الذين لا يرون إلا ما هو مكتشف لهم في فترة محدودة من الزمن ، وفي قطاع محدود من الأرض . رؤية فيها كل قصور الإنسان وانفعالاته العابرة وشهواته الجامحة . فتفكيره من أجل ذلك لا مناص من أن يكون تفكيراً جزئياً وتفكيراً وقتياً ، ومن هذه الجزئية يقع النقص والقصور . ومن هذه النقطة يقع الاضطراب في التمييز بين الحق والباطل فما يكون حقاً في عصر يكون باطلاً في عصر آخر»

نبعاً لأمزجة الحكام وأحياناً المحكومين . ويقول : « لقد احتجبت حضارتنا الإسلامية أمام غزو حضارة أجنبية ، وكان تقليدنا لما خبث فيها أسرع من اقتباسنا لما صلح منها فشبابنا في الجامعات لا يدرسون إلا النظم السياسية والاقتصادية كما تعرفها أوروبا ، وتشريعنا الوضعية في شئون الحكم والاقتصاد والاجتماع ، تحتذى حذو التشريعات الأوربية وتنهج على منوالها فيما تحرمه وفيما تبيحه ، وفي سياستنا الاقتصادية والمالية اقتبسنا نظمهم المصرفية الربوبية ، التي سيطر من خلالها اليهود على الاقتصاديات العالمية ، وفي سلوكنا الاجتماعي أصبحنا نقلد مجونهم وأزياءهم ومبادئهم الناجرة ، ثم نقاعسنا في نفس الوقت عن ابتكاراتهم الفنية وكشفهم العلمية . هذه هي الحقيقة التي انكسفت في العالم الإسلامي منذ وقت طويل ، عندما أخذت حركة اليقظة الإسلامية تكشف زيف الدعاوى الوافدة ، في مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون وتلح إلحاحاً شديداً على مدى الاخطار التي واجهتها المجتمعات الإسلامية منذ أن خضعت للتجربة الغربية ، ومدى الاثار التي تربت عليها في أجيالها المتوالية فكان لابد أن تصل الأمور إلى غايتها بإزاحة هذه التجربة في بعض الأقطار الإسلامية كباكستان وإيران ، والكشف عن آثاريها التي تتمثل في فرض مجتمع الفجور والربا على الأمة الإسلامية ، وقد بدأ واضحاً اليوم أن المسلمين إنما يريدون مجتمعاً أصلاً يستمد وجوده من مفاهيمهم وقيمهم ، ولا يرضون عن هذا المجتمع الذي أقامه اليهود في قلب العالم الإسلامي على دعائم من النظام الليبرالي الديمقراطي . والذي يتمثل في ديكتاتورية الحاكم المستبد ، تحت اسم العصرية والتقدم واعتبار الإسلام رجعية ، وبناء النظرية التقدمية على أساس الأصول الوثنية القديمة . وإحياء التراث الذي سحقه الإسلام سحقاً ، سواء أكان مجوسياً أو آشورياً أو هندوكياً أو بابلياً ، أو تراث قورش ، وإقامة الدولة العصرية على معنى التحلل

الخلقى والفجور إن التجربة الغربية فى أسلوب العيش قد فشلت فى المجتمع الإسلامى فشلاً ذريعاً ، وما يعتقد أحد أن المسلمين يرغبون فى إعادة تسبيق مجتمع الانحلال والفساد الغربى على مجتمعهم حيث لا تفهم الدولة العصرية إلا حرية الفجور والخمر وسيادة اليهود عن طريق الفوائد الربوية ، هذا هو النمط الذى كان يشجعه بعض الحكام المسلمين الذين أسقطهم الشعب ، حيث تفتك الدكتاتورية وتسلب ثروة الشعب من ناحية ، وتدميرهم بالفساد والانحلال من ناحية أخرى وتحول بينهم وبين امتلاك ثرواتهم وإرادتهم فى إقامة المجتمع الأصيل : إن المسلمين الذين يملكون اليوم الطاقة والثروة والتفوق البشرى يتطلعون فى قوة إلى مجتمع إسلامى قائم على مفهوم الإسلام الأصيل ، بعد أن فشلت التجربة الغربية ، وبعد أن أخذت شمس الحضارة تغرب عن أوروبا بشقيها الديمقراطى والماركسى ، وبدأت أنظار العالم كله تتطلع إلى المشرق إلى عالم الإسلام ، وإلى الإسلام نفسه كمنقذ للبشرية من وهدهدتها . إن على الغرب أن يغير نظرتة وأسلوبه القديم ، حين كان ينظر إلى الشعوب الشرقية كأنها وسائل لمآياته الخاصة وأن تتوقف محاولات الغرب فى أن يفرض على المسلمين أسلوب العيش الغربى وحضارته ، فى إطار أيديولوجياته المضطربة من ديمقراطية واشتراكية ، لأنها تهدف إلى الحيلولة بينه وبين امتلاك إرادته الحرة ، فى إقامة المجتمع الربانى وتقديم الإسلام للبشرية كلها بوصفه الأمل الوحيد الباقى للبشرية ، حتى تخرج من أزمتها القاسية . لقد كانت رسالة الإسلام وستظل . أعمق حركة من حركات التحرر ، تحرير الإنسان من عبودية الإنسان وتحرير الإنسان من الوثنية وعبادة غير الله . وقد أعلنت مساواة الأجناس البشرية أمام العدل الإلهى ، وتحطمت القوى المستبدة على صخرة المساواة الإسلامية واليوم ما أشد حاجة البشرية إلى تحريرها من المادية والوثنية والإباحية التى تتردى فيها . إن الإسلام لا يزال غصناً طرياً ، وقادراً على العطاء ، وإن التجربة التى تمت قد كشفت عن فساد الأسلوب الغربى الذى أخذت به الدول الإسلامية منذ الحرب العالمية الأولى إلى اليوم . وكيف جر عليها هذا الأسلوب من التدمير والخطر والفساد ما يعرضها اليوم إلى الاندحار . لذلك فإن الصيحة التى تنطلق اليوم فى باكستان وإيران وتركيا هى صيحة طبيعية ، لأنها تكشف عن مدى ما وصل إليه العقوق ، فى حجب المنهج الإسلامى تحت ركام شديد الظلام والفساد ، من الفكر الوثنى القديم المنبعث ، والفكر الغربى الوافد ، الذى لا يلتقى مع الفطرة الإنسانية ولا مع الأصالة الإسلامية يقول فريد هاليدى فى كتابه إيران الدكتاتورية والتطور : « كان المثقفون الإيرانيون يشعرون

أنهم في مضيدة فمن ناحية كانوا يدركون حدود التاريخ والثقافة الإيرانية ، ومن ناحية أخرى كانوا ثائرون على الشكل المحدود من الثقافة الغربية التي كانت تستورد إلى إيران ، ولهذا تطلع عدد محدود من هؤلاء المثقفين إلى العودة ، إلى القيم الإسلامية ، أما الذين كانوا يتطلعون إلى ما قبل الإسلام فكانوا يعتقدون أفكاراً خاوية متعصبة ، كذلك فإن مجال التعبير في ظل الدكتاتورية كان محدوداً للغاية ، فقد اتسع نطاق المنوعات والمحظورات ليشمل مجالات متعددة » . لقد كان من أكبر التحديات أن يبعث في شعب مسلم بعد - أربعة عشر قرناً - عودة إلى قورش وقمبيز والاحتفال بالوثنية الجاهلية ، وإعادتها جذعه ، وإنفاق ملايين الجنيهات على هذا الإحياء ، بل إن الشاه ألغى التقويم الهجري واستبدل به تقويمياً فارسياً قديماً ، تحديداً لتاريخ الإسلام الذي أعطى المجتمع الإيراني هويته الحضارية في الأربعة عشر قرناً الأخيرة ومن ثم تلتقى الدكتاتورية بالوثنية الجاهلية بالإباحية الغربية ، للاجهاز على شعب مسلم ، وكان من طيبة الإسلام أن تنبعث من أعماقه القوة القادرة على التصحيح والتماس الأصالة والمنابع ، هذه الصيحة التي هزت أركان العالم الاستعماري كله والتي تستغلها الصهيونية العالمية ، لكي تخيف الغرب من يقظة الإسلام . هذه اليقظة الكريمة التي لا تحمل في طياتها إلا الرحمة والعدل والأخاء البشري . إن الإسلام لا يهدد أحداً ولكنه يتطلع إلى أن يقدم المنهج الصحيح للبشرية أما اليهود فليس لهم بضاعة إلا البغاء والفساد والربا ، ولذلك فهم من وراء القوى المستبدة المفسدة . إن الأمة الإسلامية بعد أن جربت النظام الغربي ، وجربت النظام الماركسي قد أصبحت مقتنعة تماماً اليوم أنه لا سبيل لها إلا عن طريق منهج الإسلام : وأن أي منهج لتحديث المسلمين أو إدخالهم في حضارة العصر لا يصلح إلا إذا قام الإسلام نفسه ، وقد استطاعت الحركة الإسلامية أن تؤكد للعالم كلها ، أن الإسلام ما زال حياً قادراً على العطاء وأن كل ما أذاعه المستشرقون والاستعماريون عن الإسلام كاذب مضلل ، وأن الغد للإسلام .

ثانياً : القوميات

كشفت الأبحاث الجادة التي قام بها باحثون محايدون ، أن نظرية القومية العربية التي طرحها في أفق الفكر الإسلامي ، كانت بمثابة مؤامرة استهدفت تمزيق الوحدة الإسلامية ، السياسية والاجتماعية والفكرية ، وأنها هي أخطر المحاولات لتفريق عقد الأمة الإسلامية ،

التي كانت مترابطة تحت كلمة التوحيد ، وقد جاءت هذه الأبحاث بعد ركام ضخم من الكتابات والدراسات ، التي قدمت منذ الثلاثينات من هذا القرن ، بهدف تدمير وحدة العروبة والإسلام الجامعة ، التي كان يصدر عنها رجال العمل السياسي في البلاد العربية . وكانت الدعوة إلى القومية ، بمثابة دعوة إلى الإقليمية أولاً ، في الانقطاع التي لما تاريخ قديم سابق للإسلام ، وكانت من ناحية أخرى كمحاولة لفصم عرى العروبة والإسلام ، فقد استعملت كلمة القومية بمفهوم الإقليمية في مصر باسم الفرعونية ، وفي سوريا باسم الفينيقية ، وفي العراق باسم الآشورية والبابلية ، وفي المغرب باسم البربرية . وتركزت حول هذه الدعوى دراسات مضللة ، قام بها مستشرقون يتبعون وزارات الاستعمار في فرنسا وانجلترا مستهدفين إحياء هذه النحل التي قضى عليها الإسلام ، حين جاء قاطعاً لذلك الارتباط القديم الذي يفرق بين اجتماع أمة الإسلام وبين ارتباطها تاريخها ولغاتها القديمة . وحتى نعرف أبعاد قضية القوميات وتفسيراتها الوافدة ، يجب أن نراجع تصريحاً تردد على ألسنة الكثيرين من دهاقين السياسة في أوائل هذا القرن ، يلخصه الدكتور « صمويل زويمر » كبير المبشرين البروتستانت في الشرق في قوله : « أن أول ما يجب عمله للقضاء على الإسلام هو إيجاد القوميات » . ولقد كان أول عمل بدأت به الإرساليات التبشيرية في بيروت هو الدعوة إلى العروبة بهدف تمزيق وحدة العرب والترك ، القائمة تحت لواء الخلافة العثمانية . وكان حملة هذه الدعوة هم مسيحيو لبنان ، الذين كانوا يطالبون بكيان مستقل داخل الدولة العثمانية . ثم ظهرت الدعوة إلى القومية التركية ، تحت اسم الطورانية عن طريق حزب الاتحاد والترقي ، بهدف إخراج تركيا من طابعها الإسلامي ، فلما نجح حزب الاتحاد والترقي في الوصول إلى الحكم أخذ يعمل على تتركيب الشعب وتحويل المحاكم والمدارس ودور الحكم إلى اللغة التركية والقضاء على اللغة العربية ، ومن هنا بدأ العرب في المملكة العثمانية في الدفاع عن أنفسهم فنشأت الدعوة إلى العروبة ، فلما سقطت الدولة العثمانية اتخذ العرب من الترابط تحت اسم العروبة ، أسلوباً من أساليب مقاومة النفوذ الأجنبي . غير أن الاستعمار والنفوذ الأجنبي ، عمد إلى طرح مفهوم للعروبة ، مستعد من مفهوم القوميات الغربية ، استشرى أمره وحاول أن يقضي على ترابط العروبة والإسلام ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فإن الفكر الوافد حاول أن يطرح عدة نظريات ، ليمزق وحدة الفكر الإسلامي ، ويحول به دون الالتقاء في كيان جامع موحد ، فكانت هناك الدعوة إلى القومية الوطنية ، وتمثلت في الدعوة إلى القومية اللبنانية والقومية

السورية والقومية المصرية ، وكانت هناك دعوة القومية المستمدة من مفهوم النظرية الألمانية أو النظرية الفرنسية ، واحدهما تعتمد اللغة أساساً لها ، وتعتمد الأخرى مفهوم المشيئة . ولم تكن الدعوة إلى القومية الوطنية في حقيقتها إلا دعوة إلى الاقليمية في محاولة لإعطاء هذه الاقليميات طابع القوميات . ثم لما برز طابع العروبة ، الذي كان هو منطلق سوريا والعراق والحجاز في مواجهة الطورانية أولاً ، ثم في وجه الاحتلال الفرنسي لسوريا ولبنان ، ثانياً ، كموقف مفروض لا محيد عنه ، هنالك رأت حركة التغريب أن فكرة العروبة بمفهومها الإسلامي التي أخذت تشرع ، بمثابة خطر جديد عليها ، فأخذت تتدخل فيها لتحريفها وإفسادها ، وذلك بعد أن فشلت دعوة الأقليميات ، لذلك فقد عمدت إلى طرح نظرية القومية العربية وحشدت لها حشوداً ضخمة ، بهدف زعزعة المقومات الأصيلة ، وتعرية العروبة من كل مفاهيمها المرتبطة بالإسلام سواء على صعيد الفكر ، كالثقافة والتاريخ واللغة أو على صعيد السياسة ، كالترايط والانفتاح بين الأمم الإسلامية ذات التاريخ والثقافة والعقيدة الواحدة ، والتي تجمعها منذ خمسة عشر قرناً أرضية ثابتة ورصيد ضخم كانت النظرية في القومية تريد أن تحمل معها ثلاثة محاذير خطيرة . أولاً : طابع الاستعلاء الجنسي المعلق في مواجهة الأمم الإسلامية ثانياً : طابع الانعزال الكامل عن التاريخ والتراث والمقومات الإسلامية . ثالثاً خلق وجود معاصر منفصل تماماً عن الإسلام وعن العالم الإسلامي متصل بالغرب مندغم في تفسيراته وقيمه وطوايعه . وقد غاب عن الذين طرحوا النظرية الغربية في القومية ، أن هناك عاملاً ضخماً لا سبيل إلى تجاهله أو إغفاله من أى نظرة علمية ، وذلك هو الطابع الفكري العميق الذي صاغه الإسلام للتشكل العربي ، في أولى مراحل وجود العرب كأمة ، بعد أن كانوا مجموعة من القبائل المتصارعة ، وأن هذا الطابع قد أقام حداً فاصلاً عميقاً (فكرياً وسياسياً واجتماعياً) بين ماضى العرب والمصريين والشاميين والعراقيين والمغاربة جميعاً ، وكل من عاش في هذا العالم الممتد ، الذي سيطر عليه الإسلام وشكله الفكر الإسلامي ، وخاصة تلك المنطقة التي تعربت وأصبحت تسمى مجال العروبة ، وأنه لا سبيل إلى إعادة هذه الأمم إلى ماضيها القديم ، بعد أن نقلها الإسلام ، تلك النقلة الواسعة من الأساطير والوثنيات والعصبية والصراع الفكري والفراغ الاجتماعي ، إلى ذلك الطابع المتكامل من التوحيد والعدل والحق والمقومات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية الواضحة في ذلك النظام المحكم الذي نزل به القرآن ورفع لواءه الإسلام وفي عام ١٩٤٠ تقريباً بدأت عملية طرح النظرية الغربية في القوميات وظهر أتقلام تتحدث عن فلسفة القوميات ، وتشكلت هذه الفلسفة على

هيئة مؤسسات وأحزاب ومدارس فكرية ، وبدأت نقطة إنطلاقها من لبنان ومن خلال خريجي معاهد الإرساليات ، والعائدين من بعثات تعليمية أجنبية ، واتخذ بعضهم الأسلوب المنحرج الحالم الصوفي ، الذى يحاول أن يعطى كلمة القومية العربية مفهوم العقيدة الدينية ، ويروج لها فى إطار من المزامير والموسيقى والأناشيد والتراتيل ، على نحو يؤثر فى نفوس الشباب الطامح المشرق حماسة ، إلى مثل أعلى وفكرة ومنهج حياة . وقد شاء أصحاب الدعوة ، أن يرجعوا التاريخ المكتوب الذى عاشته العروبة فى كنف الإسلام ، أن يرجعوه القهقري من جديد ، ليدخلوا فيه كلمة القومية التى لم يكن يعرفها ، والتى لم تجر على الألسنة والأقلام إلا فى أوائل هذا القرن الميلادى ، والتى ينذر أن يوجد نص مكتوب لأديب أو مفكر أو شاعر يتخذ من كلمة (ق و م) شعاراً له أو منطلقاً فى قصيدة أو مقال أو كتاب . ذلك أن أصحاب هذه الدعوة لم يكفهم أن يقولوا كلمتهم اليوم ، ولكنهم حاولوا أن يقدموا لها تاريخاً طويلاً بعيد المدى ، يسبق ظهور الإسلام ويمتد بعده ، ولا شك أن تلك المحاولة كانت باطلة وزائفة ذلك لأنه لم يكن هناك إلا تاريخ واحد ، هو تاريخ الأمة الإسلامية ، والعرب جزء منه ، ولم يكن هناك ما يفرق بين العرب والمسلمين خلال ذلك التاريخ ، الذى كان العرب والترك والفرس والهنود فيه كلا متكاملًا . ولا ريب أن تفسير التاريخ الإسلامى تفسيراً قومياً ، كان مضللاً وكاذباً ، حيث لم يكن هناك انفصال بين الإسلام والعروبة إلا بعد الاحتلال الأجنبى وانفصال الدولة العثمانية عن العرب . كذلك فقد كان هدف دعاة القومية أن يفصلوا العرب عن الفكر الإسلامى ، وعن الامتداد الإسلامى ، وأن يخلقوا كياناً عربياً جاهلياً يعود بالعرب إلى كنعان وعدنان وادم ، وإحياء هذا التراث القديم ، بعد أن سيطر الفكر الإسلامى أربعة عشر قرناً كاملة على عالم الاسلام الواسع ، واستوعب فى أعماقه كل فكرة صائبة ونظرة صالحة من ذلك التراث القديم وإذا كانت بعض الظروف قد أفسحت المجال لطرح النظرية القومية الوافدة حيناً ، فإنها لم تلبث أن تكشف فسادها وغرابتها على الروح الإسلامية وأنها ليست منبعثة من وجودنا ، وليست تمثل فكرنا أو كياننا أو جوهر قيمنا . وأن أخطر ما وقع فيه هؤلاء الدعاة جميعاً ، أنهم صدروا عن مفهوم وافد تشكل فى إطار المجتمع الغربى ، وواجهه المسيحية الغربية ، وفاتهم اختلاف العلاقة بين العرب والمسلمين ، وبين مفهوم الإسلام كعقيدة تختلف عن المسيحية ، فى أنها ليست نظرية لاهوتية أو علاقة بين الله تبارك وتعالى والفرد . ولا صلة لها بأنظمة المجتمع وفاتهم أن الإسلام عقيدة ومنهج حياة ولأن القائمين بالدعوة

كانوا غربي الفكر ، فقد فاتهم فهم حقيقة الإسلام الجامعة بين الدين والدولة ، وبين الدين والمجتمع ، وأنه حضارة وثقافة ومنهج حياة . وبالجملة فإن دعاة القومية الوافدة قد جانبوا الأضالة والفهم العميق للإسلام والعروبة ، وكانت محاولتهم في فرض مفهوم غريب دخيل وافد ، ومحاولة مبتسرة ، شأنها شأن المحاولات التي فرضت على الفكر الإسلامى من قبل ومن بعد ، وقد أعلنت جميعها فشلها الكامل ، كالديمقراطية والاشتراكية والوجودية وغيرها . ويصدق في هذا دارسان غربيان أولهما : « أرنولد توينبى » الذى يقول في كتابه : « المسيحية بين أديان العالم » أن الشيوعية والقومية هما العدوين للأديان ، إذ هما شكلان مختلفان لموضوع فاسد ، ألا وهو عبادة الإنسان لنفسه . ويقول ألفريد كانتول سميث : « إن القومية المجردة ليست هى القاعدة الملائمة للنهوض والبناء وما لم يكن المثل الأعلى إسلامياً على وجه من الوجوه فلن تثمر الجهود ، وتاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل على ذلك » . بل أن مستشرقاً آخر ينصح قومه بالتخلي عن طرح هذه النظرية لفسادها ذلك هو « ألبرت جوراني » الذى يقول : « ليست القومية نظاماً فكرياً متكاملًا ، ولكنها نقطة بداية تنظيم المجتمعات المتحدة ، فإن الشرق العربى قد وصل إلى مرحلة ما بعد القومية » وهذه حقيقة فإن السنوات الأخيرة قد كشفت عن فساد منطلق القومية ، وعجزها عن أن تحقق شيئاً ، بل أنها قد سجلت على نفسها ذلك الأثر السىء العميق ، الذى أخر نمو الوحدة الإسلامية ، التى هى الطريق الأصيل للإلتقاء الجامع ، تحت لواء العقيدة والمنهج ، وقد تبين أن القومية « أيديولوجية غربية كانت فى انبعاثها فى الغرب تستهدف تحطيم الوحدة المسيحية الجامعة ، التى كانت تشكل إطاراً عاماً فى الغرب ضد اليهودية ، التى كانت تعيش فى أحياء الجيتو دون أن تختلط بالحياة الاجتماعية الغربية ، وقد رأت الدوائر الأجنبية التى طرحتها فى أفق العالم الإسلامى أن تمزق وحدة العالم الإسلامى . ولقد كانت القومية الطورانية ، قومية لا دينية حمل لواثها ضياء كوكب ألب وأحمد أغادف ويوسف أشقورا ، وكانت تدعو إلى أمجاد طوران ، كما ظهرت القومية الفارسية ، لتعظم أمجاد فارس قبل الإسلام والسير على خط كورش « كورش » أما القومية العربية فقد قادها لورنس عميل المخابرات البريطانية والصهيونية معاً ، وأسلمها إلى مجموعة من دعاة التغريب وتلاميذ الانحداد والترقى العرب . وكان كتابها ودعاتها يحملون العداء لكل ما هو إسلامى ، وقد اختلفوا فى كل شئ ، واتفقوا على شئ واحد هو رفض الإسلام ، عقيدة وتاريخاً وحضارة ، وأعلنوا غدواتهم للتراث والأمجاد التاريخية وللنصحنى ،

وحين أعلنوا أن مقومات القومية هي اللغة والتاريخ فاتهم أن اللغة هي الفكر لا اللفظ، وأن التاريخ لا يفصل بين العروبة والإسلام وأن الإسلام جنسية ووطن بكل معنى الكلمة لها ركائزها من اللغة والمشاعر المشتركة ووحدة الهدف . وأن الإسلام هو الذي حمى الوطن العربي من الصليبيين ، بد أن أقاموا أربع إمارات صليبية لهم على ساحل الشام ، فجاء صلاح الدين المسلم الكردي لينشل العروبة من رقبتها ، وقد أكمل هذا الدور قطز وبيبرس ، وهما من المسلمين لا من العرب ، لقد جاء بعد صلاح الدين الكردي ، المماليك الذين حموا الأرض العربية من التتار وقضوا على بقية معاقل الصليبيين . وفي الجزائر التي وصفها الفرنسيون بأنها فرنسا الجنوبية ، كان الإسلام : وليست اللغة العربية هي التي حمت الأمة مائة وثلاثين عاماً بعد أن تحطمت اللغة والثقافة ، ولولا القرآن ما كانت هناك قوة في الأرض تستطيع أن تحمي اللغة العربية الجزائرية بعد أن ظلت تتعرض لحرب منظمة مدى قرن وربع قرن من الزمان . ولا ريب أنه حيث يسقط الإسلام يسقط العرب ، وأن العرب بغير الإسلام لا شيء ، فهو الذي شكلهم وأقامهم كأمة ، وهو الذي رفع أعلامهم على مشارف القارات الثلاث . ولا ريب أن نظام الإسلام قد كون رجالاً عرباً وعجماً تكويناً نفسياً وعقلياً فصدروا عن حركتهم التاريخية ، عن هداة وسننه ، وحيث لم يناقض الإسلام المقومات الجنسية ، لكل أمة وشخصيتها النابعة من التطورات المختلفة عبر القرون ، بل حافظ على الكيان الخاص لكل بنية . ولا ريب أن التفسير القوي جزئي وناقض ، ومناقض للحقيقة التاريخية الجامعة ، ومناقض في نفس الوقت لعموم الرسالة التي لا تعترف بالحركات القومية الضيقة الأفق ، ولا ريب أن الإسلام يمكنه أن يظل حياً بلون العروبة ولكن العروبة وحدها عاجزة عن إثبات وجودها ، ومعنى هذا أن الإسلام قوة دافعة للعروبة وليس منضماً لها ، بل هو سبب قوتها وتماسكها وبقائها ، وليس حرباً عليها ، وأن أي محاولة للفصل بينهما ، يسيء إلى العروبة أكثر مما يسيء إلى الإسلام . وقد شرف الله تبارك وتعالى أرض العروبة فجعلها منزلاً لوجيه وقرآنه ومنبتاً لخاتم رسله ، وقد امتزجت العروبة بالإسلام امتزاجاً قوياً ، جعل غير العرب ينظرون على أنها شيء واحد ، وقد وقف القرآن الكريم سداً منيعاً لحماية اللغة العربية من اللوبان والانصهار في اللهجات . ولقد كانت كل مشروعات تبسيط اللغة العربية تهدف إلى القضاء على القرآن ، بينهما وقف القرآن سداً منيعاً مستعصياً على التحريف والتصحيف وفي مراجعة مع السيد « محب الدين الخطيب » رحمه الله ، حول مفهوم العروبة أبان حركتهم بعد

الحرب الأولى قال : إن مفهوم العروبة ومفهوم الإسلام لم يكونا منفصلين وكانت العروبة تعنى ارتباطها بالإسلام ولا تنفك عنه ، ومفهوم الإسلام أنه قام ويقوم بالأمة العربية ، ولذلك فإن الحركة العربية الأولى لم تكن منفصلة عن أرضية الفكر الإسلامى ، وإنما كانت حلقة من حلقاته ، وإذا كان دعاة الفكر الإسلامى قد عملوا فى جانب العروبة فى هذه الفترة ، أى بعد الحرب العالمية الأولى ، فمعنى هذا أنها قد أصبحت هى القلعة التى جرى من خلالها العمل لمقاومة الاستعمار والنفوذ الغربى وحركة التغريب والغزو الثقافى . وقد حرص المسلمون على الربط بين مصر العربية ومصر الإسلامية وكانت لهم فى ذلك نظرية دقيقة واضحة أما الفرعونية والفينيقية والبربرية فقد كشفت الأبحاث من بعد أنها فروغ من العروبة وأنه لا تضارب بينها ، فهى موجات خرجت من الجزيرة العربية ، واستقرت هنا وهناك على طول الأرض العربية وعرضها ، وأن محاولة الاستعمار فى استخدامها للتفريق كانت باطلة ويصور هذه المرحلة الأستاذ « ادريس الكتانى » فى بحث مطول فيقول : « أنها كانت تجربة مرة عاشها العرب منذ الحرب العالمية الأولى ، وتمثلت فى اتجاه كثير من الزعماء والأحزاب ، للدوافع وأسباب مختلفة لخلق إطار موحد للعمل يكون أساساً للنهضة العربية ، ويجمع شمل الأمة العربية ، وقد قبل العرب هذا الإطار باعتباره مجرد غطاء خارجى له محتوى أساسى هو الإسلام ، ولكن هذا الاتجاه تطور فيما بعد ليحعل « الغطاء » يحل محل المحتوى ، وبدأ الناس يبحثون عن فلسفة خاصة ، وهكذا أصبحنا نحن الذين أيدنا (القومية العربية) نراها تتحول إلى المذهب ورغم أنها لم تتمتع بالتأييد لزمناً أطول ، ولو أنها استطاعت أن تحقق أقل قدر من النجاح لأثبتت أصالة بنائها ، وأنها قامت على أرض صلبة لا على كثران من الرمال ، ولقد عجز مذهب القومية أن يخلق فى نفوس أصحابه شيئاً من هذا الإيمان أو قليلاً من التضحية . هذه الوحدة العربية لم تتحقق حتى بين دعايتها وأنصارها الذين اتخذوها شعاراً لهم ، ولم تحقق شيئاً للعرب المؤمنين بها ، ومعنى هذا أن تجربة هذا المذهب تكون قد استنفذت غرضها ، بعد أن أدى العرب ثمن فشلها غالباً ، وینفتح الباب أمام الإسلام من جديد برجال جدد من العرب أنفسهم ، ويمضى العرب إلى تحقيق وحدتهم ولكن باسم العقيدة التى وحدتهم أول مرة ، وباسم العقيدة سيواصلون معركتهم على واجهتين : ضد التخلف داخل الوطن الأكبر ، وصد الاستعمار والصهيونية فى كل مكان فى الأرض وعندئذ يكون عصر البقطة الإسلامية قد انتهى ، ويبدأ فجر النهضة وتشرق شمس الإسلام من جديد على العالم . » وقال : « ان هناك مراحل قطعها الاستعمار والتغريب فى تعويق الانتقال من البقطة إلى

النهضة : منها الاقليمية والقومية والماركسية والقانون الوضعي والنظام السياسي الغربي والتعليم بمنهج الغرب العلمانية ، ومحاولات تخذيل الفصحى لغة القرآن . ولقد سقطت تلك لمحاولات ، التي كانت تجعل القومية بديلاً عن دين الله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأنها أرادت أن تفرغ العروبة من محتواها الإسلامي « أمة وعقيدة » وأرادت أن تقيم قومية حاكمة منفصلة مغلفة عن أرض الإسلام كما هي مغلفة عن قيم الإسلام نفسه ، فيها المفهوم المادى الوثني ، وفيها أحقاد الأمم ، حيث أن مفهوم الإسلام لا يفصل بين الدين والدولة ، ولا يعرف حكومة إلهية ولا يعرف تفرقة بين الناس على أساس من العنصر والعرق وبالجملته فإن الفكرة القومية كانت تياراً من تيارات الغزو الثقافي ، استحدثت أساليبه بعد أن سقطت دعوى الوطنيات والاقليميات ، وكانت مهمته تفرغ القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الإسلامي ، وإحلال فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل عقيدته . واستبدال رابطة أخرى برباطته ، لعزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض عزلاً نهائياً ، بحيث تكون صلة بعضها ببعض كصلتها بأي شعب من الشعوب الأخرى التي تدين بالوثنية والماركسية وبذلك تنسف الجسور التي تصل بين الشعوب الإسلامية . ولقد كان طرح فكرة القومية العربية عاملاً للتمهيد لطرح فكرة القومية الصهيونية وسجلاً لظهور دعوة إلى القومية الكردية وغيرها من قوميات ، وكان أخطر ما هنالك محاولة دعاء القومية إلى إيجاد منهج أشبه بالدين يحل محل الإسلام ، وتلك دعوتهم إلى إيجاد نظام نظري شامل يستوعب الحياة الإنسانية بأكملها ، فلا يخرج عن دائرته قطاع ما من قطاعات الوجوه البشرية ، وصياغة عقيدة قومية كلية تضاهي في كليتها وشمولها الفكرة الشيوعية ، أي أن الهدف الحقيقي هو إحلال القومية محل الإسلام وأن يصبح العرب بين خيارين : أما الشيوعية أو القومية المادية الوثنية ، وكأنما أبعد الحق الأصيل وهو الإسلام الذي يحمل المنهج الأصيل ، والذي يقاوم زيف الشيوعية والذي تعجز القومية مهما أوتيت من قوة أن تحققه وهي تركيب مفتعل معارض للفترة الانسانية ، مجاف لطبيعة الحياة وقد سموها هذا الخليط الزائف (عقيدة قومية) . هل استطاعت الفكرة القومية الوافدة أن تحتوى مفهوم العروبة والإسلام ؟ ؟ والواقع أن مضمون الفكرة القومية عند أمم الغرب كانت على الدوام مقترنة بفكرة التفوق الشعبي واحتقار الأمم الأخرى ، وهو معنى لا يقره أي مسلم أو يرضاه ، كذلك فقد عارضت الفكرة القومية الوافدة مفهوم الإسلام ، واعتبرته ديناً لاهوتياً - وهو ليس كذلك - بل هو منهج

حياة ونظام مجتمع ، ولقد كشفت الدراسات عن أن نظرية القومية الغربية هي دعوة عنصرية تستهدف قطع الروابط والصلات الجامعة بين المسلمين ، وتفريق الأمة الإسلامية إلى كيانات فضلا عن عملهم في عزل العرب عن التاريخ الإسلامي ببطولاته ومواقفه ، وحصرها في التاريخ الإقليمي ، وكذلك عزل الأدب العربي الحديث عن الأدب الإسلامي ، وفرض مناهج التفكير الغربي في السياسة والاقتصاد والقانون والتربية وهذه كلها محاولات تستهدف تفريغ العرب من إسلامهم ، ولقد سقطت هذه المحاولات سقوطاً تاماً ، وتنبه العرب إلى أهداف المؤامرة ، ويكفيهم أن مفكرى الغرب قد كشفوا هدفها وزيف وجهتها .

ثالثاً - حركة تحرير المرأة

إستهدفت حركة تحرير المرأة - التي حمل لوائها إتباع النفوذ الاستعماري في العالم الإسلامي - تحقيق مجموعة من الأهداف الخطيرة ، ترمى إلى هدم الأسرة وتدمير المجتمع ، ودفع المرأة إلى أن تكون أداة للأهواء والرغبات ، وإخراج المرأة عن مكانتها ورسالتها ، وتحطيم القيم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية في شأن العلاقة بين الرجل والمرأة ، وبين الأجيال المتتابعة وبين الشباب والفتيات بل إن دراسة مستوعبة لأهداف هذه الحركة لتكشف في وضوح أن كل مقدرات النفوذ الأجنبي في هدم المجتمع الإسلامي ، إنما تركز في العمل وراء هذا المخطط الذي يتخذ أسماء لamacاً براقاً من أسماء الأضواء . وذلك أن الهدف من تحرير المرأة في مفهوم المخططات الغازية إنما يرمى في الحقيقة إلى استعباد المرأة وتدمير وجودها الشخصي وكيانها النفسي والاجتماعي ، وتحويلها إلى أمة بعد أن حررها الإسلام ، وأعطائها حقوقها السياسية والاجتماعية والمالية ، على نحو لم تعرفه القوانين والشرائع القديمة والحديثة ، ولما تصل إليه بعد وقد حملت رياح السموم معها مفاهيم كثيرة مغلوطة وفاسدة في شأن علاقة المرأة بالرجل والمجتمع والأسرة والنسل ، أريد بها تحويل المرأة عن طبيعتها فطرتها ورسالتها ودفعها إلى طريق مظلم مضلل وخاصة فيما يتعلق بالمساواة بين الرجل والمرأة ، والقوامة والاختلاط والأمومة واللباس والعمل . ولما كانت هذه المفاهيم الخاطئة ، قد انطلقت سنوات طويلة من العبت من خلال القصة والمسرحية ، ومن خلال الإذاعة والصحافة فقد نلعت الكثيرين والكثيرات حتى غاب القوم إنها مسلمات وحقائق ، ومن هنا نرى تلك المحاولة الفضخمة في معارضة العودة إلى الفطرة وإلى المفاهيم الأصلية ، توجهها قوى أجنبية تحاول أن تجند لها

قيادات مضللة ، تستمد توجيهها من خارج نطاق العالم الإسلامي : من القوى الاستعمارية والصهيونية والشيوعية التي تعول كثيراً على حركة تحرير المرأة ، وترى فيها ركيزة خطيرة لتدمير المجتمع الإسلامي وأهدافه ومن العجب أن تقود مظاهرات معارضة عودة المرأة إلى الأضالة نساء لسن مسلمات ولا يعرفن مسئولية المجتمع الإسلامي ولا مفاهيم دينه ، وهم يعرفون أن تجريتهم في العرب قد فشلت ولكنهم مصممون على تدمير المجتمع المسلم . ولعل أخطر ما تواجهه المرأة اليوم في البلاد العربية والإسلامية : تلك المحاولة التي ترى إلى كسر الحاجز بينها وبين الرجل : حاجز العرض والعفة والخلق الذي يحمي من السقوط والانهار . إن هناك محاولات ضخمة من خلال المسرح والسينما والقصص ، والكتابات النسائين ، تهدف كلها إلى تحطيم هذا الحاجز حتى تسقط الأسرة وتحطم الأمومة ، وينتشر طابع الخيانة الزوجية - على أساس أنه عرف من أعراف المجتمع - ولا ريب أن المرأة المسلمة اليوم ، التي عرفت حقها في القرآن ورسالتها في الإسلام ، يجب أن تعرف أبعاد هذه المؤامرة حتى لا تخدع بمعسول الكلام ولعل أول ما يقدم لها في هذا الشأن هو تجربة المرأة الغربية نفسها ، في مجتمعها المعاصر ، وهي تجربة قاسية عنيفة ، بعد أن إنحرفت الحضارة الغربية بالمرأة إنحرافاً طائشاً عن المسار الحضارى السليم ، حتى وصفت بأنها تقوم بعملية إنتحار حقيقة ، وقد أكد علماء الغرب المنصفون أن إنقاذ المجتمع لا يتم إلا بالقضاء على أسباب الانحراف ، التي أدت إليها هذه الفاجعة وتبدو عوامل الانحراف في الظواهر الآتية : (١) إنتشار أقراص منع الحمل دون رقابة ، أدى إلى إنتشار الصلات الجنسية المحرمة (الزنا) دون تحفظ ولا خوف ، فتزعزعت أركان الأسرة ولم تعد فتاة الحضارة الغربية - ومثلها الشباب - ترى أن في الزواج وتكوين الأسرة ضرورة إجتماعية . (٢) إنتشار ظاهرة الهيبة والختنفة وانتشار الأزواء القصيرة الفاضحة والسماح دون تحفظ بالزبد من الأباحية في السينما والمسرح والصحافة . (٣) إنتشار المخدرات بجميع أنواعها وأشكالها ، أدى إلى تورط شباب الحضارة الغربية وفتياتها في الجريمة والإباحية وأدى إلى فقدان الثقة بالمثل والأخلاق ، فأصبحوا يجاهرون بل يفاخرون بمعاداة المجتمع والقانون . وقد أعلن البروفسور « يواكيم هاتيه » بأن الأمراض الجنسية قد زادت حوالى خمسين فى المائة فى المجتمعات الغربية عما كانت عليه قبل عشر سنين ، وأن ٧٠ مليون مصاب بالسلطان القبيح بين ذكر وأنثى فى الدول الغربية المتقدمة ، هذا فضلاً عن إنتشار الأمراض الجنسية بين طلاب وطالبات المدارس المختلفة كذلك أشارت

الأبحاث إلى أطفال القرن العشرين البؤساء الذين هجرتهم أمهاتهم ، وأضافت إلى الهجر عقوبة أخرى هي اليتيم ، وما دام الطفل محروماً من أمه فهو طفل يتيم ، ولا يمكن أن يعوضه عن افتقاد الأم أية أم أخرى صناعية أو مستعارة ، كذلك كان أطفال العصر الذين خرجت أمهاتهم للعمل أقرب إلى اللقطاء ، واليتامى ، فالأم تريد بعد العمل أن تتفرغ للهوها ولذلك فقد ألقت الأبناء في أحضان الخادومات الجاهلات القاسيات أو دور الحضانة التي أصبحت مهنة تجارية رابحة وليست دوراً للتربية . بل إن التجربة الغربية التي يجب أن توضع أمام المرأة المسلمة قد وصلت إلى أقصى من ذلك ، فقد أشار تقرير عصبة الأمم ١٩٢٧ ، إلى أن هناك طائفة من الفتيات يجدن سماسرة الأعراض بينهن مورداً عظيماً لا ينضب ، وهذه الطائفة من الممثلات والراقصات وفتيات المسارح والحانات وأمثالهن . ومما يدعو إلى الأسف أن كثيراً من مديري تلك المسارح والحانات ، يشترطون في الفتيات اللاتي يستخدمنهن . أن لا يرفضن بيع أعراضهن إذا طُلب منهن ذلك ، وهذه هي الصورة الغربية التي يجب أن تكون أمام المرأة المسلمة ، وهي تقرر موقفها من هذه الحركة الضالة التي تقودها القوى الأجنبية في بلادنا ، ولقد كانت حركة تحرير المرأة في أوائل هذا القرن مؤامرة خطيرة استهدفت - كما وصفها الأستاذ محمد فريد وجدي - تدهوراً مروعاً في الآداب العامة وانتشاراً مفرعاً لمبدأ العزوبة وأصبحت جلسات المحاكم خاصة بقضايا هنك الأعراض ، وهرب الشابات من دور أهلهن وقد أعلنت الدكتورة بنت الشاطي ما تكشفته عنه حركة تحرير المرأة مما أسمته « مهزلة أليمة موجعة » تلك هي : « أن الرجال ساقونا لنعمل لحسابهم ، وهم يوهموننا أننا نعمل ويعملون معنا لحسابنا ذلك أن الرجال رتبوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم ، ولكنهم كذبوا في هذا الزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السامة والضجر في دنياهم . إن أقصى ما نلقاه في محنتنا هو شعورنا بما انكشف من ضعف الرجال وصغارهم ، ونحن شقيات بذلك ، فكان منه مرارة موجعة وأشارت الدكتورة عائشة إلى هذا الانحراف فقالت : « إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمناً للنطور ، ويكفي أن أشير في إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذي شوه نهضتنا ، وأعني به انحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعي ، وترفعها عن التفرغ لما تسميه « خدمة البيوت وتربية الأولاد » ، ذلك لأن الأمة لم تخرج فتياتها من دورهن لتسد بهن فراغاً كانت تشكوه في ميادين الاعمال ، وإنما أرادت أن يجدن فيهن الأمهات المستنيرات المثقفات قاذوة وهامى اليوم ترى البيوت منهن مقفرة خلاء ، أما الأبناء

فتركوا للخدم ، ويبلغ سوء ما وصلت إليه الحال : أن نادى مناديات بحذف نون النسوة من اللغة ، كأنما الانوثة نقص ومذلة وعار وأهدار الاعتراف بالأمة كعمل من الاعمال الاصلية لنا ، حتى سمعنا من يسأل : كيف تعيش أمة برثة معطلة ؟ يقصد بالبرثة المعطلة : هؤلاء الباقيات في بيوتن برعين الاولاد ، وزعموا أن المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها في البيت ووظيفتها في الخارج . وقد كشف الكثيرون عن أن هذه الحركة النسوية ، ما هي إلا مناورات مضللة ، وقال الشيخ محمود أبو العيون رحمه الله : إن المرأة فهمت الحرية فهماً معكوساً ، وفي ظل الحرية الزائفة تحررت المرأة من الآداب والأخلاق ، ورأت فيها قيوداً يجب تحطيمها وفي ظل هذه الحرية الزائفة داست المرأة أقدم واجباتها كزوجة وأم وربة منزل ، فتهدمت تلك الأصول الثلاثة التي تبنى عليها حياة الاسرة وسعادة المجتمع . وقالت السيدة لبيرة هاشم : أو لسا نرى عيوب المدنية الأوروبية بدأت تجر أذيالها ، فتكنس آثار الحشمة في طريقنا ، أو لسا نشعر ببريحها السوم تهب من الغرب فتلروا في عيوننا رماداً تعمى به أبصارنا ، ما أهمية الشعر مجزوراً أو مترسلاً أو معقوصاً أو مضافوراً ، إذا كانت الرأس لا تحوى عقلاً وعلماً بل إن قاسم أمين نفسه بعد أن كتب كتابه تحرير المرأة والمرأة الجديدة ، قد غير رأيه إذ رأى النتائج العكسية لما دعا إليه ، فقال في تصريح نشرته جريدة الظاهر (أكتوبر ١٩٠٦) لقد كنت أدعو إلى إقضاء أثر الترك بل الأفرنج في تحرير نسائهم ، وغاليت في هذا المعنى حتى دعوتهن إلى تمزيق الحجاب وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائهم وولكنني أدركت الآن خطر هذه الدعوة ، بما اختبرته من أخلاق الناس ، فلقد تبعت خطوات النساء في كثير من الأحياء ، لأعرف درجة إحترام الناس لهن ، فرأيت من فساد أخلاق الرجال - بكل أسف - ما حمدت الله على ما خذل من دعوتي ، واستنفر الناس إلى معارضتي ، لهذا لا أجدر الوقت مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذي قصده من قبل . وهذا كله يعنى فساد هذه الدعوة التي أشعلها الاستعمار ليكسب من وراءها تدمير المجتمع الإسلامي ، والسير بها إلى الغايات التي يرجوها وآية ذلك أن تعليم الفتاة المسلمة ما زال ناقصاً ومبتوراً ، ولا تجنى منه الفتاة إلا غروراً وزهواً ، وأنه فشل فشلاً تاماً في تخريج زوجة صالحة ، تدبر شئون بيتها وتربي أطفالها ، بل إنه لم يعلنها ما هي رسالتها الحقيقية في المجتمع . وقد استتبع الخطأ الواحد عدة أخطاء : إستتبع تلك الحركة الضالة التي استهدفت المساواة والاختلاط ، والاستهانة بمسئولية المرأة ومهمتها الأساسية ، ودفعها إلى مجال الأهواء .

فقد فتحت لها بيوت الأزياء وأعدت لها وسائل الزينة والإغراء والدعاية ، وقام على ذلك كله اليهود وخصوصاً الإسلام ، وكان وراء هذه الدور غابات خبيثة وما تزال المرأة سلعة يلعب بها يهود العالم وقد جعلوها وسيلة للكسب والدعاية ، واقتحمت موضات اللباس المختلفة كل البلاد ، وفرضت نفسها على المجتمعات الإسلامية . بل إن بعض الاقطار الإسلامية خضعت في قوانين الطلاق لغايات من قوانين كنسية لا إسلامية ، حدث هذا في الوقت الذي تراجعت فيه الكنسية عن الزواج الكاثوليكي ، أي عن منع الطلاق تحت ضغط الحاجة ، وفي إيطاليا قلعة الكاثوليك أقر برلمانها إباحة الطلاق ، وما أن صدر القانون حتى جوبهت المحاكم بمليون طلب طلاق وما زال المسلمون يخضعون لمؤامرات الغرب في تحديد النسل ، بينما رفضت الكنيسة ، وما زال أسلوب تعليم المرأة وتربيتها خاضعاً وتابعاً للأساليب الغربية وسيظل تعليم المرأة المسلمة عبثاً ما لم يهدف إلى أمور ثلاثة ١- تربية أنوثتها فهي هبة الله الكبرى . ٢- تربية أمومتها فهي جوهر ذاتيتها ٣- تربية ذوقها فهو مفتاح شخصيتها . لقد أعطى الإسلام للمرأة المسلمة منذ بزغ فجره حرية وكرامة ، ومساواة لم تمنحها لها أية حضارة أو شريعة سابقة عليه ، فجعل لها حق الامتلاك والتصرف والبيع تصرفاً مستقلاً عن الرجل ، وجعل لها حق العلم فريضة ، وأتاح لها أن تعمل في مجال التربية والتطبيب ما تشاء ، ما دامت تحفظ شخصيتها ودينها وكيانها ، وقد أحاط الإسلام رسالتها الأساسية وعملها كله بقيم أساسية عامة ، في مجال الأخلاق والدين ، تجري من خلالها حركة المرأة في قدر كبير من التحوط لها ، والمحافظة عليها ورفعها إلى مجال الكرامة والكمال ، وحماية لها من ذوى الأغراض والأهواء وأبرز ما يوصى به الإسلام ودعا إليه المرأة ، هو المحافظة على ذاتها وعرضها ، وصونه عن غير من هو أحق به حلالاً وهو الزوج ، والكرامة في إبداء الزينة لهذا الرجل المصاحب في الحياة يحق الشرع ، فليس لغيره أن يطلع على زينة المرأة أو جمالها ، أما بالنسبة للناس جميعاً فإن كرامتها تقتضيها أن تواجههم في ملابس لا تشف ولا تكشف ولا تصف ، إيماناً بأنها ليست أداة من أدوات الزينة ، أو المتعة لكل الناس ، وليست معرضاً للأزياء أو مصدراً من مصادر الترف لكل ناظر ، وهكذا حفظ لها الإسلام كرامتها في مواجهة الناس ، فهي حين تلقاهم تلقاهم في سمت كريم ، ولغة واضحة « فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفاً » (الأحزاب) ومشاركة في العمل قوامها العقل والفهم والنوق ، وليس قوامها الإغراء بالمئیس المكشوف أو الكلمة الرخية . ومن حق المرأة أن تعرف حق ربا

عليها ، وحق زوجها وحق أهلها فتؤدي هذه الحقوق بالصلاة والصدقة والسؤال والزيارة ومن ومن حق المرأة أن تشق نفسها ثقافة نسوية خاصة وثقافة علمية عامة فلها مجال في الثقافة بالإضافة إلى المجال العام ، يكشف عن دورها في بناء الأسرة وتربية الطفل ورعاية الزوج ، والقيام على مختلف الشؤون المنزلية أداءً أو إشرافاً على من يؤديها . ومن حيث يريد الإسلام لها من حقوق وواجبات ومجال عمل طرق حياة ، إنما يريد أن يحررها عن أن تكون أمة أو عبدة أو أداة للرجل ، على النحو الذي يفهم في ظل الحضارات الوثنية القديمة ، أو الذي تحاول أن تصوره الحضارة الحديثة ، فالرجل لا يعجب إلا بالفتاة ذات الكرامة والاستعلاء عن الأهل ، الفتاة التي تعرف واجبها وحق الله عليها ، وحين تعصم الفتاة بالإيمان والكرامة وسلامة الشخصية ، إنما تدفع عنها كثيراً مما يواجهها في الحياة اليوم من أخطار وأسوأ . فالتعليم وحق المرأة في العمل موجودان في الإسلام ، وهو الذي أمدهما إلى الحضارة الغربية أصلاً ، ومن حقها أن تمارسهما في حدود قيمنا ومفاهيمنا ، وعلى الفتاة أن تعرف واجبها كاملاً وأن تسترشد فيه بهدى النماذج الكريمة التي قدمها تاريخ الإسلام للمرأة المؤمنة المجاهدة في سبيل الله ، بانية الشباب الكريم النافع وصانعة الحياة الطيبة ، ومؤازرة الرجل في عمله ومشاقه ، مرتفعة فوق مطامع الناس وأهل المجتمعات ومحاولات الذين يريدونها رقيقاً من حيث جعلها الله ذات سيادة وكرامة . ولقد شاء الله تبارك وتعالى للجنسين أن يعملوا ويعمرا الحياة ، وقسم بينهما الأعمال تقسماً يصلح لشخصيته وطبيعته ، لتكوين كل منهما ، الدور الذي يقوم به ، وجعل من حق المرأة العمل بحيث لا يتعارض مع تنشئة الأبناء والحفاظ على كيان الأسرة ، فإذا تعرض بناء الأسرة للخطر . كان على المرأة أن تحفظه وأن تتنازل عن حقها في العمل الخارجي الذي يمكن أن يؤديه غيرها والمرأة المسلمة بعامة إنما تستمد مصادر نهضتها من خلال القيم الأساسية التي رسمها الإسلام والقرآن ، وطبقها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، بما يفتح لها طريق الكرامة وحسن الخلق ، وبناء شخصية المرأة على أساس من الإيمان والقدوة الحسنة والتربية العملية بما يحررها من أقسى قيد يحاول النفوذ الأجنبي أن يوقعها فيه ، وهو قيد (الاستعباد) والعودة إلى حياة الأماء والعبودية لشهوات الرجل بأن تكون أداة للأهل الجامحة التي تريد أن تدمر المجتمع الإسلامي ، فليست المرأة أداة ولا متعة ولا صنعة أهواء الرجال ، وإنما هي شخصية كاملة عالمية الكرامة ، لها رسالتها ودورها ومهمتها ولندكر أن المرأة المسلمة على طوال تاريخ الإسلام كانت تعمل وهي تحمل معها قيم الإسلام ،

ولم تنخل عنها وبذلك استطاعت أن ترسم صورة شريفة لدور المرأة في بناء الحياة الإنسانية. هذه أمانة الفكر الإسلامى إلى ذات الرداء الأبيض اليوم ، ونحن نشاهد هذه النهضة الجديدة التى تقوم على أساس التماس المرأة المسلمة لمفهوم الإسلام الحقيقى ، لقد كشفت الدراسات الجادة عن مآخذ إجتماعية خطيرة فى حياة المرأة العربية والمسلمة ترجع إلى الثقافة الوافدة التى تعارض مفهوم الإسلام الأصيل فالمرأة العربية والمسلمة تتأسى بصورة المرأة فى كتاب ألف ليلة وليلة الدخيل والزائف ، وتجعل من صورتها فيه نموذجاً لها ، وهو نموذج الجارية التى لا يهتمها إلا لباسها ولا ترى فى نفسها أكثر من متعة للرجل . تعيش بغرائزها وعليها أن تكون جميلة وأن تسلى الرجل وأن تطهو له الطعام أشبه بدمية : مثلها الأعلى الأناقة المسرفة ، وبذلك جمحت عطاء ربها وجمحت المجتمع وجمحت ذاتها . ولقد ساقطتها المجالات - التى تسمى نفسها نسائية - إلى أن تكون أشبه بعارضة أزياء ، لا هدف لها إلا ملابسها وحقائبها وأحذيتها ، وهى قد أضعفت فيها الحدود والضوابط التى تفضل بين المرأة المؤمنة والمرأة الخليعة ، فهى لا ترى بأساً فى أغلب الأحيان من أن تحترف الغناء والتمثيل وأن تحطم نطقها الشرعى الشريف . لقاء عطاء مادى لا قيمة له أمام الكرامة والعرض . كذلك فهى مخدوعة بكل دعوة إلى العمل والسفر ، حتى ولو تكشف أن هذا العمل ليس إلا فى مجالات بعيدة عن العفة والكرامة تغريها على هذا أفلام لامعة : لا تجعل لها قياساً إلا ما تحصل عليه مادياً ، مهما كان نوع العمل ومهما كان ما تتعرض له من سوء ذلك لأننا عجزنا عن أن نربي فى المرأة المسلمة الغيرة والكرامة والحفاظ على العرض . والإرتفاع به فوق كل المغريات وكل المعطيات ومن ذلك مقياس الأجر فى موازنة تربية الطفل . فهل يمكن أن يوزن أى أجر يعطى للمرأة ، تنفق أغلبه على أزيائها وملابسها بما يفقده طفلها من رعاية ، عندما تدعه فى يد الخادومات القاسيات وهناك ظاهرة الخسارة التى تتعرض لها بلادنا ، بانفاق ملايين الدنانير كل عام ، على شراء الثياب والأحذية والعطور والمساحق وهذا باب آخر من أبواب الشر يضاف إلى الخسارة المتعددة الوجوه ، التى فتحت أبوابها فتنة تحرير المرأة . تقول الدكتورة نازك الملائكة : أن معامل الأقمشة فى الغرب المستعمر تضحك منا ، وتستعملنا نحن النساء فى ضرب الإقتصاد القومى فى العالم العربى ، ومعامل الأقمشة لا أخلاق لها وآلاتها الرهيبة بلا قيم ولا إنسانية ، إنها تريد أن تبيع ، وليس يهتمها فى سبيل ذلك أن تقتل روح الإنسان وتذل كرامته ، وهذه المعامل الشريرة الجشعة هى التى تغير الأنماط كل عام فتصنع دفاتر لنماذج

جديدة ، وهو ما يسمى بالموديلات التي تغمر أسواقنا مثل مجلة (بوردة) اليهودية وسواها ، وهذه المجالات تفتك بروح المرأة فتكاً ذريعاً ، يؤدي بنا إلى الخراب الاقتصادي الأكيد فهي تأتي بخبراء للملابس يخططون الأقمشة الجديدة في أنماط معينة ثم تقيم معارض للأزياء ، فتأتي بفتيات جميلات تلبس هذه الملابس . وتعرض أجسادهن على العيون ، كما كانت الجوارى يعرضن في سوق النحاسين وقد أصبحت أخيراً تخشى الإذاعات المرئية بتصوير حفلات الأزياء ونقلها ، ليراهن الملايين وينتقل الفساد إلى داخل البيت العربي نفسه . وبالجملية فإن المرأة تنهار أمام هذا الغزو الفاضح تحت تأثير تشجيع الصحافة والإذاعة وكتاب القصص ، وكل هذا يدعو إلى التساؤل : هل خضعنا للتخطيط الوافد . الذي يدفع المرأة المسلمة إلى أن تنهار أمام الغزو الغربي المادي ، وبذلك يستقطب للعالم الإسلامي كله من وراء ذلك لقمة سائغة في أيدي القوى المسيطرة على هذه الأعمال ، إن أغلب معامل العطور والمساحيق والأقمشة إنما يملكها اليهود في الغرب . هؤلاء الذين يسعون إلى السيطرة على العالم ، ويحكمونه بعد أن يدمروا أخلاقنا ، وأسلوبهم في السيطرة ذو شقين : أولهما : الإستيلاء على المال في كل بلد ينزلونه . الثاني : هدم الأخلاق والقيم والمثل والمعتقدات . ولقد أشار هنري فورد في كتابه (اليهودي العالمي) بأن اليهود من أجل تحقيق غايتهم ، قد سيطروا على ثلاثة أشياء : البنوك للربا ، والسينما لتقنين مفاهيمهم المسمومة ، ومعامل الملابس والمساحيق والعطور ، وسواها من مستلزمات (المودة) ، فكلما غيروا الأنماط زادوا النساء شراءً وإنفاقاً ، وتسربت الأموال إلى جيوب اليهود وهم يحققون أيضاً قتل الأخلاق ، ويشيعون التفسخ وينشرون الشهوات ، وإنما الملابس القصيرة ابتكار يهودي فقد رفعوا أزياء النساء فوق الركبة ليزول الحياء وتنتشر الرذيلة ويشيع الاختلاط غير البريء بين الشبان والشابات ، وتضيع طهارة الفتاة وتتهدم الأسرة وتنتشر الأمراض الجنسية ، ويبتلى الأطفال وينشأ جيل ضائع موبوء مريض ، والمرأة المسلمة تسعى إلى حتفها وحتف أمتها دون أن تدري ، وقبل أن تفيق من أحلامها وأهوائها . ومن هنا فإن على المرأة المسلمة أن تصرف عن نفسها تلك الأكاذيب المضللة التي خدعت بها ، من مثل القول بالمساواة بين الرجل والمرأة ، أو الاختلاط ، وأن تعلم أن وظيفة المرأة الأساسية هي بناء الأسرة ، وإنشاء الجيل الصالح . وإن تقدم تربية أبنائها على كل عطاء مادي ، أو عمل لا يناسبها ، ولا يحفظ كرامتها . أو ليست في حاجة إليه ، وعليها أن تعصم بالغيرة والمروءة ، وأن تحمي نفسها من أهواء المفسدين الذين يتاجرون بالجنس . ويسترقون النساء

باستغلالهن في دور اللهو والفساد ، وأن تحرص على اللباس الكريم المحتشم ، وستر ما يجب ستره كما أن تمتنع عن التبرج أو التبرجل وتقليد الرجال ، في الكلام أو المشي أو شرب السجائر ، وأن يعلمن بأن الاختلاف التكويني بين الرجل والمرأة هو خلاف بيولوجي يجعل لكل منهما وظيفة غير وظيفة الآخر . وقد أشار الدكتور أليكس كاريل : إلى أن الاختلاف بينهما ليس في الأعضاء التناسلية وحدها ، ولا في وجود الرحم والحمل بل هو اختلاف ثابت ومتين في الأنسجة ، وتلقيح الجسم كله بمواد كيميائية محددة ، كذلك فإن هناك خلافاً أساسياً في تكوينا العضلي ، ومن هنا فقد أخطأ الجاهلون في أن يتلقى الجنسان تعليماً واحداً ، أو يمنحا سلطات واحدة أو مسؤوليات متشابهة . ولا ريب أن ما قاله كاريل ، عن الفوارق بين الرجل والمرأة من حيث التكوين العضلي والعصبي والعقلي ، إنما يؤكد ما سبق إليه القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً حين قرر « وليس الذكر كالأنثى » وقوله تبارك وتعالى « أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » الزخرف : ١٨ لقد دعت النساء الأوروبيات اللاتي أسلمن (استان رابيتش إلى بيزانت ، أيفلين كريلاد) المرأة المسلمة إلى الحفاظ على مهمتها ووظيفتها والحفاظ على شخصيتها . والاحتراز من أخطار الاختلاط في الوظائف والأعمال والأسواق ، وإلى الامتناع عن الأزياء غير المحتشمة ، ونعى هؤلاء عليها إنصرافها عن مسؤولياتها في تربية الأولاد ورعاية الزوج وكيف أن المرأة تتمتع في ظل الإسلام بكرامة شخصية وحقوق إنسانية لم تتمتع للنساء في أوروبا وأمريكا حتى الآن ، وأن العالم لن يجد له طريقة إلا التماس مفهوم الإسلام ليخرج من أزيمته . ولكي نعرف خلفيات هذه القضية الخطيرة يجب أن نذكر شيئاً مهماً هو أن كتاباً ظهر في مصر عام ١٨٩٤ (أي بعد الإحتلال البريطاني بعام واحد لمحام مصري موال لكرומר وللنفوذ الأجنبي يدعى « مرقص فهمي » تحت عنوان « المرأة في الشرق » صور فيه خطة الاستعمار في المطالبة بتحقيق خمسة أغراض : (١) القضاء على الحجاب الإسلامي . (٢) إباحة الإختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها . (٣) تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضي . (٤) منع الزواج بأكثر من واحدة (٥) إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين . وكان هذا المخطط هو النواة للنفوذ الأجنبي الذي تدرس على ضوءه « حركة قاسم أمين » وهدي شعراوي ، ذلك أنه لم تمض سنوات خمس حتى ظهر كتاب « تحرير المرأة » فكان ذلك خطوة على الطريق ظن البعض سلامتها ، فما هي هذه الخلفيات لهذا الحدث الخطير . أولاً : كتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام

بجريدته الصادرة في ٤ يناير ١٩٢٨ مقالا . قال فيه أن قاسم أمين قرأ كتاب الدوق داركور « المصريون » ورد عليه بكتاب باللغة الفرنسية وفند إتهاماته .. فلما ظهر هذا الكتاب وصف بأنه لم يكن في صف النهضة النسائية فقد رفع الكتاب من شأن الحجاب وعده دليلا على كمال المرأة ، كما ندد بالدعايات إلى السفور وقد رأت فيه الأميرة نازلي فاضل تعريضا . ثم استطرد يقول (وكانت الأميرة نازلي فاضل ولها صالون يحضره سعد زغلول ومحمد عبده وجماعة من الطامحين إلى تولي السلطة في مصر تحت قيادة النفوذ البريطاني وبرعاية اللورد كرومر) . ويقول داود بركات متابعا : وقد أشير على جريدة المقطم - وهي لسان الإنجليز في مصر ذلك الوقت - أن تكتب ست مقالات عن الكتاب تفند أخطاء قاسم في هذا الاتجاه ودفاعه عن الحجاب ، وإستنكاره اختلاط الجنسين .. ثم أوقفت الحملة بعد إتفاق الشيخ محمد عبده وسعد زغلول مع قاسم أمين على تصحيح رأيه . وقد حمل الشيخ محمد عبده الدعوة إلى تحرير المرأة في دروسه في « الرواق العباسي » بالأزهر حين أعلن أن الرجل والمرأة متساويان عند الله . وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول الكتاب أو كان له دور في مراجعتها ومما أورده لطفى السيد أنه إجتمع في جنيف عام ١٨٩٧ بالشيخ محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول وأن قاسم أمين أخذ يتلو عليه فقرات من كتاب تحرير المرأة وصفت بأنها تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه . ثانياً : كتب فارس نمر صاحب المقطم مقالا في مجلة الحديث (الحلبي) عام ١٩٣٩ وأشار إلى هذا الحادث فقال : « إنه ظهر كتاب للدوق داركور بطعن فيه على المصريين طعناً مرّاً ، ويخص النساء بأكبر قسط منه . إذ رماهن بالجهل وضعف مكانتهن في المجتمع . فاهتاج الشباب وتطوع قاسم أمين للرد على كتابه . ويستطرد فارس نمر يقول : وهنا أشير لحقيقة لا يكاد يعلمها إلا نادرة في مصر . هذه الحقيقة أن كتاب قاسم أمين الذي رد فيه على « دوق داركور » لم يكن في صف النهضة النسائية التي كانت تمثلها الأميرة نازلي .. بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف الفرنسي ، ويرفع من شأن الحجاب ، ويعده دليلا على كمال المرأة ، ويندد بالدعايات إلى السفور ، واشتراك المرأة في الأعمال العامة .. ولما ظهر كتابه هذا ساء ما به إخوانه من أمثال محمد المويلحي ، ومحمد بيرم ، وسعد زغلول .. ورأوا فيه تعريضا جارحا للأميرة نازلي ، فتشاوروا فيما بينهم في الرد واتفقوا أخيراً أن أتولى الكتابة عن هذا الموقف وعرض فصوله وانتقاد ما جاء به خاصة بالمرأة ، وبدأت في كتابة سلسلة مقالات عنه .. ولكن ذلك النقد

لم يرق في نظر قضاة محكمة الإستئناف ، ورأوا فيه مساساً بهيبتهم . لأن قاسم أفندى كان أحدهم ورأوا أن أفضل وسيلة يبدلون بها لى أكف عن الكتابة أن مؤلفه يرجو الأميرة نازلي فاضل لى تطلب إلى ذلك . . وتطوع الشيخ محمد عبده للقيام بهذه المهمة وذات مساء حضرت إلى صالون الأميرة كما حضر الشيخ محمد عبده ومحمد بيرم والمويلحي . . وبعد قليل تحدث الشيخ محمد عبده مع الأميرة في هذا الشأن . فالتفت إلى سموها وقالت لى : أنها لا تجد بئساً في أن أكف عن الكتابة في الموضوع . وكانت هى لم تقرأ الكتاب ولم تعرف أنه يشمل الطعن فيما تدعو إليه . فلما رأى ذلك محمد المويلحي قال لسموها : أنه يدهش من طلب الأميرة وخاصة لأن الكتاب تعرض لها . فبدت الدهشة عليها وكانت إحدى نسخ الكتاب موجودة عندها . وعبثاً حاولت أن أقفل باب الحديث في هذا الشأن وخاصة بعد أن لمحت عليها معالم الإضطراب والجد والعنف . فلما اطلعت على ما جاء به ثارت ثورة شديدة ووجهت القول بعنف إلى الشيخ محمد عبده . لأنه توسط في هذا الموضوع . . مرت الأيام بعد ذلك واتفق محمد عبده وسعد زغلول والمويلحي وغيرهم على أن يتقدم قاسم أمين بالإعتذار إلى سمو الأميرة . فقبلت إعتذاره ثم أخذ يتردد على صالونها . وكلما مرت الأيام إزدادت في عينه ، وارتفع مقامها لديه . وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة الذي كان الفضل فيه للأميرة نازلي والذي أقام الدنيا وقمدها بعد أن كان أكثر الناس دعوة إلى الحجاب . . انتهى كلام فارس نمر : ثالثاً : أشارت هدى شعراوى في محاضرة لها إلى هذا المعنى وكشفت هذا السر الذي ظل خافياً زمناً طويلاً ولم يكشف بعد وفاة قاسم أمين بعشرين سنة غير أن الذى يلفت النظر أن قاسم أمين عدل عن رأيه هذا من بعده ، وتبين له أنه أخطأ الطريق . وقد تبين هذا حين صرح قاسم أمين في حديث له صحيفة « الظاهر » التى كان يصدرها المحامى محمد أبو شادى حيث أعلن رجوعه ، وأعلن أنه كان مخطئاً في (توقيت) الدعوة إلى تحرير المرأة . . هذا التصريح نشرته جريدة « الظاهر » في أكتوبر ١٩٠٦ قال قاسم أمين : « لقد كنت أدعو المصريين قبل الان إلى إفتاء في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب ، وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم ومادبهم وولائهم . . ولكنى أدركت الان خطر هذه الدعوة بما إختبرته من أخلاق الناس . . فلقد تبيعت خطوات النساء في كثير من أحياء الناصمة والإسكندرية لأعرف عرف درجة إحترام الناس لهن ، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن جاسرات فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على

ما خذل من دعوى واستنفر الناس إلى معارضتي .. رأيتهم ما مرت بهم أمراء أو فتاة إلا تطاولوا إليها بالسنة البذاء ، ثم ما وجدت زحاما في طريق فمرت به امرأة إلا تناولتها الأيدي والألسن جميعاً .. إنني أرى أن الوقت ليس مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذي قصده من قبل » ومعنى كلام قاسم أمين هذا الذي نشره قبل وفاته بعام ونصف عام أن قاسم أمين قد اكتشف بعد سبع سنوات من دعوته (التي جاءت استدراجاً ومرضاة لنفوذ وليست خالصة لوجه الله تعالى) أنها لم تكن قائمة على أسسها الصحيحة وهي الدعوة إلى تربية الخلق والإيمان بالله ، وأنها لم تكن على طريق الحق .. أو ربما أن قاسم رأى بعد أن تغيرت الظروف بزوال كرومر ووفاة محمد عبده وانطفاء نفوذ نازلي فاضل (ربيبة كرومر) أن يتخفف من هذه التبعة . وربما كان لبعض التجارب أثرها في نفسه .. فيها هو يروى أن صديقاً عزيزاً زاره ذات مرة فلما فتح له الباب قال : جئت هذه المرة من أجل التحدث مع زوجك ! ! فدهش قاسم .. كيف يطلب مقابلة زوجته . فقال له صديقه : أأنت تدعو إلى ذلك . إذن لماذا لا تقبل التجربة مع نفسك . فأطرق قاسم أمين صامتاً وما يذكر أن السيدة زوجة قاسم أمين كتبت منذ سنوات تعلن أن دعوة قاسم أمين كانت خطيرة وأنها لم تكن قائمة على أساس صحيح . وقال محمد فريد وجدى : إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً في الآداب العامة ، وأحدثت إنتشاراً مفرعاً لمبدأ العزوبة ، وأصبحت ساحات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض وهرب الشابات من دور أهلهن . ونعت الدكتورة بنت الشاطيء ما تكشف من حركة تحرير المرأة مما أسسته مهزلة أليمة موجهة .. تقول بنت الشاطيء : « إن الرجال ساقوننا لنعمل لحسابهم .. وهم يوهموننا أننا نعمل أو يعملون معنا لحسابنا .. ذلك أن الرجال رتبوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم .. ولكنهم كذبوا في هذا الزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السامة والضجر في دنياهم » ثم قالت بنت الشاطيء : « إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمناً للتطور ويكفى أن أشير في إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذي شوه نهضتنا . وأعنى به إنحراف المرأة الجديدة عن طريق الطبعي وترفعها عن التفرغ لما نسميه : خدمة البيوت وتربية الأولاد . ونحن نرى البيوت أصبحت مقفرة منهم . أما الأبناء فتركوا الخدمة . وقد نشأ هذا الإنحراف الضال نتيجة لخطأ كبير في فهم روح النهضة . وبلغ من سوء ما وصلت إليه أن نادى مناديات بحذف نون النسوة في اللغة كأنما الأنوثة نقص ومذلة

وعار . وأهدر الاعتراف بالأمومة كعمل من الأعمال الأصلية لنا حتى سمعنا من يسأل كيف تعيش أمة برئة معطلة . . يقصد بالبرئة المعطلة هؤلاء الباقيات في بيوتهم يرعين الأولاد . . وزعموا أن المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها في البيت ووظيفتها في الخارج . . إنتهى كلام الدكتور بنت الشاطي . . أما ما هي ملابس زعامة هدى شعراوي للحركة النسوية . فالواقع أن هناك عدة ملابس لا يفسرها إلا فهم تاريخ الحركة الوطنية في مصر لرجلين : أحدهما والدها محمد سلطان ، والآخر زوجها علي باشا شعراوي أما والدها محمد سلطان فيقول الدكتور عبد العزيز رفاعي في كتابه « محمد سلطان إمام محكمة التاريخ » . إنه كان من أعلام الثورة العربية . ولكنه تذكر لها في أحلك أوقاتها ، ومشى في ركاب أعدائها : الخديوي والإنجليز . . حتى نال حظوته من الخديوي بالإحسان ، ومن الإنجليز بالتقدير . . وقد أثبت ما أورده السيد محمد رشيد رضا في كتابه : « الأستاذ الإمام محمد عبده » ج ١ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ عن الدور الذي لعبه محمد سلطان في خدمة مخابرات الإنجليز في سبيل الوصول إلى معسكر العربيين في التل الكبير . وهكذا حمل لواء الخيانة للثورة العربية ، وطاف ببور سعيد والإسماعيلية بجيش عراقي معلناً الثقة في الجيش الغازي ومطمئناً الأهالي على حياتهم وقد أفهمهم حسن نيات الإنجليز إزاء المصريين ، وأبان لهم أنهم لا يستهدفون غزو البلاد . بل يستهدفون تأديب العصاة وتابع سلطان باشا نشاطه فأخذ يفرق الناس عن عراقي ، ويجمعهم لمعاونة الإنجليز فأرسل إلى شيخ بدو الهنادي المقيم في الصالحية ويدعى سعود العماوي والآخر إلى محمد صالح الحوت ليتفق معهما على إستمالة العربان ولم يكتف محمد سلطان بنشاطه في الجاسوسية وبث الدسائس في منطقة القناة وفي ميدان المعركة . بل مد نشاطه إلى داخل البلاد ليقضي على كل معاونة شعبية لحركة عراقي . ورافق (ولسلي) قائد القوات البريطانية للتفاوض مع مشايخ العربان ، كما كانت الأموال التي أعدها الخديو لرشوة شيوخ البدو في عهدة سلطان (راجع بملت : : التاريخ السري ومذكرة سلطان إلى الخديو في الإسماعيلية بدار المحفوظات التاريخية دوسيه رقم ٢) . وكان سلطان هو الذي أبلغ الخديو هزيمة عراقي . ودخل سلطان القاهرة من مزهوا يتطلع لفجر جديد في حياته بعد أن سجل خيائته ، وكتب تاريخها بنفسه . وقلده الخديو النيشان المجيدي الأول رفيع الشأن ووضعه على صدره بيده ،

وأعطاه عشرة آلاف جنيه تعويضاً للأضرار التي ألحقت به ثم عينه رئيساً لمجلس شورى ولكن ضربة القدر لم تمهله ليتمتع بما إشتري من أطياف فداهمه مرض السرطان واشتد به المرض وتوفى في أوروبا سنة ١٨٨٤ ، وقد أنعم الإنجليز عليه بنيشان سان ميشيل وسان جورج الذي يخول صاحبه لقب «سير» . هذه هي خلفية الحياة الإجتماعية لقائدة النهضة النسوية والتي تزوجت وهي في الرابعة عشرة من رجل غني موسر صديق لوالدها يبلغ الخمسين من العمر هو علي شعراوي باشا أحد الثلاثة الكبار الذين قابلوا المندوب البريطاني بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (سعد زغلول وعبد العزيز فهمي) بوصفهم من رجال حزب الأمة الموالي للإستعمار البريطاني لعرض مطالب البلاد . ولم يلبث شعراوي باشا أن توفى وقد كان الثلاثة هم دعاة الولاة البريطاني والتعامل مع الإنجليز والشاجبين لمقاهيم الحزب الوطني في المناوضة قبل الجلاء . ولقد وجدت السيدة هدى شعراوي الفرصة سانحة للتبرير خاصة وأن السيدة صفية زغلول - ابنة مصطفى فهمي الذي حكم مصر بالحديد والنار خلال أول مراحل الإستعمار البريطاني ثلاثة عشر عاماً وزوج سعد زغلول والمسيئة بأسماء الأضداد « أم المصريين » - تستأثر بالزعامة السياسية فأرادت أن تفتح مجالاً جديداً تنفرد فيه بالزعامة فكان ذلك هو مجال المرأة وخاصة . وأنها نزعته نقابها في ثورة ١٩١٩ . ولقد تلفقتها جماعات تحرير المرأة العالمية والمنبثة في أوروبا وخاصة في باريس وبرلين وبروكسل والناطقة للمحافل الماسونية ومنظمات الصهيونية العالمية ووجدت فيها طيراً سميناً فدعتها إلى حضور المؤتمرات النسوية العالمية التي كانت الصهيونية العالمية تديرها من وراء ستار ، والتي كانت تستهدف إحداث الضجيج حول حقوق المرأة السياسية في البرلمان والحكم واخلخلة المجتمعات الإسلامية ودفعها إلى طريق الإنبيار والمعروف أن هدى شعراوي لم تنطلق في دعوتها من أى منطلق إسلامي . بل على العكس من ذلك كانت سيدة سافرة برزة لها صالون ويتحلق حولها عدد من الرجال المجندين لكتابة الخطب والكلمات التي كانت تلقىها في الإحتفالات وكانت تنفق على ذلك من أموال سلطان باشا التي دفعت ثمنها الثورة العرابية . ودعت إلى تلك الأفكار التي تحرص المرأة على التحرر من القيود الاجتماعية ، والإنطلاق حتى كان أحدهم يقول لواحدة سألته « لو كنت بغير أولاد لقلت لك أتركه ورزقه وزق قابلك على الله » والمعروف أن السيدة هدى شعراوي لم تكن نعباً في دعوتها بالمفهوم الإسلامي للمرأة ، أو تصدر عن فهم حقيقى لرسالة البيت والأسرة ولم تكن تتحرك في هذا الإطار . وإنما كانت تضع أمامها المرأة

الغربية كمثال أعلى . ولذلك فقد شجعت أسباب الزينة والأزياء والمودات المستحدثة . وكانت أجنحتها من الثقافات ثقافة فرنسية وذلك الولاء الماركسي والصهيوني ، ولم يكن للمفهوم الإسلامي لديهم أى أهمية . ويقول الأستاذ حسين يوسف : إنه لم يكن عجباً أن يعمل الاتحاد النسائي بزراعة هدى شعراوى للأهداف التى يحرص الاحتلال على الوصول إليها . وأن يردد فى عام ١٩٢٣ نفس المبادئ التى نادى بها مرقص فهمى من قبل ، والتى فيها قاسم أمين . ولما كان دعاة تدمير مفاهيم المرأة المسلمة لا ينامون فإنهم يدعون اليوم إلى تجديد ذكرى هدى شعراوى بإقامة تمثال لها . والهدف هو دعم هذه الأفكار المسمومة التى تستهدف تدمير الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم .

(٤) الدعوة الإسلامية تشق طريقها إلى آفاق الأرض مع عديد من التحديات والانتصارات ما زال الإسلام يفتح آفاقاً جديدة أمام الدعوة إلى الله عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة فى مختلف أجزاء الكوكب الأرضى على نحو هو الآن موضوع دهشة المراقبين وعجبهم نظراً لقلة الموارد المالية التى تنفق فى هذا السبيل وبالرغم من كل أعمال المقاومة والحشد المبذول للحيلولة بين الناس وبين الإسلام . وفى العالم الغربى (أوروبا والأمريكيتين) بالرغم من ضخامة النفوذ الأجنبى الذى تفرضه الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية والأنفاق الضخم والمحاولات الجديدة فى كسب الشباب بفتح أبواب الإغراء بحلقات الرقص وتقبل قوانين الاجهاض وإقرار الشذوذ الجنسى والعباد بالله ورفع الحظر عن معتنقى الماسونية فإن ذلك كله يوحى بالكساد الشديد والانصراف الشديد حتى فى مجال تربية أجيال جديدة من قادة الفكر الدينى فإن النبهة المطروحة توحى بالإنصراف الشديد عن هذا المجال . هذا بينما يكسب الإسلام مزيداً من معتنقيه تحت تأثير قراءة النصوص الإسلامية أو الالتقاء بالدعاة المسلمين على ندرتهم فى المراكز الإسلامية فى بعض العواصم بالإضافة إلى تلك الروح البارزة لانصاف الإسلام ورسوله التى تكشف عنها الكتابات التفقيحية التى لا يدرج أصحابها تحت قوائم الاستشراق والتبشير . وفى مناطق مختلفة من الأمريكتين وأستراليا بالإضافة إلى أوروبا نفسها نجد تجمعات جديدة تمثل أقليات صغيرة مسلمة تحاول أن تقيم مجتمعاً إسلامياً خالصاً وسط هذا الركام الضخم من فساد الحضارة الغربية واضطراب المجتمعات الأوروبية . وتجرى المحاولات لاستخلاص تصريحات من قادة المسلمين ترمى إلى القول بأنه لا فوارق حقيقية بين الإسلام وبين المسيحية أو الأديان الأخرى بهدف تشبيط همم الذين

يرغبون للدخول في الإسلام بوصفه ممثل عقيدة التوحيد الصحيحة اليوم، المحرر من الوثنية والتشنية والتعدد . وفي الولايات المتحدة جاليات من الملونين الذين هم من الأفارقة في الأصل يمثلون تجمعا إسلاميا ، ولكن هناك أعداد كثيرة من الأمريكيين أنفسهم أخذت تدخل في الإسلام حتى يقول مدير إحدى المؤسسات الإسلامية في واشنطن « أنه لا تطلع الشمس يوماً إلا على مسلم جديد » وأن هذا يحدث في كثير من بقاع القارة الأمريكية وتزايد هذه الظاهرة حتى تمثل علامة جديدة بصفها الدكتور محمد عبد الرؤف بقوله : « إنني أرى أن هناك قوة خفية تعمل على نشر الإسلام في هذه البلاد وهي قوة الله تبارك وتعالى وليس عملنا إلا من وراء إرادة الله وتقديره ، حيث لا ينتشر الإسلام بين الأمريكيين السود فحسب بل بين العنصر المسيحي (انجلو ساكسون) وقد وجد طريقه إلى ذوى النفوذ في البلاد وعندما نقرأ ما يكتبه أمثال الدكتور موريس بوكاي من مقارنات بين العهد القديم وبين القرآن من حيث (المصدر) وحيث يكتشف « ربانية » القرآن و « بشرية العهد القديم » في أي مدى تحدث هذه الآثار دويًا . فإذا أضيف هذا إلى ما تقدمه منظمات عدة في دراسات الكتب المقدسة ، بالإضافة إلى ما كشفته مخطوطات كهف قمران وما تزال تكشفه الحفريات الأثرية مما يؤكد صدق نصوص القرآن الكريم وتزييف كثير من تلك المسميات الكاذبة التي تقوم عليها دراسات التاريخ القديم من حيث تجاهل (الحنفية الإبراهيمية) ودورها في بناء ذلك التكوين الروحي الذي عرفته هذه المنطقة ممتداً من إبراهيم عليه السلام في أبنائه وفي إسماعيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم . « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً » وما يتصل بهذه الرسالة من حقائق تتمثل في جماع الإيجابيات التي نراها في الجاهلية وفي فساد التفسيرات التي صرفتها اليهودية والمسيحية مما كشف القرآن زيفها مما غيره أهل الكتاب من وجهه الدين ومن إنكار الارتباط بالنبوة الخاتمة وما تزال هذه الحقائق تنكشف ومازال قوى التزييف تحول بين الناس وبينها « يريدون ليطفثوا نور الله بأفواههم والله متم نوره » . وفي الوقت الذي تتعدد الجاليات الإسلامية في كل مكان في العالم وفي أوروبا وفي آسيا لم يترك النفوذ الأجنبي هذا النشاط يزدهر وعلى هذا الأساس دعم الانجليز الحركة الأحمدية (القاديانية) في الهند وغلبوها بالأموال لإيجاد بليلة في صفوف الأمة الإسلامية وبنى في انجلترا مسجد للأحمدية (أو القاديانية) ليكون مركز انطلاق لهم في انجلترا أو أوروبا كما ساعدت انجلترا على طبع كتب الأحمدية المضللة وخصوصاً باللغة الإنجليزية ، وقد توسعت الأحمدية في

قلب أفريقيا ولكنها ما تزال مرفوضة لما تخالف من مفهوم السنة الجامعة . وقد فضح أهدافها وعمالها للاستعمار العلامة المودودي والسيد الندوي ورابطة العالم الإسلامي وغيرها من الهيئات الإسلامية وقد توسعت بعد الحرب العالمية الثانية حركات الطلبة المسلمين في عديد من البلدان الأوربية ، وتزاحم الغربيون في كل مكان أمام الأعياد الإسلامية ليحضرُوا ويشاهدُوا شعائر الصلاة الإسلامية من قيام وركوع وسجود وتقاطروا على سماع خطبة العيد مما لفت أنظارهم فسعوا إلى الاتصال بالمراكز الإسلامية والحصول على المؤلفات الشارحة للعقيدة الإسلامية ، ولا شك ملاً نفوس هذه الجماعات وخاصة شباب المدارس والجامعات وشدهم إلى الإسلام لبساطة عقيدته وسلامة مبادئه وسماحته واقتراحه من الفطرة وعطائه وتكامله مع إشراق النفس الإنسانية وحيث يدعو إلى الرحمة والعدل والأخاء والتوحيد فقد شد إليه الزوج الأمريكيين الذين عانوا من العسف والظلم والاسترقاق على أيدي الأمريكيين البيض ويعاني المسلمون معاناة شديدة في مناطق كثيرة من العالم . وأقصى ما يواجهون ما يلقونه في المناطق الواقعة تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية ، وهناك ما يلقاه المسلمون في مناطق كثيرة من أفريقيا إزاء الحملات التبشيرية النصرانية حيث تتركز البعثات التبشيرية في نيجيريا والكامرون وجنوب السنغال وتنزانيا وكينيا وحيث تندفع القبائل الوثنية إلى الإسلام وتدخل القبائل الزنحية في دين الله أفواجاً وحيث تقف الدعوة الإسلامية بقوة الذاتية في مواجهة الإمكانات الضخمة المتاحة لرجال الإرساليات وحيث الكنائس والأديرة والمعابد مقامة في أنحاء كثيرة من البلاد في المدن والقرى . وقد شهد الذين قاموا بنشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين بما يلقونه من ترحيب كبير خاصة في المديرية الجنوبية الثلاث : أعالي النيل والاستوائية وبحر الغزال حيث الاتصال بالمواطنين البدائيين والضاربين في منابت الأعراش والغابات ومواطن الحشائش والمستنقعات : يقول أحدهم « اقتنعنا بأن العمل في هذا الميدان سهل ميسور وأن ما يبذله المبشرون المسيحيون من جهود ، لو بذل المسلمون عشر معشاره لأثمرت جهودهم أضعاف ما ثمر جهود المبشرين » بل إن الإسلام قد اقتحم مناطق جنوب أفريقيا : (جوهانسبرج ، ديربين ، إيست لندن ، كيب تاون) حيث قامت مجتمعات صغيرة من المسلمين ولكنها متماسكة ، فهم يجمعون الزكاة ويوزعونها على مستحقيها وينشئون المدارس الإسلامية والمساجد ويطبعون الصحف والمجلات الإسلامية . والمساجد هي مركز نشاط المسلمين الاجتماعي ، وكلما استولت الحكومة على منطقتهم ، رحلوا

إلى أرض أخرى وأقاموا مساجدهم ومساكنهم ويتساءل بعض الذين زاروا تلك المناطق :
« لماذا تتجه جميع بيوت المسلمين في جنوب أفريقيا نحو القبلة » رغم الصراع الحقيقي
الذي يخوضونه مع جهاز البلدية عند تخطيط البناء فالمسلم هنا لا ينام إلا في اتجاه القبلة
ويقيم في داره ثلاث حنفيات للوضوء ، وغرفة للمصاحف ، ومكان للصلاة ، والنساء المسلمات
يخرجن محجبات ويعمل الجميع في تكامل رائع ، والأطفال يحفظون القرآن ويحسنون
تلاوته وتجويده ، ويقبل الوثنيون في جنوب أفريقيا على اعتناق الإسلام اقتناعاً بأنه الدين
الذي أوجب المساواة وذوب الفوارق بين الناس ولم يعترف بأى امتياز أو فضل أو تفوق
مصدره اللون أو العرق أو المال . وما تزال مناطق إسلامية كثيرة تقاوم : أمثال أرتيريا في
مواجهة الحبشة المسيحية الماركسية ومسلمي الفيلين (شعب بانجامور) المسلم ٨ ملايين
نسمة في الجزر الجنوبية الخمسة الكبرى وهناك اضطهاد المسلمين المتجدد في الهند وهناك
مشاكل مسلمي بورما الذين شردتهم حكومة بورما ومسلمي كمبوديا وفيتنام ولاوس وهي مثل
لما يقاسيه المسلمون الذين يعيشون في الدول الشيوعية وهناك مشكلة خمسة مليون مسلم في
تايلاند ، وما يزال مسلمو قبرص يقاومون في سبيل تثبيت وجودهم في الجزيرة وحفهم في
البقاء حيث لم تكن قبرص في يوم من الأيام أرضاً يونانية وحيث عمد الاستعمار البريطاني
إلى تفرغ الجزيرة من المسلمين وجعلهم أقلية فيها ، وقد تعرض المسلمون لصنوف بشعة من
التعذيب والحرمان . ومن الآفاق الجديدة التي فتحتها الإسلام في سنوات ما قبل بزوغ فجر
القرن الخامس عشر الهجري : غزوته السلمية لليابان حيث ديانته الشنتو (عبادة الطبيعة)
والبوذية القادمة من كوريا والصين في القرن السادس الميلادي حيث أصبح نصف الشعب
الياباني يعتنقها ، والمعروف أنه بعد إندحار اليابان في الحرب العالمية الثانية ودخول قوات
الإحتلال أعلن الامبراطور للملأ أنه لم يعد إلهاً وإنما هو بشر ، وقد انتهزت الهيئات التبشيرية
العالمية الفرصة وركزت جهودها على اليابان متطلعة إلى أن تكون « المسيحية » هي عقيدة
الشعب الياباني ، وفي ظل هذا الفراغ العقائدي وجد اليابانيون في الإسلام استجابة لمطامع
نفوسهم وتطلعاتها بين ثلاث حركات تتصارع هي التبشير المسيحي (حيث توجد خمس
جامعات تبشيرية ومدارس ثانوية وإبتدائية تضم ٢٠٠ ألف) ودعوة ماركسية شيوعية واشتراكية
وحركة بوذية وقد دخل الإسلام إلى اليابان من عدة جهات من فازان عاصمة جمهورية التتار
الإسلامية ، ومن الصين ، مقاطعة منشوريا ، ومن أندونيسيا والملايو حيث اتصل أفراد جيش
الاحتلال الياباني لأندونيسيا بالشعوب المسلمة هناك . وما تزال الدعوة الإسلامية في اليابان

تشق طريقها مع آمال عريضة. وهكذا نجد أن الدعوة الإسلامية في نهاية القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر تواجه عديداً من التحديات. وسيلغ الاسلام ما بلغ الليل والنهار مع إمتداد الزمان وجهاد العاملين والحمد لله رب العالمين .

٦ - الأمة الإسلامية

على أبواب القرن الخامس عشر

ثلاث عناصر تحتاج إليها الأمة الإسلامية لتستوعبها وتضعها موضع التنفيذ إذا أرادت أن تحقق وجودها في مطلع القرن الخامس عشر الهجري :

أولاً : إمتلاك إرادة العودة إلى « أسلوب العيش الإسلام » والتحرر تماماً من أسلوب العيش الغربي الذي يدفعها الآن دفعاً إلى الدخول في مرحلة الترف والإنهيار الاجتماعي تبعاً للدور الخطير الذي تمر به الحضارة الغربية المنهارة التي تعاني اليوم أزمتها القاتلة . ولقد كان المسلمون على مدى عصور النهضة والقوة لا يخضعون للترف ولا للمادة ولا لهوى النفس أو الترخيص في الأمور والتراجع عن العزائم منطلقاً في حياتهم . فهم يأخذون الأمور من تقاليد القوة والجرأة والاعتماد على الله تبارك وتعالى ولا يخافون في الحق لومة لائم ويؤمنون بأن الموت في سبيل الله أسمى أمانيتهم وإن الفناء في الحق هو عين البقاء وأن من يحرص على الموت توهب له الحياة . ومن هذا المنطلق القوى الجريء دانت لهم القارات والممالك ، وكان العدل الذي أقاموه هو المنطلق الذي دفع الناس إلى الحصول في دين الله أفواجا . وما اعتقد أن أسلوب العيش الغربي الذي فرضه النفوذ الأجنبي على بلاد المسلمين وأعانت عليه مقتبسات قشور الحضارة في الترف والدعة والتراخي سواء في الطعام والملبس أو المركب أو أدوات التسلية إلا عاملا من عوامل انهيار العزائم والخوف من الأخطار والدعة والتسليم بالواقع الضعيف والفاجر . وما كان للمسلم الذي يؤمن بالله تبارك وتعالى أن يقبل الضيم أو يسكت عن الظلم أو يذهب مذهب التراخي والدعة والنوم وإنما هو يقظان أبداً مقيم على ثغرة من ثغرات الإسلام فلا يؤتئين من قبله صابراً مرابطاً لا تكل أعصابه عن التحمل واليقظة وتوقع الأحداث . ولقد كان المسلمون أبان الاحتلال الأجنبي قائمين على الدفاع والكفاح ولكنهم استلنوا واستناموا بعد أن حققوا الاستقلال وغفلوا عن عدوهم يدبر لهم أن تنهار قوتهم مرة أخرى بالفرق في الترف أو التراخي وتلك أزمة الحضارة العربية الآن التي أصابتها بالتمزق

وإلا مخرج منها للمسلمين إلا العودة إلى الخشونة وملابس الجهاد والمراقبة في ثغور الأوطان
وثغور العقيدة نفسها

(ثانياً) القدرة على تحقيق الأصالة الفكرية بالعودة إلى المطابع الإسلامية الشرة
المستمدة من القرآن والسنة والتحرر من نفوذ الشبهات والسموم والأيدولوجيات والمناهج
الإجتماعية الغربية التي تحاول أن تقضى على الذاتية الإسلامية « والطابع الإسلامي القرآني
الواضح الذي شكل به القرآن الرجل المسلم » ليكون شامة بين الناس ونموذجاً ضاحكاً
لا ينصهر ولا ينساع ولا يسقط في آتون الأُمّية أو العالمية لأنه مكلف بأن يحمل رسالة الله
الحق بالتوجيه والعدل والرحمة والآباء الإنساني إلى البشرية بعد أن فشلت الأيدولوجيات
والمذاهب إجتماعية وفردية وليبرالية واشتراكية ووجودية في أن تحقق له الطريق إلى المجتمع
الإنساني الطابع الرباني المصدر . ولقد أوغلت البشرية في طريق التيه بعيداً عن منهج الله
حتى كادت أن تضل السبيل ولم يعد هناك في أمل في عودتها إلى الحق إلا ذلك الضوء الفضيل
الساري من نقاع أرض التوحيد ليعيدها مرة أخرى إلى الحق والهدى . ولكن أهل هذا الضوء
ما زالوا في مطالع القرن الخامس عشر غارقون في الخلاف متمزقون فرقاً ومذاهب لم يتجمعوا
تجمع الحذر من الخطر حول وحدة الفكر الإسلامي التي شكلها لهم القرآن ودعاهم إليها الرسول
العظيم . وما تزال قدرتهم على التلقى من النبي العظيم بر صفة النموذج البشري الأمثل تطبيقاً
لمنهج القرآن ، وما تزال قدرتهم ضعيفة وما تزال إرادتهم عاجزة عن أن يكونوا ربانيين
قرآنيين محمديين في أسلوب الحياة والعيش وفي أسلوب الفكر بعيداً عن كل ما تحاول القوى
الأجنبية غزوهم به : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تشبل ملتهم » ولقد دعانا
رسولنا إلى أن نحالف أهل الكتاب في طريق عيشهم وأن نلتبس أسلوباً ربانياً قرآنياً . وهذا
كله يقتضي أن نتحرر من الزيف والشبهات والسموم النافعات الوافدة من الفكر البشري
الذي هو ركام الوثنيات القديمة وعلم الأصنام اليونانية والمادية والمجوسية والباطنية وكلها
مما يختلف مع منهج التوحيد .

ثالثاً : القدرة على إمتلاك المنهج العلمي في التكنولوجيا والتجريب والمعامل وذلك
لإقامة الحضارة الإسلامية القادرة على تحقيق الأسلوب الرباني في العدالة الشاملة للبشرية
كلها وتوزيع الثروة على كل أهل الأرض : « لكي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم »
والمسلمون بإجماع الرأي هم صانعو المنهج العلمي التجريبي الذي قامت عليه الحضارة المادية

الجديثة ولذلك فهم أحق الناس بالتماسه ، وهو الشيء الوحيد الذى يسمح لهم باستيراده على أن ينقل إلى أفق الفكر الإسلامى ليكون للناس جميعاً وإلى أفق اللغة العربية ليدور فى فلك القرآن والعدل والرحمة والآخاء . ولقد جاء الإسلام أولاً ومنذ أربعة عشر قرناً بمنهج جامع للحضارة قوامه تحرير العقيدة من الوثنية وتحرير الإنسان من عبودية الإنسان التى كانت قوام حضارات الرومان والفرس والفراعنة ثم جاء يشطر الحضارة الآخر وهو « المنهج التجريبي » استمداداً من القرآن : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » لاستخراج ما فى باطن الأرض وتعميرها وإقامة المجتمع الربانى على العدل والرحمة والآخاء الإنسانى ثم زاغت حضارة الغرب عن هذا المنهج وإعادة الوثنية والعبودية وجعلت مطامحها سلها فى إذلال الإنسان للإنسان وسيطرة القوى على الضعيف والاستعلاء بالجنس والعنصر وتكديس الثروات فى أبدي الأفراد والأمم دون بقية البشر ومن ثم حاقت بهذه الحضارات والأزمات فانتقلت من الفردية إلى الجماعية ومن الرأسمالية إلى الاشتراكية دون أن يجدنها ذلك نفعاً فى تحقيق مطامح البشر وإسعادهم . ومن ثم فقد كان لزاماً على البشرية أن تبحث عن منهج جديد يحقق الأمن والسلام وليس هذا المنهج غير منهج الإسلام . ولما كان على المسلمين أن يقدموا هذا المنهج الربانى إلى البشرية وإقامة الحجة به عليهم وهم لن يستطيعوا أن يقوموا برسالة التبليغ العالمى لدين الله الحق إلا إذا أقاموا هم المجتمع الربانى ولا بد من التحرر من هذه المحاذير الخطيرة التى وهنتهم والتى تضعهم الآن فى أغلال التقليد والتبعية للفكر الغربى الوافد سواء فى مجال الفكر والعقيدة أو المجتمع ولذلك فإن القرن الخامس عشر حفى بأن يكتنهم من تحطيم هذا القيد والانطلاق إلى أمرين :

(أولاً) إلى تطبيق الإسلام فى مجتمعاتهم .

(ثانياً) إلى تبليغ الإسلام إلى العالمين .

أنور الجندى

(موسوعه)

مقدمات العلوم والمنهاج

محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل

المجلد الثالث

عالم الإسلام المعاصر

يتناول بالبحث تاريخ العالم الإسلامي المعاصر وأقطاره وقضاياها والتحديات الموجهة إليه ، وقضية الجامعة الإسلامية والوحدة العربية والتضامن وموقف العالم الإسلامي من القوى الغازية الثلاث : الاستعمار الغربي والصهيونية والشيوعية ودراسة قضايا العالم الإسلامي على أبواب القرن الخامس عشر الهجري وما يتصل بالعلاقات بين الشيوعية والصهيونية والدعوات الهدامة كالبهائية والقاديانية والمخططات التي تستهدف غزو المجتمع الإسلامي .

أنور الجندي

توزيع
دار الأنصار
٨١ شارع بستان نامية شارع كشمير
عمان ٩٣١٥٨١ -

مطبعة النخلة
٤٤ شارع سعودي بستانية - القاهرة
تليفون ٤٤١٤٤١

رقم الإيداع ٥٣٥٥ / ٨٠
الترقيم الدولي ٩٧٧-٧٣٤٠-٠٩-٥

مقدمات العلوم والمناهج

موسوعة إسلامية جامعة

تهدف إلى إرساء منهج إسلامي جامع للفكر الإسلامي تضم عشرة مجلدات في عشر موضوعات كبرى كل منها في مجلد خاص كوحدة مستقلة ويتكامل في مجموعها العام بحيث تستوعب مختلف القضايا الإسلامية استيعاباً كاملاً .

المجلد الأول : الفكر الإسلامي

يتناول بالبحث الجذور الأساسية للفكر الإسلامي التي بناها القرآن الكريم والسنة المطهرة وما واجهه من محاولات في العصر الأول وفي العصر الحديث وخاصة ما يتصل بحركات التغريب والغزو الثقافي عن طريق الاستشراق والتبشير وانبعاث الفكر الوثني الهليني والشرقي القديم .

المجلد الثاني : تاريخ الإسلام

ويتناول بالبحث دراسة مستوعبة لتاريخ الإسلام منذ بزوع فجره إلى اليوم مروراً بمراحله المختلفة وأحداثه الكبرى وتوسعاته في قارات آسيا وأوروبا وأفريقيا إلى العصر الحديث وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين عالم الإسلام والغرب وبين العرب والدولة العثمانية وسقوط الخلافة وقيام القوميات والاقليميات .

المجلد الثالث : العالم الإسلامي المعاصر - هذا المجلد

المجلد الرابع : اللغة والأدب والثقافة .

المجلد الخامس : التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة .

المجلد السادس : المجتمع الإسلامي .

المجلد السابع : الحضارة والعلم والعلوم الإجتماعية .

المجلد الثامن : الإسلام في مواجهة الفلسفات والأديان .

المجلد التاسع : الشبهات والأخطاء الشائعة .

المجلد العاشر : حركة اليقظة الإسلامية .

من المنتظر أن تصدر ملاحق للموسوعة بعد انتهائها

يصدر المجلدات تباعاً عن دار الأنصار للطبع والنشر - مطبعة التقدم

فهرست الموضوعات

صفحة		صفحة	
٢١٨	٣ - الدعوة المهدية	١	مدخل
٢٢٠	٤ - الحركات الإصلاحية		الرسالة الأولى
٢٢٢	٥ - حركة خال الدين - محمد عبده		العالم الإسلامي المعاصر
٢٣٠	٦ - الحركة السلفية		الباب الأول
٢٣٣	٧ - جمعية العلماء		الفصل الأول : الإسلام وعالم الإسلام
	٨ - الحركة الإسلامية في الهند الإسلامية	٩	الفصل الأول : الإسلام وعالم الإسلام
٢٣٥	والباكستان	٩	١ - الإسلام والأمة العربية
٢٣٧	٩ - حركة الإصلاح في أندونيسيا والملايو	١٩	٢ - تركيا : مقاومة الغزو الغربي
٢٤١	١٠ - الحركات الصوفية		الفصل الثاني - حركة الانقضاظ على الإسلام
٢٤٣	١١ - ثمرة الحركات الإسلامية	٢٤	٢ - التحول
	الباب الخامس - الثقافة في العالم الإسلامي	٣٢	
٢٥٨	١ - التعليم	٥٦	الفصل الثالث ١ - إيران (الشيعة)
٢٥٨	٢ - الثقافة	٧٤	٢ - أفغانستان
٢٦٧	٣ - اللغة العربية	٨٠	٣ - باكستان ومسلمو الهند
٢٧٣	الباب السادس - الاستعمار والعالم الإسلامي	١٠٦	٤ - أندونيسيا وأرخبيل الملايو
٢٨٨	١ - الاستعمار	١١٨	٥ - الإسلام في جنوب شرق آسيا
٢٨٨	٢ - تقسيم العالم الإسلامي	١٢٦	٦ - أفريقيا قارة الإسلام
٢٩١	٣ - إنجلترا والعالم الإسلامي	١٣٨	٧ - الدرة المغتصبة (فلسطين)
٣٠٠	ثانياً - التبشير		الباب الثاني
٣٠٩	ثالثاً - الصهيونية		الباب الأول - العالم الإسلامي وحركات الوحدة
٣٢٠	رابعاً - الحركات الهدامة	١٤٥	الفصل الأول الوحدة الإسلامية
٣٣٠	١ - البهائية	١٥٥	١ - الجامعة الإسلامية
٣٣٣	٢ - القاديانية	١٦٥	٣ - الوحدة العربية حلقة على الطريق
	الرسالة الثانية	١٦٩	٤ - الخلافة الإسلامية
	العالم الإسلامي والغزوة الصهيونية :		الباب الثالث : الأمة العربية ومضر العربية الإسلامية
٣٤٥	مدخل	١٧٨	١ - الوحدة العربية والدعوات الإقليمية
٣٥٢	أولاً - مصادر الفكر اليهودي التلمودي	١٨٨	٢ - الإسلام وحركات المقاومة العربية
٣٥٢	١ - التوراة والتلمود	١٩٣	٣ - ثورة الجزائر
٣٦١	٢ - رحلة الشتات	٢٠٢	٤ - جذور الوحدة العربية
٣٧٠	حركة التلمودية على المحاور الثلاث		الباب الرابع - حركات الإصلاح في العالم الإسلامي
	ثانياً - أوروبا المسيحية من الماسونية إلى الثورة الفرنسية	٢٠٧	أولاً - الدعوات الإسلامية
٣٧٠	١ - الثورة الفرنسية	٢٠٧	١ - دعوة التوحيد
٣٧٦	٢ - الثورة الفرنسية	٢١٣	٢ - الدعوة السنوسية

٥١٠ - الغزوة الصليبية والغزوة الصهيونية

الرسالة الثالثة

العالم الإسلامي والغزوة الشيوعية :

٥١٥ مدخل تاريخي

٥٤٤ أولاً - فساد النظرية الماركسية

٥٥٥ ٢ - الماركسية والمجتمع

٥٦٠ ٣ - الماركسية والدين

٥٦٧ ٤ - الماركسية والأخلاق

٥٦٩ ٥ - الماركسية والعلم

٥٧٤ ٦ - الماركسية والصهيونية

٥٨٣ ثانياً - فشل التجربة الماركسية اللينينية

٤٨٣ ١ - التجربة الماركسية

٥٩٠ ٢ - محاولة الماركسية في أفق العالم الإسلامي

٥٩٩ ٣ - شيخوخة الماركسية

٦٠٧ ٤ - البقطة الإسلامية تكشف الزيف

٦٢٣ ٥ - نظام الإسلام في مواجهة الشيوعية

٦٢٦ ملاحق البحث

٦٢٦ ١ - ثلاث وثلاثين

٦٣٠ ٢ - سموم يطرحها الفكر الماركسي

٦٣٤ ٣ - الإسلام فوق لعبة اليمين واليسار

عالم الإسلام المعاصر في القرن الرابع عشر

٦٣٨ الهجري

٦٣٨ ١ - التجربة الغربية

٦٥٢ ٢ - حركة تحرير المرأة

٦٦٦ ٣ - الدعوة الإسلامية

٦٧٠ ٤ - الأمة الإسلامية على أبواب القرن الجديد

قريباً المجلد الرابع من موسوعة مقدمات

العلوم والمنهاج : اللغة والأدب والثقافة

يتناول بالبحث قضية اللغة العربية والأدب

العربي والثقافة العربية وانتمائها الإسلامي والمحاولات

التي قام بها الغزو الثقافي والتغريب في سبيل

بعث العاميات وإدخال مفاهيم المناهج الوافدة

في الأدب والثقافة والقضايا التي حاول التغريب

إثارة السموم حولها .

٣٨٣ ٣ - الماسونية والمسيحية

٣٨٧ ٣ - روسيا الأرثوذكسية والثورة الشيوعية

٤٠٦ ثالثاً - العالم الإسلامي والصهيونية

٤٢٣ ١ - المخططات اليهودية الهدامة

٤٢٥ ١ - هدم الأديان

٤٢٩ ٢ - تزيف التاريخ

٤٣٣ ٣ - تدمير الإنسان

٤٣٥ ٤ - فرض المادية على الفكر البشري

٤٣٧ ٥ - التأمر على البشرية

٤٤١ ٦ - السيطرة الاقتصادية

٤٤٣ رابعاً - إحتواء الفكر الغربي

٤٤٣ ١ - ميراث الركام البشري

٤٤٥ ٢ - التلمودية والدعوات الهدامة

٤٥١ ٣ - اليهود وراء العلوم والفنون

٤٥٣ ٤ - السموم في الآداب والفنون

٤٥٥ ٥ - إعلاء الجنس

٤٥٧ ٦ - هدم المجتمع

٤٥٩ ٧ - الفلسفة المادية

٤٦١ ٨ - الحضارة : وهل لم دور فيها

خامساً - المخططات التلمودية في غزو

الفكر الإسلامي

٤٦٤ ١ - التاريخ القديم

٤٦٤ ٢ - تاريخ الإسلام

٤٧١ ٣ - تمزيق الوحدة الإسلامية

٤٧٤ ٤ - الفلسفة الماسونية المسمومة

٤٧٦ ٥ - الصهيونية : إمبراطورية الربا

٤٨١ ٥ - الصهيونية : إمبراطورية الربا

٤٨٧ سادساً - الفكر التلمودي الصهيوني

محاولات الكشف عن زيفه

٤٨٧ ١ - استكشاف أعماق المخططات

٤٩٣ ٢ - بصمات التلمودية على النظام الغربي

٤٩٨ ٣ - بين الصهيونية والمسيحية

٥٠١ ٤ - بين الصهيونية والشيوعية

٥٠٨ ٥ - الصهيونية والفكر الإسلامي